



التذكير

بالحق والعدل والبر

احقر محمد اسلم
القرطبي

التذكير

في أحوال المرقى وأمور الأخرى

للإمام الحافظ القرطبي

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي المتوفى في سنة ٦٧١ هـ

(تنبيه) هذا الكتاب هو الأصل الذي طبع اختصاره
منسوبا للعارف الشعرائي وإن كان في الواقع ليس للشعرائي

المكتبة السلفية
المدينة المنورة

انما من بين سبحة الطوبى و قد تقدم و قد هذا بطلب
 من الله به عسر و تنم برسول الله في ما اراد من قتل الصالحين
 في ارضه و في الارض اهدى قلبه محتال في ذرة من خير
 ان الانسان لا يتفهمه قبي نور في كل اهدكم في كعبه في كل المظان
 عليه حتى يتفهمه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول سمعوا رسول الله و قد تقدم بكم كما له و فيه لو كبر
 الصلوة و الصلوة في النبوة بعد غايبة في الميثاق في كيفية انما
 جعل الخلق و بعد في الازمان فلا تتوهم الميثاق في الارض
 من امر الله و لا من اجنابه اجنابه الله و كبر انما تقدم
 من ان الزمان ربه عن كعبه الاخبار قال سمعت النبي صلى
 الله عليه وسلم يقول و ما هو في الرضا و الجحيم و النفاق
 عشر سنين حتى ان الوصلين لا يمانان الرضا سنة الواحدة
 في انما و كماله المفقود الواحد من العيب فيمكن ان
 في ذلك عشر سنين ثم يبعث الله من اهل بيتك من
 في انما لا يفتنك و في ذلك من انما في انما في انما
 في انما في انما في انما في انما في انما في انما في انما
 في انما في انما في انما في انما في انما في انما في انما في انما

علم من علم هذه الكتاب
 على اهل بيته من اولاد النبي
 امره بحسن الاستقامة
 والجهاد و حبه و محبة اهل بيته
 محمد النبي الامي و من اولاد النبي

وهذه أخيرة النسخة الخطية مكتوب بها وعليه كل كتاب التذكرة
 والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليماً
 كثيراً دائماً أبداً . تم

كذا في نسخة بخطه...
 وقد كتبت في نسخة...
 في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٣١ هـ...
 بقلم الفقير محمد بن طابع البوسي...
 غفر الله له ولوالديه.

هذه أخيرة النسخة الثانية الخطية التي كتبت بتاريخ يوم الأحد
 رابع شهر جمادى الأولى سنة ١٣٣١ هـ بقلم الفقير محمد بن طابع البوسي
 غفر الله له ولوالديه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العلي الاعلى الولى المولى الذى خلق فأحى وحكم على خلقه بالموت
والفناء والبعث إلى دار الجزاء والنصل والقضاء لتجزى كل نفس بما تسعى كما قال
فى كتابه جل وعلا (إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى
ومن يأت به مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري
من تحتها الأنهار خالدون فيها وذلك جزاء من تزكى) وبعد فانى رأيت أن أكتب كتاباً
وجيزاً يكون تذكرة لنفسى وعملاً صالحاً بعد موتى فى ذكر الموت وأحوال الموتى
وذكر الحشر والنشر والجنة والنار والفتن والاشراط نقلته من كتب الأئمة وثقات
أعلام هذه الأمة حسب ما روته أو رأيت وسترى ذلك بنسبنا إن شاء الله تعالى
وسميت (كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة) وبوبته باباً باباً وجعلت عتب
كل باب فصلاً أو فصلاً نذكر فيه ما يحتاج إليه من بيان غريب أوفقه فى حديث أو
إيضاح مشكل لتكمل فائدته وتعظم منفعته إذ التفقه فى حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو المعنى المقصود والرأى المحمود والعمل الموجود فى المقام المحمود واليوم
المشهود جعله الله خالصاً لوجهه ومقرباً من رحمته بمنه وكرمه لا رب سواه ولا
معبود إلا هو سبحانه .

باب النهي عن تمنى الموت والادعاء به

لضر ينزل به في المال والجسد

مسلم عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يتمنين أحدكم الموت لضر ينزل به فإن كان لا بد متمنياً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي أخرجه البخاري أيضاً ، وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه إله إذا مات أحدكم انقطع عمله وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً .

(وقال) البخاري : لا يتمنين أحدكم الموت إما محسناً فله أن يزداد خيراً وإما مسيئاً فله أن يستعذب (الجزار) عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد وإن من السعادة أن يطول عمر العبد حتى يرزقه الله الإثابة. (فصل) قال العلماء الموت ليس بعدم محض ولا قضاء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار وهو من أعظم المصائب وقد سماه الله تعالى مصيبة ، في قوله تعالى : (فأصابتكم مصيبة الموت) فالموت هو المصيبة العظمى والرزق الكبري وأعظم منه الغفلة عنه والإعراض عن ذكره وقلة التفكير فيه وترك العمل له وإن فيه وحده لعبر لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر ، وفي خبر مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمياً .

ويروى أن أعرابياً كان يسير على جمل له فخر الجمل ميتاً فنزل الأعرابي عنه وجعل يهوف به ويتفكر فيه ويقول : مالك لا تقوم مالك لا تنبت ؟ هذه أعضائك كاملة وجوارحك سالمة ، ما شأنك ما الذي كان يحملك ، ما الذي كان يبعثك ، ما الذي صرعتك ، ما الذي عن الحركة منعك ، ثم تركه وانصرف متفكراً في شأنه ، متعجباً من أمره ، وأنشدوا في بعض الشجعان مات تحت أنفه :

جاءته من قبل المنون إشارة فهو صريعاً للدين والنعم
ودي بمحكم درعه وبرمحه وامتد ملقى كالفتيق الأعظم
لايستجيب لصارخ إن يدعه أبداً ولا يرجى لخطب معظم
ذهبت بسالته ومر مراره لما رأى جبل المنية يرتهمي
ياويحه من فارس ما باله ذهبت مروته ولما يكلم
هندي يدها وهذه أعضاؤه مامنه من عضو غدا بمثل
هيات ما جبل الردي محتاجة للشرفي ولا اللسان اللهنم
هي ويحكم أمر الإله وحكمه والله يقضى بالقضاء المحكم
يا حترتا لو كان يقدر قدرها ومصيبة عظمت ولما تعظم
خبر علتنا كلنا بمكانه وكأنا في حالنا لم نعلم

وروى الترمذي الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول حدثنا قتيبة بن سعيد
والخطيب بن سالم عن عبد العزيز الماجشون عن محمد بن المنكدر قال : مات
ابن آدم عليه السلام فقال يا حواء قد مات ابنك . فقالت : وما الموت ؟
قال : لا يأكل ولا يشرب ، ولا يقوم ولا يقعد ، فرئت فقال آدم عليك الرنة
وعلى بناتك أنا وبني منها برآء .

(فصل) قوله فاعله أن يستعيب الاستعاب طلب العتي وهو الرضى وذلك
لا يحصل إلا بالتوبة والرجوع عن الذنوب . قال الجوهرى : استعيب طلب أن
يعتب . تقول استعيبته فأعتبني أى استرضيته فأرضاني . وفي التنزيل في حق
الكافرين (وإن يستعيبوا فإم من المعتبين)

وروى عن سهل بن عبد الله التستري أنه قال : لا يتمنى الموت إلا ثلاثة : رجل
جاهل بما بعد الموت ، أو رجل يفر من أقدار الله تعالى عليه أو مشتاق بحب اللقاء
الله عز وجل .

وروى أن ملك الموت عليه السلام جاء إلى إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن
عز وجل ليقبض روحه . فقال إبراهيم : يا ملك الموت هل رأيت خليلي يقبض
روح خليله ؟ فخرج ملك الموت عليه السلام إلى ربه فقال قل له : هل رأيت خليلي

ابراهيم عليه السلام
الذي يقبض روحه

يكره لقاء خليله . فرجع فقال قبض روجي الساعة . وقال أبو البرداء رضي الله عنه
ما من مؤمن إلا والموت خير له فن لم يصدقني فإن الله تعالى يقول : (وما عند الله
خير للآبرار) وقال تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم)
وقال حيان بن الأسود الموت جسر يوصل الحبيب إلى الحبيب .

باب جواز تمنى الموت والدعاء به خوف ذهاب الدين

قال الله عز وجل مخبراً عن يوسف عليه السلام : (توفي مسلماً وألحقني
بالصالحين) وعن مريم عليها السلام في قولها (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً
منسياً) مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : (لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه) .
(فصل) لا تعارض بين هذه الترجمة والتي قبلها لما نبينه . أما يوسف عليه
السلام : فقال قتادة : لم يتمن الموت أحد ، نبي ولا غيره إلا يوسف عليه السلام حين
تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل فقال (رب قد
آتيتني من الملك) الآيات فاشتاق إلى لقاء ربه عز وجل ، وقيل إن يوسف عليه السلام لم
يتمن الموت وإنما تمنى الموافاة على الإسلام . أي إذا جاء أجل توفي مسلماً . وهذا
القول هو المختار في تأويل الآية عند أهل التأويل والله أعلم .

وأما مريم عليها السلام فتمنت الموت لوجهين : أحدهما أنها خافت أن يظن بها
السوء في دينها وتعتبر فيفتنها ذلك . الثاني أن يقع قوم بسببها في البهتان والنسب إلى
الزنا وذلك مهلك لهم والله أعلم .

بهتانها وما

وقد قال الله تعالى في حق من افترى على عائشة رضي الله عنها (والذي تولى
كبره منهم له عذاب عظيم) وقال : (وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم) وقد
اختلف في مريم عليها السلام . هل هي صديقة لقوله تعالى (وأمه صديقة) أو ندية
لقوله تعالى (فأرسلنا إليها روحنا) وقوله (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك
الآية . وعليه فيكون الافتراء عليها أعظم والبهتان في حقها أشد .. وفيه يكون
الهلاك حقاً . فلي هذا الحد الذي ذكرناه من التأويلين . يكون تمنى الموت في حقها
جائزاً والله أعلم .

بمحدث مفصل
شكارة شرقي باب
مواضع الصلاة
من موجود

وأما الحديث وإنما هو أخبر أن ذلك سيكون لشدة ما ينزل بالناس من فساد الحال في الدين وضعفه وخوف ذهابه كما لضر ينزل بالمرء في جسمه أو شير ذلك من ذهاب ماله مما يحيط به عنه خطاياها. وبما يوضح هذا المعنى ويبينه قوله عليه السلام اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت بالناس ويروي أدت في الناس فتنة فاقبضني اليك غير مفتون رواه مالك ومثل هذا قول عمر رضي الله عنه اللهم قد ضعفت قوتي وكبرت سني وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مقصر فما جاوز ذلك الشهر حتى قبض رحمه الله رواه مالك أيضا وذكر أبو عمر بن عبد البر في التمهيد والاستذكار من حديث زاذان أبي عمر عن عليم السكندی قال كنت جالسا مع أبي عباس الفخاري على سطح فرأى قوما يتحملون من الطاعون فقال يا طاعون خذني اليك ثلاثا يقولها فقال له عليم لم تقول هذا ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتبين أحدكم الموت فإنه عند ذلك انقطع عمله ولا يرد فيستعجب، فقال أبو عباس أنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بادروا بالموت ستا إمرة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفافا باللم وقطيعة الرحم ونشأ يتخذون القرآن زاهير يقدهون الرجل ليغنيهم بالقرآن وإن كان أفلام فقها وسيأتي لهذا مزيد بيان في التتم إن شاء الله تعالى

باب ذكر الموت ونضله والاستعداد له

النسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر هاذم اللذات يعني الموت أخرجه ابن ماجه والترمذي أيضا وأخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده من حديث مالك بن أنس عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عمر ابن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هاذم اللذات قلنا يا رسول الله وما هاذم اللذات قال الموت، ابن ماجه عن ابن عمر أنه قال كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من الأنصار فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فأى المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكر أو أحسنهم لما بعده استعدادا أو تلك الأكاكس أخرجه مالك أيضا وسيأتي في التتم إن شاء الله تعالى

أفضل مواعين

وعطائك إلى غرر، وغطوك من بعد لين لحافها بتراب ومدد، فياجا مع المال ،
والمجهد في البنيان ليس لك من مالك والله إلا الاكفان بل هي للخراب والذهب
وجسمك للتراب والمثاب . فأين الذي جمعه من المال ؟ فهل أنتك من الأهوال ؟
كلا بل تركته لمن لا يحمدك ، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك . ولقد أحسن
من قال في تفسير قوله تعالى (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أن النصيب الكفن فهو
وعظ متصل بما تقدم من قوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) أي اطلب
فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة وهي الجنة فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا
فيما ينفعه في الآخرة لا في الطين والماء والتجبر والبغى ، فكأنهم قالوا لا تنس
أنك ترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن ، ونحو هذا قول الشاعر :

نصيبك مما تجمع الدهر كله رداءً ن تلوى فيها وحنوط
وقال آخر

هي التناعة لا تبغى بها بدلا فيها النعيم وفيها راحة البدن
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن

وقوله عائيه الصلاة والسلام الكيس من دان نفسه دان حاسب وقيل ذل قال
أبو عبيد دان نفسه أي أذلها واستعبدها يقال دنته أدينه إذا ذلته فيذل نفسه في
عبادة الله سبحانه وتعالى عملا يعبده لما بعد الموت ولقاء الله تعالى وكذلك يحاسب
نفسه على ما فرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره بصالح عمله والتنصل من سالف
ذله وذكر الله تعالى وطاعته في جميع أحواله فهذا هو الزاد ليوم المعاد والعاجز
ضد الكيس والعاقل والعاجز المقصر في الأمور فهو مع تقصيره في طاعة
ربه واتباع شهوات نفسه متمن على الله أن يفر له وهذا هو الاشتار فان الله
تعالى أمره ونهاه، وقال الحسن ان قوما ألهمهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا وما لهم
حسنة ويقول أحدهم انى أحسن الظن بربي وكذب لو أحسن الظن لا حسن العمل
وتلا قوله تعالى (وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين)
وقال سعيد بن جبير النرة بالله أن يتماذى الرجل بالمعصية ويتنى على الله المغفرة
وقال بقية بن الوليد كتب أبو عمير الصورى إلى بعض إخوانه أما بعد فإنك قد

أصبحت تومل الدنيا بطول عمرك وتتمنى على الله الأمان بسوء فعلك وانما تضرب
حديدا باردا والسلام وسيأتي لهذا مزيد بيان في باب ما جاء أن القبر أول منازل
الآخرة إن شاء الله تعالى

باب ما يذكر الموت والآخرة ويزهده في الدنيا

زيارات قبور

مسلم عن أبي هريرة قال زار النبي ﷺ قبر أمه فبكى وأبكى من حوله
فقال استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها
فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت، ابن ماجه عن ابن مسعود أن رسول
الله ﷺ قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا
وتذكر الآخرة

عقدتون كيفية زيارت قبر
كما حكم

(فصل) زيارة القبور للرجال متفق عليه عند العلماء مختلف فيه للنساء أما
الشباب فحرام عليهن الخروج وأما القواعد فباح لمن ذلك وجائز لجميعهن ذلك
إذا انفردن بالخروج عن الرجال ولا يختلف في هذا إن شاء الله تعالى وعلى هذا
المعنى يكون قوله عليه الصلاة والسلام زوروا القبور عاما وأما موضع أو وقت
يخشى فيه السنة من اجتماع الرجال والنساء فلا يجوز ولا يحل، فبينما الرجل يخرج
ليعتبر فيقع بصره على امرأة فيمتتن وبالعكس فيرجع كل واحد من الرجال
والنساء مأزورات غير ماجورات وهذا واضح والله أعلم وقد رأى بعض أهل العلم أن
لعن النبي ﷺ زوارات القبور كان قبل أن يرخص في زيارة القبور فلما رخص
دخل في رخصته الرجال والنساء وما ذكرناه لك أولا أصح والله أعلم.

أهل القبور من خطاب

وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه خرج إلى المقبرة فلما
أشرف عابوا قال يا أهل القبور أخبرونا عنكم أو نخبركم أما خبر من قبلنا فالمال
قد اقتسم والنساء قد تزوجن والمساكن قد سكنها قوم غيركم ثم قال أما والله
لو استطاعوا لقالوا لم نر زادا خيرا من القوى ولقد أحسن أبو العتاهية
حيث يقول؛

با عجا للناس لو فكروا وحاسبوا أنفسهم أجهروا
وعبروا الدنيا إلى غيرها فانما الدنيا لهم نصيب
لا نخر إلا نخر أهل النقي غدا إذا ضمهم المحتر
ليعلن الناس أن النقي والبر كانا خير ما يدخر
عجبت للإنسان في نخره وهو غداً في قبره يقبر
ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر
أصبح لا يملك تقديم ما يرجو ولا تأخير ما يحذر
وأصبح الأمر إلى غيره في كل ما يقضى وما يقدر

(فصل) قال العلماء رحمة الله عليهم ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور وخاصة
إن كانت قاسية فعمل أصحابها أن يعالجوها بأربعة أمور (أحدها) الإقلاع عما هي عليه
محضور مجالس العلم بالتوعظ والتذكير والتخويف والترغيب وأخبار الصالحين فإن
ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها :

قساوت قلبى
كما سددج

(الثاني) ذكر الموت فيكثر من ذكرها ذم اللذات ومفرق الجماعات وميم
البنين والبنات كما تقدم في الباب قبل ، يروى أن امرأة شكت إلى عائشة رضي الله
عنها قساوة في قلبها فقالت لها أكثرى من ذكر الموت يرق قلبك ففعلت ذلك فرق
قلبها فجمات تشكر عائشة قال : اللبلاء تذكر الموت يردع عن المعاصي ويلين القلب
القاسى ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب فيها .

(الثالث) مشاهدة المحتضرين فإن في النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته
وتزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويتردد عن القلوب
مسراتها ويمنع الأجفان من النوم ، والأبدان من الراحة ويبعث على العمل ويزيد
في الاجتهاد والنعب .

(بروى) أن الحسن البصرى دخل على مريض يعود فوجده في سكرات الموت
فنظر إلى كربه وشدة ما نزل به فرجع إلى أهله بغير اللون الذى خرج به من
عندهم فقالوا له : الطعام يرحمك الله فقال : يا أهله عليكم بطعامكم وشرا بكم
فوالله لقد رأيت مصرعا لا أزال أعمل له حتى ألقاه ؛ فهذه ثلاثة أمور ينبغي لمن

فما قلبه ولزمه ذنبه أن يستعين بها على دواء دائه ويستصرخ بها على قن الشيطان
وإغوائه فإن انتفع بها فذاك وإن عظم عليه ران القلب واستحكمت فيه دواعي
الذنب، فزيارة قبور الموتى تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول، والثاني، والثالث.
ولذلك قال عليه السلام: زوروا القبور فإنها تذكرك الموت والآخرة وتزهد
في الدنيا، فالأول سماع بالأذن، والثاني إخبار للقلب بما إليه المصير وقائم له مقام
التخويف والتحذير وفي مشاهدة من احتضر وزيارة قبر من مات من المسلمين
معاينة، فلذلك كانا أبلغ من الأول والثاني، قال صلى الله عليه وسلم: ليس الخبر
كالمعاينة، رواه ابن عباس ولم يروه أحد غيره إلا أن الاعتبار بحال المحتضرين غير
يكن في كل الأوقات وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات،
وأما زيارة القبور فوجودها أسرع والانتفاع بها اليق واجدر فينبغي لمن عزم على
الزيارة أن يتأدب بأدائها ويحضر قلبه في أتيانها ولا يكون حظه منها الطواف على
الأجداث فقط فإن هذه حالة تشاركه فيها بهيمة ونعوذ بالله من ذلك بل يقصد
بزيارته وجه الله تعالى وإصلاح فساد قلبه أو نفع الميت بما يتلوه عنده من القرآن
على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى ويحتمل المشي على المقابر والجلوس عليها إذا
دخل المقابر ويخلع نعليه كما جاء في أحاديث ويسلم إذا دخل المقابر ويخاطبهم
خطاب الحاضرين فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، كذلك كان عليه الصلاة
والسلام يقول، وكفى بالدار عن عمارها وسكانها ولذلك خاطبهم بالكاف والميم
لأن العرب تعبر بالمنزل عن أهله وإذا وصل إلى قبر ميتة الذي يعرفه سلم عليه
أيضاً فيقول: عليك السلام.

آداب زيارة القبور

(روى) الترمذي في جامعه أن رجلاً دخل على النبي صلى الله عليه وسلم،
فقال: عليك السلام، فقال صلى الله عليه وسلم: لا تقل عليك السلام. فإن عليك
السلام تحية الميت، وليأته من تلقاء وجهه في زيارته كمنخاطبته حياً ولو خاطبه حياً
لكان الأدب استقباله بوجهه فكذلك هنا ثم يعتبر بمن صار تحت التراب
وانقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قاد الجيوش والعساكر ونافس الأصحاب
والعشائر وجمع الأموال والذخائر فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه وهول لم يرتقبه

فلینامل الزائر حال من مضى من إخوانه ودرج من أقرانه الذين بلغوا الأجل
وجمعوا الأموال كيف انقطعت آمالهم ولم تنن عنهم أموالهم وما التراب عاصم
وجوههم وانفرت في القبور أجزاءهم وتزمل بعدهم نساؤهم وشمل ذل البتم
أو لادهم واقتم غيرهم طريقهم وبلادهم ولتذكر ترددهم في المآرب وحرصهم
على نيل المطالب وانخداعهم لمواناة الأسباب وركونهم إلى الصحة والنباب
وليعلم أن ميله إلى الملو واللعب كميلهم، وغفلة عما بين يديه من الموت الفظيخ
والهلاك السريع كغفلتهم، وأنه لا بد صائر إلى مصيرهم، وليحضر بقلبه ذكر من
كان متردد في أغراضه وكيف تهدمت رجلاه وكان ينلذذ بالنظر إلى ما حوله،
وقد سالت عيناه ويصول ببلاغة نطقه، وقد أكل الدود لسانه ويضحك لمواناة
دهره وقد أبى التراب أسنانه وليتحقق أن حاله كحال وماله كماله وعند هذا
التذكر والاعتبار يزول عنه جميع الاغيار الدنيوية ويتبل على الأعمال الاخروية
فيزهد في دنياه ويقبل على طاعة مولاه ويابن قابه وتخشع جوارحه والله اعلم.

(فصل) جاء هذا في الباب حديث يعارض حديث هذا الباب وهو ما خرج
أبو بكر الخطيب في كتاب السابق واللاحق وأبو حفص عمر بن شاهين في الباسخ
والمسوخ له في الحديث بإسناديهما عن عائشة رضی الله عنها قالت حج بنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فربى على عقبة الحجون وهو باك حزين مقم
فبكيت لبكائه صلى الله عليه وسلم ثم إنه طفرأى وثب فنزل فقال يا حيراء استمسكى
فاستندت إلى جنب البعير فمكث عنى طويلاً ملياً ثم إنه عاد إلى وهو فرح متبسم
فقات له بأبي أنت وأمي يا رسول الله نزلت من عندى وأنت باك حزين مقم
فبكيت لبكائك يا رسول الله ثم إنك عدت إلى وأنت فرح متبسم فبما ذا
يا رسول الله؟ فقال مررت بقبر أمي آمنسة فسألت الله ربي أن يحييها فأحيها
فأمنت بي أو قال فأمنت وردها الله عز وجل لفظ الخطيب. وقد ذكر السهيلي في
الروض الأتف بإسناد فيه مجهولون ان الله تعالى أحيأ له أباه وأمه وآمنا به.

حضرت اقدس کے
والدین زندہ کیے
کئے اور ایمان لائے

قال الشيخ المؤلف رحمه الله: ولا تعارض والحمد لله لأن إحياءها متأخر عن
النهي بالاستغفار لهما بدليل حديث عائشة رضی الله عنها أن ذلك كان في حجة الوداع

وكذلك جعله ابن شاهين ناسخاً لما ذكر من الأخبار ، وبينه حديث مسلم عن أنس أن رجلاً قال يا رسول الله : أين أبي ؟ قال : في النار ، فلما دعا دعاه قال : إن أبي وأباك في النار ، وحديث سلة بن يزيد الجعفي وفيه : فلما رأى ما دخل علينا قال : وأمي مع أمك ، هذا إن صح إحيائهما وقد سمعت أن الله تعالى أحيا له عمه أبا طالب وآمن به والله أعلم .

وقد قيل إن الحديث في إيمان أمه وأبيه موضوع يرده القرآن العظيم والاجماع قال الله العظيم (ولا الذين يموتون وهم كفار) (۱) . وقال عز من قائل : (فيمت وهو كافر) فمن مات كافراً لم ينفعه الإيمان بعد الرجعة ، بل لو آمن عند المماتة لم ينفع فكيف بعد الإعادة وفي التفسير أنه عليه السلام قال : ليت شعري ما فعل أبواي فنزل (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ذكره الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية وفيه نظر وذلك أن فمائل النبي صلى الله عليه وسلم وخمساته لم تزل تتوالى وتتابع إلى حين مماته ، فيكون هذا بما فضله الله تعالى وأكرمه به وليس إحيائهما وإيمانها بمتنع عقلاً ولا شرعاً .

فقد ورد في الكتاب إحياء قتيل بني إسرائيل وإخباره بقاتله ، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى ، وكذلك نبينا عليه الصلاة والسلام أحيا الله على يديه جماعة من الموتى ، وإذا ثبت هذا فما يمنع إيمانها بعد إحيائهما زيادة في كرامته وفضيلته مع ما ورد من الخبر في ذلك ويكون ذلك خصوصاً فيمن مات كافراً ، وقوله فمن مات كافراً إلى آخر كلامه مردود بما روى في الخبر أن الله تعالى رد الشمس على نبيه عليه السلام بعد مغيبها ، ذكره أبو جعفر الطحاوي وقال : إنه حديث ثابت فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وأنه لا يتجدد الوقت لما ردها عليه ، فكذلك يكون إحياء أبوي النبي صلى الله عليه وسلم نافعا لإيمانها وتصديقهما بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد قبل الله إيمان قوم يونس وتوبتهم مع تلبسهم بالعذاب فيما ذكر

(۱) لكن الأبوين لم يكونا كافرين ، لأنهما من أهل الفترة .

في بعض الأقوال وهو ظاهر القرآن . وأما الجواب عن الآية فبكون ذلك قبل إيمانها وكونهما في العذاب والله بغيه أعلم وأحكم .

باب المؤمن يموت بعرق الجبين

ابن ماجه عن بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : المؤمن يموت بعرق الجبين خرجه الترمذى وقال فيه : حديث حسن .

وروى عن سلمان الفارسي رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ارقبوا لليت عند موته ثلاثا إن رشح جبينه وذرفت عيناه وانتشر منخراه فهي رحمة من الله قد نزلت به وإن غط غطيظ البكر المنخوق ونخذ لونه وأزبد شدقاه فهو عذاب من الله تعالى قد حل به خرجه أبو عبد الله الترمذى الحكيم في نواذر الأصول له . وقال : قال عبد الله إن المؤمن يبقى عليه خطايا من خطاياهم فيحارف بها عند الموت أى يجازى فيعرق لذلك جبينه . وقال بعض العلماء إنما يعرق جبينه حياء من ربه لما اقترف من مخالفة لأن ما سفل منه قد مات وإنما بقيت قوى الحياة وحركاتها فيما علا والحياء في العيين فذلك وقت الحياء ، والكافر في عمى عن هذا كله والموحد المعذب في شغل عن هذا بالعذاب الذى قد حل به وإنما العرق الذى يظهر لمن حات به الرحمة فإنه ليس من ولى ولا صديق ولا بر إلا وهو مستحى من ربه مع البشرى والنحف والكرامات .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وقد تظهر العلامات الثلاث وقد تظهر واحدة وتظهر اثنتان ، وقد شاهدنا عرق الجبين وحده وذلك بحسب تفاوت الناس في الأعمال ، والله أعلم .

وفي حديث ابن مسعود : موت المؤمن بعرق الجبين تبقى عليه البقية من الذنوب فيحارف بها عند الموت أى يشدد لتمحص عنه ذنوبه .

باب منه في خروج نفس المؤمن والكافر

خرج أبو نعيم من حديث الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن نفس المؤمن تخرج رشحاء وإن نفس الكافر آسلك كما آسلك نفس الحمار وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد عليه عند الموت ليكفر بها عنه وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزي بها .

باب ما جاء أن للموت سكرات

وفي تسليم الأعضاء بعضها على بعض وفيما يصير الإنسان إليه

وصف الله عز وجل الموت في أربع آيات

(الأولى) قوله الحق (وجاءت سكرة الموت بالحق) (الثانية) قوله (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت) (الثالثة) قوله تعالى (فلولا إذا بلغت الحلقوم) (الرابعة) (كلا إذا بلغت التراقي) البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بين يديه ركوة أو عابة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول : لا إله إلا الله إن للموت سكرات . ثم نصب يديه فجعل يقول : في الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده .

وخرج الترمذي عنها قالت : ما أغبط أحدا بهون موت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي البخاري عنها قالت : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه لبين حافتي وذافتي فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد النبي صلى الله عليه وسلم الحاقنة المظمن بين الترقوة والحلق ، والذافنة نقرة الذقن ، وقال الخطابي : الذافنة ماتناله الذقن من الصدر .

(۲ م - تذكرة)

وذكر أبو بكر ابن أبي شيبة في مسنده عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (تحدثوا عن بني إسرائيل فإنه كانت فيهم أعاجيب) ثم أنشأ يحدثنا قال : خرجت طائفة منهم فأتوا على مقبرة من مقابرهم فقتلوا لولا صلينا ركعتين ودعونا الله يخرج لنا بعض الأموات يخبرنا عن الموت قال : ففعلوا . فبينما هم كذلك إذ طاع رجل رأسه أبيض أسود اللون بخلاسي ، بين عينيه أثر السجود فقال يا هؤلاء ما أردتم إلى ؟ لئلا تم مني منذ مائة سنة فما سكنت عنى حرارة الموت حتى الآن . فادعوا الله أن يعيدني كما كنت .

تحدثنا عن بني إسرائيل

وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال حدثنا أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسم بعضها على بعض تقول : عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة .

وذكر المحاسبي في الرعاية : أن الله تعالى قال لإبراهيم عليه السلام يا خليلي كيف وجدت الموت قال كسفود محمي جعل في صوف رطب ثم جذب قال أما إننا قد هونا عليك يا إبراهيم .

وروى أن موسى عليه السلام لما صار روحه إلى الله قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال وجدت نفسي كالأصفر الحمي حين يقل على المقلى لا يموت فيستريح ولا ينجو فيطير . وروى عنه أنه قال : وجدت نفسي ككناة تسليخ بيد القصاب وهي حية . وقال عيسى بن مريم عليه السلام : يا معشر الخواريين ادعوا الله أن يهون عايكم هذه السكرة يعني سكرات الموت .

وروى أن الموت أشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمنشير وقرض بالمقاريض وذكر أبو نعيم الحافظ في كتاب الحلية من حديث مكحول عن زائلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف ، وسيتأتى بكأله إن شاء الله تعالى .

وفي الخبر من حديث حميد الطويل عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الملائكة تكتنف العبد وتحبسه ولولا ذلك لكان يعدو في الصحاري والبراري من شدة سكرات الموت . وجاءت الرواية بأن ملك الموت عليه السلام إذا تولى

سكرك الموت كل نوت

قبض نفسه بعد موت الخلائق يقول : وعزتك لو غلبت من سكرة الموت ما أعلم
 ما قبضت نفس مؤمن ذكره الناضى أبو بكر ابن البرقي، وعن شهر بن حوشب قال :
 سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الموت وشدة فقال : إن أهون الموت
 بمنزلة حسكة كانت في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف إلا ومعها صوف
 قال شهر : ولما حضر عمرو بن العاص الوفاة قال له ابنه يا أبتاه إنك لتقول
 يا ليتني كنت ألقى رجلاً عاقلاً ليبيأ عند نزول الموت حتى يصف لي ما يجد وأنت
 ذلك الرجل فصف لي فقال يا بني والله كأن جنبي في تحت وكأني أتنفس من سم
 ليرة وكان غصن شوك يجذب من قدمي إلى هامتي ثم أنشأ يقول :

ليتني كنت قبل ما قد بدالى فى تلال الجبال أرعى الوعولا

وعن أبي ميسرة بن رقعته قال : لو أن ألم شعرة من الميت وضع على أهل السماء
 والارض لماتوا جميعاً وأنشدوا :

أذكر الموت ولا أرهبه إن قاي لغايظ كالحجر
 أطلب الدنيا كأنى خالده وورائى الموت يقفوا بالآثر
 وكفى بالموت فاعلم واعظا لمن الموت عايه قد قدر
 والمنيا حوله ترصده ليس ينجى المرء منهن المنفر

وقال آخر :

بينما أنتى مرح الخطا فرح بما يسعى له إذ قيل قد مرض الفتى
 إذ قيل بات بايلة ما نامها إذ قيل أصبح مشخنا ما يرتجى
 إذ قيل أصبح شاخصاً وموجها ومغلا إذ قيل أصبح قد قضى

(فصل) أيها الناس قد آن للنائم أن يستيقظ من نومه وحين للنافل أن يتنبه
 حين غفلته قبل هجوم الموت بمرارة كأسه وقبل سكون حركاته ونحوه أنفاسه
 ورحلته إلى قبره ومقامه بين أرماسه .

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى أناس من أصحابه يوصيهم فكان
 فيما أوصاهم به أن كتب إليهم : أما بعد : فإني أوصيكم بتقوى الله العظيم والمراقبة
 والتخوفاً والتقوى والورع زاداً فإنكم في دار عما قريب تنقلب بأهلها والله في عزها

القيامة وأهوالها يسألكم عن الفئيل والنقير فإله عباد الله اذكروا الموت الذي لا بد منه واسموا قول الله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) وقوله عز وجل (كل من عليها فان) وقوله : (فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) فقد بلغني والله أعلم أنهم يضربون بسياط من نار . وقال جل ذكره : (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون) وقد بلغني والله أعلم أن ملك الموت ينظر في وجه كل آدمي ثمانية نظرة وستين نظرة . وبلغني أن ملك الموت ينظر في كل بيت تحت ظل السماء ستمائة مرة . وبلغني أن ملك الموت رأسه في السماء ورجلاه في الأرض وأن الدنيا كلها في يد ملك الموت كالقصة بين يدي أحدكم يأكل منها . وبلغني أن ملك الموت يكون قائما وسط الدنيا فينظر الدنيا كلها برها وبحرها وجبالها وهي بين يديه كالبيضة بين رجلي أحدكم وبلغني أن ملك الموت أعوانا الله أعلم بهم ليس منهم ملك إلا لو أذن له أن يلتهم السموات والأرض في لقمة واحدة لفعل . وبلغني أن ملك الموت تفرع منه الملائكة أشد من فرع أحدكم من السبع . وبلغني أن حملة العرش إذا قرب ملك الموت من أحدكم ذهب حتى يصير مثل ~~ال~~حصرة من الفزع منه . وبلغني أن ملك الموت ينتزع روح ابن آدم من تحت عضوه وظفروه وعروقه وشعره ولا تفصل الروح من مفصل إلى مفصل إلا كان أشد عليه من ألف ضربة بالسيف . وبلغني أنه لو وضع وجع شعرة من الميت على السموات والأرض لأذاها حتى إذا بلغت الحلقوم ولي القبض ملك الموت . وبلغني أن ملك الموت إذا قبض روح المؤمن جعلها في حريرة مضاء ومسك أذفر وإذا قبض روح الكافر جعلها في خرقة سوداء في نثار من نار أشد نتنا من الجيف .

وفي الخبر أنه إذا دنت ضية المؤمن نزل عليه أربعة من الملائكة ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه اليسرى^(١) والنفس تنسل انسلال القطرة من السماء وهم يجذبونها من أطراف البنان ورووس الأصابع والكافر تنسل روحه كالنفود من الصوف المبتل ذكره الشيخ أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة مثل نفسك يا منور وقد حلت بك السكرات ونزل بك الالين والنمرات فن قائل يقول إنه

(١) وملك يجذبها من يده اليسرى وملك يجذبها من يده اليسرى .

فلانا قد أوصى وماله قد أحصى ومن قائل يقول إن فلانا ثقل لسانه فلا يعرف
جيرانه ولا يكلم إخوانه فكأنى أنظر إليك تسمع الخطاب ولا تقدر على رد الجواب
ثم تبكى ابنتك وهي كالأسيرة وتتضرع وتقول: حبيبي أبي من ليتمى من بعدك
من حاجتى وأنت والله تسمع الكلام ولا تقدر على رد الجواب وانشدوا:

وأبكت الصغرى تمرغ خدها على وجنتى حيناً وحيناً على صدرى
وتخمش خديها وتبكي بحرقه تنادى أبى إني غابت على العسر
حبيبي أبى من الليتامى تركتهم كأفراخ زغب فى بعيد من الوكر
فخيل لنفسك يا ابن آدم إذا أخذت من فراشك إلى لوح منضلك ففلسك
الغاسل وألبست الأكفان وأوحش منك الأهل والجيران وبكت عليك الأصحاب
والإخوان وقال الغاسل أين زوجة فلان تحالته وأين الليتامى ترككم أبوكم فأتروه
بعد هذا اليوم أبداً وانشدوا:

ألا أيها المنرور مالك تلعب تؤمل آمالاً وموتك أقرب
وتعلم أن الحرص بحر مبعده سفينه الدنيا فاياك تعطب
وتعلم أن الموت ينقض مسرعاً عليك يقينا طعمه ليس يعذب
كأنك توصى واليتامى ترام وأهمهم الكلى تنوح وتندب
تنص بحزن ثم تلطم وجهها يراها رجال بعد ما هى تحجب
وأقبل بالأكفان نحوك قاصد ويحشى عليك الزب والعين تسكب

(فصل) قول عائشة رضى الله عنها كانت بين يديه ركوة أو علة العلة قدح
من خشب ضخم يحلب فيه قاله ابن فارس فى المجلد وقال الجوهري فى الصحاح
العلقة محلب من جلد والجمع علب وعلاب والمعلب الذى يتخذها
قال الكمي يصف خيلاً:

سقينا دماء القوم طورا وتارة صبوحا لإقتار الجلود المعلب
وقيل: أسنله جلد وأعلاه خشب مدور مثل إطار الفربال، وهو الدائر به، وقيل
هو عس يحلب فيه وللعس القدح الضخم وقال اللغوي أبو هلال الحسن بن عبد الله
ابن سهل العسكري فى كتاب النخعيص له: والعلقة قدح للأعراب مثل العس يتخذ

من جنب جلد الجبر والجمع حلاب ، وقوله إن للموت سكرات أى شدائد وسكرة الموت شدته : قال علماءنا رحمة الله عليهم : فإذا كان هذا الأمر قد أصاب الأنبياء والمرسلين والأولياء والمؤمنين ، فما لنا عن ذكره مشغولين؟ وعن الاستعداد لهم متخفين؟ قل هو نبأ عظيم أتم عنه معرضون ، قالوا: وما جرى على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين من شدائد الموت وسكراته ، فله فائدتان إحداهما : أن يعرف الخلق مقدار ألم الموت وأنه باطن وقد يطاع الإنسان على بعض الموتى فلا يرى عليه حركة ولا قلقا ويرى سهولة خروج روحه فيغلب على ظنه سهولة أمر الموت ولا يعرف ما الميت فيه ؟ فلما ذكر الأنبياء الصادقون في خبرهم شدة ألمه مع كرامتهم على الله تعالى وتهوينه على بعضهم ، قطع الخلق بشدة الموت الذى يعانیه ويقاسيه المسيح مطلقا لإخبار الصادقين عنه ، ما خلا الشهيد قتيل الكفار على ما يأتي ذكره ، الثانية : ربما خطر لبعض الناس أن هؤلاء أحباب الله ، وأبناؤه ورسوله ، فكيف يقاسون هذه الشدائد العظيمة ؟ وهو سبحانه قادر على أن يخفف عنهم أجمعين ، كما قال في قصة إبراهيم : أما إننا قد هونا عليك . فالجواب : أن أشد الناس بلاء في الدنيا الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، كما قال نبينا عليه السلام . خرج البخارى وغيره فأحب الله أن يتلهم تكيلا لفضائلهم ، ورفعته لدرجاتهم عنده ، وليس ذلك في حقهم نقصا ، ولا عذابا . بل هو كما قال ، كمال رفعة ، مع رضاهم بحميل ما يجرى الله عليهم ، فأراد الحق سبحانه أن يختم لهم بهذه الشدائد ، مع إمكان التخفيف والتهوين عليهم ، ليرفع منازلهم ، ويعظم أجورهم قبل موتهم .

كما ابتلى إبراهيم بالنار وموسى بالخوف والأسفار وعيسى بالصحارى والتفارى ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالفقر في الدنيا ومقاتلة الكفار ، كل ذلك لرفعة في أحوالهم وكمال في درجاتهم ولا يفهم من هذا أن الله شدد عليهم أكثر مما شدد على العصاة المخلطين فإن ذلك عقوبة لهم ومواخذة على إجرامهم فلا نسبة بينه وبين هذا .

(فصل) ان قال قائل كل المخلوقات تجد هذه السكرات ؟ قيل له قال بعض العلماء قد وجب بحكم القيل والصدق والكلمة الحق أن الكاس من المذاق وإن قل ذوقه

اولكن ثم فريقان وتقديرات وأوزان ، وإن الله سبحانه وتعالى لما انفرد بالبقاء وحده لا شريك له وأجرى سنة الهلاك والفناء على الخلق دونه خالف في ذلك بين المخلوقات وفرق بين المحسوسات بحسب ما خالف بين المنازل والدرجات ، فتوع أرضي حيواني، إنساني وغير إنساني، وفوقه عالم روحاني، وملا علواني رضواني، كل يشرب من ذلك الكأس جرعة ويغتص منه غصته قال الله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) قال أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة وثبت ذلك في ثلاثة مواضع من كتابه وإنما أراد سبحانه بالموتات الثلاث للعالمين فالمتحيز إلى العالم الدنيوي يموت والمتحيز إلى العالم الملكوتي يموت والمتحيز إلى العالم الجبروتي يموت فالأول آدم وذريته وجميع الحيوان على ضروبه، والملكوتي وهو الثاني أصناف الملائكة والجن وأهل الجبروت هم المصطفون من الملائكة قال الله تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) فهم كروبيون وحمة العرش وأصحاب سرادقات الجلال كما وصفهم الله في كتابه وأثنى عليهم حيث يقول (ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون) وهم أهل حضرة القدس المعينون بقوله تعالى (لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) وهم يموتون على هذه المكانة من الله تعالى والقربة، وليس زلفام بمانع لهم من الموت ، قال غيره وكاتفرقت الطرق بهذه العوالم كذلك تفرقت طرق الإحساسات في اجتراح الغصص والمرارات فاحساس روحاني للروحانيات كما يجده النائم في سنته ، أو الغصة الواجعة تنصه في نومه فيغص منها في حال رقدته، ويتمثل بذلك إلى حين يقظته، حتى إذا استيقظ لم يجده شيئاً ووجد الأنا عند فآزال ألمه وواقاه أمانه ونعمه ، وإحساس علوي قدسي كما يجده الوثنان من الروحانية وهو ما لا يدركه العقل البشري إلا توها ولا يبلغه التحصيل إلا تخيلاً وتوسماً، وإحساس بشري ثقل إنسي وجني، وهو ما لا يكاد أن توصف شئائده، وغصصه فكيف وقد قالوا الغصة الواحدة منه كالف خربة بالسيف فاعسى أن ينعت ويوصف وهو الذي لا يمكن أن يعرف، والخلق أيضاً في هذا الاحساس فرق يختلفون باختلاف المنازل والطرق، فالفرقة الإسلامية ماتجد منه ما تجد غير الإسلامية، ثم الإسلامية في نفسها لا تجد منه ما تجد الإيمانية، ثم

ما تجده الإيمانية لا تجده النبوية الفرقانية ، ثم النبوية في ذاتها ومقامات إحساساتها
تختلف على حكم التكملة وصدق القليل باختلاف التقديم والفضيل ، قال الله تعالى
(تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) الآية
وقد نهت الخلة الذاتية عزت سبحانه وتقدست صفاتها على خفة ذلك عن إبراهيم
وأشارت إلى تهوين الأمر عليه وتبيين ما خفف عنه صلوات الله وسلامه عليه
فقال أما إنا قد هونا عليك يا إبراهيم ، وما وصفه الحق جل جلاله بالهون فلا أهون
منه كما ما كبره وعظمه فلا أكبر ولا أعظم منه ، ولا فرق بين ان قال موتا هينا
وملكا عظيما كبيرا ، وقال في نعم الجنة (وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا)
فكما أنه لا أكبر من ملك الجنة كذلك لا أهون من موت الخلة وإنه أعلم

(فصل) إذا ثبت ما ذكرناه فاعلم أن الموت هو الخطب الأقطع والأمر
الاشنع والكاس الذي طعمها أكره وأبشع وإنه للخادثات الأهدم للذات
والأقلمع للراحات والأجاب للكريات فان أمرا يقطع أوصالك ويفرق أعضاءك
ويهدم أركانك هو الأمر العظيم . والخطب الجسم وإن يومه هو اليوم العظيم .

(ويحكى) أن الرشيد لما اشتد مرضه أحضر طبيباً طوسياً فارسياً وأمر أن
يعرض عليه ماؤه أي بوله مع مياه كثيرة لمرضى وأصحابه فجعل يستعرض القوارير
حتى رأى قارورة الرشيد فقال : قولوا لصاحب هذا الماء يوصى فإنه قد إنجحت
قواه وتداعت بنيتة ، ولما استعرض باقي المياه أفيم فذهب ، فيس الرشيد من
نفسه (وانشد) .

إن الطبيب يطبه ودوائه لا يستطيع دفاع نحب قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان أبراً مثله فيما مضى
مات المداوى والمداوى والذي جلب الدواء أو باعه ومن اشترى

(وبلغه) أن الناس أرجفوا بموته فاستدعى حماراً وأمر أن يحمل عليه
فاسترخت نخذه فقال : أنزلوني صدق المرجفون ، ودعا بأكنان فتخبر منها ما أعجبه
وأمر فشق له قبر أمام فراشه ثم اطلع فيه فقال : ما أغنى عنى ماليه ملك عنى
سلطانيه ، فأت من ليك ، فاطنك رحك الله بذوان ينزل بك فيذهب روثك وبهاك

وينير منظرك ورؤياك ويمحو صورتك وجمالك ويمنع من اجتماعك واتصالك ويردك بعد النعمة والنضرة والسلوة والندرة والنخوة والعزة، إلى حالة يادر فيها أحب الناس إليك وأرحمهم بك وأعطفهم عليك فيقذفك في حفرة من الأرض قريبة أنحاؤها، مظلة أرجاؤها، محكم عايك حجرها وصيدانها، فتحكّم فيك هوامها وديدانها، ثم بعد ذلك تمكن منك الأعداء وتخلط بالرغام، وتصير تراباً توطأ بالافدام، وربما ضرب منك إناء نغار أو أحكم بك بناء جدار أو طلي بك حش ماء أو موقد نار .

(كما روى) عن علي بن أبي طالب رضی الله عنه أنه أتى بإناء ماء ليشرب منه فأخذه بيده ونظر إليه وقال : الله أعلم كم فيك من عين كحيل وخذ أسيل .

(ويحكى) أن رجلين تنازعا وتخاصما في أرض فأنفق الله عز وجل لبنه من حائط من تلك الأرض فقالت : يا هذان فيما تنازعان وفيما تتخاصمان؟ إني كنت ملكاً من الملوك ملكت كذا وكذا سنة ثم مت وصرت تراباً فبقيت كذلك ألف سنة ثم أخذني خراف يعني نغاراً فعدل مني إماء فاستعملت حتى تكسرت ثم عدت تراباً فبقيت ألف سنة ثم أخذني رجل فضرب مني لبنه فجعلني في هذا الحائط فقيم تنازعا كما وفيه تخاصمكما ؟

(قال الشيخ) المؤلف رحمه الله قد ذكر أبو محمد عبد الحق في هذا المعنى حكايات كثيرة في كتاب العاقبة له والوجود شاهد بتجديد ما دثر وتغيير ما غير، وعن ذلك يكون الحفر والإخراج واتخاذ الأواني والأبراج، ولقد كنت في زمن الشباب أنا وغيري ننقل التراب من مقبرة عندنا تسمى بمقبرة اليهود خارج قرطبة وقد اختلطت بعظام من هناك وعظامهم إلى الذين يصنعون القرمذ للسقوف .

(قال) علناؤنا رضوان الله عليهم وهذا النير إنما يحل بجسدك وينزل بيدتك لا بروحك لأن الروح لها حكم آخر، وما مضى منك فنير مضاع، وتفرقة لا تمتنع من الاجتماع، قال الله تعالى : (قد علنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ) وقال : (فما بال الترون الأولى قال : علها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) .

باب الموت كفارة لكل مسلم

أبو نعيم عن عاصم الأحول عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الموت كفارة لكل مسلم ذكره القاضي أبو بكر ابن العربي في سراج المريدين ، وقال : فيه صحيح حسن .

(فصل) إنما كان الموت كفارة ، لما يلقاه الميت في مرضه من الآلام والأوجاع وقد قال صلى الله عليه وسلم : ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فإسواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها خروجه مسلم .

(وفي الموطأ) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من برد الله به خيراً يصب منه ، وفي الخبر المأثور يقول الله تعالى : « إني لا أخرج أحداً من الدنيا وأنا أريد أن أرحمه حتى أوفيه بكل خطيئة كان عملها مفاعاً في جسده ومصيبة في أهله وولده وضيقات في معاشه واقتاراً في رزقه حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فإن بقي عليه شيء شددت عليه الموت حتى يفضى إلى كيوم ولدته أمه ، (قال) الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا بخلاف من لا يحبه ولا يرضاه كما في الخبر يقول الله تعالى : وعزتي لا أخرج من الدنيا عبداً أريد أن أخذه حتى أوفيه بكل حسنة عملها بصحة في جسده وسعة في رزقه ورغد في عيشه وأمن في سره حتى أبلغ منه مثاقيل الذر فإن بقي له شيء هونت عليه الموت حتى يفضى إلى وليس له حسنة يتقى بها النار .

(قال) الشيخ المؤلف رحمه الله وفي مثل هذا المعنى ما خرجه أبو داود بسند صحيح فيما ذكر أبو الحسن بن القصار عن عبيد بن خالد السلي وكانت له صحبة عن النبي صلى الله عليه وسلم : موت النجاة أخذة أسف للكافر ، ورواه أيضاً مرسل .

(وروى) الترمذي عن عائشة : إنها راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر .

(وروى) عن ابن عباس أن داود عليه السلام مات فجأة يوم السبت . وعن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : إذا بقي على المؤمن من ذنوبه شيء لم يبلغه بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده .

درجته من الجنة وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفًا في الدنيا هون عليه الموت .
ليشكل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلى النار .

(وخرج) أبو نعيم الحافظ من حديث الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نفس المؤمن تخرج رشحا وإن نفس الكافر تسلك كما تسلك نفس الحمار وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد بها عليه عند الموت ليكفر بها عنه وإن الكافر ليعمل الحسنه فيسهل عليه عند الموت ليجزي بها . ذكره أبو محمد عبد الحق ، وذكر ابن المبارك أن أبا الدرداء قال : أحب الموت اشتياقا إلى ربي ، وأحب المرض تكفيرا لخطيئتي ، وأحب النقر نواضا لربي عز وجل

باب لا يموت أحد إلا وهو يحسن بالله الظن

وفي الخوف من الله تعالى . مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاثة أيام : لا يموت أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن . أخرجه البخاري .

(وذكره) ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله وزاد : فإن قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم تبارك وتعالى : (وذلكم ظنكم الذي ظنتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) .

(ابن ماجه) عن أنس قال أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال : كيف تبارك ؟ فقال : أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد^(۱) في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف ذكره ابن أبي الدنيا أيضا وخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب .

(وقد روى) بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا .

(وذكر) الترمذي الحكيم في الأصل السادس والثمانين من نوادر الأصول (۱) عبد مؤمن في

درجته من الجنة وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفًا في الدنيا هون عليه الموت .
ليشكل ثواب معروفه في الدنيا ثم يصير إلى النار .

(وخرج) أبو نعيم الحافظ من حديث الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نفس المؤمن تخرج رشحا وإن نفس الكافر تسل كما تسل نفس الحمار وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد بها عليه عند الموت ليكفر بها عنه وإن الكافر ليعمل الحسنه فيسهل عليه عند الموت ليجزي بها . ذكره أبو محمد عبد الحق ، وذكر ابن المبارك أن أبا الدرداء قال : أحب الموت اشتيافا إلى ربي ، وأحب المرض تكفيرا لخطيئتي ، وأحب النقر نواضا لربي عز وجل

باب لا يموت أحد إلا وهو يحسن بالله الظن

وفي الخوف من الله تعالى . مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل وفاته بثلاثة أيام : لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن بالله الظن . أخرجه البخاري .

(وذكره) ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله وزاد : فإن قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم تبارك وتعالى : (وذلكم ظنكم الذي ظنتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين) .

(ابن ماجه) عن أنس قال أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال : كيف تبارك ؟ فقال : أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد^(۱) في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف ذكره ابن أبي الدنيا أيضا وخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب .

(وقد روى) بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلًا .

(وذكر) الترمذي الحكيم في الأصل السادس والثمانين من نوادر الأصول (۱) عبد مؤمن في

حدثنا يحيى بن حبيب بن عدى قال حدثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن
أنه قال بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال ربكم عز وجل :
لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجمع له أمين فمن خافني في الدنيا أمته في الآخرة
ومن آمنني في الدنيا أخفته في الآخرة .

حدثنا أبو بكر ابن سابق الأموي قال حدثنا أبو مالك الجنبي عن جوير
عن الضحاك عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر من
مناجاة موسى عليه السلام أنه قال : يا موسى إنه لن يلقاني عبد في حاضر القيامة
إلا قشسته عما في يديه إلا ما كان من الورعين فإني أستحييهم وأجلهم وأكرمهم
وأدخلهم الجنة بغير حساب . فمن استحي من الله تعالى في الدنيا بما صنع استحي
الله تعالى من تفتيشه وسؤاله ولم يجمع عليه حياءين ، كما لا يجمع عليه خوفين .

(فصل) حسن الظن بالله تعالى ينبغي أن يكون أغلب على العبد عند الموت
منه في حال الصحة ، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له وينبغي
لجلسائه أن يذكروه بذلك حتى يدخل في قوله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي فليظن
بي ما شاء .

(وروى حماد بن سلمة) عن ثابت عن أنس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظن بالله فإن حسن الظن بالله
يمن الجنة .

(وروى) عن ابن عمر أنه قال : عمود الدين وغاية مجده وذروة سنامه
حسن الظن بالله فمن مات منكم وهو يحسن الظن بالله دخل الجنة مدلا أي
منبسطا لا خوف عليه .

(وقال) عبد الله بن مسعود والله الذي لا إله غيره لا يحسن أحد الظن بالله
إلا أعطاه الله ظنه وذلك أن الخير بيده .

وذكر ابن المبارك قال أخبر سفيان : أن ابن عباس قال : إذا رأيتم بالرجل
باللوت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن به ، وإذا كان خيا فخوفوه . وقال الفضيل

الخوف أفضل من الرجاء ما كان العبد صحيحاً فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف .

وذكر ابن أبي الدنيا حدثنا يحيى أبو عبد الله البصرى . حدثنا سوار بن عبد الله قال حدثنا المعتمر . قال : قال أبي حين حضرته الوفاة : يا معتمر حدثني بالرخص لعل ألقى الله وأنا حسن الظن به .

قال : وحدثنا عمر بن محمد الناقد . قال : حدثنا خلف بن خايقة عن حصين عن إبراهيم قال : كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند الموت حتى يحسن ظنه بربه عز وجل .

وقال ثابت البناني : كان شاب به رهق فلما نزل به الموت انكبت عليه أمه وهي تقول : يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا ، قال يا أماء إن لى رباً كثيراً المعروف ، وإنى لأرجو اليوم أن لا يعدمنى بعض معروفه . فقال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بالله فى حالته تلك .

وقال عمر بن ذر يوماً فى كلامه : وعنده ابن أبى رواد وأبو حنيفة ، أتعبنا وفى أجوافنا التوحيد ، لأراك تفعل . اللهم اغفر لمن لم يزل على مثل حال السحرة فى الساعات التى غفرت لهم ، فإنهم قالوا (آمنا برب العالمين) فقال أبو حنيفة رحمك الله القصص بعدك حرام . وكان يحيى بن زكريا إذا لقي عيسى بن مريم عليهم السلام عبس ، وإذا لقيه عيسى تبسم ، فقال له عيسى : تلقانى عابساً كأنك آيس . قال له يحيى : تلقانى ضاحكاً كأنك آمن . فأوحى الله إليهما ، إن أحببنا إلى أحسنكما ظننا بى . ذكره الطاهرى .

وقال زيد بن أسلم : يوثى بالرجل يوم القيامة ، فيقال انطلقوا به إلى النار . فيقول يارب : فأين صلاتى وصيامى ؟ فيقول الله تعالى : اليوم أقنطك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى من رحمتى .

وفى التنزيل : (قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) وسيأتى لهذا الباب مزيد بيان فى باب سعة رحمة الله وغضوه يوم القيامة إن شاء الله تعالى .

باب يلقن الميت لا إله إلا الله

سئل عن أبي سعيد الخدري . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) . وذكر ابن أبي الدنيا عن زيد بن أسلم : قال : قال عثمان ابن عفان : إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه مامن عبد يختم له بها عند موته إلا كانت له زاداً إلى الجنة . وقال عمر بن الخطاب : احضروا موتاكم ولقنوم تذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون .

وذكر أبو نعيم من حديث إسماعيل بن عياش عن أبي معاذ عتبة بن حميد عن مكحول عن وائلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم (احضروا موتاكم ولقنوم لا إله إلا الله وبشروهم بالجنة فإن الحكيم من الرجال يتحير عند ذلك المصراع وإن الشيطان أقرب ما يكون من ابن آدم عند ذلك المصراع والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف ، والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألم كل عرق منه) غريب من حديث مكحول لم نكتبه إلا من حديث إسماعيل .

(فصل) قال علماءنا تلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون . وذلك ليكون آخر كلامه لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة ، وليدخل في عموم قوله عليه السلام (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن جبل وصححه أبو محمد عبد الحق ، ولينبه المحتضر على ما يدفع به الشيطان ، فإنه يتعرض للمحتضر ليفسد عليه عقيدته . على ما يأتي فإذا تلقنها المحتضر وقالها مرة واحدة فلا تعاد عليه ، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين والإلحاح عليه إذا هو تلقنها أو فهم ذلك عنه . قال ابن المبارك : لقنوا الميت لا إله إلا الله فإذا قالها فدعوه ، قال أبو محمد عبد الحق وإنما ذلك لأنه يخاف عليه إذا لح عليه بها أن يتبرم ويضجر ويذقها الشيطان عليه فيكون سبياً لسوء الخاتمة . وكذلك أمر ابن المبارك أن يفعل به . قال الحسن بن عيسى : قال لي ابن المبارك : لقيت يعني الشهادة ولا تعد على إلا أن أتكلم بكلام ثان ، والمقصود أن يموت الرجل وليس

فی قلبه إلا الله عز وجل لأن المدار علی القلب وعمل القلب هو الذى ينظر فیہ .
وتكون النجاة به . وأما حركة اللسان دون أن تكون ترجمة عما فی القلب فلا فائدة
فیها ، ولا خیر عندها .

قال المزیل : وقد يكون التلقین بذکر الحدیث عند الرجل الغنالم كما ذكر
أبو نعیم أن أبا زرعة لما كان فی السیاق وعنده أبو حاتم ومحمد بن مسلم والمنذر
ابن شاذان وجماعة من العلماء ، فذكروا حدیث التلقین فاستحيوا من أبی زرعة
فقالوا تعالوا نتذاکر الحدیث . فقال محمد بن مسلم : حدثنا الضحاك بن مخلد
أبو عاصم ، حدثنا عبد الحمید بن جعفر عن صالح بن أبی عریب ولم
یجاوزه . وقال أبو حاتم : حدثنا بندار ، حدثنا أبو عاصم عن عبد الحمید
ابن جعفر عن صالح بن أبی عریب ولم یجاوزه والباقر بن سکوت . فقال أبو زرعة
وهو فی السیاق . حدثنا أبو عاصم عن عبد الحمید بن جعفر عن صالح بن أبی عریب
عن کثیر بن مرة الحضرمی عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلی الله علیه
وسلم (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) وفى رواية حرمة الله علی النار .
وتوفى رحمه الله .

ویروی عن عبد الله بن شیرمة أنه قال : دخلت مع الشعبي ^(۱) علی مریض نعوذ
فوجدنا ألباً به ، ورجل یلقبه بالعمهارة ویقول له قل : لا إله إلا الله وهو یكثر علیه
فقال له الشعبي ارفق به ، فتكلم المریض وقال : إن تلتنى أو لا یلقنى فإنی لا أدعها
ثم قرأ (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) فقال الشعبي : الحمد لله
الذى نجى صاحبنا هذا . وقیل للجنید عند موته : قل لا إله إلا الله فقال
مانسبته فأذکره

وعن أبی هريرة قال : سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول : حضر ملك
الموت رجلاً ، قال : فنظر فی قلبه فلم یجد فیہ شیئاً ففك لحيیه فوجد طرف لسانه
لاصقاً بمنك . یقول لا إله إلا الله فنفر له بكلمة الإخلاص .

ذکره ابن أبی الدنيا فی كتاب المحتضرين بإسناده . وخرجه الطبرانی بمعناه .
وسیأتی فی آخر أبواب الجنة إن شاء الله تعالى .

(۱) مع عامر الشعبي

باب من حضر الميت فلا يلفو وليتكم بخير

وكيف الدعاء للميت وفي تعميضه

مسلم عن أم سلمة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون . قالت : فلما مات أبو سلمة أنيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إن أبا سلمة قد مات فقال : قولي (اللهم اغفر لي وله وأعقبني منه عقبى حسنة) قالت فقلت فأعقبني الله من هو خير لي منه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعنها قالت : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه ثم قال : (إن الروح إذا قبض تبعه البصر فضج ناس من أهله ، فقال لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون . ثم قال : اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه)

(فعمل) قال علماءنا قوله عليه السلام إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً . أمر ندب وتعليم بما يقال عند المريض أو الميت وإخبار بنأمين الملائكة على دعاء من هناك ، ولهذا استحب العلماء أن يحضر الميت الصالحون وأهل الخير حالة موته ليذكروه ويدعوا له ولين يخلفه وينتفع بذلك الميت ومن يصاب به ومن يخلفه .

باب منه وما يقال عند التعميض

ابن ماجه عن شداد بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا البصر فإن البصر يتبع الروح وقولوا خيراً فإن الملائكة تؤمن على ما قال أهل الميت . وذكر الخرائطي أبو بكر محمد بن جعفر قال : حدثنا أبو موسى عمران بن موسى قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة : قال حدثنا إسماعيل بن علي عن هشام بن حسان عن حفصة بنت سيرين عن أم الحسن قالت : كنت عند أم سلمة فجاءها إنسان فقال

فلان بالموت فقالت لها انطلقی فاذا احتضر فقولى السلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وخرج من حديث سفیان الثوری عن سليمان التیمی عن بكر بن عبد الله المزنی قال : إذا غمضت الميت فقل بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبح . ثم تلا سفیان (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) قال أبو داود : تغميض الميت إنما هو بعد خروج الروح . سمعت محمد بن احمد المقرئ قال سمعت أبا ميسرة رجلاً عابداً يقول : غمضت جعفر المعلم وكان رجلاً عاقلاً في حالة الموت فرأيت في المنام يقول مات يقول : أعظم ما كان على تغميضك قبل أن أموت .

باب ما جاء أن الميت يحضر الشيطان عند موته

وجاساؤه في الدنيا وما يخاف من سوء الخاتمة

روى أن العبد إذا كان عنده الموت قعد عنده شيطانان الواحد عن يمينه والآخر عن شماله ، فالذي عن يمينه على صفة أبيه ، يقول له : يا بني إني كنت عليك شقيقاً ولك محباً ، ولكن مت على دين النصرانية فهو خير الأديان ، والذي عن شماله على صفة أمه ، تقول له : يا بني إنه كان بطني لك وعاء ، وهدني لك سقاء ، ونغذي لك وطاء ، ولكن مت على دين اليهود وهو خير الأديان ، ذكره أبو الحسن القاسبي في شرح رسالة ابن أبي زيد له ، وذكر معناه أبو حامد في كتاب كشف عاوم الآخرة وإن عند استقرار النفس في التراقي والارتفاع تعرض عليه الفتن وذلك أن إبليس قد أنفذ أعوانه إلى هذا الإنسان واستعملهم عليه ووكلمهم به فيأتون المرء وهو في تلك فيتمثلون له في له على صورة من سلف من الأحباب الميتين الباغين له النصيح في دار الدنيا ، كالأب والأم والأخ والأخت والصدیق الحميم فيقولون له أنت تموت يا فلان ونحن قد سبقناك في هذا الشأن فمت يهودياً فهو الدين المقبول عند الله تعالى ، فإن انصرم عنهم وأبي، جاءه آخرون وقالوا له مت نصرانيا فإنه دين المسيح وقد نسخ الله به دين موسى ويذكرون له عقائد كل ملة فعند ذلك يزيغ الله من يريد زيغته وهو معنى قوله تعالى (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة) أي لا تزغ قلوبنا عند الموت وقد هديتنا من قبل هذا زماناً، فإذا

(م ۳ - تذكرة)

(۱) الإنسان خاصة

أراد الله بعبد هداية وتثيتا جاءته الرحمة ، وقيل : هو جبريل عليه السلام فيطرد عنه الشياطين ويمسح الشحوب عن وجهه فيتبسم الميت لا محالة ، وكثير من يرى متبسما في هذا المقام فرحا بالبشير الذي جاءه رحمة من الله تعالى فيقول : يا فلان أما تعرفني ؟ أنا جبريل وهؤلاء أعداؤك من الشياطين مت على الملة الحنيفة والشريعة الجليلة فما شيء أحب إلى الإنسان وأفرح منه بذلك الملك وهو قوله تعالى (وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) ثم يقبض عند الطعنة على ما يأتي .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل حضرت وفاة أبي أحمد ويدي الخرقة لأشد لحية فكان يفرق ثم يفيق ويقول بيده لا . بعد لا . بعد فعل هذا مرارا فقلت له يابأت أي شيء ما يبدو منك ؟ فقال إن الشيطان قائم بحداثي عاض على أنامله يقول يا أحمد فتني وأنا أقول لا . بعد لا . بعد حتى أموت .

قال المؤلف رحمه الله ورضي عنه وقد سمعت شيخنا الإمام أبا العباس أحمد بن عمر القرطبي يقول : حضرت أبا شيخنا أبي جعفر أحمد بن محمد القرطبي بقرطبة وقد احتضر فقيل له قل لا إله إلا الله ، فكان يقول : لا لا فلما أفاق ذكرنا له ذلك فقال : أتاني شيطانان عن يميني وعن شمالي يقول أحدهما : مت يهوديا فإنه خير الأديان ، والآخر يقول : مت نصرانيا فإنه خير الأديان ، فكنت أقول لهما لا لا إلى تقولان هذا ؟ وقد كتبت بيدي في كتاب الترمذي والنسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الشيطان يأتي أحدكم عند موته فيقول : مت يهوديا مت نصرانيا ، فكان الجواب لهما لا لا كما .

قال المؤلف رحمه الله : ومثل هذا عن الصالحين كثير يكون الجواب للشيطان لا لمن يلقنه الشهادة ، وقد تصفحت كتاب الترمذي أبي عيسى وسمعت جميعه فلم أقف على هذا الحديث فيه ، فإن كان في بعض النسخ فانه أعلم .

وأما كتاب النسائي فسمعت بعضه وكان عندي كثير منه ، فلم أقف عليه وهو نسخ .

وروى ابن المبارك وسفيان عن ليث عن مجاهد قال : ما من ميت إلا تعرض عليه أهل مجالسته الذين كان يجالس ، إن كَانَ أَهْلٌ لَهُ فَأَهْلٌ لَهُ ، وَإِنْ كَانُوا أَهْلَ ذَكَرَ فَأَهْلٌ ذَكَرَ

وقال الربيع بن سبرة بن معبد الجهني وكان عابداً بالبصرة : أدركت الناس بالشام وقيل لرجل يافلان قل لا إله إلا الله قال اشرب واستقني ، وقيل لرجل بالأهواز : يافلان قل لا إله إلا الله فجعل يقول ده يازده دوازده تفسيره : عشرة احد عشر اثنا عشر كان هذا الرجل من أهل العمل والديوان فغلب عليه الحساب والميزان ذكر هذا التفسير أبو محمد عبد الحق . قال الربيع : وقيل لرجل ههنا بالبصرة يافلاق قل لا إله إلا الله فجعل يقول :

يا رب قائلة يوماً وقد لغبت أين الطريق إلى حمام منجاب

قال الفقيه أبو بكر أحمد بن سديد بن الحسن النجاد : هذا رجل قد استدلت امرأة إلى الحمام فدلها إلى منزله فقال له عند الموت .

وذكر أبو محمد عبد الحق هذه الحكاية في كتاب العاقبة له فقال وهذا الكلام له قصة وذلك أن رجلاً كان واقفاً بازاء داره وكان بابُه يشبه باب الحمام فمرت به جارية لها منظر وهي تقول أين الطريق إلى حمام منجاب فقال لها هذا حمام منجاب وأشار إلى داره فدخلت الدار ودخل وراءها فلما رأت نفسها معه في داره وعلمت أنه خدعها أظهرت له البشر والفرح باجتماعها معه على تلك الخلوة وفي تلك الدار وقالت له يصلح معنا ما نطيب به عيشنا وتقربه أعيننا فقال لها : الساعة آتيك بكل ما تريدن وبكل ما تشتهين فخرج وتركها في الدار ولم يبقها وتركها محلولة على حالها ومضى فأخذ ما يصلح لهما ورجع ودخل الدار فوجدها قد خرجت وذهبت ولم يجد لها أثراً فهام الرجل بها وأكثر الذكر لها والجزع عليها وجعل يمشي في الطرق والأزقة وهو يقول :

يا رب قائلة يوماً إذا بلغت أين الطريق إلى حمام منجاب

وإذا بجارية تجاوبه من طاق وهي تقول :

هلا جعلت لها لما ظفرت بها حرزا على الدار أو قفلا على الباب

فزاد هيأته واشتد هيجانه ولم يزل كذلك حتى كان من أمره ما ذكر فنعود بالله من المحن والفتن، قال المؤلف رحمه الله ومثل هذا في الناس كثير ممن غلب عليه الاشتغال بالدنيا والههم بها أوسبب من أسبابها حتى لقد حكى لنا أن بعض السامرة جاء عند الموت فقيل له قل لا إله إلا الله فجعل يقول ثلاثة ونصف أربعة ونصف غلبت عليه السمسة ولقد رأيت بعض الحساب وهو في غاية المرض يعقد بأصابعه ويحسب وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فجعل يقول الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا والجنان الفلاني اعملوا فيه كذا وقيل لآخر قل لا إله إلا الله فجعل يقول عقلك الحارة وقيل لآخر: قل لا إله إلا الله فجعل يقول البقرة الصفراء، غلب عليه حينها والاشتغال بها نسأل الله السلامة والممات على الشهادة بمنه وكرمه ولقد حكى ابن ظفر في كتاب النصائح له قال كان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى بزازا وكان لا يبيع في طرفي النهار ولا في يوم غيم فأخذ يوما ميزانه فرضه بين حجرين فقيل له: هلا أعطيت الصانع فأصلح فسادة فقال: لو عدت فيه فساداً لما أبقيت من مالي قوت ليلة قيل له فام كسرتة قال حضرت الساعة رجلاً احتضر فقلت له قل لا إله إلا الله فامتصص فألححت عليه فقال ادع الله لي فقال هذا لسان الميزان على لساني يمنعني من قولها قلت أفما يمنعك إلا من قولها فقال نعم قلت وما كان عملك به قال ما أخذت ولا أعطيت به إلا حقاً في علمي غير أني كنت أقيم المدقة لا أنقده ولا اختبره فكان يونس بعد ذلك يشترط على من يبايعه أن يأتي بميزان ويزن بيده وإلا لم يبايعه

باب ما جاء في سوء الخاتمة وما جاء أن الأعمال بالخواتيم

مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له بعمل أهل النار وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له ^(۱) بعمل أهل الجنة

وفي البخاري عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم

قال أبو محمد عبد الحق اعلم أن سوء الخاتمة أعادنا الله منها لا تكون لمن ^(۲) يختم له عمله بعمل

ستقام ظاهره وصلح باطنه ما سمع بهذا ولا علم به والحمد لله وإنما تكون لمن كان له فساد في العقل أو إصرار على الكبرائر أو إقدام على العظائم فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة فيصطلبه الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة والعياذ بالله ثم العياذ بالله أو يكون ممن كان مستقيماً ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سنته ويأخذ في غير طريقه فيكون ذلك سبباً لسوء خاتمته وشؤم عاقبته كما بليس الذي عبد الله فيما يروى ثمانين ألف سنة وبلغام بن باعوراء الذي أتاه الله آياته فانسلك منها بخلوده إلى الأرض ، واتباع هواه وبرصيصا العابد الذي قال الله في حقه كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر

(ويروى) انه كان بمصر رجل ملازم مسجداً للأذان والصلاة وعليه بهاء العبادة وانوار الطاعة فرقى يوماً المنارة على عادته للأذان وكان تحت المنارة دار لنصراني ذي فاطم فيهما فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها وترك الأذان ونزل إليها ودخل الدار فمالت له : ماشأنك ما تريد ؟ فقال : أنت أريد قالت لماذا قال لها قد سلبت لي وأخذت بمجامع قلبي قالت لا أجيبك إلى ريبة قال لها اتزوجك قالت له أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك قال لها أتصر قالت أن فعلت أفعل فتصر لي تزوجها وأقام معهم في الدار فلما كان في اثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار عسقط منه فمات فلا هو بدينه ولا هو بها فتعود بالله ثم نعود بالله من سوء العاقبة وسوء الخاتمة .

(ويروى) أن رجلاً علق بشخص وأحبه فتمنع عنه واشتد نفاذه فاشتد كلف اليأس إلى ان لزم الفراش فلم تزل الوسائط تمشي بينهما حتى وعد بان يعود ، فأخبره بذلك ففرح واشتد فرحه وسروره ، وانجلى عنه بعض ما كان يجده ، فلما كان في بعض الطريق رجع وقال والله لا ادخل مداخل الريب ولا أعرض بنفسى لمواقع التهم فآخبر بذلك اليأس المسكين فسقط في يده ، ورجع إلى أسوأ ما كان به وبدأت علامة الموت ومارته عليه .

(قال الراوى) فسمعتة يقول وهو في تلك الحال

سلام ياراحة العليل وبردذل الدنف النحيل

رضاك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق الجليل

قال فقلت له يا فلان اتق الله تعالى فقال قد كان ما كان فقامت عنه فاجاوزت باب داره حتى سمعت صيحة الموت قد قامت عليه فنعوذ بالله من سوء العاقبة وشؤم الخاتمه (قال المؤلف) رحمه الله روى البخارى عن سالم عن عبد الله قال كان كثيرا ما

كان النبي ﷺ يحاف: لا ومقلب القلوب ومعناه يصرفها امرع من مر الريح على اختلاف في القبول والرد والارادة والكراهية وغير ذلك من الاوصاف وفي التنزيل (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) قال مجاهد المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدري ما يصنع، بيانه (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) أى عقل واختار الطبرى ان يكون ذلك اخبارا من الله تعالى بانه املك لقلوب العباد منهم وانه يحول بينهم وبينها إذا شاء حتى لا يدرك الانسان شيئا إلا بمشيئة الله عز وجل

(وقالت) عائشة رضى الله عنها كان النبي ﷺ يكثر أن يقول يا مقاب القلوب

ثبت قاي على طاعتك فقات يا رسول الله انك تكثر ان تدعو بهذا الدعاء فهل تخشى قال وما يؤمنى يا عائشة وقلوب العباد بين اصبعين من اصابع الجبار إذا أراد ان يقاب قلب عبده قلبه.

(قال العلماء) وإذا كانت الهداية إلى الله مصروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة والعاقبة مغيبة والارادة غير مغالبة فلا تعجب بإيمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك فان ذلك وان كان من كسبك فانه من خلق ربك وفضله الدار عليك وخيره، فهما افتخرت بذلك كنت كالمفتخر بمتاع غيرك وربما سلب عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف البعير فكم من روضة أمسيت وزهرها يانع عميم فاصبحت وزهرها يابس هشيم إذ هبت عليها الريح العقيم كذلك العبد يمسى وقلبه بطاعة الله مشرق سليم فيصبح وهو بمعصيته مظلم سقيم ذلك فعل العزيز الحكيم الخلاق العليم

(روى) النسائي عن عثمان رضى الله عنه قال اجتنبوا الخمر فلانها أم الخبائث انه كان رجل ممن كان قبلكم تعبد فعلمت به امرأة غوية فأرسلت اليه جاريتها فقالت له إنا ندعوك للشهادة فانطلق مع جاريتها فطفت الجارية كلما دخل بابا أغلقت دونه حتى

افضت إلى امر أفضيته أي جميلة عندها غلام وباطية خمر فقالت انى والله مادعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع على أو تشرب من هذا الخمر كأساً أو تقتل هذا الغلام قال فأسقيني من هذا الخمر فسقته كأساً قال زيدونى فلم يزل يشرب حتى وقع عايتها وقتل الغلام فاجتنبوا الخمر فانه والله لا يجتمع الايمان وادمان الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه .

ويروى أن رجلاً أسيراً مسلماً وكان حافظاً للقرآن حص بخدمه راهبين فحفظا منه آيات كثيرة لكثرة تلاوته فأسلم الراهبان وتنصر المسلم وقيل له ارجع إلى دينك فلا حاجة لنا فيمن لم يحفظ دينه . قال لا أرجع إليه أبداً فقتل . وفي الخبر قصته والحكايات كثيرة في هذا الباب نسأل الله السلامة والمات على الشهادة .

وأشدد بعضهم :

فدجرت الأفلام في ذى الورى بالحتم من أمر الحكيم العليم
فمن سعيد وشقى ومن من من المال وعار عديم
ومن عزيز رأسه في السها ومن ذليل وجهه في التخوم
ومن صحيح شيدت أركانه وآخر واهى المباني سقيم
كل على منهاجه سالك ذلك تقدير العزيز العليم

وقال الربيع سئل الشافعى عن القدر فأشأ يقول :

ما شئت كان وإن لم أشأ وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علئت في العلم يجرى الفتى والمسئ
على ذا منت وهذا خذلت وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقى ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حسن
ومنهم غنى ومنهم فقير وكل بأعماله مرتين

باب ما جاء في رسل ملك الموت قبل الوفاة

ورد في الخبر : أن بعض الأنبياء عليهم السلام قال لملك الموت عليه السلام
أمالك رسول تقدمه بين يديك ليكون الناس على حذر منك ؟ قال نعم : لى والله

رسل كثيرة من الإعلال والأمراض والسيب والهرم وتغير السمع والبصر
فإذا لم يتذكر من نزل به ذلك ولم يتب فإذا قبضته ناديته ألم أقدم إليك رسولا
بعد رسول ونذيراً بعد نذير !! فأنا الرسول الذي ليس بعدى رسول ، وأنا النذير
الذي ليس بعدى نذير فما من يوم تطلع شمسك إلا وملك الموت ينادي : يا أبناء
الأربعين هذا وقت أخذ الزاد أذهانكم حاضرة وأعضاؤكم قوية شداد . ويا أبناء
الخمسين قد دنا وقت الأخذ والحصاد . ويا أبناء الستين نسيت العقاب وغفتم عن
رد الجواب فما لكم من نصير (أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم
النذير) ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب روضة المشتاق والطريق إلى
الملك الخلاق .

وفي البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
(أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى باغ ستين سنة) يقال أعذر في الأمر أى بالغ فيه
أى أعذر غاية الإعذار الذى لا إعدار بعده وأكبر الأعدار إلى بنى آدم بعثة الرسل
إليهم ليتم حجته عليهم (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال : (وجاءكم
النذير) قيل هو القرآن وقيل هو الرسول . وعن ابن عباس وعكرمة وسفيان
ووكيع والحسين بن الفضل والفراء والطبرى قالوا هو الشيب فإنه يأتي فى سن
الاكتحال . فهو علامة لمفارقة سن الصبا الذى هو سن اللهو وأنشدوا :

رأيت الشيب من نذر المنايا لصاحبه وحسبك من نذير
تقول النفس غير لون هذا عساك تطيب فى عمر يسير
فقلت لها المشيب نذير عمرى ولست مسودا وجه النذير

وقال آخر :

وقائلة تخضب فالغواني نوافر عن معاينة النذير

وللقاضى منذر بن سعيد البلوطى رحمة الله تعالى عليه :

كم تصابى وقد علاك المشيب وتعالى جهلا وأنت اللبيب
كيف تلهو وقد أتاك نذير وشباك الحمام منك قريب
بأقيا قد حان منه رحيل بعد ذاك الرحيل يوم غضيب
إن للوت سكرة فارتقبها لا يداويك إن أتتك طيب

كم تواني حتى تصير رهينا ثم تأتيك دعوة فتجيب
بأمور المعاد أنت علم فاعلمن جاهداً لها أريب
وتذكر يوماً تحاسب فيه إن من يذكر المات يئيب
ليس من ساعة من الدهر إلا للنايا عليك فيها رقيب
كل يوم ترميك فيها بسهم إن تخطى يوماً فسوف يصيب
وإله أيضاً رضى الله عنه :

ثلاث وستون قد جزتها فماذا تؤمل أو تنتظر
وحل عليك نذير المشيب فما ترعوى أو فمات زاجر
تمر لياليك مرا حثيثا وأنت على ما أرى مستمر
فلو كنت تعقل ما ينقضى من العمر لا اعتصت خيراً بشر
فإلك لا تستعد إذا
أرغب عن فجأة للنون وتعلم أن ليس منها وزر
فإما إلى جنة أزلقت وإما إلى سقر تستعر

والفقيه أبى عبد الله محمد بن أبى ذمينة رحمه الله تعالى آمين :

الموت فى كل حين يفتر الكفنا ونحن فى غفلة عما يداورنا
لا تطمنن إلى الدنيا وبهجتها وإن توشحت من أثوابها الحسنات
أين الأحياء والجيران ما فعلوا أين الذين هموا كانوا لنا سكنا
سقام الموت كأساً غير صافية فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا

وروى أن ملك الموت دخل على داود عليه السلام فقال من أنت ؟ فقال من الأيهاب
الملك ولا تمنع منه القصور ولا يقبل الرشا قال : فإذا أنت ملك الموت . قال
نعم قال : أتيتنى ولم أستعد بعد ؟ قال يا داود أين فلان قريبك أين فلان جارك
قال مات . قال أما كان لك فى هؤلاء عبرة لتستعد . وقيل النذير الحمى . ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم الحمى نذير الموت أى رائد الموت .

قال الأزهري معناه أن الحمى رسول الموت أى كأنها تشعر بقدومه وتندر
بمجيئه . وقيل : موت الأهل والأقارب والأصحاب والإخوان ، وذلك إنذار

الرحيل في كل وقت وأوان وحين وزمان

قال :

وأراك تحملهم ولست تردم وكأنتى بك قدحات فلم ترد
وقيل كمال العقل الذي به تعرف حقائق الأمور ، ويفصل بين الحسنات
والسيئات ، فالعاقل يعمل لآخرته ، ويرغب فيما عند ربه ، فهو تذير ، والتذير بمعنى
الإندار والإندار والإعذار قريب بعضه من بعض وأكبر الإعذار إلى نبي آدم
بعثة الرسل إليهم ثم الشيب أو غيره كما بينا ، وجعل الستين غاية الإعذار لأن الستين
قريب من معترك المنايا وهو سن الإنابة والخشوع والاستسلام لله وترقب المنية
ولقاء الله ففيه إعذار بعد إعدار ، وإندار بعد إندار .

الأول بالنبي صلى الله عليه وسلم .

والثاني بالشيب وذلك عند كمال الأربعين ، قال الله تعالى : (وبلغ أربعين سنة
قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك) فذكر عز وجل ، أن من بلغ الأربعين فقد آن
له أن يعلم مقدار نعم الله عليه وعلى والديه ويشكرها

قال مالك رحمه الله أدركت أهل العلم ببلدنا وهم يطالبون الدنيا ويخاطبون
الناس حتى يأتى لأحدهم أربعون سنة فإذا أتت عليهم اعتزلوا الناس .

(تنبيه) هذا الباب هو الأصل في اعذار الحكام إلى المحكوم عليه مرة بعد أخرى
وكان هذا لطفاً بالحق وتنفيذ القيام عليهم بالحق

حكى عن بعض العلماء أنه كان يميل إلى الراحة كثيراً وكان يخلو في بستان
له بأصحابه فلا يأذن لأحد سواهم فبينما هو في البستان إذ رأى رجلاً يتخلل
الشجر فغضب وقال من أذن لهذا وجاء الرجل فجلس أمامه وقال ما ترى في رجل
ثبت عليه حق فزعم أن له منافع تدفعه عنه فقال يطولم له الحاكم بقدر ما يرى : قال
السائل قد ضرب له الحاكم أجلاً فلم يأت بمنفعة ولا أقام عن اللدد والمدافعة : قال
يقضى عليه : قال فإن الحاكم رفق به وأمهله أكثر من خمسين سنة فاطرق الفقيه
وتحدر غرق وجهه وذهب السائل ثم إن العالم أفاق من فكرته فسأل عن السائل :
فقال : البواب ما دخل أحد عليكم ولا خرج من عندكم أحد : فقال لأصحابه

انصرفوا فما كان يرى بعد ذلك الا في مجلس يذكر فيه العلم .

(فصل) وقد رأيت أن أصل هذه الحكاية حكايات في الشيب على سبيل الوعظ والتذكير والتخويف والتحذير .

حكى عن بعض المترفين أنه رفض ما كان فيه بغة على غير تدريج فستل عن السبب فقال ما معناه، كانت لي أمة لا يزيدني طول الاستمتاع منها الاغراما بها فقلت شعرها يوما فإذا فيه شعرتان بيضاوان فأخبرتها فارتاعت: فقالت أرني فأريتها: فقالت جاء الحق وزهق الباطل . ثم نظرت الى: وقالت اعلم أنه لو لم تفرص على طاعتك لما أويت اليك فدع لي ليلي أونهارى لاتزود فيه لآخرتي فقلت لا ولا كرامة فغضبت وقالت أنتحول بيني وبين ربي وقد آذنتي بلفائه اللهم بدل حبه لي بغضا: قال فبت وماشيء أحب الى من بعدها عني وعرضتها للبيع فأتاني من أعطاني فيها . اأريد فلما عزمتم على البيع بكنت فقلت أنت أردت هذا فقالت والله ما اخترت عليك شيئا من الدنيا هل لك الى ما هو خير لك من ثمنى: قلت وما هو قالت تعتقني لله عز وجل فإنه املك لك منك لي وأعود عليك منك على ، فقلت قد فعلت فقالت أمضى الله صفقتك وبلغك أضعاف أملك وتزهدت فغضت الى الدنيا ونعيمها .

(وقال) عبدالله بن أبي نوح رايت كهلا بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال ينفذ الغبار عن جدرانه بسعفة فسألت عنه فقيل إنه من ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه وان له اولاد او موالى ونعمة موفورة وانه اطلع في مرآته فصرخ وجن ولزم المسجد كما ترى وإذا اراد أهله ان يأخذوه ليد اووه ويصونوه هرب منهم وعاذ بالقبر المكرم فتركوه فرقبته نهرا فلم أر منه اختلا لا ورقته ليلا فلما ذهب جنح من الليل خرج من المسجد فتبعته حتى أتى البقيع فقام يصلى ويبكى حتى قرب طلوع الفجر فجلس يدعو وجاءت اليه دابة لا ادري أشاة أم ظبية أم غيرها فقامت عنده وتفاجت فالتقم ضرعها فشرب ثم مسح ظهرها وقال اذهبي بارك الله فيك فقلت تهرع فانسلت فسبقته إلى المسجد فاقت ليالى أخرج بخروجه إلى البقيع ولا يشعر بي فسمعته يقول في مناجاته اللهم انك ارسلت إلى

ولم تأذن لي فان كنت قد رضيتني فائذن لي وان لم ترضني فوقني لما يرضيك قال
 فلما حان رحيل ابيه مودعا فتجهمني فقلت انا صاحبك منذ ليل بالبيع اصلي
 بصلاتك وأؤمن على دعائك قال هل اطلعت على ذلك احدا قلت لا قال انصرف
 راشدا قلت ما الرسول الذي ارسل اليك قال اطلعت في المرأة فرايت شيبة في
 وجهي فعلت انها رسول الله إلى فقلت ادع لي قال ما أنا أهل لذلك ولكن
 تعال نتوسل إلى الله برسوله فقامت معه تجاه القبر المحرم فقال ما حاجتك قلت
 العفو فدعا دعاء خفيفا فامنت ثم مال على جدار القبر فاذا هو ميت فتنحيت عنه
 حتى فطن الناس له وجاء اولاده ومواليه فاحتملوه وجهازوه وصليت عليه فيمن
 صلى، ويقال ان ملكا من ملوك اليونان استعمل على ملبسه أمة أديها بعض الحكماء فالبسته
 يوما ثيابه وأرته المرأة فرأى في وجهه شعرة بيضاء فاستدعى بالمقراض وقصها فاخذتها
 الامة فقبلتها ووضعها على كفها واصغرت باذنها اليها فقال لها الملك إلى اي شيء تصغين
 فقالت اني اسمع هذه المبتلاة بفقد كرامة قرب الملك تقول قولا عجيبا قال ما هو
 قالت لا يجترىء لسانى على النطق به قال قولى وانت آمنة ما لزمك الحكمة قالت ما
 معناه انها تقول ايها الملك المسلط الى آمد قريب اني خفت بطشك بي فلم أظهر حتى
 عهدت إلى بناتي أن يأخذن بثأرى وكأنك بين قد خرجن عليك فإما أن يعجزان
 الفتك بك واما أن ينقصن شهوتك وقوتك وصحتك حتى تعد الموت غنما فقال
 اكتبى كلامك فكتبته فتدبره ، ثم نبذ ما لك في حديث ، هذا المقصود منه
 وفي معناه قبيل :

وزائرة للشيب لاحت بمفرقى فبادرتها خوفا من الختف بالنتف
 فقالت على ضعفى استطعت ووحدتى رويدك حتى يلحق الجيش من خلقى

وفي الإسرائيليات أن ابراهيم الخليل لما رجع من تقريب ولده الى ربه عز وجل
 رأت سارة في لحيته شعرة بيضاء وكان عليه السلام أول من شاب على وجه الارض
 فأنكرتها وأرته إياها فجعل يتأملها وأعجبه وكرهتها سارة ، وطالبتة بإزالتها فأبى ،
 فأناه ملك الموت فقال السلام عليك يا ابراهيم وكان اسمه ابرم فزاده في اسمه هاء

والهاء في السريانية للتفخيم والتعظيم ففرح بذلك فقال : أشكر الهى واله كل شئ .
فقال له الملك : ان الله قد صيرك معظما في أهل السموات وأهل الأرض وقد سمك
بسنة أهل الوقار في اسمك وفي خلقك أما اسمك فإنك تدعى في أهل السماء وأهل الأرض
ابراهيم وأما خلقك فقد أنزل وقاراً ونوراً على شعرك . فأخبر سارة بما قال له الملك
وقال هذا الذي كرهته نور ووقار ، قالت انى كارهة له . قال : لكفى احبه . اللهم
زدنى نوراً ووقاراً فأصبح وقد ابيضت لحيته كلها .

وفي الآثار النبوية : من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة .
وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله ليستحي أن يعذب ذا
شيبة ، والاحبار في هذا الباب كثيرة وكذلك الشمر اكتفياناه بما ذكرنا وبالله توفيقنا
وقال أعرابي في الشيب والخضب :

يا بؤس من فقد الشباب وشيرت منه مفارق رأسه بخضب
يرجو عضارة وجهه بخضابه ومصير كل عمارة لخراب
شيطان لو بكت الدماء عليهما عيناى حتى يؤذنا بذهاب
إني وجدت أجل كل مصيبة فقد الشباب وفرقة الاحباب

باب متى تنقطع معرفة العبد من الناس

وفي التوبة وبيانها وفي التائب من هو (ابن ماجه) عن أبي موسى الأشعري قال
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تنقطع معرفة العبد من الناس قال إذا عين
(فصل) قوله إذا عين يريد إذا عين ملك الموت أو الملائكة والله أعلم وهو
معنى قوله عليه السلام في الحديث الآخر إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر خرجه
الترمذى أى عند الغرغرة وبلوغ الروح الحلقوم يعاين ما يصير إليه من رحمة
أوهوان ولا تنفع حينئذ توبة ولا إيمان كما قال تعالى في محكم البيان (فام يك ينفعهم
لإيمانهم لما رأوا بأسنا) وقال تعالى : (وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى
إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن) فالتوبة مبسوطة للعبد حتى يعاين
قايض الأرواح وذلك عند غرغرة بالروح ، وإنما يغرغره إذا قطع الوتين .

فشخص من الصدر الى الحقوم فعندها المعاينة وعندها حضور الموت فاعلم . فيجب على الإنسان أن يتوب قبل المعاينة والفرغرة وهو معنى قوله تعالى : (ثم يتوبون من قريب) .

قال ابن عباس والسدي : من قريب قبل المرض والموت .
وقال أبو مجلز والضحاك وعكرمة وابن زيد وغيرهم : قبل المعاينة للثلاثه والسوق وأن يغلب المرء على نفسه ولقد أحسن محمود الوراق حيث قال :
قدم لنفسك توبة مرجوة قبل الممات وقبل حبس اللسان
بادربها غلق النفوس فإنها ذخرا وغنم للنبي المحسن

قال علياؤنا رحمهم الله وانما صحت منه التوبة في هذا الوقت لان الرجاء باق . ويصح الندم والعزم عن ترك الفعل . وقيل المعنى : يتوبون على قرب عهد من الذنب من غير اصرار والمبادرة في الصحة أفضل وألحق لامله من العمل الصالح والبعد كل البعد الموت . وأما ما كان قبل الموت فهو قريب عن الضحاك أيضا وعن الحسن : لما هبط إبليس قال بعزتك لا أفارق ابن آدم مادام الروح في جسده . قال الله تعالى : وعزتي لا أحجب التوبة عن ابن آدم ما لم تفرغ نفسه ، والتوبة عرض على المؤمنين باتفاق المسلمين لقوله تعالى : (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وقوله : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا)

ولها شروط أربعة : الندم بالقلب وترك المعصية في الحال ، والعزم على أن لا يعود إلى مثلها ، وأن يكون ذلك حيا من الله تعالى وخوفا منه لا من غيره فإذا اختلف شرط من هذه الشروط لم تصح التوبة . وقد قيل : من شروطها الاعتراف الذنب وكثرة الاستغفار الذي يحل عقد الاصرار ويثبت معناه في الجنان لا التلفظ باللسان . فأما من قال بلسانه أستغفر الله وقلبه مصر على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار وصغيرته لاحقة بالكبائر .

وروى عن الحسن البصري أنه قال استغفارتنا يحتاج إلى استغفار .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا مقوله في زمانه فكيف في زماننا هذا الذي يرى فيه الإنسان مكبا على الظلم حربا عليه لا يقطع والسبحة في يده زاعما أنه يستغفر من ذنبه وذلك استهزاء منه واستخفاف . وهو عن اتخاذ آيات الله هزوا وفي التنزيل (ولا تتخذوا آيات الله هزوا)

وروى عن علي رضي الله عنه أنه رأى رجلا قد فرغ من صلاته وقال اللهم انى استغفرك وأتوب اليك سريعا فقال له يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج إلى توبة . قال يا أمير المؤمنين : وما التوبة ؟ قال اسم يقع على ستة معان : على الماضى من الذنوب ، الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ، ورد المظالم إلى أهلها وإدئاب النفس في الطاعة كما أدابتها في المعصية وإذابة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية وأن تزين نفسك في طاعة الله كما زينتها في معصية الله والبكاء بدل كل ضحك ضحكته .

وقال أبو بكر الوراق التوبة أن تكون نصوحا وهو أن تضيق عليك الأرض بما رحبت وتضيق عليك نفسك كالثلاثة الذين خلفوا .

وقيل : التوبة النصوح هي رد المظالم واستحلال الخصوم وادمان الطاعات . وقيل غير هذا وبالجملة فالذنوب التي يتاب منها إما كفر أو غيره ، فتوبة الكافر إيمانه مع ندمه على ما ألف كفره وليس مجرد الإيمان نفس التوبة وغير الكفر . أما حق الله وإما حق لغيره . فحق الله تعالى يكفي في التوبة منه الترك غير أن منها ما لم يكف الشرح فيها بمجرد الترك بل أضاف إلى ذلك في بعضها قضاء كالصلاة والصوم . ومنها ما أضاف إليها كفارة كالحنث في الإيمان وغير ذلك . وأما حقوق الآدميين فلا بد من إيصالها إلى مستحقيها فإن لم يوجدوا تصدق عنهم ومن لم يجد السبيل لخروج ما عليه لإعساره فعوض الله مأمول وفضله مبذول فكم ضمن من التبعات وبديل من السيئات بالحسنات وعليه أن يكثر من الأعمال الصالحات ويستغفر إن ظله من المؤمنين والمؤمنات فهذا الكلام في حقيقة التوبة .

وقد روى مرفوعا في صفة التائب من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في جماعة من أصحابه أتدرون من التائب قالوا اللهم لا قال

إذا تاب العبد ولم يرض خصاؤه فليس بتائب، ومن تاب ولم يغير لباسه فليس بتائب، ومن تاب ولم يغير مجلسه فليس بتائب، ومن تاب ولم يغير نفقته وزينته فليس بتائب، ومن تاب ولم يغير فراشه ووساده فليس بتائب، ومن تاب ولم يوسع خلقه فليس بتائب، ومن تاب ولم يوسع قلبه وكفه فليس بتائب. ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: فإذا تاب عن هذه الخصال فذلك تائب حقا (١). قال العلماء إرضاء الخصوم يكون بأن يرد عليهم ما غصبهم من مال أو خانهم أو غابهم أو اغتابهم أو خرق أعراضهم أو شتمهم أو سبهم فيرضيهم بما استطاع ويتحللهم من ذلك فإن انقضوا فإن كان لهم قبله مال رده إلى الورثة وإن لم يعرف الورثة تصدق به عنهم ويستغفر لهم بعد الموت ويدعو لهم عوض النعم والغيبة لاخلاف في هذا. وأما تغيير اللباس فهو أن يستبدل ما عليه من الحرام بالحلال. وإن كانت ثياب كبر وخيلاء استبدلها بأطهار متوسطة. وتغيير المجلس: هو بأن يترك مجالس اللهو واللعب والجهال والأحداث. ويجالس العلماء ومجالس الذكر والفقراء والصالحين ويتقرب إلى قلوبهم بالخدمة وبما يستطيع ويصالحهم. وتغيير الطعام بأن يأكل الحلال ويجانب ما كان من شبهة أو شهوة. ويغير أوقات أكله، ولا يقصد اللذيق من الأطعمة. وتغيير النفقة: هو بترك الحرام وكسب الحلال. وتغيير الزينة بترك التزين في الأثاث والبناء واللباس والطعام والشراب. وتغيير الفراش بالقيام بالليل عوض ما كان يشغله بالبطالة والغفلة والمعصية. كما قال الله تعالى: (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) وتغيير الخلق هو بأن ينقاب خلقه من الشدة إلى اللين ومن الضيق إلى السعة ومن الشكاسة إلى السماحة، وتوسيع القلب يكون بالإفراق ثقة، الأقسام على كل حال وتوسيع الكف بالسخاء والإيثار بالعطاء. هكذا يبدل كل ما كان فيه كشر بآخر بكره وسقى الابن والعسل والزنا بكفالة الأرملة واليتمة وتجهيزهما ويكون مع ذلك نادما على ما ساف منه. ومتحسرا على ما ضيع من عمره. فإذا كانت التوبة على هذه الخصال التي ذكرنا والشروط التي بينا تقبلها الله بكرمه وأنسى حافظيه وبفراع الأرض خطاياهم وذنوبهم. قال الله تعالى: (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)

(١) هذا حديث موضوع.

والأصل في هذه الجملة : حديث أبي هريرة في الرجل الذي قتل مائة نفس ثم سأل هل له من توبة ؟ فقال له العالم : ومن يحول بينك وبينها انطلق الى أرض بني فلان فإن بها ناساً صالحين يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا تعد الى أرضك فإنها أرض سوء .

الحديث أخرجه مسلم في الصحيح وفي مسند أبي داود الطيالسي : حدثنا زهير ابن معاوية عن عبدالكريم الجزري عن زياد وليس بابن أبي مریم عن عبد الله بن مغفل قال : كنت مع أبي وأنا الى جنبه عند عبد الله بن مسعود فقال له أبي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن العبد اذا اعترف بذنبه تاب الى الله عز وجل تاب الله عليه، فقال نعم سمعته يقول الندم توبة .

وفي صحيح مسلم والبخاري عن عائشة رضی الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تاب الله عليه .

وروى أبو حاتم البستي في المسند الصحيح له عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر ثم قال والذي نفسي بيده ثلاث مرات ثم سكت فأكب كل رجل منا يبكي حزينا ليمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : (ما من عبد يؤدي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويحج الكبار السبع الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يوم القيامة حتى أنها لتصفق . ثم تلا (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : فدل القرآن على أن في الذنوب كبائر وصغائر خلافا لمن قال كلها كبائر حسب ما بيناه في سورة النساء وأن الصغائر كاللثة والنظرة تكفر بإجتنب الكبائر قطعاً بوعده الصدق وقوله الحق لا انه يجب عليه ذلك ، لكن بضميمة أخرى الى الاجتناب وهي اقامة الفرائض كما نص عليه الحديث ومثله : ما رواه مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكبائر، على هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء وهو الصحيح في الباب وأما الكبائر فلا يكفرها الا التوبة منها والاقلاع عنها كما بينا، وقد اختلف في تعيينها (م ٤ - تذكرة)

ليس هذا موضع ذكرها، وسيأتي في القصاص وفي أبواب النار جملة منها إن شاء الله تعالى.

باب لا تخرج روح عبد مؤمن أو كافر

حتى يبشر وأنه يصعد بها

ابن المبارك قال أخبرنا حيوة قال أخبرني أبو صخر عن محمد بن كعب القرظي قال إذا استنقعت نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرئك السلام ثم نزع بهذه الآية (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم).

وقال ابن مسعود : إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام.

وعن البراء بن عازب في قوله تعالى (تحييتهم يوم يلقونه سلام) فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه لا يقبض روحه حتى يسلم عليه وقال مجاهد إن المؤمن ليبشر بصلاح ولده من بعده لتقر عينه

ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحا قالوا اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان بن فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء التي فيها (١) فإذا كان الرجل السوء قال اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشري بحميم وغساق وآخر من شكاه ازواج فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان : فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فإنها لا تفتح لك ابواب السماء وترسل من السماء ثم تصير إلى القبر، خرجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة.

(١) الله تبارك وتعالى

قال نخدثنا شيبة بن سوار عن ابن أبي ذيب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة وهذا إسناد صحيح ثابت اتفق على رجاله البخاري ومسلم ما عدا أن أبي شيبة فإنه لمسلم وحده خرجه عبد بن حميد أيضا عن بن أبي ذيب قال محمد بن عمرو لحدثني سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال إن الميت تحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي إليها الروح الطيبة^(۱) مسلم عن أبي هريرة قال : إذا خرجت روح العبد^(۲) تلقاها ملكان يصعدان بها

قال حماد فذكر من طيب ريحها وذكر المسك : قال ويقول أهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الأرض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعميرته فينطلق بها إلى ربه ثم يقول : انطلقوا بها إلى آخر الأجل ، وإن الكافر إذا خرجت روحه قال حماد وذكر من نتنها وذكر لعنا ويقول أهل السماء : روح خبيثة جاءت من قبل الأرض قال : فيقال : انطلقوا بها إلى آخر الأجل قال أبو هريرة فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ربيعة كانت عليه على أنفه هكذا .

البخاري . عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، فقالت عائشة - أو بعض أزواجه : إنا لنكره الموت فقال : ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان من الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب لقاءه وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره لقاءه ، أخرجه مسلم وابن ماجه من حديث عائشة وابن المبارك من حديث أنس رضى الله عنه .

(فصل) هذا الحديث . وإن كان مفسرا مبينا .

فقد روى عن عائشة رضى الله عنها في تفسير هذا الحديث أنها قالت لشرح بن هاني وقد سألها عما سمعه من أبي هريرة وليس بالذي تذهب إليه ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقتشر الجلد وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره لقاءه . خرجه مسلم .

(۱) الطيبة فذكره مسلم (۲) العبد المؤمن تلقاها

رروي عنها أيضا في تفسيره أنها قالت إذا أراد الله بعبد خيرا قبض له قبل موته بعام لا كانسده ووقفه حتى يقول الناس: مات فلان خيرا ما كان فإذا حضر ورأى نوابه تهوع نفسه أو قال تهوعت نفسه، فذلك حين أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإذا أراد الله بعبد شرا قبض له قبل موته بعام شيطانا فأضله وقتته حتى يقول الناس مات فلان شرا ما كان فإذا حضر ورأى ما ينزل به من العذاب تبلع نفسه فذلك حين يكره لقاء الله وكره الله لقاءه.

وخرج الترمذي في أبواب القدر عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا استعمله فقيل كيف يستعمله يا رسول الله قال: يوقفه لعمل صالح قبل الموت. قال أبو عيسى هذا حديث صحيح.

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ومنه الحديث الآخر: إذا أراد الله بعبد خيرا غسله. قالوا يا رسول الله وما غسله؟ قال: يفتح الله له عملا صالحا بين يدي موته حتى يرضى عنه من حوله.

وعن قتادة في تفسير قوله تعالى فروح وريحان قال: الروح الرحمة والريحان يتلقاه به الملائكة عند

وروي ابن جريج عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة: في تفسير قوله تعالى (حتى إذا جاء أحدم الموت قال رب ارجعون) إذا عين المؤمن الملائكة قالوا: ترجعك إلى الدنيا فيقول إلى دار العموم والأحزان ويقول قدما إلى الله عز وجل، وأما الكافر، فيقولون: ترجعك إلى الدنيا؟ فيقول: (ارجعون لعلني أصالحكم) الآية وأما قوله في الحديث حتى ينتهي إلى السماء التي فيها الله تعالى فالمعنى أمر الله وحكمه وهي السماء السابعة التي عندها سدرة المنتهى التي إليها يصعد ما يخرج به من الأرض ومنها يهبط ما ينزل به منها كذا في صحيح مسلم من حديث الإسراء.

وفي حديث البراء أنه ينتهي به إلى السماء السابعة وسيأتي إن شاء الله تعالى.

وقد كنت تكلمت مع بعض أصحابنا القضاة عن له علم ونظر ومعنا جماعة من أهل النظر فيها ذكر أبو عمر بن عبد البر من قوله (الرحمن على العرش استوى) فذكرت له هذا الحديث فما كان منه إلا أن بادر إلى عدم صحته ولعن رواته وبين أيدينا رطب

فأكله فقلت له الحديث صحيح خرجه ابن ماجه في السنن ولا تزد الا خبر بمثل هذا القول بل تأول وتحمل علي ما يليق من التأويل والذين رووها هم الذين رووا لنا الصلوات الخمس وأحكامها؛ فإن صدقوا هنا صدقوا هناك وإن كذبوا هنا كذبوا هناك ولا تحصل الثقة بأحد منهم فيما يرويه .

وقد خرج البزار في مسنده من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن المؤمن إذا حضر أته الملائكة بحريرة فيها مسك وضاير ريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ويقال: أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك وارضيه عنك إلى روح الله وكرامته، فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان وطويت عليها الحريرة وذهب بها إلى عليين .

وإن الكافر إذا حضر أته الملائكة بمسح فيه جرة فتزع روحه انتزاعا شديدا ويقال: أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطة عليك إلى هوان الله وعذابه، فإذا خرجت روحه وضعت على تلك الجرة ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين . قال الشيخ المؤلف رحمه الله: فقوله في روح المؤمن: يذهب بها إلى عليين وهو معنى ماجاء في حديث أبي هريرة المتقدم إلى السماء التي فيها الله والأحاديث تفسر بعضها بعضا ولا إشكال .

وأما قوله في حديث محمد بن كعب أول الباب إذا استنقعت نفس المؤمن ، فقال شمر لا أعرفه وسمعت الزهري يقول : يعني إذا اجتمعت في فيه حين تريد أن تخرج كما يستنقع الماء في قراره، والنفس الروح ما هنا حكاة الهروي .

باب ماجاء في تلاقى الأرواح في السماء

والسؤال عن أهل الأرض وفي عرض الأعمال

ابن المبارك عن أبي أيوب الأنصاري رضى الله عنه قال: إذا قبضت نفس المؤمن تلقاها أهل الرحمة من عباد الله تعالى كما يتلقون البشير في الدنيا فيقبلون عليه يسألونه فيقول بعضهم لبعض: انظروا أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد

قال: فيقبلون عليه فيسألونه: ما فعل فلان ما فعلت فلانة هل تزوجت؟ فإذا سألوه عن الرجل قدمات قبله فيقول أنه هلك فيقولون إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المريية قال: فتعرض عليهم أعماله فإن رأوا حسنا فرحوا واستبشروا وقالوا: اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتعها وإن رأوا شرا قالوا: اللهم راجع بعبدك.

قال ابن المبارك: وأخبرنا صفوان بن عمرو، قال: حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير أن أبا الدرداء كان يقول: إن أعمالكم تعرض على موتاكم فيسرون ويساؤون قال: يقول أبو الدرداء اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملا يخزي به عبد الله ابن رواحة.

وفي رواية: اللهم إني أعوذ بك من عمل يخزيني عند عبد الله بن رواحة. أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الثقفي قال: أخبرني عثمان بن عبد الله ابن أوس أن سعيد بن جبيرة قال له: استأذن لي على ابنة أخي وهي زوجة عثمان وهي ابنة عمرو بن أوس فاستأذنت له فدخل عليها ثم قال: يا عثمان أحسن إليها فإنك لا تصنع بها شيئا إلا جاء عمرو بن أوس بفقلت: وهل تأتي الأموات أخبار الأحياء؟ قال نعم ما من أحد له حميم إلا ويأتيه أخبار أقاربه فإن كان خيرا سر به وفرح وهني به وإن كان شرا ابتأس وحزن حتى أنهم ليسألون عن الرجل قد مات فيقال أولم يأتكم فيقولون: لا خوفاً به إلى أمه الهاوية.

وعن الحسن البصري رضي الله عنه قال: إذا قبض روح العبد المؤمن عرج به إلى السماء فتلقيه أرواح المؤمنين فيسألونه فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقول أولم يأتكم؟ فيقولون: لا والله ما جاءنا ولا مر بنا سلك به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المريية وقال وهب بن منبه: إن لله في السماء السابعة دارا يقال لها البيضاء تجتمع فيها أرواح المؤمنين فإذا مات الميت من أهل الدنيا تلقتهم الأرواح فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله إذا قدم إليهم، ذكره أبو نعيم.

(فصل) هذه الأخبار وإن كانت موقوفة فتلها لا يقال من جهة الرأي.

وقد خرج النسائي بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحديث وفيه: فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أند فرامن أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة فيقولون دعوه فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال أرواحكم قالوا ذهب به إلى أمه الهاوية ، وذكر الحديث وسيأتي بكامله إن شاء الله تعالى .

وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الأصول قال : حدثنا أبي رحمه الله قال : حدثنا قبيصة عن سفيان عن أبان بن أبي عياش عن أنس قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من الموتى فإن كان خيراً استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا تمهم حتى تهديهم لما هديتنا .

وخرج من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعرض الأعمال يوم الإثنين ويوم الخميس على الله وتعرض على الأنبياء وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم يابضاً وتشرقه . فاتقوا الله عباد الله ولا تؤذوا موتاكم

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ارواحكم تعرض إذا مات مات أحدكم على عشائركم وموتاكم . فيقول بعضهم لبعضهم دعوه يستريح فإنه كان في كرب . ثم يسألوه ما عمل فلان وما عملت فلانة ، فإن ذكر خيراً حمدوا الله واستبشروا وإن كان شراً قالوا اللهم اغفر له حتى أنهم يسألون هل تزوج فلان هل تزوجت فلانة ؟ قال فيسألونه عن رجل مات قبله فيقول : ذاك مات قبلي ، أمانر بكم ؟ فيقولون لا والله . فيقولون إنا لله وإنا إليه راجعون . ذهب به إلى أمه الهاوية ، فبئس الأم وبئست المربية حتى أنهم ليسألونه عن هر البيت ذكره الثعلبي .

وقد قيل في قوله عليه الصلاة والسلام : الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف إنه هذا التلاقي ، وقد قيل تلاقى أرواح النيام والموتى وقيل غير هذا والله أعلم .

باب منه

روى من حديث ابن لهيعة عن بكير بن الأشج عن القاسم بن محمد عن عائشة
رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه
في بيته ، قيل : يجوز أن يكون الميت يبلغ من أفعال الأحياء وأقوالهم ما يؤذيه
بلطفة يحدثها الله لهم من ملك يبلغ أو علامة أو دليل أو ما شاء الله وهو القادر
على ما يشاء .

وروى عن عروة قال : وقع رجل في علي عند عمر بن الخطاب رضي الله عنهما
فقال له عمر : مالك قبحك الله لقد أذيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره .
قال علماءنا : ففي هذا الحديث زجر عن سوء القول في الأموات .

وفي الحديث : أنه نهى عن سب الأموات وزجر عن فعل ما كان يسوؤهم
في حياتهم ، وفيه أيضاً زجر عن عقوق الآباء والأمهات بعد موتها بما يسوؤهما
من فعل الحي .

فقد روى في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهدي لصدائق خديجة صلة
منه لها وبرا وإذا كان الفعل صلة وبرا كان ضده قطيعة وعقوقا . وقيل : يجوز أن
يكون معنى الحديث : الميت يؤذيه في قبره من كان يؤذيه في بيته إذا كان حيا
فيكون ما بمعنى من ويكون ذلك مضمرا في الكلام ، والإشارة إلى الملك الموكل
بالإنسان .

فقد ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الملك يتباعد عن الرجل
عند الكذبة يكذبها ميلين من نتن ما جاء به وكذلك كل معصية لله تؤذي الملك الموكل
به . فيجوز أن يموت العبد وهو مصر على معاصي الله غير تائب منها ولا مكفر
عنه خطايا فيكون تمحيضه وتطهيره فيما يلحقه من الأذى من تغليظ الملك إياه أو
تقريبه له والله سبحانه وتعالى أعلم .

باب في شأن الروح وأين تصير حين تخرج من الجسد

قال أبو الحسن القاسمي رحمه الله : الصحيح من المذهب والذبي عليه أهل السنة أنها ترفعها الملائكة حتى توقفها بين يدي الله تعالى فيسألها فإن كانت من أهل السعادة قال لهم: سيروا بها وأروها مقعدها من الجنة فيسيرون بها في الجنة على قدر ما يغسل الميت فإذا غسل وكفن ردت وأدرجت بين كفنه وجسده، فإذا حمل على النعش فإنه يسمع كلام الناس من تكلم بخير ومن تكلم بشر فإذا وصل إلى قبره وصل على عليه ردت فيه الروح وأقعد ذا روح وجسد ودخل عليه الملائكة الفتيانان على ما يأتي

وعن عمرو بن دينار قال : ما من ميت يموت إلا روحه في يد ملك ينظر إلى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشی به فيجلس في قبره .

قال داود : وزاد في هذا الحديث . قال : يقال له وهو على سريره : اسمع ثناء الناس عليك . ذكره أبو نعيم الحافظ في باب عمرو .

وقال أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة : فإذا قبض الملك النفس السعيدة تناولها ملكان حسان الوجوه عليهما أثواب حسنة ولهما رائحة طيبة فيلقونها في حرير من حرير الجنة وهي على قدر النحلة شخص إنساني ما فقد من عقله ولا مناعله المكسب له في دار الدنيا ، فيخرجون بها في الهواي فلا يزال يمر بالأمم السالفة والقرون الخالية كأمثال الجراد المنتشر ، حتى ينتهي إلى سماء الدنيا ، فيقرع الأمين الباب فيقال للأمين من أنت ؟ فيقول : أنا صلصائل وهذا فلان معي بأحسن أسمائه وأحب إليه فيقولون نعم الرجل كان فلان وكانت عقيدته غير شاك . ثم ينتهي به إلى السماء الثانية ، فيقرع الباب . فيقال له : من أنت ؟ فيقول مقالته الأولى : فيقولون : أهلاً وسهلاً بفلان . كان محافظاً على صلواته بجميع فرائضها . ثم يمر حتى ينتهي إلى السماء الثالثة . فيقرع الباب فيقال له : من أنت ؟ فيقول الأمين مقالته الأولى والثانية فيقال : مرحباً بفلان . كان يراعى الله في حق ماله ولا يتمسك منه بشيء ثم ينتهي حتى يمر إلى السماء الرابعة ، فيقرع الباب . فيقال : من أنت ؟ فيقول كدأبه في مقالته . فيقال : أهلاً بفلان كان يصوم فيحسن الصوم ويحفظه من أدران الرفث وحرام الطعام . ثم ينتهي إلى السماء الخامسة فيقرع الباب . فيقال : من أنت ؟

فيقول كعادته يقال أهلا وسهلا فلان دى حجة الله الواجبة من غير سمعة ولا رياء. ثم ينتهي إلى السماء السادسة فيقرع الباب. فيقال من أنت ؟ فيقول الأمين كدأبه في مقالته . فيقال مرحبا بالرجل الصالح والنفس الطيبة كان كثير البر بوالديه . فيفتح له الباب . ثم يمر حتى حتى ينتهي إلى السماء السابعة فيقرع الباب فيقال من أنت ؟ فيقول الأمين مقالته . فيقال مرحبا بفلان كان كثير الاستغفار بالأسحار ويتصدق في السر ويكفل الأيتام . ثم يفتح له فيمر حتى ينتهي إلى سرادقات الجلال فيقرع الباب فيقال له : من أنت ؟ فيقول الأمين مثل قوله فيقول : أهلا وسهلا بالعبد الصالح والنفس الطيبة كان كثير الاستغفار وبأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويكرم المساكين ويمر بملا من الملائكة كلهم يبشرونه بالخير ويصاحفونه حتى ينتهي إلى سدرة المنتهى فيقرع الباب . فيقال من أنت ؟ فيقول الأمين كدأبه في مقالته فيقال أهلا وسهلا بفلان كان عمله عمل صالح خالصا لوجه الله عز وجل ثم يفتح له فيمر في بحر من نار ثم يمر في بحر من نور ثم يمر في بحر من ظلة ثم يمر في بحر من ماء ثم يمر به في بحر من ثجاج ثم يمر به في بحر من برد طول كل بحر منها ألف عام . ثم يخترق الحجب المضروبة على عرش الرحمن وهي ثمانون ألفا من السرادقات لها شراريف لكل سرادق ثمانون ألف شراقة على كل شراقة ثمانون ألف قر يسبح الله ويهلل^(۱) ويقدمه لو برز منها قر واحد إلى سماء الدنيا لعبد من دون الله ولا حرقها نورا ، فينادى ينادى من الحضرة القدسية من وراء أولئك السرادقات من هذه النفس التي جتم بها ؟ فيقال : فلان ابن فلان فيقول الجليل جل جلاله : قربوه فنعلم العبد كنت يا عبدى ، فإذا أوقفه بين يديه الكريمتين أخجله ببعض اللوم والمعاتبة حتى يظن أنه قد هلك ثم يعفو عنه .

كما روى عن يحيى بن أكرم القاضي وقد روى في المنام بعد موته فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفني بين يديه . ثم قال : يا شيخ السوء فعلت كذا وفعلت كذا فقلت يارب ما بهذا حدثت عنك . قال : فيما حدثت عنى يا يحيى ؟ فقلت : حدثني الزهري عن معمر عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عنك سبحانك أنك قلت : إني لأستحي أن أعذب ذا شية شابت في الإسلام قال :
(۱) يهللون الله ويبشرونه ويقدمونه

يا يحيى صدقت وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عروة وصدقت عائشة وصدق محمد وصدق جبريل وقد غفرت لك .

وعن ابن بنانة وقد روى في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال أوقفني بين يديه الكرسيين وقال : أنت الذي تخلص كلامك حتى يقال : ما أفصحه فقالت : سبحانك إني كنت أصفك . قال قل ما كنت تقول في دار الدنيا ، قالت : أبادهم الذي خلقهم وأسكتهم الذي أنطقهم وسيو جدم كما أعدمهم وسيجدهم كما فرقهم . قال لي صدقت اذهب فاني قد غفرت لك .

وعن منصور بن عمار أنه روى في المنام فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال أوقفني بين يديه وقال لي : بماذا جئتني يا منصور ؟ قلت بستة وثلاثين حجة . قال ما قبلت منها شيئاً ولا واحدة . ثم قال (١) بماذا جئتني ؟ قلت بثلاثمائة وستين ختمة للقرآن قال : ما قبلت منها واحدة . ثم قال : بماذا جئتني يا منصور ؟ قال جئتك بك . قال سبحانك : الآن جئتني اذهب فقد غفرت لك . ومن الناس من إذا انتهى إلى الكرسي سمع النداء ردوه ففهم من يرد من الحجب ، وإنما يصل إلى الله عارفاً ؛ (١) بماذا جئتني يا منصور قلت جئتك :

(فصل) وأما الكافر فتؤخذ نفسه عنفاً فإذا وجهه كآكل الحنظل والملك يقول : اخرجي أيتها النفس الخبيثة من الجسد الخبيث ، فإذا له صراخ أعظم ما يكون ، كصراخ الحير ، فإذا قبضها عزرائيل ناولها زانية قباح الوجوه ، سود الثياب منتنو الرايحة بأيديهم مسوح من شعر فيلقونها فيستحيل شخصاً إنسانياً على قدر الجرادة ، فإن الكافر أعظم جرماً من المؤمن ، يعني في الجسم في الآخرة ، وفي الصحيح أن ضرس الكافر في النار ، مثل أحد ، فيعرج به حتى ينتهي إلى سماء الدنيا ، فيقرع الأمين الباب ، فيقال : من أنت ؟ فيقول : أنا دقيانيل لأن اسم الملك الموكل على زبانية العذاب دقيانيل ، فيقال : من معك ؟ فيقول : فلان ابن فلان بأقبح أسمائه وأبغضها إليه في دار الدنيا ، فيقال (٢) لا أهلاً ولا سهلاً ، ولا مرحباً ، ولا يفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة ، فإذا سمع الأمين هذه المقالة ، طرحه من يده ، فيهوى به الريح في مكان سحيق ، أي : بعيد ، وهو (٢) ولا سهلاً ولا تفتح لهم أبواب السماء لقوله تعالى ولا تفتح لهم أبواب السماء الآية

عوله عز وجل : (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) ، فإذا انتهى إلى الأرض ابتدرته الزبانية ، وسارت به إلى سجين ، وهي صخرة عظيمة تأوى إليها أرواح الفجار . وأما النصارى واليهود ، فمردودون من الكرسي إلى قبورهم . هذا من كان منهم على شريعتهم ، ويشاهد غسله ودفنه .

وأما المشرك فلا يشاهد شيئاً من ذلك ، لأنه قد هوى به .

وأما المنافق فثالث الثاني يرد بمقوتنا مطرودا إلى حضرة .

وأما المقصرون المؤمنون فتختلف أنواعهم ، فمنهم من ترده صلاته ، لأن العبد إذا قصر في صلاته سارقاً لها ، تلف كما يلف الثوب الخلق ، ويضرب بها وجهه . ثم تعرج وتقول : ضيعك الله كما ضيعتني ، ومنهم من يرد بزكاته لأنه إنما يزكى ليقال : فلان متصدق ، وربما وضعها عند النساء ، ولقد رأينا عاقبانا الله بما حل به ، ومن الناس من يرد صومه ، لأنه صام عن الطعام ولم يصم عن الكلام فهو رفث وخسران ، فيخرج الشهر وقد يهرجه ، ومن الناس من يرد حجه ، لأنه إنما حج ليقال فلان حج ، أو يكون حج بمال خبيث ، ومن الناس من يرد العقوق ، وسائر أحوال البر كلها ، لا يعرفها إلا العلماء بأسرار المعاملات ، وتخليص العمل الذي للملك الوهاب ، فكل هذه المعاني جاءت بها الآثار والأخبار ، كالخبر الذي رواه معاذ بن جبل رضى الله عنه في رد الأعمال وغيره ، فإذا ردت النفس إلى الجسد ووجدته قد أخذ في غسله إن كان قد غسل فتعبد عند رأسه حتى يغسل فإذا أدرج الميت في أكفانه صارت ملتصقة بالصدر من خارج الصدر ، ولها خوار وعجيج تقوا : أسرعوا بي ، إلى رحمة الله أي رحمة لو تعلمون ما أنتم حاملون إليه ، وإن كان يبشر بالشقاء تقول : رويدا إلى أي عذاب لو تعلمون ما أنتم حاملون إليه ، فإذا أدخل القبر وهيل عليه التراب ناداه القبر : كنت تفرح على ظهري ، قال يوم تمحن في بطني كنت تأكل الأثران على ظهري ، قالت يا أكلك اليهود في بطني ،

ويكثر عليه مثل هذه الألفاظ الموبخة حتى يسوى عليه التراب ثم يناديه ملك يقال له رومان ، وهو أول ما يلقى الميت إذا دخل قبره على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى والله أعلم بغيبه وأحكامه

باب كيفية التوفى للموتى

واختلاف أحوالهم في ذلك ذكر الله التوفى في كتابه مجملا ومفصلا ، فقال الله تعالى : (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) ، وقال : (قل بتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم) ، وقال : (توفته رسلا وهم لا يفرطون) ، وقال : (الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) ، فهذا كله مجمل ، وقد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، وقال : (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا والملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) ، وقال : (فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) ، وهذا مخصوص بمن قتل من الكفار يوم بدر باتفاق أهل التأويل . فيما قاله بعض علمائنا وقد ذكر المهدوى وغيره في ذلك اختلافا ، وأن الكفار حتى الآن يتوفون بالضرب والهوان والله أعلم .

وروى مسلم في حديث فيه طول قال أبو زميل غدثنى ابن عباس ، قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة السوط وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه نحر مستلقيا فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه لضربة السوط فأخضر ذلك أجمع فجاء الأنصارى لحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صدقت ذلك من مدد السماء الثانية فقتلوا يومئذ سبعين وأسرو سبعين وذكر الحديث .

وقال تعالى : (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم) أى بالعذاب أخرجوا أنفسكم إلى قوله يستكبرون وقد زادت السنة هذا النوع بيانا على ما يأتي

(فصل) إن قال قائل : كيف الجمع بين هذه الآى وكيف يقبض ملك الموت

في زمن واحد أرواح من يموت بالشرق والمغرب؟ قيل له: اعلم أن التوفى مأخوذ من توفيت الدين واستوفيته إذا قبضته ولم يدع منه شيئاً فتارة يضاف إلى ملك الموت لمباشرته ذلك وتارة إلى أعوانه من الملائكة لأنهم قد يتولون ذلك أيضاً وتارة إلى الله تعالى وهو المتوفى على الحقيقة كما قال عز وجل (الله يتوفى الأنفس حين موتها) وقال (وهو الذي يحييكم ثم يميتكم) وقال (الذي خلق الموت والحياة فكل أمور من الملائكة فإنما يفعل ما يفعل بأمره) .

وقال الكلبي: يقبض ملك الموت الروح من الجسد ثم يسلمها إلى ملائكة الرحمة إن كان مؤمناً وإلى ملائكة العذاب إن كان كافراً. وهذا المعنى منصوص في حديث البراء وسياق .

وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم إن ملك الموت لهيب بالأرواح كما يهيب أحدكم بفلوه أو فضيله ألا هم ألا هم، يهيب يدعو، يقال: أهاب الرجل بغنمه أي صاح بها لتقف أو لترجع وأهاب بالبعير .

قال طرفة يصف ناقته :

ترجع إلى صوت المهيب وتتنقى بندى خصل روعات أكلب ملبدى

وقال العتال الكلبي :

أهابوا به فازداد بعداً وصدده عن القرب منهم ضوء برق ووابله

يعنى نصل السهم .

فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه يدعو الأرواح التي يتوفاها الله ويقبضها .

وفي الخبر أن ملك الموت جالس وبين يديه صحيفة يكتب فيها في ليلة النصف من شعبان وهي الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم من الأرزاق والآجال فيقول بعض العلماء عكرمة وغيره والصحيح أن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم ليلة القدر من شهر رمضان، وهو قول قتادة والحسن وبجاهد وغيرهم، يدل عليه قوله تعالى: (حم والكتاب المبين إنا أنزلناه في ليلة مباركة) يعني القرآن يعني ليلة القدر وهذا بين .

وقال ابن عباس: إن الله يقضى الأفضية في ليلة النصف من شعبان ويسلبها إلى أربابها في ليلة القدر، وكان هذا جمع بين التولين والله أعلم فإذا انقضى عمر ذلك للشخص الذي حان قبض روحه سقطت ورقة من سدرة المنتهى التي فيها اسمه على اسمه في الصحيفة فعرف أن قد فرغ أجله وانقطع أكله.

وفي الخبر أن ملك الموت نحت العرش يسقط عليه صحائف من يموت من تحت العرش، الصحف هنا ورق السدرة والله أعلم.

وكما في الخبر قبله: فإذا نظر إلى الإنسان قد نفذ رزقه وانقطع أكله ألقى عليه سكرات الموت فنشيت كرباه وأدركته سكراته.

وفي خبر الإسراء عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: مررت على ملك آخر جالس على كرسي إذا جميع الدنيا ومن فيها بين ركبتيه ويده لوح مكتوب فيه، لا يلتفت عنه يمينا ولا شمالا فقلت يا جبريل من هذا؟ قال: هذا ملك الموت فقلت: يا ملك الموت كيف تقدر على قبض جميع أرواح من في الأرض برها وبحرها، قال: ألا ترى أن الدنيا كلها بين ركبتي وجميع الخلائق بين عيني ويدي يبلغان المشرق والمغرب فإذا نفذ أجل عبد نظرت إليه فإذا نظرت إليه عرف أعوانى من الملائكة أنه مقبوض غدوا فبطشوا به يعالجون نزع روحه فإذا بلغوا بالروح الخلقوم علت ذلك فلم يخف على شيء من أمره مددت يدي فأزرعه من جسده وإلى قبضه.

وفي الخبر أنه ينزل عليه أربعة من الملائكة: ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه اليسرى وملك يجذبها من يده اليمنى وملك يجذبها من يده اليسرى ذكره أبو حامد.

وقال: وربما كشف للميت عن الأمر المملوكوتى قبل أن يفرغ فيعابن الملائكة على حقيقة عمله وعلى ما يتحيزون إليه من عالمهم، فإن كان لسانه منطلقا حدث بوجودهم، وربما أعاد على نفسه الحديث بما رأى وظن أن ذلك من فعل الشيطان به، فيسكت حين يعقل لسانه وهم يحذونها من أطراف البنان ورءوس الأصابع والنفس تنسل انسلال القداة من السقا.

والفاجر تسل روحه كالسفود من الصوف المبلول هكذا حكى صاحب الشرع عليه السلام ، والميت يظن أن بطنه مائت شوكا كأنما نفسه تخرج من ثقب إبرة وكان السماء انطبقت على الأرض وهو بينهما فإذا احتضرت نفسه إلى القلب مات لسانه عن النطق فما أحد ينطق ، والنفس بمجموعة في صدره لسرين أحدهما أن الأمر عظيم قد ضاق صدره بالنفس المجتمعمة فيه ، ألا ترى أن الإنسان إذ أصابته ضربة في الصدر بقي مدهوشا ، فتارة لا يقدر على الكلام ، وكل مطعون يطعن بصوت إلا مطعون الصدر فإنه يخرج ميتا من غير تصويت .

وأما السر الآخر فلأن الذي فيه حركة الصوت المندفعة من الحرارة الغريزية فصار نفسه متغير الحالتين ، حال الارتفاع والبرودة ، لأنه فقد الحرارة ، فعند هذا الخبر تختلف أحوال الموتى ، فمنهم من يطأه الملك حينئذ بحربة مسمومة قد سفيت سما من نار فتنفخ الروح وتفيض خارجة فيأخذها في يده وهي ترعد أشبه شيء بالزئبق على قدر الجراة شخصاً إنسانياً ، ثم يناولها الزبانية .

ومن الموتى من تجذب نفسه رويدا حتى تنحصر في الحنجرة وليس يبقى في الحنجرة إلا شعبة متصلة بالقلب حينئذ يطعن بها بتلك الحربة الموصوفة .
قال الشيخ المؤلف رحمه الله : لم أجد لهذه الحربة في الأخبار ذكر إلا ما ذكره أبو نعيم الحافظ .

قال : حدثنا أحمد بن عبد الله بن محمود قال : حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى قال : حدثنا سلة بن شبيب ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم . قال : حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال : إن لملك الموت عليه السلام حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب فإذا انقضى أجل عبد من الدنيا ضرب رأسه بتلك الحربة وقال : الآن يزار بك عسكر الأموات .

وروى سليمان بن مهران الكلابي قال : حضرت مالك بن أنس وأتاه رجل فسأله يا أبا عبد الله البراعيث أملك الموت يقبض أرواحها؟ فأطرق مالك طويلا ثم قال : لها نفس؟ قال : نعم ، قال : ملك الموت يقبض أرواحها (الله يتوفى الأنفس حين موتها) ذكره الخطيب أبو بكر رحمه الله .

باب ماجاء في صفة ملك الموت

عند قبض روح المؤمن والكافر

قال علي بن ابي طالب رحمه الله : وأما مشاهدة ملك الموت عليه السلام وما يدخل على القلب منه من الروح والفرع فهو أمر لا يعبر عنه لعظم هوله وفضاعة رؤيته ، ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الذي يقبض له ويطلع عليه وإنما هي أمثال تضرب وحكايات تروى .
روى عن عكرمة أنه قال : رأيت في بعض صحف شيك أن آدم عليه السلام قال : يارب أرني ملك الموت حتى أنظر إليه ، فأوحى الله تعالى إليه : إن له صفات لا تقدر على النظر إليها وسأزله عليك في الصورة التي يأتي فيها الأنبياء والمصطفين فأزل الله عليه جبريل وميكائيل وأتاه ملك الموت في صورة كبش أملح قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح ، منها جناح جاوز السموات وجناح جاوز الأرضين وجناح جاوز أقصى المشرق وجناح جاوز أقصى المغرب ، وإذا بين يديه الأرض بما اشتملت عليه من الجبال والسهول والفياض والجن والإنس والدواب وما أحاط بها من البحار وما علاها من الأجواء في ثفره نجرة كالخردلة في فلاة من الأرض ، وإذا له عيون لا يفتحها إلا في مواضع فتحها وأجنحة لا ينشرها إلا في مواضع نشرها ، وأجنحة للبشرى ينشرها للمصطفين وأجنحة للكفار فيها سفاقيد وكلايب ومقاريض ، فصعق آدم صعقة لبث فيها إلى مثل تلك الساعة من اليوم السابع ثم أفاق وكان في عروقه الزعفران . ذكر هذا الخبر ابن ظفر الواعظ المكنى أبو هاشم محمد بن محمد في كتاب النصائح .

وروى عن ابن عباس أن إبراهيم خليل الرحمن سأل ملك الموت أن يريه كيف يقبض روح المؤمن فقال له : اصرف وجهك عنى فصرف ، ثم نظر إليه فرآه في صورة شاب حسن الصورة حسن الثياب طيب الرائحة حسن البشر فقال له : والله لو لم يلق المؤمن من السرور شيئاً سوى وجهك كفاه ثم قال له : أرني كيف تقبض روح الكافر فقال له : لا تطيق ذلك قال : بلى أرني ، قال : اصرف وجهك عنى فصرف وجهه عنه ثم نظر إليه فإذا صورة إنسان أسود (م ٥ - تذكرة)

رجلاه في الأرض ورأسه في السماء كأقبح ما أنت راء من الصور . تحت كل شعرة من جسده لهيب نار، فقال له والله لو لم يلق الكافر سوى نظرة إلى شخصك لكفاه .
وجهك وشخصك
قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وسيأتي هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الملائكة في حديث البراء وغيره إن شاء الله تعالى .

وقال ابن عباس أيضاً: كان إبراهيم عليه السلام رجلاً غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا هو برجل في جوف البيت فقال : من أدخلك داري ؟ فقال : أدخلنيها ربها، قال إبراهيم : أنار بها، قال : أدخلنيها من هو أملك بها منك ، قال : فمن أنت من الملائكة ؟ قال : أنا ملك الموت . قال تستطيع أن تربني الصورة التي قبض فيها روح المؤمن ؟ قال : نعم ، ثم التفت إبراهيم فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب رائحته فقال : يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبه ثم قبض روحه صلى الله عليه وسلم .

(فصل) قال علماؤنا : لا يتعجب من كون ملك الموت يرى على صورتين لشخصين، فما ذلك إلا مثل ما يصيب الإنسان بتغير الخلق في الصحة والمرض والصغر والكبر والشباب والهرم، وكصفاء اللون بملازمة الحمام وشحوبه الوجه بتغير اللون بفتح الهواجر في السفر، غير أن قضية الملائكة عليهم السلام يجرى ذلك منهم في اليوم الواحد والساعة الواحدة ، وإن لم يجر هذا على الإنسان إلا في الأوقات المتباعدة والسنين المتطاولة ، وهذا بين فتأمله .

باب ما جاء أن ملك الموت عليه السلام هو القابض لأرواح الخلق

وأنه يقف على كل بيت في كل يوم خمس مرات وعلى كل ذي روح كل ساعة وأنه ينظر في وجوه العباد كل يوم سبعين نظرة

قال الله تعالى : (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) .

(١) وروى ابن عمر قال : إذا قبض ملك الموت روح المؤمن قام على عتبة الباب ولاهل البيت ضجة فثم الصاكة وجهها ومنهم الناشرة شعرها ومنهم الغامضة

(١) وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما

بويلها ، فيقول ملك الموت عليه السلام : فيم هذا الجزع فوالله ما أنقصت لأحد منكم عمرا ولا ذهبت لأحد منكم برزق ولا ظلمت لأحد منكم شيئا ، فإن كانت شكايتكم وسخطكم على قاضي والله مأمور ، وإن كان ذلك على ميتكم فإنه في ذلك مقهور . وإن كان ذلك على ربكم فأنتم كفرة وإن لي فيكم عودة ثم عودة ، فلو أنهم يرون مكانه أو يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم : خرجه أبو مطيع مكحول بن الفضل النسفي في كتاب التوثيق له .

وروى معناه مرفوعا في الخبر المشهور المروي في الأربعين عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من بيت إلا وملك الموت يقف على بابه في كل يوم خمس مرات ، فإذا وجد الإنسان قد نفذ أكله وانقطع أجله ألقى عليه غمرات الموت فغشيت كرباتاه وغمرته غمراته ، فمن أهل بيته الناشرة شعرها والضاربة وجهها والباكية لشجوها والصارخة بويلها ، فيقول ملك الموت عليه السلام : ويلكم مم الجزع ومم الجزع ؟ ما ذهبت لأحد منكم رزقا ولا قربت له أجلا وإن لي فيكم عودة ثم عودة حتى لأبقي منكم أحدا .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم حتى إذا حمل الميت على النعش رفرفت روحه فوق النعش وهو ينادي : يا أهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي ، جمعت المال من حله ومن غير حله ثم خلفته لغيري فالمهناة له والتبعة على فاحذروا ما حل بي .

وروى جعفر بن محمد عن أبيه قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : ارفق بصاحبي فإنه مؤمن ، فقال ملك الموت عليه السلام : يا محمد طب نفسا وقر عينا فإني بكل مؤمن رفيق ، واعلم أن ما من أهل بيت مدر ولا شعر في بر ولا بحر ، إلا وأنا أتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى لأنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم لأنفسهم ، والله يا محمد لو أني أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الأمر بقبضها .

قال جعفر بن محمد: بلغني أنه يتصفحهم عند مواقيت الصلاة ذكره الماوردي
قال الشيخ المؤلف رحمه الله: وفي هذا الخبر ما يدل على أن ملك الموت هو
الموكل بقبض كل ذي روح، وأن تصرفه كله بأمر الله عز وجل وبخلقه واختراعه.

قال ابن عطية: وروى في الحديث أن البهائم كلها يتوفى الله أرواحها دون ملك
الموت كأنه يعدم حياتها قال: وكذلك الأمر في بني آدم إلا أنه نوع شرف بتصرف
ملك الموت وملائكته معه في قبض أرواحهم، فخلق الله ملك الموت وخلق على يديه
قبض الأرواح وانسلاها من الأجسام وإخراجها منه وخلق جندا يكونون معه
يعملون عمله بأمره.

فقال تعالى: (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة).

وقال تعالى: (توفته رسلنا) والباري سبحانه خالق الكل الفاعل حقيقة لكل فعل
قال الله تعالى: (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها). (الذي
خلق الموت والحياة). (يحيي ويميت). فلك الموت يقبض الأرواح والأعوان
يعالجون، والله يزهرق الروح. وهذا هو الجمع بين الآي والحديث، لكنه لما
كان ملك الموت متولى ذلك بالوساطة والمباشرة أضيف التوفى إليه كما أضيف
الخلق للملك.

قال الشيخ المؤلف رحمه الله: كافي حديث ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين
يوماً، ثم يكون علقه مثل ذلك، ثم يكون مضغاً مثل ذلك ثم يرسل الله الملك فينفخ
فيه الروح) الحديث أخرجه مسلم وغيره.

وقوله: يجمع خلقه في بطن أمه. قد جاء مفسراً عن ابن مسعود، رواه الأعمش
عن خيشمة.

قال: قال عبد الله: إن النطفة إذا وقعت في الرحم فأراد الله سبحانه أن يخلق
منها بشراً طارت في بشر المرأة تحت كل ظفر وشعر، ثم تمكث أربعين ليلة، ثم
تنزل دماً في الرحم فذلك جمعها.

وفي صحيح مسلم أيضاً : عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا مر بالنطفة ثنتان ورابعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها^(١) وشعرها وجلدها ولحمها وعظامها . ثم يقول : أي رب أذكر أم أنثى . وذكر الحديث وما قبله يفسره ويبينه ، لأن النطفة لا يبعث الملك إليها إلا بتام ثنتين وأربعين ليلة فتأمله . ونسبة الخلق والتصوير للملك نسبة مجازية لاحتمالية ، وإنما صدر عنه فعل ما في المضغة كان عنه التصوير والتشكيل بقدره الله تعالى وخلقها واختراعه . ألا تراه سبحانه وتعالى قد أضاف إليه الخلق الحقيقي . وقطع عنها نسب جميع الخليفة . فقال تعالى : (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) إلى غير ذلك من الآيات . مع ما دللت عليه قاطعات البراهين إذ لا تعاقب لشيء من المخلوقات إلا رب العالمين . وهكذا القول في قوله : ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح أي أن النفخ فيه سبب يخلق الله فيه الروح والحياة . وكذلك القول في سائر الأسباب المعتادة فإنه بإحداث الله تعالى لا يغيره فتأمل ذلك هذا هو الأجل وتمسك به في النجاة . من مذاهب أهل الضلال^(٢) والطبائع وغيرهم ، وأن الله هو القابض لأرواح جميع الخلق على الصحيح وأن ملك الموت وأعوانه وسائط . وقد سئل مالك بن أنس عن البراغيث أملك الموت يقبض أرواحها ؟ فأطرق ملياً ثم قال : أها نفس ؟ قال نعم قال ملك الموت يقبض أرواحها (الله يتوفى الأنفس حين موتها) .

وفي الخبر : أن ملك الموت وملك الحياة تناظرا فقال ملك الموت : أنا أميت الأحياء . وقال ملك الحياة : أنا أحيي الموتى . فأوحى الله إليهما : كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع . وأنا المميت والمحيي لا يميت ولا يحيي سواي : ذكره أبو حامد في الإحياء .

وذكر أبو نعيم الحافظ عن ثابت البناني قال : الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة تأتي على ذي روح إلا وملك الموت قائم عليها ، فإن أمر يقبضها قبضها وإلا ذهب ، وهذا عام في كل ذي روح .

وفي خبر الإسراء عن ابن عباس فقلت : يا ملك الموت كيف تقدر على قبض أرواح جميع من في الأرض برها وبحرها : الحديث وقد تقدم .

(١) سمعها وبصرها وشعرها (٢) أهل الضلال والقائلين بالطبائع

وروى أبو هدية إبراهيم بن هدية قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن ملك الموت لينظر في رجوه العباد كل يوم سبعين نظرة قال : إذا ضحك العبد الذي بعث إليه قال : يقول عجا بعثت إليه لأقبض روحه وهو يضحك والله أعلم

باب ماجاء في سبب قبض ملك الموت لأرواح الخلق

روى الزهري ووهب بن منبه وغيرهما ما معناه : إن الله أرسل جبريل ليأتي من تربة الأرض فأتاها ليأخذ منها فاستعادت بالله من ذلك فأعادها ، فأرسل ميكائيل فاستعادت منه فأعادها فبعث عزرائيل فاستعادت منه فلم يعدها فأخذ منها ، فقال الرب تبارك وتعالى أما فاستعادت بي منك قال : نعم قال : فهلا رحمتها كما رحمتها صاحبك ؟ قال : يارب طاعتك أوجب علي من رحمتي إياها . قال الله عز وجل : اذهب فأنت ملك الموت سلطتك على قبض أرواحهم فيك . فقال : ما يبكيك ؟ فقال يارب إنك تخلق من هذا الخلق أنبياء وأصفياء ومرسلين وإنك لم تخلق خالقا أكره إليهم من الموت ، فإذا عرفوني أبغضوني وشتموني .

قال الله تعالى : إني سأجعل للموت عللا وأسبابا ينسبون الموت إليها ولا يذكرونك معها ، تخلق الله الأوجاع وسائر الخوف .

وقد روى هذا الخبر عن ابن عباس ، قال : رفعت تربة آدم من ستة أرضين وأكثرها من السادسة ولم يكن فيها من الأرض السابعة شيء ، لأن فيها نار جهنم قال : فلما أتى ملك الموت بالتربة قال له ربه : أما استعادت بي منك ، الحديث بلفظه ومعناه ذكره القتيبي وزاد فقالت الأرض : يارب خلقت السماوات فلم تنقص منها شيئا وخلقته فنقصته .

فقال لها الرب : وعزتي وجلالي لأعيدنهم إليك برم وفاجرهم ، فقالت : وعزتك لأنقصن من عصاك .

قال : ثم دعا بمياه الأرض ما حلها وعذبها وحلواها ومزها وطيبها ومنتها فخلق منه تربة آدم ، فأقام يخمره أربعين صباحا ، وقال آخرون : أربعين سنة لم ينفخ فيه

الروح ، فكانت الملائكة تمر به فيقفون ينظرون إليه ، ويقول بعضهم لبعض : إن ربنا لم يخلق خلقاً أحسن من هذا وإنه خالق لأمر كائن ويمر به إبليس اللعين فيضرب يده عليه فيسمع له صلصلة ، وهو الصلصال الفخار ، فقال إبليس : إن فضل هذا علي لم أطعه ، وإن فضات عليه أهلكته ، هذا من طين وأنا من نار .

وقد قيل : إن الذي أتى بترية الأرض إبليس وإن الله بعثه بعد ملكين ، **فاستغاث بالله منه** ، فقالت : إني أعوذ بالله منك ، ثم أخذ منها وصعد إلى ربه فقال : ألم تستعذ بي منك ؟ فقال : بلى يا رب ، فقال الله عز وجل : وعزتي لأخلقن مما جنت يداك خلقاً **يسوءك والله أعلم**

باب ما جاء أن الروح إذا قبض تبعه البصر

ابن ماجه ، عن أم سلية ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سلية ، وقد شق بصره فأغمضه ، ثم قال : إن الروح إذا قبض تبعه البصر . خروجه مسلم أكمل من هذا وقد تقدم .

وروى مسلم عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره ، قالوا بلى ، قال : فذلك حين يتبع بصره نفسه ، وفي غير الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أن الميت أول ما يشق بصره لرؤية المعراج وهو سلم بين السماء والأرض من زمردة خضراء أحسن ما رئي قط ، فذلك حين **يعد بصره إليه** .

(فصل) في قوله : إن الروح إذا قبض تبعه البصر ، وقوله : فذلك حين يتبع بصره . نفسه ما يستغنى به عن قول كل قائل في الروح والنفس ، وانهما اسمان لمسمى واحد ، وسيأتي لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

باب ما جاء في تزاور الاموات في قبورهم

واستحسان الكفن لذلك

مسلم عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا كفن أحدكم أعاه فليحسن كفته .

وخرج أبو نصر عبد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي السجستاني الحافظ في كتاب الانابة عن مذهب السلف الصالح في القرآن وإزالة شبه الزائغين بواضح البرهان .
أخبرنا هبة الله بن إبراهيم بن عمر قال : حدثنا ابن الحسن بن بندار قال :
أبو عمرو حدثنا قال حدثنا محمد بن المصنف قال : حدثنا معاوية قال حدثنا إبراهيم بن معاوية عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يتباهون ويتزاورون في قبورهم) .
وقال ابن المبارك : أحب إلى أن يكفن في ثيابه التي كان يصلي فيها .

باب الإسراع بالجنائز وكلامها

البخاري عن أبي سعيد الخدري : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول :
(إذا وضعت الجنائز واحتملها الرجال على أعناقهم . فإن كانت سالحة قالت :
قدموني قدموني . وإن كانت غير سالحة قالت : يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها
كل شيء إلا الإنسان ولو سمعه صعق) وقد تقدم من حديث أنس أنها تقول :
يا أهلي ويا ولدي .. الحديث .

البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أسرعوا بالجنائز
فإن تك سالحة فخير تقدمونها إليه . وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم)
أخرجه مسلم أيضاً .

(فصل) : صعق مات . والإسراع قيل معناه : الإسراع بحملها إلى قبرها في المشي
وقيل : تجهيزها بعد موتها لتلا تغير ، والأول أظهر لما رواه النسائي . قال :

أخبرنا محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا خالد قال : حدثنا عيينة بن عبد الرحمن قال حدثني أبي قال : شهدت جنازة عبد الرحمن بن سمرة وخرج زياد يمشي بين يدي السرير ، فجعل رجال من أهل عبد الرحمن ومواليهم يستقبلون السرير ويمشون على أعقابهم ويقولون : رويداً رويداً بارك الله فيكم . فكانوا يدبون حتى إذا كنا ببعض الطريق لحقنا أبو بكره رضي الله عنه يمشي على بغلة . فلما رأى الذين يصنعون حمل عليهم ببغلاته وأهوى عليهم بالسوط . فقال : خلوا فوالذي كرم وجهه أبي القاسم لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا لتكاد نرمل بهارملاً . فانبسط القوم . صححه أبو محمد عبد الحق .

وروى أبو داود من حديث أبي ماجدة عن ابن مسعود قال : سألتنا نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم عن المشي مع الجنازة . فقال (دون الخشب إن يكن خيراً تعجل إليه وإن يكن غير ذلك فبعدا لأهل النار) ذكره أبو عمر بن عبد البر .

وقال : والذي عليه جماعة أهل العلم في ذلك الإسراع فوق السجية والعجلة أحب إليهم من الإبطاء ، ويكره الإسراع الذي يشق على ضعفة من يتبعها . وقال إبراهيم النخعي : نصوا بها قليلاً ولا تندبوا ديبب اليهود والنصارى . السجية العادة .

باب بسط الثوب على القبر عند الدفن

أبو هذبة إبراهيم بن هذبة قال : حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبع جنازة ، فلما صلى عليها دعى بثوب فبسط على القبر وهو يقول : لا تتطلعوا في القبر فإنها أمانة فلعن من يلمس محل العقدة فيرى حية سوداء متطوقة في عنقه فإنها أمانة ولعله يؤمر به فيتسمع صوت السلسلة .

وذكر عبد الرازق عن ابن جريج عن الشعبي عن رجل أن سعد بن مالك ، قال : أمر النبي صلى الله عليه وسلم بثوب فستر على القبر حين دفن سعد بن معاذ ، قال : وقال سعد : إن النبي صلى الله عليه وسلم نزل في قبر سعد بن معاذ وستر على القبر بثوب فكنت فيمن أمسك الثوب .

(فصل) اختلف العلماء في هذا الباب ، فكان عبد الله بن يزيد وشريح وأحمد

ابن حنبل يكرهون مد الثوب على الرجل ، وكان احمد واسحاق يختاران أن يفعل ذلك بقبر المرأة ، وكذلك قال أصحاب الرأي ، ولا يضر عندهم أن يفعلوا ذلك بقبر الرجل .

وقال أبو ثور: لا بأس بذلك في قبر الرجل والمرأة . وكذلك قال الإمام الشافعي وستر المرأة عند ذلك كما من ستر الرجل ، ذكره ابن المنذر .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ويستر الرجل والمرأة للعلة التي جاءت في حديث أنس اقتداء بفعله عليه السلام في ستر سعد بن معاذ والله أعلم .

ولقد أخبرني صاحبنا أبو عبد الله محمد بن أحمد القصري رحمه الله أنه توفي بعض الولاة بقسطنطينة فحفر له ، فلما فرغوا من الحفر وأرادوا أن يدخلوا الميت القبر إذا بحية سوداء داخل القبر فهابوا أن يدخلوه فيه فحفروا له قبرا آخر ، فلما أرادوا أن يدخلوه إذا بتلك الحية فيه ، فلم يزالوا يحفرون له نحواً من ثلاثين قبرا وإذا بتلك الحية تهرض لهم في القبر الذي يريدون أن يدفنوه فيه . فبدأ أعيانهم ذلك سألوا : ما يصنعون ؟ فقيل لهم : ادفنوه معها نأل الله السلامة والستر في الدنيا والآخرة .

باب ما جاء في قراءة القرآن عند القبر حالة الدفن وبعده

وأنه يضل إلى الميت ثواب ما يقرأ ويدعى ويستغفر له ويتصدق عليه ذكره أبو حامد في كتاب الأحياء وأبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة له .

قال محمد بن أحمد المرورودي سمعت أحمد بن حنبل يقول : إذا دخلتم المقابر فافرموا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد واجعلوا ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم .

وقال علي بن موسى الحداد : كنت مع أحمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري يقرأ ، فلما دفنا الميت جاء رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له أحمد : يا هذا إن القراءة على القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد : يا أبا عبد الله : ما تقول في مبشر بن اسماعيل . قال : ثقة ؟ قال : هل كتبت عنه شيئا ؟ قال : نعم . قال : أخبرني مبشر بن اسماعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن الحجاج

عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه بفاتحة البقرة وخاتمتها، وقال: سمعت ابن عمر يوصي بذلك .

قال أحمد : فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله: وقد استدل بعض علمائنا على قراءة القرآن بحديث العيب الرطب الذي شقه النبي صلى الله عليه وسلم بأثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال العله أن يخفف عنهما ما لم يبسا. خرجه البخاري ومسلم .

(۱) وفي مسند الطيالسي: فوضع على أحدهما نصفاً وعلى الآخر نصفاً وقال: إنه يهون عنهما ما دام فيهما من بلولتهما شيء، قالوا: ويستفاد من هذا غرس الأشجار وقراءة القرآن على القبور وإذا خفف عنهم بالأشجار فكيف بقراءة الرجل المؤمن القرآن؟

وقد خرج السلفي من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مر على المقابر وقرأ قل هو الله أحد إحدى عشرة مرة ثم وهب أجره للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات .

وقال الحسن من دخل المقابر فقال: اللهم رب الأجساد البالية والعظام الناخرة خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة فأدخل عليها روحاً منك وسلاماً مني إلا كتب له بعدد حسنات .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس أنه، قال: خير الناس وخير من يمشي على جديد الأرض المعلنون، كلما أخلق الدين جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم فتخرجوهم، فإن المعلم إذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة للمعلم وبراءة لأبويه من النار ذكره الثعلبي .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله: أصل هذا الباب الصدقة التي لا اختلاف فيها فكما يصل للاميت ثوابها فكذلك تصل قراءة القرآن والدعاء والاستغفار إذ كل ذلك صدقة فإن الصدقة لا تخصص بالمال .

قال صلى الله عليه وسلم: وقد سئل عن قصر الصلاة في حالة الأمن فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته .

وقال عليه السلام يصبح على كل سلامي من أحدكم صدقة فإن كل تسبيحة صدقة .

(۱) وفي مسند أبوداود الطيالسي

وكل نهي عن المنكر صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ويجزى عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى ، ولهذا استحب العلماء زيارة القبور لأن القراءة تحفة الميت من زائره .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما الميت في قبره إلا كالغريق المغموث ينتظر دعوة تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها ، وإن هدايا الأحياء للاموات المناء والاستغفار .

وقد حكى أن امرأة جاءت إلى الحسن البصرى رحمه الله فقالت : إن ابنتى ماتت وقد أحببت أن أراها في المنام فعلمت صلاة أصليها لعل أراها فعلها صلاة فرأت ابنتها وعليها لباس القطران والغل في عنقها والقيد في رجلها فارتاعت لذلك فأعلت الحسن فاغتم عليها ، فلم تمض مدة حتى رآها الحسن في المنام وهي في الجنة على سرير وعلى رأسها تاج . فقالت له يا شيخ : أما تعرفنى ؟ قال : لا ، قالت له : أنا تلك المرأة التى علقت أمى الصلاة فرأتى في المنام قال لها فاسبب أمرك ؟ قالت : مر بمقبرتنا رجل فصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وكان في المقبرة خمسمائة وستون إنسانا في العذاب فتودى : ارفضوا العذاب عنهم ببركة صلاة هذا الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال بعضهم : مات أخ لى فرأيت فى المنام فقلت : ما كان حالك حين وضعت فى قبرك ؟ قال : أتانى آت شهاب من نار فلو لا أن داعيا دعانى لرأيت أنه سيضربنى به . والحكايات عن الصالحين بهذا المعنى كثيرة ، ذكرها أبو محمد عبدالحق فى كتاب العاقبة له . وقد ذكر فى هذا المعنى أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رضى الله عنه فى كتاب عيون الأخبار له حكاية فيها طول ، رأينا ذكرها لاشتمالها على وعظ وتذكير وتخويف وتحذير وتضرع وابتهاال ودعاء بالموت والإنتقال .

روى عن الجرحى بن نهان أنه قال : كنت أخرج إلى الجبانات فأرحم على أهل القبور وأفكر وأعتبر وأنظر إليهم سكوتاً لا يتكلمون وجيراناً لا يتزاوون ، وقد صار لهم من بطن الأرض وطء ومن ظهرها غطاء وأنادى : يا أهل القبور بحيث من الدنيا آثاركم ، وما بحيث عنكم أوزاركم ، وسكنتم داراً

فتورمت أقدامكم قال : ثم يبكي بكاء شديداً ثم يميل إلى قبة فيها قبر
فينا في ظلها .

قال : فبينما أنا نائم إلى جانب القبر إذ أنا بحس مقعة يضرب بها صاحب
القبر وأنا أنظر إليه والسلسلة في عنقه ، وقد ازرق عيناؤه واسود وجهه وهو
يقول : ياويلي ماذا حل بي لورآني أهل الدنيا ماركبوا معاصي الله أبداً . طولبت
والله باللذات فأوبقتني وبالخطايا فأغرقتني فهل من شافع لي أو يخبر أهلي بأمرى ؟ !

قال الحارث : فاستيقظت مرعوباً وكاد أن يخرج قلبي من هول ما رأيت ، فضيت
إلى داري وبت ليلي وأنا متفكر فيما رأيت ، فلما أصبحت قات دعني أعود إلى
الموضع الذي كنت فيه لعل أجد به أحداً من زوار القبور فأعلمه بالذي رأيت .
قال : فضيت إلى المكان الذي كنت فيه بالأمس فلم أر أحداً فأخذني النوم
فمت ، فإذا أنا بصاحب القبر وهو يسحب علي وجهه ويقول : ياويلتنا ماذا
حل بي بساء في الدنيا على طال فيها أجلى حتى غضب على رب الأرباب ؛ فالويل لي
إن لم يرحمني ربي .

قال الحارث : فاستيقظت وقد توله عقلي بما رأيت وسمعت ، فشيت إلى داري
وبت ليلي فلما أصبحت أتيت القبر لعل أجد أحداً من زوار القبور فأعلمه بما
رأيت ثم نمت فإذا أنا بصاحب القبر قد قرن بين قدميه وهو يقول : ما أغفل أهل
الدنيا عني ، ضوعف على العذاب وتقطعت عني الحيل والأسباب وغضب على رب
الأرباب وغلق في وجهي كل باب ، فالويل لي إن لم يرحمني ربي العزيز الوهاب .

قال الحارث : فاستيقظت من منامي مرعوباً وهممت بالانصراف فإذا بثلاث
جوار قد أقبلن فتبا عدت لمن عن القبر وتواريت لكي أسمع كلامهن ، فتقدمت
الصغرى ووقفت على القبر وقالت : السلام عليك يا أبتاه كيف هددوك في مضجعك
وكيف فرارك في موضعك ذهبت عنا بودك وانقطع عنا سؤالك فأشد حسرتنا
عليك ، ثم بكت بكاء شديداً . ثم تقدمت بنتان فسلتا على القبر ، ثم قالتا : هذا
قبر أبينا الشفيق علينا والرحيم بنا آ نسك الله بملائكته رحمة وصرف عنك
عذابه ونقمته ، يا أبتاه جرت بعدك أمور لو عاينتها لأوهمتك ولو اطلمت

عليها لأحزنتك، كشف الرجال وجوهنا وقد كنت أنت سترها .

قال الحارث : فسكيت لما سمعت كلامهن ثم قلت سرعاً لهن فسليت عليهن وقتل
أيها الجوارى إن الأعمال ربما قبلت وربما ردت على صاحبها فما كان عمل
أيمن المخلد في هذا القبر الذي عاينت من أمره ما أحزنتني واطلعت من حاله
على ما آلتني؟ .

قال الحارث : فلما سمعت كلامي كشفن وجوههن وقلن : أيها العبد الصالح .
وما الذي رأيت ؟ قلت لهن : لي ثلاثة أيام اختلف^(١) إلى هذا القبر أسمع صوت المقمعة
والسلسلة^(٢) فيه، فلما سمعت ذلك مني قلن لي : بشارة ما أضرها ومصيبة ما أحزنها، نحن
نقضى الأوطار ونعمر الديار وأبونا يحرق بالنار، فوالله لا قر بنا قرار ولا ضمتنا
للذة العيش دار أو تتضرع للجبار فلعله أن يعتق أبانا وينقذه من النار . ثم مضين
يتعثرن في أذيالهن .

قال الحارث : فضيت إلى داري فبت ليلتي ، فلما أصبحت أتيت القبر فجلست
عنده فغلبنى النوم^(٣)، فإذا أنا بصاحب القبر له حسن وجمال وفي رجله نعل من ذهب
ومعه حور وغلبان .

قال الحارث : فسليت عليه وقلت له : رحمك الله من أنت ؟ قال : أنا الرجل الذي
عاينت من أمرى ما أحزنتك واطلعت منه على ما أجمعك جزاك الله خيراً فما بمن
طلعتك على . فقالت له : وكيف حالك ؟ فقال لي : لما اطلعت على وأخبرت بناتي
بالأمس بحالي أعرين أبدانهن وأسبان شعورهن وتضرعن لمولاهن ومرغن
خدودهن في التراب وأهمن دموعهن بالانسكاب واستوهبون من العزيز الوهاب
فغفر لي الذنوب والأوزار واستنقذن من النار وأسكنني دار القرار بجوار محمد
المختار، فإذا رأيت بناتي فأعلمهن بأمرى وما كان من قصتي ليزول عنهن روعهن
ويفارقهن حزنهن وتعلمهن أني قد صرت إلى جنات وحور ومسك وكافور وعندى
غلبان وسرور وقد عفا عني العزيز الغفور .

قال الحارث : فاستيقظت فرحاً مسروراً لما رأيت وسمعت . ثم مضيت إلى
داري وبت ليلتي ، فلما أصبحت أتيت القبر فوجدتهن حافيات الأقدام فسليت عليهن

(١) أيام وأنا اختلف (٢) فيه قال فلما (٣) فغلبنى النوم فاستيقظت فإذا

وقلت لمن: أبشرون فقد رأيت أباكن في خير عظيم وملك مقيم ، وقد أعلنى أن الله تعالى أجاب دعاءكن ولم يخيب معاككن وقد وهب لكن أباكن فأشكرنه على ما أولاكن .

قال فقالت الصغرى : اللهم بامؤنس القلوب وباسائر العيوب وبيا كاشف الكروب وبيا غافر الذنوب وبيا عالم الغيوب وبيا مبلغ الأمل المطلوب ، قد علمت ما كان من مسألتي وورغبتى واعتداری فی خلوتی واستقالتی من ذلتی وتنصلي من خطيئتي وأنت اللهم تعلم همتي والمطلع على نيتي والعالم بطوبى ومالك رقبتي والآخذ بناصيتي ورغائبي في طلبى ورجائى عند شدتى ومؤنسى فى وحدتى وراحم عترتى ومقبل عترتى وبجيب دعوتى، فإن كنت قصرت عما أمرتني وركبت إلى ما عنه نهيتنى فبجملتك حملتنى وبستر ك سترتنى ، فبأى لسان أذكرك وعلى أى نعمك أشكر ك ضاق بكثرة أذرعى فبأكرم الأكرمين ومنتهى غاية الطالبين ومالك يوم الدين الذى يعلم ما أخفى فى الضمير ويدبر أمر الصغير والكبير ، فإن كنت قضيت الحاجة بفضلك وشفعتنى فى عبدك فأقبضنى إليك وأنت على كل شىء قدير ، ثم صرخت صرخة فارقت الدنيا رحمة الله عليها .

قال : ثم قامت الثانية فنادت بأعلى صوتها : يارب فرج كربى وخلص من الشك قلبى . يامن أقامنى من صرعتى وأقالنى من عترتى ودلتنى من حيرتى وأعاننى فى شدتى إن كنت قبلت دعوتى وقضيت حاجتى وأنجحت طلبتى فألحقنى بأختى . ثم صاحت صيحة فارقت الدنيا رحمة الله عليها .

قال : ثم قامت الثالثة : فنادت بأعلى صوتها يا أيها الجبار الأعظم والملك الأكرم والعالم بمن سكت وتكلم ، لك الفضل العظيم والملك القديم والوجه الكريم العزيز من أعززه والدليل من أدلته والشريف من شرفته والسعيد من أسعدته والشقى من أشقته ، والقريب من أدنيته والبعيد من أبعدته والمحروم من أحرمة ، والرابع من أوهبته والخاسر من عذبه ، أسألك باسمك العظيم ووجهك الكريم وعلك المكنون الذى بعد عن إدراك الأفهام وغمض عن مناولة الأوهام باسمك الذى جعلته على الليل فدجى وعلى النهار فأضاء وعلى الجبال فدكدكت وعلى الرياح

فتناثرت وعلى السموات فارتفعت وعلى الأصوات فخشعت وعلى الملائكة فسجدت . اللهم إني أسألك إن كنت قضيت حاجتي وأنجحت طلبتي فألحقني بصواحيباتي ثم صاحبة صيحة فارقت الدنيا رحمة الله علينا وعليهم وعلى جميع المسلمين أجمعين . آخر الحكاية والحمد لله رب العالمين .

وروى من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من دخل المقابر فقرأ بسورة يس خفف الله عنهم كان له بعدد من فيها حسنات .

ويروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة .

وقد روى إباحة قراءة القرآن عند القبر عن العلاء بن عبد الرحمن ، وذكر النسائي من حديث معقل بن يسار المدني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اقرأوا يس عند موتاكم ، وهذا يحتمل أن تكون هذه القراءة عند الميت في حال موته ويحتمل أن تكون عند قبره .

قال أبو محمد عبد الحق حدثني أبو الوليد إسماعيل بن أحمد عرف بابن أفرح وكان هو وأبوه صالحين معروفين . قال : مات أبي رحمه الله فحدثني بعض إخوانه عن يوثق بحديثه قال لي : زرت قبر أبيك فقرأت عليه حزياً من القرآن ، ثم قلت يا فلان هذا قد أهديته لك فاذا لي ؟ قال : فهبت على نفحة مسك غشيتني وأقامت معي ساعة ثم انصرفت وهي معي فما فارقتني حتى مشيت نصف الطريق .

قال أبو محمد : ورأيت لبعض من يوثق به قال : ماتت لي امرأة فقرأت في بعض الليالي آيات من القرآن فأهديتها لها ودعوت الله عز وجل واستغفرت لها وسألته فلما كان في اليوم الثاني حدثتني امرأة تعرفها وتعرفني قالت لي : رأيت البارحة فلانة في النوم - تعني الميتة المذكورة - في مجلس حسن في دار حسنة وقد أخرجتني أطباقاً من تحت سرير كان في البيت والأطباق مملوءة فرارير أنوار فقالت لي : هذا أهداه لي صاحب بيتي قال : وما كنت أعلمت بذلك أحداً .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وفي هذا المعنى حديث مرفوع من حديث أنس .

يأتي في باب ما يتبع الميت إلى قبره وقد قيل : إن ثواب القراءة للقارئ وللبيت
ثواب الاستماع ولذلك تلحقه الرحمة . قال تعالى : (وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له
وأنتوا لعلكم ترحمون)

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ولا يبعد في كرم الله تعالى أن يلحقه ثواب القراءة
والاستماع جميعا ، ويلحقه ثواب ما يهدي إليه من قراءة القرآن وإن لم يسمعه
كالصدقة والدعاء والاستغفار لما ذكرنا ، ولأن القرآن دعاء واستغفار وتضرع
وابتهال ، وما تقرب المتقربون إلى الله تعالى بمثل القرآن .

قال صلى الله عليه وسلم : يقول الرب تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن
عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين . رواه الترمذي وقال فيه حديث
حسن غريب وقيل عليه السلام (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث :
صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ، والقراءة في معنى الدعاء وذلك
صدقة من الولد ومن الصاحب والصديق والمؤمنين حسب ما ذكرنا وبالله التوفيق .
فإن قيل : فقد قال الله تعالى (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) وهذا يدل
على أنه لا ينفع أحدا عمل أحد . قيل له : هذه آية اختلف في تأويلها أهل
التأويل .

فروى عن ابن عباس أنها منسوخة بقوله تعالى : (والذين آمنوا واتبعهم
ذرياتهم بإيمان أحقنا بهم ذرياتهم) فيجعل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان أبيه
ويشفع الله تعالى الآباء في الأبناء والأبناء في الآباء . يدل على ذلك قوله تعالى :
(لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) وقال الربيع بن أنس : (وأن ليس للإنسان
إلا ما سعى) يعني الكافر . وأما المؤمن فله ما سعى وما سعى له غيره .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وكثير من الأحاديث تدل على هذا القول .
ويشهد له . وأن المؤمن يصل إليه ثواب العمل الصالح من غيره .

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم (من مات وعليه صيام صام ولغيره)
وقال عليه السلام للذي حج عن غيره قبل أن يحج عن نفسه (حج عن
نفسك ثم حج عن شربة) .

(م ٦ - تذكرة)

وروى أن عائشة رضى الله عنها اعتكفت عن أخيها عبد الرحمن بعد موته وأعتقت عنه ، وقال سعد للنبي صلى الله عليه وسلم : إن أمي توفيت ، أفأتصدق عنها ؟ قال : نعم ، قال : فأى الصدقة أفضل ؟ قال : سقى الماء ، وفي الموطأ عن عبد الله ابن أبي بكر ، عن عمته ، أنها حدثته عن جدته أنها جعلت على نفسها مشياً إلى مسجد قباء ، فماتت ولم تقضه ، فأفتى عبد الله بن عباس أن يمشی عنها .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ويحتمل أن يكون قوله تعالى : (وان ليس للإنسان إلا ما سعى) خاصاً في السيئة بدليل ما في صحيح مسلم ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : قال الله عز وجل : (إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ، فان عملها كتبنا له عشرًا إلى سبعمائة ضعف ، إذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه ، فان عملها كتبنا سيئة واحدة) والقرآن دال على هذا . قال الله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) وقال تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبئت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) الآية ، وقال في الآية الأخرى : (كمثل حبة بربرة) وقال : (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) وهذا كله تفضل من الله تعالى ، وطريق العدل أن ليس للإنسان إلا ما سعى ، إلا أن الله عز وجل يتفضل عليه بما لم يجب له كما أن زيادة الأضعاف فضل منه كتب لهم بالحسنة الواحدة عشر إلى سبعمائة ضعف إلى ألف ألف حسنة .

كما قيل لأبي هريرة : أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : إن الله ليجزي على الحسنة الواحدة ألف ألف حسنة ، فقال : سمعته يقول : إن الله ليجزي عن الحسنة الواحدة ألفي ألف حسنة فهذا تفضل ، وقد تفضل الله على الأطفال بادخالهم الجنة بغير عمل . فلا ظلمك بعمل المؤمن عن نفسه أو عن غيره .

وقد ذكر الخرائطي في كتاب القبور ، قال : سنة في الأنصار إذا حملوا الميت أن يقرءوا معه سورة البقرة .

ولقد أحسن من قال :

زر والديك وقف على قبريهما فكأنني بك قد حملت إليهما

في آيات يقول في آخرها :

وقرأت من آي الكتاب بقدر ما نستطيعه وبعثت ذاك إليهما

ولإنما طولنا النفس في هذا الباب ، لأن الشيخ الفقيه القاضي الإمام مفتي الأنام عبد العزيز بن عبد السلام رحمه الله ، كان يفتي بأنه لا يصل للميت ثواب ما يقرأ ، ويحتج بقوله تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) ؛ فلما توفي رحمه الله ، رآه بعض أصحابه بمن كان يجالسه وسأله عن ذلك ، فقال له : إنك كنت تقول إنه لا يصل إلى الميت ثواب ما يقرأ ويهدى إليه ، فكيف الأمر؟ فقال له : كنت أقول ذلك في دار الدنيا ، والآن فقد رجعت عنه لما رأيت من كرم الله تعالى في ذلك وأنه يصل إليه ذلك .

باب يدفن العبد في الأرض التي خلق منها

أبو عيسى الترمذی ، عن مطر بن عكاس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة ، بها حاجة .

قال أبو عيسى : وفي الباب عن أبي عزة ، وهذا حديث حسن غريب ، ولا يعرف لمطر بن عكاش عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث .

وعن أبي عزة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض ، جعل له إليها حاجة ، أو قال بها حاجة ، قال : هذا حديث حسن صحيح ، وأبو عزة له صحبة ، واسمه يسار بن عبيد ، وأنشدوا :

إذا ما حمام المره كان يبلدة دعتة إليها حاجة فيطير

وروى الترمذی الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول ، عن أبي هريرة ، قال

خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم : يطوف ببعض نواحي المدينة ؛ وإذا بقبر يحفر ، فأقبل حتى وقف عليه ، فقال : لمن هذا ؟ قيل : لرجل من الحبشة ، فقال : لا إله إلا الله سبق من أرضه وسمائه حتى دفن في الأرض التي خلق منها ، وعن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : إذا كان أجل العبد بأرض أو ثبته الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره قبضه الله ، فتقول الأرض يوم القيامة : رب ؛ هذا ما استودعني خرجه ابن ماجه أيضا :

(فصل) قال علياؤنا رحمة الله عليهم : فائدة هذا الباب تنبيه العبد على التيقظ للموت والاستعداد له بحسن الطاعة والخروج عن المظالمه ؛ وقضاء الدين ؛ وإتيان الوصية بما لله وأو عليه في الحضر فضلا عن أوان الخروج عن وطنه إلى سفر ، فانه لا يدري أين كتبت منيته من بقاع الأرض .

وأشد بعضهم :

مشيناها خطأ كتبت علينا ومن كتبت عليه خطأ مشاها
وأرزاق لنا متفرقات فن لم تأته منا أناها
ومن كتبت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

وقد روى في الآثار القديمة : أن سليمان عليه السلام كان عنده رجل يقول : يا نبي الله : ان لي حاجة بأرض الهند فأسألك أن تأمر الريح أن يحملني إليها في هذه الساعة ، فنظر سليمان إلى ملك الموت عليه السلام ، فرآه يتبسم ، فقال : مم تبسم ؟ قال : تعجبا ، إني أمرت بقبض روح هذا الرجل في بقية هذه الساعة بالهند ، وأنا أراه عندك ، فروى أن الريح حملته في تلك الساعة إلى الهند ، فقبض روحه بها والله أعلم .

باب ما جاء أن كل عبد يذر عليه من تراب حفرة

وفي الرزق والأجل ، وبيان قوله تعالى : مخلقة وغير مخلقة

أبو نعيم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مولود إلا وقد ذر عليه من تراب حفرة .

قال أبو عاصم النبيل : ما نجد لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فضيلة مثل هذه لأن طينتهما طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخرجه في باب ابن سيرين ، عن أبي هريرة ، وقال : هذا حديث غريب من حديث عون لم نكتبه إلا من حديث أبي عاصم : النبيل ، وهو أحد الثقات الأعلام من أهل البصرة .

وروى مرة ، عن ابن مسعود ، أن الملك الموكل بالرحم يأخذ النطفة من الرحم فيضعها على كفه ، ثم يقول : يارب ، مخلقة أو غير مخلقة ، فإن قال مخلقة ، قال : يارب ، ما الرزق ؟ ما الأثر ؟ ما الأجل ؟ فيقول : أنظر في أم الكتاب ، فينظر في اللوح المحفوظ ، فيجد فيه رزقه ، وأثره ، وأجله ، وعمله ، ويأخذ التراب الذي يدفن في بقعته ويعجن به نطفته .

فذلك قوله تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم) أخرجه الترمذي الحكيم ، أبو عبد الله في نوادر الأصول .

وذكر عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها الملك بكفه ، فقال : أي رب مخلقة أو غير مخلقة ؟ فإن قال غير مخلقة لم تكن نسمة ، وقدفتها الأرحام دما ، وإن قال : مخلقة ، قال : أي رب أذكر ، أم أنثى ؟ أشقى ، أم سعيد ؟ ما الأجل ؟ وما الأثر ؟ وما الرزق ؟ وبأي أرض تموت ؟ فيقول : أذهب إلى أم الكتاب ، فإنك ستجد هذه النطفة فيها ، فيقال للنطفة : من ربك ؟ فتقول : الله : فيقال : من رازقك ؟ فتقول الله ، فتخلق ، فتعيش في أجلها ، وتأكل رزقها ، وتطأ أثرها ، فإذا جاء أجلها ماتت ، فدفنت في ذلك المكان ، فالأثر هو التراب الذي يؤخذ فيعجن به ماؤه .

وقال محمد بن سيرين : لو حلفت حلفت صادقاً بارأ ، غير شك ولا مستثنى ، ان الله ما خلق نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، ولا أبابكر ، ولا عمر ، إلا من طينة واحدة ثم ردهم إلى تلك الطينة .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ومن خلق من تلك التربة عيسى بن مريم عليه السلام على ما يأتي بيانه آخر الكتاب إن شاء الله تعالى ؛ وهذا الباب يبين لك معنى قوله تعالى : (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب) . وقوله : (هو الذي خلقكم من طين) .

وقوله : (ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين) ولا تعارض في شيء من ذلك على ما بينا في كتاب « جامع أحكام القرآن » ، والمبين لما تضمن من السنة ، وآى الفرقان ، وهذا الباب يجمع لك ذلك كله فتأمله .

باب ما يتبع الميت إلى قبره وبعد موته وما يبقى معه فيه

مسلم عن أنس بن مالك قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله .

وروى أبو نعيم من حديث قتادة عن أنس بن مالك قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سبع يجرى أجرها للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علماً أو أجرى نهراً أو حضر بئراً أو غرس نخلاً أو بنى مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته هذا حديث غريب من حديث قتادة تفرد به أبو نعيم عبد الرحمن ابن هاني النخعي عن العزرمي محمد بن عبد الله عن قتادة وخرجه الإمام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه من حديث الزهري .

حدثني أبو عبد الله الأغر عن أبي هريرة قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً عليه ونشره أو ولداً صالحاً تركه أو مصحفاً ورثه أو مسجداً بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه

أو صدقة أخرجها من ماله في صحته تلحقه بعد موته .

وروى أبو هذبة إبراهيم بن هذبة قال حدثنا أنس بن مالك قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك لتصدق عن ميتك بصدقة فيجىء بها ملك من الملائكة في أطباق من نور فيقوم على رأس القبر فينادى يا صاحب القبر الغريب أهلك قد أهدوا إليك هذه الهدية فاقبلها . قال : فدخلها إليه في قبره ويفسح له في مداخلة وينور له فيه فيقول جزى الله أهلى عنى خير الجزاء قال : فيقول لزيق ذلك القبر أنا لم أخلف لى ولدا ولا أحدا يذكرنى بشيء فهو مهموم والاخر يفرح بالصدقة .

وقال بشار بن غالب : رأيت رابعة العدوية . يعنى العابدة فى المنام وكنت كثير الدعاء لها . فقالت لى : يا بشار هديتك تأتينا فى أطباق من نور عليها مناديل الحرير وهكذا يا بشار دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا لإخوانهم الموتى فاستجيب لهم يقال : هذه هدية فلان إليك وقد تقدم لهذا الباب ما فيه كفاية والحمد لله .

وقال إسماعيل بن رافع ما من ذى رحم أوصل لذى رحمه من رجل اتبع ذا رحم بجمع أو عتق أو صدقة .

باب ماجاء فى هول المطلع

تقدم من حديث جابر بن عبد الله قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنوا الموت فإن هول المطلع شديد ولما طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له رجل : إني لأرجو أن لا تمس جلدك النار فنظر إليه ثم قال : ان من غررتموه لمغرور والله لو أن لى ما على الأرض لافديت به من هول المطلع .

وقال أبو الرداء رضى الله عنه : أضحكى ثلاث وأبكاني ثلاث أضحكى مؤمل دنيا والموت يطلبه وغافل ليس بمغفول عنه وضاحك بملء فيه لا يدري أراضى الله أم أسخطه وأبكاني فراق الأحبة محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه وهول المطلع عند غمرات الموت والوقوف بين يدي الله يوم تبدو السريرة علانية ثم لا يدري إلى الجنة أو إلى النار أخرجه ابن المبارك .

قال : حدثنا غير واحد عن معاوية بن قره قال . قال أبو الدرداء : فذكره .
قال : وأخبرنا محمد ، بلغ به أنس بن مالك قال : ألا أحدثكم بيومين وليتين لم
تسمع الخلاق بمثلهن أول يوم يحثك البشير من الله تعالى إما برضاه وإما بسخطه
ويوم تعرض فيه على ربك آخذا كتابك إما يمينك وإما بشمالك ولية تستأنف
فيها الميت في القبور ولم تثبت فيها ليلة فقط ولية تمنح صبيحتها يوم القيامة .

باب ماجاء أن القبر أول منازل الآخرة

وفي البكاء عنده ، وفي حكمة والاستعداد له

ابن ماجه عن هاني بن عثمان قال : كان عثمان رضى الله عنه إذا وقف على قبر
بكى حتى يبيل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكي من هذا ؟ قال : إن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده
أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه .

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت منظرأ قط إلا والقبر أفضح
منه ، أخرجه الترمذى وزاد رزين قال وسمعت عثمان يثمد على قبر شعرا : ^{كبر} ^{بجانب}
فإن تنج منها تنج من ذى عظمة وإلا فإنى لا إخالك ناجيا
ابن ماجه عن البراء .

قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على شفير القبر
فبكى وأبكى حتى بل الثرى ثم قال يا إخواني لمثل هذا فأعدوا .
^{كثارة}

(فصل) القبر واحد القبور في الكثرة وأقبر في القلة ويقال للدفن مقبر .
قال الشاعر :

لكل أناس مقبر بفنائهم وهم ينقصون والقبور تزيد

واختلف في أول من سن القبر فقيل الغراب لما قتل قابيل هاويل وقيل بنو
إسرائيل وليس بشيء وقد قيل كان قابيل يعلم الدفن ولكن ترك أخاه بالمرء
استخفاً به فبعث الله غراباً يبحث التراب على هاويل ليدفنه فقال عند ذلك (يا ويلتنا

وهي قبر

أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخى فأصبح من النادمين) حيث رأى إكرام الله لهايل بأن قبض الله الغراب حتى وأراه فلم يكن ذلك ندم توبة وقيل ندمه إنما كان على فقدته لا على قتله .

قال ابن عباس : ولو كانت ندامته على قتله لسكانت الندامة توبة ويقال إنه لما قتله قعد يبكي عند رأسه إذ أقبل غرابان فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له حفرة فدقته ففعل القاتل بأخيه كذلك فبقي ذلك سنة لازمة في بني آدم وفي التنزيل (ثم أماته فأقبره) أى جعل له قبراً يواري فيما كراماله ولم يجعله مما يلقى على وجه الأرض تأكله الطير والعوافي قاله الفراء .

وقال أبو عبيدة: أقبره جعل له قبراً وأمر أن يقبر قال أبو عبيدة: ولما قتل عمر ابن هبيرة صالح بن عبد الرحمن قالت بنو تميم ودخلوا عليه أقبرنا صالحاً فقال دونكموه وحكم القبر أن يكون مسماً مرفوعاً على وجه الأرض قليلاً غير مبنى بالطين والحجارة والجص فإن ذلك منهى عنه .

وروى مسلم عن جابر ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه وخرجه الترمذى أيضاً عن جابر ، قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تخصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ ، قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

قال علاؤنا رحمهم الله : وكرمك تلك تخصيص القبور ، لأن ذلك من المباهاة ، وزينة الحياة الدنيا وتلك منازل الآخرة ، وليس بموضع المباهاة ، وإنما يزين الميت في قبره عمله ، وأنشدوا :

وإذا وليت أمور قوم ليلة فاعلم بأنك بعدها مستول
وإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول
يا صاحب القبر المنقش سطحه ولعله من تحته مغلول

وفي صحيح مسلم ، عن أبي الهياج الأسدى ، قال : قال لى بن أبى طالب

قبره منى لا صلح

رضى الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع
تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته .

وقال أبو داود في المرآسيل عن عاصم بن أبي صالح : رأيت قبر النبي صلى الله
عليه وسلم شبراً أو نحواً من شبر ، يعنى فى الارتفاع .

قال علماءنا رحمة الله عليهم : يسم القبر ليعرف كى يحترم ويمنع من الارتفاع
الكثير لئلا كانت الجاهلية تفعله ، فانها تولى عليه ؛ وتبنى فوقها تفخياً لها
وتعظيماً ؛ وأنشدوا :

رجا بليت من بلند قبرين

أرى أهل القبور إذا أميتوا بنوا فوق المقابر بالصخور
أبوا إلا مباهاة ونخراً على الفقراء حتى فى القبور
لعمرك لو كشفت التراب عنهم فما تدرى الغنى من الفقير
ولا الجلد المباشر ثوب صوف من الجلد المباشر للحريز
إذا أكل الثرى هذا وهذا فما فضل الغنى على الفقير

يا هذا ، أين الذى جمعه من الأموال وأعدده للشدائد والأهوال لقد أصبحت
كفك منه عند الموت خالية صفراً وبدلت من بعد غناك وعزك ذلاً وفقراً ، فكيف
أصبحت يارهبين أوزاره ويامن سلب من أهله ودياره ما كان أخفى عليك سبيل
الرشاد وأقل اهتمامك لحل الزاد إلى سفرك البعيد وموقفك الصعب الشديد أو ما
علمت يا مغرور أن لا بد من الارتحال إلى يوم شديد الأهوال وليس ينفعك ثم
قيل ولا قال بل يعد عليك بين يدي الملك الديان ما بطشت اليدان ومشت القدمان
ونطق به اللسان وعملت الجوارح والأركان فان رحمك الله فإلى الجنة وإن كانت
الأخرى فإلى النيران يا غافلاً عن هذه الأحوال إلى كم هذه الغفلة والتوان أنتحسب
أن الأمر صغيراً وتزعم أن الخطب يسيراً وتظن أن سينفك حالك إذا آن
ارتحالك أو ينقذك مالك حين توبقك أعمالك أو يغنى عنك ندمك إذا زلت بك
قدمك ، أو يعطف عليك معشرك حين يضمك محشرك ، كلا والله ساء ما تتوهم ،
ولا بد لك أن ستعلم لا بالكفاف تقنع ، ولا من الحرام تشبع ، ولا للعظاة تسمع ،

ولا بالوعيد ترتدع ، دأبك أن تتقلب مع الأهواء ، وتخبط خبط العشواء ، يعجبك
التكاثر بما لديك ، ولا تذكر ما بين يديك ، يا نائماً في غفلة وفي خبطة يقظان ،
إلى كم هذه الغفلة والتوان ، أتزعم أن ستترك سداً ، وأن لا تحاسب غداً ، أم
تحسب أن الموت يقبل الرشا ، أم تميز بين الأسد والرشا ، كلا والله لن يدفع عنك
الموت مال ولا بنون ، ولا ينفع أهل القبور إلا العمل المبرور ، فطوبى لمن سمع
ووعى ، وحقق ما ادعى ، ونهى النفس عن الهوى ، وعلم أن الفائز من ارعوى ،
وان ليس الإنسان إلا ماسعى . وان سعيه سوف يرى ، فاتبه من هذه الرفدة ،
واجعل العمل الصالح لك عدة ، ولا تتمن منازل الأبرار وأنت مقيم على الأوزار
عامل بعمل النجار ، بل أكثر من الأعمال الصالحات ، ورافق الله في الخلوات
الأرض والسماوات ، ولا يغرنك الأمل ، فتزهد عن العمل ، أو ما سمعت الرسول
حيث يقول لما جلس على القبور يا إخواني ، لمثل هذا فأعدوا ، أو ما سمعت الذي
خلقك فسواك ، يقول : وتزودوا ؛ فان خير الزاد التقوى .

وأشدوا :

تزود من معاشك للمعاد وقم لله واعمل خير زاد
ولا تجمع من الدنيا كثيراً فان المال يجمع للنفاد
أرضى أن تكون رفيق قوم لهم زاد وأنت بغير زاد

وقال آخر :

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون مثله وأنت لم ترصد كما كان أرصدا

وقال آخر :

الموت بحر طامع موجه تذهب فيه حيلة السابح
يا نفس إني قائل فاسمعي مقالة من مشفق ناصح
لا ينفع الإنسان في قبره غير التقى والعمل الصالح

وقال آخر :

أسلنى الأهل ببطن الثرى وانصرفوا عنى فيا وحشتا
وغادرونى معدما يائسا ما يبدى اليوم إلا البكا
وكل ما كان لم يكن وكلما حذرته قد أتى
وذاكم المجموع والمقتنى قد صار فى كفى مثل الهبا
ولم أجذبلى مؤنسا هاهنا غير يقين صادق أو نقا
فلو ترانى وترى حالتى بكيت لى يا صاح بما ترى

وقال آخر :

ولدتك إذا ولدتك أمك باكيا والقرم حولك يضحكون سرورا
فاعمل ليوم أن تكون إذا بكوا فى يوم موتك ضاحكا مسرورا

وروى عن محمد القرشى أنه قال : سمعت شيخنا يقول : أيها الناس : إني لكم
ناصر ، وعليكم شفيق ، فاعملوا فى ظلة الليل لظلة القبر ، وصوموا فى الحر قبل
يوم النشور ، وحجوا يحط عنكم عظام الأمور ، وتصدقوا بخافة يوم عسير .

وكان يزيد الرقاشى يقول فى كلامه : أيها المقبور فى حضرتي ، المتخلى فى القبر
بوحده ، المستأنس فى بطن الأرض بأعماله ، ليت شعري بأى أعمالك استبشرت
وبأى أخوانك اغتبطت ، ثم يبكي حتى يبيل عمامته ، ويقول : استبشر والله بأعماله
الصالحة ، واغتبط والله بإخوانه المعاوين له على طاعة الله ، وكان إذا نظر إلى القبر
صرخ كما يصرخ الثور ، وسيأتى أن القبر يكلم العبد إذا وضع فيه ، وما فيه من
الموعظة إن شاء الله تعالى .

باب ما جاء فى اختيار البقعة للدفن

أبو داود الطيالسى ، قال : حدثنا سوار بن ميمون أبو الجراح العبدى ، قال : حدثنى
رجل من آل عمر ، عن عمر ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول

زيد بن روضه

من زار قبري ، أو قال : من زارني ؛ كنت له شهيدا أو شفيعا ، ومن مات بأحد الحرمين ، بعثه الله عز وجل في الآمنين يوم القيامة ، وخرجه الدارقطني عن حاطب . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من زارني بعد موتي ، فكأنما زارني في حياتي ، ومن مات بأحد الحرمين ، بعث في الآمنين يوم القيامة .

وخرج البخاري ومسلم ، عن أبي هريرة ، قال : أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام ، فلما جاء صكه فقفا عينه ، فرجع إلى ربه ، فقال : أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت ، قال : فرد الله إليه عينه ، وقال : ارجع إليه ، وقل له : يضع يده على متن جلده ثور ، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة ، قال : أي رب ، ثم مه ، قال : ثم الموت ، قال ، فالآن فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية حجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو كنت ، ثم لأريتكم تبره إلى جانب الطريق تحت الكتيب الأحمر

وفي رواية ، قال : جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام ، فقال له : أجب ربك ؛ قال : فلقم موسى عين ملك الموت . فقفاها ، وذكر نحوه .

الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال : من استطاع أن يموت بالمدينة فإيمت بها ، فإني أشفع لمن مات بها ؛ صححه أبو محمد عبد الحق .

وفي الموطأ أن عمر رضي الله عنه ، كان يقول : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك . ووفاة في بلد نبيك .

وكان سعد بن أبي وقاص ؛ وسعيد بن زيد ؛ قد عهدا أن يحملا من العقيق إلى البقيع مقبرة المدينة فدفنا بها ؛ وذلك والله اعلم لفضل علوه هناك ؛ قال : فإن فضل المدينة غير منسكور ولا مجهول ؛ ولو لم يكن إلا مجاورة الصالحين والفضلاء . من الشهداء وغيرهم لكفى .

حرمين شرفين

ملك الموت كوكب السماء
كاظمها

وروی عن کعب الأحبار انه قال لبعض اهل مصر ؛ لما قال له : هل لك من حاجة ؟ فقال : نعم ؛ جراب من تراب سفح المقطم ؛ یعنی : جبل مصر ؛ قال : فقلت له : یرحمک الله ؛ وما تريد منه ؟ قال : أضعه فی قبری ؛ فقال له : نقول هذا وأنت بالمدينة ؛ وقد قیل فی البقیع ما قیل ، قال : انا نجد فی الكتاب الاول انه مقدس ما بین القصیر الی الیحموم .

(فصل) قال علماؤنا رحمة الله علیهم : البقاع لا تقدس أحدا ولا تطهره ؛ وإنما الذی یقدسه من وضر الذنوب وذنسها الذوبۃ النصوح مع الأعمال الصالحة ، أما انه قد یتعلق بالبقعة تقدیس ما ، وهو إذا عمل العبد فیها عملاً صالحاً ضوعف له بشرف البقعة مضاعفة تکفر سیئاته ، وترجح میزانه ؛ وتدخله الجنة ؛ وكذلك تقدیسہ إذا مات علی معنی التبع لصالح العمل ؛ لأنها توجب التقدیس ابتداء .

وقد روی مالک ؛ عن هشام بن عروة ، عن أبیه ، قال : ما أحب أن أدفن بالبقیع ، لأن أدفن فی غیره أحب الی ، ثم بین العلة ، فقال : مخافة أن تنبش لی عظام رجل صالح ؛ او نجاور فاجراً ، وهذا تستوی فیہ سائر البقاع ، فدل علی أن الدفن بالأرض المقدسة لیس بالمجتمع علیه ، وقد یتحسن الإنسان أن یدفن بموضع قرابته وایخوانه وجیرانه ؛ لا لفضل ولا لدرجة .

(فصل) ان قال قائل : کیف جاز لموسیٰ (۱) ان یقدم علی ضرب ملک الموت حتی قفاً عینه ، فالجواب من وجوه ستة :

الأول : انها كانت عیناً متخیلة ؛ لا حقيقة لها ، وهذا القول باطل . لأنه یؤدی الی ان ما یراه الأنبیاء ، من صور الملائكة لا حقيقة لها ، وهذا مذهب السالمیة .

الثانی : انها كانت عیناً معنویة فقأها بالحجة ، وهذا مجاز لا حقيقة له .

الثالث : انه لم یرفه ، وظنه رجلاً دخل منزله بغير اذنه ، یرید نفسه فدافع

(۱) لموسیٰ علیه السلام ان یقدم :

طیبا نصح بر اعتراض اور
اسکا جواب

عنها ؛ فلطمه ؛ ففقاً عينه ؛ وتجب المدافعة في مثل هذا بكل ممكن ؛ وهذا وجه حسن ؛ لأنه حقيقة في العين والصك ؛ قاله الإمام أبو بكر بن خزيمة إلا أنه اعترض بما في الحديث نفسه ؛ وهو ان ملك الموت عليه السلام لما رجع إلى الله تعالى ؛ قال : يا رب ارسلني إلى عبد لا يريد الموت ؛ فلو لم يعرفه ^(١) لما صدر هذا القول من ملك الموت .
(١) يعرفه موسى لما صدر :

عصمت الأنبياء

الرابع : ان موسى عليه السلام كان سريع الغضب ، وسرعة غضبه كان سبباً لصك ملك الموت ؛ قاله ابن العربي في الأحكام ، وهذا فاسد ، لأن الأنبياء معصومون ان يقع منهم ابتداء مثل هذا في الرضا والغضب .

الخامس ما قاله ابن مهدي رحمه الله أن عينه المستعارة ذهبت لأجل أنه جعل له أن يتصور بما شاء ، فكأن موسى عليه السلام لطمه وهو متصور بصورة غيره بدلالة أنه رأى بعد ذلك معه عينه .

✓ السادس وهو أصحها إن شاء الله وذلك أن موسى عليه السلام كان عنده ما أخبر نبينا عليه السلام من ان الله تعالى لا يقبض روحه حتى يخيره ، خرجه البخاري وغيره ، فلما جاءه ملك الموت على غير الوجه الذي اعلم بادر بشهامته وقوة نفسه إلى أدبه فلطمه ففقئت عينه امتحانا لملك الموت إذ لم يصرح له بالتخير ، وبما يدل على صحة هذا أنه لما رجع إليه ملك الموت فخيره بين الحياة والموت اختار الموت واستسلم ، والله بغيبه أعلم واحكم ، ذكره ابن العربي في قبسه بمعناه والحمد لله .
وقد ذكر الترمذي الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان ملك الموت عليه السلام يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى عليه السلام فلطمه ففقاً عينه الحديث بمعناه وفي آخره فكان يأتي الناس بعد ذلك في خفية .

باب يختار للميت قوم صالحون يكون معهم

✓ خرج أبو سعيد الماليني في كتاب المؤلف والمختلف وأبو بكر الخرائطي في كتاب الثبوت من حديث سفیان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن الحنفية

عن علي رضي الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ندفن موتانا
وسط قوم صالحين فإن الموتى يتأذون بالجار السوء كما يتأذى به الأحياء .

وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا مات لأحدكم الميت
فحسنوا كفنه وعجلوا إنجاز وصيته وأعمقوا له في قبره وجنبوه جار السوء قيل :
يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح في الآخرة قال : هل ينفع في الدنيا قالوا :
نعم . قال : كذلك ينفع في الآخرة ذكره الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار ، وخرجه
أبو نعيم الحافظ بإسناده من حديث مالك بن أنس عن عمه نافع بن مالك عن أبيه
عن أبي هريرة .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين
فإن الميت يتأذى بالجار السوء .

(فصل) قال علاؤنا : ويستحب لك رحمك الله أن تقصد بميتك قبور الصالحين
ومدافن أهل الخير فتدفنه معهم وتنزله بإزائهم وتسكنه في جوارهم تبركا بهم
وتوسلا إلى الله عز وجل بقربهم وأن تجتنب به قبور من سواهم ممن يخاف التأذى
بمجاورته والتألم بمشاهدة حاله حسب ما جاء في الحديث .

يروى أن امرأة دفنت بقرطبة أعادها الله فأتت أهلها في النوم فجعلت تعبتهم
وتشكؤهم وتقول : ما وجدتم أن تدفنوني إلا إلى قرن الجير فلما أصبحوا نظروا
فلم يروا في ذلك الموضع كله ولا بقربه قرن جير فبحثوا وسألوا عن من كان مدفونا
بإزائها ، فوجدوه رجلا سيفا كان لابن عامر وقبره إلى قبرها فاخرجوها من
جوارها ، ذكر هذا أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة له .

وعن أعرابي أنه قال لولده : ما فعل الله بك ؟ قال : ما ضربني إلا أني دفنت بإزاء
فلان وكان فاسقا قد روعني ما يعذب به من أنواع العذاب .

وروى أبو القاسم اسحق بن إبراهيم بن محمد الختلي في كتاب الديباج له وحدثني
أبو الوليد رباح بن الوليد الموصلي . قال : حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن طاووس
ابن ذكوان اليماني أنه أخبرهم أنه قدم حاجا فر بالابطاح عند المقابر مع رفقائه
فقال : بينا أنا أصلي في جوف الليل وعلى برد لي اجرش أخذته باليمن بسبعين دينارا

(١) وحدثت عن عبد الله

وقبر قريب مني محفور اذ رأيت شمعا قد اقبل به مع جنازة، فإذا قائل يقول في
 قبر قريب من القبر المحفور اللهم انى أعوذ بك من الجار السوء . قال : فركعت ثم
 سجدت وسلمت ثم خرجت حتى لقيت أصحاب الجنازة فسلمت وقلت . لا تقربونا
 وتنجوا عنا غافا كما الله قالوا ما نستطيع ذلك وقد حضرنا قبرنا هذا ولا نستطيع أن
 نذهب الى غيره فقلت من اولى بالجنازة فقالوا : هذا ابنه . فقلت له : هل لك ان
 تتنحى عنا وتناولني ثوبك هذا الذى عليك فألبسه وأعطيك بردى هذا فإنى قد
 أخذته باليمن بسبعين دينارا وهو هاهنا خير من سبعين فإن كان على ابيك دين
 قضيته عنه وان لم يكن انتفع بذلك الورثة وتكف عنا ما نكره . قال : فانكر القوم
 قولى أن يكون على رجل برديلتف به ثمنه سبعون دينارا فاحتجت الى أن
 أخبرهم من أنا . فقلت تعرفون طاووس اليماني ؟ قالوا نعم . قلت : فأنا طاووس اليماني
 وما قلت لكم في البرد إلا حقا . فناولني الرجل رداءه وأخذ رداي وانصرف عنا
 وأقبلت حتى وقفت على صاحب القبر . فقلت ما كان ليجاورك جار تكلمه وأنا
 أستطيع رده ثم عدت إلى صلاتي .

باب ما جاء في كلام القبر كل يوم

وكلامه للعبد إذا وضع فيه

الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه . قال : دخل رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مصلا فرأى ناسا يكشرون ، فقال : أما أنكم لو أكثرتم من ذكر هاذم اللذات
 لشغلكم عما أرى يعنى الموت . فأكثروا ذكر هاذم اللذات الموت فإنه لم يأت على
 القبر يوم إلا تكلم فيه . فيقول : أنا بيت الغربية ، وأنا بيت الوحدة ، وأنا بيت
 القراب ، وأنا بيت الدود . فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر : مرحبا وأهلا أما
 إن كنت لأحب من يمشى على ظهري إلى ، فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى
 صنيعي بك فيتسع له مد بصره ويفتح له باب إلى الجنة وإذا دفن العبد الفاجر أو
 الكافر قال له القبر : لا مرحبا ولا أهلا . أما إن كنت لا يفض من يمشى على ظهري
 إلى . فإذا وليتك اليوم وصرت إلى فسترى صنيعي بك . قال : فيلتم عليه حتى

(م ٧ - تذكرة)

(١) ما كان ليجاورك :

يلتقي وتختلف أضلاعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصابه فأدخل بعضها في جوف بعض . قال ويقهين الله له تسعون نينا أو قال : تسعة وتسعون لو أن واحداً منها نفخ في الأرض ما أنبت شيئاً ما بقيت الدنيا . فينثنه حتى يقضى به إلى الحساب . قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب

وخرج هناد بن السرى قال : حدثنا حسن الجعفي عن مالك بن مغول عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : يجعل الله للقبر لساناً ينطق به فيقول : ابن آدم كيف نسيتني أما علمت أني بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الوحشة .

قال : وحدثنا وكيع عن مالك بن مغول عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : إن القبر ليبيكي يقول في بكائه : أنا بيت الوحشة أنا بيت الوحدة أنا بيت الدود .

وذكر أبو عمر بن عبد البر روى يحيى بن جابر الطائي عن ابن عائذ الأزدي عن غنصيف بن الحارث قال : أتيت بيت المقدس أنا وعبد الله بن عبيد بن عمير قال : فجلسنا إلى عبد الله بن عمرو بن العاص فسمعته يقول : إن القبر يكلم العبد إذا وضع فيه فيقول : يا ابن آدم ما غرك بي ؟ ألم تعلم أني بيت الوحدة ، ألم تعلم أني بيت الظلة ، ألم تعلم أني بيت الحق . يا ابن آدم ما غرك بي ؟ لقد كنت تمشي حولي فداداً . قال ابن عائذ . قلت لغنصيف ما الفداد يا أبا إسماعيل ؟ قال كبعض مشيتك يا ابن أخي . قال غنصيف . فقال صاحبي - وكان أكبر مني - لعبد الله بن عمرو : فإن كان مؤمناً قال : يوسع له في قبره ويجعل منزله أخضر ويعرج بروحه إلى السماء ذكره في كتاب التمهيد .

وذكر أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة له عن أبي الحجاج الثمالي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . يقول القبر للبيت إذا وضع فيه : ويحك يا ابن آدم ما غرك بي ؟ ألم تعلم أني بيت الفتنة وبيت الظلة وبيت الدود ما غرك إذ كنت تمر بي فداداً قال : فإن كان صالحاً أجاب عنه بحبيب القبر . فيقول : أرايت إن كان بمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قال فيقول : القبر قاني أعود عليه خضراً ويعود جسده نوراً وتصعد روحه إلى رب العالمين ذكر هذا الحديث

(٩) كان مؤمناً فإذا له ؟ قال

أبو أحمد الحاكم في كتاب الكنى وذكره أيضاً قاسم بن أصبغ قال : قيل لأبي الحجاج ما الفداد ؟ قال : الذى يقدم رجلاً ويؤخر أخرى . يعنى الذى يمشى مشية المتبختر .

وذكر ابن المبارك قال أخبرنا داود بن ناقد قال : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول : بلغنى أن الميت يقعد فى حفرة وهو يسمع وخط مشيعيه ولا يكلمه شيء أول من حفرة فتقول : ويحك يا ابن آدم أليس قد حذرتنى وحذرت صفيعى وظلماتى وتنى وهولى هذا ما أعددت لك فما أعددت لى الوخط والوخذ سرعة السير فى المشى

وقال سفيان الثورى : من أكثر ذكر القبر وجدده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجدده حفرة من حفر النار .

وقال أحمد بن حرب : تتعجب الأرض من يمهد مضجعه ويسوى فراشه للنوم وتقول : يا ابن آدم ألا تذكر طول زمانك فى جوفى وما بينى وبينك شيء .

وقيل لبعض الزهاد ما أبلغ العظاات قال : النظر إلى الأموات ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول

وعظتك أجدات صمت ونعتك أزمئة خفت
وتكلمت عن أوجه تبلى وعن صور سبت
وارتك نفسك فى القبور وأنت حى لم تمت

وروى عن الحسن البصرى أنه قال : كنت خلف جنازة فاتبعتها حتى وصلوا بها إلى حفرة فنادت امرأة فقالت : يا أهل القبور لو عرفتم من نقل اليكم لأعزتموه قال الحسن : فسمعت صوتاً من الحفرة وهو يقول : قد والله نقلنا بأوزار كالجبال وقد أذن لى أن أكله حتى يعود رمياً . قال : فاضطربت الجنازة فرق النعش وخر الحسن مغشياً عليه .

باب ماجاء في ضغط القبر على صاحبه وإن كان صالحا

النسائي عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هذا الذي تحرك للعرش الرحمن وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه . قال أبو عبد الرحمن النسائي يعني سعد بن معاذ .

ومن حديث شعبة بن الحجاج بإسناده إلى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للقبر ضغطة لو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ .

وذكر هناد بن السري ، حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن ابن أبي مليكة قال : ما أجبر من ضغطة القبر أحد ولا سعد بن معاذ الذي منديل من مناديله خير من الدنيا وما فيها . قال : وحدثنا عبدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع قال : لقد بلغني أنه شهد جنازة سعد بن معاذ سبعون ألف ملك لم ينزلوا إلى الأرض قط .

قال ولقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقد ضم صاحبكم في القبر ضمة حتى صار مثل الكلبرة .

وخرج علي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية عن نافع قال : أتينا صفية بنت أبي عبيد امرأة عبد الله بن عمر وهي فزعة . فقلنا ما شأنك ؟ قالت : جئت من عند بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم فحدثتني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن كنت لأرى أن أحدا لو أعفى من عذاب القبر لعفى منه سعد ^(۱) لقد ضم فيه ضمة .

وخرج أيضاً عن زاذان أن أبي عمر قال : لما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته زينب جلس عند القبر فترى وجهه ثم سرى عنه فقال له أصحابه رأينا وجهك يا رسول الله ترى آتفا ثم سرى عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت ابنتي وضعفها وعذاب القبر فدجوت الله ففرج عنها . وأيم الله لقد ضمت ضمة سمها ما بين الخافقين إلا الألس والجن .

وخرج أيضاً بسنده عن إبراهيم الغنوي عن رجل . قال : كنت عند عائشة رضي الله عنها فمرت جنازة صبي صغير فبكت . فقلت لها ما يبكيك يا أم المؤمنين ؟

(۱) سعد بن معاذ لقد

قالت هذا الصبي بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا الخبر وإن كان موقوفاً على عائشة رضي الله عنها فثله لا يقال من جهة الرأي .

وقد روى عمر بن شبة في كتاب المدينة على ساكنها (۱) في ذكر وفاة فاطمة ابنة أسد أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (۲) قال بينما هو صلى الله عليه وسلم في أصحابه أتاه آت . فقال : إن أم علي وجعفر وعقيل قد ماتت فقال قوموا بنا إلى أمي قال : فقمنا كأن علي رؤوسنا الطير . فلما انتهينا إلى الباب نزع قميصه وقال : إذا كفتموها فأشعروه إياها تحت أكفانها ؛ فلما خرجوا بها جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة يحمل ومرة يتقدم ومرة يتأخر حتى انتهينا بها إلى القبر فتمعك في اللحد ثم خرج وقال : أدخلوها بسم الله وعلى اسم الله . فلما دفنوها قام قائماً وقال : جزاك الله من أم وربيبه خيراً . وسألناه عن نزع قميصه وتمعك في اللحد ؟ فقال : أردت أن لا تمسها النار أبداً إن شاء الله تعالى وأن يوسع الله عليها قبرها ، وقال : ما عني أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد . قيل يا رسول الله ولا القائم ابنك ؟ قال ولا إبراهيم وكان أصغرهما ورواه أبو نعيم الحافظ عن عاصم الأحول عن أنس بمعناه وليس فيه السؤال بتمعك إلى آخره .

قال أنس ؛ لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي بن أبي طالب رضي الله عنه دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها فقال رحمتك الله بآبي كنت أمي بعد أمي تجوعين وتشبعينني وتعرين وتكسونني وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعمينني تريدن بذلك وجه الله والدار الآخرة ثم أمر أن تغسل ثلاثاً فلما بلغ الذي فيه الكافور سكب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، ثم خلع رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه وألبسها إياه وكفنها فوقه ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون قبرها ، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه

(۱) ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام (۲) علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

ثم قال الحمد لله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، اغضرت لأمي فاطمة بنت أسد .
ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي إنك أرحم
الراحمين وكبر عليها أربعاً وأدخلوها للحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله
عنهم أجمعين .

باب منه وما جاء أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه

وهم من شر الناس له

روى أبو هذبة قال بن هذبة . قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن العبد الميت إذا وضع في قبره وأقعد قال : يقول
أهله وأسيده وأشرافه وأميراه : قال : يقول الملك : اسمع ما يقولون أنت كنت
سيدا أنت كنت أميراً أنت كنت شريفاً ؟ قال يقول الميت : يا ليتهم يسكنون .
قال : فيضغط ضغطة تختلف فيها أضلاعه .

(فصل) قال علماؤنا رحمة الله عليهم . قال بعض العلماء أو أكثرهم إنما يعذب
الميت ببكاء الحى إذا كان البكاء من سنة الميت واختياره كما قال :

إذا مت فاعينى بما أنا أهله وشقى على الجيب يابنة فعبد

وكذلك إذا وصى به . وقد روى ما يدل على أن الميت يصيبه عذاب ببكاء
الحى عليه وإن لم يكن من سنته ولا من اختياره ولا مما أوصى به واستدلوا بحديث
أنس المذكور . وبما روى من حديث قبلة بنت مخزومة وذكرت عند النبي صلى الله
عليه وسلم ولداً لها مات ثم بكت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيغلب أحميدكم
أن يصاحب صويحبه في الدنيا معروفاً فإذا حال بينه وبينه من هو أولى به منه
استرجع ، ثم قال : اللهم اثبني فيما أمضيت وأعني على ما أبقيت فوالذي نفس محمد
بيده إن أحميدكم ليبيكى فيستعبر له صويحبه بإعجاب الله لا تعذبوا موتاكم . ذكره ابن أبي
خيثمة وأبو بكر بن أبي شيبة وغيرهما وهو حديث معروف لإسناده لا بأس به
وسياقه يدل على أن بكاء هذه لم يكن من اختيار لابنها لأن ابنها صاحب من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان هذا البكاء المعروف في الجاهلية الذي كان من اختيار الميت وما يوصى به .

وذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الميت يعذب ببكاء الحي عليه إذا قالت النائحة وعضداه واناصره واكاسياه جند الميت وقيل له : أنت عضدها أنت ناصرها أنت كاسيها .

وذكر البخاري من حديث الزهري بن بشير قال : أغمى علي عبد الله بن رواحة فجعلت أخته عمرة تبكي واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه ، فقال حين أفاق ماقلت شيئاً إلا قيل لي أنت كذلك ، فلما مات لم تبك عليه وهذا أيضاً لم يكن من سنة عبد الله بن رواحة ولا من اختياره ولا بما أوصى به فنصابه في الدين أجل وأرفع من أن كان يأمر بهذا أو يوصى به .

وروى أبو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ من حديث منصور بن زاذان عن الحسن بن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يعذب الميت بصياح أهله عليه ، فقال له رجل : يموت بخراسان ويناح عليه ها هنا . فقال عمران : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبت ؛

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وهذا بظاهره أن بنفس الصياح يقع التعذيب واپس كذلك وإنما هو محمول على ما ذكرناه والله أعلم .

وقال الحسن إن من شر الناس للميت أهله يكون عليه ولا يقضون دينه .

باب ما ينجي من ضغطة القبر وفتنه

روى أبو نعيم من حديث أبي العلاء يزيد بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة قال هذا حديث غريب من حديث يزيد تفرد به نصر ابن حماد البجلي .

باب ما يقال عند وضع الميت في قبره

وفي اللحد في القبر . اللحد هو أن يحفر للميت في جانب القبر إن كانت الأرض ضلابة وهو أفضل من الشق فإنه الذي اختاره الله لنبيه صلى الله عليه وسلم .

روى ابن ماجة عن ابن عباس قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعثوا إلى أبي عبيدة وكان يضرح كضريح أهل مكة وبعثوا إلى أبي طلحة وكان هو الذي يحفر لأهل المدينة وكان يلحد فبعثوا إليهما رسولين ، قالوا اللهم نحر لرسولك فوجدنا أبا طلحة فجيء به ولم يوجد أبو عبيدة فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

و. روى أبو داود عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحد لنا والشق لغيرنا خرج بن ماجة والترمذي وقال حديث حسن غريب وأنشدوا :

ضعوا خدي على لحدى ضعوه	عمر التراب التراب فوسدوه
وشقوا عنه أكنانا رفانا	وفي الرمس البعيد فغيبوه
فلو أبصرتهم إذا تقضت	صليحة ثالث لتكرتموه
وقد سالت نواظر مقاتيه	على وجناته وانفض فوه
وناداه البلا هذا فلان	هلوا فانظروا هل تعرفوه
حبيبكم وجاركم المفدى	تقدم عهده فسيتموه

وقال آخر :

والحدوا محبوبهم وانثوا	وهمهم تحصيل ما خلفا
وغادروه مسلما مفردا	في رسمه رهنا بما أسلفا
ولم يزود من جميع الذي	باع به أخراة (۱) إلا لفا

وخرج أبو عبد الله الترمذي في نوادر الأصول عن سعيد بن المسيب قال : حضرت ابن عمر في حنازة فلما وضعها في اللحد قال بسم الله وفي سبيل الله ، فلما أخذوا في تسوية اللحد قال اللهم أجرها من الشيطان ومن عذاب القبر فلما سوى الكتيب

(۱) معناه أي قليل

عليها ، قام جانب القبر ثم قال : اللهم جاني الأرض عن جنبيها وصعد روحها ولقنها منك رضوانا فقلت لابن عمر شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : أم شيئاً قلته من رأيك ؟ قال إني إذا لقادر على القول بيل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ابن ماجه أيضاً في سننه

وقال أبو عبد الله الترمذى رحمه الله : حدثني أبي رحمه الله . قال : حدثنا الفضل بن ذكين عن سفيان عن الأعمش عن عمرو بن مرة ، قال : كانوا يستحبون إذا وضع الميت في اللحد أن يقولوا اللهم أعذه من الشيطان الرجيم .

وروى عن سفيان الثوري أنه قال : إذا مثل الميت من ربك ترائى له الشيطان في صورة فيشير إلى نفسه إني أنا ربك ، قال أبو عبد الله . فهذه فتنة عظيمة ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بالثبات ، فيقول : اللهم ثبت عند المسألة حنطه واقطع أبواب السماء لروحه فلو لم يكن للشيطان هناك سبيل ما كان ليدعو له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيره من الشيطان فهذا تحقيق لما روى عن سفيان ذكره في الأصل التاسع والأربعين والمائتين .

باب الوقوف عند القبر

قليلاً بعد الدفن والدعاء بالثبوت له

مسلم عن بن شماسه المهري ، قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت ، الحديث : وفيه فإذا دفنتموني فشنوا على التراب شنأ ثم أقيموا حول قبري قدر ما ينجر جزور ويقسم لحما حتى أستأنس بكم ، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي عز وجل . أخرجه ابن المبارك بمعنى حديث مسلم من حديث ابن لهيعة ، قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب أن عبد الرحمن بن شماسه حدثه وقال فيه ، وشدوا على إزارى فإني مخاضم وشنوا على التراب شنأ فإن جنبي الأيمن ليس أحق بالتراب من جنبي الأيسر ، ولا تجمعان في قبري خشبة ولا حجراً ، وإذا واريتموني فاقعدوا عند قبري قدر نجر جزوراً وتقطيعها أستأنس بكم أبو داود عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال :
استغفروا لأخيكم واسألوا له بالتثبيت فإنه الآن يسأل .

وأخرج أبو عبد الله الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول عن عثمان بن عفان
رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دفن ميتاً وقف وسأل له
التثبيت ، وكان يقول : ما يستقبل المؤمن من هول الآخرة إلا والقبر أفضع منه

وأخرج أبو نعيم الحافظ فى باب عطاء بن ميسرة الخراسانى أبى عثمان عنه عن
أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على قبر رجل من أصحابه
حين فرغ منه فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم نزل بك وأنت خير
منزول به ، جافى الأرض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه ، واقبله منك بقبول
حسن وثبت عند المسائل منطقته غريب من حديث عطاء .

(فصل) قال الأجرى أبو بكر محمد بن الحسين فى كتاب النصيحة : يستحب
الوقوف بعد الدفن قليلاً والدعاء لليت مستقبل وجهه بالثبات فيقال : اللهم
هذا عبدك وأنت أعلم به منا ولا نعلم منه إلا خيراً ، وقد أجلسه لتسأله ، اللهم
ثبته بالقول الثابت فى الآخرة كما ثبتته فى الحياة الدنيا ، اللهم ارحمه وألحقه بنبيه محمد
صلى الله عليه وسلم . ولا تضلنا بعده ولا تحرمنا أجره ، وقال أبو عبد الله الترمذى :
فالوقوف على القبر وسؤال التثبيت فى وقت دفنه مدد الميت بعد الصلاة لأن الصلاة
بجماعة المؤمنين كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك يشفعون له ، والوقوف على
القبر لسؤال التثبيت مدد للعسكر وتلك ساعة شغل للميت لأنه يستقبله هول المطاع
سؤال وفتنة فتانى القبر على ما يأتى ، والجزور بفتح الجيم من الإبل والجزرة من
الضأن والمعز خاصة قاله فى الصحاح .

(فصل) قول عمرو بن العاص رضى الله عنه ، فإذا أنا مت فلا تصحبنى نائمة
ولا نار توصيه منه باجتناب هذين الأمرين ، لأنهما من عمل الجاهلية ، ونهى
النبي صلى الله عليه وسلم . قال العلماء ، ومن ذلك الضجيج بذكر الله سبحانه وتعالى
أو بغير ذلك حول الجنائز والبناء على المقابر ، والاجتماع فى الجبانات والمساجد

للقراءة وغيرها لأجل الموتى وكذلك الاجتماع إلى أهل الميت وضيعة الطعام والمبيت عندهم . كل ذلك من أمر الجاهلية ونحو منه الطعام الذي يصنعه أهل الميت اليوم في يوم السابع فيجتمع له الناس يريدون بذلك القربة للميت والترحم عليه ، وهذا محدث لم يكن فيما تقدم ، ولا هو بما يحمده العلماء . قالوا : وليس ينبغي للمسلمين أن يقتدوا بأهل الكفر ، وينهى كل إنسان أهله عن الحضور لمثل هذا وشبهه من لطم الحدود ونشر الشعور وشق الجيوب واستماع النوح وكذلك الطعام الذي يصنعه أهل الميت كما ذكرنا فيجتمع عليه النساء والرجال من فعل قوم لاخلاق لهم .

وقال أحمد بن حنبل هو من فعل الجاهلية ، قيل له : أليس قد قال النبي صلى الله عليه وسلم : اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقال : لم يكونوا هم اتخذوا إنما اتخذ لهم . فهذا كله واجب على الرجل أن يمنع أهله منه ولا يرخص لهم ، فمن أباح ذلك لأهله فقد عصى الله عز وجل ، وأعانتهم على الإثم والعدوان ، والله تعالى يقول : قوا أنفسكم وأهليكم نارا ، قال العلماء معناه : أدبؤهم وعلوهم . وروى بن ماجه في سننه عن جرير بن عبد الله البجلي ، قال : كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعة الطعام من النياحة . وفي حديث شجاع بن مخلد قال : كانوا يرون إسناده صحيح . وذكر الخرائطي عن هلال بن خباب قال الطعام على الميت من أمر الجاهلية .

وخرج الآجري عن أبي موسى قال ماتت أخت لعبد الله بن عمر فقلت لامرأتى اذهبي فعزيهم وبيتي عندهم فقد كان بيننا وبين آل عمر الذي كان ، فجاءت فقال : ألم أمرك أن تبيني عندهم فقالت أردت أن أبيت فجاء ابن عمر فأخرجنا وقال أخرجن لاتبين أختي بالعذاب . وعن أبي البختري قال : يتوته الناس عند أهل الميت ليست إلا من أمر الجاهلية .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ، وهذه الأمور كلها قد صارت عند الناس الآن سنة وتركها بدعة ، فانقلب الحال وتغيرت الأحوال . قال ابن عباس رضي الله عنه لا يأتي على الناس عام إلا أماتوا فيه سنة وأحيوا فيه بدعة حتى تموت السنن وتحيا البدع ، ولن يعمل بالسنن وينكر البدع إلا من هون الله عليه إسقاط الناس

بمخالفتهم فيما أرادوا ونهيم عما اعتادوا ومن يسر لذلك أحسن الله تعويضه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك لن تدع شيئاً إلا عوضك الله خيراً منه ، وقال صلى الله عليه وسلم : لا يزال في هذه الأمة عصاة يقاتلون على أمر الله لا يضرهم جدال من جادلهم ولا عداوة من عاداهم .

(فصل) ومن هذا الباب ما ثبت في الصحيحين عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ، وفيها أيضاً عن أبي بردة بن أبي موسى قال : وجع أبو موسى وجعا فغشى عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فصاحت امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً فلما أفاق قال : أنا بريء بما برىء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم^(۱) ، بريء من الصائفة والحالفة والشافة

وفي صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد وأبي بردة بن أبي موسى قالاً : أغشى على أبي موسى وأقبلت امرأته تصيح برته ، قالاً ثم أفاق ، قال ألم تعلمي وكان يحدثها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنا بريء ممن حلق وخرق ابن ماجه عن أبي أمامة ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن^(۲) الخامشة وجهها والشافة جيبها ، والداعية بالويل والثبور . إسناده صحيح . وقال حاتم الأصم إذا رأيت صاحب المصيبة قد خرق ثوبه وأظهر حزنه فعزبه فقد شركته في اسمه وإنما هو صاحب منكر يحتاج أن تنهأ وقال أبو سعيد الباهلي من أصيب بمصيبة فمزق ثوباً ، أو ضرب صدره فكأنما أخذ ربحاً يريد أن يقاتل به ربه عز وجل وأنشدوا :

عجبت لجازع بك مصاب بأهل أو حيم ذى اكتئاب
نقيق الجيب داعي الويل جهلا كأن الموت كالشوء العجاب
وسوى الله فيه الخلق حتى نبي الله منه لم يحاب
له ملك ينادي كل يوم لدوا للوت وابنو للخراب

(۱) وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء

(۲) وسلم قال أنا بريء ممن حلق وخرق

باب ما جاء في تلقين الإنسان بعد موته

شهادة الإخلاص في الحده

ذكر أبو محمد عبد الحق يروى عن أبي أمامة الباهلي قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . إذا مات أحدكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ، ثم يقول : يا فلان بن فلانة فإنه يسمع ولا يجيب ، ثم ليقل يا فلان بن فلانة الثانية فإنه يستوى قاعدا ، ثم يقول : يا فلان بن فلانة الثالثة فإنه يقول : ارشدنا ربك الله ، ولكنكم لا تسمعون فيقول : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأنت رضية بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وبالقرآن إماماً ، فإن منكراً ونكيراً يتأخر كل واحد منهما ويقول : انطلق بنا ما يقعدنا عند هذا ، وقد لقن حجة ويكون الله حجيجهما دونه ، فقال رجل يا رسول الله فإن لم تعرف أمه ؟ قال : ينسبه إلى أمه حواء .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هكذا ذكره أبو محمد في كتاب العاقبة لم يسنده إلى كتاب ولا إلى إمام ، وعادته في كتبه نسبة ما يذكره من الحديث إلى الأئمة ، وهذا والله أعلم . نقله من إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد رضى الله عنه . فنقله كما وجد ولم يزد عليه وهو حديث غريب . خرجه الثقفى في الأربعين له ، أنبأناه الشيخ المسن الحاج الراوية أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح ابن أبي الحسن القرشى عرف بابن رواح بمسجده بثغر الاسكندرية حماء الله ، والشيخ الفقيه الإمام مفتى الأنام أبو الحسن علي بن هبة الله الشافعى بمنية بنى خصيب على ظهر النيل بها قالوا جميعاً : حدثنا الشيخ الإمام الحافظ أبو طاهر أحمد ابن محمد بن أحمد بن محمد السلفى الأصبهاني قال : أخبرنا الرئيس أبو عبد الله القاسم ابن الفضل بن أحمد بن أحمد بن محمود الثقفى باصبهان . أخبرنا أبو علي الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن عبدان التاجر بنيسابور . حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم . حدثنا أبو الدرداء هاشم بن يعلى الأنصارى ،

حدثنا عتبة بن السكن الفزاري حمصي عن أبي زكريا عن حماد بن زيد عن سعيد الأزدی قال دخلت على أبي أمامة الباهلي وهو في النزع فقال لي ياسعيد إذا مات فاصنعوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصنع بموتانا فقال : إذا مات الرجل منكم فدفنتموه فليقم أحدكم عند رأسه فليقل يا فلان بن فلانة فإنه سيمع فليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يستوى قاعدا فليقل يا فلان بن فلانة فإنه ^{شيقول} أرشدنا يرحمك الله فليقل اذكر ماخرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فإن منكرا ونكيرا عند ذلك يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول : ما نضيع عند رجل لقن حجته فيكون الله حجيجهما دونه حديث أبي أمامة في النزع غريب من حديث حماد بن زيد ما كتبناه إلا من حديث سعيد الأزدی قال أبو محمد عبد الحق : وقال شعبة بن أبي شعبة أرصتني أمي عند موتها فقالت لي : يا بني إذا دفنتي فقم عند قبري وقل يا أم شعبة : قولي لا إله إلا الله ثم انصرف فلما كان من الليل رأيتها في المنام فقالت لي : يا بني لقد كدت أن أهلك لولا أن تداركني لا إله إلا الله فلقد حفظتني في وصيتي يا بني .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ، وقال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر (۱) ينبغي أن يرشد الميت في قبره حين يوضع فيه إلى جواب السؤال ، ويذكر بذلك فيقال : له قل الله ربي والإسلام ديني ومحمد رسول الله فإنه عن ذلك يسأل كما جاءت به الأخبار على ما يأتي إن شاء الله وقد جرى العمل عندنا بقرطبة كذلك فيقال : قل هو محمد رسول الله وذلك عند هيل التراب ولا يعارض هذا بقوله تعالى : (وما أنت بمسمع من في القبور) . وقوله : (إنك لاتسمع الموتى) لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نادى أهل القليب وأسمهم وقال : ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابا ، وقد قال في الميت : إنه ليسمع قرع نعالهم وأن هذا يكون في حال دون حال ووقت دون وقت ونسبأتى استيفاء هذا المعنى في باب ما جاء أن الميت يسمع ما يقال إن شاء الله .

(۱) عمر القرطبي رحمه الله ينبغي

سماع موتي

باب ما جاء في نسيان أهل الميت ميتهم وفي الأمل

أبو هذبة إبراهيم بن هذبة قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن مشيى الجنائزة قد وكل بهم ملك فهم مهتمون محزونون حتى إذا أسلوه في ذلك القبر ورجعوا راجعين أخذ كفا من تراب فرمى به وهو يقول : ارجعوا أنساكم الله موتاكم فينسون ميتهم ويأخذون في شراهم^(۱) ويعمهم كأنهم لم يكونوا منه ولم يكن منهم ، ويروى أن الله عز وجل لما مسح على ظهر آدم عليه السلام فاستخرج ذريته قالت الملائكة : رب لاتسمعهم الأرض قال الله تعالى : إني جاعل موتا : قالت : رب لا يهنهم العيش . قال : إني جاعل أملا فالأمل رحمة من الله تعالى تنتظم به أسباب المعاش وتستحكم به أمور الدنيا ويتقوى به الصانع على صنعته والعابد على عبادته ، وإنما يذم من الأمل ما امتد وطال حتى أنسى العاقبة وثبط عن صالح لأعمال . قال الحسن : الغفلة والأمل نعمتان عظيمتان على ابن آدم ولولاها مامشى المسلمون في الطرق يريدلو كانوا من التيقظ وقصر الأمل وخوف الموت بحيث لا ينظرون إلى معاشهم وما يكون سببا لحياتهم لهلكوا ونحوه . قال مطرف بن عبد الله : لو علمت متى أجلى لخشيت ذهاب عقلي ولكن الله سبحانه من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ماتهنوا بعيدن ولا قامت بينهم الأسواق .

باب ما جاء في رحمة الله تعالى بعبده إذا أدخل في قبره

قال عطاء الخراساني : أرحم ما يكون الرب بعبده إذا أدخل في قبره وتفرق الناس عنه وأهله وروى عن ابن عباس مرفوعا . وقال أبو غالب كنت أختلف إلى أبي أمامة الباهلي بالشام : فدخلت يوما على قتي مريض من جيران أبي أمامة وعنده عم له وهو يقول يا عبدو الله : ألم آمرك ، ألم أنك ، فقال القتي : يا عماء لو أن الله دفعني إلى والدتي كيف كانت صانعة بي ؟ قال : تدخلك الجنة . قال : الله أرحم بي من والدتي ، وقبض القتي . فدخلت القبر مع عمه ، فلما أن سواه صاح وفرع . قلت له مالك ؟ قال : فسح له في قبره وملىء نوراً .

(۱) ارجعوا إلى دنياكم أنساكم الله موتاكم وينسون

وكان أبو سليمان الداراني يقول في دعائه : يا من لا يأنس بشيء أبقاء ولا يستوحش
من شيء أفناء ، ويا أنيس كل غريب ، ارحم في القبر غريبتي ، ويا ثاني كل وحيد ،
آنس في القبر وحدتي . ولقد أحسن أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن مفاوز السلمي
الكاتب أحد البلغاء بشرق الأندلس حيث يقول :

أيها الواقف اعتباراً بقبري استمع فيه قول عظمى الرميم
أودعوني بطن الضريح وخافوا من ذنوبي كلومها باديمي
قلت لا تجزعوا علي فإني حسن الظن بالرءوف الرحيم
ودعوني بما اكتسبت رهيناً غلق الرهن عند مولى كريم

باب متى يرتفع ملك الموت عن العبد

وبيان قوله تعالى : (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد)

وقوله تعالى : (لتركبن طبقاً عن طبق)

أبو نعيم عن أبي جعفر محمد بن علي عن جابر رضي الله عنه قال : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن ابن آدم لفي غفلة عما خلقه الله عز وجل
إن الله لا إله غيره إذا أراد خلقه قال للملك : اكتب رزقه وأثره وأجله ، و اكتب
شقياً أو سعيداً ، ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكاً آخر فيحفظه حتى يدرك ،
ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسيئاته ، فإذا جاءه الموت ارتفع ذلك الملكان ،
ثم جاءه ملك الموت عليه السلام ، فيقبض روحه ، فإذا أدخل حفرته رد الروح
في جسده ، ثم يرتفع ملك الموت ، ثم جاءه ملك القبر فامتحناه ، ثم يرتفعان ،
فإذا قامت الساعة ، انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فأنشطا كتاباً معقوداً
في عنقه ، ثم حضرا معه واحد سائق والآخر شهيد ، ثم قال الله عز وجل : (لقد كنت
في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم (لتركبن طبقاً عن طبق) قال حالاً بعد حال .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : ان قدامكم أمر عظيم فاستمعينوا بالله العظيم .

قال أبو نعيم : هذا حديث غريب من حديث أبي جعفر وحديث جابر تفرد به عنه جابر بن يزيد الجعفي وعنه المفضل.

(۱)
قال الشيخ المؤلف رحمه الله : جابر الجعفي متروك لا يحتج بحديثه في الأحكام ووجد بمدينة قرطبة على قبر الوزير الكبير أبي عامر بن شهيد مكتوب وهو مدفون بإزاء صاحبه الوزير أبي مروان الزجاجي وكأنه يخاطبه ودفنا في بستان كانا كثيراً ما يجتمعان فيه :

يا صاحبي قم فقد أطلنا	أنحن طول المدى هجود
فقال لي لن نقوم منها	ما دام من فوقنا الصعيد
نذكر كم ليلة نعمنا	في ظلها والزمان عيد
وكم سرور هما علينا	سحابة نزهة تجووا
كل كان لم يكن تفضي	وشؤمه حائر عتيا
حصله كاتب حفيظ	وضمه صادق شهيد
يا حسرتا إن تنكبنا	رحمة من بطشه شديد
يارب عفوا فأنت مولى	قصر في حقه العبيد

باب في سؤال الملائكين للعبد

وفي التعود من عذاب القبر وعذاب النار

البخاري عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله تعالى به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً . قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح في قبره أربعون ذراعاً . وقال مسلم : سبعون ذراعاً ويملاً عليه خضرا إلى يوم يبعثون ثم رجع إلى حديث أنس قال : وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول (۱) جابر بن يزيد الجعفي

(م ۸ - تذكرة)

فی هذا الرجل ؟ فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس . فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ليس عند مسلم : ثم رجع إلى حديث أنس إلى آخره وإنما هو عند البخاري . فحديثه أكمل وقول الملكان (ولاتيت) .

قال النحويون الأصل في هذه الكلمة الواو أي ولا تلوت إلا أنها قلبت ياء ليتبع بها دريت . وقد جاء من حديث البراء : لا دريت ولا تلوت ، على ما رواه الإمام أحمد بن حنبل : أي لم تدر ولم تتل القرآن . فلم تنتفع بدرايتك ولا تلاوتك ابن ماجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح في قبره غير فزع ولا مشعوف ، ثم يقال له فيم كنت فيقول كنت في الإسلام ؟ فيقال ما هذا الرجل ؟ فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه . فيقال له : هل رأيت الله ؟ فيقول لا ، ما ينبغي لأحد أن يرى الله فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضها ، فيقال له : انظر إلى ما وراك الله ، ثم يفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها ، فيقال له : هذا مقعدك ويقال له على اليقين كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى ويجلس الرجل السوء في قبره فزعاً مشغوباً فيقال له : فيما كنت فيقول لا أدري . فيقال له ما هذا الرجل ؟ فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلته فيفرج له فرجة قبل الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له انظر إلى ما صرفه الله عنك ثم يفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضها ، فيقال هذا مقعدك على الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى .

الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أقبر الميت - أو قال أحدكم - أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول ما كان يقول فسيه هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ، ثم ينور له فيه ، ثم يقال له : نم فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم ، فيقولان : نم كنومة العرويين الذي

(۱) وأخبرهم محمداً

الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك . وإن كان مناقها قال سمعت الناس يقولون قولاً فقلت مثله لا أدري . فقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك . فيقال للأرض التثني عليه فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك . قال حديث حسن غريب .

أبو داود عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل نخلا لبني النجار ، فسمع صوتا ففرع ، فقال من أصحاب هذه القبور ؟ قالوا يا رسول الله ناس ماتوا في الجاهلية ، فقال نعوذ بالله من عذاب القبر ومن فتنة الدجال . قالوا ومم ذلك يا رسول الله ؟ قال إن المؤمن إذا وضع في قبره أتاه ملك ، فيقول له ما كنت تعبد فإن هداه الله قال كنت أعبد الله فيقال ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول هو عبد الله ورسوله . فما يسأل عن شيء غيرها فينطلق به إلى بيت كان له في النار فيقال له هذا بيتك كان في النار ، ولكن الله عصمك ورحمك فأبدلك بيتا في الجنة فيقول دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي فيقال له اسكن .

وإن الكافر إذا وضع في قبره أتاه ملك فينهره ويقول له ما كنت تعبد ؟ فيقول لا أدري فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول كما يقول الناس فيضرب بمطارق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين .

وخرج أبو داود أيضا عن البراء بن عازب قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما ياجد لجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال استعينوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً ، قال : وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين حين يقال له من ربك وما دينك ومن نبيك ، قال : ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك فيقول : ربي الله ، فيقولان : ما دينك ، فيقول : ديني الإسلام ، فيقولان : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ، فيقول : هو رسول الله ، فيقولان له : وما يدريك ، قال : قرأت كتاب الله فأمنت وصدقت . قال : فينادى مناد من السماء أن صدق عبدي

فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة واقتحوا له باباً إلى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها قال ويقسح به مد بصره .

قال : وإن الكافر فذكر موته قال ، وتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما هذا الرسول الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا أدري قال فينادى مناد أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وألبسوه من النار واقتحوا له باباً إلى النار . قال فيأتيه من حرها وسمومها قال . ويضيق عليه قبره حتى تختاف فيه أضلاعه ، زاد في حديث جرير قال ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار تراباً . قال فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير تراباً ثم تعاد فيه الروح .

(فصل) ذكر أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة . وقد روى عن ابن

مسعود رضى الله عنه أنه قال يا رسول الله ما أول ما يلقى الميت إذا دخل قبره قال يا ابن مسعود ما سألتني عنه أحد إلا أنت فأول ما يناديه ملك اسمه رومان يحوس خلال المقابر فيقول يا عبد الله أكتب عملك فيقول ليس معى دواة ولا قرطاس فيقول : هيات كفنك قرطاسك ، ومدادك ريقك وقلبك إصبعك فيقطع له قطعة من كفنه ثم يجعل العبد يكتب وإن كان غير كاتب في الدنيا فيذكر حينئذ حسناته وسيئاته كيوم واحد ، ثم يطوى الملك القطعة ويلقها في عنقه ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ، أى عمله ، فإذا فرغ من ذلك دخل عليه فتانا القبر ، وهما ملكان أسودان ، يخرقان الأرض بأنيابهما ، لهما شعور مسدوله يجرانها على الأرض ، كلامهما كالرعد القاصف ، وأعينهما كالبرق الخاطف ونفسهما كالريح العاصف ، بيد كل واحد منهما مقمع من حديد لو اجتمع عليه الثقلان ما رفعاه ، لو ضرب به أعظم جبل لجعله دكا ، فإذا أبصرتهما النفس ارتعدت وولت هاربة فتدخل في منخر الميت فيحي الميت من الصدر ، ويكون كهياته عند الفرغرة ، ولا يقدر على حراك ، غير أنه يسمع وينظر قال : فيبتديانه بعنف وينتهرانه بجفاء وقد صار التراب له كالماء حيث ما تحرك انفسح

فيه ووجد فرجة فيقولان له ، من ربك وما دينك ومن نبيك وما قبلك ، فمن
 وفقه الله وثبته بالقول الثابت قال ، ومن وكلكما على ومن أرسلكما إلى ، وهذا
 لا يقوله إلا العلماء الأخيار فيقول أحدهما للآخر صدق كفى شرنا ثم يضربان عليه
 القبر كالقبة العظيمة ويفتحان له باباً إلى الجنة من تلقاء يمينه ثم يفرشان له من
 حريرها وريحانها ويدخل عليه من نسيمها وروحها وريحانها ويأتيه عمله في صورة
 أحب الأشخاص إليه يؤنس ويحدثه ويلاً قبره نوراً ولا يزال في فرح وسرور
 ما بقيت الدنيا حتى تقوم الساعة ، ويسأل متى تقوم الساعة ، فليس شيء أحب إليه
 من قيامها ودونه في المنزلة المؤمن العامل الخير ليس معه حظ من العلم ولا من
 أسرار الملكوت يبلغ عليه عمله عقيب رومان في أحسن صورة طيب الريح ، حسن
 الثياب فيقول له أما تعرفني ، فيقول من أنت الذي من الله على بك في غربتي ،
 فيقول : أنا عمالك الصالح فلا تحزن ولا توجل فعما قليل يبلغ عليك منكر ونكير
 يسألانك فلا تهش ، ثم يلقنه حجة فينبأ هو كذلك ، إذ دخلا عليه فينثرانه
 ويقعدانه مستقداً ويقولان من ربك ، نسق الأول فيقول : الله ربي ومحمد نبي ،
 والقرآن إمامي والكعبة قبلي وإبراهيم أبي وماتة ملتي غير مستعجم فيقولان له :
 صدقت ، ويفعلان به كالأول إلا أنهما يفتحان له باباً إلى النار فينظر إلى حياتها
 وعقاربها وسلاسلها وأغلالها وحميمها وجميع غمومها وصديدها وزقومها فيفرع
 فيقولان له لا عليك سوء هذا موضعك قد أبدله الله تعالى بموضعك هذا من الجنة
 ثم سعيداً ثم يغلقون عنه باب النار ولم يدر مامر عليه من الشهور والاعوام
 والدهور ومن الناس من يحجم في مسألته فإن كانت عقيدته مخالفة امتنع أن يقول :
 الله ربي وأخذ غيرها من الألفاظ فيضربانه ضربة يشتعل منها قبره ناراً ثم تطفأ
 عنه أيما ثم تشتعل عليه أيضاً هذا دأبه ما بقيت الدنيا . ومن الناس من
 يعتاص عليه ويعسر أن يقول الإسلام ديني لشك كان يتوهمه أو فتنة تقع به
 عند الموت فيضربانه ضربة واحدة فيشتعل عليه قبره ناراً كالأول ، ومن الناس
 من يعتاص عليه أن يقول : القرآن إمامي لأنه كان يتلوه ولا يتنظ به ولا يعمل
 بأوامره ولا ينتهي بنواحيه بطرف عليه دهره ولا يعطى منه نفسه خيره
 فيفعل به ما يفعل بالأولين ، ومن الناس من يستحيل عمله يبروا يندب

به في قبره على قدر جرمه ، وفي الأخبار أن من الناس من يستحيل عمله خنوعاً وهو ولد الخنزير ، ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول : نبي محمد لأنه كان ناسياً لسنته ، ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول : الكعبة قبتي لقلعة تجر به في صلاته أو فساده في وضوئه أو التفات في صلاته أو اختلال في ركوعه وسجوده ويكفيك ما روى في فضائلها أن الله لا يقبل صلاة من عليه صلاة ومن عليه ثوب حرام ، ومن الناس من يعتاص عليه أن يقول إبراهيم أبي لأنه سمع كلاماً يوماً أو همه أن إبراهيم كان يهودياً أو نصرانياً فإذا هو شك مرتاب فيفعل به ما يفعل بالآخرين . وقال أبو حامد وكل هذه الأنواع كشفناها في كتاب الإحياء .

وأما الفاجر فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : لأدرى ! فيقولان له : لا أدريت ولا عرفت ثم يضربانه بتلك المقامع حتى يتأرجح في الأرض السابعة ثم تنفضه الأرض في قبره ثم يضربانه سبع مرات ثم يفترق أحوالهم فبهم من يستحيل عمله كلباً ينهشه حتى تقوم الساعة وهم الخوارج ، ومنهم من يستحيل خنزيراً يعذب به في قبره وهم المرتابون ، وهم أنواع وأصله أن الرجل إنما يعذب في قبره بالشئ الذي كان يخافه في الدنيا . فمن الناس من يخاف من الجرو أكثر من الأسد ، وطبائع الخلق متفرقة . نسأل الله السلامة والغفران قبل الندامة .

(فصل) جاء في حديث البخاري ومسلم سؤال الملكين وكذلك في حديث الترمذي ونص على اسميهما ونعتهما . وجاء في حديث أبي داود سؤال ملك واحد ، وفي حديثه الآخر سؤال ملكين ولا تعارض في ذلك والحمد لله بل كل ذلك صحيح المعنى بالنسبة إلى الأشخاص قرب شخص بآتيانه جميعاً ويسألانه جميعاً في حال واحد عند انصراف الناس ليكون السؤال عليه أهون والفتنة في حقه أشد وأعظم وذلك بحسب ما اقترب من الآثام واجترح من سيء الأعمال ، وآخر بآتيانه قبل انصراف الناس عنه وآخر بآتيه أحدهما على الآخر فيكون ذلك أخف في السؤال وأقل في المراجعة والعتاب لما عمله من صالح الأعمال ، وقد يحتمل حديث أبي داود وجهاً آخر وهو أن الملكين يأتیان جميعاً ويكون السائل أحدهما وإن تشارك في

الإتيان فيكون الراوي اقتصر على الملك السائل وترك غيره لأنه لم يقل في الحديث أنه لا يأتيه إلى قبره إلا ملك واحد ولو قاله هكذا صريحا لكان الجواب عنه ما قدمناه من أحوال الناس والله اعلم ، وقد يكون من الناس من يوقى فتنهما ولا يأتيه احد منهما على ما يأتي بيانه ان شاء الله تعالى ، واختلفت الاحاديث أيضا في كيفية السؤال والجواب وذلك بحسب اختلاف أحوال الناس فمنهم من يقتصر على سؤاله عن بعض اعتقاداته ، ومنهم من يسأل عن كلها فلا تناقض ووجه آخر وهو أن يكون بعض الرواة اقتصر على بعض السؤال وأتى به غيره على الكمال فيكون الإنسان مشغولا عن الجميع . كما جاء في حديث البراء المذكور والله اعلم . وقراء المسؤل هاهاه هي حكاية صوت المبهور من تعب او جرى او حمل ثقيل .

باب ذكر حديث البراء المشهور

الجامع لأحوال الموتى عند قبض أرواحهم وفي قبورهم أخرجه أبو داود الطيالسي وعبد بن حميد في مسنديهما وعلي بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية وهناد ابن السري في زهده واحمد بن حنبل في مسنده وغيرهم وهو حديث صحيح له طرق كثيرة تهتم بتخريج طرقه علي بن معبد فأما أبو داود الطيالسي فقال : حدثنا أبو عوانة عن الأعمش وقال هناد واحمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال ابن عمرو ، وقال : أبو داود حدثنا عمرو بن ثابت سمعه من المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء يعني ابن عازب وحديث إبي عوانة أتمهما ، قال : البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا إلى القبر ، لما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله ، كأنما على رؤوسنا الطير ، قال عمرو بن ثابت : وقع ولم يقله أبو عوانة ، فجعل يرفع بصره وينظر إلى السماء وينخفض بصره وينظر إلى الأرض ، ثم قال أعوذ بالله من عذاب القبر قالها مرارا ثم قال إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا ، جاءه ملك فجلس عند رأسه فيقول أخرجي أيتها النفس الطيبة إلى مغفرة من الله ورضوان فتخرج نفسه فتسيل كما تسيل قطر السماء ، قال : عمرو في حديث لم يقله أبو عوانة .

وان كنتم ترون غير ذلك وتنزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم أكفان من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوطها . فيجلسون منه مد البصر فإذا قبضها الملك لم يدعوها في يده طرفة عين ، قال : فذلك قوله تعالى توفته رسلنا وهم لا يفرطون ، قال فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت ، فتخرج به الملائكة فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا ما هذه الروح ، فيقال فلان بأحسن أسمائه حتى ينتهوا به أبواب السماء الدنيا فيفتح له ، ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة ، فيقال اكتبوا كتابه في عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ، فيكتب كتابه في عليين . ثم يقال ردوه إلى الأرض فاني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى قال : فيرد إلى الأرض وتعاد روحه في جسده ، فيأتيه ملكان شديدا الانتهاز فيتهرانه ويجلسانه ، فيقولان من ربك وملايكك ومن نبيك فيقول ربني الله وديني الاسلام ، فيقولان : فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم ، فيقول : هو رسول الله . فيقولان : وما يدريك ، فيقول جاءنا بالبينات من ربنا فأمنت به وصدقت قال وذلك قوله تعالى و يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، قال : وينادي مناد من السماء أن قد صدق عبدي فأفرشوه من الجنة والبسوه من الجنة وأروه منزله منها ويفسح له مد بصره ويمثل له عمله في صورة رجل حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فيقول أبشر بما أعد الله لك أبشر برضوان الله ووجنات فيها نعيم مقيم فيقول بشرك الله بخير ، من أنت فوجهك الوجه الذي جاء بالخير ، فيقول هذا يومك الذي كنت توعده أو الأمر الذي كنت توعده أنا عملك الصالح فوالله ما علمتك إلا كنت مريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا فيقول يارب أقم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي ، قال : فان كان فاجرا وكان في قبل من الدنيا وانقطاع من الآخرة جاءه ملك ، فجلس عند رأسه فقال : أخرجي أيتها النفس الخبيثة أبشري بسخط من الله وغضبه فتزل ملائكة سود الوجوه معهم مسوح من نار فاذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوها في يده طرفة عين ، قال : فتفرق في جسده فيستخرجها ، تقطع منها العروق والعصب كالسفوف

الكثير الشعب في الصوف المبلول ، فتوخذ من الملك فتخرج كأنهن جيفة وجدت
فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض ، ألا قالوا ما هذه الروح الخبيثة فيقولون
هذا فلا بأسوا أسماءه حتى يتبها به إلى سماء الدنيا فلا يفتح لهم ، فيقولون : ردوه
إلى الأرض إني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها نعيدهم ، ومنها نخرجهم تارة أخرى
قال : فيرى به من السماء . قال : وبلا هذه الآية ، ومن يشرك بالله فكأنما خر من
السماء فتخطفه ، الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ، قال : فيعاد إلى الأرض
وتعاد فيه روحه ، ويأتيه ملكان شديدا الاقنار فينهرانه ويجلسانه . فيقولان :
من ربك وما دينك ، فيقول : لا أدري . فيقولان : فما تقول في هذا الرجل الذي
بعث فيكم فلا يهتدى لاسمه فيقال محمد ، فيقول : لا أدري سمعت الناس يقولون
ذلك قال فيقال لادريت ، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويمثل له عمله
في صورة رجل قبيح الوجه خشن الريح قبيح الثياب ، فيقول : أبشر بعذاب الله
وسخطه ، فيقول : من أنت فوجهك الذي جاء بالشر ، فيقول : أنا عمك الخبيث
فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً إلى معصية الله ، قال عمرو
في حديثه عن المنهال عن زاذان عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم فيقيض له
أصم أبكم بيده مرزبة لوضرب بها جبل صار ترابا ، أو قال رمياً فيضربه
به ضربة تسمعها الخلائق إلا الثقلين ، ثم تعاد فيه الروح فيضرب ضربة أخرى
لفظ أبي داود الطيالسي وخرجه علي بن معبد من عدة طرق بمعناه وزاد فيه ثم
يقيض له أصم معه مرزبة من حديد فيضربه بها ضربه فيدق بها من ذؤابته
إلى خصره ثم يعاد فيضربه ضربة فيدق بها من ذؤابته إلى خصره ، وزاد في
بعض طرقه عند قوله مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان لم ينقلوها فيضرب
بها ضربة فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح ، ويضرب بها ضربة يسمعها من على
الأرض غير الثقلين ، ثم يقال افرشوا له لوحين من نار وافتحوا له بابا إلى النار ،
فيفرش له لوحان من نار ويفتح له باب إلى النار ، وزاد فيه عند قوله وانقطاع
من الدنيا نزلت به ملائكة غلاظ شداد معهم حنوط من نار وسرايل من قطران
يحتوشونه فتنتزع نفسه كما ينتزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل تقطع
معه عروقها ، فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك في السماء وكل ملك في الأرض .

(۱) معبد الجهني من

وخرج أبو عبد الله الحسين بن الحسين بن حرب صاحب ، ابن المبارك
 في رفاقه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه كان يقول إذا قتل العبد في
 سبيل الله كان أول قطرة تقطر من دمه إلى الأرض كفارة للخطايا ثم يرسل الله
 عز وجل بريطة من الجنة فيقبض فيها روحه ، وصوره في الجنة
 فيركب فيها روحه ثم يعرج مع الملائكة كأنه كان معهم والملائكة على أرجاء
 السماء يقولون قد جاء روح من الأرض طيبة ونسمة طيبة ، فلا تمر بباب إلا فتح
 لها ولا ملك إلا صلى عليها ودعا لها ويشيعها حتى يوثق بها الرحمن ، فيقولون :
 يا ربنا هذا عبدك توفيته في سبيلك فيسجد قبل الملائكة ، ثم تسجد الملائكة بعد ثم يظهر
 ويفر له ثم يؤمر فيذهب به إلى الشهداء ، فيجدهم في قباب من حرير في رياض خضر
 عندهم حوت وثور يظل الحوت يسبح في أنهار الجنة يأكل من كل رائحة في أنهار
 الجنة فإذا أمسى وكزه الثور بقرنه فيذكيه فيأكلون لحمه فيجدون في لحمه طعم كل
 رائحة وبيت الثور في أفناء الجنة فإذا أصبح غدا عليه الحوت فوكزه بذنبه فيذكيه
 فيأكلون في لحمه طعم كل رائحة في الجنة ثم يعودون وينظرون إلى منارهم من الجنة
 ويدعون الله عز وجل أن تقوم الساعة فإذا توفى العبد المؤمن بعث الله عز وجل
 إليه ملكين وأرسل إليه بخرقة من الجنة ، فقال: أخرجي أيتها النفس المطمئنة أخرجي
 إلى روح ورب رحمان ورب عتقك غير غضبان فتخرج كماطيب ريح من مسك ما وجدها
 أحد بأنفه قط والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من قبل الأرض روح
 طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب إلا فتح لها ولا بملك إلا دعا لها وصلى عليها حتى
 يوثق بها الرحمن فتسجد الملائكة ثم يقولون هذا عبدك فلان قد توفيته وكان
 يعبدك لا يشرك بك شيئاً ، فيقول مروه فليسجد فتسجد النسمة ثم يدعى ميكائيل
 فيقول اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين حتى أسألك عنها يوم القيامة ثم
 يؤمر فيوسع عليه قبره سبعين ذراعاً عرضه وسبعين ذراعاً طوله وينبذ له فيه
 الرياحين ويستتر بالحرير فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره وإن لم يكن معه
 جعل له في قبره نور مثل نور الشمس ويكون مثله كمثل العروس ينام فلا يوقظه
 إلا أحب أهله إليه ، قال : فيقوم من نومه كأنه لم يشبع من نومه ، وإذا توفى
 العبد الفاجر أرسل الله إليه ملكين وأرسل بقطعة من نجاد أنتن من كل نتن وأخشن

(۱) فيأكلون في لحمه

من كل خشن ، فقالا: أخرجى أيتها النفس الخبيثة أخرجى إلى حميم وعذاب ورب عليك غضبان أخرجى وساء ما قدمت لنفسك فتخرج كأنتن رائحة وجدها أحد بأنفه قط وعلى أرجاء السماء ملائكة يقولون قد جاء من الأرض روح خبيثة ونسمة خبيثة فتغلق دونها أبواب السماء ولا تصعد إلى السماء ثم يؤمر فيضيق عليه قبره ويرسل عليه حيات أمثال أعناق البخت فتأكل لحمه حتى لا تذر على عظمه لحما ، ويرسل عليه ملائكة صم عمى يضربونه بفظاطيس من حديد لا يسمعون صوته فيرحمونه ، ولا يبصرونه فيرحمونه ولا يخطئون حين يضربونه ويعرض عليه مقعده من النار بكرة وعشيا يدعو بأن يدوم ذلك ولا يخاص إلى النار .

بوخرج أبو عبد الرحمن اللساني بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا احتضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: أخرجى راضية مرضيا غنك إلى روح وريحان ورب راض غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى انه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتوا به باب السماء فيقولون ما أطيب هذه الريح التي جاءكم من الأرض فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحا من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة ؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال: ما اتاكم؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية . وإن الكافر إذا احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون أخرجى ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله فيخرج كأنتن ريح خبيثة حتى يأتوا به باب الأرض فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتوا به أرواح الكفار ، وخرج أبو داود الطيالسي قال: حدثنا حماد عن قتادة عن أبي الجوزاء عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا قبض العبد المؤمن جاءته ملائكة الرحمة فتسلم وتسلم نفسه في حريرة بيضاء فيقولون: ما وجدنا ريحا طيب من هذه فيسألونه فيقولون: ارفعوا به فإنه خرج من غم الدنيا فيقولون: ما فعل فلان ما فعلت فلانة قال: وأما الكافر فتخرج نفسه فتقول خزنة الأرض ما وجدنا ريحا أنتن من هذه فهبط به إلى أسفل الأرض . قال الشيخ المؤلف رحمه الله: وهنا فصول ستة في الرد على الملعنة .

(الفصل الأول) تأمل يا أخى وفقنى اللغو ليالك هذا الحديث وما قبله من الأحاديث
ترشدك إلى أن الروح والنفس شيء واحد وأنه جسم لطيف مشابه للأجسام
لمحسوسة يجذب ويخرج وفي أكفانه يلف ويدرج وبه إلى السماء يخرج لا يموت
ولا يفنى وهو بماله أول وليس له آخر وهو بعينين ويدين وأنه ذوا ربح طيب
وخبيث وهذه صفة الأجسام لا صفة الأعراض ، وقد قال بلال في حديث الوادى
أخذ بنفسى يا رسول الله الذى أخذ بنفسك . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
مقابلا له في حديث زيد بن أسلم في حديث الوادى يا أيها الناس إن الله قبض
أرواحنا ولو شاء ردها إلينا فى حين غير هذا . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
إن الروح إذا قبض تبعه البصر وقال : فذلك حين يتبع بصره نفسه وهذا غاية فى
البيان ولا عطر بعد عروس ، وقد اختلف الناس فى الروح اختلافا كثيرا أصح
ما قيل فيه ما ذكرناه لك وهو مذهب أهل السنة أنه جسم ، وقد قال تعالى : الله
يتوفى الأنفس حين موتها . قال أهل التأويل : يريد الأرواح وقد قال تعالى : فلولا
إذا بلغت الخلقوم يعنى النفس عند خروجها من الجسد ، وهذه صفة الجسم ولم يجر
لها ذكر فى الآية لدلاله الكلام عليها كقول الشاعر :

أماوى ما يعنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
وكل من يقول إن الروح يموت ويفنى فهو ملحد وكذلك من يقول بالتناسخ
عنها إذا خرجت من هذا ركبت فى شيء آخر حمار أو كلب أو غير ذلك وإنما هى
محفوظة بحفظ الله إما منعمة وإما معذبة على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

(الفصل الثانى) الإيمان بعذاب القبر وفتنته واجب والتصديق به لازم حسب
ما أخبر به الصادق وأن الله تعالى يحيى العبد المكلف فى قبره برد الحياة إليه ويجعله
من العقل فى مثل الوصف الذى عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه ~~ويجب~~ به ويفهم
ما آتاه من ربه وما أعد له فى قبره من كرامة وهوان وبهذا نطق الأخبار عن
النبي المختار صلى الله عليه وسلم وعلى آله آناه الليل وأطراف النهار ، وهذا مذهب
أهل السنة والذى عليه الجماعة من أهل الملة ولم تفهم الصحابة الذين نزل القرآن
بلسانهم ولغتهم من نبيهم عليه السلام غير ما ذكرنا وكذلك التابعون بعدهم إلى هم

جرا ، ولقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بفتنة الميت في قبره وسؤال منكر ونكير وهما الملكان يارسول الله أيرجع إلى عثلي ؟ قال نعم قال إذا أكيكهما والله لأن سألاني سأتهما فأقول لها أنا ربى الله فن ربكأ أنتما .

وخرج الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نواذر الأصول من حديث عبد الله ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوماً فتانى القبر . فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أترد علينا عقولنا يارسول الله ؟ فقال نعم كهيئناكم اليوم ، فقال عمر فى فيه الحجر . وقال سهل بن عمار : رأيت يزيد بن هارون فى المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله بك ؟ فقال انه أتانى فى قبرى ملكان فظان غليظان ، فقالا مادينك ومن ربك ومن نبيك فأخذت بلحيتى البيضاء وقلت المثلئ يقال هذا . وقد علمت الناس جوابكأ ثمانين سنة فذهبا . وقالأ أكتبت عن حمير بن عثمان ؟ قلت نعم . فقالا إنه كان يبغض عليا فأبغضه الله .

بعض على كما ينه

وفى حديث البراء فتعاد روجه فى جسده : وحسبك وقد قيل إن السؤال والعذاب إنما يكون على الروح دون الجسد وما ذكرناه لك أولاً أصح والله أعلم .

أرد ملحدين

(الفصل الثالث) أنكرت الملحدة ومن تمذهب من الإسلاميين بمذهب الفلاسفة عذاب القبر وأنه ليس له حقيقة ، واحتجوا بأن قالوا : إنا نكشف القبر فلم نجد فيه ملائكة عميا صما يضربون الناس بغطاطيس من حديد ولا نجد فيه حيات ولا ثعابين ولا نيرانا ولا تنانين وكذلك لو كشفنا عنه فى كل حالة لوجدناه فيه لم يذهب ولم يتغير وكيف يصح إقعاده ونحن لو وضعنا الزئبق بين عينيه لوجدناه بحاله . فكيف يجلس ويضرب ولا يتفرق ذلك وكيف يصح إقعاده وما ذكرتموه من الفسحة ونحن نفتح القبر فنجد لحده ضيقا ونجد مساحته على حد ما حضرناها لم يتغير علينا ، فكيف يسعه ويسع الملائكة السائلين له ؟ وإنما ذلك كله إشارة إلى حالات ترد على الروح من العذاب الروحانى ، وإنما لاحقائق لها على موضوع اللغة .

والجواب : أنا نؤمن بما ذكرناه والله أن يفعل ما يشاء من عقاب ونعيم

ويعرف أبصارنا عن جميع ذلك بل يغيبه عنا فلا يبعد في قدرة الله تعالى فعل ذلك كله إذ هو القادر على كل ممكن جائز ~~بالحسن~~ لو شئنا لأزلنا الزئبق عن عينيه ، ثم نضجعه ونرد الزئبق مكانه ، وكذلك يمكننا أن نعميق القبر ونوسعه حتى يقوم فيه قياماً فضلاً عن القعود كذلك يمكننا أن نوسع القبر مائتي ذراع فضلاً عن سبعين ذراعاً ، والرب سبحانه أبسط منا قدرة وأقوى منا قوة وأسرع فعلاً وأحصى منا حساباً (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) ولا رب لمن يدعى الإسلام إلا من هذه صفته ، فإذا كشفنا نحن عن ذلك رد الله سبحانه الأمر على ما كان ، نعم بل لو كان الميت بيننا موضوعاً فلا يمتنع أن يأتيه الملك ويسألانه من غير أن يشعر الحاضرون بهما ، ويجيبهما من غير أن يسمع الحاضرون جوابيهما ومثال ذلك نائمان بيننا أحدهما ينعم والآخر يعذب ، ولا يشعر بذلك أحد من جوابيهما من المنتهين ، ثم إذا استيقظا أخبر كل واحد منهما عما كان فيه .

وقد قال بعض علمائنا إن دخول الملك القبور جائز أن يكون تأويله اطلاعه عليها وعلى أهلها وأهلها مدركون له عن بعد من غير دخول ولا قرب ، ويجوز أن يكون الملك للطاقة اجزائه يتواج في خلال المقابر فيتوصل اليهم من غير نبش ويجوز أن ينشها ثم يعيدها الله إلى مثل حالها على وجه لا يدركها أهل الدنيا . ويجوز أن يكون الملك يدخل من تحت قبورهم من مداخل لا يهتدى الإنسان إليها .

وبالجملة فأحوال المقابر وأهلها على خلاف عادات أهل الدنيا في حياتهم ، فليس تنقاس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا وهذا مما لا خلاف فيه ولو لا خبر الصادق بذلك لم نعرف شيئاً مما هنالك . فإن قالوا كل حديث يخالف مقتضى المعقول يقطع بتخطئه ناقلياً ونحن نرى المصلوب على صلبه مدة طويلة وهو لا يسأل ولا يجي وكذلك يشاهد الميت على سريرته وهو لا يجيب سائلاً ولا يتحرك ومن افترسته السباع ونهشه الطيور وتفرقت أجزاءه في أجواف الطير وبطن الحيتان وحواصل الطيور وأقاصى التخوم ومدارج الرياح فكيف تجتمع أجزاءه

أم كيف تتألف أعضاؤه وكيف تتصور مسائلة الملكين من هذا وصفه أم كيف يصير القبر على من هذا حاله روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار والجواب عن هذا من وجوه أربعة : (أحدها) أن الذي جاء بهذاهم الذين جاؤا بالصلوات الخمس وليس لنا طريق إلا ما نقلوه لنا من ذلك . (الثاني) ما ذكره القاضي لسان الأمة وهو أن المدفونين في القبور يسألون والذين بقوا على وجه الأرض فإن الله تعالى يحجب المكلفين عما يجري عليهم كما حجبتهم عن رؤية الملائكة مع رؤية الأنبياء عليهم السلام لهم ومن أنكر ذلك فليتكز نزول جبريل عليه السلام على الأنبياء عليهم السلام وقد قال الله تعالى : في وصف الشياطين إنه براكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم . (الثالث) قال بعض العلماء : لا يبعد أن ترد الحياة إلى المصلوب ونحن لا نشعر به كما انا نحسب المغما عليه ميتا وكذلك صاحب السكنة وندفنه على حساب الموت ، ومن تفرقت أجزاءه فلا يبعد أن يخلق الله الحياة في أجزائه . قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ويعيده كما كان كما فعل بالرجل الذي أمر إذا مات أن يحرق ثم يسحق ثم يدرى حتى تنسف الرياح الحديث وفيه فأمر الله البر لجمع ما فيه وأمر البحر لجمع ما فيه ثم قال : ما حملك على ما فعلت قال : خشيتك . أو قال مخافتك خرج البخاري ومسلم ، وفي التنزيل نخذ أربعة من الطير الآية . (الرابع) قال أبو المعالي المرصفي عندنا أن السؤال يقع على أجزاء يعلمها الله تعالى من القلب أو غيره فيحييها ويوجه السؤال عليها وذلك غير مستحيل عقلا قال بعض علماءنا وليس هذا بأبعد من الذر الذي أخرجه الله تعالى من صلب آدم عليه السلام واشهدهم على أنفسهم ألسنتهم بربكم قالوا : بلى .

(الفصل الرابع) فإن قالوا ما حكم الصغار عندكم قلناهم كالبالغين وأن العقل يكمل لهم ليعرفوا بذلك منزلتهم وسعادتهم ويلهمون الجواب عما يسألون عنه هذا ما تقتضيه ظواهر الأخبار وقد جاء أن القبر ينضم عليه كما ينضم على الكبار ، وقد تقدم وذكر هناد بن السري قال حدثنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ان كان ليصلى على المنفوس ما أن عمل خطيئة قط فيقول : اللهم اجره من عذاب القبر .

(الفصل الخامس) فإن قالوا فما تاويلكم في القبر حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة قلنا: ذلك محمول عندنا على الحقيقة لا على المجاز وأن القبر يملأ على المؤمن خضرا وهو العشب من النبات ، وقد عينه عبد الله بن عمرو ابن العاص فقال : هو الريحان كما في حق الكافر يفرش له لوحان من نار ، وقد تقدم وقد حمله بعض علمائنا على المجاز والمراد حفرة السؤال على المؤمن وسهولة عايه وأمنه فيه وطيب عيشه ووصفه بأنه جنة تشبها بالجنة والنعم فيها بالرياض يقال : فلان في الجنة إذا كان في رغد من العيش وسلامة فالمؤمن يكون في قبره في روح وراحة وطيب عيش ، وقد رفع الله عن عينيه الحجاب حتى يرى مدبصره كما في الخبر ، وأراد بحفرة النار ضغطة القبر وشدة المسألة والخوف والأهوال التي تكون فيها على الكفرة وبعض أهل الكبار والله أعلم ، والأول أصح لأن الله سبحانه ورسوله يقص الحق ولا استحالة في شيء من ذلك .

(الفصل السادس) روى أبو عمر في التمهيد عن ابن عباس قال : سمعت عمر ابن الخطاب يقول أيها الناس إن الرجم حق فلا تخدعن عنه وإن آية ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم وإن أبا بكر قد رجم وإنما قد رجمنا بعدها وسيكون أقوام من هذه الأمة يكذبون بالرجم ويكذبون بالدجال ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ويكذبون بعذاب القبر ، ويكذبون بالساعة ويكذبون يقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا . قال علماؤنا رحمة الله عليهم : هؤلاء هم القدرية والخوارج ، ومن سلك سبيلهم واقترقوا في ذلك فرقا فصار أبو الهذيل و بشر إلى أن من خرج عن سمة الإيمان فإنه يعذب بين النفتين ، وأن المسألة إنما تقع في تلك الأوقات وأثبت البلخي وكذلك الجبائي وابنه عذاب . القبر ولكنهم نفوه عن المؤمنين وأثبتوه للكافرين والفاسقين وقال : الأكثرون من المعتزلة لا يجوز تسمية ملائكة الله تعالى بمنكر ونكير ، وإنما المنكر ما يبدوا من تلجلجه إذا سئل ، وتقرير الملائكة له هو النكير ، وقال صالح عذاب القبر جائز وأنه يجرى على الموتى من غير رد الأرواح إلى الأجساد ، وأن الميت يجوز أن يألم ويحس ويعلم وهذا مذهب جماعة من

الكرامية وقال بعض المعتزلة إن الله يعذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون ، فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام وزعموا أن سبيل المعذبين من الموتى كسبيل السكران أو المغشى عليه لو ضربوا لم يجدوا الآلام ، فإذا عاد إليهم العقل وجدوا تلك الآلام ، وأما الباقيون من المعتزلة مثل ضرار بن عمرو وبشر المريسي ويحيى بن كامل وغيرهم ، فإنهم أنكروا عذاب القبر أصلاً ، وقالوا إن من مات فهو ميت في قبره إلى يوم البعث ، وهذه أقوال كلها فاسدة ترددها الأخبار الثابتة ، وفي التنزيل : النار يعرضون عليها غدواً وعشيا . وسيأتي من الأخبار مزيد بيان وبالله التوفيق والعصمة والله أعلم .

باب ما جاء في صفة الملكين

صلوات الله عليهما وصفة سؤالهما

قد تقدم من حديث الترمذي أنهما أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر ، وللآخر النكير ، وروى معمر بن عمرو بن دينار وعن سعد بن إبراهيم عن عطاء بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر كيف بك يا عمر إذا جاءك منكر ونكير إذا مت وانطلق بك قومك فاسألوهم ثلاثاً أذرع وشبر في ذراع وشبر ثم غسلوك وكفنوك وحنطوك ؛ ثم احتملوك فوضعوك فيه ثم أهالوا عليك التراب فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر منكر ونكير أصواتهما كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف يجران كالريح العاصف يجران شعورهما معهما مرزبة من حديد لو اجتمع عليها أهل الأرض لم يقلوها ، فقال عمر يا رسول الله إن فرقنا لحق لنا أن نفرق انبعث على ما نحن عليه قال نعم قال إذا أفضيكنهما ، وروى نقلة الأخبار عن ابن عباس في خبر الأصراء أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال قلت : يا جبريل وما ذاك قال منكر ونكير يأتيان كل إنسان من البشر حين يوضع في قبره وحيداً فقلت يا جبريل صفهما لي قال نعم من غير أن أذكر لك طولهما وعرضهما ذكر ذلك منهما أفضح من ذلك غير أن أصواتهما كالرعد القاصف وأعينهما كالبرق الخاطف ، وأنيابهما كالصياصي يخرج لهب النار من أفواههما (م ۹ - تذكرة)

ومناخرهما ومسامعهما يكسحان الأرض بأشعارهما ويحفران الأرض بأظفارهما مع كل واحد منهما عمود من حديد، لو اجتمع عليه من في الأرض ما حركوه بآتيان الإنسان إذا وضع في قبره وترك وحيداً يسلكان روحه في جسده بإذن الله تعالى ثم يقعدانه في قبره فينهرانه انتهاراً يتققع منه عظامه وتزول أعضاؤه من مفاصله فيخر مغشياً عليه ثم يقعدانه فيقولان له إنك في البرزخ فاعقل حالك واعرف مكانك، وينهرانه ثانية ويقولان: يا هذا ذهبت عنك الدنيا وأفضيت إلى معادك فأخبرنا من ربك. وما دينك^(۱)، فإن كان مؤمناً بالله لقنه الله حجته فيقول الله ربي ونبي محمد، ودينى الإسلام، فينهرانه عند ذلك انتهاراً يرى أن أوصاله تفرقت وعروقه قد تقطعت ويقولان له. يا هنا تثبت يا هذا انتهاراً تقول فيثبته الله عنده بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويلقيه الأمان ويدراً عنه الفزع فلا يخافهما، فإذا فعل ذلك بعبد المؤمن استأنس إليهما وأقبل عليهما بالخصومة يخاصمهما ويقول تهدداني كي ما أشك في ربي وتريداني أن أتخذ غير مولاي وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وهو ربي وربك ورب كل شيء ونبي محمد ودينى الإسلام ثم ينهرانه ويسألانه عن ذلك فيقول ربي الله فاطر السموات والأرض، إياه كنت أعبد ولم أشرك به شيئاً ولم أتخذ غيره أحداً أفتريدان أن ترداني عن معرفة ربي وعبادتي إياه، نعم هو الله الذى لا إله إلا هو قال: فإذا قال ذلك ثلاث مرات مجاوبة لهما تواضعا له حتى يستأنس إليهما أنس ما كان في الدنيا إلى أهل وده ويضحكان إليه ويقولان له صدقت وبررت أقر الله عينيك وثبتك، أبشر بالجنة وبكرامة الله ثم يدفع عنه قبره هكذا وهكذا فيتسع عليه مد البصر و يفتح له باباً إلى الجنة فيدخل عليه من روح الجنة وطيب ريحها ونضرتها في قبره ما يتعرف به كرامة الله تعالى فإذا رأى ذلك استيقن بالفوز فحمد الله، ثم يفرشان له فراشا من استبرق الجنة ويضعان له مصباحاً من نور عند رأسه ومصباحاً من نور عند رجليه يزهران في قبره ثم تدخل عليه ريح أخرى حين يسمها يغشاه الناس فينام فيقولان له ارقد رقدة العروس قرير العين لا خوف عليك ولا حزن ثم يمثلان عمله الصالح في أحسن ما يرى من صورة وأطيب

(۱) وما دينك ومن نبيك فان

(۱) فيقولان هذا عملك وكلامك الطيب قد مثله الله لك في أحسن ما ترى من صورة وأطيب ريح ليؤنسك في قبرك فلا تكون وحيدا ويدراً عنك هوام الأرض وكل دابة وكل أذى فلا يخذلك في قبرك ولا في شيء من مواطن القيامة حتى تدخل الجنة برحمة الله تعالى فتم سعيداً طوبى لك وحسن مأب ثم يسلمان عليه ويطيران عنه وذكر الحديث وما يلقي الكافر من الهوان الشديد والعذاب الاليم وحسبك بما تقدم .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله تعالى وهذا الحديث وإن كان في إسناده مقال لأنه يروى عن عمرو بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم فهو حديث مرتب على أحوال مبينة ومحتو على أمور مفسرة .

(فصل) قوله أتاك فتانا القبر منكر ونكير وإنما سميا فتان القبر لأن في سؤالهما انتهارا وفي خلقهما صعوبة ألا ترى أنهما سميا منكرا ونكيرا وإنما سميا بذلك لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق الطير ، ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام ، بل هما خلق بديع وليس في خلقتهما أنس للناظرين اليهما ، جعلهما الله تكرامة للؤمن ليتنبه وتبصرة وهتكاً لستر المناق في البرزخ من قبل أن يبعث حتى يحل عليه العذاب قاله أبو عبد الله الترمذى .

(فصل) إن قال قائل كيف يخاطب الملكان جميع الموتى وهم مختلفو الأماكن متباعداً القبور في الوقت الواحد والجسم الواحد لا يكون في المكانين في الوقت الواحد وكيف تنقلب الأعمال أشخاصاً وهي في نفسها أعراض . فالجواب : عن الأول ما جرى من ذكرهما في هذا الخبر من عظم جثتيهما فيخاطبان الخلق الكثير الذين في الجهة الواحدة منهم في المرة الواحدة مخاطبة واحدة يخيل لكل واحد أن المخاطب هو دون من سواه ويكون الله يمنع سمعه من مخاطبة الموتى لهذا ويسمع هو مخاطبتهما إن لو كانوا معه في قبر واحد وقد تقدم أن عذاب القبر يسمعه كل شيء إلا الثقلين والله سبحانه وتعالى يسمع من يشاء وهو على كل شيء قدير . والجواب عن الثاني : أن الله يخلق من

(۱) ریح فیقولان عند رآه ویقولان

ثواب الأعمال أشخاصا حسنة وقيحة لأن العرض نفسه ينقلب جوهرًا إذ ليس من قبيل الجواهر . ومثل هذا ما صح في الحديث أنه يؤتى بالموت كأنه كبش أملح فيوقف على الصراط فيذبح ومحال أن ينقلب الموت كبشًا لأن الموت عرض وإنما المعنى أن الله سبحانه يخلق شخصا يسميه الموت فيذبح بين الجنة والنار . وهكذا كلما ورد عليك في هذا الباب التأويل فيه ما ذكرت لك والله سبحانه أعلم . وسيأتي له مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

باب اختلاف الآثار في سعة القبر على المؤمنين بالنسبة إلى أعمالهم

جاء في حديث البخاري ومسلم : أنه يفسح له سبعون ذراعا وفي الترمذي سبعون ذراعا في سبعين ذراعا . وفي حديث البراء مدالبصر . وخرج علي بن معبد عن معاذة قالت : قلت لعائشة رضي الله عنها ألا تخبريننا عن مقبورنا ما بقي وما يصنع به ؟ فقالت : إن كان مؤمنا ففسح له في قبره أربعون ذراعا .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وهذا إنما يكون بعد ضيق القبر والسؤال . وأما الكافر فلا يزال عليه قبره ضيقا فنسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة . سمعت بعض علمائنا يقول : إن حفارا كان بقرافة مصر يحفر القبور فحفر ثلاثة أقبر فلما فرغ منها غشيه النعاس فرأى فيما يرى النائم ملائكة نزلوا فوقها على أحد الأقبور . فقال أحدهما لصاحبه اكتب فرسخا في فرسخ . ثم وقفا على الثاني : فقال أحدهما اكتب ميلا في ميل . ثم وقفا على الثالث . فقال اكتب قترا في قتر . ثم انقبه فجاء برجل غريب لا يؤبه له فدفن في القبر الأول . ثم جىء برجل آخر فدفن في القبر الثاني . ثم جىء بامرأة مترفة من ^{أهل} ^{البلد} حولها ناس كثير فدفنت في القبر الضيق الذي سعتة قترا في قتر القبر ما بين الإبهام والسبابة . نعوذ بالله من ضيق القبر وعذابه .

باب ماجاء في عذاب القبر وأنه حق

وفي اختلاف عذاب الكافرين في قبورهم وضيقها عليهم

قال الله تعالى (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا) قال أبو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود ضنكا قال عذاب القبر . وقيل في قوله عز وجل : (وإن للذين ظلموا عذابا دون ذلك) هو عذاب القبر لأن الله ذكره عقب قوله (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) وهذا اليوم هو اليوم الآخر من أيام الدنيا فدل على أن العذاب الذي هم فيه هو عذاب القبر ولذلك قال : (ولكن أكثرهم لا يعلمون) لأنه غيب . وقال : (وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) فهذا عذاب القبر في البرزخ وسيأتي . وقال ابن عباس في قوله تعالى : (كلا سوف تعلمون) ما ينزل بكم من العذاب في القبر (ثم كلا سوف تعلمون) في الآخرة إذا حل بكم العذاب فالأول في القبر والثاني في الآخرة فالتكرير للحالتين وروى زر بن حبیش عن علي رضي الله عنه قال : كنا نمشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة (الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون) يعني في القبور . وقال أبو هريرة : يضيق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه وهو المعيشة الضنك . وروى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون فيمن أنزلت هذه الآية ؟ (فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) أتدرون ما المعيشة الضنك ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال عذاب الكافر في القبر والذي نفسي بيده انه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنيئا . أتدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية تسعة أوتوس ينفخن في جسمه ويلسعنه ويخدشنه إلى يوم القيامة ويحشر من قبره إلى موقفه أعمى . وذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنيئا تنشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ولو أن واحدا منها نفخ في الأرض ما أنبتت خضرا . وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص موقوفا . ثم يؤمر به يعني الكافر فيضيق عليه قبره ويرسل عليه حيات كأمثال أعناق البخت فتأكل لحمه حتى

لا تذر على عظمه لحما ترسل عليه ملائكة صم عمى يضربونه بفظاطيسر . الحديث وقد تقدم .

(فصل) لا تظن برحمتك الله أن هذا معارض الحديث المرفوع أنه يسقط على الكافر أعمى أصم فإن : أحوال الكفار مختلف . فمنهم من يتولى عقوبته واحد ومنهم من يتولى عقوبته جماعة . وكذلك فلا تناقض بين هذا وبين أكل الحيات لحمه . فإنه يمكن أن يتردد بين هذين العذابين كما قال تعالى : (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن) فمرة يطعمون الزقوم وأخرى يسقون الحميم ومرة يعرضون على النار ، وأخرى على الزمهرير أجازنا الله من عذاب القبر ومن عذاب النار برحمته وكرامته . وآخر يفرش له لوحان من نار . وآخر يقال له نم نومة المنهوس كما أخرجه علي بن معبد عن أبي حازم عن أبي هريرة موقوفا قال : إذا وضع الميت في قبره أتاه آت من ربه فيقول له من ربك فإن كان من أهل التثبيت ثبت . وقال الله ربي . ثم يقال له ما دينك فيقول الإسلام . فيقول من نبيك فيقول محمد صلى الله عليه وسلم فيرى بشراه ويبشر . فيقول دعوني أرجع إلى أهلي فأبشرهم فيقال له نم قرير العين إن لك إخوانا لم يلحقوا ، وإن كان من غير أهل الحق والتثبيت قيل له من ربك ؟ فيقول هاه كالأله ، ثم يضرب بمطراق يسمع صوته الخناق إلا الجن والإنس ويقال له نم كنومة المنهوس . قال أهل اللغة المنهوس بالسین المهملة الملسوع نهسته الحية تنهسه . قال : الراجز وذات قرنين طحون الضرس تنهس لو تمكنت من نهس تدير عينا كشهاب القبس والمنهوس مرة ينتبه لشدة الألم عليه ومرة ينام كالمغمى عليه قال النابغة :

فبت كآني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم نافع
تسهد من ليل التمام سليمها كحلي النساء في يديه قعاقع
بيادرها الراقون من سوء سمها تطلقه طورا وطورا تراجع

باب منه في عذاب الكافر في قبره

ذكر الوائلي الحافظ في كتاب الإبانة له من حديث مالك بن مغول عن نافع عن ابن عمر . قال : بينا أنا أسير بجنبات بدر إذ خرج رجل من الأرض في عنقه سلسلة يمسك طرفها أسود فقال يا عبد الله فقال لي الأسود لا تسقه فإنه كافر ثم اجتذبه فدخل به الأرض . قال ابن عمر : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال : أوقد رأيت ذلك عدو الله أبو جهل بن هشام وهو عذابه إلى يوم القيامة .

باب ما يكون منه عذاب القبر

واختلاف أحوال العصاة فيه بحسب اختلاف معاصيهم

أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أكثر عذاب القبر في البول البخاري ومسلم عن ابن عباس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال : لهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله فدعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ، ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم يببسا ، وفي رواية كان لا يستتر عن البول أو من البول رواها مسلم . وفي كتاب أبي داود وكان لا يستنزه من بوله وفي حديث هناد بن السري لا يستبرى من البول من الاستبراء . وقال البخاري وما يعذبان في كبير وانه لكبير وأخرجه أبو داود الطيالسي عن أبي بكر قال بينما أنا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهمي رجل ورسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا إذ أتى على قبرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبي هذين القبرين ليعذبان الآن في قبورهما فأبكا يأتيني من هذا النخل بعسيب فاستبقت أنا وصاحبي فسبقته وكسرت من النخل عسيبا فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فشقه نصفين من أعلاه فوضع على إحداهما نصفاً وعلى الآخر نصفاً وقال إنه يهون عليهما مادام من بلولتهما شيء لهما يعذبان في الغيبة والبول .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا الحديث والذي قبله يدل على أن التخفيف إنما هو بمجرد نصف العسيب ما دام رطباً لا زيادة معه . وقد خرج مسلم عن حديث جابر الطويل ، وفيه فلما انتهى إلى قال يا جابر هل رأيت مقامي قلت نعم يا رسول الله قال فانطلق إلى الشجرتين فاقطع من كل واحدة منهما غصناً فأقبل بهما حتى إذا قمت مقامي فأرسل غصناً عن يمينك وغصناً عن يسارك . قال جابر فقامت فأخذت حجراً فكسرتة وحسرتة فاندلقت لي فأتيت الشجرتين فقطعت من كل واحدة منهما غصناً ، ثم أقبلت أجرهما حتى قمت مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت غصناً عن يميني وغصناً عن يساري ، ثم لحقته فقلت قد فعلت ذلك يا رسول الله فعم ذلك قال اني مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتي أن يرفه عنهما ما دام الغصنان رطبين ففي هذا الحديث زيادة على رطوبة الغصن وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم ، والذي يظهر لي أنهما قضيتان مختلفتان لا قضية واحدة كما قال من تكلم على ذلك يدل عليهما سياق الحديث ، فإن في حديث ابن عباس وأبي بكر عسيباً واحداً شقه النبي صلى الله عليه وسلم بيده نصفين وغرسهما بيده وحديث جابر بخلافهما ولم يذكر فيه ما يعذب بسببه . وقد خرج أبو داود الطيالسي حديث ابن عباس فقال : حدثنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى على قبرين فقال انهما ليعذبان في غير كبير ، أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس وأما الآخر فكان صاحب نيمة ، ثم دعا بجريدة فشققها نصفين فوضع نصفاً على هذا القبر ونصفاً على هذا القبر وقال عسى أن يخفف عنهما ما دامتا رطبتين ثم قيل يجوز أن يكونا كافرين ، وقوله انهما ليعذبان في غير كبير يريد بالإضافة إلى الكفر والشرك وإنما ان كانا مؤمنين فقد أخبرك انهما يعذبان بشيء كان منهما ليس بكفر لكنهما لم يتوبوا منه ، وإن كانا كافرين فهما يعذبان في هذين الذنوبين زيادة على عذابهما بكفرهما وتكذيبهما وجميع خطاياهما وإن يكونا كافرين أظهر والله أعلم . فإنهما لو كانا مؤمنين لعلمنا لقرب العهد بتدافن المسلمين يومئذ قاله ابن برجان في كتاب الإرشاد الهادي إلى التوفيق والسداد .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله والأظهر أنهما كانا مؤمنين وهو ظاهر الأحاديث والله أعلم . الطحاوى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أمر بعبد من عباد الله عز وجل أن يعذب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله تعالى ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلا قبره عليه نارا ، فلما ارتفع عنه أفاق فقال علام جلدته قال انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره البخارى عن سمرة بن جندب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال من رأى منكم الليلة رؤيا قال فإن رأى أحد رؤيا قصها فيقول ماشاء الله فسألنا يوما فقال هل رأى أحد منكم رؤيا قلنا لا قال لكنى رأيت الليلة رجلين أتيا فأخذنا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كlob من حديد يدخله في شدة حتى يبلغ قفاه . ثم يفعل بشدة الآخر مثل ذلك ويلتم شدة هذا فيعود فيصنع مثله . قلت : ما هذا قالوا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر أو صخرة فيشدخ بها رأسه فإذا ضربه تدهده الحجر فانطلق ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه . قلت ما هذا ؟ قالوا انطلق فانطلقنا إلى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نار فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا أن يخرجوا فإذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة . فقلت ما هذا ؟ قالوا انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة فأقبل الرجل الذي في النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان . لحمل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان . فقلت ما هذا ؟ قالوا انطلق فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا إلى الشجرة وأدخلاني دارا لم أرقط أحسن منها . فيها شيوخ وشباب ونساء وصبيان ثم أخرجاني منها فصعدا إلى الشجرة فأدخلاني دارا هي أحسن وأفضل فيها شيوخ وشباب قلت : طوقماني الليلة فأخبراني عما رأيت قال نعم الذي رأيت يشق شدة فكذاب يحدث بالكذب فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة والذى رأيت يمشي برأسه فرجل عليه الله

القرآن فقام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة ، وأما الذين رأيتهم في النقب فهم الزناة ، والذي رأيتهم في النهر أكل الربا والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم والصدّيان حوله فأولاد الناس . والذي يوقد النار مالك خازن النار ، والدار الأرى دار عامة المؤمنين . وأما هذه الدار فدار الشهداء وأنا جبريل وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسي ، فإذا فوق مثل السحاب قالا ذلك منزلك ، فقلت : دعاني أدخل منزلي قال : انه بقى لك عمر لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك .

(فصل) قال علياؤنا رحمة الله عليهم لا أبين في أحوال المعذبين في قبورهم من حديث البخارى ، وإن كان مناما فنامات الأنبياء عليهم السلام وحى بدليل قول ابراهيم عليه السلام يا بنى إني أرى في المنام أنى أذبحك ، فأجابه ابنه : يا أبت افعل ما تؤمر ، وأما حديث الطحاوى فنص أيضا ، وفيه رد على الخوارج ومن يكفر بالذنوب . قال الطحاوى وفيه ما يدل على أن تارك الصلاة ليس بكافر ، لأن من صلى صلاة بغير طهور فلم يصل ، وقد أجيبت دعوته ولو كان كافرا ما سمعت دعوته لأن الله عز وجل يقول : وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ، وأما حديث البخارى ومسلم فيدل على أن الاستبراء من البول والتنزه عنه واجب ، إذ لا يعذب الإنسان إلا على ترك الواجب ، وكذلك إزالة جميع النجاسات قياسا على البول ، وهذا قول أكثر العلماء ، وبه قال ابن وهب ورواه عن مالك وهو الصحيح في الباب ومن صلى ولم يستنثر فقد صلى بغير طهور (تنبيه على غلط) ذكر بعض أصحابنا فيما نقل الينا عنه أن القبر الذى غرس عليه النبي صلى الله عليه وسلم العسيب هو قبر سعد بن معاذ ، وهذا باطل ، وإنما صح أن القبر ضغطه كما ذكرنا ثم فرج عنه ، وكان سبب ذلك ما رواه يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال حدثني أمية بن عبد الله أنه سأل بعض أهل سعد ما بلغكم في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا قال ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال كان يقصر في بعض الطهور من البول ، وذكر هناد بن السرى حدثنا ابن فضيل عن أبي سفيان عن الحسن قال أصاب سعد بن معاذ جراحة فجعله النبي صلى الله عليه وسلم عند امرأة تداويه فمات من الليل فاتاه جبريل فأخبره قال انه مات من القيلة

فيكبر رجل القديم العرش لحب لقاء الله إياه ، فإذا هو سعد^(۱) قال فدخّل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره فجعل يكبر ويهلل ويسبح ، فلما خرج قيل له يا رسول الله ما رأيناك صنعت هكذا قط قال إنه ضم في القبر ضمة حتى صار مثل الشعرة فدعوت الله تعالى أن يرفه عنه وذلك أنه كان لا يستبرى من البول ، وقال السالمى أبو محمد عبد الغالب في كتابه ، وأما الأخبار في عذاب القبر فبالغة مبلغ الاستفاضة منها قوله صلى الله عليه وسلم في سعد بن معاذ لقد ضغطته الأرض ضغطة اختلفت لها ضلوعه ، قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم فلم ننقم من أمره شيئاً إلا أنه كان لا يستتر في أسفاره من البول .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله فقوله صلى الله عليه وسلم ، ثم فرج عنه دليل على أنه جوزى على ذلك التقصير منه لأنه يعذب بعد ذلك في قبره ، هذا لا يقوله أحد إلا شك مرتاب في فضله وفضيلته ونصحه ونصيحته رضى الله عنه أتى من اهتز له عرش الرحمن وتلفت روحه الملائكة الكرام فرحين بقدمها عليهم ومستبشرين بوصولها اليهم يعذب في قبره بعد ما فرج عنه هيات هيات لا يظن ذلك إلا جاهل بحقه غبي بفضيلته وفضله رضى الله عنه وأرضاه وكيف يظن ذلك وفضائله شهيرة ومناقبه كثيرة خرجها البخارى ومسلم وغيرهما وهو الذى أصاب حكم الرحمن في بنى قريظة من فوق سبع سموات ، أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في البخارى ومسلم وغيرهما .

باب منه

عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام ، الآية قال أنى بفرس فحمل عليه قال كل خطوة منتهى أقصى بصره فسار وسار معه جبريل^(۱) على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال جبريل من هؤلاء فقال المهاجرون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنه بسبع مائة ضعف وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو

(۱) هو سعد بن معاذ قال

خير الرازقين ، ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شيء من ذلك فقال يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة ، قال ثم أتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى أديبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الأنعام على الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها ، قال ما هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد ، ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم في قدر نضيج ولحم آخر خبيث فجملوا يا كلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال يا جبريل من هؤلاء قال هذا الرجل يقوم وعنده امرأة حلالا طيبا فيأتي المرأة الخبيثة فيبيت معها حتى يصبح ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها شيء إلا قصفتها قامت ما هذا يا جبريل قال يقول الله عز وجل ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ، ثم مر على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها ، هو يريد أن يزيد عايبها قال يا جبريل ما هذا؟ قال هذا رجل من أمته لا يستطيع أداءها وهو يريد عايبها ثم أتى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت ، ولا يفتر عنهم شيء من ذلك قال يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء خطباء الفتنة ، ثم أتى على حجر صغير يخرج منه نور عظيم ، فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج ولا يستطيع قال ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الرجل يتكلم الكلمة فيندم عايبها فيريد أن يردّها فلا يستطيع ، وذكر الحديث . وخرج من حديث أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال له أصحابه يا رسول الله أخبرنا عن ليلة أسرى بك الحديث وفيه قال فصعدت أنا وجبريل فإذا أنا بملك يقال له اسماعيل وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف ملك قال وقال الله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو ، فاستفتح جبريل ثم قال فإذا أنا بآدم كهينته يوم خلقه الله على صورته تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الكافرين فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين ، ثم مضت هنية فإذا أنا بأخوتة يعنى بالخوان المائدة التي يؤكل عايبها وعايب اللحم مشرح ليس

يقربها أحد وإذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح وأنتم عندها ناس يأكلون منها قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام قال ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلها نهض أحدهم خر يقول اللهم لا تقم الساعة قال وهم على سابلة آل فرعون قال فتجئ السابلة فتطأهم قال فسمعتهم يضحون إلى الله عز وجل قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأقوام مشافروهم كمشافر الإبل قال فيفتح على أفواههم ويلقون ذلك الجمر ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضحون إلى الله عز وجل قالت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً . قال ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بنساء معلقات بشدهن فسمعتهن يضحجن إلى الله عز وجل قالت يا جبريل من هؤلاء النساء قال هؤلاء الزناة من أمتك . قال ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه فيقال له كل بما كنت تأكل من لحم أخيك قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهازون اللذازون من أمتك وذكر الحديث ، وذكر

أبو داود عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مرتت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم .

باب ما جاء في بشرى المؤمن في قبره

قال كعب الأجار : إذا وضع العبد الصالح في قبره احتوشته أعماله الصالحة فتجئ ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة إليكم عنه فيأتون من قبل رأسه فيقول الصيام لاسبيل لكم عليه . فقد أطال ظمأه لله عز وجل في دار الدنيا فيأتون من قبل جسمه . فيقول الحج والجهاد إليكم عنه فقد أنصب نفسه وأتعب بدنه وحج وجاهد لله عز وجل لاسبيل لكم عليه . فيأتون من قبل يديه . فتقول الصدقة كفوا عن صاحبكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في

أعمال الصالح

يد الله عز وجل ابتغاء لوجهه لا سبيل لكم عليه . قال : فيقال له : نعم هنيئاً طبت حياً وطبت ميتاً .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : هذا لمن أخلص لله في عمله وصدق الله في قوله وفعله وأحسن نيته له في سره وجهه فهو الذي تكون أعماله حجة له ودافعة عنه فلا تعارض بين هذا الباب وبين ما تقدم من الأبواب فإن الناس مختلفو الحال في خلوص الأعمال والله أعلم .

باب ما جاء في التعمود من عذاب القبر وفتنته

النسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي امرأة من اليهود . وهي تقول : إنكم تفتنون في القبور . فارتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنما يفتن يهود . قالت عائشة فلبثنا ليالي . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل شعرت أنه أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيز من عذاب القبر . وروى الأئمة عن أسماء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : وإنه قد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور قريباً ، أو مثل فتنة الدجال لا أدري أي ذلك ؟ قالت أسماء : بئس أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل . فأما المؤمن أو المؤمن لا أدري أي ذلك قالت أسماء فيقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا ثلاث مرات . ثم يقال له نعم قد نعلم إنك لتؤمن به فقم صالحاً . وأما المنافق أو المرتاب لا أدري أي ذلك ؟ قالت أسماء : فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت لفظ مسلم . وخرج البخاري عن أبي هريرة قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً أخرجها الأئمة الثقات .

باب ما جاء أن البهائم تسمع عذاب القبر

مسلم عن زيد بن ثابت قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به بكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة كذا كان الجريري يقول : فقال من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ فقال رجل أنا قال فمتى مات هؤلاء ؟ قال ماتوا في الإمبراك . فقال إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع . وخرج أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت دخلت على عجوزان من عجز يهود المدينة فقالتا إن أهل القبور يعذبون في قبورهم . قالت فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما فخرجتا ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة قالتا إن أهل القبور يعذبون في قبورهم . قال النبي صلى الله عليه وسلم صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم قالت فما رأيتك بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر خرجه البخاري أيضاً وقال : تسمعه البهائم كلها . وخرج هناد بن السري في زهده ، حدثنا وكيع عن الأعمش عن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت على يهودية فذكرت عذاب القبر فكذبتها فدخل النبي صلى الله عليه وسلم على فذكرت ذلك له : فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده إنهم ليعذبون في قبورهم حتى تسمع البهائم أصواتهم .

(فصل) قال علياً وأنا وإنما حادت به البغلة لما سمعت من صوت المعذبين وإنما لم يسمعه من يعقل من الجن والإنس لقوله عليه الصلاة والسلام لولا أن لاتدافنوا الحديث فكتمه الله سبحانه عنا حتى نتدافن بحكمته الإلاهية ولطائفه الربانية لغلبة الخوف عند سماعه فلا نقدر على القرب من القبر للدفن أو يهلك الحي عند سماعه إذ لا يطاق سماع شيء من عذاب الله في هذه الدار لضعف هذه القوى ، ألا ترى أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف أو الزلازل الهائلة هلك كثير من الناس وأين صعقة الرعد من صيحة التي تضربه الملائكة بمطارق

الحديد التي يسمعها كل من يليه . وقد قال صلى الله عليه وسلم في الجنائز ولو سمعها إنسان لصعق .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : هذا وهو على رؤوس الرجال من غير تحرب ولا هوان . فكيف إذا حل به الحزى والنكال واشتد عليه العذاب والوبال فنسأل الله معافاته ومغفرته وعفوه ورحمته بمنه .

حكاية : قال أبو محمد عبد الحق ، حدثني الفقيه أبو الحكم بن برجان وكان من أهل العلم والعمل رحمه الله . أنهم دفنوا ميتا بقريتهم من شرق أشبيلية فلما فرغوا من دفنه فعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريبا منهم . فإذا الدابة قد أقبلت مسرعة إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع . ثم ولت فارة ، ثم عادت إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع . ثم ولت فارة كذلك فعلت مرة بعد أخرى . قال أبو الحكم رحمه الله فذكرت عذاب القبر وقول النبي صلى الله عليه وسلم أنهم ليعذبون عذابا تسمعه البهائم والله عز وجل أعلم بما كان من أمر ذلك الميت ذكر هذه الحكاية لما قرأ القارىء هذا الحديث في عذاب القبر ونحن إذ ذاك نسمع عليه كتاب مسلم ابن الحجاج رضى الله عنه .

باب ما جاء أن الميت يسمع ما يقال

مسلم عن أنس بن مالك : أن عمر بن الخطاب حدث عن أهل بدر فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله . قال : فقال عمر فوالذي بعثه بالحق نبيا ما أخطأوا الحدود التي حد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فجعلوا في بر بهضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إليهم فقال يا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فأني وجدت ما وعدني ربي حقا . فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لأرواح فيها ؟ قال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئا . وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ترك قتلى بدر ثلاثا فقام عليهم فناداهم . فقال يا ايا جهل بن هشام يا أمية بن خلف
يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني وجدت
ما وعدني ربي حقا . فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
كيف يسمعون واني يجهيرون وقد جيفوا ؟ قال : والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع
لما أقول منهم . ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا . ثم أمر بهم فسحبوا فألقوا
في قايب بدر .

(فصل) اعلم رحمك الله أن عائشة رضی الله عنها قد أنكرت هذا المعنى .
واستدلت بقوله تعالى : (فإنك لا تسمع الموتى) وقوله : (وما أنت بمسمع من
في القبور) ولا تعارض بينهما لأنه جائز أن يكونوا يسمعون في وقت ما أو في حال ما
فإن تخصيص العموم ممكن وصحيح إذا وجد المخصص . وقد وجد هنا بدليل
ما ذكرناه . وقد تقدم وبقوله عليه الصلاة والسلام إنه ليسمع قرع نعالهم
وبالمعلوم من سؤال الملكين الميت في قبره وجوابه لهما وغير ذلك مما لا ينكر
وقد ذكر ابن عبد البر في كتاب التمهيد والاستذكار من حديث ابن عباس قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه
في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام صححه أبو محمد عبد الحق وجيفوا
معناه أنتنوا .

باب قوله تعالى ويثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا الآية

مسلم عن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال : يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال نزلت في عذاب القبر يقال له من ربك فيقول
الله ربي ونبي محمد فذلك قوله : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا
وفي الآخرة وفي رواية أنه قول البراء ولم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال الشيخ
المؤلف رحمه الله وهذا الطريق وإن كان موقوفا فهو لا يقال من جهة الرأي فهو
محمول على أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله كما في الرواية الأولى وكما خرج الفسائي
وابن ماجه في سننهما والبخاري في صحيحه وهذا لفظ البخاري حدثنا جعفر
(م ۱۰ - تذكرة)

ابن عمر قال حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا أقعد العبد المؤمن في قبره أتى ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الآية وخزجه أبو داود أيضاً في سننه فقال فيه عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن المسلم إذا سئل في القبر فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقد مضى هذا المعنى في حديث البراء الطويل مرفوعاً والحمد لله وقد روى هذا الخبر أبو هريرة وابن مسعود وابن عباس وأبو سعيد الخدري قال أبو سعيد الخدري كنا في جنازة مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا الإنسان دفن وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك بيده مطراق فأقعدته فقال ما تقول في هذا الرجل فإن كان مؤمناً قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول له صدقت فيفتح له باب إلى النار فيقول له هذا منزلك لو كفرت بربك، وأما الكافر والمنافق فيقول له ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ولا اهتديت ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له هذا منزلك لو أمنت بربك فأما إذ كفرت فإن الله أبدلك به هذا ثم يفتح له باب إلى النار ثم يقمعه الملك بالمطراق قعة يسمعه خلق الله كلهم إلا الثقلين. قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحد يقوم على رأسه ملك بيده مطراق إلا هيل عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء .

شرح الصدور ص ٥٤

(فصل) صحت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم في عذاب القبر على الجملة فلا مطعن فيها ولا معارض لها وجاء فيما تقدم من الآثار أن الكافر يفتن في قبره ويسأل ويهان ويعذب قال أبو محمد عبد الحق: واعلم أن عذاب القبر ليس محتصاً بالكافرين ولا موقوفاً على المنافقين، بل يشاركهم فيه طائفة من المؤمنين، وكل على حاله من عمله وما استوجبه من خطيئته وزله وإن كانت تلك النصوص المتقدمة

في عذاب القبر إنما سجلت في الكافر والمتفق ، قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد: الآثار الثابتة تدل على أن الفتنة في القبر لا تكون إلا للمؤمن أو منافق من كان منسوباً إلى أهل القبلة ودين الإسلام من حقدمه بظاهر الشهادة ، وإنما الكافر الجاحد المبطل فليس من يسأل عن ربه ودينه ونبيه ، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام والله أعلم ، فثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويرتاب المبطلون . قال ابن عبد البر وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن هذه الأمة تبتلى في قبورها ومنهم من يرويه تسأل وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة خصت بذلك ، وهذا أمر لا يقطع عليه ، والله أعلم . وقال : أبو عبد الله الترمذي في نوادر الأصول ، وإنما سؤال الميت في هذه الأمة خاصة لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة فإذا أبوا كفت الرسل ، واعتزلوا وعوجلوا بالعذاب فلما بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالرحمة وأماناً للخلق ، فقال : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، أمسك عنهم العذاب وأعطى السيف حتى يدخل في دين الإسلام من دخل لمهابة السيف ، ثم يرسخ في قلبه ، فامهلوا ، فمن هاهنا ظهر امر النفاق فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الإيمان فكانوا من المسلمين في ستر فلما ماتوا قبض الله لهم فتان القبر ليستخرج سترهم بالسؤال ، ولبيز الله الخبيث من الطيب فثبت الثابت في الحياة الدنيا ويضل الله الظالم .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله قول أبي محمد عبد الحق أصوب والله أعلم ، فإن الأحاديث التي ذكرناها من قبل تدل على أن الكافر يسأله الملك ويختبرانه بالسؤال ويضرب بمطارق من حديد على ما تقدم والله أعلم .

باب ما ينجي المؤمن

من أهوال القبر وفتنته وعذابه

وذلك خمسة أشياء رباط قتل قول بطن زمان . الأول : روى روى مسلم عن سلمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجرى عليه رزقه

رباط

وأمنه من الفتن قال الرباط من أفضل الأعمال التي يبقى ثوابها بعد الموت كما جاء في حديث
 العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا مات
 الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة . الحديث . وقد تقدم وهو حديث صحيح ،
 انفرد بإخراجه مسلم ، وكذلك ما أخرجه ابن ماجه وأبو نعيم من أنه يباحق الميت
 بعد موته ، فإن ذلك مما ينقطع بنفاده وذهابه كالصدقة بنفاذها والعلم بذهابه والولد
 الصالح بموته والنخل بقطعه إلى غير ذلك مما ذكر والرباط يضاعف أجره لصاحبها إلى يوم
 القيامة لقوله عليه الصلاة والسلام وإن مات أجرى عليه عمله وقد جاء مفسراً بيننا
 في كتاب الترمذى عن فضالة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل
 ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم
 القيامة ويأمن من فتنة القبر قال حديث حسن وأخرجه أبو داود بمعناه وقال :
 ويؤمن من فتاني القبر ولا معنى للنماء إلا المضاعفة وهي غير موقوفة على سبب
 فتقطع بانقطاعه بل هي فضل دائم من الله تعالى لأن أعمال البر لا يتمكن منها إلا
 بالسلامة من العدو والتحرز منهم بحراسته بيضة الدين وإقامة شعار الإسلام وهذا
 العمل الذي يجرى عليه ثوابه هو ما كان يعمل من الأعمال الصالحة أخرجه ابن ماجه
 بإسناد صحيح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات
 مرابطاً في سبيل الله أجرى الله عليه عمله الصالح الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه
 وأمن من فتنة القبر ويبعثه الله أميناً من الفرع الأكبر وفي هذا الحديث وحديث
 فضالة بن عبيد قيد ثان وهو الموت حالة الرباط والله أعلم ، وروى عن عثمان
 ابن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رابط ليلة في سبيل
 الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها ، وروى عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لرباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسباً من غير
 شهر رمضان أعظم أجراً من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم في سبيل
 الله من وراء عورة المسلمين محتسباً من شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجراً
 أراه . قال : من عبادة ألف سنة صيامها وقيامها ، فإن رده الله إلى أهله سالماً لم
 يكتب عليه سيئة ألف سنة ويكتب له من الحسنات ويجرى له أجر الرباط إلى يوم

القيامة ، فدل هذا الحديث على أن رباط يوم في شهر رمضان يحصل به الثواب الدائم وإن لم يمّت مرابطاً والله أعلم . أخرجه عن محمد بن اسماعيل بن سمرة حدثنا محمد بن يعلى السلمي حدثنا عمرو بن ميمون عن عبد الرحمن بن عمرو عن مكحول عن أبي بن كعب فذكره (مسألة) الرباط هو الملازمة في سبيل الله مأخوذ من ربط الخيل ثم سمي كل ملازم ثغر من ثغور المسلمين مرابطاً فارساً كان أو راجلاً ، واللفظة مأخوذة من الرباط ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم في منتظري الصلاة ، فذلكم الرباط إنما هو تشبيه بالرباط في سبيل الله ، والرباط اللغوي هو الأول وهو الذي يشخص إلى ثغر من الثغور ليرابط فيه مدة ما ، فأما سكان الثغور دائماً بأهلهم الذين يعمرن ويكتسبون هناك ، فهم ، وإن كانوا حماة فليسوا برابطين . قاله علماؤنا ، وقد بيناه في كتاب جامع أحكام القرآن من سورة آل عمران والحمد لله . (الثاني) روى النسائي عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلاً قال يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة ، وخرج ابن ماجه في سننه والترمذي في جامعه وغيرهما عن المقدم بن معدى كرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من أقاربه لفظ الترمذي ، وقال حديث حسن صحيح غريب ، وقال ابن ماجه يغفر له في أول دفعة من دمه قال : ويحلى حلة الإيمان بدل ويوضع على رأسه تاج الوقار . قال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار حدثنا اسماعيل بن عياش قال حدثني بجير بن سعد وقال الترمذي حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا بقر بن الوليد عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدم ابن معدى كرب فذكره .

عنه

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ووقع في بعض نسخ الترمذي وابن ماجه ستة خصال وهي في متن الحديث سبع وعلى ما ذكر ابن ماجه ويحلى بحلة الإيمان تكون

ثمانية ، وكذا ذكره أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد بسنده عن المقدم بن معدي
كرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ثمانية خصال .

سورة الملك

الثالث روى الترمذى عن ابن عباس قال ضرب رجل من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم خبائه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا قبر إنسان يقرأ سورة
الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائى
على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فاذا بقبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال
صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر . قال حديث حسن
غريب . وخرج أيضا عنه صلى الله عليه وسلم أن من قرأها كل ليلة جاءت تجادل
عن صاحبها . وروى أنها المجادلة تجادل عن صاحبها يعنى قارنها فى القبر . وروى
أن من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان . وأبانا الشيخ الفقيه الإمام المحدث أبو العباس
أحمد بن عمر الأنصارى القرطبي بئثر الاسكندرية حماه الله قال : حدثنى الشيخ
الصالح أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافى ابن أخى الشيخ الإمام أبو بكر
قال حدثنى الشيخ الشريف أبو محمد يونس بن أبي الحسن بن أبي البركات الهاشمى
البغدادى ، حدثنا أبو الوقت عن الداودى عن الحموى عن أبي إسحاق إبراهيم
ابن خزيم الشاشى عن عبد الله بن حميد البكشى عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة
عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال لرجل ألا أتخفك بحديث تفرح به قال الرجل
بلى يا ابن عباس رحمك الله قال اقرأ تبارك الذى بيده الملك احفظها وعلما أهلك
وجميع ولدك وصديان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة
عند ربها لقارنها وتطلب له إلى ربها أن ينجيه من عذاب النار إذا كانت فى جوفه
وينجى الله بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ددت
أنها فى قلب كل إنسان من أمتى ، وأخبرناه عالما الشيخ المحدث أبو عبد الله
محمد بن إبراهيم الأنصارى التلسانى بئثر الاسكندرية عن شيخه الشريف أبي محمد
يونس عن أبي الوقت . وقد تقدم أن قراءة الرجل قل هو الله أحد فى مرض الموت
تنجى من ذلك .

سقط

الرابع : روى ابن ماجه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من مات مريضاً مات شهيداً ووقى فتنة القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة
وخرج النسائي عن جامع بن شداد قال سمعت عبد الله بن يسار يقول: كنت
جالسا عند سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة فذكر أن رجلا مات ببطنه فإذا هما
يشتهيان أن يشهدا جنازته . فقال أحدهما للآخر ألم يقل رسول الله صلى الله عليه
وسلم من يقتله بطنه لم يعذب في قبره . أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده
قال: حدثنا شعبه ، قال أخبرني جامع بن شداد فذكره وزاد فقال الآخر بلى .

الخامس : روى الترمذي عن ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة
إلا وقاه الله فتنة القبر قال هذا حديث حسن غريب وليس إسناده بمتصل ربيعة
ابن سيف إنما يروى عن عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو ولا نعرف لبيعة
ابن سيف سماعاً من عبد الله بن عمرو .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله قد خرج أبو عبد الله الترمذي في نوادر الأصول
متصلاً عن ربيعة بن سيف الإسكندري عن عياض بن عقبة الفهري عن عبد الله بن عمرو^(۱)
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة وقاه الله فتنة
القبر وخرجه علي بن مبيد عنه أعنى عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة ووقى فتنة القبر وأخرجه أبو نعيم
الحافظ من حديث محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مات ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أجبر من عذاب القبر وجاء
يوم القيامة وعليه طابع الشهداء غريب من حديث جابر ومحمد تفرد به عمر بن موسى
الوجيهي وهو مدني فيه لين عن محمد عن جابر .

(فصل) قال الشيخ المؤلف رحمه الله اعلم رحمك الله أن هذا الباب يعارض
ما تقدم من الأبواب بل يخصها ويبين من لا يسأل في قبره ولا يفتن فيه عن يجرى
عليه السؤال ويقاس تلك الأحوال وهذا كله ليس فيه مدخل للقياس ولا مجال
للنظر فيه وإنما فيه التسليم والانقياد لقول الصادق المرسل إلى العباد صلى الله عليه
(۱) عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله

وسلم وقد روى ابن ماجه في سننه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل الميت في قبره مثلت له الشمس عند غروبها فيجلس فيمسح عينيه ويقول دعوني أصلى ولعل هذا بمن وقى فتنة القبر فلا تعارض والحمد لله

(فصل) قوله عليه السلام في الشهيد كفاء ببارقة السيوف على رأسه فتنة معناه أنه لو كان في هؤلاء المقتولين نفاق كان إذا إلتقى الزحفان وبرقت السيوف فروا لأن من شأن المنافق الفرار والروغان عند ذلك ومن شأن المؤمن البذل والتسليم لله نفسا وهيجان حمية الله والتعصب له لإعلاء كلمته فهذا قد أظهر صدق ما في ضميره حيث برز للحرب والقتل فلماذا يعاد عليه السؤال في القبر قاله الترمذى الحكيم .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وإذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق أجل خطرا وأعظم أجرا فهو أحرى أن لا يفتن لأنه المقدم ذكره في التنزيل على الشهداء في قوله تعالى (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء) وقد جاء في المرابط الذي هو أقل مرتبة في الشهيد أن لا يفتن فكيف بمن هو أعلا مرتبة منه ومن الشهيد والله أعلم فتأمله

(فصل) قوله عليه السلام من مات مريضا مات شهيدا عام في جميع الأمراض لكن قيده قوله في الحديث الآخر من يقتله بطنه وفيه قولان أحدهما أنه الذي يصيبه الذرب وهو الاسهال تقول العرب أخذه البطن إذا أصابه الداء وذرِب الجرح إذا لم يقبل الدواء وذرِبَت معدته فسدت (الثاني) أنه الاستسقاء وهو أظهر القولين فيه لأن العرب تنسب موته إلى بطنه تقول قتله بطنه يعنون الداء الذي أصابه في جوفه وصاحب الاستسقاء قل أن يموت إلا بالذرب فكأنه قد جمع الوصفين وغيرهما من الأمراض والوجود شاهد للثبوت بالبطن ان عقله لا يزال حاضرا وذهنه باقيا إلى حين موته ومثل ذلك صاحب السل إذ موت الآخر إنما يكون بالذرب وليست حالة هؤلاء كحال من يموت لجأة أو من يموت بالسام والبرسام والحيات المطبقة أو القولنج أو الحصاة فتغيب عقولهم لشدة الآلام والوزوم أدمغتهم ولفساد أمزجتها فإذا كان الحال هكذا فالمت يموت وذهنه حاضر وهو عارف والله أعلم

باب

رمضان

ابو نعیم قال (حدثنا) عبد الله بن محمد قال حدثنا ابن سعيد قال حدثنا محمد بن حرب الواسطي قال حدثنا نصر بن حماد قال حدثنا همام قال حدثنا محمد بن حجاجة عن طلحة ابن مصرف قال سمعت خيشمة بن عبد الرحمن يحدث عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وافق موته عند انقضاء رمضان دخل الجنة ومن وافق موته عند انقضاء عرفة دخل الجنة ومن وافق موته عند انقضاء صدقته دخل الجنة غريب من حديث طلحة لم نكتبه إلا من حديث نصر عن همام .

باب ما جاء أن الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى

البخارى ومسلم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وان كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة

(فصل) قوله عرض عليه مقعده ويروى عرض على مقعده (قال) علمائنا وهذا ضرب من العذاب كبير وعندنا المثال في الدنيا وذلك كمن عرض عليه القتل أو غيره من آلات العذاب أو من تهدد به من غير أن يرى الآلة ونعوذ بالله من عذابه وعقابه بكرمه ورحمته (وجاء في التنزيل) في حق الكافرين (النار يعرضون عليها غدواً وعشيا) فأخبرنا إلى أن الكافرين يعرضون على النار كما أن أهل السعادة يعرضون على الجنان بالخبر الصحيح في ذلك وهل كل مؤمن يعرض على الجنان فليل ذلك مخصوص بالمؤمن الكامل الإيمان ومن أراد الله إنجاءه من النار وأما من أنفذ الله عليه وعيده من المخطئين الذين بخلوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فله مقعدان يراهما جميعاً كما أنه يرى عمله شخصين في وقتين أو في وقت واحد قبيحاً وحسناً وقد يحتمل أن يراد بأهل الجنة كل من يدخلها كيف ما كان والله أعلم ثم قيل هذا العرض إنما هو على الروح وحده ويجوز أن يكون مع جزء من البدن ويجوز أن يكون عليه مع جميع الجسد فيرد إليه الروح كما ترد عند المسألة حين يقعده الملكان ويقال له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به

مقعدا من الجنة وكيف ما كان فان العذاب محسوس والالام موجود والامر شديد وقد ضرب بعض العلماء لتعذيب الروح مثلا في النائم فان روحه تعذب أو تنعم والجسد لا يحس بشيء من ذلك (وقال) عبد الله بن مسعود أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين يقال لهم هذه داركم فذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) وعنه أيضا أن أرواحهم في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها (وروى) شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت ميمون بن ميسره يقول كان أبو هريرة إذا أصبح ينادي أصبحنا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار وإذا أمسى ينادي أمسينا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار فلا يسمع أبا هريرة أحد ألا تعوذ بالله من النار وقد قيل إن أرواحهم في صخرة سوداء تحت الأرض السابعة على شفير جهنم في حواصل طير سود والغداة والعشى إنما هو بالنسبة إلينا على ما اعتدناه لا لهم إذ الآخرة ليس فيها مساء ولا صباح فان قيل فقد قال الله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قلنا الجواب عنهما واحد وسيأتي له مزيد بيان في وصف الجنان ان شاء الله تعالى.

باب ما جاء أن أرواح الشهداء في الجنة

دون أرواح غيرهم

يدل على ذلك قوله عليه السلام في حديث ابن عمر هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة وهذه حالة مختصة بغير الشهداء (وفي حديث) مسلم عن مسروق قال سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية (ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) فقال أما إنا قد سألتنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل فأطلع إليهم ربهم لإطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا أى شيء نشتهي ونحن نسرح في الجنة حيث نشاء ففعل بهم ذلك ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من ان يسألوا قالوا يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى ان ليس لهم حاجة تركوا.

(فصل) قال الشيخ المؤلف رحمه الله: وهنا اعتراضات خمس.

الأول: إن قيل ما قولكم في الحديث النبى ذكرتم ما من أحد يمر بقبر أخيه

المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام . قلنا : هو عموم
يخصه ما ذكرنا فهو محمول على غير الشهداء

الثاني : فإن قيل : فقد روى مالك عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب
ابن مالك الأنصاري أنه أخبره أن أباه كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : إن نسمة المؤمن طائر يعاق في شجر الجنة حتى يرجعه الله
إلى جسده يوم يبعثه . قلنا : قال أهل اللغة تعلق بضم اللام تأكل . يقال عاقت
يعلق علوقا ، ويروى يعلق بفتح اللام وهو الأكثر ومعناه تسرح وهذه حالة الشهداء
لا غيرهم بدليل الحديث المتقدم . وقوله تعالى : (بل أحياء عند ربهم يرزقون)
ولا يرزق إلا حي فلا يتعجل الأكل والنعم لأحد إلا للشهيد في سبيل الله باجماع
الائمة حكاه القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المرادين وغير الشهيد بخلاف هذا
الوصف إنما يملأ عليه قبره خضرا ويفسح له فيه . وقوله : نسمة المؤمن أي روح
المؤمن الشهيد . يدل عليه قوله في نفس الحديث حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده
يوم القيامة .

الثالث : فإن قيل : فقد جاء أن الأرواح تتلاقى في السماء والجنة في السماء يدل
عليه قوله عليه السلام : إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء . وفي رواية أبواب
الجنة . قلنا لا يلزم من تلاقى الأرواح في السماء أن يكون تلاقيا في الجنة بل أرواح
المؤمنين غير الشهداء تارة تكون في الأرض على أفنية القبور ، وتارة في السماء
لا في الجنة . وقد قيل إنها تزور قبورها كل يوم جمعة على الدوام ولذلك تستحب
زيارة القبور ليلة الجمعة ويوم الجمعة ويكره السبت فيما ذكر العلماء والله أعلم .

قال ابن العربي : وبحديث الجرائد يستدل الناس على أن الأرواح في القبور
تعذب أو تنعم وهو أبين في ذلك من حديث ابن عمر في الصحيح . إذا مات أحدكم
عرض عليه مقعده بالعداة والعشى لأن عرض مقعده ليس فيه بيان عن عرقته
التي يراه منه وحديث الجرائد نص على أن أولئك يعذبون في قبورهم وكذلك
حديث اليهود .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ويحتمل على ما ذكرناه والله أعلم أن يكون قوله عليه السلام ما من أحد يمر بقبر أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا وروحه في قبره إلا عرفه ورد عليه السلام حتى لا تتناقض الأخبار والله أعلم

الرابع : فان قيل فقد قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده لو أن رجلاً قتل في سبيل الله ثم أحيى ثم قتل ثم أحيى ثم قتل وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه وهذا يدل على أن بعض الشهداء لا يدخلون الجنة من حين القتل ولا تكون أرواحهم في جوف طير ولا تكون في قبورهم فأين تكون قلنا قد خرج ابن وهب بإسناده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الشهداء على بارق نهر بياب الجنة يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا فلعلهم هؤلاء أو من منعه من دخول الجنة حقوق الأدميين إذ الدين ليس مختصاً بالمال على ما يأتي . ولهذا قال علماءنا أحوال الشهداء طبقات مختلفة ومنازل متباينة يجمعها أنهم يرزقون وقد تقدم قوله عليه السلام من مات مريضاً مات شهيداً وعدى وريح عليه برزقه من الجنة وهذا نص في أن الشهداء مختلفو الحال وسيأتي كم الشهداء إن شاء الله تعالى .

الخامس : فان قيل فقد روى ابن ماجه عن أبي أمامة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لشهيد البحر مثل شهيدى البر والمائد في البحر كالمتشحط في دمه في البر وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في طاعة الله عز وجل وان الله وكل ملك الموت بقبض الأرواح لإشهاد البحر فانه يتولى قبض أرواحهم ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها إلا الدين ولشهيد البحر الذنوب كلها والدين . قلنا : الدين إذا أخذه المرء في حق واجب لفاقة أو عسر ومات ولم يترك وفاء فان الله تعالى لا يحبسها عن الجنة إن شاء الله شهيداً كان أو غيره لأن على السلطان فرضاً أن يؤدي عنه دينه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك ديناً أو ضياعاً فعلى الله ورسوله ومن ترك مالا فلورثته فان لم يؤدي عنه السلطان فان الله تعالى يقضى عنه ويرضى خصمه والدليل على ذلك ما رواه ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن عمرو قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الدين يقتضى أو يقبض من صاحبه

يوم القيامة إذا مات إلا من تدين في ثلاث خلال الرجل تضعف قوته في سبيل
الله فيستدين ليتقوى به لعدو الله وعدوه ورجل يموت عنده رجل مسلم لا يجد ما يكفنه
فيه ويواريه الأبدن ورجل خاف على نفسه العزبة فينكح خشية على دينه
فإن الله يقضى عن هؤلاء يوم القيامة . وأما من أدا في سفه أو سرف فمات ولم يوفه
أو ترك له وفاء ولم يوصى به أو قدر على الأداء فلم يوفه . فهذا الذي يحبس به
صاحبه عن الجنة حتى يقع القصاص بالحسنات والسيئات على ما أتى فيحتمل أن
يكون قوله عليه السلام في شهيد البحر عاماً في الجميع وهو الأظهر لأنه لم يفرق
بين دين ودين ويحتمل أن يكون قوله فيمن أدا في لم يفرط في الأداء وكان عزمه ونيته
الأداء لإتلاف المال على صاحبه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ
أموال الناس يريد أداها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله خرجه
البخارى على أن حديث أبي إمامة في إسناده لين وأعلى منه إسناداً وأقوى ما رواه
مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القتل في سبيل الله
يكفر كل شيء إلا الدين ولم يخص برأ من بحر وكذلك ما رواه أبو قتادة أن رجلاً قال
يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله أيكفر الله عنى خطاياي فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعم إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت فقال أرأيت إن قتلت في سبيل الله
يكفر الله عنى خطاياي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وأنت صابر محتسب مقبل
غير مدبر إلا الدين فإن جبريل قال لي ذلك وخرج أبو نعيم الحافظ بإسناده عن قاضي
البصريين شريح عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال إن الله يدعو صاحب الدين يوم القيامة فيقول يا ابن آدم فم أضع
حقوق الأديمين فم أذهبت أموالهم فيقول يارب لم أفسده ولكن أصبت إما غرقاً وإما
حرقاً فيقول الله عز وجل أنا أحق من قضى عنك اليوم فترجع حسناته على سيئاته فيؤمر
به إلى الجنة زواه من طرق وقال يزيد بن هارون في حديثه فيدعو الله تعالى بشيء
فيضعه في ميزانه فيثقل غريب من حديث شريح فردية صدقة بن أبي موسى عن
أبي عمران الجوني

(قال) الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا نص في قضاء الله سبحانه الدين إذا لم يؤخذ على سبيل الفساد والحمد لله الموفق للسداد والمبين على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ما أبهم واستغلق من مشكل على العباد وقد قال بعض العلماء إن أرواح المؤمنين كلهم في جنة المأوى وإنما قيل لها جنة المأوى لأنها تأوى إليها أرواح المؤمنين وهي تحت العرش فيتنعمون بنعيمها ويتنسمون من طيب ريحها وهي تروح في الجنة وتأوى إلى قناديل من نور تحت العرش وما ذكرناه أولاً أصح والله أعلم وقد روى ابن المبارك أخبرنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان قال حدث عبد الله بن عمرو بن العاص قال أرواح المؤمنين في طير كالزراير يتعارفون يرزقون من الجنة أخبرنا ابن لهيعة قال حدثني يزيد بن أبي حبيب أن منصور بن أبي منصور حدثه قال سألت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرني عن أرواح المسلمين أين هي حين يتوفون قال ماتقولون أنتم يا أهل العراق قلت لأدري قال فإنها صور طير بيض في ظل العرش وأرواح الكافرين في الأرض السابعة وذكر الحديث (قال) الشيخ المؤلف رحمه الله فهذه حجة من قال إن أرواح المؤمنين كلهم في الجنة والله أعلم على أنه يحتمل أن يدخله من التأويل ما تقدم والله أعلم فيكون المعنى أرواح المؤمنين الشهداء وكذا فقلت أخبرني عن أرواح المؤمنين الشهداء والله أعلم .

(فصل) وقع في حديث ابن مسعود أرواحهم في جوف طير خضر وفي حديث مالك نسمة المؤمن طائر . وروى الأعمش عن عبد الله بن مرة قال سئل عبد الله بن مسعود عن أرواح الشهداء فقال أرواح الشهداء عند الله كطير خضر في قناديل تحت العرش تروح من الجنة حيث شاءت ثم ترجع إلى قناديلها وذكر الحديث وروى ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أرواح الشهداء طير خضر تعلق في شجر الجنة وهذا كله مطابق لحديث مالك فهو أصح من رواية من روى أن أرواحهم في جوف طير خضر قاله أبو عمر في الاستذكار وقال أبو الحسن القاسمي أنكرا العلماء قول من قال في حواصل طير لأنها رواية غير صحيحة لأنها إذا كانت كذلك فهي محصورة مضيق عليها .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله الرواية صحيحة لأنها في صحيح مسلم بنقل العدل عن العدل فيحتمل أن تكون الفاء بمعنى على فيكون المعنى أرواحهم على جوف طير خضر كما قال تعالى ولاصلبناكم في جذوع النخل أى على جذوع النخل وجاز أن يسمى الظهور جوفاً إذ هو محيط به ومشمول عليه قال أبو محمد عبد الحق وهو حسن جدا

وذكر شيب بن إبراهيم في كتاب الإفصاح المنعم على جهات مختلفة منها ماهو طائر يعلق من شجر الجنة . ومنها ماهو في حواصل طير خضر . ومنها ماياوى في قناديل تحت العرش . ومنها ماهو في حواصل طير بيض . ومنها ماهو في حواصل طير كالزراير . ومنها ماهو في أشخاص صور من صور الجنة . ومنها ماهو في صور تخلق لهم من ثواب أعمالهم . ومنها ما تروح وتعود إلى جثتها تزورها . ومنها ما تلتقي أرواح المقبوضين ومن سوى ذلك ماهو في كفالة ميكائيل . ومنها ماهو في كفالة آدم . ومنها ماهو في كفالة إبراهيم عليه السلام . وهذا قول حسن فإنه يجمع الأخبار حتى لا تندفع والله بغيه أعلم وأحكم

باب كم الشهداء ولم سمي شهيدا ومعنى الشهادة

خرج الأجرى وغيره عن أبي مالك الأشجعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فصل في سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد أو وقصه فرسه أو بعيره أو لذعته هامة أو مات على فراشه بأى حنف شاء الله إنه شهيد وإن له الجنة وأخرجه أبو بكر ابن أبي شيببة بمعناه عن عبدالله بن عتيك عن النبي صلى الله عليه وسلم . الترمذى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الشهداء خمسة : المبطون والمطعون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله عز وجل . وقال هذا حديث حسن صحيح . النسائي عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله . المطعون والمبطن والغرق والحرق وصاحب ذات الجنب والذي يموت تحت الهدم والمرأة تموت بجمع . قيل هى التى تموت من الولادة وولدها فى بطنها قد تم خلقه . وقيل إذا ماتت من النفاس فهى شهيدة سواء ألفت

ولدها أو مات وهو في بطنها . وقيل التي تموت بكرا لم يمسا الرجال . وقيل التي تموت قبل أن تحيض وتطمث . فهذه قولان لسبب قول وجهان وفي جمع لغتان ضم الجيم وكسرها وفي بعض الآثار المنسوب شهيد يريد صاحب الجنب يقال منه رجل جنب بكسر النون وفتح الجيم إذا كانت به ذات الجنب وهي الشوصة . وفي كتاب الترمذى وأبي داود والنسائى عن سعيد بن زيد . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد قال الترمذى حديث حسن صحيح وروى بالنسائى من حديث سويد بن مقرن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل دون ماله فهو شهيد وروى ابن ماجه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موت غربة شهادة وأخرجه الدارقطنى ولفظه موت الغريب شهادة ، وذكره أيضا من حديث ابن عمر وصححه وأخرجه أبو بكر الخرائطى من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مات غريبا مات شهيدا وخرجه أيضا من حديث محمد ابن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات غريبا مات شهيدا . وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام من مات مريضا مات شهيدا . وروى الترمذى عن معقل بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي فإن مات من يومه مات شهيدا ومن قرأها حين يمسي فكذلك قال حديث حسن غريب . وذكر الثعلبى عن يزيد الرقاشى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ آخر سورة الحشر إلى آخرها لو أنزلنا هذا القرآن على جبل فأت من ليلته مات شهيدا . وخرج الأجرى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس إن استطعت أن تكون أبدا على وضوء فافعل فإن ملك الموت إذا قبض روح العبد وهو على وضوء كتب له شهادة وروى الشعبي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى الضحى وصام ثلاثة أيام من كل شهر ولم يترك الوتر في حضر ولا سفر كتب له أجر شهيد خروجه أبو نعيم .

وغيره من الآيات

وروى من حديث أبي هريرة وأبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا جاء الموت طالب العلم وهو على حاله مات شهيدا . وبعضهم يقول : ليس بينه وبين الأنبياء إلا درجة واحدة . ذكره أبو عمر في كتاب بيان العلم . وخرج مسلم من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الشهادة صادقا أعطيا وإن لم تصبه . وعن سهل بن حنيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه وخرج الترمذي الحكيم من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من أحد إلا وله كرايم من ماله يأبى لهم الذبح وإن لله خلقا من خلقه يأبى لهم الذبح أقوام يجمل موتهم على فرشهم ويقسم لهم أجور الشهداء .

(فصل) الشهداء جمع الشاهد والشهيد القتل في سبيل الله كذا قال أهل اللغة الجوهري وغيره وسمى بذلك لأنه مشهود له بالجنة فالشهيد بمعنى مشهود له فمبني بمعنى مفعول وقال ابن فارس اللغوي في المجمل والشهيد القتل في سبيل الله قالوا الآن ملائكة الله تشهدهم وقيل سمي شهيدا لأن أرواحهم أحضرت دار السلام لأنهم أحياء عند ربهم وأرواح^(۱) غيرهم لاتصل إلى الجنة فالشهيد بمعنى الشاهد أي الحاضر للجنة وقيل سمي بذلك لسقوطه بالأرض والأرض الشاهدة ، وقيل سمي بذلك لشهادته على نفسه لله عز وجل حين لزمه الوفاء بالبيعة التي بايعه في قوله الحق (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) فاتصت شهادة الشهيد الحق بشهادة العبد فسماه شهيدا . ولذلك قال عليه السلام والله أعلم بمن يكلم في سبيله ، وقال في شهداء أحد : أنا شهيد على هؤلاء لبذلهم نفوسهم دونه وقتلهم بين يديه تصديقا لما جاء به صلى الله عليه وسلم ، هذا الكلام في الشهيد . فأما الشهادة فصفة سمي حاملها بالشاهد ويبالغ بشهيد وللشهادة ثلاثة شروط لا تتم إلا بتامها وهي : الحضور والوعي والأداء . أما الحضور فهو شهود الشاهد المشهود . والوعي زم ما شاهده وعله في شهوده لك والأداء هو الإتيان بالشهادة على وجهها في موضع الحاجة إلى ذلك

(۱) لهم يرزقون وأرواح

(۱۱ م - تذكرة)

هذا موضع الشهادة والشهادة على الكمال إنما هي لله سبحانه وتعالى وأن جميع الشاهدين سواء يؤدون شهادتهم عنده قال الله سبحانه وتعالى: (وجيء بالنيين والشهداء وقضى بينهم بالحق) والشهداء هم العدول وأهل العدالة في الدنيا والآخرة وهم القائمون بما أوجب الحق سبحانه عليهم في الدنيا.

باب منه

روى النسائي عن العرياض بن سارية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا في الذين يتوفون من الطاعون فيقول الشهداء: قتلوا كما قتلنا؟ ويقول المتوفون على فرشهم: إخواننا ماتوا على فرشهم كما متنا؟ فيقول ربنا عز وجل أنظروا إلى جراحهم فإن أشبهت جراح المقتولين فإنهم منهم فإذا جراحهم أشبهت جراحهم.

وروت عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن فناء أمتي بالطعن والطاعون. قالت: أما الطعن فقد عرفناه فما الطاعون؟ قال: غدة كغدة البعير تخرج في المراق والإباط من مات منها مات شهيدا أخرجه أبو عمر في التمهيد والاستذكار

باب ماجاء أن الإنسان يبلى ويأكله التراب إلا عجب الذنب

مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب.

(فصل) يقال عجم وعجب بالميم والباء لغتان وهو جزء لطيف في أصل الصلب وقيل هو رأس العصعص كما رواه ابن أبي داود في كتاب البعث من حديث أبي سعيد الخدري قيل يا رسول الله وما هو؟ قال مثل حبة خردل ومنه تنشون

وقوله منه خلق ومنه يركب أى أول ما خلق من الإنسان هو ثم أن الله تعالى يبقينه
على أن يركب الخلق منه تارة أخرى .

باب لا تا كل الأرض أجساد الأنبياء

ولا الشهداء وأنهم أحياء

قال الله تعالى : (بل أحياء عند ربهم يرزقون) ولذلك لا يغسلون ولا يصل
عليهم ثبت ذلك فى الأحاديث الصحيحة فى شهداء أحد وغيرهم ليس هذا
موضع ذكرها .

مالك عن عبد الرحمن بن صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجوح وعبد الله
ابن عمرو الأنصارين ثم السليين كانا قد حفر السيل قبرهما وكان قبرهما بما يلي
السيل وكانا فى قبر واحد وهما بمن استشهد يوم أحد فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما
فوجدوا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه
فدفن وهو كذلك فأميطت يده عن جرحه ^(۱) ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين
أحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة قال أبو عمر هذا حديث لم يختلف عن
مالك فى انقطاعه وهو حديث يتصل من وجوه صحاح عن جابر .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهكذا حكم من تقدمنا من الأمم من قتل شهيدا
فى سبيل الله أو قتل على الحق كأنبياءهم وفى الترمذى فى قصة أصحاب الأخدود وأن
الغلام الذى قتله الملك دفن قال فى ذكراته أخرج فى زمن عمر بن الخطاب وأصبه
على صدغه كما وضعها حين قتل قال حديث حسن غريب وقصة الأخدود مخرجة
فى صحيح مسلم وكانوا بنجران فى الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقد
ذكرناها مستوفاة فى البروج فى كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة
وأى القرآن وروى نقلة الأخبار أن معاوية رحمه الله لما أجرى العين التى استنبطها
بالمدينة فى وسط المقبرة وأمر الناس بتحويل موتاهم وذلك فى أيام خلافته وبعد الجماعة
بأعوام وذلك بعد أحد بنحو من خمسين سنة فوجدوا على حالهم حتى أن الكل
رأوا المسحاة وقد أصابت قدم حمزة بن عبد المطلب فسأل منه الدم وأن جابر بن عبد الله
(۱) جرحه فسأل الدم كما فى رواية

أخرج أباه عبد الله بن حرام كأنما دفن بالأمس وهذا أشهر في الشهداء من أن يحتاج فيه إلى إكثار. وقد روى كافة أهل المدينة أن جدار قبر النبي صلى الله عليه وسلم لما انهم أيام خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان وولاية عمر بن عبد العزيز على المدينة بدت لهم قدم يخافوا أن يكون قدم النبي صلى الله عليه وسلم فجزع الناس حتى روى لهم سعيد ابن المسيب رضى الله عنه أن أجساد الأنبياء لا تقيم في الأرض أكثر من أربعين يوماً ثم ترفع وجاء سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فعرف أنها قدم جده عمر رضى الله عنه وكان رحمه الله قتل شهيدا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم المؤذن المحتسب كالمشحط في دمه قتيلا وإن مات لم يدود في قبره وظاهر هذا أن المؤذن المحتسب لا تأكله الأرض أيضا وخرج أبو داود وابن ماجه في سننهما عن أوس بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يقولون بليت فقال إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء لفظ أبي داود وقال ابن العربي حديث حسن.

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وخرجه أبو بكر البزار عن شداد بن أوس وانفقوا في السند عن حسين بن علي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث الصنعاني فقال عن أوس بن أوس أو عن شداد بن أوس^(١) وقال البزار لا يعلم أحدا يرويه بهذا اللفظ إلا شداد بن أوس ولا نعم له طريقا غير هذا الطريق عن شداد بن أوس ولا رواه إلا حسين بن علي الجعفي وقال أبو محمد عبد الحق ويقال إن عبد الرحمن هذا هو ابن يزيد بن تميم قاله البخاري وأبو حاتم وهو منكر الحديث ضعيفه.

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وقد خرجه ابن ماجه من غير هذا الطريق فقال حدثنا عمرو ابن سواد المصري حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا على الصلاة يوم الجمعة فإنه مشهود تشهد الملائكة وإن أحدا لن
(١) أوس بن أوس وقال البزار

يصل على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها قال قلت وبعد الموت قال وبعد الموت إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء فنبى الله حتى يرزق صلى الله عليه وسلم ورواه أبو جعفر الطبري في تهذيب الآثار من حديث سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال أبو محمد عبدالحق وزيد بن أيمن لا أعلم رواه عنه إلا سعيد بن هلال .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله قال البخاري في التاريخ زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي مرسل روى عنه سعيد بن أبي هلال والله أعلم.

باب في انقراض هذا الخلق وذكر النفخ

والصعق وكم بين النفختين وذكر البعث والنشر والنار

مسلم عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين لأدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلت عليه حتى تقبضه فتبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستحيون فيقولون فأتأمرنا فإمرهم بعبادة الأوثان وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لينا ورفع لينا قال فأول من يسمعه رجل يلوط حوض أبله فيصعق ويصعق الناس ثم قال يرسل الله أو قال ينزل الله مطراً كأنه الطل فينبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلموا إلى ربكم وقفوهم أنهم مسئولون ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذلك يوم يجعل الولدان شيباً وذلك يوم يكشف عن ساق مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين

أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعين يوما قال أبيت قالوا أربعين شهرا قال أبيت قالوا أربعين عاما قال أبيت ثم ينزل الله من السماء مطرا فينبئون كما يفتت البقل قال وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وفي رواية لا تأكله الأرض أبدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وعند ابن وهب في هذا الحديث فأربعون جمعة قال أبيت وإسناده مقطع .

(فصل) **هذان الحديثان** مع صحتهما في غاية البيان فيما ذكرناه وتريدهما أيضا بيانا في أبواب ويأتي ذكر الدجال مستوعبا في الأشراف ان شاء الله تعالى وأصغى معناه أمال لينا يعني صفحة العنق وبلوط معناه يطين ويصلح وقول أبي هريرة أبيت فيه تأويلان : (الأول) أبيت أي امتنعت من بيان ذلك وتفسيره وعلى هذا كان عنده علم من ذلك أي سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم

(الثاني) أبيت أي أبيت ان أسأل عن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لم يكن عنده علم من ذلك والأول أظهر وإنما لم يبينه لأنه لم ترهق لذلك حاجة ولأنه ليس من البيئات والهدى الذي أمر بتبليغه وفي البخاري عنه أنه قال حفظت وعام من علم فأما أحدهما فبثته وأما الآخر فلو بثته لقطع مني هذا البلعوم قال أبو عبد الله البلعوم مجرى الطعام وقد جاء أن بين النفختين أربعين عاما والله أعلم وسيأتي وذكر هناد بن السري حدثنا وكيع عن سفيان عن السدي سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك فلم يجبني فسمعنا أنه ما بين النفختين حدثنا وكيع عن أبي جعفر الرازي عن أبي العالية وما بين ذلك قال ما بين النفختين والله أعلم .

باب في قول الله تعالى

ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله

وهم الملائكة أو الشهداء أو الأنبياء أو حملة العرش أو جبريل أو ميكائيل أو ملك الموت صعق مات روى الأئمة عن أبي هريرة قال قال رجل من اليهود بسوق المدينة والذي أصطفى موسى على البشر فرقع رجل من الأنصار يده فلعطمه قال تقول هذا وفيما رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك لرسول الله فقال قال الله عز وجل ونفخ

في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى
فاذا هم قيام ينظرون فأكون أول من رفع راسه فاذا انا بموسى آخذ بقائمة من
قوائم العرش فلا أدري أرفع راسه قبلي أو كان ممن استثنى الله ومن قال انا خير من
يونس بن متى فقد كذب لفظ ابن ماجه أخرجه عن ابى بكر بن أبى شيبة عن على بن مسهر
وأخرجه الترمذى عن ابى كريب محمد بن العلاء قال حدثنا عبدة بن سليمان جميعا عن
محمد بن عمرو عن ابى سلمة عن ابى هريرة قال الترمذى حديث حسن صحيح وأخرجه
البخارى ومسلم بمعناه .

(فصل) واختلف العلماء في المستثنى من هو فقيل الملائكة وقيل الأنبياء
وقيل الشهداء واختاره الحلبي قال وهو مروى عن ابن عباس ان الاستثناء لاجل
الشهداء فإن الله تعالى يقول أحياء عند ربهم يرزقون وضعف غيره من الأقوال
على ما يأتى وقال شيخنا أبو العباس والصحيح انه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح
والكل محتمل .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : قد ورد حديث أبى هريرة بأنهم الشهداء
وهو الصحيح على ما يأتى وأسد النحاس فى كتاب معانى القرآن له حدثنا الحسين
ابن عمر الكوفى قال حدثنا هناد بن السرى قال حدثنا وكيع عن شعبة عن عمارة
ابن أبى حفصة عن حجر الهجرى عن سعيد بن جبير فى قول الله عز وجل ألا من
شاء الله قال هم الشهداء هم ثنية الله عز وجل متقلدوا السيوف حول العرش وقال
الحسن استثنى طوائف من الملائكة يموتون بين النفختين قال يحيى بن سلام فى تفسيره
بلغنى ان آخر من يبقى منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم يموت
جبريل وميكائيل وإسرافيل ثم يقول الله عز وجل لملك الموت مت فيموت وقد جاء
هذا رفوعا فى حديث أبى هريرة الطويل على ما يأتى وقيل هم حملة العرش وجبريل
وميكائيل وملك الموت وقال الحلبي من زعم ان الاستثناء لاجل حملة العرش
أو جبريل وميكائيل وملك الموت أو زعم انه لاجل الولدان والخور العين فى الجنة
أو زعم انه لاجل موسى فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال انا أول من تنشق عنه
الأرض فأرفع رأسى فاذا موسى متعلق بقائمة من قوائم العرش فلا أدري افاق
قبلى أو كان ممن استثنى الله عز وجل فإنه لم يصح شىء منها أما الأول فإن حملة

العرش ليسوا من سكان السموات فلا الأرض لأن العرش فوق السموات كلها فكيف يكون حملته في السموات وأما جبريل وميكائيل وملك الموت فمن الصافين المسيحين حول العرش وإذا كان العرش فوق السموات لم يكن الاصطفاف حوله في السموات وكذلك القول الثاني لأن الولدان والخور في الجنة والجنان وإن كان بعضها أرفع من بعض فإن جميعها فوق السموات ودون العرش وهي بافترادها عالم مخلوق للبقاء فلا شك أنها بمعزل عما خلق الله تعالى للفناء وصرفه إلى موسى فلا وجه له لأنه قد مات بالحقيقة فلا يموت عند نفخ الصور ثانية ولهذا لم يعتد في ذكر اختلاف المناولين في الاستثناء بقول من قال إلا من شاء الله أي الذين سبق موتهم قبل نفخ الصور لأن الاستثناء إنما يكون لمن يمكن دخوله في الجنة فأما من لا يمكن دخوله في الجنة فيها فلا معنى لاستثنائه منها والذين ماتوا قبل نفخ الصور ليسوا بفرض أن يصعقوا فلا وجه لاستثنائهم وهذا في موسى موجود فلا وجه لاستثنائه وقال النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر موسى ما يعارض الرواية الأولى وهو أن قال الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يهيق فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أو جوزى بصعقة الطور فظاهر هذا الحديث أن هذه صعقة غشي تكون يوم القيامة لا صعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور فإن حمل الحديث عليها فذاك وإن حمل على صعقة الموت عند نفخ الصور وصرف ذكر يوم القيامة إلى أنه أراد أوائله قيل المعنى أن الصور إذا نفخ فيه أخرى كنت أول من يرفع رأسه فإذا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أو جوزى بصعقة الطور أي فلا أدري أبعث قبلي كان وهباً له وتفضيلاً من هذا الوجه كما فضل في الدنيا بالتكليم أو كان حملاً بصعقة الطور أي قدم بعثه على بعث الأنبياء الآخرين بقدر صعقته عندما تجلى ربه للجبل إلى أن أفاق ليكون هذا هو ما عدا هذا فلا يثبت قال شيخنا أحمد بن عمر وظاهر حديث النبي صلى الله عليه وسلم يدل على أن ذلك إنما هو بعد النفخة الثانية نفخة البحث ونص القرآن يقتضي أن ذلك الاستثناء إنما هو بعد نفخة الصعق ولما كان هذا قال بعض العلماء يحتمل أن يكون موسى عليه السلام ممن لم يموت من الأنبياء

وهذا باطل بما تقدم من ذكر موته وقال القاضى عياض يحتمل أن يكون المراد بهذه صفة فزع بعد النشر حين تنشق السموات والأرض قال قسطل الاحاديث والآيات والله أعلم قال شيخنا أبو العباس وهذا يرده ما جاء في الحديث أنه عليه السلام حين يخرج من قبره يلتقى موسى وهو متعلق بالعرش وهذا إنما هو عند نفخة البعث قال شيخنا أحمد بن عمر والذي يزيح هذا الإشكال إن شاء الله تعالى إن الموت ليس بعدم محض وإنما هو انتقال من حال إلى حال ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الأحياء في الدنيا وإذا كان هذا في الشهداء كان الأنبياء بذلك أحق وأولى مع أنه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد اجتمع بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس وفي السماء وخصوصاً بموسى وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بما يقتضى أن الله تبارك وتعالى يرد عليه روحه حتى يرد السلام على كل من يسلم عليه إلى غير ذلك مما يحصل من جملة القطع بأن موت الأنبياء إنما هو راجع إلى أن غيوا عنا بحيث لا ندرکہم وإن كانوا موجودين أحياء وذلك كالحال في الملائكة فإنهم موجودون أحياء ولا يرام أحد من نوعنا إلا من خصه الله بكرامة من أوليائه وإذا تقرر أنهم أحياء فإذا نفخ في الصور نفخة الصعق صعق كل من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله فأما صعق غير الأنبياء فموت وأما صعق الأنبياء فالأظهر أنه غشية فإذا نفخ في الصور نفخة البعث فن مات حي ومن غشى عليه افاق وكذلك قال صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم والبخارى فأكون أول من يفيق وهي رواية صحيحة وحسنة فبينما صلى الله عليه وسلم أول من يخرج من قبره قبل الناس كلهم قبل الأنبياء وغيرهم إلا موسى فإنه حصل له فيه تردد هل بعث قبله من غشيته أو بقى على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعق مفيقاً لأنه حوسب بنغشية الطور وهذه فضيلة عظيمة في حق موسى عليه السلام ولا يلزم من فضيلة أحد الأمرين المشكوك فيهما فضيلة موسى عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم مطلقاً لأن الشيء الجزئي لا يوجب أمراً كلياً والله أعلم.

قال الشيخ المؤلف رحمه الله: ما اختاره شيخنا هو ما ذكره الحليني

واختاره في قوله فإن حمل عليها الحديث فذاك قال الحليمي وأما الملائكة الذين ذكرناهم صلوات الله عليهم فإننا لم ننس عنهم الموت ولا أحلناه وإنما أبينا أن يكونوا هم المرادين بالاستثناء من الوجه الذي ذكرناه ثم قد وردت الأخبار بأن الله تعالى يميت حملة العرش وملك الموت وميكائيل ثم يميت آخر من يميت جبريل ويحييه مكانه ويحيي هؤلاء الملائكة الذين ذكرناهم وأما أهل الجنة فلم يأت عنهم خبر والأظهر أنها دار الخلد فالذي يدخلها لا يموت فيها أبدا مع كونه قابلا للموت والذي خلق فيها أولى أن لا يموت فيها أبدا وأيضا فإن الموت لقهر المكلفين ونقلهم من دار إلى دار وأهل الجنة لم يبلغنا أن عليهم تكليفا فإن أعفوا عن الموت كما أعفوا من التكليف لم يكن بعيدا . فإن قيل : فقد قال الله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) وهو يدل على أن الجنة نفسها تفتى ثم تعاد يوم الجزاء فلم أنكروا أن يكون الولدان والحوار يموتون ثم يحيون . قيل : يحتمل أن يكون معنى قوله : (كل شيء هالك إلا وجهه) أي ما من شيء إلا وهو قابل للهلاك فيهلك إن أراد الله به ذلك إلا وجهه أي إلا هو سبحانه فإنه تعالى قديم والقديم لا يمكن أن يفنى وما عداه محدث والمحدث إنما يبقى قدر ما يبقى محده فإذا حبس البقاء عنه فنى . ولم يبلغنا في خبر صحيح ولا معلول أنه يهلك العرش فاتسكن الجنة مثله .

(فصل) قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث : ومن قال أنا خير من يونس ابن متى فقد كذب . للعلماء فيه تأويلات أحسنها وأجملها ما ذكره القاضي أبو بكر ابن العربي قال أخبرني غير واحد من أصحابنا عن إمام الحرميين أبي المعالي عبد الملك ابن عبد الله بن يوسف الجويني أنه سئل هل الباري في جهة ؟ فقال لا هو متعال عن ذلك . قيل له ما الدليل عليه ؟ قال الدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تفضلوني على يونس بن متى فقيل له ما وجه الدليل من هذا الخبر ؟ فقال لا أقوله حتى يأخذ ضيفي هذا ألف دينار بقضى بها ديننا ، فقام رجلان فقالا هي علينا فقال لا يتبع بها أثنين لأنه يشق عليه فقال واحد هي على فقال : إن يونس بن متى رمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث ونادى (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) كما أخبر الله ولم يكن ~~يحيى~~ ~~عليه السلام~~

جلس على الرفرف الأخضر وارتقى به صعودا حتى انتهى به إلى موضع يسمع فيه صريف الأقلام وناجاء ربه بما ناجاه به وأوحى إليه ما أوحى بأقرب إلى الله من يونس في ظلة البحر .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله فإله سبحانه قريب من عباده يسمع دعاءهم ولا يخفى عليه حالهم كيف ما تصرفت من غير مسافة بينه وبينهم فيسمع ويرى ديب الغملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء تحت الأرض السفلى كما يسمع ويرى تسليح حملة عرشه من فوق السبع السموات العلى سبحانه لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا ولقد أحسن أبو العلاء ابن سليمان المعري حيث يقول :

يا من يرى مد البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها في لحمها والمخ في تلك العظام النحل
آجالها محتومة أرزاقها مقسومة بعبا وإن لم تسأل
فلقد سألتك بالنبي محمد الهاشمي المدر المزمل
امنن على بتوبة تمحو بها ما كان منى في الزمان الأول

باب يفنى العباد ويبقى الملك لله وحده

البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه . ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض . وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يطوى الله السماء يوم القيامة . ثم يأخذ من يده اليمنى . ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون . ثم يطوى الأرض بشماله . ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون . انفراد به مسلم . وعن عبد الله بن مقسم أنه نظر إلى عبد الله بن عمر كيف يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال يأخذ الله سماواته وأرضيه بيديه فيقول : أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها فيقول : أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من

أسفل حتى أني أقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم .

(فصل) هذه الأحاديث تدل على أن الله سبحانه يفتي جميع خلقه أجمع كما تقدم . ثم يقول الله عز وجل لمن الملك اليوم فيجيب نفسه المقدسة بقوله : لله الواحد القهار .

وقيل إن المنادي ينادى بعد حشر الخلق على أرض بيضاء مثل الفضة لم يعص الله عليها على ما يأتي لمن الملك اليوم فيجيبه العباد لله الواحد القهار رواه أبو وائل عن ابن مسعود واختاره أبو جعفر النحاس قال والقول صحيح عن ابن مسعود وليس هو بما يؤخذ بالقياس ولا بالتأويل .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله والقول الأول أظهر لأن المقصود إظهار انفراده تعالى بالملك عند انقطاع دعوى المدعين وانتساب المنتسبين . إذ قد ذهب كل ملك وملكة وكل جبار ومتكبر وملكة وانقطعت نسبهم ودعاويهم وهذا أظهر . وهو قول الحسن ومحمد بن كعب وهو مقتضى قوله الحق : أنا الملك أين ملوك الأرض وفي حديث أبي هريرة . ثم يأمر الله عز وجل إسرافيل فينفخ نفخة الصعق فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله . فإذا اجتمعوا أمواتا جاء ملك الموت إلى الجبار فيقول قد مات أهل السماء والأرض إلا من شئت . فيقول الله سبحانه وهو أعلم من بقي ؟ فيقول يارب بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة العرش وبقى جبريل وميكائيل وإسرافيل وبقيت أنا . فيقول الله عز وجل لميت جبريل ومكائيل فينطق الله عز وجل العرش . فيقول أي رب يموت جبريل وميكائيل ؟ فيقول اسكت اني كتبت الموت على كل من تحت عرشي فيسوتان قال : ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار جل جلاله . فيقول يارب قد مات جبريل وميكائيل فيقول وهو أعلم من بقي ؟ فيقول بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا . فيقول : لميت حملة العرش . فيموتون فيأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل . ثم يقول : لميت إسرافيل . فيموت . ثم يأتي ملك الموت فيقول يارب قد مات حملة عرشك . فيقول وهو أعلم : من بقي ؟ فيقول بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت أنا فيقول الله أنت خلق من خلق خلقك لما رأيت فت .

فيموت فاذا لم يبق إلا الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فكان كما كان اولاً طوى السماء كطوى
السجل للكتاب . ثم قال انا الجبار لمن الملك اليوم فلم يجبه احد فيقول جل
مناؤه وتقدس اسمائه لله الواحد القهار .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : حديث ابي هريرة هذا فيه طول وهذا وسطه
ويأتي آخره في الباب بعد هذا ويأتي اوله بعد ذلك ان شاء الله تعالى فيتصل جميعه
ان شاء الله تعالى . ذكره الطبري وعلي بن معبد والثعلبي وغيرهم وفي حديث
لقيط بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم تابثون ما لبثتم . ثم تبعث الصيحة
انقلعوا من اهلها ما تدع على ظهرها من شيء لامات والملائكة الذين مع ربك
فأصبح ربك يطوف في البلاد وقد خلت عليه البلاد وذكر الحديث وهو حديث
فيه طول خرجه ابو داود الطيالسي في مسنده وغيره .

قال علماؤنا قوله فأصبح ربك يطوف بالبلاد وقد خلت عليه البلاد انما هو
تفهيم وتقريب الى ان جميع من في الارض يموت وأن الارض تبقى خالية وليس يبق
الا الله كما قال (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وعند
قوله سبحانه (لمن الملك اليوم) هو انقطاع زمن الدنيا وبعده يكون البعث والنشور
والحشر على ما يأتي وفي فناء الجنة والنار عند فناء جميع الخلق قولان : احدهما :
يفنيهما ولا يبقى شيء سواه وهو معنى قوله الحق (هو الاول والآخر) وقيل انه بما لا يجوز
عليهما الفناء وانهما باقيان بإبقاء الله سبحانه والله اعلم . وقد تقدم في الباب قبل
هذا الإشارة الى ذلك . وقد قيل انه ينادى مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه
اهل الجنة لله الواحد القهار .

(فصل) في بيان ما أشكل من الحديث من ذكر اليد والأصابع ان قال قائل
ما تأويل اليد عندكم واليد حقيقتها في الجراحة المعلومة عندنا وتلك التي يكون القبض
والطى بها ؟ قانا : لفظ الشمال أشد في الإشكال وذلك في الإطلاق على الله تعالى .

والجواب : أن اليد في كلام العرب لها خمسة معان : تكون بمعنى القوة ومنه قوله تعالى : (واذكر عبدنا داود ذا الأيدي) وتكون بمعنى الملك والقوة ومنه قوله تعالى (قل إن الفضل بيد الله يؤتیه من یشاء) وتكون بمعنى النعمة تقول العرب كم يد لی عند فلان أي كم هن نعمة أسديتها الیه وتكون بمعنى الصلة ومنه قوله تعالى (بما عملت أيدينا انعاما) أي بما عملنا نحن . وقال تعالى : (أو يعفو الذی یدیه عقدة النکاح) أي الذی له النکاح وتكون بمعنى الجارحة . ومنه قوله تعالى (وخذ یدک ضغثا فاضرب به ولا تحنث) وقوله في الحديث یدیه عبارة عن قدرته واحاطته بجميع مخلوقاته يقال ما فلان إلا فی قبضتی . بمعنى ما فلان الا فی قدرتی والناس يقولون الاشياء فی قبضة الله يريدون فی ملكه وقدرته وقد يكون معنى القبض والطي اثناء الشيء واذهابه فقوله عز وجل (والأرض جميعا قبضته)^(۱) يحتمل أن يكون المراد به الأرض جميعا ذاهبة فانية يوم القيامة . وقوله : (والسماء مطويات بيمينه) ليس يريد به طيا بعلاج وانتصاب وإنما المراد بذلك الفناء والذهاب . يقال قد انطوى عنا ما كنا فيه وجاءنا غيره وانطوى عنا دهر بمعنى المضى والذهاب (فإن قيل) فقد قال في الحديث ويقبض أصابعه ويبسطها وهذه حقيقة الجارحة . (قلنا) هذا مذهب المجسمة من اليهود والحشوية والله تعالى متعال عن ذلك وإنما المعنى حكاية الصاحب عن النبي صلى الله عليه وسلم يقبض أصابعه ويبسطها وليس معنى اليد في الصفات بمعنى الجارحة حتى يتوهم بثبوتها ثبوت الأصابع فدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي كان يقبض أصابعه ويبسطها قال الخطابي وذكر الأصابع لم يوجد في شيء من الكتاب والسنة المقطوع بصحتها . (فإن قيل) فقد ورد ذكر الأصابع في غير ما حديث فما جوابكم عنها فقد روى البخاري ومسلم قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يحمل السموات على أصبع والأرضين على أصبع والشجر على أصبع والثرى على أصبع والخلائق على أصبع فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فأنزل الله عز وجل (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) وروى عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن قلوب ابن آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب

(۱) قبضته يوم القيامة

واحد يصرّفها حيث شاء . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك . ومثله كثير (قيل له) اعلم أن الأصبع قد يكون بمعنى الجارحة والله تعالى يتقدس عن ذلك ويكون بمعنى القدرة على الشيء ويسارة قلبه كما يقول من استسهل شيئاً واستخفه مخاطباً لمن استثقله أنا أحمله على أصبعي وأرفعه بأصبعي وأمسكه بخصري . وكما يقول من أطاع بحمل شيء أنا أحمله على عيني وأفعله على رأسي يعني به الطواعية ، وما أشبه ذلك قد قال في معناه وهو كثير . وما قال عنزة وقيل ابن زيادة التيمى :

الرمح لا أملاً كفى به واللبد لا أتبع تزواله

يريد أنه لا يتكلف أن يجمع كفه فيشتمل على الرمح لكن يطعن به خلساً بأصابعه لخفة ذلك عليه وقوله : لا أتبع تزواله : أى إذا مال لم أمل معه . يقول أنا ثابت على ظهر الخيل لا يضرني فقد بعض الآلة ولا تغير السرج عما يريد الركب يصف نفسه بالفروسية في الركوب والظعن . فلما كانت السموات والأرض أعظم الموجودات قدراً وأكبرها خلقاً كان إمساكها بالنسبة إلى الله تعالى كالشئ الحقير الذى نجعله نحن بين أصابعنا ونهزه بأيدينا وتتصرف فيه كيف شئنا فتكون الإشارة بقوله : ثم يقبض أصابعه ويبسطها ويقول . ثم يهزه كما جاء فى بعض طرق مسلم وغيره أى هى فى قدرته كالحبة مثلاً فى كف أحدنا التى لا نبالي بإمساكها ولا بهزها ولا تحريكها ولا القبض والبسط عليها ولا نجد فى ذلك صعوبة ولا مشقة ، وقد يكون الأصبع أيضاً فى كلام العرب بمعنى النعمة وهو المراد بقوله عليه السلام إن قلوب بنى آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن أى بين نعمتين من نعم الرحمن يقال لفلان على أصبع أى أثر حسن إذا أنعم عليه نعمة حسنة وللراعى على ماشيته أصبع أى أثر حسن وأنشد الأصمعى للراعى :

ضعيف العصى بآدى العروق ترى له عليها إذا ما أجذب الناس أصبعها
وقال آخر :

صلاة وتسييح وإعطاء سائل وذى رحم تيل منك أصبع

أى آر حسن . وقال آخر :

من يجعل الله عليه أصعبا في الخير والشر يلقاه معا

فإن قيل كيف جاز إطلاق الشمال على الله تعالى وذلك يقتضى النقص ؟ قيل : هو بما انفرد به عمر بن حمزة عن سالم وقد روى هذا الحديث نافع وعبد الله بن مقسم عن ابن عمر لم يذكر فيه الشمال ورواه أبو هريرة وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكر فيه واحد منهم الشمال . قال البيهقي : وروى ذكر الشمال في حديث آخر في غير هذه الصفة إلا أنه ضعيف بمره وكيف يصح ذلك وصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمي كلتا يديه يمينا وكان من قال ذلك أرسله من لفظه على ما وقع له أو على عادة العرب في ذكر الشمال في مقابلة اليمين . قال الخطابي ليس فيما يضاف إلى الله عز وجل من صفة اليد شمال لأن الشمال محل النقص والضعف . وقد روى كلتا يديه يمين وليس معنى اليد عندنا الجارحة ، وإنما هي صفة جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب والسنة المأثورة الصحيحة وهو مذهب أهل السنة والجماعة وقد يكون اليمين في كلام العرب بمعنى القدرة والملك . ومنه قوله تعالى : (أو ماملكت أيمانكم) يزيد بها الملك ، وقال لأخذنا منه باليمين أى بالقوة والقدرة أى أخذنا قدرته وقوته . قال الفراء : اليمين القوة والقدرة وأنشد :

إذا ماراية رفعت لمجد تلقاها عراة باليمين

وقال آخر :

ولما رأيت الشمس أشرق نورها تناولت منها حاجتي يميني
فقلت شنيفا ثم قاران بعده وكان على الآيات غير أمين

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وعلى هذا التأويل تخرج الآية والحديث والله أعلم . وقد تكون اليمين في كلام العرب بمعنى التبجيل والتعظيم يقال فلان عندنا باليمين أى بالمحل الجليل ومنه قول الشاعر :

أقول لناقني إذ بلغتني لقد أصبحت عندي باليمين

أى بالمحل الرفيع وأما قوله كتنا يديه يمين فانه أراد بذلك التمام والسكال وكانت
للحرب تحب التيامن وتمكره التيامن لما في التيامن من النقصان وفي التيامن من التمام
فان قيل فأين يكون الناس عند طي الارض والسماء قلنا يكونون على الصراط على
ما يأتي بيانه ان شاء الله تعالى .

باب البرزخ

روى هناد بن السرى قال حدثنا محمد بن فضيل وو كيع عن فطر قال سألت مجاهدا
عن قول الله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون قال هو ما بين الموت والبعث
وقيل للشعبى مات فلان قال ليس هو في الدنيا ولا في الآخرة هو في برزخ والبرزخ
في كلام العرب الحاجز بين الشيتين ومنه قوله تعالى وجعل بينهما برزخا أى
حاجزا وكذلك هو في الآية من وقت الموت الى البعث فن مات فقد دخل في البرزخ
وقوله تعالى ومن ورائهم برزخ أى من أمامهم وبين أيديهم .

باب ذكر النفخ الثاني للبعث في الصور

وبيانه وكيفية البعث وبيانه وأول من تنشق عنه الارض وأول من يحيى من
الخلق وبيان السن الذى يخرجون عليه من قبورهم وفي لسانهم وبيان قوله تعالى
وألقنا ما فيها وتخلت قال الله عز وجل يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة
وقال فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقال ثم نفخ فيه
أخرى فاذا هم قيام ينظرون وقال يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا وسماء الله
تعالى أيضا بالناقور في قوله تعالى فاذا نقر في الناقور قال المفسرون الصور ينقر
فيه مع النفخ الأول لموت الخلق على ما يأتي بيانه قال الله تعالى مخبرا عن كفار
قريش ما ينظرون أى ما ينتظر كفار آخر هذه الامة الداينون بدين أبى جهل
وأصحابه إلا صيحة واحدة يعنى النفخة الاولى التى يكون بها هلاكهم تأخذهم وهم
(م ۱۲ - تذكرة)

يخصمون أي يختصمون في أسواقهم وحوادثهم قال الله تعالى : (لاتأنيكم الآية)
 فلا يستطيعون توصية أي أن يوصوا ولا إلى أهلهم يرجعون أي من أسواقهم
 وحيث كانوا إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون . ونفخ في الصور فإذا هم
 من الأجدات وهي النفخة الثانية نفخة البعث والصور قرن من نور يجعل فيه
 الأرواح يقال إن فيه من الثقب على عدد أرواح الخلائق على ما يأتي قال مجاهد
 هو كالبوبق ذكره البخاري فإذا نفخ فيه صاحب الصور النفخة الثانية ذهب كل
 روح إلى جسده فإذا هم من الأجدات أي القبور ينسلون أي يخرجون سراعاً
 يقال نسل ينسل وينسل بالضم أيضاً إذا أسرع في مشيه فالمعنى يخرجون مسرعين
 وفي الخبر أن بين النفختين أربعين عاماً وسيأتي وفي البخاري عن ابن عباس في قوله
 تعالى : (فإذا نقر في الناقور) الصور قال : والرافضة النفخة الأولى والرافضة
 الثانية وروى عن مجاهد أنه قال للكافرين هجمة قبل يوم القيامة يجدون فيها طعم
 النوم فإذا صيح بأهل القبور قاموا مذعورين عجلين ينظرون ما يراد بهم لقوله
 تعالى : (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) وقد أخبر الله عز وجل عن
 الكفار أنهم يقولون (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) فيقول لهم الملائكة أو
 المؤمنون على اختلاف المفسرين (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) وقيل :
 إن الكفار هم القائلون (هذا ما وعد الرحمن) وذلك أنهم لما بعثوا قال بعضهم
 لبعض (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) صدقوا الرسل لما عاينوا ما أخبروهم به ثم
 قالوا : (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) فكذبنا به أفروا حين لم ينفعهم
 الإقرار ثم يؤمر بحشر الجميع إلى اللوقف للحساب وقال عكرمة إن الذين يفرقون في
 البحر تقدم لحومهم الحيتان فلا يبقى منهم شيء إلا العظام فتلقبها الأمواج إلى
 الساحل فتمكث حينئذ تصير حائلة نخرة ثم تمربها الإبل فتأكلها ثم تسير الإبل فتبعر
 ثم يجيء قوم فينزلون فيأخذون ذلك البعر فيوقدونه ثم تخمد تلك النار فيجيء
 الريح فيلقى ذلك الرماد على الأرض فإذا جاءت النفخة فإذا هم قيام ينظرون
 يخرج أولئك وأهل القبور سواء (إن كانت إلا صيحة واحدة) أي نفخة واحدة
 فإذا هم جميع لدينا محضرون قال علماؤنا رحمهم الله فالنفخ في الصور إنما هو سبب

لخروج أهل القبور وغيرهم فيعيد الله الرفات من أبدان الأموات ويجمع ما تفرق منها في البحار وبطون السباع وغيرها حتى تصير كهياتها الأولى ثم يجعل فيها الأرواح فتقوم الناس كما هم أحياء حتى السقط فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن السقط ليظل مجنطياً على باب الجنة ويقال له ادخل الجنة فيقول لا حتى يدخل أبواي وهذا السقط هو الذي تم خلقه ونفخ فيه الروح قال الله تعالى: (وإذا الموءودة سئلت) فدل على أن الموءودة تحشر وتسال ومن قبرها تخرج وتبعث وأما من لم ينفخ فيه الروح فهو وسائر الأموات سواء قاله الحاكم أبو الحسين بن الحسن الجليمي رحمه الله في كتاب منهاج الدين له وبالْحَقِيقَةُ إِنَّمَا هُوَ خُرُوجُ الْخَلْقِ بِدَعْوَةِ الْحَقِّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) فَتَقُومُونَ فَتَقُولُونَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ قَالُوا فَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ يَبْدَأُ بِالْحَمْدِ وَيُنْحَمُ بِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى (وَقَضَى بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ابْنُ مَاجَةَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ حَدَّثَنَا عَبَادُ بْنُ الْعَوَامِ عَنْ حِجَابِ بْنِ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ صَاحِبَ الصُّورِ بِأَيْدِيهِمَا أَوْ فِي أَيْدِيهِمَا قَرْنَانِ يَلَاحِظَانِ النَّظْرَ مَتَى يَوْمَ رَانَ التَّرْمَذِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ جَاءَ أَعْرَابِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا الصُّورُ قَالَ قَرْنٌ يَنْفَخُ فِيهِ قَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدْ أَنْعَمَ الْفَرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يَوْمَ يَنْفَخُ فَكَانَ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَمْ قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ قَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ وَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَطْرَقَ صَاحِبُ الصُّورِ مِنْذُ وَكَلَّ بِهِ مُسْتَعْدِأً بِجَدَاءِ الْعَرْشِ مَخَافَةً أَنْ يَوْمَ بِالصَّيْحَةِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ طَرَفُهُ كَأَنْ عَيْنِيهِ كَوْكَبَانِ دَرِيَانِ أَخْرَجَهُ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ صَخْرٍ فِي فَوَائِدِهِ وَغَيْرِهِ وَخَرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ وَهُوَ زَمَلُ ابْنِ إِسْمَاعِيلَ وَعَلِيُّ بْنُ مَعْبُدٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ حَدِيثًا ذَكَرَ فِيهِ قَالَ: هُمْ يَقُومُ مَلِكُ الصُّورِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَتَنْفَخُ فِيهِ وَالصُّورُ قَرْنٌ فَلَا يَبْقَى لِلَّهِ خَلْقٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا تَشَاءُ رَبُّكَ هُمْ يَكُونُ بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ فَايَسُّ مِنْ بَنِي

آدم خلق إلا وفي الأرض شيء منه زاد مؤمل بن اسماعيل قال سفيان يعني الثوري
عجب الذنب قال فيرسل الله ماء من تحت العرش منياً كنى الرجال فثبت جثانهم
ولجانهم كما تثبت الأرض من الثرى ثم قرأ عبد الله (واه الذي أرسل الرياح
فتسير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) قال ثم
يقوم ملك الصور بين السماء والأرض فينفخ فيه فتطلق كل نفس إلى جسدها حتى
تدخل فيه ثم يقومون فيجيئون لإجابة رجل واحد قياماً لرب العالمين وقال ابن المبارك
ومؤمل ثم يقومون فيحيون تحية واحدة وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام قال
حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن عبد الله بن
مسعود قال فيقومون فيجشون تحية رجل واحد قياماً لرب العالمين قوله فيحيون
التحية تكون في حالين أحدهما أن يضع يديه على ركبتيه وهو قائم وهذا هو المنى
الذي في هذا الحديث ألا تراه يقول قياماً لرب العالمين والوجه الآخر أن ينكب
على وجهه باركاً وهذا هو الوجه المعروف عند الناس وقد حمله بعض الناس على
قوله فيخرون لله سجداً لرب العالمين فجعل السجود هو التحية وهذا هو الذي يعرفه
الناس من التحية وروى عن علي بن معبد أيضاً عن أبي هريرة قال: حدثنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحن في طائفة من أصحابه وساق الحديث بطوله إلى قوله
جل ثناؤه وتقدست أسماؤه (لله الواحد القهار ثم تبدل الأرض غير الأرض
والسموات) فيبسطها بسطاً ثم يمدّها مدّ الأديم المكاظي (لا ترى فيها عرجاً ولا
أماً) ثم يزر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه الأرض المبدلة في مثل
ما كانوا فيه من الأولى من كان في بطنها كان في بطنها ومن كان على ظهرها كان على
ظهرها ثم ينزل الله عليكم ماء من تحت العرش فتطر السماء عليكم أربعين سنة
حتى يكون الماء من فوقكم اثنا عشر ذراعاً ثم يأمر الله عز وجل الأجساد فثبتت
كُنُبات الطرائيك وكنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادكم فكانت كما كانت
يقول الله عز وجل ليحي حملة العرش فيحيون . ثم يقول: ليحي جبريل وميكائيل
وإسرافيل فيأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور ، ثم يدعو الله تعالى الأرواح فيؤتى بها
توهج أرواح المسلمين نورا والأخرى مظلمة فيأخذها الله فيلقها في الصور ثم يقول
(۱) العرش يقال له الحيوان فتطر

لإسرائيل أفتح نفخة البعث فيفتح فتخرج الأرواح كأمثال النحل قد ملأت ما بين
 السماء والأرض فيقول الله عز وجل وعزتي وجلالي ليرجع كل روح إلى جسده
 فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد . ثم تدخل في الخياشيم فتمشي في الأجساد
 مشي السم في اللذيع ثم تنشق الأرض عنكم . وأنا أول من تنشق الأرض عنه
 فتخرجون منها شبابا كلكم أبناء ثلاث وثلاثين واللسان يومئذ بالسريانية سراعا
 إلى ربهم يفسلون مهطمين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ذلك يوم
 الخروج وحشرناهم فلم تغادر منهم أحدا فتوقفون في موقف عراة غلغا غر لا مقدار
 سبعين عاما لا ينظر الله إليكم ولا يقضى بينكم فبكي الخلائق حتى تنقطع الدموع .
 ثم تدمع دما ويعرقون حتى تبلغ منهم الأذقان ويلجمهم فيضجون ويقولون من
 يشفع لنا إلى ربنا وساق الحديد بطوله في الشفاعة وسيأتي حديث الشفاعة
 من صحيح مسلم وغيره إن شاء الله تعالى . وخرج الحنظلي أبو القاسم اسحاق بن إبراهيم
 في كتاب الديباج له حدثني أبو بكر خليفة بن الحارث بن خليفة ،
 حدثنا محمد بن جعفر المدائني عن سلام بن مسلم الطويل عن عبد الحميد عن
 نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل (إذا السماء
 انشقت وأذنت لربها وحفت) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول
 من تنشق عنه الأرض فأجلس جالسا في قبري فيفتح لي باب إلى السماء بجبال رأسي
 حتى أنظر إلى العرش ثم يفتح لي باب من تحتي حتى أنظر إلى الثرى ثم يفتح لي باب
 عن يميني حتى أنظر إلى الجنة ومنازل أصحابي وإن الأرض تحركت تحتي
 فقلت ما بالك أيتها الأرض قالت إن ربي أمرني أن ألتقي ما في جوفي وأن أنخل
 فأكون كما كنت إذ لا شيء في ذلك قوله عز وجل (وألقت ما فيها وتملكت وأذنت
 لربها وحفت) أي سمعت وأطاعت وحق لها أن تسمع وتطيع يأيتها الإنسان قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ذلك الإنسان . وروى في تفسير قوله تعالى (يأيتها
 النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) أن هذا خطاب للأرواح
 بأن ترجع إلى أجسادها إلى ربك أي صاحبك كما تقول رب الغلام ورب الدار
 ورب الدابة أي صاحب الغلام^(٢) وصاحب الدابة (فادخل في عبادي) أي في أجسادهم
 (١) انظر إلى الأرض السابعة حتى انظر إلى الثرى (٢) الغلام وصاحب الدار وصاحب

من مناخرهم كما ورد في الخبر المتقدم وقد روى أن الله تعالى خلق الصور حين فرغ من خلق السموات والأرض وأن عظام دارته كغظ السماء والأرض وفي حديث أبي هريرة والذي نفسى بيده إن عظام دارة فيه لكعرض السماء والأرض وسيأتي وروى أن له رأسين رأسا بالشرق ورأسا بالمغرب فله أعلم فصل الصور بالصاد قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفتاء وهي نفخة الصعق ويكون معها نقر لقوله تعالى : (فإذا نقر في الناقور) أي في الصور فإذا نفخ فيه للإصعاق جمع بين النقر والنفخ لتكون الصيحة أشد وأعظم . ثم تمكث الناس أربعين عاما ثم ينزل الله ماء كمنى الرجال على ما تقدم فتكون منه الأجسام بقدره الله تعالى حتى يجعلهم بشرا كما روى في قصة الذين يخرجون من النار قد صاروا حمما أنهم يغتسلون من نهر يباب الجنة فينبتون نبات الحبة في حميل السيل وعن ذلك عبر في حديث أبي هريرة المتقدم في صحيح مسلم وغيره فينبتون نبات البقل فإذا تهيأت الأجسام وكلت نفخ في الصور نفخة البعث من غير نقر لأن المراد إرسال الأرواح من ثقب الصور إلى أجسادها لا تنفيرها من أجسادها فالنفخة الأولى للتنفير وهي نظير صوت الرعد الذي قد تقوى فيمات منه ونظير الصيحة الصريحة الشديدة التي يصيحها الرجل بصي فيفرع منه فيوت فإذا نفخ للبعث من غير نقر كما ذكرنا خرجت الأرواح من المجال التي هي فيه فتأتي كل روح إلى جسدها فيحييها الله كل ذلك في لحظة كما قال تعالى : (فإذا هم قيام ينظرون ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) وعند أهل السنة أن تلك الأجساد الدنياوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلاخلاف بينهم . قال بعضهم بأوصافها فيعاد الوصف أيضا كما يعاد الجسم واللون . قال القاضي أبو بكر بن العربي وذلك جائز في حكم الله وقدرته وهين عليه جميعه ولكن لم يرد بإعادة الوصف خبر .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله فيه أخبار كثيرة في الباب بعد هذا .

(فصل) وليس الصور جمع صورة كما زعم بعضهم أي ينفخ في صور الموتى بدليل الأحاديث المذكورة والتزبل يدل على ذلك . قال الله تعالى : (ثم نفخ فيه أخرى) ولم يقل فيها فلم أنه ليس جمع صورة قال الكلبي لا أدري ما الصور ويقال

هو جمع صورة مثل بسرة وبسراى ينفخ في صور الموتى الارواح وقرأ الحسن يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وإلى هذا التأويل في أن الصور بمعنى الصور جمع صورة ذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى وهو مردود بما ذكرنا وأيضاً لا ينفخ في الصور للبعث مرتين بل ينفخ مرة واحدة وإسرافيل عليه السلام ينفخ في الصور الذى هو القرن والله سبحانه يحيى الصور فينفخ فيها الروح كما قال تعالى : (فنفخنا فيه من روحنا ونفخت فيه من روحى) قال ابن زيد يخلق الله الناس في الأرض الخاق الآخر ثم يأمر السماء فتطر عليهم أربعين يوماً فينبئون فيها حتى تنشق عن رؤسهم كما تنشق عن رأس الكأء فثلها يومئذ مثل الماخض تظن أن يأتيها أمر الله فتطرحهم على ظهرها . فلما كانت تلك النفخة طرحتهم . قال علماءنا والامم مجتمعون على أن الذى ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله قد جاء حديث يدل على أن الذى ينفخ في الصور غير إسرافيل خرجه أبو نعيم الحافظ قال : حدثنا سليمان قال حدثنا أحمد بن القاسم قال حدثنا عفان بن مسلم قال : حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الله بن الحارث قال كنا عند عائشة وعندها كعب الأحبار فذكر كعب إسرافيل فقالت عائشة يا كعب أخبرني عن إسرافيل ؟ فقال كعب عنكم العلم قالت أجل فأخبرني . فقال: له أربعة أجنحة جناحان في الهواء وجناح قد تسربل به وجناح على كاهله والعرش على كاهله والقلم على أذنه فإذا نزل الوحي كتب القلم ، ثم درست الملائكة وملك الصور جاث على إحدى ركبتيه وقد نصب الأخرى ملتقم الصور عنيا ظهره شاخصا ينصره ينظر إلى إسرافيل وقد أمر إذا رأى إسرافيل قد ضم جناحيه أن ينفخ في الصور . قالت عائشة هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : غريب من حديث كعب لم يروه عنه إلا عبد الله بن الحارث ورواه خالد الخذاء عن الوليد أبي بشر عن عبد الله بن رباح عن كعب نحوه .

(فصل) قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وما خرجه أبو عيسى للترمذى وغيره

يدل على أن صاحب الصور لإسرافيل عليه السلام ينفخ فيه وحده . وحديث أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه يدل على أن معه غيره . وقد خرج أبو بكر البزار في مسنده وأبو داود في كتاب الحروف من كتاب السنن من حديث عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب الصور قال : عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل فلمسل لأحدهما قرنا آخر ينفخ فيه والله أعلم . وذكر أبو السري هناد بن السري التيمي الكوفي . قال : حدثنا أبو الأحوص عن منصور عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي عمرة قال ما من صباح إلا وملكان يقولان : يا طالب الخير أقبل ويا طالب الشر أقصر وملكان موكلان يقولان : اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا ، وملكان موكلان يقولان : سبحان الملك القدوس ، وملكان موكلان بالصور قال : وحدثنا وكيع عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن ضمرة عن كعب قال ما من صباح مثله سواء وزاد بعد قوله وملكان موكلان بالصور ينظران متى يؤمران فينفخان وعطية لا يحتج احد بحديثه على ما ذكره أبو محمد عبد الحق وغيره .

(فصل) واختلف في عدد النفخات ف قيل ثلاثة نفخة الفزع لقوله تعالى (ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين ونفخة الصعق ونفخة البعث لقوله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) وهذا اختيار ابن العربي وغيره وسيأتي وقيل هما نفختان ونفخة الفزع هي نفخة الصعق لأن الأمرين لازمين لها أي فزعوا فزعا ماتوا منه . والسنة الثابتة على ما تقدم من حديث أبي هريرة وحديث عبد الله بن عمر وغيرهما يدل على أنهما نفختان لا ثلاث وهو الصحيح إن شاء الله تعالى . قال الله تعالى : (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) فاستثنى هنا كما استثنى في نفخة الفزع فدل على أنهما واحدة . وقد روى ابن المبارك عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بين النفختين أربعون سنة . الأولى يميت الله بها تعالى كل حي والأخرى يحيى الله بها كل ميت . وسيأتي لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى . وقال الحلبي اتفقت الروايات على أن بين النفختين أربعين سنة وذلك بعد أن يجمع الله تعالى ما فرق من أجساد الناس من بطون النبايع وحيوانات الماء ووطن الأرض وما أصاب البران منها بالحرق والمياه بالفرق وما أبلته الشمس وذره الرياح فإذا جمعها

وأكل كل بدن منها ولم يبق إلا الأرواح جمع الأرواح في الصور وأمر إسرائفيل عليه السلام فأرسلها بنفخة من ثقب الصور فرجع كل ذى روح إلى جسده بإذن الله تعالى وجاء في بعض الأخبار ما بين أن من أكله طائر أو سبع حشر من جوفه وهو مارواه الزهرى عن أنس قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة يوم أحد وقد جذع ومثل به فقال لولا أن تجد صفة في نفسها لتركته حتى يحشره الله من بطون السباع والطير . وقد أنكر بعض أهل الزيغ أن يكون الصور قرنا . قال أبو الهيثم من أنكر أن يكون الصور قرنا فهو كمن ينكر العرش والصراط والميزان وطلب لها تأويلات .

باب منه في صفة البعث وما آية ذلك

وأول ما يخلق من الإنسان رأسه قال الله تعالى (وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلمكم تذكرون) وقال سبحانه (الله الذى يرسل الرياح فثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء) إلى قوله (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحي الموتى وهو على كل شى قدير) وقال (فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور والآيات في هذا المعنى كثيرة . وخرج أبو داود الطيالسى والبيهقى وغيرهما عن أبي رزين العقيلي قال : قلت يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق وما آية ذلك في خلقه ؟ قال أما مررت بوادى قومك جدباً ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال فتلك آية الله في خلقه .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : هذا حديث صحيح لأنه وافق لنص التنزيل والحمد لله وفى حديث لقيط بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش فلعمرك إلهك مائدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شفت القبر عنه حتى يخلق من قبل رأسه وذكر الحديث .

باب یبعث کبل عبد علی ما مات علیہ

مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول يبعث كل عبد على ما مات عليه . وعن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا أراد الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم خرج البخاري مالك عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله^(۱) إلا جاء يوم القيامة وجرحه يبعث دماً اللون لون الدم والعرف عرف مسك خرج البخاري ومسلم ، أبو داود عن عبد الله بن عمرو أنه قال يا رسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو فقال يا عبد الله إن قتلت صابراً محتسباً بعثت صابراً محتسباً وإن قتلت مرأثياً مكثراً بعثت مرأثياً مكثراً على أي حال قتلت أو قتلت بعثك الله بتلك الحال . وروى أبو هذبة إبراهيم بن هذبة قال حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات سكران فإنه يعاين ملك الموت سكران ويعاين منكرأ ونكيرأ سكران ويبعث يوم القيامة سكران إلى خندق في وسط جهنم يسمى السكران فيه عين يجرى ماؤها ما لا يكون له طعام ولا شراب إلا منه . مسلم عن ابن عباس أن رجلاً كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرماً فوقصته ناقته فمات فقال رسول الله ﷺ اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبه ولا تمسوه بطيب ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة مائياً في رواية ملبداً أخرجه البخاري . وروى عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر قال إن المؤذنين والمليين يخرجون يوم القيامة من قبورهم يؤذن المؤذن ويلبي الملي ذكره الحلبي الحافظ في كتاب المنهاج له وسيأتي بكالاه ، وذكر أبو القاسم اسحاق بن إبراهيم بن محمد الختلي في كتاب الديباج له . حدثنا أبو محمد عبد الله بن يونس بن بكير حدثنا أبي عن عمرو بن سمير عن جابر عن محمد بن علي عن ابن عباس وعلي بن حسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أخبرني جبريل عليه السلام أن لا إله إلا الله أنس للسلم عند موته وفي قبره وحين يخرج من قبره يا محمد لو ترام حين يرقون من قبورهم ينفضون رؤوسهم هذا يقول لا إله إلا الله والحمد لله فيبيض وجهه وهذا ينادي يا حسرتنا على ما فرطت في جنب الله مسودة وجوههم

(۱) في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا

قال وحدثني يحيى بن عبد الحميد الخثعمي حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة عند الموت ولا في قبورهم ولا في منشرهم كأنى بأهل لا إله إلا الله ينفسون التراب عن رؤسهم وهم يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن . وروى النسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تخرج النائحة من قبرها يوم القيامة شعناء غبراء عليها جلباب من لعة ودرع من نار يدها على رأسها تقول يا ويلاه أخرجته بمعناه مسلم وابن ماجه عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الياحة من أمر الجاهلية وإن النائحة إذا ماتت قطع الله لها ثيابا من نار ودرعا من لهب النار لفظ ابن ماجه وقال مسلم تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب . وأسند الثعلبي في تفسيره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه النوايح يجعلن يوم القيامة صفين صفاعن اليمين وصفاعن الشمال ينبحن كما تنبح الكلاب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم يؤمر بهم إلى النار أنبأه الشيخ الحاج الراوية أبو محمد عبد الوهاب شهر بن رواح والشيخ الإمام علي بن عبة الله الشافعي قالا حدثنا السلفي قال حدثنا الرئيس أبو عبد الله الثقفي قال حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن خولة الأبهري الأديب فيما قرىء عليه وأنا أسمع سنة ثلاث وأربع مائة قال أخبرنا أبو عمر وأحمد بن محمد بن حكيم المدني أخبرنا أبو أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا سليمان بن داود النخعي حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه النوايح يجعان يوم القيامة صفين في جهنم صفاعن يمينين وصفاعن شمالين ينبحن على أهل جهنم كما تنبح الكلاب غريب من حديث أبي نصر يحيى بن كثير عن أبي سلمة تفرد به عنه سليمان بن داود وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم تخرج النائحة من قبرها شعناء غبراء مسودة الوجه زرقاء العينين ثابرة الشعر كالحة الوجه وعليها جلباب من لعة الله ودرع من غضب الله إحدى يديها مغلولة إلى عنقها والأخرى قد وضعتها على رأسها وهي تنادي يا ويلاه يا ثوراه ويا حزنناه وملك ووراهما يقول آمين آمين ثم يكون من بعد ذلك حظها

النار. ابن ماجه عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
النياحة على الميت من أمر الجاهلية وإن النياحة إذا لم تلب قبل أن تموت فإنها تبعث
يوم القيامة عليها سرايل من قطران مم يعلى عليها بذرع من لب النار وفي التنزيل^(۱)
الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال أهل
التأويل لمعنى لا يقومون من قبورهم قاله ابن عباس ومجاهد وابن جبير وقتادة والربيع
والسدي والضحاك وابن زيد وغيرهم. قال بعضهم يجعل معه شيطان يخنقه وقالوا
كلهم يبعث كالمجنون عقوبة له وتمقيتاً عند جميع أهل الحشر لجعل الله هذه العلامة
لاكلة الربا وذلك أنه أرباة في بطونهم فأثقلهم فهم إذا خرجوا من قبورهم يقومون
ويسقطون لعظم بطونهم وثقلها عليهم نسأل الله الستر والعافية في الدنيا والآخرة
وقال تعالى ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة وسيأتي: وروى عن النبي صلى الله
عليه وسلم من مات على مرتبة من المراتب يبعث عليها يوم القيامة ذكره صاحب
القوت وهو صحيح المعنى يدل على صحته ما ذكرناه وسيأتي لهذا الباب مزيد بيان
في باب بيان الحشر إلى الموقف إن شاء الله تعالى.

باب في بعث النبي صلى الله عليه وسلم من قبره

ابن المبارك قال أخبرنا ابن لهيعة قال حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن
أبي هلال عن نبيه بن وهب أن كعباً دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب ما من حجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً
من الملائكة حتى يحفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله
عليه وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك يحفون بالقبر ويضربون
بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم سبعون ألفاً بالليل وسبعون ألفاً
بالتنهار وحتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة يوقروه
صلى الله عليه وسلم والأخبار دالة ثابتة على أن جميع الناس يخرجون عرلة
ويحشرون كذلك على ما يأتي إن شاء الله تعالى وخروج الترمذي الحكيم في نوادر
الأصول حدثنا بشر بن خالد قال حدثنا سعيد بن مسلة عن إسماعيل بن أمية عن

(۱) الطاروق في كتاب الشباب ببعض شاهد لزور مولانا بلال في النار

نافع عن بن عمر قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم ويمينه على أبي بكر وشماله على عمر فقال هكذا نبعث يوم القيامة .

باب ماجاء في بعث الأيام والليالي

ويوم الجمعة عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل يبعث الأيام يوم القيامة على هيأتها ويبعث يوم الجمعة زهراء منيرة أهلها عفون بها كالعروس تهدي إلى كريمها تضيء لهم يمشون في ضوئها ألوانهم كالثلج بياضاً وريحهم يسطع كالسك يخوضون في جبال الكافور ينظر إليهم الثقلان ما يظرفون تعجباً يدخلون الجنة لا يخالطهم إلا المؤذنون المحتسبون خرجه القاضي الشريفي أبو الحسن علي بن عبد الله بن إبراهيم الهاشمي العيسوي من ولد عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم وإسناده صحيح وقال أبو عمران الجوني ما من ليلة تأتي إلا تنادي اعملوا في ملاستطعم من خير فإن أرجع إليكم إلى يوم القيامة ذكره أبو نعيم

باب ماجاء أن العبد المؤمن إذا قام من قبره

(يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا وعمله) تقدم من حديث جابر مرفوعاً فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فأنشطا كتاباً مفقوداً في عنقه ثم حضرا معه واحد سائق والآخر شهيد ذكره أبو نعيم وذكر أبو نعيم أيضاً عن ثابت البناني أنه قرأ (حم السجدة) حتى إذا بلغ (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة) وقف فقال بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعث من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له (لا تخف ولا تحزن وأبش بالجنة التي كنت تواعد) قال فأمن الله خوفه وأقر الله عينه فأعظيمة تغشى الناس يوم القيامة فالمؤمن في قرّة عين لما هداه الله له ولما كان يعمل له في الدنيا وقال عمرو بن قيس الملائي أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله في أحسن صورة وأطيب ريح فيقول هل تعرفني فيقول لا إلا أن الله قد طيب ريحك

وحسن صورتك فيقول كذلك كنت في الدنيا أنا عملك الصالح طال ماركتك في الدنيا اركبني اليوم وتلا (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) وأن الكافر يستقبله عمله في أفبح صورة وأنتن ربح فيقول هل تعرفني فيقول لا إلا أن الله قد قبح صورتك وتنتن ربحك فيقول كذلك كنت في الدنيا أنا عملك السيء طال ماركتك في الدنيا وأنا اليوم أركبك وتلا (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم الأسماء مايزون) ولا يصح من قبل إسناده قاله القاضي أبو بكر بن العربي .

باب أين يكون الناس

(يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات)

مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت قائماً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء خبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد وذكر الحديث وفيه فقال اليهودي أين يكون الناس (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الظللة دون الجسر الحديث بطوله وسيأتي وخرج مسلم أيضاً وابن ماجه جميعاً قالاً حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن دارد ابن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قواء تعالي (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) فأين يكون الناس يومئذ قال على الصراط وأخرجه الترمذي قال حدثنا ابن أبي عمر قال حدثنا سفيان عن داود بن هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت يا رسول الله (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات يمينه) فأين يكون المؤمنون يومئذ قال على الصراط يا عائشة قال هذا حديث حسن صحيح وخرج عن مجاهد قال : قال ابن عباس أتدري ما سعة جهنم قلت لا قال أجل والله ما ندري حدثتني عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل (والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات يمينه) قال فقلت فأين الناس يا رسول الله قال على جسر جهنم قال حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

(فصل) هذه الأحاديث نص في أن الأرض والسموات تبدل وتزال ويخلق الله أرضاً أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط لا كما قال كثير من الناس أن تبدل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها وتسوية آكامها ونسف جبالها ومد أرضها ورواه بن مسعود رضي الله عنه خرجه ابن ماجه وسيأتي ذكره في الأشراف إن شاء الله . وذكر ابن المبارك من حديث شهر بن حوشب قال : حدثني ابن عباس قال إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وزيد في سمها كذا وكذا وذكر الحديث . وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تبدل الأرض غير الأرض فيبسطها ويمدها مد الأديم ذكره الثعلبي في تفسيره وروى علي بن الحسين رضي الله عنهما قال : إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لأحد من البشر إلا موضع قدميه ذكره الماوردي وما بدأنا بذكره أصح لأنه نص ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم . فإن قال قائل : إن بدل في كلام العرب معناه تغيير الشيء ومنه قوله تعالى (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها) وقال (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) ولا يقتضى هذا إزالة العين وإنما معناه تغيير الصفة ولو كان المعنى الإزالة لقال يوم تبدل الأرض مخففاً من أبدلت الشيء إذا أزلت عينه وشخصه قيل له ما ذكرته صحيح ولكن قد قرىء قوله عز وجل (عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها) مخففاً ومثقلاً بمعنى واحد . قال : (وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً) وقال (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) وكذا ذكر تاج اللغة أبو نصر الجوهري في الصحاح وأبدلت الشيء بغيره وبدله الله من الخوف أمناً وتبدل الشيء أيضاً تغييره فقد دل القرآن وكلام العرب على أن بدل وأبدل بمعنى واحد وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم أحد المعنيين فهو أعلى ولا كلام معه . قال ابن عباس بن مسعود تبدل الأرض أرضاً بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة قط . وقال ابن مسعود أيضاً تبدل الأرض ناراً واللجنة من ورائها يرى أكوابها وكواعبها . وقال أبو الجلدجيلان بن فروة أني لأجد فيما أقرأ من كتب الله أن الأرض تشعل ناراً يوم القيامة . وقال علي رضي الله عنه تبدل الأرض فضة والدماء ذهباً وقال جابر سألت أبا جعفر محمد بن علي عن قول

الله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قال تبدل خبزة يأكل منها الخلق يوم القيامة . ثم قرأ (وما جعلناهم جسدا لآبأ كلون الطعام) وقال سعيد بن جبیر ومحمد بن كعب تبدل الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا المعنى الذى قاله سعيد بن جبیر ومحمد بن كعب مروى فى الصحيح وسيأتى واليه ذهب ابن برجان فى كتاب الإرشاد له وأن المؤمن يطعم يومئذ من بين رجله ويشرب من الحوض فهذه أقوال الصحابة والتابعين دالة على ما ذكرنا وأما تبدل السماء فقيل تكوير شمسها وقرها وتناثر نجومها قاله ابن عباس وقيل لإختلاف أحوالها فتارة كالمهل وتارة كالدهان حكاه ابن الأنبارى وقال كعب تصير السماء دخانا وتصير البحار نيرانا وقيل تبدلها ان تطوى كطى السجل للكتاب وذكر أبو الحسن شبيب بن إبراهيم بن حيدرة فى كتاب الإفصاح أنه لا تعارض بين هذه الآثار وأن الأرض والسموات تبدل كرتين إحداهما هذه الأولى وأنه سبحانه يغير صفاتها قبل نفخة الصعق فتنتثر أو لا كواكبها وتكسف شمسها وقرها وتصير كالمهل ثم تكشط عن رهوسهم ثم تسير الجبال ثم تموج الأرض ثم تصير البحار نيرانا ثم تنشق الأرض من قطر إلى قطر فتصير الهيئة غير الهيئة والبنية غير البنية ثم إذا نفخ فى الصور نفخة الصعق طويت السماء ودحيت الأرض وبدلت السماء سماء أخرى وهو قوله تعالى وأشرققت الأرض بنور ربها وبدات الأرض تمدد الأديم العكاظى وأعيدت كما كانت فيها القبور والبشر على ظهرها وفى بطنها وتبدل أيضاً تبديلا ثانيا وذلك إذا وقفوا فى المحشر فتبدل لهم الأرض التى يقال لها الساهرة يحاسبون عايتها وهى أرض عفراء وهى البيضاء من فضة لم يسفك عليها دم حرام قط ولا جرى عليها ظلم قط وحينئذ يقوم الناس على الصراط وهو لا يسع جميع الخلائق وإن كان قد روى أن مسافته ألف سنة صعودا وألف سنة هبوطا وألف سنة استواء ولكن الخلق أكثر من ذلك فيقوم من فضل على الصراط على متن جهنم وهى كإمالة جامدة وهى الأرض التى قال عبده الله أنها أرض من نار يعرق فيها البشر فإذا حوسب الناس عليها أعنى الأرض المسماة بالساهرة وجاوزوا الصراط جعل أهل الجنان من وراء الصراط وأهل النيران فى النار وقام الناس على

حياض الانبياء يشربون بدلت الارض كفرصة النقي فأكوا من تحت أرجلهم وعند دخولهم الجنة كانت خبزة واحدة أى قرصا واحدا يأكل منه جميع الخلق من دخل الجنة وإدامهم زيادة كبد ثور فى الجنة وزيادة كبد الذون على ما يأتى :

باب منه أمور تكورة قبل الساعة

ذكر على بن معبد عن أبى هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى طائفة من أصحابه فقال إن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور وأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر فقال أبو هريرة قلت يا رسول الله وما الصور قال قرن فقلت وكيف هو قال هو عظيم والذى نفسى بيده إن عظم دائرة فيه لكعرض السماء والأرض فينفخ فيه ثلاث نفخات الأولى نفخة الفرع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة الفرع فيفرع أهل السماء والأرض إلا من شاء الله ويأمره فيمدها ويديمها ويطولها يقول الله عز وجل ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق مأخوذة من فواق الحالب وهى المهلة بين الحلبتين وذلك أن الحالب يحلب الناقة أو الشاة ثم يتركها سوية يرضعها الفصيل لتدر ثم يحلب ومنه سمى الفواق فواقاً لأنه ربح يتردد فى المعدة بين مهلتين أى أن هذه النفخة ممتدة لا تقطع فيها ويكون ذلك يوم الجمعة فى النصف من شهر رمضان فيسير الله الجبال فتدثر من السحاب ثم تكون سرايا ثم ترج الأرض بأهلها رجاً وهى التى يقول الله عز وجل يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفه فتكون الأرض كالسفينه فى البحر تضربها الأمواج فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل^(۱) وتشيب الولدان وتتطاير الشياطين هاربة حتى تاتى الأقطار فتلقاها الملائكة هاربة فتضرب بها وجوهها ويولى الناس مديرين ينادى بعضهم بعضاً وهى التى يقول الله عز وجل يوم التناد يوم تولون مديرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر ورأوا أمرا عظيما لم يروا

(۱۳ - تذكرة)

(۱) الحوامل ما فى بطونها وتشيب

مثله فيأخذهم من ذلك من الكرب ما الله به عليم ثم ينظرون إلى السماء فإذا هي كالمهل .
 ثم انشقت وانخسف شمسها وقرها وانتثرت نجومها ، ثم كسفت السماء عنهم ،
 ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والموتى لا يعلمون شيئاً من ذلك . قالت
 يا رسول الله فمن استثنى الله عز وجل ؟ حين يقول (ففرع من في السموات ومن
 في الأرض إلا من شاء الله) قال أولئك هم الشهداء عند ربهم يرزقون إنما يصل
 الفرع إلى الأحياء بقيهم الله شر ذلك اليوم ويؤمنهم منه وهو عذاب يلقيه الله
 شرار خلقه وهو الذي يقول الله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة
 شيء عظيم) أي شديد فتمكثون في ذلك ما شاء الله إلا أنه يطول عليهم كأطول
 يوم ، ثم يأمر الله اسرافيل فينفخ نفخة الصعق الحديث بطوله وقد تقدم وسطه
 وآخره .

(فصل) هذا الحديث ذكره الطبري والثعلبي وصححه ابن العربي في سراج المريدين
 وقال يوم الزلزلة وهو الاسم الثاني عشر يكون عن النفخة الأولى بهذا الحديث
 الصحيح الواحد المفرد . ولما نبأ النبي صلى الله عليه وسلم بذكر الزلزلة التي تكون عن
 النفخة الأولى ذكر ما يكون في ذلك اليوم من الأهوال العظام التي يعظماها قوله شيء عظيم
 ومن فزعها ما لا تطيق حمله النفوس وهو قوله لآدم ابعث بعث النار فيكون ذلك في أثناء
 ذلك اليوم ولا يقتضى أن يكون ذلك متصلاً بالنفخة الأولى التي يشيب فيها الوليد
 وتضع الحوامل وتذهل المراضع ولكن يحتمل أمرين أحدهما أن يكون آخر الكلام
 منوطاً بأوله تقديره يقال لآدم ابعث بعث النار أثناء يوم يشيب فيه الوليد وتضع الحوامل
 وتذهل المراضع من أوله (الثاني) أن يشيب الوليد ووضع الحوامل وذهول المراضع
 يكون في النفخة الأولى حقيقة وفي هذا القول الثاني تكون صفة بذلك إخباراً عن
 شدته وإن لم يوجد عن ذلك الشيء فيه وهذه طريقة العرب في فصاحتها . قال
 الشيخ المؤلف رحمه الله : ما ذكره ابن العربي من صحة الحديث وكلامه فيه ، فيه نظر لما
 بينته أنا وقد قال أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة له ورد في هذا الباب حديث
 منقطع لا يصح ذكره الطبري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال ينفخ في الصور ثلاث نفخات الأولى نفخة الفرع فذكره : قال وهو

عنده في سورة يس قال الشيخ المؤلف رحمه الله : قد تقدم أن الصحيح في النفخ إنما هو مرتان لا ثلاث ، وحديث مسلم في قول الله تعالى لآدم يا آدم ابعد النار إنما هو بعد البعث يوم القيامة ونفخة الفرع هي نفخة الصعق على ما تقدم أو نفخة البعث على ما قيل على ما يأتي ولأنه لو كانت نفخة الفرع غير نفخة الصعق لاقتضى ذلك أن يكون بقاء الناس بعدها أحياء ماشاء الله ويكون هناك ليل ونهار حتى تأتي نفخة الصعق التي يموت لسماعها جميع الخلق كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وعلى هذا لا يكون قوله ابعث في أثناء اليوم الذي يكون مبدؤه نفخة الفرع على ما ذكره ابن العربي والله أعلم ولا يلزم من زلزال الأرض أن تكون عن نفخة فإننا نشاهد تحرك الأرض وميدها بمن عليها وما عليها من جبال ومياه كالسفينة في البحر إذا تلاطمت أمواجه من غير نفخ وإنما تلك الزلزلة من أشراط الساعة ومقدماتها كسائر أشراطها وقد قال علقمة والشعبي الزلزلة من أشراط الساعة وهي في الدنيا وكذلك قال أنس ابن مالك والحسن البصرى وقد ذكر القشيري أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم في تفسيره أن المراد بنفخة الفرع : النفخة الثانية أي يحيون فزعين يقولون من بعثنا من مرقدنا ويعاينون من الأمر ما يهولهم ويفزعهم والله أعلم ونحو ذلك ذكره الماوردي واختاره وقد قيل إن هذه الزلزلة تكون قبل الساعة في النصف من شهر رمضان ومن بعدها طلوع الشمس من مغربها والله أعلم وقوله تعالى : ترونها الضمير المنصوب في ترونها للزلزلة أو القيامة قولان فعلى الأول أن ذلك في الدنيا قبل نفخة الصعق لعظم تلك الزلزلة وقوة حركتها بالأرض لأن القيامة لأرضاع فيها ولا حمل قترى الناس سكارى يعنى من الخوف وعلى القول الثاني يكون فيه وجهان أحدهما أن يكون ذلك مثلاً والمعنى أنه يكون يوماً لا يهمل أحداً فيه إلا نفسه والحامل تسقط من مثله كما تسقط الحوامل من الصيحة الشديدة ويكون الهول عظيماً والوجه الآخر أن يكون ذلك حقيقة لأمثلاً ويكون المعنى أن من كانت محشورة مع ولد رضيع فإنها إذا رأت هول ذلك اليوم ذهات عن من ولدت وأن الحوامل إذا بذثن أسقطن من فزع يوم القيامة الاحمال التي كانت أحياء فماتت يموت أمهاتها أحياء ثم لا يمتن بالإسقاط لأن الموت لا يتكرر عليهن مرتين لأنه لا موت

في القيامة وإنما هو يوم الحياة وتضع الحوامل حملها ثم يحتمل أن يحيي الله كل حمل كان قد أتم خلقه ونفخ فيه الروح ويسويه ويعدله فإن الأم تذهل عنه ولو لم تذهل ما قدرت على إرضائه لأنه لاغذاء يومئذ لها ولا لبن واليوم يوم الحساب لا يقبل فيه من عذر ولا علة فكيف تخلوا والإشتغال بالولد مع ما عليها من الحساب وهي بصدده من الجزاء والحمل الذي لم ينفخ فيه قط إذا سقط يكون مع الوحوش تراباً ولم يبدأ إحياءه لأن اليوم يوم الإعادة فمن لم يموت في الدنيا لم يحيى في الآخرة قاله الحلبي في منهاج الدين ، وقال الحسن في قوله تعالى وترى الناس سكارى أي من العذاب والخوف وما هم بسكارى من الشراب وما بين ما قلناه أن إبليس قال : انظروني إلى يوم يبعثون سأل النظره والإمهال إلى يوم البعث والحساب طلب أن لا يموت لأن يوم البعث لا يموت بعده فقد قال تعالى إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال ابن عباس والسدى وغيرهما انظروا إلى النفخة الأولى حيث يموت الخلق كلهم وكان طلب الانظار إلى النفخة الثانية حيث يقوم الناس لرب العالمين فأبى الله ذلك عليه قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وما وقع في هذا الحديث من انشقاق السماء وتناثر نجومها وطمس شمسها وقرها فقد ذكر المحاسبي وغيره أن ذلك يكون بعد جمع الناس في الموقف وروى عن ابن عباس وسيأتي وقاله الحلبي في كتاب منهاج الدين فصل : فأما التكوين يوم القيامة قبل الحساب فقد قال الله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم إلى قوله عذاب الله شديد وقال إذا زلزلت الأرض زلزالها إلى آخرها والذي ثبت بسياق الآيات أن هذه الزلزلة إنما تكون بعد إحياء الناس وبعثهم من قبورهم لأنه لا يراد بها إلا أذعار الناس والتهويل عليهم فينبغي أن يشاهدوها ليفزعوا منها ويهولهم أمرها ولا تمكن المشاهدة منهم وهم أموات ولأنه تعالى قال يومئذ تحدث أخبارها أي تخبر عما عمل عليها من خير وشر يومئذ يصدر الناس أشتاتا فدل ذلك على أن هذه الزلزلة إنما تكون والناس أحياء واليوم يوم الجزاء وقال تعالى : فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة يعني الآخرة وحملت الأرض والجبال إلى قوله لا تخفى منكم غاية فدل ذلك هذه السورة على أن اصطدام الأرض والجبال لا يكون إلا بعد الإحياء فدل ذلك هذه الآية على أن الكوائن إنما تكون

بعد النشأة الثانية . والله أعلم ، وأما قوله فيه يوم التناد فقال الحسن وقتادة ذلك يوم ينادى أهل الجنة أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وينادى أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء يوم تولون مدبرين يعنى عن النار أى غير قادرين وغير معجزين فى تفسير مجاهد وقيل معناه يوم ينادى أهل النار بالويل والثبور ويولون مدبرين من شدة العذاب وقيل إن ذلك نداء بعض الناس لبعضهم فى المحشر وتوليتهم مدبرين إذا رأوا عنقا من النار ، وقال قتادة معنى تولون مدبرين منطلقا بكم إلى النار ما لكم من الله من عاصم أى مانع يمنعكم فإن قيل فقد قال الله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة إلى أن قال فإنما هى زجرة واحدة وهذا يقتضى بظاهره أنها ثلاث قيل له ليس كذلك ، وإنما المراد بالزجرة النفخة الثانية التى يكون عنها خروج الخلق من قبورهم كذلك قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وابن زيد وغيرهم ، قال مجاهد هما صيحتان ، أما الأولى فتميت كل شئ بإذن الله ، وأما الأخرى فيحيى كل شئ بإذن الله . وقال مجاهد أيضا الرادفة حين تنشق السماء وتحمل الأرض والجبال فتدك دكة واحدة . وقال عطاء الراجفة القيامة والرادفة البعث ، وقال ابن زيد الراجفة الموت والرادفة الساعة فهذا يبين لك ما قلناه من أن المراد بالزجرة النفخة الثانية ، والله أعلم ، واختلفوا فى الساهرة اختلافا كثيرا ، فقال ابن عباس ، وأما الساهرة فأرض من فضة بيضاء لم يعص الله عليها طرفة عين خلقها الله يومئذ وهو قوله تعالى : يوم تبدل الأرض غير الأرض ، وقال بعضهم الساهرة اسم الأرض السابعة يأتى بها فيحاسب عليها الخلائق وذلك حين تبدل الأرض غير الأرض . وقال قتادة هى جهنم أى فإذا هؤلاء الكفار فى جهنم وقيل صحراء قريب من شفير جهنم . وقال الثورى الساهرة أرض الشام وقيل غير هذا ، وإنما قيل لها ساهرة لأنهم لا ينامون عليها حينئذ ومعنى فإذا هم بالساهرة أى على وجه الأرض بعد ما كانوا فى بطنها والعرب تسمى الفلاة ووجه الأرض ساهرة ، قال أمية بن أبى الصلت وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به لهم مقيم .

باب الحشر ومعناه الجمع

وهو على أربعة أوجه حشران في الدنيا وحشران في الآخرة أما الذي في الدنيا فقوله تعالى هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر قال الزهري: كانوا من سبط لم يصيبهم جلاء وكان الله عز وجل قد كتب عليهم الجلاء فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا وكان أول حشر حشروا في الدنيا إلى الشام قال ابن عباس من شك أن الحشر في الشام فليقرأ هذه الآية وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم: اخرجوا قالوا إلى أين قال إلى أرض المحشر قال قتادة: هذا أول الحشر (الثاني) مرواه مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثان على بعير وثلاثة على بعير وتحشر بقيتهم النار تبیت معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا أخرجه البخاري أيضا وقال قتادة الحشر الثاني نار تحشرهم من المشرق إلى المغرب تبیت معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا وتأكل منهم من تخلف قال العاصي عياض هذا الحشر في الدنيا قبل قيام الساعة وهو آخر أشراطهما كما ذكره مسلم بعد هذا في آيات الساعة قال فيه وآخر ذلك نار تخرج من قعر عدن تزرع الناس وفي رواية تطرد الناس إلى محشرهم، وفي حديث آخر لا تقوم الساعة حتى تخرج النار من أرض الحجاز ويدل على أنها قبل يوم القيامة قوله فتقبل معهم حيث قالوا وتمسى معهم حيث أمسوا وتصبح معهم حيث أصبحوا. قال وفي بعض الروايات في غير مسلم فإذا سمعتم بها فخرجوا إلى الشام كأنه أمر بسبقها إليه قبل إزعاجها لهم.

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وذكره الحلیمی في منهاج الدين له من حديث ابن عباس وذكر أن ذلك في الآخرة فقال يحتمل قوله عليه السلام تحشر الناس على ثلاث طرائق إشارة إلى الأبرار والمخطئين والكفار فالأبرار هم الراضون إلى الله تعالى فيما أعد لهم من ثوابه والراهبون هم الذين بين الخوف والرجاء فأما الأبرار فإنهم يؤتون بالنجائب كما في الحديث على ما يأتي في هذا الباب وأما المخطئون فهم الذين أريدوا في هذا الحديث وقيل أنهم يحملون على الأبرار وأما الفجار

الذين تحشرهم النار فإن الله تعالى يبعث إليهم ملائكة فتقيض لهم نارا تسوقهم ولم يرد في هذا الحديث إلا ذكر البعير فأما أن ذلك من أبل الجنة أو من الإبل التي تحيا وتحشر يوم القيامة فهذا لم يأت ببيانه والأشبه ألا يكون من نجائب الجنة لأن من خرج من جملة الأبرار فكان مع ذلك من جملة المؤمنين فإنهم بين الخوف والرجاء لأن من هؤلاء من يغفر الله تعالى ذنوبه فيدخل الجنة ومنهم من يعاقبه بالنار ثم يخرجها منها ويدخله الجنة . وإذا كانوا كذلك لم يبق أن يردوا موقف الحساب على نجائب الجنة ثم ينزل الله بعضهم إلى النار لأن من أكرمه الله بالجنة ^{هرة} لم يهنه بعد ذلك بالنار قال وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: يحشر الناس الحديث وفي آخره أما أنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك فهذا إن ثبت مرفوعا فالركبان هم المتقون السابقون الذين يغفر الله ذنوبهم عند الحساب ولا يعذبهم إلا أن المتقين يكونون على نجائب الجنة والآخرون على دواب سوى دواب الجنة والصنف الثاني الذين يعذبهم الله بذنوبهم ثم يخرجهم من النار إلى الجنة وهؤلاء يكونون مشاة على أقدامهم وقد يحتمل على هذا أن يمشوا وقتا ثم يركبوا أو يكونوا ركباناً فإذا قاربوا المحشر نزلوا فمشوا ليتفق الحديدان والصنف الثالث المشاة على وجوههم هم الكفار وقد يحتمل أن يكونوا ثلاثة أصناف: صنف مسدون وهم ركبان وصنفان من الكفار أحدهما العتاة وأعلام الكفر فهؤلاء يحشرون على وجوههم والآخرون الاتباع فهم يمشون على أقدامهم .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وإلى هذا القول ذهب أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة في قوله عليه السلام كيف تحشر الناس يا رسول الله قال اثنان على بعير وخمسة على بعير وعشرة على بعير ومعنى هذا الحديث والله أعلم أن قوماً يأنفون في الاسلام برحمة الله يخلق الله لهم من أعمالهم بعيراً يركبون عليه وهذا من ضعف العمل لكونهم يشتركون فيه كقوم خرجوا في سفر بعيد وليس مع واحد منهم ما يشتري به مطية توصله فاشترك في ثمنها رجلان أو ثلاثة فابتاعوا مطية يتعقبون عليها في الطريق ويبلغ بعير مع عشرة فاعمل هداك الله عملاً يكون لك به بعير خالص

من الشركة واعلم أن ذلك هو المنجر الرابع فالمتقون وافدون كما قال الجليل عز وجل المنحصر المتقين إلى الرحمن وفدا وفي غريب الراوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لأصحابه كان رجل من بني إسرائيل كثيرا ما يفعل الخير حتى أنه ليحشر فيكم قالوا له وما كان يصنع قال وورث من أبيه مالا كثيرا فاشترى بستانا فخبسه للساكنين وقال هذا بستاني عند الله تعالى وفرق دنائير عديدة في الضعفاء وقال بهذا أشتري جارية من الله تعالى وعبيدا واعتق رقابا كثيرة وقال هؤلاء خدمني عند الله تعالى والتفت ذات يوم إلى رجل ضرير البصر فرآه تارة يمشي وتارة يكبو فابتاع له مطية يسير عليها وقال هذه مطيقي عند الله تعالى أركبها والذي نفسي محمد بيده لكان أنظر إليها وقد جئ بها إليه مسرجة ملجمة يركبها تسير به إلى الموقف .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ما ذكره القاضي عياض من أن ذلك في الدنيا أظهر والله أعلم لما في الحديث نفسه من ذكر المساء والمبيت والصبح والقائلة وذلك ليس في الآخرة وقد خرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركباناً وصنفا عر وجوههم قيل يا رسول كيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك قال هذا حديث حسن فقوله يتقون بوجوههم كل حدب وشوك يدل على أنه في الدنيا إذ ليس في الآخرة ذلك على ما يأتي من صفة أرض المحشر والله أعلم وخرج النسائي عن أبي ذر قال إن الصادق المصدوق حدثني أن الناس يحشرون ثلاثة أفواج فوجا راكبين طاعمين كاسين وفوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم ويحشر الناس فوجا يمشون ويسعون يلقى الله إلقاء على الظهر فلا تبقى حتى أن الرجل لتكون له الحديقة يعطيها بذات القتب لا يقدر عليها . وذكر عمر بن شيبة في كتاب المدينة على ساكنها السلام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : آخر من يحشر رجلان رجل من جهينة وآخر من مزينة فيقولان ابن الناس فيأتيان المدينة فلا يريان إلا الثعلب فينزل إليهما ملكان فيسحبانهما على وجوههما حتى يلحقا بهما بالناس . وهذا كله مما يدل على أن ذلك في الدنيا كما قال القاضي عياض ، وأما الآخرة

فالناس أيضا مختلفو الحال على ما ذكره ، وسنذكر من ذلك ما فيه كفاية في الباب بعد هذا إن شاء الله . والحشر الثالث حشرهم إلى الموقف على ما يأتي بيانه في الباب بعد هذا قال الله تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) والرابع حشرهم إلى الجنة والنار قال الله تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) أي ركبانا على النجب وقيل على الأعمال كما تقدم . وقد وردت أخبار منها مرواه النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قال أما إنهم ما يحشرون على أقدامهم ولا يساقون سوقا ولكنهم يؤتون بنوق من نوق الجنة لم تنظر الخلائق إلى مثاها رحاها الذهب وأزمها الزبرجد فيقعدون عليها حتى يقرعوا باب الجنة وسمى المتقون وفدا لأنهم يسبقون الناس إلى حيث يدعون إليه فهم لا يتباطئون لكنهم يجدون ويسرعون والملائكة تتلقاهم بالبشارات قال الله تعالى (وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) فيزيدهم ذلك إسراعا وحق للمتقين أن يسبقوا لسبقهم في الدنيا بالطاعات (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) أي عطاشا وقال (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) وقال (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكا وصما) وقال (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضل سبيلا) . مسلم عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله الذين يحشرون على وجوههم أيحشر الكافر على وجهه ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الذي أمشاه على الرجلين قادراً أن يمشيه على وجهه يوم القيامة قال فتادة حين بلغه بلى وعزة ربنا أخرجه البخاري أيضا .

(فصل) قال أبو حامد وذكر هذا الفصل وفي طبع الآدمي إنكاره الم يأنس به ولم يشاهده ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهي تمشي على بطنها لأنكر المشي من غير رجل والمشى بالرجل أيضا مستبعد عند من لم يشاهد ذلك ، فإياك أن تنكر شيئا من عجائب يوم القيامة لمخالفتها قياس الدنيا فإنك لو لم تشاهد عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها فأحضر رحمك الله في قلبك صورتك وأنت قد وقفت عارياً ذليلاً مدحوراً متحيراً مهوياً منتظراً لما يجرى عليك من القضاء بالعبادة أو بالشقاء .

باب بيان الحشر الى الموقف كيف هو وفي أرض المحشر

وذكر الصخرة وقوله تعالى واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب، الآية.
أبو نعيم قال حدثنا أبي قال حدثنا إسحاق قال حدثنا محمد قال حدثنا عبد الرزاق
قال أخبرنا المنذر بن النعمان أنه سمع وهب بن منبه يقول: قال الله تعالى لصخرة
بيت المقدس لأضعن عليك عرشي ولاحشرن عليك خاقي وليأتينك يومئذ داود
راكبا. وقال بعض العلماء في قوله تعالى (واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب
قال إنه ملك قائم على صخرة بيت المقدس فينادى أيها العظام البالية والأوصال
المتقطعة ويا عظاما نخرة ويا أكفانا فانية ويا قلوبا خاوية ويا أبدانا فاسدة ويا عيوننا
سائلة قوموا لعرض رب العالمين. قال قتادة المنادى هو صاحب الصور ينادى من
الصخرة من بيت المقدس. قال كعب وهى أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر
ميلا وقيل باثنى عشر ميلا ذكره القشيري والأول ذكره الماوردي وقيل إن المنادى
جبريل والله أعلم قال عكرمة ينادى منادى الرحمن فكأنما ينادى في آذانهم يوم يسمعون
الصيحة بالحق يريد النفخ في الصور (ذلك يوم الخروج يوم تشقق الأرض عنهم
سراعا إلى المنادى صاحب الصور إلى بيت المقدس أرض المحشر ذلك حشر علينا سير
أى هين سهل (فإن قيل) فإذا كانت الصيحة للخروج فكيف يسمعونها وهم أموات
(قيل له) إن نفخة الإحياء تمتد وتطول فتكون أوائلها للإحياء وما بعدها للإزعاج من
القبور فلا يسمعون ما يكون للإحياء ويسمعون ما يكون للإزعاج ويحتمل أن تطاول
تلك النفخة والناس يحيون منها أولا فأولا وكلما حي واحد سمع ما يحيى به من بعده
إلى أن يتكامل الجميع للخروج وقد تقدم أن الأرواح في الصور فإذا نفخ فيه النفخة
الثانية ذهب كل روح إلى جسده فإذا هم من الأجداث أى القبور إلى ربهم ينسلون
وهذا يبين لك ما ذكرنا وبالله توفيقنا، وقال محمد بن كعب القرظي يحشر الناس
يوم القيامة في ظلمة وتطوى السماء وتتناثر النجوم وتذهب الشمس والقمر وينادى مناد
فيتبع الناس الصوت يومئذ فذلك قول الله عز وجل يومئذ يتبعون الداعي لا عوج
له الآية وقال الله عز وجل إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب انثرت وإذا

البحار فخرت فجر عذبها في ملحها وملحها في عذبها في تفسير قتادة وإذا القبور بعثت أي أخرج ما فيها من الأموات ، وقال تعالى إذا السماء انشقت وأذنت لربها أي سمعت وأطاعت وحققت أي وحق لها أن تفعل وإذا الأرض مدت تمد مد الأديم وهذا إذا بدلت بأرض بيضاء كأنها فضة لم تعمل عليها خطيئة قط ، وألقت ما فيها من الأموات فصاروا على ظهرها (مسلم) عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفرا كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد ، وخرج أبو بكر أحمد بن علي الخطيب عن عبد الله بن مسعود يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأظما ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط وأنصب ما كانوا فمن أطعمه الله أطعمه ومن سقاه الله سقاه ومن كساه الله كساه ومن عمل لله كفاه ومن نصر الله أراحه الله في ذلك اليوم وروى من حديث معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله أرأيت قول الله يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ بن جبل لقد سألت عن أمر عظيم ثم أرسل عينيه بالبكاء والدموع ثم قال تحشر عشرة أصناف من أمتي أشتانا قد ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم فمنهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسين أرجلهم أعلام ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمى يتردون وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون ألسنتهم مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم لعابا تقدروهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع النار وبعضهم أشد نتنا من الجيف ، وبعضهم يلبسون جلابيب سابعة من القطران ، فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس يعني النمام ، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت والحرام والمكس ، وأما المنكسون رؤوسهم ووجوههم فأكلة الربا والعمى من يجور في الحكم ، والصم البكم الذين يعجبون بأعمالهم ، والذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين يخالف قولهم فعلهم والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران والمصلبون على جذوع النار السعاة بالناس إلى السلطان والذين هم أشد نتنا من الجيف الذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق

تالله تعالى من أموالهم والذين يلبسون الجلابيب فأهل الكبر والفخر والخيلاء ،
 وقال أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة ومن الناس من يحشر بفتنته الدنيوية
 فقوم مفتونون بالعود معتكفون عليه دهرهم فعند قيام أحدهم من قبره يأخذه
 يمينه فيطرحه من يده ويقول سحفا لك شغلتنى عن ذكر الله فيعود إليه ويقول
 أنا صاحبك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين وكذلك يبعث السكران سكران
 والزامر زامراً وكل واحد على الحال الذي صده عن سبيل الله قال ومثله الحديث
 الذي روى في الصحيح أن شارب الخمر يحشر والكوز معلق في عنقه والقدح بيده وهو أنتن
 من كل جيفة على الأرض يلغنه كل من يمر به من الخلق وقال أيضاً في هذا الكتاب فإذا استوى
 كل أحد قاعداً على قبره فمنهم العريان ومنهم المكسور والأسود والأبيض ومنهم من يكون
 له نور كالمصباح الضعيف ومنهم من يكون كالشمس لا يزال كل واحد منهم مطرقاً
 برأسه ألف عام حتى تقوم من الغرب نار لها دوى تساق فيدهش لها رهوس
 الخليقة إنساً وجرناً وطيراً ووحشاً فيأتى كل واحد من الخاطئين عمله ويقول له قم
 فانفض إلى المحشر فمن كان له حينئذ عمل جيد شخص له عمله بغلا ومنهم من يشخص
 عمله حماراً ومنهم من يشخص له كبشاً تارة يحمله وتارة ياتيه ويجعل لسكل واحد
 منهم نور شعاعى بين يديه وعن يمينه ومثله يسرى بين يديه في الظلمات وهو قوله
 تعالى (يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمنهم وليس عن شمائلهم نور بل ظلمة حالكة
 لا يستطيع البصر نفاذها يحرقها الكفار ويتردد المرتابون والمؤمن ينظر إلى قوة
 حلكتها وشدة حنوسها ويحمد الله تعالى على ما أعطاه من النور المهتدى به في تلك الشدة
 يسعى بين أيديهم وبأيمنهم لأن الله تعالى يكشف للعبد المؤمن المنعم عن أحوال
 المهذب الشقى ليستبين له سبيل الفائدة كما فعل بأهل الجنة وأهل النار حيث يقول فاطلع
 فرآه في سواء الجحيم وكما قال سبحانه وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار
 قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين لأن أربعا لا يعرف قدرها إلا أربع لا يعرف
 قدر الحياة إلا الموتى ولا يعرف قدر الأغنياء إلا الفقراء ولا الصحة^(١) إلا أهل البلاء
 ولا يعرف قدر الشباب إلا الشيوخ^(٢) ومن الناس من يبقى على قدميه وعلى طرف
 بنازه ونوره يطفأ تارة ويشعل أخرى وإنما هم عند البعث على قدر إيمانهم
 وأعمالهم وقد مضى في باب يبعث كل عبد على مامات عليه ما فيه كفاية والحمد لله .
 (١) ولا يعرف قدر الصحة^(٢) وفي نسخة (ولا يعرف قدر النعم إلا أهل الجحيم

باب الجمع بين آيات وردت في الكتاب

في الحشر ظاهرها التعارض

منها قوله تعالى ويوم نحشهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من نهار يتعارفون بينهم
وقال تعالى ونحشهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكيا وصما وفي آية ثالثة أنهم
يقولون يا ويلنا من بعثنا من مردنا وهذا كلام وهو مضاد للبكم والتعارف تخاطب
وهو مضاد للصمم والبكم معا ، وقال تعالى فلنسلن الذين أرسل اليهم ولنسلن
المرسلين والسؤال لا يكون إلا بالإسماع وإلا لناطق يتسع للجواب وقال ونحش
النجريم يومئذ زرقا ، وقال فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون وقال يوم
يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون والانسلاخ والإسراع
مخالفان للحشر على الوجوه (والجواب) لمن سأل عن هذا الباب أن يقال له إن الناس
إذا أحيوا وبعثوا من قبورهم فليست حالهم حالة واحدة ولا موقفهم ولا مقامهم واحداً
ولكن لهم مواقف وأحوال واختلاف الأخبار عنهم لاختلاف مواقفهم وأحوالهم
وجملة ذلك أنها خمسة أحوال ، أولها : حال البعث^(۱) ، والثانية حال السوق إلى موضع
الحساب ، والثالثة حال المحاسبة ، والرابعة حال السوق إلى دار الجزاء والخامسة
حال مقامهم في الدار التي يستقرون فيها فأما حال البعث من القبور فإن الكفار
يكونون كامل الحواس والجوارح لقول الله تعالى يتعارفون بينهم وقوله يتخافتون
بينهم إن لبثتم إلا عشرا وقوله فإذا هم قيام ينظرون وقوله: قال كم لبثتم في الأرض
عدد سنين إلى قوله يرجعون ، والحالة الثانية حال السوق إلى موضع الحساب وهم
أيضا في هذه الحال بحواس تامة لقوله عز وجل احشروا الذين ظلموا وأزواجهم
وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقوههم إنهم مسئولون
ومعنى فاهدوهم أي دلوهم ولا دلالة لأعمى أصم ولا سؤال لأبكم فثبت بهذا أنهم
يكونون بأبصار وأسماع وألسنة ناطقة ، والحالة الثالثة وهي حال المحاسبة وهم
يكونون فيها أيضا كامل الحواس ليسمعوا ما يقال لهم ويقرءوا كتبهم. الناطقة بأعمالهم
وتشهد عليهم جوارحهم بسيئاتهم فيسمعونها وقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم يقولون
(ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) وأنهم يقولون

(۱) البعث من القبور

لجلودهم لم شهدتم علينا ولشاهدوا أحوال القيامة وما كانوا مكذبين في الدنيا به من شدتها وتصرف الأحوال بالناس فيها وأعمالهم الأربعة وهي السوق إلى جهنم فإنهم يسلبون فيها أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم لقوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكيا وصما ما أوام جهنم ويحتمل أن يكون قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام إشارة إلى ما يشعرون به من سلب الأبصار والاسماع والمنطق والحالة الخامسة حال الإقامة في النار وهذه الحال تنقسم إلى بدء ومآل فبدءها أنهم إذا قطعوا المسافة التي بين موقف الحساب وشفير جهنم عميا وبكيا وصما إذلالا لهم وتمييزا عن غيرهم ثم ردت الحواس اليهم ليشاهدوا النار ، وما أعد الله لهم فيها من العذاب ويعاينوا ملائكة العذاب وكل ما كانوا به مكذبين فيستقرون في النار ناطقين سامعين مبصرين ولهذا قال الله تعالى وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) وقال (كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادركوا فيها جميعاً قالت أوراهاهم لا ولاهم وقالت أوراهاهم لا أوراهاهم وقال (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء وأخبر تعالى أنهم ينادون أهل الجنة فيقولون أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله وأن أهل الجنة ينادونهم أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم وأنهم يقولون يا ملك ليقض علينا ربك فيقول لهم إنكم ما كوثون ، وأنهم يقولون لحزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوم من العذاب فيقولون لهم أو لم تأتكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ، وأما العقبي والمآل فإنهم إذا قالوا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فقال الله تعالى اخسروا فيها ولا تكلمون وكتب عليهم الخلود بالمثل الذي يضرب لهم وهو أن يوثى بكبش أملح ويسمى الموت ثم يذبح على الصراط بين الجنة والنار وينادوا يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت سلبوا في ذلك الوقت أسماعهم ؛ وقد يجوز أن يسلبوا الأبصار والكلام لكن سلب السمع يقين لأن الله تعالى يقول لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ، فإذا سلبوا الأسماع صاروا إلى الزفير والشهيق ويحتمل أن تكون الحكمة في سلب

الاجماع من قبل أنهم سمعوا نداء الرب سبحانه على السنة رسله فلم يجيبوه بل جحدوه وكذبوا به ^{بوجه} قيام الحجّة عليهم بصحته فلما كانت حجة الله عليهم في الدنيا الاستماع عاقبهم على كفرهم في الاخرى بسلب الاسماع بين ذلك أنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقالوا لا تستمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وإن قوم نوح عليه السلام كانوا يستغشون ثيابهم تسترا منه لئلا يروه ولا يسمعوا كلامه وقد أخبر الله تعالى عن الكفار في وقت نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثله فقال : إلا أنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه إلا حين يستغشون ثيابهم وإن سلبت أبصارهم فلأنهم أبصروا العبر فلم يعتبروا والنطق فلأنهم أوتوه فكفروا فهذا وجه الجمع بين الآيات على ما قاله علماؤنا والله أعلم .

باب ما جاء في حشر الناس الى الله عز وجل

حفاة عراة غرلا وفي أول من يكسى منهم وفي أول ما يتكلم من الإنسان

مسلم عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين الأول إن أول الناس يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام إلا وإنه يؤتى برجال من أمي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم إلى قوله العزيز الحكيم قال فيقال إنهم لم يزالوا مدبرين مرتدين على أعقابهم مذ فارقتهم . أخرجه البخارى أيضا والترمذى عن معاوية بن حيدة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال وأشار بيده إلى الشام فقال ههنا إلى ههنا تحشرون ركبانا ومشاة وتجرون على وجوهكم يوم القيامة على أفواهكم الفدام توفون سبعين أمة أنتم خيرهم على الله وأكرمهم على الله وإن أول ما يعرب عن أحدكم نخذه وفي رواية أخرى ذكرها ابن أبي شيبة وإن أول ما يتكلم من الإنسان نخذه وكفه .

(فصل) قوله غر لا أى غير محتونين النقى الحواری وهو الدرک من الدقیق
والعفر بیاض لیس بخالص یضرب إلى الحرمة قليلا والقدم مصفاة الكوزو والإبریق
قاله اللیث قال أبو عبیدة یعنی أنهم منعوا الكلام حتى تتكلم أخذهم فشبه ذلك
بالقدم الذى یجعل على الإبریق وقوله أول من یكسى إبراهيم فضیلة عظیمة لإبراهیم
وخصوص له كما خص موسى علیه السلام بأن النبى صلى الله علیه وسلم یجده معلقا
بساط العرش مع أن النبى صلى الله علیه وسلم أول من تنشق عنه الأرض ولا یلزم
من هذا أن یكون أفضل منه ^{ملائكة} أفضل من رافى القيمة على ما یأتى بیانه
فی أحادیث الشفاعة والمقام المحمود إن شاء الله تعالى .

قال شیخنا أبو العباس أحمد بن عمر فی کتاب المفهم له ویجوز أن یراد بالناس من
عداه من الناس فلم یدخل تحت خطاب نفسه والله أعلم . قلت هذا حسن لولا ما جاء
منصوصا خلافة فقد روى ابن المبارک فی رفاقته أخبرنا سفیان عن عمر بن قیس
عن المنهال بن عمرو عن عبد الله بن الحارث عن علی رضی الله عنه قال أول من
یکسى خلیل الله لإبراهیم قبطیتین ثم یکسى محمد صلى الله علیه وسلم حلة حبرة عن
یمین العرش ذكره البیهقی أيضا وروی عباد بن کثیر عن أبی الزبیر عن جابر
رضی الله عنه قال إن المؤذنین والملبین یخرجون یوم القيامة من قبورهم یؤذن
المؤذن ویلبی الملبی وأول من یکسى من حلال الجنة ابراهیم خلیل الله ثم محمد صلى الله
علیه وسلم ثم النبیون والرسل علیهم السلام ثم یکسى المؤذنون وتلقاهم الملائكة
على نجائب من نور أحمر أزمتهما من ذب ووجد أخضر رحالها من الذهب ویشیعهم من
قبورهم سبعةون ألف ملك إلى المحشر ذكره الحلیمی فی کتاب منهاج الدین له ،
وذكر أبو نعیم الحافظ من حدیث الأسود وعلقمة وأبى وائل عن عبد الله بن
مسعود رضی الله عنه قال جاء ابنا ملیكة إلى النبى صلى الله علیه وسلم الحدیث وفیه
فیكون أول من یکسى ابراهیم علیه السلام یقول اكسوا خلیل فیوتی بریطتین
بیضاوین فیلبسهما ثم یقعد مستقبل العرش ثم أوتی بكسوتی فألبسها فأقوم عن
یمینه مقاما لا یقومه أحد غیری یغبطنى قیه الأولون والآخرون وذكر الحدیث
وخرج البیهقی بإسناده فی کتاب الاسماء والصفات عن ابن عباس رضی الله عنه



قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكم محشورون حفاة عراة وأول من يكسى من الجنة إبراهيم عليه السلام يكسى حلة من الجنة ويؤتى بكرسى فيطرح عن يمين العرش ويؤتى بي فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر ثم أوتى بكرسى فيطرح لى على ساق العرش وهذا نص بأن إبراهيم أول من يكسى ثم نبينا بإخباره صلى الله عليه وسلم فطوبى ثم طوبى لمن كسى فى ذلك الوقت من ثياب الجنة فإنه من لبيس فقد لبس جنة تقيه مكاره الحشر وعرقه وحر الشمس وغير ذلك من أهواله

فصل وتكلم العلماء فى حكمة تقديم إبراهيم عليه السلام بالكسوة فروى أنه لم يكن فى الأولين والآخرين لله عز وجل عبد أخوف من إبراهيم عليه السلام فتعجل له كسوته أمانا له ليطمئن فإبه ويحتمل أن يكون ذلك لما جاء به الحديث من أنه أول من أمر بلبس السراويل إذا صلى مبالغة فى التستر وحفظا لفرجه من أن يماس مصلاه ففعل ما أمر به فيجزي بذلك أن يكون أول من يستر يوم القيامة ويحتمل أن يكون الذين ألقوه فى النار جردوه ونزعوا عنه ثيابه على أعين الناس كما يفعل بمن يراد قتله وكان ما أصابه من ذلك فى ذات الله عز وجل فلما صبر واحتسب وتوكل على الله تعالى دفع الله عنه شر النار فى الدنيا والآخرة وجزاه بذلك العرى أول من يدفع عنه العرى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد وهذا أحسنها والله أعلم وإذا بدىء فى الكسوة بإبراهيم وثى بمحمد صلى الله عليه وسلم أوتى محمد بحلة لا يقوم لها البشر لينجبر التأخير بنفاة الكسوة فيكون كأنه كسى مع إبراهيم عليهما السلام قاله الحلیمی وقوله تجدون على أفواهكم القدم ، القدم مصفاة الكوز والإبريق قاله الليث قال أبو عبيد يعنى أنهم منعوا الكلام حتى تكلم أفخاذهم فشبّه ذلك بالقدم الذى يجعل على الإبريق قال سفيان وقد امهم أن يؤخذ على ألسنتهم وهذا مثل .

باب منه

وبيان قوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه

مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال والنساء جميعا

(١٤ - تذكرة)

(١) العرى ان جعله أول

ينظر بعضهم إلى بعض قال يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض
الترمذی عن ابن عباس رضی الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة
عراة غرلا فقالت امرأة أبصر بعضنا أو يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل
أمری منهم يومئذ شأن يغنيه قال حديث حسن صحيح .

فصل هذا الباب والذي قبله يدل على أن الناس يحشرون حفاة عراة غرلا أي
غير محتونين كما بدأنا أول خلق نعيده قال العلماء يحشر العبد غدا وله من الأعضاء
ما كان له يوم ولد فمن قطع منه عضو يرد في القيامة عليه حتى الختان وقد عارض
هذا الباب ماروي أبو داود في سننه عن أبي سعيد الخدري رضی الله عنه لما حضرته
الوفاة دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول إن
الميت يبعث في ثيابه التي دفن فيها قال أبو عمر بن عبد البر وقد احتج بهذا الحديث
من قال إن الموتي يبعثون جملة على هيئاتهم وحمله الأكثر من العلماء على
الشهيد الذي أمر أن يزعل في ثيابه ويدفن فيها ولا يغسل عنه دمه ولا يغير عليه
شيء من حاله بدليل حديث ابن عباس وعائشة^(۱) قالوا ويحتمل أن يكون
أبو سعيد سمع الحديث في الشهيد فتأوله على العموم والله أعلم قلت وما يدل
على قول الجماعة مما يوافق حديث عائشة وابن عباس قوله الحق ولقد جثتمونا فرادى
كما خلقناكم أول مرة وقوله كما بدأكم تعودون ولأن الملابس في الدنيا أموال ولا مال
في الآخرة زالت الأملاك بالموت وبقيت الأموال في الدنيا وكل نفس يومئذ فإنما يقبها
المكاره ما وجب لها بحسن عملها أو رحمة مبتدأة من الله عليها فأما الملابس فلا غنى
فيها يومئذ إلا ما كان من لباس الجنة على ما تقدم في الباب قبل وذهب أبو حامد
في كتاب كشف علوم الآخرة إلى حديث أبي سعيد الخدري رضی الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال بالغوا في أكفان موتاكم فإن أمتي تحشر بأكفانها
وسائر الأمم عراة ورواه أبو سفيان مسندا .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا الحديث لم أقف عليه والله أعلم بصحته وإن
صح فيكون معناه فإن أمتي الشهداء تحشر بأكفانها حتى لا تتناقض الأخبار والله
(۱) وعائشة رضی الله عنهما قالوا

أعلم ولا يعارض هذا الباب ما تقدم أول الكتاب من أن الموتى يتزاورون في قبورهم بأكتافهم فإن ذلك يكون في البرزخ فإذا قاموا من قبورهم خرجوا عراة ماعدا الشهداء والله أعلم .

باب

ذكر أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت عن عبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرو والغفاري قال حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احشر يوم القيامة بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حتى أقف بين الحرمين فيأتي أهل المدينة ومكة غريب من حديث مالك تفرد به عبد الله بن إبراهيم عنه ويقال لم يروه غير عبد العزيز بن عبد الله الهاشمي البغدادي عن الغفاري .

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم

من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت وفي أسماء يوم القيامة

الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سره أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت قال : هذا حديث حسن .

(فصل) قلت وإنما كانت هذه السور الثلاث أخص بالقيامة لما فيها من انشقاق السماء وانفطارها وتكور شمسها وانكدار نجومها وتناثر كواكبها إلى غير ذلك من أفزاعها وأهوالها وخروج الخلق من قبورهم إلى سجونهم أو قصورهم بعد فشرهم وقراءة كتبهم وأخذها بأيمانهم وشمائهم أو من وراء ظهورهم في موقفهم على ما يأتي بيانه قال الله تعالى إذا السماء انشقت وقال إذا السماء انفطرت وقال ويوم تشقق السماء بالغمام قرأها وإهية منفطرة متشقة كقوله تعالى وفتحت السماء فكانت أبوابا ويكون الغمام سترة بين السماء والأرض وقيل إن الباء بمعنى عن

أى تشقق عن سحاب أبيض ويقال انشقاقها لما يخلص إليها من حر جهنم وذلك إذا بطبع المياه وبرزت النيران فأول ذلك أنها تصير حراء صافية كالدهن وتشقق لما يريد الله من نقض هذا العالم ورفعها وقد قيل إن السماء تتلون فتصفر ثم تحمر أو تحمر ثم تصفر كالمهرة تميل في الربيع إلى الصفرة فإذا اشتد الحر مالت إلى الحمرة ثم إلى الغبرة قاله الخائمي وقوله تعالى إذا الشمس كورت قال ابن عباس رضى الله عنه تكويرها إدخالها في العرش وقيل ذهب صفوها قاله الحسن وقتادة وروى ذلك عن ابن عباس ومجاهد وقال أبو عبيدة كورت مثل تكوير العمامة تلف فتحى وقال الربيع بن خيثم كورت رمى بها ومنه كورته فتكور أى سقط قلت وأصل التكور الجمع مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها أى لاتها وجمعها فهى تكور ثم يمحق ضوءها ثم يرمى بها والله أعلم وقوله تعالى وإذا النجوم انكدرت أى انتثرت قيل تنثر من أيدي الملائكة لأنهم يموتون وفي الخبر أنها معاقبة بين السماء والأرض بسلاسل بأيدي الملائكة وقال ابن عباس رضى الله عنه انكدرت تغيرت وأصل الانكدار الإنصاف فتسقط في البحار فتصير معها نيرانا إذا ذهب المياه وقوله وإذا الجبال سيرت هو مثل قوله يوم تسير الجبال أى تحول عن منزلة الحجارة فتكون كثيبا مهيلا أى رملا سائلا وتكون كالعهن وتكون هباء منبثا وتكون سرايا مثل السراب الذى ليس بشىء وقيل إن الجبال بعد اندكائها أنها تصير كالعهن من حر جهنم كما تصير السماء من حرها كالمهل قال الخليلي وهذا والله أعلم لأن مياه الأرض كانت حاضرة بين السماء والأرض فإذا ارتفعت وزيد مع ذلك فى أحما جهنم أثر فى كل واحد من السماء والأرض ما ذكر قوله وإذا العشار عطلت أى عطلت أهلها فلم تحاب من الشغل بأنفسهم والعشار الإبل الحوامل واحدا عشر وهى التى أتى عليها فى الحمل عشرة أشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع وإنما خص العشار بالذكر لأنها أعز ما يكون على العرب فأخبر أنها تعطل يوم القيامة ومعناه أنهم إذا قاموا من قبورهم وشاهد بعضهم بعضا ورأوا الوحوش والدواب محشورة وفيها عشارهم التى كانت أنفس أموالهم لم يعبوا بها ولم يهمهم أمرها ويحتمل تعطل العشار لإبطال الله تعالى أملاك الناس عما كان ملكهم إياها فى الدنيا وأهل العشار يرونها فلا يجدون إليها

مبيلا وقيل العشار السحاب يعطل مما يكون فيه وهو الماء فلا يمطر وقيل العشار
الديار تعطل فلا تسكن وقيل الأرض التي يعثر زرعها تعطل فلا تزرع والقول
الأول أشهر وعليه من الناس الأكثر وقوله وإذا الوحوش حشرت أي
جمعت والحشر الجمع وقد تقدم وقوله وإذا البحار سجرت أي أوقدت وصارت
نارا رواه الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنه وقال قتادة : غار ماؤها فذهب
وقال الحسن والضحاك فاضت قال ابن أبي زمنين سجت حقيقة مائت
فيفضى بعضها إلى بعض فتصير شيئا واحداً وهو معنى قول الحسن ويقال
أن الشمس تلف ثم تلقى في البحار فنها تسمى وتنقلب نارا قال الحلبي ويحتمل
إن كان هذا هكذا أن البحار في قول من فسر التسجير بالامتلاء هو أن النار حينئذ
تكون أكثرها لأن الشمس أعظم من الأرض مرات كثيرة فإذا كورت وأقيت في
البحر فصارت نارا ازدادت امتلاء وقوله وإلا النفوس زوجت تفسير الحسن
أن تلحق كل شيعة شيعتها اليهود بالنصارى والمجوس بالمجوس
وكل من كان يعبد من دون الله شيئا يلحق بعضهم ببعض والمنافقون بالمنافقين
والمؤمنون بالمؤمنين وقال عكرمة المعنى تقرن بأجسادها أي ترد إليها وقيل يقرن
الغاري بمن أغواه من شيطان أو إنسان وقيل يقرن المؤمنون بالخور العين والكافرون
بالشياطين وقوله وإذا المردة سئلت يعنى بنات الجاهلية كانوا يدفنوهن أحياء
لخصلتين إحداهما كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به الثانية مخافة
الحاجة والإملاق وسؤال المردة على وجه التوبيخ لقائلها كما يقال للطفل إذا ضرب
لم ضربت وما ذنبك وقال الحسن أراد الله أن يوبخ قائلها لأنها قتلت بغير ذنب
وبعضهم يقرأ وإذا المردة سألت تعلق الجارية بأبيها فتقول بأى ذنب قتلتى وقيل
معنى سئلت يسأل عنها كما قال إن العهد كان مسئولا وقوله وإذا الصحف نشرت
أي للحساب وسيأتي وقوله وإذا السماء كشطت قيل معناه طويت كما قال الله تعالى
يوم نظوى السماء كطى السجل للكتاب أى كطى الصحيفة على ما فيها فاللام بمعنى
على يقال كشطت السقف أى قلعته فكان المعنى قلعت فطويت والله أعلم والكشط
والقشط سواء وهو القلع وقيل السجل كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف في الصحابة
من اسمه سجل وقوله وإذا الجحيم سمعت أى أوقدت وقوله وإذا الجنة أزلقت أى
قربت لأهلها وأدنيت علت نفس ما حضرت أى من عملها وهو مثل قوله علت

نفس ما قدمت وأخرت ومثل قوله « ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر » فهو يوم
الانشقاق ويوم الانفطار ويوم التكوير ويوم الانكدار ويوم الانتثار ويوم
التسير قال الله تعالى وتسير الجبال سيرا وإذا الجبال سيرت ويوم التعطيل ويوم
التسجير ويوم التفجير ويوم الكشط والطي ويوم المد لقوله تعالى وإذا الأرض
مدت إلى غير ذلك من أسماء القيامة وهي الساعة الموعود أمرها ولعظمتها أكثر
الناس السؤال عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنزل الله عز وجل على
رسوله يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما عليها عند ربى لا يجليها لوقتها
إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأنيكم إلا بغتة وكل ما عظم شأنه تعددت
صفاته وكثرت أسماؤه وهذا مهيع كلام العرب ألا ترى أن السيف لما عظم عندهم
موضعه وتأكد نفعه لديهم وموقعه جمعوا له خمسين اسم وله نظائر فالقيامة لما عظم
أمرها وكثرت أهوالها سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة ووصفها بأوصاف
كثيرة منها ما ذكرناه مما وقع في هذه السور الثلاث وقيل إن الله تعالى يعث الأيام
يوم القيامة على هيئتها فتوقف بين يدي الله تعالى ويوم الجمعة فيها زهرا مضيئة
يعرفها الخلائق فيوم القيامة يوم يتضمن الأيام كلها فسمى بكل حال يوما فقيل يوم
ينفخ في الصور ثم قيل يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ثم قيل يوم ينظر المرء
ما قدمت يداه فهذه حالة أخرى ثم قيل يوم تعرضون ثم قيل يوم يصدر الناس
أشتاتا فهذه أحوال فقد يجرى يوم القيامة بطوله على هذه الأحوال كل حال منها كالיום
المتجدد ولذلك كررت في قوله تعالى وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم
الدين لأن ذلك اليوم ومن بعده يوم واليوم العظيم متضمن لهذه الأيام فهو الله
يوم وللخلائق أيام قد عرفت أيامهم في يومه وقد بطل الليل والنهار قاله الترمذى
الحكيم وما قيل في معنى ما ذكرنا من النظم قول بعضهم :

مثل لنفسك أيها المغرور	يوم القيامة والسماء تمور
إذ كورت شمس النهار وأدريت	حتى على رأس العباد تسير
وإذا النجوم تساقطت وتناثرت	وتبدلت بعد الضياء كدور
وإذا البحار تفجرت من خوفها	ورأيته مثل الجحيم تفور

وإذا الجبال تقلعت بأصولها
وإذا العشار تعطلت وتخربت
وإذا الوحوش لدى القيامة احشرت
وإذا تقاء المسلمين تزوجت
وإذا الموءودة سئلت عن شأنها
وإذا الجليل طوى السما يمينه
وإذا الصحائف عندذاك تساقطت
وإذا الصحايف نشرت فتطارت
وإذا السماء تكشطت عن أهلها
وإذا الجحيم تسعرت نيرانها
وإذا الجنان تزخرفت وتطابت
وإذا الجنسين بأمه متعلق
هذا بلا ذنب يخاف جنابة
فرايتها مثل السحاب تسير
خلت الديار فإياها معصور
وتقول للأملاك أين نسير
من حور عين زانن شعور
وبأى ذنب قتلها ميسور
طى السجل كتابه المنشور
تبدي لنا يوم القصاص أمور
وتهتك للؤمنين ستور
ورأيت أفلاك السماء تدور
فلها على أهل الذنوب زفير
للقى على طول البلاء صبور
يخشى القصاص وقلبه مذخور
كيف المصير على الذنوب دهور

ومنها الساعة قال الله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة
وقال ويوم تقوم الساعة يبأس المجرمون ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقال
ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وهو في القرآن كثير والساعة
كلمة يعبر بها في العربية عن جزء من الزمان غير محدود وفي العرف على جزء من أربعة
وعشرين جزءاً من يوم وليلة والذين هما أصل الأزمنة وتقول العرب أنقل كذا الساعة
وأنا الساعة في أمر كذا تريد الوقت الذي أنت فيه والذي يليه تقريباً له وحقيقة
الإطلاق فيها أن الساعة بالالف واللام عبارة في الحقيقة عن الوقت الذي أنت
فيه وهو المسمى بالآن وسميت به القيامة إما لقربها فإن كل آت قريب وإما أن تكون
سميت بها تنبيهاً على ما فيها من الكائنات العظام التي تصهر الجلود وتكسر العظام
وقيل إنما سميت بالساعة لأنها تأتي بغته في ساعة وقيل إنما سميت بالساعة لأن الله تعالى
يأمر السماء أن تمطر بماء الحيوان حتى تنبت الأجساد في مداقتها ومواضعها حيث كانت من
بحر أو بر وتستقل وتحرك بحياتها بماء الحيوان وليست فيها أرواح ثم تدعى الأرواح

فأرواح المؤمنين تتوقد نوراً وأرواح الكافرين تتوهج ظلمة فإذا دعى الأرواح
 ألقاها في الصور ثم يأمر إسرافيل أن ينفخ في الصور فإذا نفخ فيه خرجت من
 من الصور ثم أمرت أن تلحق الأجساد فتبعث إلى الأجساد في أسرع من اللمحة
 وإنما سميت الساعة لسعي الأرواح إلى الأجساد في تلك السرعة فهي سايع وجمعها
 ساعة كقولك بايع وبيعة وضايح وضاعة وكايل وكالة فوصف أن سائر
 أموره في السرعة كلمح البصر^(۱) قاله الترمذي الحكيم وذكر أبو نعيم
 الحافظ بإسناده عن وهب بن منبه قال إذا قامت الساعة صرخت الحجارة صراخ
 النساء وقطرت العظام دما ومنها القيامة قال الله تعالى لا أقسم بيوم القيامة وهي
 في العربية مصدر قام يقوم ودخلها التانيث للبالغنة على عادة العرب واختلف
 في تسميتها بذلك على أربعة أقوال الأول لوجود هذه الأمور فيها . الثاني لقيام
 الخلق كلهم من قبورهم إليها قال الله تعالى يوم يخرجون من الأجداث سراعا الثالث لقيام
 الناس لرب العالمين كما روى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه
 وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يوم يقوم أحدكم في رشحه إلى نصف أذنيه
 قال بن عمر رضي الله عنهما يقومون مائة سنة ويروى عن كعب يقومون ثلاث
 مائة سنة الرابع لقيام الروح والملائكة صفا قال الله تعالى يوم يقوم الروح
 والملائكة صفا قال عداؤنا واعلم أن كل ميت مات فقد قامت قيامته ولكنها قيامة
 صغرى وكبرى فالصغرى هي ما يقوم على كل إنسان في خاصته من خروج روحه
 وفراق أهله وانقطاع سعيه وحصوله على عمله إن كان خيراً بخير وإن كان شراً
 فشر والقيامة الكبرى هي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة والدليل على أن
 كل ميت يموت فقد قامت قيامته قول النبي صلى الله عليه وسلم يقوم من الأعراب
 وقد سألوه متى القيامة فنظر إلى أحدث إنسان منهم فقال إن يعيش هذا لم يدركه
 الهرم قامت عليكم ساعتكم أخرجه مسلم وغيره ، وقال الشاعر :

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي غداة أقبل الحاملون جنازتي
 وعجل أهلي حفر قبري وصيروا خروجي وتعجيل إليه كراحتي
 كأنهم لم يعرفوا قط سيرتي غداة أتى يومى على وساعتي

(۱) البصر وأمر الساعة أقرب من لمح البصر قال

ومنها يوم النفخة، قال الله تعالى يوم ينفخ في الصور وقد مضى القول فيه ومنها يوم الزلزلة ويوم الراجفة قال الله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة وقد تقدم ومنها يوم الناقور كقوله تعالى فإذا نقر في الناقور وقد تقدم القول فيه والحمد لله ، ومنها الفارعة سميت بذلك لأنها تفرع القلوب بأهوالها يقال قد أصابتهم قوارع الدهر أى أهواله وشدائده ، قالت الخنساء :

تعرفنى الدهر نهشا وحزا وأوجعنى الدهر قرعا وغمزا
أرادت أن الدهر أوجعها بكبريات نوابه وصغرياتا ومنها يوم البعث وحقيقته
إثارة الشيء عن خفاء وتحريكه عن سكون ، قال عنترة :

وصحابة شم الأنوف بعثهم ليلا وقد مال الكرا بطلاها
وقال امرؤ القيس :

وفتيان صدق قد بعثت بسحرة فقاموا جميعاً بين عات ونشوان

وقد تقدم القول فيه وفي صفته والحمد لله ، ومنها يوم النشور وهو عبارة عن الإحياء يقال قد أنشأ الله الموتى فنشروا أى أحياهم الله فحيوا ومنه قوله تعالى وانظر إلى العظام كيف ننشرها أى نحياها وقد يكون معناه التفريق من ذلك قولك أمرهم نشر ومنها يوم الخروج قال الله تعالى يوم يخرجون من الأجداث سراعا فأوله الخروج من القبور ، وآخره خروج المؤمنين من النار ثم لاخروج ولا دخول على ما يأتي ومنها يوم الحشر وهو عبارة عن الجمع وقد يكون مع الفعل إكراه قال الله تعالى وأرسل في المدائن حاشرين أى من يسوق السحرة كرها وقد مضى القول في الحشر مستوفى والحمد لله ، ومنها يوم العرض قال الله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وقال وعرضوا على ربك صفا وحقيقته إدراك الشيء بإحدى الحواس ليعلم حاله وغايته السمع والبصر ولا يزال الخلق قياما في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما شاء الله أن يقوموا حتى بلهموا أو بهتموا فيقولون قد كنا نستشفع في الدنيا فهم فلنسأل الشفاعة إلى ربنا فيقولون إئتوا آدم الحديث وسيأتي قال ابن العربي وفي كيفية العرض أحاديث كثيرة المعول منها على تسعة أحاديث في تسعة أوقات الأولى الحديث المشهور الصحيح رواه أبو هريرة وأبو سعيد

الحدري رضى الله عنهما واللفظ له قال إن ناسا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضحوا ليس معها سحب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحب قالوا لا يا رسول الله قال ما تضارون في رؤية الله يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغير أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير بن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فإذا تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فإذا تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن يتقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقا ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحمل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم، وذكر الحديث وسيأتي تماما إن شاء الله تعالى، الثاني صح من حديث عائشة رضى الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نوقش الحساب عذب قلت يا رسول الله أليس الله يقول فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ليس ذلك

الحساب ذلك العرض وسيأتي ، الثالث روى الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات وسيأتي ، الرابع روى عن أنس رضي الله عنه أنه قال عن النبي صلى الله عليه وسلم يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج الحديث ، وسيأتي ، الخامس ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه وأبي سعيد الخدري واللفظ له يؤتى بعبد يوم القيامة فيقال له ألم أجعل لك سمعا وبصراً ومالاً وولداً وتركك ترأس وترتع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا فيقول لا فيقال له اليوم أنساك كما نسيتني وهذا حديث صحيح . قلت خرج مسلم والتر مدى مطولا ، السادس ثبت من طرق صحاح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه فيقول له عبدي تذكر يوم كذا وكذا حين فعلت كذا وكذا فلا يزال يقرره حتى يرى أنه قد هلك ثم يقول له عبدي أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، السابع وفي الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجاً من النار رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال أعرضوا عليه صفار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها وذكر الحديث ، الثامن وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله فيلتنفت أحدهم فيقول أى رب إذ أخرجتني منها فلا تعدنى فيها فينجيه الله منها وروى مسلم يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا آباؤنا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك وذكر حديث الشفاعة قال الله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار وذلك قوله في الحديث المتقدم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضها قال القاضي أبو بكر بن العربي وهذا مما أغفله الأئمة في التفسير ، التاسع العرض على الله ولا أعله في الحديث إلا قوله في النص المتقدم حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين وذكر الحديث قلت إذا تتبعنا الأحاديث في هذا الباب على هذا السياق كان الحسن والصحيح منها أكثر من تسعة ، وقد خرج مسلم عن أبي بردة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى

عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع الحديث وسيأتي
 وقوله في الحديث الآخر إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين
 يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن عمله وخرج مسلم عن عدى بن حاتم رضى الله
 عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس
 بينه وبينه ترجمان الحديث وسيأتي وخرج البخارى عن أبي سعيد الخدرى رضى
 الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى نوح يوم القيامة فيقول
 لبيك وسعديك يا رب الحديث وسيأتي ويتضمن من غير رواية البخارى عرض
 اللوح المحفوظ ثم إسرافيل ثم جبرائيل ثم الأنبياء نبياً نبياً صلوات الله عليهم أجمعين
 وسيأتي وخرج الترمذى وابن ماجه حديث الرجل الذى ينشر عليه تسعة وتسعون
 سجلاً وسيأتي وهذا كله من باب العرض على الله وإذا تبعت الأحاديث كانت
 أكثر من هذا فى مواطن مختلفة وأشخاص متباينة والله أعلم وفى بعض الخبر أنه
 يتمنى رجال أن يبعث بهم إلى النار ولا تعرض قبائحهم على الله تعالى ولا يكشف
 مساوئهم على رؤوس الخلائق قلت وأما ما وقع ذكره فى الحديث من كشف الساق
 وذكر الصورة فيأتى إيضاحه^(۱) وكشفه فى حديث أبي هريرة رضى الله عنه
 من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى وأما ما جاء من طول هذا اليوم ووقوف الخلائق
 فيه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقد جاء من حديث أبي سعيد الخدرى
 رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يوم كان مقداره خمسين
 ألف سنة قلت ما أطول هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده أنه
 ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من الصلاة المكتوبة يصلحها فى الدنيا
 ذكره قاسم بن اصبح وقيل غير هذا وسيأتى ومنها يوم الجمع وحقيقته فى العربية ضم
 واحد إلى واحد فيكون شفعاً أو زوجاً إلى زوج فيكون جماعاً قال الله تعالى يوم
 يجمعكم ليوم الجمع وقال ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه وهو فى القرآن كثير
 ومنها يوم التفرق قال الله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا
 وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون وأما الذين كفروا وكذبوا بأياتنا ولقاء
 الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون وهو معنى قوله تعالى فريق فى الجنة وفريق

(۱) إيضاحه ذلك وكشفه ان شاء الله

في السعير ومنها يوم الصدع والصدر ايضا قال الله تعالى يومئذ يصدر الناس اثنائنا
وقال يومئذ يصدعون ومعناها معنى الاسم الذي قبله ومنها يوم البعثة ومعناه
تتبع الشيء المختلط مع غيره حتى يخلص منه فيخلص الله تعالى الاجسام من
التراب والكافرين من المؤمنين والمنافقين ثم يخلص المؤمنين من المنافقين كما
في الحديث الصحيح ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين في صعيد واحد يخرجهم مسلم
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ومنها ما روى أنه يخرج عنق من النار فيلتقط
الكفار لفظ الطائر حب السمس وهو صحيح أيضا وسيأتي وقال صلى الله عليه وسلم
يؤخذ برجال ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقول، إنك لا تدري ما أحدثوا
بعدك ومنها يوم الفزع وحقيقته ضعف النفس عن حمل المعاني الطارئة عاينها
خلاف العادة فإن استمر كان جبنا وعند ذلك تشوق النفس إلى ما يقويها فلاجل
ذلك قالوا فزعت من كذا أي ضعفت عن حمله عند طريانه على خلاف العادة وفزعت
إلى كذا أي تشوقت نفسي عند ذلك إلى ما يقويها على ما نزل بها والآخرة كلها
خلاف العادة وهي فزع كلها وفي التنزيل لا يحزنهم الفزع الأكبر وقد اختلف فيه
فقيل هو قوله لا بشرى يومئذ للجرمين وقيل إذا طبقت النار على أهلها وذبح
الموت بين الجنة والنار وقال الحسن هو وقت يؤمر بالعباد إلى النار وعنه
أن الفزع الأكبر النفخة الآخرة وتلقاهم الملائكة بالبشارة حتى يخرجوا من
قبورهم ومنها يوم التناد بتخفيف الدال من النداء وتشديدها من ند إذا ذهب وهو
قوله تعالى يوم تولون مدبرين وهو الذهاب في غير قصد وروى أيضا عن أبي هريرة
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأمر الله إسرافيل فينفخ نفخة
الفزع فيفزع أهل السموات والأرض^(۱) وهي التي يقول الله ما ينظرون إلا صيحة
واحدة ما لها من فواق فيسير الله الجبال ويرج الأرض بأهلها رجا وهي التي يقول
الله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة فيميد
الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ونشيب الولدان وتولى الناس مدبرين
ينادى بعضهم بعضا وهو الذي يقول الله تعالى يوم التناد يوم تولون مدبرين قال ابن
العربي وقد رويت في ذلك آثار كثيرة هذا أمثلها فدعوها فالمعنى الواحد يكفينا منها

(۱) والأرض الخبيث وقد تقدم

ومن هولها ومن تحقيق المعنى لها قلت قد بينا أقوال العلماء في ذلك عند ذكر حديث أبي هريرة رضى الله عنه في باب أين تكون الناس فتأمله هناك ومنها يوم النداء وهو النداء أيضا والنداء على ثمانية وجوه فيما ذكر ابن العربي الأول نداء أهل الجنة أهل النار بالتفريع الثاني نداء أهل النار لأهل الجنة بالاستغاثة كما أخبر الله عنهم الثالث يدعى كل أناس بإمامهم وهو قوله لتتبع كل أمة ما كانت تعبد قال المؤلف ويقال بكتابهم وقيل بنبيهم قال سرى السقطى تدعى الأمم يوم القيامة بأندياها فيقال يا أمة موسى يا أمة عيسى ويا أمة محمد غير المحبين لله فانهم ينادون يا أولياء الله هلموا إلى الله سبحانه فتسكاد قلوبهم تنخلع فرحاً (الرايع) نداء الملك ألا أن فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً وان فلان ابن فلان قد شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبداً وسيأتى (الخامس) النداء عند ذبح الموت يا أهل الجنة خلود فلاموت ويا أهل النار خلود فلاموت (السادس) نداء أهل النار يا حسرتنا ويا ويلتنا (السابع) قول الشهداء هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين (الثامن) نداء الله تعالى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول أعطيتكم أفضل من ذلك رضائي قال المؤلف رضى الله عنه ونداء تاسع ذكره أبو نعيم عن مروان بن محمد قال قال أبو حامد الأعرج يخاطب نفسه يا أعرج ينادى يوم القيامة يا أهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم ثم ينادى يا أهل خطيئة أخرى فتقوم معهم فأراك يا أعرج تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة وفي التنزيل يوم يناديهم فيقول أين شركائي الآية التي في القصص وحم السجدة ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين والنداء في الأخبار كثير يأتي بيانها وذكرها في باب من يدخل الجنة بغير حساب ومنها يوم الواقعة وأصل وقع في كلام العرب كان ووجد وجاءت الشريعة في تأكيد ذلك بثبوت ما وجد قال الله تعالى وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم والمراد بالقول هنا إخبار الباري عن الساعة وأنها قريبة ومن أعظم علاماتها الدابة وسيأتى ذكرها وما للعلماء فيها من الاشارات إن شاء الله تعالى وقوله كاذبة مصدر كالباقية والعاقبة أى ليس لوقعتها مقالة كاذبة ومنها الحافضة الرافعة أى

ترفع قوماً في الجنة وتخفض أخرى في النار والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان والمكانة والعز والإهانة ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسعاً ومجازاً على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما بما لم يمكن منه الفعل يقولون ليل قائم ونهار صائم وفي التنزيل بل مكر الليل والنهار والخفض والرافع على الحقيقة إنما هو الله تعالى وحده فرفع أوليائه في أعلا وجعل أعداءه في أسفل الدرجات قال الله تعالى يوم نحشر المقين إلى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث جابر رضي الله عنه نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس قال ابن العربي وهذا حديث فيه تخليط في كتاب مسلم يتقنه رواية ومعناه أن جميع الخلق على بساط من الأرض سواء إلا محمداً صلى الله عليه وسلم وأمة فإنهم يرفعون جميعهم على شبه من الكوم ويخفض الناس عنهم وفي رواية أكون أنا وأمتي يوم القيامة على تل فيكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فذلك المقام المحمود قلت وهذا الرفع في المكان بحسب الزيادة في المكانة قال ابن العربي وهي أنواع فرفع محمداً صلى الله عليه وسلم بالشفاعة في أول الخلق وبأنه أول من يدخل الجنة ويقرع بابها ورفع العادلين بالحديث الصحيح المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ورفع القراء إلى حيث انتهت قراءتهم يقال اقرأ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها وسيأتي ورفع الشهداء فقال في الحديث الصحيح إن في الجنة مائة درجة أعداها الله للجاهدين في سبيله الحديث وسيأتي ورفع كافل اليتيم فقال صلى الله عليه وسلم أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وأشار مالك بالسبابة والوسطى يريد في الجوار وقال صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة ليراهن أهل الغرف من فوقهم كما يتراهون الكوكب الدرّي الغائر في أفق السماء وأن أبا بكر وعمر منهم وانما ورفع عائشة (۱)

(۱) قبح الله النواصب فالذكر هذا معنى لولا حقد في نفس هذا الخبيث على فاطمة صلى الله عليها وسلم وهل يعقل أن لا تكون سيدة نساء أهل الجنة مع أبيها في الجنة التي يعطى فيها أقل الناس منزلة قدر الدنيا وضعفها فيضيق منزل النبي صلى الله عليه وسلم عن وجود ابنته معه **إنحد بن الصديق**

على فاطمة رضى الله عنهما فإن عائشة مع النبي صلى الله عليه وسلم وفاطمة مع علي رضى الله عنهما ومنها يوم الحساب ومعناه أن الباري سبحانه يعدد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة ويعددهم عليهم نعمه ثم يقابل البعض بالبعض فما يشف منها على الآخر حكم للشفوق بحكمه الذى عينه للخير بالخير وللشر بالشر وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان قيل ان الله يحاسب المكلفين بنفسه ويخاطبهم معا ولا يحاسبهم واحدا بعد واحد والمحاسبة حكم فلذلك تضاف إليه كما يضاف الحكم إليه قال الله تعالى الاله الحكم وقال وهو خير الحاكمين وفي الخبر أنه يوقف شيخ للحساب فيقول الله له يا شيخ ما أنصفت غنوتك بالنعمة صغيرا فلما كبرت ك عصيتى اما انى لا أكون لك كما كنت لنفسك اذهب فقد غفرت لك ما كان قبل وإنه ليؤتى بالشاب كثير الذنوب فإذا وقف تضععت أركانه ووسطك ركبناه فيقول الرب جل جلاله أما استحييتى أما راقبتى أما خشيت نعتى أما علمت انى مطلع عليك خذوه إلى امه الهاوية وقيل إن الملائكة يحاسبون بأمر الله كما ان الحكام يحكمون بأمر الله تعالى وقد قال تعالى ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا إلى قوله ولا يكلمهم الله وان من لم يكن بهذه الصفة فإن الله تعالى يكلمه فيكلم المؤمنين ويحاسبهم حسابا يسيرا من غير ترجمان إكراما لهم كما أكرم موسى عليه السلام فى الدنيا بالكليم ولا يكلم الكفار فتحاسبهم الملائكة ويميزهم بذلك عن اهل الكرامة فتتسع قدرته لمحاسبة الخلق كلهم معا كما تتسع قدرته لأحداث خللاق كثيرة معا قال الله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة أى الا كخلق نفس واحدة ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وسئل عن محاسبة الخلق فقال كما يرزقهم فى غداة واحدة كذلك يحاسبهم فى ساعة واحدة وفى صحيح مسلم حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة قالوا لا قال فهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر وليس فى سحابة قالوا لا قال فوالذى نفس محمد بيده لا تضارون فى رؤية ربكم الا كما تضارون فى رؤية أحدهما قال فيلقى العبد فيقول أيا فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر

لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى فيقول افظنت أنك ملاق فيقول لا فيقول إني أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول له ويقول هو مثل ذلك بعينه ثم يأتي الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وتصدقت وصمت ويثني بخير ما استطاع قال فيقول ها هنا إذا ثم يقول الآن نبعت شاهداً عليك فيقول في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم علي فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذ لحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافع وذلك الذي يسخط الله عليه وقد قال الله تعالى اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيباً أي حاسباً فعلاً بمعنى فاعل وإذا نظر فيها ورأى أنه قد هلك فإن أدركته سابقة حسنة وضعت له لا إله إلا الله في كفة فرجحت له السموات والأرض وفي رواية فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وسيأتى وقال من نوقش الحساب عذب ومنها يوم السؤال والبارى سبحانه وتعالى يسأل الخلق في الدنيا والآخرة تقريراً لإقامة الحجج وإظهاراً للحكمة قال الله تعالى سل بنى إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة وقال وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر وقال وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا وهو في القرآن كثير وقال ليسأل الصادقين عن صدقهم وقال وإذا المؤمنة سمئت وقال فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قيل عن لا إله إلا الله وقال إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا وقال عليه السلام لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع الحديث وسيأتى ، وروى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأمير الذي على الناس راع ومسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة عنه والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ومنها يوم الشهادة ويوم يقوم الأشهاد والشهادة على أربعة أنواع شهادة محمد وأمه تحقيقاً لشهادة الرسل على قومها (الثاني) شهادة الأرض والأيام والليالي بما عمل فيها وعليها (الثالث) شهادة الجوارح قال الله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم وقال وقالوا الجلود لم تشهدتم علينا وذلك بين أيضاً في حديث أبي هريرة رضي الله عنه (الرابع) حديث أنس رضي الله عنه وفيه ويختم علي فيه ويقال لأركانها انطقي فتنطق بأعماله وسيأتى

(۱۵ — تذكرة)

بيان هذا الباب كله إن شاء الله تعالى ومنها يوم الجدل قال الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها أي تخاصم وتحتاج عن نفسها وجاء في الخبر أن كل أحد يقول يوم القيامة نفسي نفسي من شدة أهوال يوم القيامة سوى محمد صلى الله عليه وسلم فإنه يسأل في أمته على ما يأتي وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه قال لكعب الأخبار يا كعب خوفنا هيجنا حدثنا زهنا فقال كعب يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لانت عليك تارات ولا يهلك إلا نفسك وإن لجهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي منتخب إلا وقع جائيا على ركبته حتى إن إبراهيم الخليل ليدلى بالخلعة فيقول رب أنا خليلك إبراهيم لا أسألك اليوم إلا نفسي قال يا كعب أين نجد ذلك في كتاب الله تعالى قال قوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفي كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وقال ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية ما تزال الخصومة بالناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح رب الروح منك أنت خاقته لم يكن لي يد أبطش بها ولا رجل أشى بها ولا عين أبصر بها ولا أذن أسمع بها ولا عقل أعقل به حتى جئت فدخلت في هذا الجسد فضعف عليه أنواع العذاب ونجنى فيقول الجسد رب أنت خلقتني بيدك فكنت كالخشب ليس لي يد أبطش بها ولا قدم أسعى بها ولا بصر أبصر به ولا سمع أسمع به فجاء هذا كشمع الشمس فبه نطق لساني وبه أبصر عيني وبه مشيت رجلي وبه سمعت أذني فضعف عليه أنواع العذاب ونجنى قال : فيضرب الله لهما مثلا أعمى ومتمعد أدخلنا بستانا فيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمر والمتمعد لا يناها فننادى المتمعد للأعمى إيتني فأحلتني آكل وأطعمك فدنا منه فحمله فاصابا من الثمرة فعلى من يكون العذاب قالا عليهما ، قال عليكم جميعاً العذاب .

قال للؤاف رضي الله عنه وأرضاه ومن هذا الباب قول الأمام كيف يشهد علينا من لم يدركنا إلى غير ذلك مما في معناه حسب ما يأتي ومنها يوم القصاص وفيه أحاديث كثيرة يأتي ذكرها في باب إن شاء الله تعالى ومنها يوم الحاقة وسميت بذلك لأن الأمور تحقق فيها قاله الطبري كأنه جعلها من باب ليل نائم كما تقدم

وقيل سميت حاقه لأنها كانت من غير شك وقيل سميت بذلك لأنها أحقت لأقوام
الجنة وأحقت لأقوام النار ومنها يوم الطامة معناها الغالبة من قولك طم الشيء
إذا علا وغلب ولما كانت تغلب كل شيء كان لها هذا الاسم حقيقة دون كل شيء
قال الحسن للطامة النفخة الثانية وقيل حين يسار أهل النار إلى النار ومنها يوم الصاخة
قال عكرمة الصاخة النفخة الأولى والطامة النفخة الثانية قال الطبري أحسبه من صخ
فلان فلانا إذا أصمه قال ابن العربي الصاخة التي تورث الصمم وإنها المسمعة وهذا من
بديع الفصاحة حتى لقد قال بعض أحداث الأسنان حدثي الأزمان :

• أصم بك الناعي وإن كنت أسما •

وقال آخر :

أصمى سيرهم أيام فرقتهم فهل سمعتم بسير يورث الصمما
ولعمرو الله ان صيحة القيامة مسمعة تصم عن الدنيا وتسمع أمور الآخرة
وهذا كله كان يوما عظيما كما قال الله تعالى في وصفه بالعظيم وكل شيء كبر في أجزائه
فهو عظيم وكذلك ما كبر في معانيه وبهذا المعنى كان الباري عظيما لسعة قدرته وعله
وكثرة ملكه الذي لا يحصى ولما كان أمر الآخرة لا ينحصر كان عظيما بالإضافة إلى
الدنيا ولما كان محدثا له أول صار حقيرا بالإضافة إلى العظيم الذي لا يحد ومنها يوم
الوعيد وهو أن الباري سبحانه أمر ونهى ووعد وأرعد فهو أيضا يوم الوعد
والوعد للنعم والوعيد للعذاب الأليم وحقيقة الوعيد هو الخبر عن العقوبة عند
المخالفة والوعد الخبر عن المثوبة عند الموافقة وقد ضل في هذه المسألة المبتدعة
وقالوا إن من أذنب ذنبا واحدا فهو مخلد في النار تخليد الكفار أخذا بظاهر هذا
اللفظ في آي فلم يفهموا العربية ولا كتاب الله وأبطوا شفاعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسيأتي الرد عليهم في أبواب من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ومنها
يوم الدين وهو في لسان العرب الجزاء قال الشاعر .

حصادك يوما مازرعت وإنما يدان الفتي يوما كما هو دائن

وقال آخر :

واعلم يقينا أن ملكك زائل واعلم بأن بانك كما تدان

ومنها يوم الجزاء قال الله تعالى اليوم تجزون ما كنتم تعملون وقال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت وهو أيضاً يوم الوفاء قال الله تعالى يومئذ يوفىهم الله دينهم الحق أى حسابهم وجزاؤهم واللجنة جزاء الحسنات والنار جزاء السيئات وقال الله تعالى فى المعنين جزاء بما كانوا يكسبون وجزاء بما كانوا يعملون وقال فى جهة الوعيد كذلك يجزى كل كفور ومنها يوم الندامة وذلك أن المحسن إذا رأى جزاء حسنة والكافر جزاء كفره ندم المحسن أن لا يكون مستكثراً وندم المسيء أن لا يكون استعتب فإذا صار الكافر إلى عذاب لا تفاد له تحسر فلذلك سعى يوم الحسرة قال الله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وذلك عند ذبح الموت على ما يأتى وهم فى غفلة يعنى الآن عن ذلك اليوم والحسرة عبارة عن استكشاف المكروه بعد خفائه ومنها يوم التبديل قال الله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وقد تقدم القول فى ذلك مستوفى ومنها يوم التلاقى قال الله تعالى لينذر يوم التلاقى وهو عبارة عن اتصال المعنين بسبب من أسباب العلم والجسمين وهو أنواع أربعة الأول لقاء الأموات لمن سبقهم إلى الممات فيسألونهم عن أهل الدنيا كما تقدم الثانى عمله وقد تقدم الثالث لقاء أهل السماوات لأهل الأرض فى المحشر وقد تقدم الرابع لقاء المخلوق للبارى سبحانه وتعالى وذلك يكون فى عرصات القيامة وفى الجنة على ما يأتى ومنها يوم الآزقة تقول العرب أزف كذا أى قرب قال الشاعر :

أزف الترحل غير أن ركابنا لما نزل برحالتنا وكان قد

وهى قريبة جداً وكل آت قريب وإن بعد مداه قال الله تعالى وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً وما يستبعد الرجل من الساعة ومدته ساعة ومنها يوم المآب ومعناه الرجوع إلى الله تعالى ولم يذهب عن الله شىء فيرجع إليه وإنما حقيقته أن العبد يخلق الله فيه ما شاء من أفعاله فلما خلق فيه علماً وخلق فيه إشاراً واختياراً ظن الناس أنه شىء أو أن له فعلاً فإذا أماته وسلب ما كان أعطاه أذعن وآب فى وقت لا ينفعه الإياب ولم يزل عن الله تعالى فى حال فهو الآواب ومنها يوم المصير وهو يوم المآب بعينه قال الله تعالى والله ملك السماوات والأرض وإلى الله المصير فالخلق سائرون إلى أمر الله تعالى وآخر ذلك دار القرار وهى الجنة أو النار قال الله تعالى فى حق الكافرين قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار

ومنها يوم القضاء وهو أيضا يوم الحكم والفصل وسيأتي أن أول ما يقضى فيه
الدماء وقال **عليه السلام** ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الحديث وفيه
كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد
والفصل هو الفرق والقطع فيفصل يومئذ بين المؤمن والكافر والمسيء والمحسن
قال الله تعالى يوم القيامة يفصل بينكم الآية وهو يوم الحكم لأن انفاذ الحكم هو
انفاذ العلم قال الله تعالى الملك يومئذ لله يحكم بينهم الآية وقال ذلك حكيم الله يحكم
بينكم ومنها يوم الوزن قال الله تعالى والوزن يومئذ الحق الآية وسيأتي الكلام في
الميزان ووزن الاعمال فيه في أبواب إن شاء الله ومنها يوم عقيم وهو في اللغة عبارة
عن من لا يكون له ولد ولما كان الولد يكون بين الأبوين وكانت الأيام تتوالى
قبل وبعد جعل الاتباع بالبعديّة فيها كهيئة الولادة ولما لم يكن بعد ذلك اليوم
يوم وصف بالعقيم ومنها يوم عسير وهذا في حق الكافرين خاصة والعسر ضد
اليسر فهو عسير على الكافرين فإنهم لا يرون فيه أملا ولا يعطون رجاء حتى إذا
خرج المؤمنون من النار طلبوا مثل ذلك فيقال لهم اخسثوا فيها ولا تكلمون
فحينئذ يكون المنع الصريح على ما يأتي بيانه في أبواب النار إن شاء الله تعالى
وأما المؤمنون فتنحل عقدهم يسر إلى يسر فينحل طول الوقوف إلى تعجيل
الحسنات وتثقل الموازين وجواز الصراط والظلال بالاعمال ولا تنحل للكافرين
من هذه العقد عقدة واحدة إلا إلى أشد منها حتى إلى جهنم دار القرار ومنها يوم
مشهود سمي بذلك لأنه يشهده كل مخلوق وقيل سمي بذلك لأن الشهداء يشهدون
فيه على ما يأتي والله أعلم ومنها يوم التغابن سمي بذلك لأن الناس يتغابنون في المنازل
عند الله ففريق في الجنة وفريق في السعير وحقيقته في لسان العرب ظهور الفضل في
المعاملة لأحد المتعاملين والدنيا والآخرة دار لعاملين وحالين وكل واحد منهما
لله ولا يعطى أحدهما إلا لمن ترك نصيبه من الآخرة قال الله تعالى من كان يريد
العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وقال من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ومن أراد
الآخرة فسعيه مشكور وحظه في الآخرة موفور ومنها يوم عبوس قطير والقمطرير

الشديد وقيل الطويل وأما العبوس فهو الذي يعبس فيه سمي باسم ما يكون فيه كما يقال ليل قائم ونهار صائم وكاوح الوجه وعبوسه هو قبض ما بين العينين وتغير السحنة عن عاداتها الطلقة يقال يوم طلق إذا كانت شمس نيرة فاترة وإذا كانت شمس مدجية قد غطاها السحاب قيل يوم عبوس وأول العبوس والكلوح عند الخروج من القبور ورؤية الأعمال في الصور القبيحة كما تقدم وآخر ذلك كلوح النار وهو الكلوح الأعظم يشوي الوجوه ويسقط الجلود على ما يأتي ومع العبوس تشخص الأبصار وهو ثبوتها رآكده على منظر واحد لول لا ينتقل منه إلى غيره كما قال سبحانه ليوم تشخص فيه الأبصار ومنها يوم تبلى السرائر ومعناه اخراج المخبات بالاختبار بوزن الأعمال في الصحف وبكشف الساق عند السجود على ما يأتي ومنها يوم لا تملك نفس لنفس شيئا وهو مثل قوله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون وقال يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا فكل نفس بما كسبت رهينة لا يغني أحد عن أحد شيئا بل يفصل كل واحد عن أخيه وأبيه ولذلك كان يوم الفصل ويوم الفرار قال الله تعالى إن يوم الفصل كان ميقاتا وقال تعالى يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أما إنه يجزي ويقضى ويعطى ويعنى بغير اختياره من حسناته ما عليه من الحقوق على ما يأتي بيانه في أحاديث المفاس^(۱) ومنها يوم يدعون إلى نار جهنم دعا والدع الدفع أى يدفعون إلى جهنم ويسحبون فيها على وجوههم كما قال تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم ومنها يوم القلب وهو التحول قال الله تعالى يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار أى قلوب الكفار وأبصارهم فتقلب قلوب الكفار انتزاعها من أماكنها إلى الخاجر فلا هي ترجع إلى أماكنها ولا هي تخرج فأما قلب الأبصار فالزرق بعد الكحل والعمى بعد البصر وقيل تتقلب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك وإلبصار تنظر من أى ناحية يعطون كتبهم وإلى أى ناحية يؤخذ بهم وقيل إن قلوب الشاكين تحول عما كانت عليه من الشك وكذلك أبصارهم لرؤيتهم اليقين إلا أن ذلك لا ينفعهم في الآخرة ومنها يوم الشخص والاقناع قال الله تعالى إنما تؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار لا تغمض فيه من هول ما ترى في ذلك اليوم قاله الفراء

(۱) المفلس ان شاء الله تعالى ومنها (۲) تتقلب القلوب بين

وقال ابن عباس رضي الله عنه تشخص أبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة فلا يغمضون مهطعين أي مديهي النظر قال مجاهد والضحاك مقنعي رؤسهم أي رافعي رؤسهم واقناع الرأس رفعه قاله ابن عباس ومجاهد وقال الحسن وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد (فإن قيل) فقد قال الله تعالى في غير هذه الآية خاشعا أبصارهم وقال خشعا أبصارهم فكيف يكون الرافع رأسه الناظر نظرا طويلا حتى إن طرفه لا يرتد إليه خاشع البصر .

فالجواب أنهم يخرجون حال المضي إلى الموقف خاشعة أبصارهم وفي هذه الحال وصفهم الله تعالى بخشوع الأبصار وإذا توافوا وضمهم الموقف وطال القيام عليهم فإنهم يصيرون من الحيرة كأنهم لا دلوب لهم ويرفعون رؤوسهم فينظرون النظر الطويل ولا يرتد إليهم طرفهم كأنهم قد نسوا الغصص أو جهلوه فهو تعسير عليهم ومنها يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وذلك حين يقال لهم اخسثوا فيها ولا تكلمون وتطبق عليهم جهنم على ما يأتي بيانه في أبواب النار ومنها يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وإن أذن لهم بأن يمكنوا منها لأبأن يقال لهم اعتذروا كقوله ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا الآية وكقوله ربنا أخرجنا منها الآية ومنها ولا يكتُمون الله حديثا ومنها يوم الفتنه قال الله تعالى يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون من قولك فتنت الذهب اذرميت به في النار ومنها يوم لا مرد له من الله يريد يوم القيامة أي لا يرده أحد بعد ما حكم الله به وجعل له أجلا ووقتا ومنها يوم الغاشية وسميت بذلك لأنها تغشى الناس بإفراعها أي تعمهم بذلك ومنه غاشية السرج ومنها في يومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد ومنها يوم لا بيع فيه ولا خلال قال الله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والخلة والحلة والخلال الصداقة والمودة ومنها يوم لا ريب فيه وإن وقع فيه ريب الكفار أي شك فليس فيه ريب لقيام الأدلة الظاهرة عليه كما قال الله تعالى أفى الله شك فليس في الباري شك لقيام الأدلة عليه ولشهادة أفعاله ولاقتضاء المحدث أن يكون له محدث ولكن قد

شك فيه قوم ونفاه آخرون ولم يوجب ذلك شكاً فيه لقيام الأدلة عليه فكذلك يوم
القيامة لا ريب ولا شك فيه مع النظر في الدليل والعلم فإذا خلق الله تعالى الرين
على القلب كان الشك قال الله تعالى ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه
على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ومنها يوم
تبيض وجوه وتسود وجوه وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ومنها يوم الأذان دخل
طاووس على هشام بن عبد الملك فقال له اتق الله واحذر يوم الأذان فقال وما يوم
الأذان قال قوله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين فصعق هشام
فقال طاووس هذا دل الصفة فكيف دل المعاينة ومنها يوم الشفاعة قال الله تعالى
من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وقال تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وقال لا تنفع
الشفاعة عنده إلا لمن أذن له وقال فما لنا من شافعين وسيأتي بيانه ومنها يوم العرق
وسيأتي بيانه في أحاديث في الباب بعد هذا بحول الله وقوته ومنها يوم القلق
والجولان وهو عبارة عن عدم الاستقرار والثبوت يقال قلق الرجل يقلق قلقاً
إذا لم يستقر ومثله جال يحول إذا لم يثبت ومنها يوم الفرار قال الله تعالى يوم
يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه فيفر كل واحد من صاحبه حذراً
من مطالبته إياه إما لما بينهم من التبعات أو لئلا يروا ما هو فيه من الشدة وقال
عبد الله بن طاهر الأبهري يفر منهم لما يتبين له من عجزهم وقلة حيلتهم إلى من يملك
كشف تلك الكروب والهموم عنه ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد شيئاً سوى ربه
تعالى وقال الحسن أول من يفر يوم القيامة من أبيه إبراهيم وأول من يفر من أمه
نوح وأول من يفر من امرأته لوط قال فيرون أن هذه الآية نزلت فيهم وهذا
فرار التبري نجانا الله من أهوال هذا اليوم بحق محمد نبي الرحمة وصحبه الكرام
البررة وجعلنا من حشر في زمرة من لا خالف بنا عن طريقهم ومذهبهم بمنه
وكرمه آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

قال المؤلف وقد سرد تسمية هذه الأيام من غير تفسير غير واحد من العلماء
منهم ابن نجاح في سبل الخيرات وأبو حامد الغزالي في غير موضع من كتبه كالإحياء
وغيره والقنبي في كتاب عيون الأخبار وهذا تفسيرها حسب ما ذكره القاضي أبو بكر بن

العربي في سراج المریدین وربما زدنا عليه في ذلك والحمد لله على ذلك ولا يمتنع أن تسمى بأسماء غير ما ذكرنا بحسب الأحوال الكائنة فيه من الإزدحام والتضايق واختلاف الأقدام والحزى والهوان والذل والافتقار والصغار والانكسار ويوم الميقات والمرصاد إلى غير ذلك من الأسماء وسيأتي النبيه على ذلك إن شاء الله تعالى في الباب بعد هذا .

باب ما يلقى الناس في الموقف من الأهوال العظام والامور الجسام

قال المحاسبي في كتاب التوهم والأهوال يحشر الله الأمم من الإنس والجن عراة أذلاء قد نزع الملك من ملوك الأرض ولزمهم الصغار بعد عتوهم والذلة بعد تجبرهم على عباد الله في أرضه . ثم أقبلت الوحوش من أماكنها منكسة رؤوسها بعد توحشها من الخلائق وانفرادها ذليلة من هول يوم النشور من غير ريبة ولا خفية أصابتها حتى وقفت من وراء الخلق بالذلة والانكسار للملك الجبار ، وأقبلت الشياطين بعد تمردها وعتوها خاضعة ذليلة للعرض على الملك الديان ، حتى إذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامها تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر فأظلم عليهم ومارت سماء الدنيا من فوقهم فدارت من فوقهم بعظمها فوق رؤوسهم^(۱) وهي خمسمائة عام فياهول صوت انشقاقها في سمعهم وتمزقت وتفطرت لهول يوم القيامة من عظم يوم الطامة ثم ذابت حتى صارت مثل الفضة المذابة كما قال الجبار تبارك وتعالى (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) وقال (يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن) أي كالصوف المنفوش وهو أضعف الصوف وهبطت الملائكة من حافاتهما إلى الأرض بالتقديس لربها فتوهم انحسارهم من السماء لعظم أجسامهم وكثرة أخطارهم وهول أصواتهم وشدة فرقتهم من خوف ربهم فتوهم فزعك حينئذ وفزع الخلائق لنزولهم مخافة أن يكونوا قد أمروا بهم فأخذوا مصافهم محذقين بالخلائق منكسي رؤوسهم لعظيم هول يومهم قد تسربلوا أجنحتهم ونكسوا رؤوسهم بالذلة

(۱) رؤوسهم وجميع ذلك يعنيك أهل الموقف ينظرون إلى مراه انشقت بظلمتها فوق رؤوسهم

والخضوع لربهم وكذلك ملائكة كل سماء إلى السماء السابعة قد أضعف أهل كل سماء على أهل السماء الذين قبلهم في العدة وعظام الاجسام والأصوات حتى إذا وافى الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع كسيت الشمس حر عشر سنين ثم أدنيت من الخلائق قاب قوسين أو قوس فلا ظل ذلك اليوم إلا ظل عرش الرحمن فمن بين مستظل بظل العرش وبين مضع بحر الشمس قد صهرته واشتد فيها كربها وأقلقتهم وقد ازدحمت الأمم وتضابقت ودفع بعضها بعضا واختلقت الأقدام وانقطعت الأعناق من العطش قد اجتمع عليهم في مقامهم حر الشمس مع وهج أنفاسهم وتزاحم أجسامهم ففاض العرق منهم على وجه الأرض ثم على أقدامهم ثم على قدم مراتبهم ومنازلهم عند ربهم من السعادة والشقاء فمنهم من يبالغ العرق منكبيه وحقويه ومنهم إلى شحمة أذنيه ومنهم من قد ألجمه العرق فكاد أن يغيب فيه . قالت : ذكر المحاسبي وغيره أن انفطار السماء وانشقاقها بعد جمع الناس في الموقف وقد قدمنا أن ذلك يكون قبل ذلك وهو ظاهر القرآن كما ذكرنا والله أعلم . وقد جاء ذلك مرفوعا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقد تقدم وما ذكره المحاسبي مروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال : إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مدا لاديم وزيد في سعتها كذا وكذا وجمع الخلائق بصعيد واحد جنهم وإنسهم فإذا كان ذلك قبضت هذه السماء عن أهلها فينتشرون على وجه الأرض فلاهل السماء أكثر من أهل جميع الأرض جنهم وإنسهم بالضعف الحديث بطوله ذكره ابن المبارك في رقائقه . قال : أخبرنا عوف عن أبي المنهال سيار بن سلامة الرياحي قال أخبرنا شهر بن حوشب . قال : حدثني ابن عباس قد ذكره . قال ابن المبارك وأخبرني جوير عن الضمك قال : إذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشقت بأهلها فتكون الملائكة على حافاتهما حتى يأمرهم الرب فينزلون إلى الأرض فيحيطون بالأرض ومن فيها ثم يأمر السماء التي تليها فينزلون فيكونون صفا خلف ذلك الصف ثم السماء الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة فينزل الملك الأعلى في بهائه وجلاله وملكوته ويجنبتة اليسرى جهنم فيسمعون زفيرها وشهيقها فلا يأتون قطرا من أنطارها إلا وجدوا صفوا قياما من الملائكة

فذلك قوله تعالى (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) والسلطان العذر وذلك قوله عز وجل (وجاء ربك والملك صفاصفا وقال وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها) يعني على حافاتهما يعني بأرجائها ما تشقق منها فيينا هم كذلك إذ سمعوا الصوت فأقبلوا إلى الحساب . قلت ولا يصح إسنادهما فإن شهرا وجويرة قد تكلم فيهما وضعفوهما قال البخاري في التاريخ جويرة بن سعيد الباخي عن الضحاك قال لي علي قال يحيى كنت أعرف جويرة أبجديتين ثم أخرج هذه الأحاديث بعد فضعه وأما شهر فقال مسلم في صدر كتابه سئل ابن عوف عن حديث شهر وهو قائم على أسكفة الباب فقال إن شهرا نركوه إن شهرا نركوه قال مسلم يقول أخذته السنة الناس تكلموا فيه وقال عن شعبة وقد لقيت شهرا فلم أعتد به وذكر أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة نحو ما ذكر المحاسبي عن ابن عباس رضي الله عنه والضحاك فقال إن الخلائق إذا اجتمعوا في صعيد واحد الأولين والآخرين أمر الجليل جل جلاله بملائكة السماء الدنيا أن يتولواهم فيأخذ كل واحد منهم إنسانا وشخصا من المبعوثين إنسا وجنا ووحشا وطيرا وحولواهم إلى الأرض الثانية وهي أرض بيضاء من فضة نورية وصارت الملائكة من وراء العالمين حلقة واحدة فإذا هم أكثر من أهل الأرض بعشر مرات ثم إن الله سبحانه وتعالى يأمر ملائكة السماء الثانية فيحذقون بهم حلقة واحدة فإذا هم مثاهم عشرون مرة ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة فيحذقون من وراء الكل حلقة واحدة فإذا هم أكثر منهم ثلاثون ضعفا ثم تنزل ملائكة السماء الرابعة فيحذقون من وراء الكل حلقة واحدة أكثر منهم بأربعين ضعفا ، ثم تنزل ملائكة السماء الخامسة فيحذقون من وراءهم حلقة واحدة فيكونون مثلهم خمسين مرة ثم تنزل ملائكة السماء السادسة فيحذقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم ستون مرة ثم تنزل ملائكة السماء السابعة فيحذقون من وراء الكل حلقة واحدة وهم مثلهم سبعون مرة والخلق تتداخل وتندمج حتى يعلو القدم ألف قدم لشدة الزخام وتخوض الناس في العرق على أنواع مختلفة إلى الأذقان وإلى الصدر وإلى الحلقوم وإلى الركبتين ومنهم من يصيبه الرشح اليسير كالتقاعد في الحمام ومنهم من

تصيبه البلة كالعاطش إذا شرب الماء وكيف لا يكون الفلق والعرق والأرق وقد قربت الشمس من رؤوسهم حتى لو مد أحدهم يده لناولها ويضاعف حرها سبعين مرة وقال بعض السلف لو طلعت الشمس على الأرض كهيئتها يوم القيامة لأحرقت الأرض وذابت الصخر ونشفت الأنهار فبينما الخلائق يموجون في تلك الأرض البيضاء التي ذكر الله تعالى حيث يقول «يوم تبدل الأرض غير الأرض» وهم على أنواع في المحشر على ما تقدم في حديث معاذ والملوك كالذر كما قد ورد في الخبر في وصف المتكبرين وليس هم كهية الذر غير أن الأقدام عليهم حتى صاروا كالذر في منزلتهم وانخفاضهم وقوما يشربون ماء باردا عذبا صافيا لأن الصبيان يطوفون على آباتهم بكتوس من أنهار الجنة يسقونهم

وعن بعض السلف أنه نام فرأى القيامة قد قامت وكأنه في الموقف عطشان وصديان صفا يسقون الناس قال فناديتهم ناولوني شربة فقال لي واحد منهم الك فينا ولد فقلت لا فقال فلا إذا ولهذا فضل التزويج ولهذا الولد الساقى شروط ذكرناها في الأحياء وقوم قدموا على رؤوسهم ظل يمنعهم من الحر وهي الصدقة الطيبة لا يزالون كذلك ألف عام حتى إذا سمعوا نقر الناقر الذي وصفناه في كتاب الأحياء وهو من بعض أسرار القرآن فتوجل له القلوب وتخشع الأبصار لعظيم نقره وتشتاف الرؤوس من المؤمنين والكافرين يظنون أن ذلك عذاب يزدادهم في هول يوم القيامة فاذا بالعرش تحمله ثمانية أملاك قدم الملك منهم مسيرة عشرين ألف سنة وأفواج الملائكة وأنواع الغمام بأصوات التسليح لهم هرج عظيم لا تطيقه العقول حتى يستقر العرش في تلك الأرض البيضاء التي خلقها الله تعالى لهذا الشأن خاصة فتطرق الرؤوس وتخش وتشفق البرايا وترغب الأنبياء وتخاف العلماء وتفزع الأولياء والشهداء من عذاب الله سبحانه الذي لا يطيقه شيء إذ غشاهم نور حتى غلب على نور الشمس التي كانوا في حرها فلا يزالون يموج بعضهم في بعض ألف عام والجليل لا يكلمهم كلمة واحدة حينئذ يذهب الناس إلى آدم فيقولون يا أبا البشر الأمر علينا شديد وأما الكافر فيقول يارب أرخني ولو إلى النار من شدة ما يرى من الهول يقولون أنت الذي خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه

اشفع لنا في فصل القضاء وذكر أمر الشفاعة من نبي إلى نبي وان ما بين اتيانهم من نبي إلى نبي ألف عام حتى تنتهي الشفاعة إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على ما يأتي بيانه من أمر الشفاعة في أحاديث ان شاء الله تعالى ونحو من هذا ذكره الفقيه أبو بكر بن برجان في كتاب الارشاد له قال فاذا كان يومئذ جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد وكورت الشمس وانكدت النجوم ومارت السماء فوق الخلائق مورا وتفطرت من عظيم هول ذلك اليوم وتشققت بالغمام المنزل عاين من فوقهن ثم صارت وردة كالدهان وكشطن سماء سماء ونزلت الملائكة تنزيلا وقام الخلائق وطال قيامهم أقل ما قيل في قيامهم مقدار أربعين عاما إلى ثلثمائة عام وأي ما كان فالיום يسعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب إبل الحديث وفيه ردت عليه أولاهها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وسيأتي بكامله وهم في قيامهم ذلك في الظلة دون الجسر كما في صحيح مسلم من حديث ثوبان عراة غرلا أعطش ما كانوا أو أجوع ما كانوا عليه قط عراة فلا يسقى ذلك اليوم إلا من سقى الله عز وجل ولا يطعم إلا من أطعم الله ولا يكسى يومئذ إلا من كسى الله ولا يكفى إلا من أتكل على الله ومصداق هذا من كتاب الله عز وجل قوله الحق يوفون بالتندر إلى قوله تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم أي من إزالة الجوع والعطش والعري إلى غير ذلك من أهوال القيامة وأفزاعها على ما يأتي بيانه في هذا الباب الذي يليه .

أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي مارية عن عاصم عن أبي عثمان عن سلمان قال تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنى من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين قال فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة ثم يرتفع حتى يفرغ الرجل قال سلمان حتى يقول الرجل غرغرا إذا رأوا ما هم فيه قال بعضهم لبعض ألا ترون ما أنتم فيه اتوا أباكم آدم فيشفع لكم الحديث بطوله وسيأتي مرفوعا من حديث أبي هريرة وأخرجه ابن المبارك قال أنا سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان قال تدنى الشمس من الناس يوم القيامة حتى تكون من رؤوسهم قاب قوسين فتعطى حر عشر سنين وليس على أحد يومئذ طحرية ولا يرى فيها عورة مؤمن ولا مؤمنة ولا يضر حرها يومئذ مؤمنا ولا مؤمنة وأما الآخرون أو قال الكافر فتطبخهم طبخا فإنما تقول

أجوافهم غنق غنق قال نعيم الطاحريه الخرقه وأخرجه هناد بن السرى حدثنا قبيصة عن سفيان عن سليمان التيمي فذكره سواء إلا أنه قال ولا يجد حرها بدل ولا يضر وقال وأما الكافر أو الآخرون فتطبخهم طبخا حتى يسمع لأجوافهم غنق غنق .

مسلم عن سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود رضى الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل قال سليم بن عامر فوالله ما أدري ما يعنى بالميل أمسافة الأرض أو الميل الذى تكحل به العين قال فيكون الناس على قدر أعمالهم فى العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه إجماما قال وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه وأخرجه الترمذى وزاد بعد قوله تكحل به العين فتصهرم الشمس وذكر ابن المبارك أخبرنا مالك ابن مغول عن عبيد الله بن العيزار قال إن الأقدام يوم القيامة مثل النبل فى القرن والسعيد الذى يجد لقدميه موضعا يضعها عليه وإن الشمس تدنى من رؤوسهم حتى لا يكون بينها وبين رؤوسهم إما قال ميلا أو ميلين ثم يزداد فى حرها بضعة وستون ضعفا وعند الميزان ملك إذا وزن العبد نادى ألا إن فلان بن فلان قد ثقلت ميزانه وسعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ألا إن فلان بن فلان خفت موازينه وشقى شقاء لا يسعد بعده أبدا مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن العرق يوم القيامة لينهب فى الأرض سبعين باعا وإليه ليبلغ إلى أفواه الناس أو إلى آذانهم يشك ثورا يهما قال أخرجه البخارى وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يوم يقوم أحدهم فى رشفه إلى نصف أذنيه أخرجه البخارى والترمذى وقال حديث صحيح مرفوعا وموقوفاً وروى هناد بن السرى قال حدثنا محمد بن فضيل عن ضرار بن مرة عن عبد الله بن المكتب عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال له رجل إن أهل المدينة ليوفون الكيل يا أبا عبد الرحمن قال وما يفتنهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى (ويل للطففين حتى بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين) قال ان العرق ليبلغ أنصاف آذانهم من هول يوم القيامة وعظمه وخرج الوائلى من حديث

ابن وهب قال حدثني عبدالرحمن بن ميسرة عن أبي هانيء عن أبي عبدالرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بكم إذا جمعكم الله عز وجل كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم قال الوائلي غريب جيد الإسناد وقد خرج مسلم لابن وهب عن أبي هانيء نفسه عن الحبلي عن عبدالله أحاديث أن المبارك قال أخبرنا الأوزاعي قال سمعت بلال بن سعد يقول إن للناس يوم القيامة جولة وهو قوله عز وجل يقول الإنسان يومئذ أين المفر وقوله ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وفي حديث جويبر عن الضحاك فينزل الملك ومجنبتة اليسرى جهنم فيسمعون زفيرها وشهيقها فلا يأنون قطرا من أقطارها إلا وجدوا صفوفا قياما من الملائكة فذلك قوله يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان والسلطان العذر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خوفي جبريل يوم القيامة حتى أبكاني فقلت يا جبريل ألم يغفر لي ربي ذنبي ما تقدم وما تأخر فقال لي يا محمد لتشهدن من هول ذلك اليوم ما ينسيك المغفرة ذكره أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله

(فصل) قلت ظاهر ما رواه ابن المبارك عن سليمان أن الشمس لا يضر حرها مؤمن ولا مؤمنة العموم في المؤمنين وليس كذلك لحديث المقداد المذكور بعده وإنما المراد لا يضر حرها مؤمنا كامل الإيمان أو من استظل بظل عرش الرحمن كما في الحديث الصحيح سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الحديث رواه الأئمة مالك وغيره وسيأتي في الباب بعد هذا وكذلك ما جاء أن المرء في ظل صدقته وكذلك الأعمال الصالحة أصحابها في ظلها إن شاء الله وكل ذلك من ظل العرش والله أعلم وأما غير هؤلاء فتفاوتون في العرق على ما دل عليه حديث مسلم قال ابن العربي وكل واحد يقوم عرقه معه فيغرق فيه إلى أنصاف ساقيه وإلى جانبيه مثلا يمئة من يبلغ كعبيه ومن الجهة الشمال من يبلغ ركبتيه ومن أمامه من يكون عرقه إلى نصفه ومن خلفه من يبلغ العرق صدره وهذا خلاف المعتاد في الدنيا فإن الجماعة إذا وقفوا في الأرض المعتدلة أخذم الماء أخذا واحدا ولا يتفاوتون كما ذكرنا مع

استواء الأرض ومجاورة المحل وهذا من القدرة التي تخرق العادات في زمن الآيات وقال الفقيه أبو بكر بن برجان في كتاب الإرشاد له ولا يبعدن عليك هذا يرحمك الله أن يكون الناس كلهم في صعيد واحد وموقف سواء يشرب أحدهم أو بعضهم من الخوض ولا يشرب الغير ويكون النور يسعى بين يدي البعض في الظلمات مع قرب المسكان وازدحام الناس ويكون أحدهم يفرق في عرقه حتى يلجمه أو يبلغ منه عرقه ماشاء الله جزاء لسعيه في الدنيا والآخرة في ظل العرش على قرب المكان والمجاورة كذلك كانوا في الدنيا يمشى المؤمن بنور إيمانه في الناس والكافر في ظلام كفره والمؤمن في وقاية الله وكفايته والكافر والعاصي في خذلان الله لهما وعدم العصمة والمؤمن السني يكرع في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروي ببرد اليقين ويمشى في سبل الهداية بحسن الاقتداء والمبتدع عطشان إلى ماروي المؤمن به حيران لا يشعر سالك في مسالك ضلالات البدع وهو لا يدري كذلك في الوجود الأعمى لا يجد نور بصير البصير ولا ينفعه دواء إنما هي بواطن ظهرت وظواهر بطنت فتشعر لذلك وتفطن واستعن بالله يعنك والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وقال أبو حامد واعلم أن كل عرق لم يخرجته التعب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر بمعروف أو نهى عن منكر فسيخرجه الحياء والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم من الجهل والغرور لعلم أن تعب العارف في تحمل مصاعب الدنيا أهون أمرا واقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار في القيامة فإنه يوم عظيم شديد طويل مدته وذكر أبو نعيم عن أبي حازم أنه قال لو نادى مناد من السماء أمن أهل الأرض من دخول النار لحق عليهم الوجع من هول ذلك الموقف ومعاينة ذلك اليوم .

باب ما ينجي من أهوال يوم القيامة ومن كربها

مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة وذكر الحديث خرج الترمذي الحكيم في نوادر الأصول قال : حدثنا أبي رحمه الله قال

حدثنا عبد الله بن نافع قال حدثني ابن أبي قديك عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله
 عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال اني رأيت البارحة عجبا
 رأيت رجلا من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فردعنه ورأيت
 رجلا من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك ورأيت رجلا
 من أمتي قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم ورأيت رجلا من أمتي
 قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ورأيت رجلا من
 أمتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيامه فسقاه وأرواه ورأيت رجلا
 من أمتي والنيون تعود احلقا حلقا كلما دنا حلقة طردوه فجاءه اغتساله من الجنابة
 فأخذ بيده وأقعده بجني ورأيت رجلا من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة
 وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير فيها
 فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور ورأيت رجلا من أمتي
 يكلم المؤمنين فلا يكلموه فجاءته صلة الرحم فقالت يا معشر المؤمنين كملوه فكلوه
 ورأيت رجلا من أمتي يتقي شر النار ووجهها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت
 سترا على وجهه وظلا على رأسه ورأيت رجلا من أمتي قد أخذته الزبانية من كل
 مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخلاه مع
 ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من أمتي جائيا على ركبتيه بينه وبين الله حجاب فجاءه
 حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله ورأيت رجلا من أمتي قد هوت صحيفته من قبل
 شماله فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجاءها في يمينه ورأيت رجلا من أمتي قد خف
 ميزانه فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من أمتي قائما على شفير جهنم فجاءه وجهه
 من الله فاستنقذه من ذلك ومضى ورأيت رجلا من أمتي وهو في النار فجاءته دموعه
 التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار ورأيت رجلا من أمتي قائما
 على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدده ومضى ورأيت
 رجلا من أمتي على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا فجاءته صلاته فأخذت
 يده وأقامته ومضى على الصراط ورأيت رجلا من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة
 (أحيانا ويتعلق أحيانا فجاءته)

فعلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة قلت هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالاً خاصة تنجي من أهوال خاصة والله أعلم وقد ينجي منها كلها ما ثبت في صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسراً فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال قال الله عز وجل أنا أحق بذلك منك يتجاوزوا عن عبدي وخرج عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً مات فدخل الجنة فقيل له ما كنت تعمل فقال إني كنت أبايع الناس فكنت أنظر المعسر وأتجاوز في السكة أو في النقد ففقره فقال أبو مسعود رضي الله عنه وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم من طرق وخرجه البخاري وروى مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه أنه طلب غريباً له فتواري عنه ثم وجده فقال إني معسر قال الله فقال الله قال فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه وعن أبي اليسر واسمه كعب بن عمرو رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله خرجه مسلم وقال أنس بن مالك رضي الله عنه من انظر مديوناً فله بكل يوم عند الله وزن أحد ما لم يطلبه وروى الأئمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معاق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه معنى في ظله أي في ظل عرشه وقد جاء هكذا تفسيراً في الحديث وروى أبو هذبة إبراهيم بن هذبة قال حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ من أشبع جائعاً وكسى عرياناً وآوى مسافراً أعاده الله من أهوال يوم القيامة وخرج الطبراني سليمان بن أحمد عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقم أخاه لقمة حلواء صرف الله عنه مرارة المرقف يوم القيامة وفي التنزيل تحقيقاً لهذا

الباب وجامعا له قوله الحق يوفون بالنذر إلى قوله فو قام الله شر ذلك اليوم مع قوله إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا مع قوله في غير موضع بعد ذكر الأعمال الصالحة فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

باب

ذكر أبو نعيم الحافظ قال حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا أحمد بن يحيى بن خالد قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا مالك بن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة ولا الصوم ولا الحج ولا العمرة قال وما يكفرها يا رسول الله قال الهوم في طلب المعيشة قال أحمد بن يحيى فقلت كيف سمعت هذا من يحيى بن بكير فلم يسمعه أحد غيرك قال كنت عند يحيى جالسا فجاءه رجل فذكر ضعفه فقال قال ابن بكير حدثنا مالك فذكره .

باب في الشفاعة العامة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأهل المحشر

مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم يوما بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فهش منها نهشة فقال أبا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بم ذلك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنون الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس ألا ترون ما أنتم فيه ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس ليهض أئتموا آدم فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خالقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول آدم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ^(١) مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه نهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى

(١) اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح

الأتري مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم نوح إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لى دعوة دعوت بها على قومى نفسى نفسى اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبى الله وخليئه من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم إبراهيم إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وذكر كذباته نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالكه وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم موسى إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قتلت نفساً لم أوامر بقتلها نفسى نفسى اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمت الناس فى المهدي وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فيقول لهم عيسى إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتونى فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا فأنطلق فأتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد غيرى من قبلى ثم قال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول يا رب أمتى أمتى فيقال يا محمد ادخل الجنة من أمتك من لأحساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذى نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى وفى البخارى كما بين مكة وحير .

(فصل) هذه الشفاعة العامة التى خص بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من بين سائر الأنبياء هى المراد بقوله عليه السلام لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى رواه الأئمة البخارى ومسلم

وغيرهما وهذه الشفاعة العامة لأهل الموقف إنما هي لتعجيل حسابهم ويراوحوا من هول الموقف وهي الخاصة به ﷺ وقوله يا رب أمي أمي أمتي اهتمام بأمر أمتي وإظهار محبته فيهم وشفقته عليهم وقوله فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لأحساب عليه يدل على أنه شفع فيما طلب من تعجيل حساب أهل الموقف فإنه لما أمر بإدخال من لأحساب عليه من أمتي فقد شرع في حساب من عليه حساب من أمتي وغيرهم وكان طلبه هذه الشفاعة من الناس بإلهام من الله حتى يظهر في ذلك اليوم مقام نبيه صلى الله عليه وسلم المحمود الذي وعده ولئنك قال كل نبي لست لها لست لها حتى انتهى الأمر إلى محمد صلى الله عليه وسلم فقال أنا لها روى مسلم عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفي رواية فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا قال فيأتون آدم وذكر الحديث وذكر أبو حامد أن بين إتيانهم من آدم إلى نوح ألف عام وكذا بين كل نبي إلى محمد صلى الله عليه وسلم وذكر أيضا أن الناس في الموقف على طبقات مختلفة وأنواع متباينة بحسب جرائمهم كمنع الزكاة والغال والفاذر على ما يأتي بيانه وآخرون قد عظمت فروجهم وهي تسيل صديدا يتأذى بنتها جيرانهم وآخرون قد صلبوا على جذوع النيران وآخرون قد خرجت ألسنتهم على صدورهم أقبح ما يكون وهؤلاء المذكورون هم الزناة واللوطية والكاذبون وآخرون قد عظمت بطونهم كالجبال الرواسي وهم آكوا الربا وكلذى ذنب قد بدا سوء ذنبه قاله في كتاب كشف علوم الآخرة وذكر في آخر الكتاب أن الرسل يوم القيامة على المنابر والأنبياء والعلماء على منابر صغار دونهم ومنبر كل رسول على قدره والعلماء العاملون على كراسي من نور والشهداء والصالحون كقراء القرآن والمؤذنون على كئيبان من مسك وهذه الطائفة العاملة أصحاب الكراسي هم الذين يطلبون الشفاعة من آدم ونوح حتى ينتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الفقيه أبو بكر بن برجان في كتاب الإرشاد له ويلهم رهوس المحشر الطالب ممن يشفع لهم ويريحهم بما هم فيه وهم رؤساء أتباع الرسل فيكون ذلك

باب ماجاء أن هذه الشفاعة هي المقام المحمود

الترمذی عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا نخر ويدي لواء الحمد ولا نخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا نخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربك فيقول أنا أذنبت ذنبا فأهبطت به إلى الأرض أتتوا نوحا فيقول إنني دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ولكن اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول إنني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله ولكن اتتوا موسى فيأتون موسى فيقول إنني قد قتلت نفسا ولكن اتتوا عيسى فيقول إنني عبدت من دون الله ولكن اتتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأنطق معهم قال بن جدهان قال أنس فكأنني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأخذ بحلقه باب الجنة فأقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحبا فأخر ساجدا لله فيلهمني من الثناء والحمد فيقال لي ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله فيه عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال سفيان ليس عن أنس إلا هذه الكلمة فأخذ بحلقه باب الجنة فأقعقعها قال الترمذی حديث حسن وخرجه أبو داود الطيالسي بمعناه عن ابن عباس رضي الله عنه فقال حدثنا حماد ابن سلة قال حدثنا علي بن زيد عن أبي نضرة قال خطبنا ابن عباس على منبر البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي إلا وله دعوة كلهم قد تنجزها في الدنيا وإنني ادخرت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ألا وإنني سيد ولد آدم يوم القيامة ولا نخر وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا نخر ويدي لواء الحمد تحته آدم صلى الله عليه وسلم ومن دونه ولا نخر ويشد كرب ذلك اليوم على الناس فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر فيشفع لنا إلى ربنا عز وجل حتى يقضى بيننا الحديث وفيه فيأتون عيسى عليه السلام

فيقولون اشفع لنا إلى ربنا حتى يقضى بيننا فيقول إنى لست هنا كم إنى اتخذت وأمى الهين من دون الله ولكن أرايتم لو أن متاعا فى وعاء قد ختم عليه أكان يوصل إلى مافى الوعاء حتى يفيض الخاتم فيقولون لا فيقول إن محمدا صلى الله عليه وسلم قد خصه اليوم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتيني الناس فيقولون اشفع لنا إلى ربنا حتى يقضى بيننا فأقول أنا لها حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى فإذا أراد الله أن يقضى بين خلقه نادى مناد أين محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فأقوم وتتبعنى أمتى غمرا محجلين من أثر الطهور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن الآخرون الأولون وأول من يحاسب وتفرج لنا الأمم عن طريقنا وتقول الأمم كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها وذكر الحديث وفى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال إن الناس يصيرون يوم القيامة جثيا كل أمة تتبع نبيها تقول يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهى الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود وروى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا سئل عنها قال هى الشفاعة قال هذا حديث صحيح .

(فصل) قوله فيفزع الناس ثلاث فزعات إنما ذلك والله أعلم حين يؤتى بالبار تجر بأزمتها وذلك قبل العرض والحساب على الملك الديان فإذا نظرت إلى الخلائق فارت وثار وشهقت إلى الخلائق وزفرت نحوهم وتوثبت عليهم غضبا لغضب ربهم على ما بآنى بيانه فى كتاب النار إن شاء الله تعالى فتساقط الخلائق حينئذ على ركبهم جثاة حولها قد أسبلوا الدموع من أعينهم ونادى الظالمون بالويل والشبور . ثم تزفر الثانية فيزداد الرعب والخوف فى القلوب . ثم تزفر الثالثة فتساقط الخلائق لوجوههم ويشخصون بأبصارهم وهم ينظرون . من طرف خفى خوفاً أن تبلغهم أو يأخذهم حريقها أجارنا الله منها .

(فصل) واختلف الناس فى المقام المحمود على خمسة أقوال (الأول) أنه الشفاعة العامة للناس يوم القيامة كما تقدم قاله حذيفة بن اليمان وابن عمر رضى الله عنهم (الثانى) أنه أعطاه عليه السلام لواء الحمد يوم القيامة قلت : وهذا القول لا تنافى

بينه وبين الاول فإنه يكون بيده لواء الحمد ويشفع . وروى الترمذى عن أنس
 رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا اول الناس خروجاً إذا
 بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أبسوا لواء الحمد بيدي وأنا اكرم
 ولد آدم على ربي ولائخر . وفي رواية أنا اول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا قائمهم
 إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا أبسوا لواء الكرم بيدي
 وأنا اكرم ولد آدم على ربي يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ مكنون (الثالث)
 ما حكاه الطبرى عن فرقة منها مجاهد . أنها قالت : المقام المحمود هو أن يجلس الله محمداً
 صلى الله عليه وسلم معه على كرسية وروت في ذلك حديثاً قلت وهذا قول مرغوب عنه
 وإن صح الحديث فيناول على أنه يجلسه مع أبيائه وملائكته قال ابن عبد البر في كتاب
 التمهيد ومجاهد وإن كان أحد الأئمة بتأويل القرآن فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم
 أحدهما هذا والثانى فى تأويل قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال
 تذاظر الثواب ليس من النظر (الرابع) إخراج طائفة من النار روى مسلم عن يزيد
 الفقير قال كنت قد شغفنى رأى من رأى الخوارج فخرجنا فى عصاة ذوى عدد
 نريد الحج ثم نخرج على الناس فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله رضى الله
 عنه يحدث الناس أو القوم إلى سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 وإذا هو قد ذكر الجهنميين قال فقلت له يا صاحب رسول الله ما هذا الذى يحدثون
 والله تعالى يقول (ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيت) (وكلما أرادوا أن يخرجوا منها
 أعيدها فيها) فما هذا الذى تقولون فقال : أتقرأ القرآن قلت نعم قال فقال فهل سمعت
 بمقام محمد صلى الله عليه وسلم يعنى الذى يبعثه الله عز وجل فيه قلت نعم قال فإنه مقام
 محمد صلى الله عليه وسلم الذى يخرج الله به من يخرج وذكر الحديث وفى البخارى
 من حديث أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه وقد سمعته يقول
 فأخرج فأخرجهم وأدخلهم الجنة حتى ما يبق فى النار إلا من حبسه القرآن أى وجب عليه
 الخلود قال : ثم تلا هذه الآية (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) قال هو المقام
 المحمود الذى وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم (الخامس) ما روى أن مقامه المحمود
 شفاعته رابع أربعة وسياتى : (۱) أبسوا وأنا مبشرهم إذا أبسوا لواء

(فصل) إذا ثبت أن المقام المحمود هو أمر الشفاعة الذي يتدافعه الأنبياء عليهم السلام حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيشفع هذه الشفاعة العامة لأهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ليراحوا من هول موقفهم فاعلم أن العلماء اختلفوا في شفاعاته وكمى فقال النقاش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث شفاعات العامة وشفاعة في السبق إلى الجنة وشفاعة في أهل الكبائر وقال ابن عطية في تفسيره والمشهور أنهما شفاعتان فقط العامة وشفاعة في إخراج المذنبين من النار وهذه الشفاعة الثانية لا يتدافعها الأنبياء بل يشفعون ويشفع العلماء وقال القاضي عياض شفاعات نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة خمس شفاعات الأولى العامة الثانية إدخال قوم الجنة بغير حساب الثالثة في قوم من أمته استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم ومن شاء أن يشفع ويدخلون الجنة وهذه الشفاعة هي التي أنكرتها المبتدعة الخوارج والمعتزلة فمنعتها على أصولهم الفاسدة وهي الاستحقاق العقلي المبني على التحسين والتفويض الرابعة فيمن دخل النار من المذنبين فيخرج بشفاعة نبينا وغيره من الأنبياء والملائكة وإخوانهم من المؤمنين قلت وهذه الشفاعة أنكرتها المعتزلة أيضاً وإذا منعوها فيمن استوجب النار بذنبه وإن لم يدخلها فأحرى أن يمنعوها فيمن دخلها الخامسة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها وترقيتها قال القاضي عياض وهذه الشفاعة لا تنكرها المعتزلة ولا تنكر شفاعة الحشر الأول. قلت : وشفاعة سادسة لعمه أبي طالب في التخفيف عنه كما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه فان قيل فقد قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قيل له لا تنفع في الخروج من النار كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة

(فصل) واختلف العلماء هل يقع من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين بعد النبوة صفات من الذنوب يؤخذون بها ويعاتبون عليها ويشفقون على أنفسهم منها أم لا بعد اتفاقهم على أنهم معصومون من الكبائر ومن الصفات التي تزرى بفاعلها وتحط منزلته وتسقط مرواته إجماعاً عند الماضي أبي بكر وعند الأستاذ أبي بكر أن ذلك مقتضى دليل المعجزة وعند المعتزلة أن ذلك مقتضى دليل العقل على أصولهم فقال الطبري

وغيره من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين تقع الصفات منهم تخلافا للرافضة حيث قالوا إنهم معصومون من جميع ذلك كله واحتجوا بما وقع من ذلك في التنزيل وثبت من متصلهم من ذلك في الحديث وهذا ظاهر لا خفاء به وقال جمهور من الفقهاء من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي إنهم معصومون من الصفات كلها كعصمتهم من الكبائر لأننا أمرنا باتباعهم في أفعالهم وآثارهم وسيرهم أمرا مطلقاً من غير التزام قرينة فلو جوزنا عليهم الصفات لم يمكن الاقتداء بهم إذ ليس كل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القربة والإباحة والحظر أو المعصية ولا يصح أن يؤمر المرء بامتنال أمر لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا من الأصوليين قال الأستاذ أبو اسحاق الاسفرايني :
واختلفوا في الصفات والذي عليه الأكثر أن ذلك غير جائز عليهم ومال بعضهم إلى تجويزها ولا أصل لهذه المقالة . وقال بعض المتأخرين بمن ذهب إلى القول الأول والذي يذمى أن يقال إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها إليهم وعاتبهم عليها وأخبروا بها عن نفوسهم وتنصلوا منها واستغفروا منها وتابوا وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة لاتقبل التأويل بجنتها وإن قبل ذلك أحادها وكل ذلك مما لا يبرى بمناصبهم وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على جهة الدور وعلى جهة الخطأ والسيان أو تأويل دعا إلى ذلك فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات وفي حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم وعلو أقدارهم إذ قد يؤخذ الوزير بما يثاب عليه السائس فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة وهذا هو الحق ولقد أحسن الجنيد رضى الله عنه حيث قال : حسنات الأبرار سيئات المقربين فهم صلوات الله عليهم وسلامه وإن كانوا قد شهدت للنصوص بوقوع ذنوب منهم فلم يخل ذلك بمناصبهم ولا قدح في رتبهم بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه

باب

ذكر ابن المبارك قال أخبرنا رشدين بن سعد قال أخبرني عبد الرحمن بن زياد عن دخين الحجري عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديث الشفاعة وفيه يقول عيسى عليه السلام أدلكم على النبي الأمامي فيأتوني فيأذن الله لي أن أقوم فيثور مجلسي أطيب ريح شهما أحد حتى آتي ربي فيشفعني ويجعل لي نوراً من شعر رأسي إلى ظفر قدمي ثم يقول الكافر قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير إبليس هو الذي أضلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فإنك قد أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه أثن ربيع شمه أحد ثم يعظم لجهنم ويقول عند ذلك (وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم) الآية .

باب من أسعد الناس بشفاعة النبي

صلى الله عليه وسلم

البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة فقال لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه وروى زيد بن أرقم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة قيل يا رسول الله ما إخلصها قال أن تجزئه عن محارم الله خرجه الترمذي الحكيم في نوادر الأصول

باب ما جاء في تطاير الصحف عند العرض والحساب
وإعطاء الكتب باليمين والشمال ومن أول من يأخذ كتابه بيمينه من هذه
الامة وفي كيفية وقوفهم للحساب وما يقبل منهم من الاعمال
وفي دعائهم بأسماء آباؤهم وبيان قوله تعالى يوم تدعوا كل اناس
بإمامهم وفي تعظيم خلق الإنسان الذي يدخل
به النار أو الجنان وذكر القاضي العدل
ومن نوقش عذب

قال الترمذی وروی عن عمر بن الخطاب رضی الله عنه قال حاسبوا أنفسكم قبل
أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر وإنما يخف الحساب على من حاسب نفسه في
الدنيا وقال عطاء الخراساني يحاسب العبد يوم القيامة عند معارفه ليكون أشد عليه
ذكره أبو نعیم البخاری عن عائشة رضی الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من حوسب يوم القيامة عذب قالت فقلت يا رسول الله أليس قد قال الله
فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال ليس ذلك الحساب
إنما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب أخرجه مسلم والترمذی ،
وقال حديث حسن أبو داود الطيالسي قال حدثنا عمر بن العلاء الشكري قال حدثني
صالح بن نرج عن عمران بن حطان قال سمعت عائشة رضی الله عنها تقول وذكر عندها
القضاة فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضى العدل يوم
القيامة فيأتى من شدة الحساب ما يتهنى أنه لم يقض بين اثنين في تمرة قط الترمذی عن
الحسن عن أبي هريرة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس
يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان لجدال ومعاذير فعند ذلك تطاير الصحف في
الأيدي فأخذ بيمينه وأخذ بشماله قال أبو عيسى ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن
لم يسمع من أبي هريرة رضی الله عنه وقد رواه بعضهم عن علي بن علي الرفاعي عن الحسن
عن أبي موسى عن النبي ﷺ قلت قوله وقد رواه بعضهم هو وكيع بن الجراح ذكره
ابن ماجه قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا وكيع عن علي بن علي فذكره

قال الترمذی وتكلم يحيى بن سعيد القطان في علي بن علي وخرجه أبو بكر البزار أيضا عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجبال وأما الثالثة فتطير الكتب يمينا وشمالا وذكره الترمذی الحكيم في الأصل السادس والثمانين قال فروى لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الناس يعرضون ثلاث عرضات يوم القيامة فأما عرضتان لجبال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فتطير الصحف فالجبال للاهواء يجادلون لأنهم لا يعرفون ربهم فيظنون أنهم إذا جادلوه نجوا وقامت حججهم والمعاذير لله تعالى يعتذر الكريم إلى آدم وإلى أنبيائه ويقيم حججه عندهم على الأعداء ثم يبعثهم إلى النار فإنه يجب أن يكون عذره عند أنبيائه وأوليائه ظاهرا حتى لا تأخذهم الحيرة ولذلك قيل عن رسول الله عليه وسلم لا أحد أحب إليه المدح من الله ولا أحد أحب إليه العذر من الله والعرضة الثالثة للدؤمنين وهو العرض الآكبر يخلو بهم فيعاتبهم في تلك الحلوات من يريد أن يعاتبه حتى يذوق وبال الحياء ويرفض عرقا بين يديه ويفيض العرق منهم على أقدامهم من شدة الحياء ثم يغفر لهم ويرضى عنهم وذكر أبو جعفر العقيلي من حديث نعيم بن سالم عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكتب كلها تحت العرش فإذا كان الموقف بعث الله ريحا فيطيرها بالآيمان والشمال أول خط فيها اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت ذكرت النار فبكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقالت ذكرت النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة فقال أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحد عند الميزان حتى يعلم أنخف ميزانه أم ثقل وعند تطير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم حتى يجوز وذكر أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من يعطى كتابه يمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وله شعاع كشعاع الشمس فقيل له أين يكون أبو بكر يا رسول الله قال هيات زفته الملائكة إلى الجنان وخرج الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن منده في كتاب

التوحيد له عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تبارك وتعالى ينادى يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع يا عبادى لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون أحضروا حجتكم ويسروا جوابكم فإنكم مسئولون محاسبون يا ملائكتى أقيموا عبادى صفوفاً على أطراف أنامل أقدامهم للحساب وأسند عن سمرة بن عطية قال يؤتى بالرجل يوم القيامة للحساب وفي صحيفته أمن الحسنات أمثال الجبال فيقول رب العزة تبارك وتعالى صليت يوم كذا وكذا ليقال فلان صلى أنا الله لا إله إلا أنا إلى الدين الخالص صمت يوم كذا وكذا ليقال صام فلان أنا الله لا إله إلا أنا إلى الدين الخالص تصدقت يوم كذا وكذا ليقال تصدق فلان أنا الله لا إله إلا أنا إلى الدين الخالص فما زال يمحي شيء بعد شيء حتى تبقى صحيفته ما فيها شيء فيقول ملكاه أغير الله كنت تعمل قلت ومثل هذا لا يقال من جهة الراى فهو مرفوع وقد رفع معناه الدارقطنى فى سننه من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاء يوم القيامة بصحف محتومة فتنصب بين يدى الله عز وجل فيقول الله تعالى ألقوا هذا ألقوا هذا فتقول الملائكة وعزتك ما رأينا إلا خيراً فيقول الله عز وجل وهو أعلم إن هذا كان لغيرى ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أبتغى به وجهى خرجه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه بمعناه على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم قال يدعى أحدهم فيعطى كتابه يمينه ويمد له فى جسمه ستون ذراعاً ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعد فيقولون اللهم آتنا بهذا وبارك لنا فى هذا حتى يأتهم ويقول أبشروا كل واحدكم بهذا قال وأما الكافر فيسود وجهه ويمد فى جسمه ستون ذراعاً على صورة آدم ويلبس تاجاً من نار فيراه أصحابه فيقولون تعوذ بالله من شر هذا اللهم لا تأتنا بهذا قال فيأتهم فيقولون اللهم اخزه فيقول أبعدم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وروى أن عيسى عليه

حضرت
السلام مر بقبر فوكزه برجله وقال يا صاحب هذا القبر قم بإذن الله فقام إليه رجل
وقال يا روح الله ما الذي أردت فإني لقائم في الحساب منذ سبعين سنة حتى أتني
الصيحة الساعة أن أجب روح الله فقال عيسى يا هذا لقد كنت كثير الذنوب والخطايا
ما كان عمك فقال والله يا روح الله ما كنت إلا حطابا أحمل الحطب على رأسي
أكل حلالا وأتصدق فقال عيسى يا سبحان الله حطابا يحمل الحطب على رأسه
يا كل حلالا ويتصدق وهو قائم في الحساب منذ سبعين سنة ثم قال له يا روح الله كان
من توبيخ ربي لي أن قال اكتراك عبدى لتحمل له حزمة فأخذت منها عودا
فتخلت به وألقيته في غير مكانه امتناناً منك بي وأنت تعلم أني أنا الله المطلع
عليك وأراك .

(فصل) قال الله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه قال الزجاج ذكر
العنق عبارة عن الزوم كزوم الفلادة للعنق وقال ابراهيم بن آدم كل آدمي في عنقه
فلادة يكتب فيها نسخة عمله فإذا مات طويت وإذا بعث نشرت وقيل له اقرأ
كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال ابن عباس رضى الله عنه طائره عمله
ونخرج له يوم القيامة كتابا ياقاه منشورا اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك
حسبنا قال الحسن يقرأ الإنسان كتابه أميا كان أو غير أمي وقال أبو السوار
العدوى وقرأ هذه الآية وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه فالهما نشرتان وطية
أما ما حيت يا ابن آدم فصحيفتك المنشورة فأمل فيها ما شئت فإذا مات طويت
حتى إذا بعثت نشرت اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسبنا فإذا وقف الناس على
أعمالهم من الصحف التي يؤتونها بعد البعث حوسبوا بها قال الله تعالى فأما من أوتى كتابه
يمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا فدل على أن المحاسبة تكون عند إتيان الكتب
لأن الناس إذا بعثوا لا يكونون ذاكرين لأعمالهم قال الله تعالى يوم نبعثهم جميعا
فنبشهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه وقد تقدم القول في محاسبة الله تعالى لخلقه في
يوم الحساب من أسماء القيامة فإذا بعثوا من قبورهم إلى الموقف وقاموا فيه
ما شاء الله تعالى على ما تقدم حفاة عراة وجاء وقت الحساب الذي يريد الله أن
يحاسبهم فيه أمر بالكتب التي كتبها الكرام الكاتبون بذكر أعمال الناس فأوتوها

فمنهم من يؤتى كتابه يمينه فأولئك هم السعداء ومنهم من يؤتى كتابه بشماله أو وراء ظهره وهم الأشقياء فعند ذلك يقرأ كل كتاب به وأنشدوا :

مثل وقوفك يوم العرض عريانا مستوحشا قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظ ومن حنق على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدى على مهل فهل ترى فيه حرفا غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته اقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل خذوه يا ملائكتى وامضوا بعد عصا للنار عطشانا
المشركون غمًا فى النار يلهبوا والمؤمنون بدار الخلد سكانا

فتوم نفسك يا أخى إذا تطايرت الكتب ونصبت الموازين وقد نوديت
باسمك على رؤوس الخلائق أين فلان بن فلان هلم إلى العرض على الله تعالى وقد
وكلت الملائكة بأخذك فقربتك إلى الله لا يمنعها اشتباه الأسماء باسمك واسم أهلك
إذ عرفت أنك المراد بالدعاء إذ قرع النداء قلبك فعلت أنك المطلوب فارتعدت
فرائصك واضطربت جوارحك وتغير لونك وطار قلبك تخطى بك الصفوف إلى
ربك للعرض عليه والوقوف بين يديه وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم وأنت فى
أيديهم وقد طار قلبك واشتد رعبك لعلك أين يراد بك فتوم نفسك وأنت بين
يدى ربك فى يدك صحيفة مخبرة بعملك لاتفادر بلية كتمتها ولا غبأة أسررتها وأنت
تقرأ ما فيها بلسان كليل وقلب منكسر والأهوال محدقة بك من بين يديك ومن
خلفك فكم من بلية قد كنت نسيتهذا ذكر كها وكم من سيئة قد كنت أخفيتها قد أظهرها
وأبداها وكم من عمل ظننت أنه سلم لك وخلص فرده عليك فى ذلك الموقف وأحبطه
بعد أن كان أملك فيه عظيما فياحسرة قلبك ويا أسفك على ما فرطت فيه من طاعة
ربك فأما من أوتى كتابه يمينه فعلم أنه من أهل الجنة فيقول هاؤم اقرأ كتابه
وذلك حين يأذن الله فيقرأ كتابه فإذا كان الرجل رأسا فى الخير يدعو إليه ويأمر به
ويكثر تبعه عليه دعى باسمه واسم أبيه فيتقدم حتى إذا دنى أخرج له كتاب أبيض^(۱)
فى باطنه السيئات وفى ظاهره الحسنات فيبدأ بالسيئات فيقرأها فيشفق ويصفر

كتاب أبيض بخط أبيض

وجبه ويتغير لونه **فإنما** بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه سيئاتك وقد غفرت لك فيفرح عند ذلك فرحاً شديداً ثم يقلب كتابه فيقرأ حسناته فلا يزداد إلا فرحاً حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك قد وضعت لك فيبيض وجهه ويؤتى بتاج فيوضع على رأسه ويكسى حلتين ويحلى كل مفصل فيسه ويطول ستين ذراعاً وهي قامة آدم ويقال له انطلق إلى أصحابك فبشرهم وأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا فإذا أدبر قال هاؤم أقرؤا كتابيه إنى ظننت أنى ملاق حسابه قال الله تعالى فهو في عيشة راضية، أى مرضية قد رضىها وفى جنة عالية، فى السماء وقطوفها، ثمارها وعناقيدها، دائية، أدنيت منهم فيقول لأصحابه هل تعرفون فيقولون قد غفرتك كرامة الله من أنت فيقول أنا فلان بن فلان ايشركل رجل منكم بمثل هذا وكلا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية، أى قدمتم فى أيام الدنيا وإذا كان الرجل رأساً فى الشر يدعوا اليه ويأمر به فيكثر تبعه عليه ونودى باسمه واسم أبيه فيتقدم إلى حسابه فيخرج له كتاب أسود بخط أسود فى باطنه الحسنات وفى ظاهره السيئات فيبدأ بالحسنات فيقرؤها ويظن أنه سينجو فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك وقد ردت عليك فى سود وجهه ويعلوه الحزن ويقنط من الخير ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته فلا يزداد إلا حزناً ولا يزداد وجهه إلا سواداً فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه سيئاتك وقد وضعت عليك أى يضاعف عليه العذاب ليس المعنى أنه يزداد عليه ما لم يعمل قال فيعظم إلى النار وتزرق عيناه ويسود وجهه ويكسى سراويل القطران ويقال له انطلق إلى أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا فينطق وهو يقول يا ليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابه يا ليتها كانت الفاضية يعنى الموت ملك عنى سلطانيه تفسير ابن عباس رضى الله عنهما هلكت عنى حجتي قال الله تعالى خذوه فقلوه ثم الجحيم صلوه أى اجعلوه يصل الجحيم ثم فى سلسلة ذرعتها سبعون ذراعاً فاسلكوه الله أعلم بأى ذراع قال الحسن وقال ابن عباس رضى الله عنهما سبعون ذراعاً بذراع الملك وسيأتى فى كتاب النار لهذا السلسلة مزيد بيان فاسلكوه فيها أى تدخل فى فيه حتى تخرج من دبره قاله الكلبي وقيل بالعكس وقيل يدخل عنقه فيها ثم يجربها ولو أن حلقة منها وضعت على جبل لذاب

(۱۷ - تذكرة)

فينادى أصحابه فيقول هل تعرفوني فيقولون لا ولكن قد نرى ما بك من الحزن فن أنت فيقول أنا فلان بن فلان لكل إنسان منكم مثل هذا ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره تخلع كنفه اليسرى فيجعل يده خلفه فيأخذ بها كتابه وقال مجاهد تحول وجهه في موضع قفاه فيقرأ كتابه لذلك فتوم نفسك ان كنت من السعداء وقد خرجت على الخلائق مسرور الوجه قد حل بك الكمان والحسن والجمال كتابك في يمينك أخذ بضميكت ملك ينادى على رهوس الخلائق هذا فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإما ان كنت من أهل الشقاوة فيسود وجهك وتتخطى الخلائق كتابك في شمالك أو من وراء ظهرك تنادى بالويل والثبور وملك أخذ بضميكت ينادى على رهوس الخلائق إلا أن فلان بن فلان شقى شقاوة لا يسعد بعدها أبدا قلت قوله إلا إن فلان بن فلان دليل على أن الإنسان يدعى في الآخرة باسمه واسم أبيه وقد جاء صريحا من حديث أبي الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسمائكم خروجه أبو نعيم الحافظ قال لى أبو عمر بن حمدان قال حدثنا الحسن بن سفيان قال حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا هشيم عن دارد بن عمرو عن عبد الله بن أبي زكريا عن أبي الدرداء قد كره .

باب في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه

الترمذى عن أبي غالب قال رأى أبو أمامة رؤسا منصوبة على برج دمشق فقال أبو أمامة كلاب النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه إلى آخر الآية فقلت لأبي أمامة الباهلى أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثا حتى عد سبعا ما حدثكموه قال هذا حديث حسن ، وخرج أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب عن مالك بن سليم الهروى أخى غسان عن مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال يعنى تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة وقال مالك بن أنس رضى الله عنه هى فى أهل الأهواء وقال الحسن هى فى المنافقين وقال قتادة

في المرتدين وقال أبو بن كعب هي في الكفار وهو اختيار الطبري اللهم بيض
وجوهنا يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجوهنا يوم تسود وجوه أعدائك
بحق رسلك وأنيبتك وأعفياك بفضلك يا ذا الفضل العظيم وكرمك يا كريم .

باب في قوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الآية
ابن المبارك قال أخبرنا الحكم أو أبو لحكم شكر نعيم عن اسماعيل بن
عبد الرحمن عن رجل من بني أسد قال قال عمر لكعب ويحك يا كعب حدثنا من
حديث الآخرة قال نعيم يا أمير المؤمنين إذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ فلم
يبق أحد من الخلائق إلا وهو ينظر إلى عمله قال ثم يؤتى بالصحف التي فيها أعمال
العباد فتنشر حول العرش وذلك قوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين
مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها
قال الأسدى الصغيرة مادون الشرك والكبيرة الشرك إلا أحصاها ، قال كعب ثم
يدعى المؤمن فيعطى كتابه بيمينه فينظر فيه لحسناته باديات للناس وهو يقرأ
سيئاته فذكر معنى ما تقدم وكان الفضل بن عياض إذا قرأ هذه الآية يقول يا ويلتنا
ضجوا إلى الله من الصغائر قبل الكبائر قال ابن عباس رضى الله عنه الصغيرة التسم
والكبيرة الضحك يعنى ما كان من ذلك في معصية الله وقد روى أن النبي صلى الله عليه
وسلم ضرب بصغائر الذنوب مثلاً فقال إنما محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بفلاة
من الأرض وحضر صنيع القوم فانطلق كل رجل منهم يحطب فجعل الرجل يحمى
بالعود والآخر بالعودين حتى جمعوا سوادا وأججوا نارا فثبوا خبزهم وأن الذنب
الصغير يجتمع على صاحبه فيهلكه إلا أن يغفر الله واتقوا محقرات الذنوب فإن لها
من الله طالبا أنبأنا الشيخان أبو محمد عبد لوهاب الفرشى والإمام أبو الحسين
الشافعى قال أخبرنا السافى قال أخبرنا النعمى أخبرنا أبو ظاهر محمد بن يحيى الزيادى
أملاء بنيسابور قال أخبرنا حاجب بن أحمد الطوسى قال أخبرنا محمد بن حماد لايبوردى
قال أخبرنا أنس بن عياض اللبى عن أنى حازم لاأعله إلا عن سهل بن سعد
رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إياكم ومحقرات الذنوب فإن

مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد لجاها ذا يعود ورجاء ذا يعود حتى جمعوا ما أنضبوا به خبزهم وإن محقرات الذنوب هي يؤخذ بها صاحبها تهلكه غريب من حديث أبي حازم سلة بن دينار تفرد به عنه أبو حمزة أنس بن عياض اللبني ولقد أحسن القائل :

خل الذنوب صغيرها وكبيرها هاذك التي

واصنع كمش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وقال جماعة من العلماء إن الذنوب كلها كبار قال بعضهم لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر من عصيت فهي من حيث المخالفة كبار والصحيح أن فيها صغائر وكبار ليس هذا موضع الكلام في ذلك وقد بيناه في سورة النساء في كتاب جامع أحكام القرآن والله أعلم .

باب ما يسأل عنه العبد وكيفية السؤال

قال الله تعالى إن السمع والبصر والأنف والأذن والجلود أولئك كان عنه مسئولاً ، وقال سبحانه يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل بل تأكلوا بأحسن ما لكم في حلال ما خلق الله لكم من نفسه طيباً ما كرم الله عليه ولما علمتوه وقال فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره أي يسأل عن ذلك ويجازى عليه والآيات في هذا المعنى كثيرة وقال سبحانه لتسئلن يومئذ عن النعيم .

الترمذي عن أنى هريرة رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الناس يا رسول الله عن أى نعيم نسال فأناهما الأسودان والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا قال ان ذلك سيكون وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول ما يسأل عنه يوم القيامة يعنى العبد أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونزويك من الماء البارد قال الترمذي حديث غريب وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث الأعشى عن أبي وائل شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يخطو خطوة إلا سئل عنها ما أراد بها .

مسلم عن أبي برزة الأسلمي رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن عمله ما عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه خرجه الترمذى وقال فيه حديث حسن صحيح ورواه عن ابن عمر عن ابن مسعود رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال فيه حديث غريب لا أعرفه إلا من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من حديث الحسين بن قيس والحسين يضعف في الحديث وفي الباب عن أبي برزة وأبي سعيد قلت ومعاذ بن جبل أخبرنا الشيوخ الراوية أبو محمد عبد الوهاب بئر الاسكندرية قراءة عليه قال قرأ على البيهقي وأنا أسمع قال حدثنا الحاجب أبو الحسن علي بن محمد بن علي العلاف ببغداد سنة أربع وسبعين وأربعمائة قال أخبرنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران المعدل قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى بمكة في شوال سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة أخبرنا أبو سعيد الفضل بن محمد الجندى ليلا في المسجد الحرام سنة تسع وتسعين ومائتين قال أخبرنا صامت بن معاذ الجندى أخبرنا عبد الحميد عن صفيان بن سعيد الثوري عن صفوان بن سليم عن عدي عن الصالحى عن معاذ بن جبل رضى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن عمله ماذا عمل فيه وخرج الطبرانى أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب أخبرنا أحمد بن خالد الحافى أخبرنا يوسف بن يونس الألفطس أخبرنا سليمان بن بلال عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن عمله .

مسلم عن صفوان بن محرز قال: قال رجل لابن عمر رضى الله عنه كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى قال سمعته يقول يدنى المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كفه فيقرره بذنوبه فيقول تعرف هل فيقول رب أعرف قار فيقول انى سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم قال فيعطى صحيفة حسناته وأما الكفار والمنافقون

فينادى بهم على رمس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله أخرجه البخارى وقال
 فى آخره هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين وروى من حديث
 على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان
 يوم القيامة خلا الله عز وجل بعبد المؤمن يوقفه على ذنوبه ذنبا ذنباً ثم يقفر الله
 له لا يطلع على ذلك منك . تقرب ولا نبى مرسل وستر عليه من ذنوبه ما يكرهه أن
 يقف عليها ثم يقول لسيئاته كوني حسنة .

قال المؤلف : أخرجه مسلم بمعناه وسيأتى آنفاً إن شاء الله تعالى . وأخرج أبو القاسم
 إسحاق بن إبراهيم الحنظلى فى كتاب الديباج له . حدثنا هارون بن عبد الله قال :
 حدثنا سيار قال حدثنا جعفر قال حدثنا أبو عمران الجونى عن أبي هريرة رضى الله عنه
 قال يدنى الله العبد منه يوم القيامة ويضع عليه كنفه فيستره من الخلائق كلها ويدفع إليه
 كتابه فى ذلك السر فيقول له اقرأ يا ابن آدم كتابك قال : فيمر بالحسنة فيبيض لها
 وجهه ويمر بالسيئة فيسود لها وجهه قال فيقول الله تعالى له أتعرف يا عبدى قال
 فيقول نعم يا رب أعرف قال فيقول إني أعرف بها منك قد غفرتها لك قال فلا
 تزال حسنة تقبل فيسجد وسيئة تغفر فيسجد فلا يرى الخلائق منه إلا ذلك حتى
 ينادى الخلائق بعضها بعضاً طوبى لهذا العبد الذى لم يهص تط ولا يدرون ما قد اتقى
 فيما بينه وبين الله تعالى مما قد وقفه عليه قالت : أخبرنا الشيخ الراوية القرشى
 عبد الوهاب قراءة عليه بغير الإسكندرية حماه الله قال قرىء على الحافظ السافى
 وأنا أسمع . قال حدثنا الحاجب أبو الحسن بن الملاء ، وقال أخبرنا أبو القاسم
 ابن بشران أخبرنا الآجرى حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن موسى السونى
 حدثنا أحمد بن أبى رجاء المصيصو ، حدثنا وكيع بن الجراح ، حدثنا الأعمش
 عن المعرور بن سويد ، عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال أعرضوا عليه صفار ذنوبه وتخبأ كبارها
 فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا ثلاث مرات قال وهو يقر ليس ينكر قال :
 وهو مشفق من الكبائر أن تجيء قال فإذا أراد الله به خيراً قال اعطوه . كان كل

سنة حسنة فيقول حين طمع يارب إن لي ذنوباً ما رأيتها ما هنا قال : فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه . ثم تلى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) أخرجه مسلم في صحيحه عن محمد بن عبد الله بن نعيم قال حدثنا الأعمش فذكره .

(فصل) قوله لا تزول قدم عبد حتى يسأل : عام لأنه لا تنكرة في سياق النفي لكنه مخصوص بقوله عليه السلام يدخل الجنة من أتى سبعون ألفاً بغير حساب على ما يأتي . وبقوله تعالى : محمد عليه السلام أدخل الجنة من أمرك من لا حساب عليه من الباب الأيمن وقد تقدم الحديث . وبقوله تعالى : (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام) قوله عليه السلام وعن عمله ما عمل فيه . قلت : هذا مقام مخوف لأنه لم يقل وعن عمله ما قال فيه وإنما قال ما عمل فيه فلينظر العبد ما عمل فيما عمله هل صدق الله في ذلك وأخلصه حتى يدخل فيمن أتى الله عليه بقوله : (أولئك الذين صدقوا) أو خائف عليه بفعله فيدخل في قوله تعالى (يخاف من بعدهم خائف ورثوا الكتاب) الآية وقوله تعالى (أنأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب) وقوله (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون والأخبار بهذا المعنى كثيرة وسيأتي ذكرها في أبواب النار إن شاء الله تعالى قوله حتى يضع عليه كنفه أي ستره ولطفه وإكرامه فيخاطب بخاطب الملاطفة وبناجية مناجاة المصافاة والمحادثة فيقول هل تعرف فيقول رب أعرف فيقول الله تعالى بممتنا عليه ومظهر أفضله لديه فإني قد سترتها عليك في الدنيا أي لم أفضحك بها فيها وأنا أغفرها لك اليوم ثم قيل هذه ذنوب تاب منها كما ذكره أبو نعيم عن الأوزاعي عن هلال بن سعد قال : إن الله يغفر الذنوب ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقفه عليها يوم القيامة وإن تاب منها .

قال المؤلف ولا يعارض هذا ما في التنزيل والحديث من أن السيئات تبدل بالتوبة حسنات فلعل ذلك يكون بعد ما يوقفه عليها والله أعلم . وقيل في صفات

اقتربها وقيل كباثر بينه وبين الله تعالى اجترحها وأما ما كان بينه وبين العباد فلا بد فيها من العصاة بالحسنات والسيئات على ما أتى وقيل ما خطر بقلبه ما لم يكن في وسعه ويدخل تحت كسبه ويثبت في نفسه وإن لم يعمله وهذا اختيار الطبري والنحاس وغير واحد من العلماء جعلوا الحديث مفسراً لقراءته تعالى (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) فتكون الآية على هذا محكمة غير منسوخة والله أعلم . وقد بينا في كتاب جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن والحمد لله وروى عن ابن مسعود أنه قال **ما ستر الله على ستر الله عليه في الآخرة وهذا ما خوذ من حديث النجوى ومن قوله عليه السلام لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة خرجه مسلم . وفي صحيح مسلم أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة وروى من ستر على مسلم عورته ستر الله عورته يوم القيامة قال أبو حامد فهذا إنما يرجوه عبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذكر مساويء الناس ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لولاهم وهذا الجدير بأن يجازى بمثله في القيامة .**

(فصل) وفي قوله سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم نص منه تعالى على صحة قول أهل السنة في ترك انفاذ الوعيد على العصاة من المؤمنين والعرب تفتخر بخلف الوعيد حتى قال قائلهم

ولا يرهب ابن المتهدد ما عشت صوتي ولا أختشى من روعة المتهددي
ولاني متى أوعدته أو وعدته لخلف إبعادي ومنجز موعددي

قال ابن العربي إنه كذلك عند العرب وأما ملك الملوك القدوس الصادق فلا يقع أبداً خبره إلا على وفق مخبره كان ثواباً أو عقاباً فالذي قال المحققون في ذلك قول بديع وهو أن الآيات وقعت مطلقة في الوعد والوعيد عامة تخصصتها الشريعة وبينها الباري تعالى في كتابه في آيات أخر كتوله ، إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وقوله تعالى وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ،

الآية وكقوله تعالى وحم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو ، وبالشفاعة التي أكرم الله بها محمدا صلى الله عليه وسلم ومن شاء من الخلق من بعده .

باب ماجاء أن الله تعالى يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان

مسلم عن عدى بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أيسر منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة زاد ابن حجر قال الأعمش وحدثني عمرو بن مرة عن خيشمة عن عدى مثله وزاد فيه ولو بكلمة طيبة أخرجه البخاري والترمذي وقال حديث حسن صحيح .

ابن المبارك قال أخبرنا إسماعيل بن مسلم عن الحسن وقتادة عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول له أعطيتك وخولك وأنعمت عليك فإذا صنعت فيقول يارب جمته وثمرته فتركته أكثر ما كان فارجمني آنيك به فيقول الله تعالى أرني ما قدمت فيقول يارب جمته وثمرته فتركته أكثر ما كان فارجمني آنيك به فيقول فإذا عبد لم يقدم خيرا فيمضى به إلى النار أخرجه ابن العربي في سراج المرئيين وزاد فيه بعد قوله كأنه بدوج وقال فيه حديث صحيح من مراسل الحسن وقال الهروي كأنه بدوج من الذل. قال أبو عبيد هو ولد الضان وجمعه بدجان . وقال الجوهرى البدوج من الضان بمنزلة العتود من أولاد المعز وأنشدوا :

(۱) كأنه بدج مراسيل

قد هلكت جارتنا من الهمج وإن تجع تأكل عتوداً أو بدج

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : وقوله ما منكم من أحد مخصوص بما ذكرناه في الباب قبل أي ما منكم ممن لا يدخل الجنة بغير حساب من أمي إلا وسيكلمه الله والله أعلم فتفكر في عظيم حياتك إذا ذكرك ذنوبك شقاها إذ يقول يا عبدي أما استحييت مني فنبارزني بالقبيح واستحييت من خلقي فأظهرت لهم الجليل أكنت

أهون عليك من سائر عبادي استخففت بنظري اليك فلم تكترث به واستعظمت
نظر غيري ألم أنعم عليك فماذا غرك بي . وعن ابن مسعود قال ما منكم من أحد
إلا سيخلوا الله به كما يخلوا أحدكم بالقمر ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم
ماذا عمات فيما علبت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين يا ابن آدم ألم أكن رقيبا على
عينيك وأنت تنظو بهما إلى ما لا يحل لك ألم أكن رقيبا على أذنك وهكذا عن سائر الأعضاء
فكيف ترى حياك وخجلك وهو يعد عليك إنعامه ومعاميك وأياديه ومساويك
فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك فنعوذ بالله من الافتضاح على ملا الخلق بشهادة
الأعضاء إلا أن الله وعد المؤمن أن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره كما ذكرنا وذلك
بفضل منه . وهل يكلم الكفار عند المحاسبة لهم فيه خلاف تقدم بيانه في أسماء
القيامة ويأتي أيضا في باب ما جاء في شهادة أركان الكافر والمنافق عليهما ولقائهما الله
عز وجل مستوفى إن شاء الله تعالى

(فصل) فإن قيل أخبر الله تعالى عن الناس أنهم مجزيون محاسبون وأخبرانه
بملا جهنم من الجنة والناس أجمعين ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسابهم بئىء
فما العول في ذلك عندكم وهل يكلمهم الله فالجواب ان الله تعالى أخبر ان الإنس
والجن يسألون فقال خيرا عما يقال لهم يامعشر الجن والإنس ألم ياتكم رسل منكم يقصون
عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا الآية وهذا
سؤال فاذائبت بهض السؤال ثبت كله ولما كانت الجن ممن يخاطب ويعقل قال
منكم وإن كانت الرسل من الإنس وثلج الإنس في الخطاب كما يثلج المذكور على المؤمن
وأیضا لما كان الحساب عليهم دون الخلق قال منكم فصير الرسل في مخرج اللفظ
من الجميع لان الثقلين قد ضمنتهما عرضة القيامة فلما صاروا في تلك العرضة في حساب
واحد في شأن الثواب والعقاب خوطبوا يومئذ بمخاطبة واحدة كأنهم جماعة واحدة
لان بدء خلقهم للعبودية كما قال وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون والثواب
والعقاب على العبودية إلا أن الجن أصلهم من مارج من نار وأصلنا من تراب
وخلقهم غير خلقنا ومنهم مؤمن وكافر وعدونا ابليس عدو لهم يعادى مؤمنهم
ويوالى كافرهم وفيهم أهواء شيعية وقدرية ومرجئة وهو معنى قوله كنا طرائق قدده

وقيل إن الله تعالى لما قال إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أو أئمتك أصحاب الجنة هم فيها خالدون دخل في الجملة الجن والإنس فثبت للجن من وعد الجنة لعموم الآية ما ثبت للإنس فإن قيل فما الحكمة في ذكر الجن مع الإنس في الوعيد وترك إفراد الإنس عنهم فقد ذكروا في الوعد مع الإنس فإن قيل فقد ذكر يخاطب الجن والإنس في النار لأن الله تعالى قال وقال الشيطان لما نضى الأمران الله وعدكم وعد الحق إلى قوله ولوموا أنفسكم وقال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ولم يأت عن تفاوض الفريقين في الجنة خبر قيل إنما ذكر من تفاوضهم في النار إن الواحد من الإنس يقول للشيطان الذي كان قرينه في الدنيا إنه أظفاني وأضاني فيقول له قرينه ربنا ما أطغيته ولكنه كان ضالا بنفسه ولا سبب بين الفريقين يدعوا أهل الجنة فيهما إلى التفاوض فلذلك سكت عنهما وأيضا فإن الله تعالى أخبر الناس أن عصاتهم يكونون قرناء الشياطين يتخاصمون في النار ليزجرهم بذلك عن التردد والعصيان وهذا المعنى مقصود في الأخبار فلماذا سكت عن ذلك في الوعد

باب القصاص يوم القيامة عن استطال في حقوق الناس

وفي حبه لهم حتى ينصفوا منه

مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لؤدون الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجاحاء من الشاة القرناء البخارى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال إن المفلس من أمتي من يأت يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل انقضاء ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار وخرج ابن ماجه

حدثنا محمد بن ثعلبة بن سواء حدثنا عمي محمد بن سواء عن حسين المعلم عن مطر الوراق عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وعليه دينار أو درهم قضى من حسناته ليس ثم دينار ولا درهم من ترك دنيا أو ضياعا فعلى الله ورسوله . الحارث بن أبي أسامة عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله العباد أو قال الناس - شك همام - وأرما بيده إلى الشام عراة غرلا بهما قال ما بهما قال ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بعد ومن قرب أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وواحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى اللطمة ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وواحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة قال قلنا كيف وإنما نأتى الله عراة حفاة قال بالحسنات والسيئات .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا الحديث الذي أراد البخاري بقوله ورحل جابر ابن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد سفيان بن عيينة عن مسعر عن عمرو بن مرة قال سمعت الشعبي يقول حدثني الربيع بن خيثم وكان من معادن الصدق قال ان أهل الدين في الآخرة أشد تقاضيا له منكم في الدنيا يحبس لهم فيأخذونه فيقول يارب ألسنت تراني حافيا فيقول خذوا من حسناته بقدر الذي لهم فإن لم يكن له حسنات يقول زيدرا على سيئاته من سيئاتهم وذكر أبو عمر بن عبد البر من حديث البراء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صاحب الدين مأسور يوم القيامة بالدين وروى أبو نعيم الحافظ بإسناده عن زاذان أبي عمر قال دخلت على ابن مسعود فوجدت أصحاب الخبز واليمين قد سبقوني إلى المجلس فقلت يا عبد الله من أجل اني رجل أعجمي أدنيت هؤلاء وأقصيتني قال ادن فدنوت حتى ما كان بيني وبينه جليس فسمعتة يقول يؤخذ بيد العبد والأمة فينصب على رهوس الاولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان ان فلان فن كان له حق فليات إلى حقه فتفرح المرأة بأن بدون لها الحق على ابنها أو اختها أو أبيها أو على زوجها ثم قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فيقول الرب تعالى للمعبدين هؤلاء حقهم فيقول يا رب قنيت الدنيا فن أين أوتيتهم فيقول لللائكة

خذوا من أعماله الصالحة فاعطوا كل انسان بقدر طلبته فإن كان وليا لله فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل من خير ضاعفها حتى يدخله بها الجنة ثم قرأ ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً وان كان عبداً شقياً قالت الملائكة رب فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول للملائكة خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى سيئاته وصكوا له صكاً إلى النار. وعنه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليكون للوالدين على ولدهما دين فإذا كان يوم القيامة يتعلقان به فيقول أنا ولدك فيردان أو يتمنيان لو كان أكثر من ذلك. وروى رزين عن أبي هريرة قال كما نسمع ان الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول مالك إلى وما بيني وبينك معرفة فيقول كنت تراني على الخطايا وعلى المنكر ولا تنهاني وقال ابن مسعود تفرح المرأة يوم القيامة أن يكون لها حق على أبيها أو ابنها أو أخيها أو زوجها أو اختها فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون. ابن ماجه عن جابر رضي الله عنه قال لما رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرة البحر قال ألا تحدثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة فقال فتية منهم بلى يا رسول الله بيننا نحن جلوس مرت بنا عجوز من عجائزها بينهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفق منهم فجعل احدى يديه بين كفيه ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجميع الاولين والآخرين وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم امرى وأمرك عنده خدأ قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت صدقت كيف يقدر الله أمة لا يؤخذوا ضعيفهم من شديدهم.

(فصل) أنكر بعض المتغذلة الذين اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله اعجاباً برأيهم وتحكماً على كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بعقول ضعيفة وافهام سخيفة فقالوا لا يجوز في حكم الله تعالى وعدله أن يضع سيئات من اكتسبها على من لم يكتبها ويؤخذ حسنات من عملها فتعطي من لم يعملها وهذا زعموا جوراً وأزلاً قول الله تعالى ولا تزروا وزارة ووزر أخرى فكيف تصح هذه

(۱) تعلم كيف امرى

الاحاديث رهي تخالف ظاهر القرآن وتستحيل في العقل والجواب ان الله سبحانه وتعالى لم يبين أمور الدين على عقول العباد ولم يعد ولم يوعد على ما يحتمله عقولهم ويدركونها بأفهامهم بل وعدوا وعدا بمشيئته واراادته وأمر ونهى بحكمته ولو كان كلما لا تدركه العقول مردودا لكان أكثر الشرائع مستحيلا على موضوع عقول العباد وذلك أن الله تعالى أوجب الغسل بخروج المني الذي هو طاهر عند بعض الصحابة وكثير من الأمة وأوجب غسل الأطراف من الفائط الذي لا خلاف بين الأمة وسائر من يقول بالعقل وغيرها في نجاسته وقذارته وبقوته وأوجب بريح يخرج من موضع الحدث ما أوجب بخروج الفائط الكثير المتفاحش فبأى عقل يستقيم هذا وبأى رأى تجب مساواة ريح ليس لها عين قائمة بما يقوم عينه وتزيد على الريح نقنا وقندرا وقد أوجب الله قطع يمين مؤمن بمشرة دراهم وعند بعض الفقهاء بثلاثة دراهم ودون ذلك ثم سوى بين هذا القدر من المال وبين مائة ألف دينار فيكون القطع فيها سواء وأعطى الأم من ولدها الثلث ثم ان كان للتوفى اخوة جعل لها السدس من غير أن ترث الآخرة من ذلك شيئا فبأى عقل يدرك هذا إلا نسليها وانقيادا من صاحب الشرع إلى غير ذلك فكذلك القصاص بالحسنات والسيئات وقد قال وقوله الحق ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس الآية وقال وليحمان أنفالمم وأنقالا مع أنفالمم وقال ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم وهذا يبين قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى أى لانحمل حاملة نقل أخرى إذا لم تتعد إذا تعدت واستطالت بغير ما أمرت فإنها تحمل عليها ويؤخذ منها بغير اختيارها كما تقدم في أسماء القيامة عند قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا .

(فصل) وإذا تقرر هذا فيجب على كل مسلم البدار إلى محاسبة نفسه كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وإنما حسابه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل الموت توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله عز وجل ويرد المظالم إلى أهلها حبة حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسطوته بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه

فريضة ولا مظلة فهذا يدخل الجنة بغير حساب فإن مات قبل رد المظالم أحاط به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يتبض على ناصيته وهذا يتعلق بلبته وهذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت بي وهذا يقول ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فأسأت جوارى وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني وأخنيبت عني عيب متاعك وهذا يقول كذبت في سعر متاعك وهذا يقول رأيتني محتاجا وكنت غنيا فما أطعمتني وهذا يقول وجدتني مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني فبينما أنت كذلك وقد أنسب الخصماء فيك مخاليتهم وانكروا في تلايبيك أيديهم وأنت مهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلة بغية أو جناية أو نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخاملك من أيديهم إذ قرع سمعك نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك يخضع قلوبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما أنذرك الله به على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال ولا تحبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إلى قوله لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء فما أشد فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتنازلك أموالهم وما أشد حسرتك في ذلك اليوم إذا وقبلك عن بساط العدل وشوفت بخطاب السيئات وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد حقا أو تظهر عذرا فمذ ذلك تؤخذ حسناك التي آتيت فيها عمرك وتنقل إلى أخصامك عوضا عن حقوقهم كما ورد في الأحاديث المذكورة في هذا الباب فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس لك حسنة قد سلمت من آفات الربا ومكاييد الشيطان فإن سلمت حسنة واحدة في مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها ويقال لو أن رجلا له ثواب سبعين نبييا وله خصم ينصف دائق لم يدخل الجنة حتى يرضى خصمه وقيل يؤخذ بدائق قسط سبعائة صلاة مقبولة فتعطى للخصم ذكره القشيري في التحبير له عند اسمه المقسط الجامع قال أبو حامد ولملك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلمت أنه لا يمضى عليك يوم الا ويجرى على لسانك من غيبة المسلمين

ما يستوفى جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام والشهوات والتصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم يقتص فيه للجاء من القرناء ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا فكيف بك يا مسكين في يوم ترى فيه صحيفتك خالية عن حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتي فيقال نقلت إلى صحيفة خصائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات غيرك فتقول يا رب هذه سيئات ما فارقتها قط فيقال هذه سيئات الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المعاملة والمبايعة والمحاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة فاتق الله في مظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وأبشارهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم فإن ما بين العبد وبين الله خاصة المغفرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلل أرباب المظالم من حيث لا يطالع عليه إلا الله فليكثر من الاستغفار لمن ظلمه فمساء أن يقربه ذلك إلى الله فينال به لطفه الذي ادخره لأرباب المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم بإرضائهم إياهم على ما يأتي بيانه في باب إرضاء الخصوم بعد هذا إن شاء الله تعالى :

(فصل) قوله في الحديث فيناديهم بصوت استدل به من قال بالحرف والصوت وأن الله يتكلم بذلك تعالى الله عما يقوله المحسمون والجاحدون علوا كبيرا وإنما يحمل النداء المضاف إلى الله تعالى على نداء بعض الملائكة المقربين إذن الله تعالى وأمره ومثل ذلك شائع في الكلام غير مستنكر أن يقول القائل نادى الأمير وبأخى نداء الأمير وإنما المراد نادى المنادى عن أمره وأصدر نداءه عن إذنه وفي التنزيل ونادى فرعون في قومه وهو كقولهم أيضا قتل الأمير فلانا وضرب فلانا وليس المراد توليه هذه الأفعال وتصديه لهذه الأفعال ولكن المقصود صدورها عن أمره وقد ورد في صحيح الأحاديث أن الملائكة ينادون على رؤوس الأشهاد فيخاطبون أهل التقى والرشاد إلا أن فلان بن فلان كما تقدم ومثله ما جاء في حديث التنزيل مفسراً فيما أخرجه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه وأبي سعيد قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا يقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له

هل من سائل يعطى. صححه أبو محمد عبد الحق، وكل حديث اشتمل على ذكر الصوت أو النداء فهذا التأويل فيه وأن ذلك من باب حذف المضاف. والدليل على ذلك ما ثبت من قدم كلام الله تعالى على ما هو مذكور في كتاب الديانات، فإن قال بعض الأغبياء لوجه لخل الحديث على ما ذكرتموه فإن فيه أنا الديان وليس يصدر هذا الكلام حقاً إلا من رب العالمين. قيل له إن الملك إذا كان يقول عن الله تعالى وينبئ عنه فالحكم يرجع إلى الله رب العالمين. والدليل عليه أن الواحد منا إذا تلا قول الله تعالى إني أنا الله فليس يرجع إلى القارىء وإنما القارىء ذاكر لكلام الله تعالى ودال عليه بأصواته وهذا بين وقد أتينا عليه في الصفات من كتاب الاسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا.

(فصل) واختلف الناس في حشر البهائم وفي قصاص بعضها من بعض فروى عن ابن عباس أن حشر الدواب والطيور موتها وقاله الضحاك وروى عن ابن عباس في رواية أخرى أن البهائم تحشر وتبعث وقاله أبو ذر وأبو هريرة وعمر بن العاص والحسن البصرى وغيرهم وهو الصحيح لقوله تعالى وإذا الوحوش حشرت وقوله ثم إلى ربهم يحشرون، قال أبو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والطيور والدواب وكل شيء فيبأغ من عدل الله أن يأخذ للجماة من القرناء ثم يقول كوني تراباً فذلك قوله تعالى حكاية عن الكفار ويقول الكافر باليتقى كنت تراباً ونحوه عن ابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وفي الخبر إن البهائم إذا صارت تراباً يوم القيامة حول ذلك التراب في وجوه الكفار فذلك قوله تعالى وجوه يومئذ عليها ذبابة غبار وقالت طائفة الحشر في قوله تعالى ثم إلى ربهم يحشرون راجع إلى الكفار وما تخلل من قوله تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء كلام معترض وإقامة حجج وأما الحديث فالمقصود منه التمثيل على جهة تعظيم أمر الحساب والقصاص والأغبياء فيه حتى يفهم منه أنه لا بد لكل أحد منه وأنه لا يحصى مخلوق عنه وعضدوا ذلك بما روى في غير الصحيح عن بعض رواة من الزيادة فقال حتى يقاد للشاة الجماة من الشاة القرناء وللحجر لما

(۱۸ - تذكرة)

ركب الحجر والعود لما خدش العود قالوا فظهر من هذا أن المقصود التمثيل المعتد
للاغبياء والنهويل لأن الجمادات لا تعقل خطابها ولا عقابها وثوابها ولم يصر
إليه أحد من العقلاء ومتخيله من جملة الممتوهين الأغبياء أجاب بعض من قال إنها
تمحشر وتبعث بأن قال إن من الحكمة الإلهية أن لا يجرى أمر من أمور الدنيا
والآخرة إلا على سنة مسنونة وحكمة موزونة ومن قال هنا بما قالته طائفة من
المتوسمة بالعلم المتسمة بالفقه والفهم على الزعم أن الجامد لا يفقه والحيوان غير
الإنسان لا يعقل وإنما هو منزل في الحيوان ولسان حال الجامد والناسي، وقال
إن الله تعالى يقول في الضالين المكذبين إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا ولو كان
عندها عقل أو فهم ما نزل بالكافر الفاسق إلى درجتها في موضع التنقيص والتقصير
والله سبحانه قد وصفه بالموت والصمم في موضع التبصير والتذكير فقال ولا يسمع
الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وقال أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمى عم بكم عمى
فهم لا يعقلون قيل له ليس الأمر كما ذكرت ولا الحق على شيء مما زعمت وأنه
ليس عليك من حيث الزعم ورؤية النفس في درجة العلم إبدأ من الآية التي وقفت
فيها إلى التي قبلها ان شئت فارجع بصرك في الذي رأيت تجده قد وصفهم عز وجل
بالموت والصمم كما وصفهم بالعمى والبكم وليسوا في الحقيقة الظاهرة بموتى ولا صم
ولا بعميان ولا بكم وإنما هم أموات بالعقول والأذهان عن صفة الإيمان وحياة
دار الحيوان صم عن كلمة الأحياء عمى عن النظر في مرآة وجوه الأخلاء كذلك
وصف الأنعام بضلال وليست في الحقيقة بضلال من حيث شرعتها وحكمتها وإنما
ذلك من حيث فلكننا وافقنا فكيف يكون ذلك والله تعالى يقول وما من دابة في
الارض إلى قوله يحشرون فوربك لنحشرهم كما غفيرا ولنحاسبن حسابا يسيرا،
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والله تعالى لا يسأل إلا عقلا
ولا يحاسب إلا مفضولا وفاضلا وإنما جعل لكل موجود من موجوداته في
أشقات الخلائق وأجناس العوالم دار دنيا ودار أخرى وجعل لها أفلاكا وآفاقا
وظللا وأضواء فكل في فلسفه وأفقه بليبه ونهاره وسمعه وبصره وعلمه وفهمه وحاكم
من عقله أو جهله وقائم بنحلته وحكمته وسنته وشرعته فأدنى وأعلى من الروحانية

الافصى الى الجمادية الاقصى فالملائكة الروحانية في مصافها ترانا من حيث لا ترى وتعلم منا اكثر مما نعلم وانا للشاهد من نقصنا وقله عقلنا في الموضوع الذي يجب العلم به وأعمال العقل فيه ما تحكم به علينا أكثر مما تحكم به على الانعام من قلة العقل وتحقيق المعرفة فمن نظر الى الانعام وجدها من حيث نحن لا من حيث فلكها وأفقها لا تسمع ولا تعقل الاميزا ما قدر ما تنسخر به وتتذلل طبعا فتلقن المراد منها من هذا الفن خاصة لا غير واما ما نحن بسبيله من تصرفات وتعملات فليس لها ذلك من حيث الفلكية التي أحازتها عنا والافقية التي اقتطعتها منا فهي في طرقاتنا ضلال وبتعملاتنا وأحوال تصرفاتنا جهال واما من حيث شرعتها وباطن رويتها فعارفة عقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخذ الجمل القضم الذي ندو امتنع بحائط بنى النجار وغاب الخلق عن أخذه والوصول اليه حتى جاء صلى الله عليه وسلم فلما مشى اليه ورآه الجمل برك لديه وجعل يمر بمشفره على الارض بين يديه تذلا وتسخييرا فقال صلى الله عليه وسلم هات الخطام فلما خطمه ورأى الناس يعجبون منه ردراسه اليهم فقال ألا تعجبون أو كما قال انه ليس شيء بين السما والارض ألا يعلم أنى رسول الله غير عاصى الجن والإنس وثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من دابة الا وهى مصيخة بإذنها يوم الجمعة تنتظر قيام الساعة وقال صلى الله عليه وسلم لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شجر ولا مدر ولا شيء الا شهد له يوم القيامة .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله خرجه مالك في موطنه وان ما جه في سننه واللفظ له من حديث أبي سعيد الخدري وقد تقدم أن الميت يسمع صوته كل شيء إلا الإنسان في رواية الا الثقلين والإخبار في هذا المعنى كثيرة قد أتينا على جملة منها في هذا الكتاب فكل حيوان وجماد محشور لما عنده من الإدراك والمشاهدة والحضور من حيث هي لا من حيث نحن قال الله تعالى وإن من شيء الا يسبح بحمده وقال والله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وقال عز من قائل ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر

والنجوم والجبال والشجر والدواب لا يقال إن هذا السجود والتسبيح لسان حال
ليس بلسان المقال فإننا نقول هذا مجاز والله سبحانه يقضي الحق كما أخبر في كتابه إن
الحكم إلا الله يقضى الحق ومن نظر بنور الله جاز العين إلى المعنى وحل الرمز وفك
المعنى وهم إنما نظروا من حيث هم ومن حيث العقل البشرى ولم ينظروا الحياة
الفلكية من حيث هي فتأبوا عن الحضور وجمدوا على القصور ومن لم يجعل الله
له نورا فإنه من نور قلت هذا كله صحيح لحديث أبي سعيد الخدري المذكور وهو
صحيح وكذلك حديث أبي هريرة في شهادة الأرض بما عمل عليها وهو صحيح
وكذلك حديث أبي سعيد الخدري في شهادة المال صحيح وسيأتي وقد روى ليث
ابن أبي سليم عن عبد الرحمن بن مروان عن الهزبل عن أبي ذر عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه مر بشاتين تنتطحان فقال إن الله تعالى ليقتضين يوم القيامة لهذه الجملحاء
من هذه القرناء وذكر ابن وهب أخبرني بن لهيعة وعمرو بن الحارث عن بكر
ابن سوادة أن أبا سالم الجيشاني حدثه أن ثابت بن طريف استأذن علي أبي ذر
فسمعه رافعاً صوته يقول أما والله لولا يوم الخصومة لسؤتك قال ثابت فدخلت
قلت ما شأنك يا أبا ذر قال هذه قلت وما عليك أن رأيتك تضربها قال والذي
نفسى بيده أو نفس محمد بيده لستأن الشاة فيما نطحت صاحبها وليستأن الجملاء فيما
نكبت أصبع الرجل وروى عن شعبة عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن
أبي ذر قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين ينتطحان فقال يا أبا ذر
تدرى فيم تنتطحان قلت لا يا رسول الله قال لكن الله يدري ويقضى بينهما يوم
القيامة أخرجه أبو داود الطيالسي فقال حدثنا شعبة قال أخبرني الأعمش قال سمعت
منذر الثوري يحدث عن أصحاب له عن أبي ذر بلفظ ومعناه وقال عمرو بن العاص
رضي الله عنه إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الجس والانس
والدواب والوحوش فإذا كان ذلك اليوم جعل الله القصاص بين الدواب حتى
يقتص للشاة الجملاء من القرناء تنطحها فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب قال لها
كوني تراباً فبراها الكافر فيقول ياليتني كنت تراباً وذكر الامام أبو القاسم
القشيري في التعبير له فقال وفي خبر الوحوش والبهايم تحشر يوم القيامة
(۱) ليقضين الله تعالى يوم

فتمسجد لله سجدة فتقول الملائكة ليس هذا يوم سجود هذا يوم الثواب والعقاب
وتقول البهائم هذا سجود شكر حيث لم يجعلنا الله من بني آدم ويقال إن الملائكة
تقول للبهائم لم يحشركم الله جل ثناؤه لثواب ولا لعقاب وإنما يحشركم تشهدون
فضائح بني آدم ذكره^(۱) في اسمه المقسط الجامع وهذا قول ثابت فتأمله .

(فصل) ظن بعض العلماء أن الصيام يختص بعامله موفرا له أجره لا يؤخذ
منه شيء لمظلة ظلها متمسكا بقوله تعالى الصيام لي وأنا أجزي به وأحاديث هذا
الباب ترد قوله وأن الحقوق تؤخذ من سائر الأعمال صياما كان أو غيره وقيل إن
الصوم إذا لم يكن معلوما لأحد ولا مكتوبا في الصحف هو الذي يستره الله ويخبؤه
عليه حتى يكون له جنة من العذاب فيطرحون أولئك عليه سيئاتهم فيذهب عنهم
ويقيه الصوم فلا يضر أصحابها لزوالها عنهم ولا له لأن الصوم جنته قال القاضي
أبو بكر بن العربي في سراج المرادين وهو تأويل حسن إن شاء الله تعالى ولا تعارض
والحمد لله .

باب

أبو داود عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم عن آبائهم دنية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا من ظلم معاهدا أو
انتقصه من حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فإنا حجيجه يوم
القيامة صححه أبو محمد عبد الحق .

باب في إرضاء الله تعالى الخصوم يوم القيامة

روينا في الأربعين وذكره ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله تعالى عن أبي
هريرة رضى الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس إذ
رأته ضحك حتى بدت ثناياه فقيل له مم تضحك يا رسول الله قال رجلان من أمي
جثيا بين يدي ربي عز وجل فقال أحدهما يارب خذني مظلمتي من أخى فقال الله
تعالى اعط أخاك مظلمته فقال يارب ما بقي من حسناتي شيء فقال يارب فليحمل من

(۱) ذكره القشيري في اسمه .

أوزارى وفاضت عینار سول الله صلی الله علیه وسلم ثم قال إن ذلك الیوم لیوم یحتاج الناس فیہ إلى أن تحمل عنهم أوزارهم ثم قال الله تعالی للطالب حقه ارفع بصرك فانظر إلى الجنان فرفع بصره فرأى ما أعجبه من الخیر والنعمۃ فقال لمن هذا یارب فقال لمن أعطانی ثمنه قال ومن یملك ثمن ذلك قال أنت قال بهم ذا قال بعفوك عن أخیک قال یارب فانی قد عفوت عنه قال خذ بید أخیک فأدخله الجنة ثم قال رسول الله صلی الله علیه وسلم فاتقوا الله وأصلحوا ذات بینکم فان الله یصلح بین المؤمنین یوم القیامة وعن عبد الرحمن بن أبی بکرۃ قال یحیی المؤمن یوم القیامة قد أخذه صاحب الدین فیقول دینی علی هذا فیقول الله تعالی أنا أحق من قضی عن عبدی قال فیرضی هذا من دینہ ویغفر لهذا وقال ابن أبی الدنیا وحدثنی عبد الله بن محمد بن اسماعیل قال بلغنی أن الله تعالی أوحى إلى بعض أنبیائه بعینی ما یتحمل المتحملون من أجلی وما یکابدون فی طلب مرضاتی أترانی أنسی لهم عملاً کیف وأنا أرحم^(۱) بخلقی لو كنت معاجلاً بالعقوبة أحداً أو كانت العقوبة من شأنی لعاجلت بها القانطین من رحمتی ولو یرى عبادی المؤمنون کیف استوهبهم عن ظلوه ثم أحکم لمن وهبهم بالخلد المقیم فی جوارى إذا ما اتهموا فضلی وکرمی .

(فصل) قال الشیخ المؤلف رحمه الله وهذا لبعض الناس من أراد الله أن لا یعذبه بل یعفوا عنه ویغفر له ویرضی عنه خصمه وقد یكون هذا فی الظالمین لاوایین وهو قوله تعالی إنه كان للأوایین غفورا والأوایب الذی أفلح عن الذنب فلم یعد إلیه کذا تأوله أبو حامد وهو تأویل حسن أو یكون ذلك فیمن یكون له خبیثۃ حسنة من عمل صالح یغفر الله له به ویرضی خصماً كما تقدم وظاهر حدیث أنس الخصوص بذینک الرجایین لقوله رجلا ن ولفظ التثنیة لا یقتضی الجمع إلا ما روى فی الحدیث مثل المناق كالأشاة الغابرة بین الغنمین خرجه مسلم ولیس هذا موضعه ولو كان ذلك فی جمیع الناس ما دخل أحد النار وكذلك ما روى عن النبی صلی الله علیه وسلم ینادی مناد من تحت العرش یوم القیامة یا أمة محمد أما ما كان لی قبلکم فقد وهبته لکم وبقیة التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة برحمتی ما دخل أحد النار وهذا واضح فتأمله .

(۱) أرحم الراحمین بخلقی

باب أول من يحاسب أمة محمد صلى الله عليه وسلم

روى ابن ماجه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن آخر الأمم وأول من يحاسب يقال أين الأمة الأمية ونبيها فنحن الآخرون الأولون في رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما فتفرج لنا الأمم عن طريقنا فنمضى غرا محجلين من آثار الطهور فنقول الامم كادت هذه الأمة أن تكون أنبياء كلها خرجها أبو داود الطيالسي في مسنده بمعناه وقد تقدم .

باب أول ما يحاسب عليه العبد من عمله الصلاة

وأول ما يقضى فيه بين الناس الدماء وفي أول من يدعى للخصومة

مسلم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء أخرجه البخارى أيضا والنسائى والترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح وللنسائى أيضا عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس الدماء وفي البخارى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال أنا أول من يحشوا يوم القيامة بين يدي الرحمن للخصومة يريد قصته في مبارزته هو وصاحبه الثلاثة من كفار قريش قال أبو ذر وفيهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم الآية والخبر بهذا مشهور صحيح أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما وعن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه فيكون أول ما يقضى بينهم في الدماء ويأتى كل قتيل قتل في سبيل الله فيأمر الله كل من قتل فيحمل رأسه وتشخب أوداجه دما فيقول يارب سل هذا فيم قتلى فيقول الله تعالى له وهو أعلم فيم قتله فيقول يارب قتله لتكون العزة لك فيقول الله تعالى صدقت فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس ثم تشيعه الملائكة إلى الجنان ثم يأتى كل من قتل فيحمل رأسه وتشخب أوداجه دما فيقول يارب سل هذا فيم قتلى فيقول له وهو أعلم فيم قتله فيقول رب قتله لتكون العزة لي فيقول الله تعالى تعست ثم لا تبقى قتلة إلا قتل بها

(۱) من قتل على غير ذلك يأتى كل من قتل يحمل (۲) فيقول له الله تعالى وهو

ولامظلة ظلها إلا أخذ بها وكان في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء رحمه
 خروجه الغيلاني أبو طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان عن أبي بكر محمد بن
 عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله البزار المعروف بالشافعي حدثنا أبو قلابة عبد الملك
 ابن محمد الرقاشي حدثنا أبو عاصم الضحاك بن محمد قال حدثنا إسماعيل بن إسحاق عن محمد
 ابن زياد عن محمد بن كعب وخرجه إسماعيل ابن إسحاق القاضى من حديث نافع
 ابن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس قال سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول
 يأتي المقتول معلق رأسه بإحدى يديه متلبيا قاتله بيده الأخرى تشخب أوداجه دما
 حتى يوقفا فيقول المقتول لله سبحانه هذا قتلى فيقول الله تعالى للقاتل تعست ويذهب
 به إلى النار وخرجه ابن المبارك موقوفا على عبد الله بن مسعود قال حدثنا حماد
 ابن سلمة عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله فذكره بمعناه وخرجه الترمذى في
 جامعه قال حدثنا الحسن بن محمد الزعفراني قال حدثنا شابة قال حدثنا ورقاء بن
 عمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحيى المقتول
 بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دما يقول يارب قتلى هنا
 حتى يدنيه من العرش قال هذا حديث حسن غريب .

مالك عن يحيى بن سعيد قال بلغنى أن أول ما ينظر فيه من عمل المرء الصلاة
 فإن قبلت منه نظر فيما بقى من عمله وإن لم تقبل منه لم ينظر في شيء من عمله قال
 الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا الحديث وإن كان موقوفاً بلاغاً فقد رواه أبو داود
 الترمذى والنسائى مرفوعاً بهذا المعنى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة من أعمالهم الصلاة قال
 يقول ربنا عز وجل للملائكة أنظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت
 تامة كتبت له تامة وإن كان انتقص منها شيئاً قال انظروا هل لعبدي من تطوع
 فإن كان له تطوع قال أنموا لعبدي فريضته من تطوعه ثم تؤخذ الأعمال على ذلك
 لفظ أبي داود وقال الترمذى حديث حسن غريب وخرجه بن ماجه أيضاً .
 (فصل) قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله أما إكمال الفريضة من التطوع

فإنما يكون ذلك واقعه أعلم فيمن سها عن فريضة فلم يأت بها أو لم يحسن ركوعها ولم يدر قدر ذلك وأما من تعمد تركها أو شيئاً منها ثم ذكرها فلم يأت بها عامداً واشتغل بالتطوع عن أداء فرضه وهو ذاكر له فلا تكمل له فريضته تلك من تطوعه والله أعلم وقد روى من حديث الشاميين في هذا الباب حديث منكري رويته محمد بن حمير عن عمرو بن قيس السكري عن عبد الله بن قرط عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاة لم يكمل فيها ركوعه وسجوده وخشوعه زيد فيها من تسليحاته حتى تم قال أبو عمرو هذا لا يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه وليس بالقوى وإن كان صح كان معناه أنه خرج من صلاة قد أتمها عند نفسه وليست في الحكم بتامة .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ينبغي للإنسان أن يحافظ على أداء فرضه فيصليه كما أمر من إتمام ركوع وسجود وحضور قلب فان غفل عن شيء من ذلك فيجتهد بعد ذلك في نفيه ولا يتساهل فيه ولا في تركه ومن لا يحسن أن يصلي الفرض فأحرى أن لا يحسن النفل لاجرم بل تنفل الناس في أشد ما يكون من النقصان والخلل في التمام لخفة النفل عندهم وتهاونهم به ولعمري الله لقد يشاهد في الوجود من يشار إليه ويظن به العلم بنفله كذلك بل فرضه إذ ينقره نقر الديك فكيف بالجهال الذين لا يعلمون وإذا كان هذا فكيف يكمل بهذا النفل مانقص من الفرض هيئات هيئات فاعلموا أن الصلاة إذا كانت بهذه الصفة دخل صاحبها في معنى قوله تعالى خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقال جماعة من العلماء التضييع للصلاة هو أن لا يقيم حدودها من مراعاة وقت وطهارة وتام ركوع وسجود ونحو ذلك وهو مع ذلك يصليها ولا يمتنع من القيام بها في وقتها وغير وقتها قالوا فاما من تركها أصلاً فهو كافر وروى الترمذي عن أبي مسعود الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزى صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود وقال حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم يرون أن يقيم الرجل صلبه في الركوع والسجود قال الشافعي وأحمد وإسحاق من لم يقيم صلبه في

الركوع والسجود فصلاته فاسدة لحديث النبي صلى الله عليه وسلم لا تجزى صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود وروى البخارى عن زيد بن وهب عن حذيفة ورأى رجلاً لا يتم ركوعه ولا سجوده فلما قضى صلاته قال له حذيفة ما صليت ولو مت مت على غير سنة محمد صلى الله عليه وسلم وأخرجه النسائي أيضاً عنه عن حذيفة أنه رأى رجلاً يصلى يخفف فقال له حذيفة منذ كم تصلى هذه الصلاة قال منذ أربعين عاماً قال ما صليت ولو مت وأنت تصلى هذه الصلاة لمت على غير فطرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال إن الرجل ليخفف الصلاة ويتم ويحسن والأخبار في هذا المعنى كثيرة جداً قد أتينا عليها في غير هذا الموضع وهي تبين لك المراد من قوله تعالى أضاعوا الصلاة وروى النسائي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة صلاته فإن وجدت تامة كتبت تامة وإن كان انتقص منها شيئاً قال انظروا هل تجدوا له من تطوع يكمل له ما ضيع من فريضته من تطوعه ثم سائر الأعمال تجرى على ذلك وهذا نص وقال عمر رضى الله عنه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ولا اعتبار بقول من قال إن الواجب من أركان الصلاة ومن الفصل بين أركانها أقل ما ينطلق عليه الاسم وهو أبو حنيفة وأشار إلى ذلك القاضى عبد الوهاب فى تلقينه وهو يروى عن ابن القاسم لأن من اقتصر على ذلك صدق عليه أنه نقر الصلاة فدخل فى الذم المترتب على ذلك بقوله عليه السلام تلك صلاة المنافقين يجاس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً رواه مالك فى موطئه ومسلم فى صحيحه والأحاديث الثابتة تقضى بفساد صلاته كما بيناه مع قوله عليه السلام أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء فقمن أن يستجاب لكم خرج مسلم وفى الموطأ مالك عن يحيى بن سعيد عن النعمان بن مرة الأنصارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماترون فى الشارب والشارق والزانى قال وذلك قبل أن ينزل فيهم قالوا الله ورسوله أعلم قال هن فواحش وفيهن عقوبة وأسوأ السرقه الذى يسرق صلاته قالوا يا رسول الله وكيف يسرق صلاته قال لا يتم ركوعها ولا سجودها وروى

أبو داود الطيالسي في مسنده قال حدثنا محمد بن مسلم بن أبي الوضاح عن الأحوص بن حكيم عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أحسن الرجل الصلاة فأتهم ركوعها وسجودها قالت الصلاة حفظك الله كما حفظني فترفع وإذا أساء الصلاة فلم يتم ركوعها ولا سجودها قالت الصلاة ضيعك الله كما ضيعني فتلغ كما يلف الثوب الخاق فيضرب بها وجهه فمن لم يحافظ على أوقات الصلاة لم يحافظ على الصلاة كما أن من لم يحافظ على وضوئها وركوعها وسجودها فليس يحافظ عليها ومن لم يحافظ عليها فقد ضيعها ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع كما أن من حافظ عليها حفظ دينه ولا دين لمن لا صلاة له .

باب منه

ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله ليسأل العبد يوم القيامة حتى يقول له مامنك إذا رأيت المنكر أن تنكره فإذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب رجوتك وفرقت من الناس ورواه الفريابي قال حدثنا سفيان عن زبيد عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقرن أحدكم نفسه إذا رأى أمر الله عليه فيه مقال فلا يقول فيه فيقال يوم القيامة مامنك إذا رأيت كذا وكذا أن تقول فيه فيقول له أي ربي خفت الناس فيقال إياي كنت أحق أن تخاف قال الواثلي أبو نصر ورواه أحمد بن عبد الله بن يونس أبو عبد الله اليربوعي الكوفي قال حدثنا زهير قال حدثنا عمر بن قيس عن عمرو بن مرة المعنى واحد وهذا محفوظ من الطريقتين عن عمرو بن مرة ومخرجه من الكوفة .

باب منه

ذكر أبو نعيم الحافظ : حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر من أصل كتابه حدثنا عبد الله بن محمد بن زكريا حدثنا إسماعيل بن عمرو حدثنا مندل عن أسد بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقفن أحدكم على

رجل يضرب ظلنا فإن اللعنة تزل من السماء على من حضره إذا لم تدفعوا عنه
ولا يقفن أحدكم على رجل يقتل ظلنا فإن اللعنة تزل من السماء على من حضره إذا
لم تدفعوا عنه هذا حديث غريب من حديث أسد وعكرمة لم يروه عنه فيما أعلم
إلا مندل ابن علي الفزاري

باب ماجاء في شهادة أركان الكافر والمناق عليهما

ولقائهما الله عز وجل

قال الله تعالى : اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما
كانوا يكسبون ، وقال : يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا
يعملون ، وقال : وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ، الآية . وذكر أبو بكر بن أبي
شيبه من حديث معاوية بن حيدة القرشي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يجيئون
يوم القيامة على أفواهكم للفدام وأول ما يتكلم من الإنسان فؤده وكفه وقد تقدم . مسلم
عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال : هل
تدرون لم أضحك قلنا الله ورسوله أعلم . قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب
ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فإني لا أجتز على نفسي إلا شاهدا مني
قال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على
فيه فيقال لأركانه انطق فتتلق بأعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال : فيقول
بعدالكن وسحقا فعنكن كنت أناضل . الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوثق بالعبد يوم القيامة فيقول : ألم أجعل لك سمعا
وبصرا ومالا وولدا وسخرت لك الأنعام والحراث وتركنتك ترأس وترربع فكنت
تظن أنك ملاقي يومك هذا ؟ فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتني قال هذا
حديث صحيح غريب وأخرجه مسلم عن أبي هريرة بأطول من هذا وقد تقدم .
البخاري عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجاء بالكافر يوم القيامة
فيقال له أرايت لو كان لك ملء الأرض ذهبا كنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له
قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك وأخرجه مسلم وقال بدله قد كنت ، كذبت قد
سئلت ما هو أيسر من ذلك

(فصل) قوله عليه السلام فأول ما يتكلم من الإنسان نخذه يحتمل وجهين أحدهما أن يكون ذلك زيادة والفضيحة والخزي على مناطق به الكتاب في قوله ، هذا كتابنا ينطق عليك بالحق ، لأنه كان في الدنيا يجاهر بالفواحش ويخلو قلبه عندها من ذكر الله تعالى فلا يفعل ما يفعل خائفا مشفقا فيجزيه الله بمجاهرته والإشاعة بفحشه على رؤس الأشهاد والوجه الآخر أن يكون هذا فيمن يقرأ كتابه ولا يعرف بما ينطق به بل يحمد فيختم الله على فيه عند ذلك وتنطق منه الجوارح التي لم تكن ناطقة في الدنيا فتشهد عليه سيئاته وهذا أظهر الوجهين يدل عليه أنهم يقولون لجلودهم أي لفر وجهم في قول زيد بن أسلم لم شهدتم علينا فتمردوا في الجحود فاستحقوا من الله الفضح والإخزاء نعوذ بالله منهما

(فصل) قوله وتركك رأس وتربع أي رأس على قومك بأن يكون رئيسا عليهم ويأخذ الربع مما يحصل لهم من الغنائم والكسب وكانت عادتهم أن أمراءهم كانوا يأخذون من الغنائم ويسمونه المربع قال شاعرهم

لك المربع منها والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول

وقال آخر :

منا الذي ربع الجيوش لصلبه عشرون وهو يعد في الأحياء

يقال ربع الجيش يربه رباعة إذا أخذ ربع الغنيمة . قال الأصمعي ربع في الجاهلية وخمس في الإسلام وقوله اليوم أنساك كما نسيته أي اليوم أتركك في العذاب كما تركت عبادتي ومعرفتي فإن قيل فهل يلقى الكافر ربه ويسأله؟ قلنا نعم بدليل ما ذكرنا وقد قال ، فلنسالن الذين أرسل اليهم ، وقال ، ولوترى إذ وقفوا على ربهم ، وقال وعرضوا على ربك صفاء ، الآيتين وقال ، إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم وقال ، وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم إلى قوله : وليستن يوم القيامة عما كانوا يفترون ، والآي في هذا المعنى كثير : فإن قيل فقد قال الله تعالى ، يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام ، وقال عليه السلام يخرج عنق من النار فيقول وكلت ثلاث بكل جبار عنيد وكل من جعل مع الله

(۱) اللهم متاع الدنيا ريبان وقال

إلها آخر وبالمصورين قلنا هذا يحتمل أن يكون بعد الوزن والحساب وتطير الكتب في اليمن والشمار وتعظيم الخلق كما تقدم ويدل عليه قوله وبالمصورين فإنهم وإن كانوا موحدين فلا بد لهم من سؤال وحساب وبعده يكونون أشد الناس عذابا وإن كانوا كافرين مشركين فيكون ذكركم تكرارا في الكلام على أنا نقول :

قال بعض العلماء ذكر الله تعالى الحساب جملة وجاءت الأخبار بذلك وفي بعضها ما يدل على أن كثيرا من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب فصار الناس إذا ثلاث فرق فرقة لا يحاسبون أصلا وفرقة تحاسب حسابا يسيرا وهما من المؤمنين وفرقة تحاسب حسابا شديدا يكون منها مسلم وكافر وإذا كانت من المؤمنين من يكون أدنى إلى رحمة الله فلا يبعد أن يكون من الكفار من هو أدنى إلى غضب الله فيدخله النار بغير حساب وقد ذكر ابن المبارك في دقائقه عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أن بعد أخذ النار هؤلاء تنشر الصحف وتوضع الموازين وتدعى الخلائق للحساب فإن قيل فقد قال تعالى : كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، وقال : ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون ، وقال : ولا يكلمهم الله ، وهذا يتناول بعمومه جميع الكفار قلنا القيامة مواطن فمواطن يكون في سؤال وكلام ومواطن لا يكون ذلك فلا يتناقض الآي والأخبار والله المستعان

قال عكرمة القيامة مواطن يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها وقال ابن عباس لا يسألون سؤال شفاء وراحة وإنما يسألون سؤال تفرغ وتوبخ لم عملتم كذا وكذا والقاطع لهذا قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال أهل التأويل عن لا إله إلا الله وقد قيل إن الكفار يحاسبون بالكفر بالله الذي كان طول العمر دنارهم وشعارهم وكل دلالة من دلائل الإيمان خالفوها وعاندوها فإنهم يبكتون عليها ويسألون عنها ويسألون عن الرسل وتكذيبهم إياهم لقيام الدلائل على صدقهم فإن قيل فقد ذكر اللالكائي في سننه عن عائشة رضي الله عنها قالت لا يحاسب رجل يوم القيامة إلا دخل الجنة قالوا ولأن الحساب ^{النما} يراد للثواب والجزاء ولا حسنة للكافر فيجازى عليها بحسابه ولأن المحاسب له هو الله تعالى وقد قال ولا يكلمهم



الله يوم القيامة قلنا ما روى عن عائشة قد خالفها غيرها في ذلك للآيات والاحاديث الواردة في ذلك وهو الصحيح ومعنى ولا يكلمهم الله أي بما يحبونه قال الطبري وفي التنزيل اخشوا فيها ولا تكلمون وقد قيل إن معنى قوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم^(۱) ولا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان سؤال التعرف لتمييز المؤمنين من الكافرين أي إن الملائكة لا تحتاج أن تسأل أحدا يوم القيامة أن يقال ما كان دينك وما كنت تصنع في الدنيا حتى يتبين لهم بإخباره عن نفسه إنه كان مؤمنا أو كان كافرا لكن المؤمنين يكونون ناضري الوجوه منشرحى الصدور ويكون المشركون سود الوجوه زرقاً مكروبين فهم إذا كلفوا سوق المجرمين إلى النار وتميزهم في الموقف كفتهم مناظرهم عن تعرف أديانهم ومن قال هذا فيحتمل أن يقول إن الأمر يوم القيامة يكون بخلاف ما هو كائن قبله على ماوردت به الاخبار من سؤال الملائكين الميت اذا دفن وانصرف الناس عنه^(۲) عن ربه ودينه ونبيه أي إذا كان يوم القيامة لم تسأل الملائكة عند الحاجة إلى تمييز فريق عن هذا لاستغنائهم بمناظرهم عما وراءها ومن قاله يحتاج بقوله تعالى فو ربك لسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون أخبر أنهم يسألهم عن أعمالهم وهذه الآية في الكافرين ومن قال يسألهم عن أصل كفرهم ثم عن تجديدهم هم إياه كل وقت باستهزائهم بآيات الله تعالى ورسله فقد سأله عما كانوا يعملون وذلك هو المراد: (۱) عن ذنوبهم المجرمون (۲) عنه فيسألون عن

باب ما جاء في شهادة الأرض والليالي والأيام

بما عمل فيها وعليها وفي شهادة المال على صاحبه

وقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد

الترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبداً **بما عمل** على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا فهذه أخبارها قال هذا حديث حسن صحيح غريب أبو نعيم عن معاوية ابن قررة عن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم يأتي على

ابن آدم إلا ينادى فيه يا بن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك غدا شهيد فاعمل في خيرا أشهد لك به غدا فإني لو قد مضيت لم ترني أبدا ويقول الليل مثل ذلك غريب من حديث معاوية تفرد به عنه زيد العمى ولا أعلمه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد ابن المبارك عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال من سجد في موضع عند شجر أو حجر شهد له عند الله يوم القيامة قال وأخبرني ابن أبي خالد رضى الله عنه قال سمعت أبا عيسى يحيى بن رافع يقول سمعت عثمان ابن عفان رضى الله عنه يقول وجاءت سكرة الموت بالحق وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد قال سائق يسوقها إلى أمر الله وشاهد يشهد عليها بما عملت وخرج مسلم من حديث سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه وإن هذا المال خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه من يأخذه بغير حقه كالذى يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة وقد تقدم أنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر إلا شهد له يوم القيامة . رواه أبو سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم . رواه الأئمة مالك وغيره .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله فتفكر يا أخى وإن كنت شاهدا عدلا بأنك مشهود عليك في كل أحوالك من فعلك ومقالك وأعظم الشهود لديك المطلع عليك الذى لا تخفى عليه خافية عين ولا يغيب عنه زمان ولا اين قال الله تعالى ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ، فاعمل عمل من يعلم أنه راجع إليه وقادم عليه يجازى على الصغير والكبير والقليل والكثير سبحانه لا إله إلا هو

باب لا يشهد العبد على شهادة في الدنيا

إلا شهد بها يوم القيامة

ابن المبارك قال أخبرنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن سليمان بن راشد أنه بلغه أن أمراً لا يشهد على شهادة في الدنيا إلا شهد بها يوم القيامة على رؤوس الأشهاد ولا يمتدح عبداً في الدنيا إلا امتدحه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا صحيح ، يدل على صحته من الكتاب قوله الحق ستكتب شهادتهم ويسألون وقوله ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد والله أعلم .

باب ما جاء في سؤال الأنبياء

وفي شهادة هذه الأمة للأنبياء على أمهم

قال الله تعالى فلنسالن الذين أرسل إليهم ولنسالن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين، وقال فوربك لنسالنهم أجمعين. فيبدأ بالأنبياء عليهم السلام فيقول ماذا أجبتهم، قيل في تفسيرها كانوا قد علوا ولكن ذهبت عقولهم وعزبت أفهامهم ونسوا من شدة الهول وعظيم الخطب وصعوبة الامر فقالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب ، ثم يقربهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام، ويقال إن الهية تأخذ بمجامع قلوبهم فيذهلون عن الجواب ثم ان الله يثبتهم ويحدث لهم ذكراً فيشهدون بما أجابت به أمهم ويقال إنما قالوا ذلك تسايماً كما فعل المسيح في قوله تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب والاول أصح لان الرسل يتفاضلون والمسيح من أجلهم لانه كلمة الله وروحه قاله أبو حامد وخرج ابن ماجه حدثنا أبو كريب وأحمد بن سنان قالوا حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل ويحيى النبي ومعه الرجلان ويحيى النبي ومعه الثلاثة وأكثر من ذلك (۱۹ - تذكرة)

فيقال له هل بلغت قومك فيقول نعم^(۱) فيقال هل بلغكم فيقولون لا فيقال من يشهد
الك فيقول محمد وأمة فتدعى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقال هل بلغ هذا فيقولون
نعم فيقول وما علمكم بذلك فيقولون أخبرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك أن
الرسول قد بلغوا فصدقناه: قال فذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وذكره البخاري أيضا بمعناه عن أبي
سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى نوح يوم القيامة فيقول
ليبيك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لامته هل بلغكم فيقولون
ما أتانا من نذير فيقول من يشهدك فيقول محمد وأمة فيشهدون أنه قد بلغ^(۲) ويكون
الرسول عليكم شهيدا أخرجه ابن المبارك في رقايقه مرسلًا بأطول من هذا فقال أخبرني
رشد بن سعد قال أخبرني ابن أنعم المغافري عن حبان بن أبي جبلة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا جمع الله عباده يوم القيامة كان أول من يدعى إسرافيل عليه السلام
فيقول له رب ما فعلت في عهدي هل بلغت عهدي فيقول نعم قد بلغت جبريل فيدعى
جبريل عليه السلام فيقول هل بلغك إسرافيل عهدي فيقول نعم يارب قد بلغتني
فيخلى عن إسرافيل ويقال لجبريل هل بلغت عهدي فيقول جبريل نعم قد بلغت الرسل
فيدعى الرسل فيقول هل بلغكم جبريل عهدي فيقولون نعم فيخلى عن جبريل ثم
يقال للرسل هل بلغتم عهدي فيقولون قد بلغنا أمننا فتدعى الامم فيقال لهم هل
بلغتكم الرسل عهدي فمنهم المصدق ومنهم المكذب فتقول الرسل ان لنا عليهم شهودا
يشهدون ان قد بلغنا مع شهادتك فيقول من يشهد لكم فيقولون محمد وأمة فتدعى
أمة احمد فيقول تشهدون ان رسلي هؤلاء قد بلغوا عهدي إلى من أرسلوا إليه
فيقولون نعم رب شهدنا ان قد بلغوا فتقول تلك الامم كيف يشهد علينا من لم
يدر كنا فيقول لهم الرب كيف تشهدون على من لم تدر كوا فيقولون ربنا بعثت إلينا رسولا
وأنزلت إلينا عهدك وكتابك وقصصك علينا انهم قد بلغوا فشهدنا بما عهدت إلينا
فيقول الرب صدقوا. فذلك قوله عز وجل وكذلك جعلناكم أمة وسطا، والوسط
العدل لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابن أنعم فبلغني
أنه يشهد يومئذ أمة محمد إلا من كان في قلبه حنة على أخيه :

(۱) نعم فيدعى قومها فيقال (۲) بلغ فذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا

شهداء على الناس و

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وذكر هذا الخبر أبو محمد في كتاب العاقبة له
فذكر بعد قوله والوسط العدل ، ثم تدعى غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين
ثم ينادى كل إنسان باسمه واحدا واحدا ويسألون واحدا واحدا وتعرض أعمالهم
على رب العزة جل جلاله قلباها وكثيرها حسنها وقبيحها

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وذكر أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة
أن هذا يكون بعد ما يحكم الله تعالى بين البهائم ويفتص للجماة من القرناء ويفصل
بين الوحش والطير ثم يقول لهم كونوا تراباً فتسوى بهم الأرض وحينئذ
يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ، ويتمنى الكافر فيقول :
يا ليتني كنت تراباً ثم يخرج النداء من قبل الله تعالى أين اللوح المحفوظ فيؤتى
به له هرج عظيم فيقول الله تعالى أين ما سطرت فيك من توراة وزبور والإنجيل
وفرقان فيقول يارب نقله مني الروح الأمين فيؤتى به يرعد وتصطك ركبته فيقول
الله تعالى يا جبريل هذا اللوح ^(١) يزعم أنك نقلت من كلامي وروحي أصدق قال نعم
يارب . قال : فما فعلت فيه ؟ قال : أنهيت التوراة إلى موسى ، وأنهيت الزبور إلى
داود ، وأنهيت الفرقان ^(٢) إلى محمد عليهم السلام ، وأنهيت الإنجيل إلى عيسى عليه
السلام ، وأنهيت إلى كل رسول رسالته وإلى أهل الصحف صحائفهم فإذا بالنداء
يانوح فيؤتى به يرعد وتصطك فرائصه فيقول يانوح زعم جبريل أنك من المرسلين
قال صدق فقيل له ما فعلت مع قومك قال دعوتهم ليلاً ونهاراً فلم يزدتم دعائي إلا
فراراً فإذا بالنداء يا قوم نوح فيؤتى بهم زمرة واحدة فيقال هذا أخوكم نوح يزعم
أنه بلفكم الرسالة فيقولون ياربنا كذب ما بلغنا من شيء موينكروا الرسالة فيقول الله
يانوح ألك بينة فيقول نعم يارب بينتي عليهم محمد وأمنه فيقولون كيف ونحن أول
الأمم وهم آخر الأمم فيؤتى بالنبي صلى الله عليه وسلم فيقول يا محمد هذا نوح يستشهدك
فيشهد له بتبليغ الرسالة فيقرأ صلى الله عليه وسلم : إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه ، إلى
آخر السورة فيقول الجليل جل جلاله قد يجب عليكم الحق وخفت كلمة العذاب
على الكافرين فيؤمر بهم زمرة واحدة إلى النار من غير وزن عمل ولا حساب ثم

(١) اللوح المحفوظ يزعم أنك نقلت منه (٢) وأنهيت الإنجيل ، تنبؤ الفرقان

ینادی این هود فیه یقولون قوم هود مع هود کا فعل قوم نوح مع نوح فیتشهد علیہم بالنبی صلی اللہ علیہ وسلم وخیار أمتہ فیتلوا ، کذبت عاد المرسلین ، فیؤمر بهم إلی النار مثل أمة نوح ، ثم ینادی بإصالح ویاثمود فیأتون فیتشهد صالح عند ما ینکرون فیتلوا النبی ﷺ ، کذبت ثمود المرسلین ، إلی آخر القصة فیفعل بهم مثلهم ولا یزال ینخرج أمة بعد أمة قد أخبر عنهم القرآن بیانا و ذکرهم فیہ إشارة کقولہ تعالیٰ ، وقرونا بین ذلك کثیرا ، وقولہ ، ثم أرسلنا رسلنا قری کما جاء أمة رسولها وقولہ ، والذین من بعدهم لا یعلمهم إلا اللہ جاءہم رسلهم بالبینات ، وفی ذلك تنبیہ علی أولئك القرون الطاغیة کقوم تاریخ وتارح ودوحا وأسرا وما أشبه ذلك حتی ینتہی النداء إلی أصحاب الرس وتبع قوم إبراہیم وفی کل ذلك لا یرفع لهم میزان ولا یوضع لهم حساب وهم عن ربہم یومئذ لمحجوبون والترجمان یکلمہم لأن الرب تعالیٰ من نظر الیہ وکلہ لم یعذبه ثم ینادی بموسیٰ بن عمران فیأتی وهو کأنہ ورقة فی ریح عاصف قد اصفر لونه واصطکت رکتاہ فیقول له یا ابن عمران جبریل یزعم أنه بلغک الرسالة والتوراة فتشهد له بالبلاغ قال نعم قال فارجع إلی منبرک واتل ما أوحی الیک من ربک فیرقی المنبر ثم یقرأ فینصت له کل من فی الموقف فیأتی بالتوراة غضة طریة علی حسنہا یوم أنزلت حتی تتوهم الأحبار أنهم ما عرفوها یوما ثم ینادی یا داود فیأتی وهو یرعد وکأنہ ورقة فی ریح عاصف تصطک رکتاہ فیصفر لونه فیقول اللہ جل ثناؤہ یا داود زعم جبریل أنه بلغک الزبور فتشهد له بالبلاغ فیقول نعم یارب فیقال له ارجع إلی منبرک واتل ما أوحی الیک . فیرقی ثم یقرأ وهو أحسن الناس صوتا . وفی الصحیح أنه صاحب المزامیر . ثم ینادی المتنادی ابن عیسیٰ ابن مریم فیؤتی بہ علی باب المرسلین فیقول : أنت قلت للناس اتخذونی وأمی لأھن من دون اللہ ثم یحمد تھمیدا ماشاء اللہ تعالیٰ ویثنی علیہ کثیرا ثم یعطف علی نفسه بالنم والاحتقار ویقول ، سبحانک ما ینکون لی أن أقول ما لیس لی بحق إن كنت قلتہ فقد علتہ تعلم ما فی نفسی ولا أعلم ما فی نفسک إنک أنت علام الغیوب ، فیضحک إقہ ویقول ، هذا یوم ینفع الصادقین صدقہم ، یا عیسیٰ ارجع

إلى منبرك وائل الإنجيل الذي بلغك جبريل فيقول نعم ثم يرقى ويقرأ فتشخص
إليه الرؤس لحسن ترديده وترجيحه فإنه أحكم الناس به رواية فيأتي به غضا
طريا حتى يظن الرهبان أنهم ما علوا به قط ثم ينقسم قومه فرقتين المجرمون
مع المجرمين والمؤمنون مع المؤمنين . ثم يخرج النداء أين محمد فيؤتى به صلى الله
عليه وسلم فيقول يا محمد هذا جبريل يزعم أنه بلغك القرآن فيقول نعم
يارب فيقال له ارجع الى منبرك واقرأ فيقولوا صلى الله عليه وسلم القرآن فيأتي
به غضا طريا له حلاوة وعليه طلاقة يستبشر به المتقون وإذا وجوههم ضاحكة
مستبشرة والمجرمون وجوههم مغبرة مقفرة فإذا تلا النبي صلى الله عليه وسلم
للقرآن توهمت الأمة أنهم ما سمعوه قط وقد قيل للأصمعي تزعم أنك أحفظهم
لكتاب الله قال يا ابن أخي يوم اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنى ما سمعته
فإذا فرغت قراءة الكتب خرج النداء من قبل سرادقات الجلال وامتازوا اليوم
أيها المجرمون فيرتج الموقف ويقوم فيه روع عظيم والملائكة قد امتزجت بالجن
والجن بنى آدم والكل لجة واحدة ثم يخرج النداء يا آدم ابعت بعث النار فيقول
كم يارب فيقال له من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة
على ما يأتي بيانه فلا يزال يستخرج من سائر الملحددين والغافلين والفاستقين حتى لا يبقى
إلا قدر حفنة الرب كما قال الصديق رضى الله عنه نحن حفنات بحفنات الرب سبحانه
وععالى على ما يأتي ان شاء الله تعالى .

باب ما جاء في الشهداء عند الحساب

قال العلماء وتكون المحاسبة بمشهد من النبيين وغيرهم قال الله تعالى
وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقال فكيف إذا جئنا من كل
أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا . وشهيد كل أمة نبيها وقيل أنهم
كتبه الأعمال وهو الأظهر فتحضر الأمة ورسولها فيقال لاقوم ماذا أجبت المرسلين
ويقال للمرسل ماذا أجبت فقول الرسل لا علم لنا على ما تقدم في الباب قبل ثم يدعى
كل واحد على الانفراد فالشاهد عليه صحيفة عمله وكاتبها فانه قد أخبر في الدنيا

أن عاينه ملكين يحفظان أعماله وينسخانها وذكر أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة أن المنادي ينادى من قبل الله لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب فيستخرج لهم كتاب عظيم يسد ما بين المشرق والمغرب فيه جميع أعمال الخلائق فإما من صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وذلك أن أعمال الخلائق تعرض على الله في كل يوم فيأمر الكرام البررة أن ينسخوها في ذلك الكتاب العظيم وهو قوله تعالى إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ثم ينادى بهم فردا فردا فيحاسب كل واحد منهم فإذا الأقدام تشهد واليدان وهو قوله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقد جاء في الخبر أن رجلا منهم يوقف بين يدي الله تبارك وتعالى فيقول له يا عبد السوء كنت مجرما عاصيا فيقول ما فعلت فيقال له عليك بينة فيؤتى بحفظته فيقول كذبوا على فتشهد جوارحه عاينه فيؤمر به إلى النار فيجعل يلوم جوارحه فتقول له ليس عن إختيارنا انطقنا الله الذي انطق كل شيء وقد تقدم هذا المعنى مستوفى وتقدم أن الأرض والأيام والليالي والمال ممن يشهد وإذا قال الكافر لا أجزى على نفسي إلا شاهد أمني ختم على فيه فتشهد أركانه على ما تقدم .

باب ما جاء في شهادة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته

ابن المبارك أخبرنا رجل من الأنصار عن المنهال بن عمرو حدثنا أنه سمع سعيد بن المسيب يقول ليس من يوم إلا تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسميهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم يقول الله تبارك وتعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا :

تفسير ابن كثير
سما بهم

(فصل) قال الشيخ المؤلف رحمه الله قد تقدم أن الأعمال تعرض على الله تعالى يوم الخميس ويوم الاثنين وعلى الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة ولا تعارض فإنه يحتمل أن يخص نبينا عليه السلام العرض كل يوم ويوم الجمعة مع الأنبياء وقد ورد عنه ^{عليه السلام} أنه قال حياتي خير لكم الحديث

عنه الخطي ٥٥/١ -

باب ما جاء في عقوبة مانعي الزكاة

وفضيحة الغادر والغال في الموقف وقت الحساب

مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم مر عليه أولاهها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أو فرما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه باخفافها وتعضيه بها بأفواهها كلما مر عليه أولاهها رد عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار قيل يا رسول الله الخبث أخرجه البخاري بمعناه وروى مالك والبخاري والنسائي موقوفا مرفوعا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتاه الله مالا فلم يؤدي زكاته مثل له يوم القيامة شجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم تأخذ بأهزمته يعني شذقيه ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ولا تحبن الذين يدخلون الآيات وذكر مسلم من حديث جابر قال ولا صاحب كنز لا يؤدي فيه حقه إلا جاء يوم القيامة شجاعا أقرع يتبعه فأنحاه فإذا أتاه فرمته فيناديه خذ كنزك الذي خبأته فأنا عنه غني فإذا رأى أن لا بد له منه سلك يده في فيه فيقضمها فضم الفجل وذكر الحديث وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول وعظم أمره ثم قال لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بهير له رغاء يقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد ابغنتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حجمة يقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد ابغنتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة طائفا يقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئا قد ابغنتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم

(۱) يا رسول الله قال ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها ومن حقها جلها

القيامة على رقبة نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيئاً
 قد بلغتك لا ألفين أحدكم يحيى يوم القيامة على رقبة رفاع تخفق فيقول يا رسول الله
 أغثنى فأقول لا أملك لك شيئاً قد بلغتك لا ألفين أحدكم يحيى يوم القيامة على
 رقبة صامت فيقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك
 أخرجه البخارى أيضاً وعن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء^(۲) فيقال هذه
 غدرة فلان بن فلان وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدرة ألا ولا غادر
 أعظم غدرا من أمير عامة وفى رواية لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة وذكر
 أبو داود الطيالسى قال حدثنا قررة بن خالد عن عبد الملك بن عمير عن رافع بن شداد
 عن عمرو بن الحق الخزاعى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا آمن الرجل الرجل
 على دمه ثم قتله رفع له لواء غدر يوم القيامة .

(فصل) قال علياؤنا رحمهم الله فى قوله تعالى ومن يغفل يأت بما غل يوم
 القيامة ان ذلك على الحقيقة كما بينه صلى الله عليه وسلم أى يأت به حاملاً له على
 ظهره ورقبته معذباً بحمله وثقله ومرعوباً بصوته وموبخاً بإظهار خيانتة على رؤوس
 الإشهاد وكذا مانع الزكاة كما فى صحيح الحديث قال أبو حامد فمانع زكاة الإبل
 يحمل بعيراً على كاهله له رغاء وثقل يعدل الجبل العظيم ومانع زكاة البقر يحمل ثوراً
 على كاهله له خوار وثقل يعدل الجبل العظيم ومانع زكاة الغنم يحمل شاة لها ثغاء
 وثقل يعدل الجبل العظيم والرغاء والخوار والثغاء كالرعد القاصف ومانع زكاة الزرع
 يحمل على كاهله اعدالا قد ملئت من الجنس الذى كان يبخل به برأ كان أو شعيراً
 أثقل ما يكون ينادى تحته بالويل والنبور ومانع زكاة المال يحمل شجاعاً أقرع له
 زبيبتان وذنبه قد أنساب فى منخريره واستدارت بجيده وثقل على كاهله كأنه طوق
 بكل رضى فى الأرض وكل واحد ينادى ما هذا فتقول الملائكة هذا ما بخلتم به
 فى الدنيا رغبة فيه وشعاعاً عليه وهو قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال

(۱) لك من الله شيئاً (۲) لواء يوم القيامة فيقال

الشيخ المؤلف رحمه الله وهذه الفضيحة التي أوقعها الله بالغال وما نعى الزكاة نظير
الفضيحة التي يوقعها بالغادر وجعل الله هذه المعاقبات حسب ما يمهده البشر ويفهمونه
ألا ترى إلى قول شاعرهم :

أسمى ويحك هل سمعت بغدرة رفع اللواء لتسا بها في المجمع

فكانت العرب ترفع للغادر لواء في المحافل ومواسم الحج وكذلك يظاف
بالجاني مع جنائته وذهب بعض العلماء إلى أن ما يجي به الغال يحمله عبارة عن
وزر ذلك وشهرة الأمر أي يأتي يوم القيامة قد شهر الله أمره كما يشهر لو حمل
بعيرا له رغاء أو فرسا له حممة .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا عدول عن الحقيقة إلى المجاز والتشبيه
وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالحقيقة فهو أولى وقد روى أبو داود عن
سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أعاب غنيمة أمر
بلا لا فنادى في الناس فيجيبون بغنائمهم فيخمسه ويقسمه لرجل يوما بعد النداء
بزماء من شعر فقال يا رسول الله هذا كان فيما أصبناه من الغنيمة فقال أسمع بلا لا
ينادي ثلاثا قال نعم قال فما منعك أن تجيء به فاعتذر إليه فقال كلا أنت تجيء
به يوم القيامة فلن أقبله منك .

(فصل) وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الحجر ليزن
بسبع خلفات فياقي في جهنم فيهوى فيها سبعين خريفا ويؤتى بالغلول فيلقى معه ثم
يكلف صاحبه أنت يأتي به قال فهو قول الله تعالى ومن يغلل يأت بما غل
يوم القيامة ذكره علي بن سيمان المرادي في الأربعين له وقوله يرفع لكل
غادر لواء يوم يوم القيامة دليل على أن في الآخرة للناس الوية فمنها ألوية خزي
وفضيحة يعرف بها أهلها ومنها الوية حمد وثناء وتشريف وتكريم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لواء الحمد يدي وروى لواء الكرم وقد تقدم وروى الزهري عن
أبي سلة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرؤ القيس

صاحب لواء الشعر إلى النار فعل هذا من كان إماماً ورأساً في أمره معروفًا به فله لواء يعرف به خيرا كان أو شرا وقد يجوز أن يكون للصالحين والأولياء الرية يعرفون بها تنويهاً بهم وإكراماً لهم والله أعلم وإن كانوا غير معروفين قال النبي صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره وقال إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي أخرجهما مسلم وقال أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة وفي الحديث الصحيح أن أول ما يقضى الله فيه الدماء وأول من يعطى الله أجورهم الذين ذهب أبصارهم ينادى يوم القيامة بالمكفوفين فيقال لهم أتم أحرى أى أحق من ينظر إلينا ثم يستجيب الله تعالى منهم ويقول لهم اذهبوا إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية وتجعل بيد شعيب عليه السلام فيصير أمامهم ومعهم ملائكة النور ما لا يحصى عددهم إلا الله تعالى يزفونهم كما تزف العروس فيمر بهم على الصراط كالبرق الخاطف وصفة أحدهم الصبر والحلم كابن عباس ومن ضاهاه من الأئمة ثم ينادى أين أهل البلاء ويريد المجدومين فيؤتى بهم فيحييهم الله بتحية طيبة بالغة فيأمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية خضراء وتجعل بيد أيوب عليه السلام فيصير أمامهم ذات اليمين وصفة المبتلى صبر وحلم وعلم كعقيل بن أبي طالب ومن ضاهاه من الأئمة ثم ينادى أين الشباب المتعنفون فيؤتى بهم إلى الله فيرحب بهم نعمًا ويقول ما شاء الله أن يقول ثم يأمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية خضراء ثم يجعل في يد يوسف عليه السلام ويصير أمامهم إلى ذات اليمين وصفة الشباب صبر وعلم وحلم كراشد بن سليمان ومن ضاهاه من الأئمة ثم يخرج النداء أين المتحابون في الله فيؤتى بهم إلى الله تعالى فيرحب بهم ويقول ما شاء الله أن يقول ثم يأمر بهم إلى ذات اليمين وصفة المتحاب في الله صبر وعلم وحلم لا يسخط ولا يسيء من رضى الاحوال الدينوية كابي تراب أعنى علي بن أبي طالب رضى الله عنه ومن ضاهاه من الأئمة ثم يخرج النداء أين الباكون فيؤتى بهم إلى الله تعالى فتوزن دموعهم ودم الشهداء ومداد العلماء فيرجح الدمع فيؤمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية ملونة لأنهم بكوا في أنواع مختلفة هذا بكى خوفاً وهذا بكى طمعاً وهذا بكى نداماً وتجعل بيد نوح عليه السلام قتهم العلماء بالتقدم عليهم ويقولون علينا أبكام فإذا

النداء على رسلك يا نوح فتوقف الزمرة ثم يوزن مداد العلماء فيرجح دم الشهداء فيؤمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية مزعفرة وتجعل في يد يحيى عليه السلام ثم ينطلق أمامهم فيهم العلماء بالتقدم عليهم ويقولون عن علينا قاتلوا فنحن أحق بالتقدم فيضحك لهم الجليل جل جلاله ويقول لهم أنتم عندي كأنبيائي اشفعوا فيمن تشاؤون فيشفع العالم في جيرانه وإخوانه ويأمر كل واحد منهم ملكاً ينادى في الناس ألا أن فلانا العالم قد أمر له أن يشفع فيمن قضى له حاجة أو أطعمه لقمه حين جاع أو سقاه شربة ماء حين عطش فليقم إليه فإنه يشفع له . وفي الصحيح أول من يشفع المرسلون ثم النبيون ثم العلماء ويعقد لهم راية بيضاء وتجعل بيد إبراهيم عليه السلام فإنه أشد المرسلين مكاشفة ثم ينادى ابن الفقراء فيؤتى بهم إلى الله عز وجل فيقول لهم مرحباً بمن كانت الدنيا سجنهم ثم يأمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية صفراء وتجعل في يد عيسى بن مريم عليه والسلام ويصير إمامهم إلى ذات اليمين ثم ينادى ابن الأغنياء فيؤتى بهم إلى الله عز وجل فيعدد عليهم ما خولهم فيه خمس مائة عام ثم يأمر بهم إلى ذات اليمين ويعقد لهم راية ملونة وتجعل بيد سليمان عليه السلام ويصير إمامهم في ذات اليمين .

وفي الحديث أن أربعة يستشهد عليهم بأربعة ينادى بالأغنياء وأهل الغبطة فيقال لهم ما شغلكم عن عبادة الله فيقولون أعطانا الله ملكاً وغبطة شغلنا عن القيام بحقه في دار الدنيا فيقال لهم من أعظم ملكاً أنتم أم سليمان فيقولون بل سليمان فيقال ما شغله ذلك عن القيام بحق الله والدأب في ذكره ثم يقال أين أهل البلاء فيؤتى بهم أنواعاً فيقال لهم أي شيء شغلكم عن عبادة الله تعالى فيقولون ابتلانا الله بأنواع من الآفات والعاهات شغلنا عن ذكره والقيام بحقه فيقال لهم من أشد بلاء أنتم أم أيوب فيقولون بل أيوب فيقال لهم ما شغله ذلك عن حقنا والدأب لذكرنا ثم ينادى ابن الشباب العطرة والمماليك فتقول الشباب أعطانا الله جمالا وحسناً فتنا به فكنا مشغولين عن القيام بحقه وكذلك المماليك فيقولون شغلنا رِق العبودية في الدنيا فيقال لهم أنتم أكثر جمالا أم يوسف عليه السلام فلقد كان في رِق العبودية ما شغله (۱) الله في دار الدنيا بأنواع

ذلك عن القيام بحقنا ولا الدأب لذكرنا ثم ينادى أين الفقراء فيؤتى بهم أنواها
فيقال لهم ما شغلكم عن عبادة الله تعالى فيقولون ابتلانا الله في دار الدنيا بفقر
شغلنا فيقال لهم من أشد فقراً أنتم أم عيسى عليه السلام فيقولون بل عيسى فيقول
لهم ما شغله ذلك عن القيام بحقنا والدأب لذكرنا فمن بلى بشيء من هذه الأربع
فليذكر صاحبه .

فصل ، وقوله هذه غدرة فلان بن فلان دليل على أن الناس يدعون في الآخرة
بأسمائهم وأسماء آبائهم وقد تقدم هذا في غير موضع وفي هذا رد على من قال إنما
يدعون بأسماء أمهاتهم لأن في ذلك ستر على آبائهم وهذا الحديث خلاف قولهم
خرجه البخاري ومسلم وحسبك .

فصل ، وقوله فيكوى بها جنبه الحديث إنما خص الجنب والجمبة والظهر
بالكي لشهرته في الوجه وشناعته وفي الجنب والظهر لأنه آلم وأوجع وقيل خص
الوجه لتقطيبه في وجه السائل أولاً والجنب لازوراره عن السائل ثانياً والظهر
لانصرافه إذا زاد في السؤال وأكثر منه فرتب الله تعالى هذه العقوبات في هذه
الاعضاء لاجل ذلك والله أعلم . وقالت الصوفية لما طلبوا الجاه والمال شان الله
وجوههم ولما طووا كشفاً عن الفقير إذا جالسهم كويت جنوبهم ولما اسندوا
ظهورهم إلى أموالهم ثقة بها واعتاداً عليها كويت ظهورهم :

فصل ، وقوله في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قيل معناه لو حاسب فيها
غير الله تعالى وإنما هو سبحانه وتعالى يفرغ منه في مقدار نصف نهار من أيام الدنيا
وقيل قدر موافقهم للحساب عن الحسن وقال ابن اليمان كل موقف منها ألف سنة
وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : والذي نفسي بيده انه ليخف على
المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة وقد تقدم من حديث أبي سعيد
الخدري وذكر ابن المبارك قال أخبرنا معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة
قال يقصر يومئذ على المؤمن حتى يكون كوقت الصلاة . وفي الحديث لا يتنصف

النهار حتى يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ذكره ابن عزير في غريب القرآن له . ويطح ألقى على وجهه . قال بعض المفسرين . وقال أهل اللغة : البطح هو البسط كيفما كان على الوجه أو على الوجه ومنه سميت بطحا مكة لانبساطها وبقاع قرقر أي بموضع مستو واسع وأصل القاع الموضع المنخفض الذي يستقر فيه الماء وجمعه قيمان والعصاة الملتوية القرن والجلحاء التي لا قرن لها والعصباء المكسورة داخلة القرن يريدانها كلها ذوات قرون صحاح معتلة ويمكن بها النطح والطنن حتى يكون أشد لآله وأبلغ في عذابه والله اعلم .

باب منه وذكر الولاية

ذكر الفيلاقي أبو طالب قال حدثنا أبو بكر الشافعي قال حدثنا محمد بن غالب قال حدثنا أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن زريع حدثنا روح بن القاسم عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة حتى يفكك الله بعدله أو يوبقه بجرمه وقال عمر لأبي ذر رضي الله عنهما حدثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعته يقول يجاء بالوالي يوم القيامة فينبد به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه فإن كان مطيعاً لله في عمله مضى فيه وإن كان عاصياً انخرق به الجسر فهو به مقدار خمسين عاماً فقال عمر من يطلب العمل بعد هذا يا أباذر قال من سبكت الله أنفه وألصق خده بالتراب ذكره أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله وروى الأئمة عن أبي حميد الساعدي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه استعمل رجلاً من الأسد يقال له ابن اللثية على الصدقة فجاء فقال لكم وهذا أهدي لي فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال ما بال العامل نبهته فيجىء فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي أفلا تجلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى إليه أم لا لا يأتي أحد منكم بشيء من ذلك إلا جاء به يوم القيامة إن كان بهيراً فله رغاء وإن كان بقره فلها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا بغيراً فله رغاء وإن كان بقره فلها خوار أو شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رأينا

(۱) عاصياً من وجل (۲) به في جهنم مقدار

عفرتي ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت وروى أبو داود عن بريدة
عن النبي صلى الله عليه وسلم من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فلأخذ بعد ذلك
فهو غلول .

باب ما جاء في حوض النبي

صلى الله عليه وسلم في الموقف

وسمته وكثرة أوانيه وذكر أركانه ومن عليها

ذهب صاحب القوت وغيره إلى أن حوض النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو
بعد الصراط والصحيح أن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين^(۱) وكلاهما يسمى كوثرا
على ما يأتي والكوثر في كلام العرب الخير الكثير واختلاف في الميزان والحوض
أيهما قبل الآخر فقبل الميزان قبل وقيل الحوض قال أبو الحسن القاسبي
والصحيح أن الحوض قبل .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله والمعنى يقتضيه فإن الناس يخرجون عظاما من
قبورهم كما تقدم فيقدم على الصراط والميزان والله أعلم وقال أبو حامد في كتاب
كشف علم الآخرة وحكي بعض السلف من أهل التصنيف أن الحوض يورد بعد
الصراط وهو غاط من قائه قال الشيخ المؤلف رحمه الله هو كما قال وقد روى
البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا
أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال لهم
فقلت إلى أين فقالوا إلى النار والله، قلت ما شأنهم فقالوا إنهم قد ارتدوا على أديبارهم
القهقري ثم إذا زمرة أخرى حتى إذا عرفتهم خرج من بيني وبينهم رجل فقال لهم
هل فقلت إلى أين قالوا إلى النار والله قلت ما شأنهم قالوا إنهم ارتدوا على أديبارهم
فلا أراه يخلص منهم الا مثل همل النعم

قال الشيخ المؤلف رحمه الله فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن
الحوض يكون في الموقف قبل الصراط لأن الصراط إنما هو جسر على جهنم

(۱) حوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط والثاني في الجنة

مردد بجاز عليه فمن جازه سلم من النار على ما يأتي وكذا حياض الانبياء عليهم السلام تكون أيضاً في الموقف على ما يأتي وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوقوف بين يدي الله تعالى هل فيه ماء قال أي والذي نفسي بيده إن فيه ماء وإن أولياء الله تعالى ليردون حياض الانبياء ويبعث الله سبعين ألف ملك بأيديهم عصي من نار يذودون الكفار عن حياض الانبياء .

مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما آية الحوض قال والذي نفس محمد بيده لا يئته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها الا في الليلة المظلمة المصححة آية الجنة من شرب منها لم يظأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظأ عرضه طوله ما بين عمان الى أيلة ماؤه أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل وعن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامى الى عمان وسئل عن شرايه فقال أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل يفت فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق . في غير كتاب مسلم يعب فيه ميزابان من الكوثر وفي أخرى ما يبسط أحد منكم يده الا وقع عليه قدح

مسلم عن أنس قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ أغفا إغفاة ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال نزلت على آتفا سورة فقرأ . بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الابتر . ثم قال : أندرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم . قال : فإنه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتي فيقال ماتدرى ما أحدث بعدك . وفي رواية أخرى ما أحدث وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماله أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك كيزانه

كنجوم السماء من ورد فشرب منه لم يظماً بعده أبداً أخرجه البخارى .

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أماءكم حوضاً كما بين جرباً وأذرح فيه أباريق كنجوم السماء من ورد فشرب منه لم يظماً بعدها أبداً . قال عبيد الله فسأته فقال قربتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث أخرجه البخارى : وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن حوضى أبعد من أيلة إلى عدن هو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باليمن ولآيته أكثر من عدد النجوم وإنى لأصد الناس كما يصد الرجل لإبل الناس عن حوضه قالوا يا رسول الله أتعرفنا يومئذ قال نعم لكم سبياً ليست لأحد من الأمم تردون على غرا محجلين من أثر الوضوء . ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن لى حوضاً ما بين الكعبة وبيت المقدس أبيض مثل اللبن آيته عدد نجوم السماء وإنى لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة

(فصل) ظن بعض الناس أن هذه التحديدات فى أحاديث الحوض اضطراب واختلاف وليس كذلك وإنما تحدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث الحوض مرات عديدة وذكر فيها تلك الألفاظ المخلفة مخاطباً لكل طائفة بما كانت تعرف من مسافات مواضعها فيقول لأهل الشام ما بين أذرح وجرباً ولأهل اليمن من صنعاء إلى عدن وهكذا وتارة أخرى يقدر بالزمان فيقول : مسيرة شهر والمعنى المقصود أنه حوض كبير متسع الجوانب والزوايا فكان ذلك بحسب من حضره من يعرف تلك الجهات لمخاطب كل قوم بالجهة التى يعرفونها والله أعلم . ولا يخفى بيالك أو يذهب وهمك إلى أن الحوض يكون على وجه هذه الأرض وإنما يكون وجوده فى الأرض المبدلة على مسامحة هذه الأقطار أو فى المواضع التى تكون بدلاً من هذه المواضع فى هذه الأرض وهى أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم ولم يظلم على ظهرها أحد قط كما تقدم تظهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل القضاء ويغت معناه يصب ويشخب أى يسيل والعمر مؤخر الحوض حيث تقف الإبل إذا وردته وتسكن قافه وتضم فيقال عقر وعقر كعسر وعسر قاله فى الصحاح والحمل من النعم الضوال من الإبل

واحدها هامل قاله الهروي . والمعنى أن الناجي منهم قليل كهمل النعم ويقال إن على أحد أركانه أبا بكر وعليا الثاني عمر وعلى الثالث عثمان وعلى الرابع علي .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : هذا لا يقال من جهة الرأي فهو مرفوع وقد رفعه صاحب الغيلانيات من حديث حميد عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن على حوضي أربعة أركان . فأول ركن منها في يد أبي بكر (١) والثاني في يد عمر والركن الثالث في يد عثمان ، والركن الرابع في يد علي رضي الله عنهم أجمعين . فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر ومن أحب عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر ومن أحب عثمان وأبغض عليا لم يسقه عثمان ومن أحب عليا وأبغض عثمان لم يسقه علي وذكر الحديث :

باب منه

ذكر أبو داود الطيالسي : قال حدثنا شعبة قال أخبرني عمرو بن مرة قال : سمعت أبا حمزة بن زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما أنتم بجزء من مائة ألف أو سبعين ألف جزء ممن يرد على الحوض وكانوا يومئذ ثمان مائة أو تسع مائة والله أعلم .

باب فقراء المهاجرين أول الناس ورود

الحوض على النبي صلى الله عليه وسلم

ابن ماجه عن الصنابحي الأحمسي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أني فرطكم على الحوض وإني مكأربكم الأمم فلا تفتتان بعدى . وخرج عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن حوضي ما بين عدن إلى أيلة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل أكوابيه كعدد نجوم السماء من شرب منه لم يظأ بعدها أبدا وأول الناس من يرد على الحوض فقراء المهاجرين الدنس ثيابا الشعب رؤوسا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم أبواب الددد قال فبكي عمر

(٢٠ - تذكرة)

(١) أو الركن الثاني

حتى اخضت لحيته فقال لكنى نكحت المتنعات وفتحت لى أبواب السدد لاجرم انى لا اغسل ثوبى الذى بلى جمدى حتى يتسخ ولا ادهن رأسى حتى تشعث خرجه الترمذى عن أبى سلام الحبشى قال : بعث إلى عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد قال فلما دخل عليه قال يا أمير المؤمنين لقد شق مركبى البريد فقال يا أبى سلام ما أردت أن أشق عليك ولكن بلغنى عنك حديث تمدته عن ثوبان عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الحوض فأحببت أن تشافهنى به . قال أبوسلام حدثنى ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن حوضى من عدن إلى عمان الباقاء ماؤه أشد فذكروه بمعناه وقال حديث غريب وقال أنس بن مالك رضى الله عنه أول من يرد الحوض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذابلون اللاحلون السانحون الذين إذا جنهم الليل استقبلوه بالحزن .

باب ذكر من يطرد عن الحوض

البخارى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قول : ليردن على ناس من أصحابى الحوض حتى إذا عرفتهم اخذوا دونى فأقول أصحابى فيقول لا تدرى ما أحدثوا بعدك . وعن أبى هريرة أنه كان يتحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يرد على الحوض رهط من أصحابى فيخلون عن الحوض فأقول يارب أصحابى فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أديبارهم القهقرى .

مسلم عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى على الحوض حتى أنظر من يرد على منكم وسيؤخذ ناس دونى فأقول يارب منى ومن أمى فيقال أما شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا بعدى يرجعون على أعقابهم وفى حديث أنس فيختلج العبد منهم فأقول يارب منى فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك وقد تقدم وكذلك حديث البخارى إذا زمرة حتى إذا عرفتهم تقدم أيضاً وفى الموطأ وغيره من حديث أبى هريرة فقالوا كيف تعرف من يأتى بعدك من أمتك يا رسول الله الحديث وفيه قال فإنهم يأتون غراً محجلين من أثر الوضوء

(فصل) قال علماؤنا رحمة الله عليهم أجمعين : فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه مالا يرضاه الله ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض

المبغدين عنه وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم كالخوارج على اختلاف فرقها ولروافض على تباين ضلالها والمعتزلة على أصناف أهوائها فهؤلاء كلهم مبدلون وكذلك الظلة المسرفون في الجور والظلم وتطهيس الحق وقتل أهله وإذلالهم والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي . وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع . ثم البعد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به ثم يقال لهم سبحانه وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون الإيمان ويسرون الكفر فيأخذهم بالظاهر . ثم يكشف لهم الغطاء فيقول لهم فسحفاً فسحفاً ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد مبطل ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان . وقد يقال إن من أنفذ الله عليه وعيده من أهل الكبار لأنه وإن ورد الحوض وشرب منه فإنه إذا دخل النار بمشيئة الله تعالى لا يهذب بمطر والله أعلم .

وروى الترمذى عن كعب بن عجرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعينك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون من بعدى فمن غشى أبوابهم فصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولا يرد على الحوض ومن غشى أبوابهم ولم يصدقهم في كذبهم ولم يمنعهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه وسيرد على الحوض يا كعب بن عجرة . الصلاة برهان والصبر جنة حصينة والصدقة تطيق الخليفة كما يطيق الماء النار يا كعب بن عجرة إنه لا يروى لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب وخرجه أيضاً في كتاب الفتن . وخرج الأوزاعي أبو عمر في مسنده قال حدثني عمرو بن سعد قال حدثني يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول حوضى ما بين أيلة إلى مكة أباريقه كنجوم السماء أو كعدد نجوم السماء له ميزابان من الجنة كلما نضب أمدها من شرب منه شربة لم يظماً بعدها أبداً وسيأتيه قوم ذابله شفاهم لا يطعمون منه قطرة واحدة من كذب به اليوم لم يصب منه الشرب يوماً ثم خرج الترمذى الحكيم في نوادر الأصول من حديث عثمان بن مظعون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في آخره يا عثمان لا ترغب عن سنتي فمن رغب عن سنتي

ثم مات قبل أن يثوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي يوم القيامة وقد ذكرناه
بكمال في آخر كتاب قمع الحرص بالزهد والفناحة

باب ما جاء أن لكل نبي حوضاً

الترمذي عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي حوضاً
وأهم يتباهون أنهم أكثر وارديه وإني أرجوا أن أكون أكثرهم وارده قال
أبو عيسى هذا حديث حسن غريب رواه قتادة عن الحسن عن سمرة وقد رواه
الأشعث بن عبد الملك عن الحسين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم
يذكر فيه غير سمرة وقال البكري المعروف بابن الواسطي لكل نبي حوض إلا صالحاً
فإن حوضه ضرع ناقته والله وسبحانه وتعالى أعلم

باب ما جاء في الكوثر الذي أعطيه

صلى الله عليه وسلم في الجنة

البخاري عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بينا أنا أسير
في الجنة إذا أنا بنهر في الجنة حافتاه قباب الدر الجوف قلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا
الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه أو طينته مسك أذفر - شك هدية - خرجته
أبو عيسى الترمذي بمعناه وزاد ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فرأيت ثمنها نوراً عظيماً
قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح وخرجه ابن وهب قال أخبرني شبيب عن
أبان عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حين عرج به
إلى السماء قال رأيت نهراً عجاباً مثل السهم يطرد أشد بياضاً من اللبن وأحلى من
العسل حافتاه قباب من در مجوف قلت يا جبريل ما هذا قال هذا نهر الكوثر الذي
أعطاك ربك قال فضربت يدي إلى حماته فإذا هو مسك أذفر ثم ضربت يدي إلى
إلى رضاضه فإذا هو در .

الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر
في الجنة حافتاه من ذهب ومحراب من الدر والياقوت تربته أطيب من المسك ومائمه أحلى
من العسل وأبيض من الثلج هذا حديث حسن صحيح والله أعلم .

أبواب الميزان

باب ما جاء في الميزان وأنه حق

قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وقال فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأما هارئة . قال العلماء وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال لأن الوزن للجزاء فيبغى أن يكون بعد المحاسبة فإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها قال الله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا الآية وقال فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه إلى آخر السورة وقال ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم الآيتين في الأعراف والمؤمنين وهذه الآيات إخبار لوزن أعمال الكفار لأن عامة المعنيين بقوله خفت موازينه في هذه الآيات هم الكفار وقال في سورة المؤمنون فكنتم بها تكذِبون وفي الأعراف بما كانوا بآياتنا يظلمون وقال فأما هارئة وهذا الوعيد بإطلاقه للكفار وإذا جمع بينه وبين قوله وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ثبت أن الكفار يستوفون عما خالفوا فيه الحق من أصل الدين وفروعه إذ لو لم يسألوا عما خالفوا فيه أصل دينهم من ضروب تعاطيهم ولم يحاسبوا به ولم يعتد بها في الوزن أيضا فإذا كانت موزونة دل على أنهم يحاسبون بها وقت الحساب وفي القرآن ما يدل أنهم مخاطبون بها مسئولون عنها محاسبون بها مجزيون على الإخلال بها لأن الله تعالى يقول ويل للشركين الذين لا يؤتون الزكاة فتوعدم على منعهم الزكاة وأخبر عن المجرمين أنهم يقال لهم ماسلككم في سقر الآية فبان بهذا أن المشركين مخاطبون بالإيمان والبعث وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأنهم مسئولون عنها محاسبون بها مجزيون على الإخلال بها وفي البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنه ليأتي الرجل العظيم السنين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وافرءوا إن شئتم فلا تقم لهم يوم القيامة وزناً .

(۱) ابتناها وكفى بنا حاسبين (۲) يسألون عما ظلموا

قال العلماء معنى هذا الحديث أنه لا ثواب لهم وأعمالهم مقابلة بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين يوم القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار وقال أبو سعيد الخدرى يؤتى بأعمال كجبال تهامة فلا تزن شيئاً وقيل يحتمل أن يريد المجاز والاستعارة كأنه قال فلا قدر لهم عندنا يومئذ والله أعلم . وفيه من العفة ذم السمن لمن تكلمه لما في ذلك من تكلف المطاعم والمشارب وبها شئ المكارم بل يدل على تحريم كثرة الأكل الزائد على قدر الكفاية المبتغى به الترفه والسمن وقد قال صلى الله عليه وسلم إن أبغض الرجال إلى الله الحبر السمين .

باب منه

وبيان كيفية الميزان ووزن الأعمال فيه ومن قضى لأخيه حاجة

الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاصى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله يستخلص رجلاً من أمى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتسکر من هذا شيئاً أظلك كنى الحافظون فيقول لا يارب فيقول أظلك عذر فقال لا يارب فيقول بل إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال لك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقات البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء قال حديث حسن غريب وأخرجه ابن ماجه في سننه وقال يدل قوله وأول الحديث إن الله يستخلص رجلاً من أمى على رؤس الخلائق يوم القيامة يصاح برجل من أمى على رؤس الخلائق وذكر الحديث وقال محمد بن يحيى البطاقة الرقعة أهل مصر يقولون الرقعة بطاقة وفي الخبر إذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالأنثى فيلقبها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجع الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن لنبى صلى الله عليه وسلم بأبى أنت وأمى ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك

فمن أنت فيقول أنا نبيك محمد وهذه صلواتك علي التي كنت تصلي علي قد وفيتك
إياها أحوج ما تكون إليها ذكره الفشيري في تفسيره وذكر أبو نعيم الحافظ
بإسناده من حديث مالك بن أنس والعمري عن نافع عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لأخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه
فإن رجح والاشفت له .

(فصل) قال الشيخ المؤلف رحمه الله الميزان حق ولا يكون في حق كل أحد
بدليل قوله عليه السلام فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه
الحديث وقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم الآية وإنما يكون لمن بقى من أهل
المحشر من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً من المؤمنين وقد يكون للكافرين على
ما ذكرنا ويأتي وقال أبو حامد والسبعون الألف الذين يدخلون الجنة بلا حساب
لا ترفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفاً وإنما هي برامات مكتوبة لا إله إلا الله محمد
رسول الله هذه برامة فلان بن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا يشقى بعدها فامر
عليه شيء أسر من ذلك المقام .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
تنصب الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى
بأهل الصيام فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم
بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب
لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان وينصب عليهم الأجر صبا بغير حساب ذكره
الغاضي منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله وخرجه أبو نعيم الحافظ بمعناه عن ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالشهيد يوم القيامة فينصب للحساب
ويؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ثم يأتي بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر
لهم ديوان فينصب لهم الأجر صبا حتى إن أهل العافية ليرتمون في الموقف أن
أجسامهم قرضت بالمقاريض لما يرون من حسن ثواب الله تعالى لهم هذا حديث غريب
من حديث جابر الجعفي وقتادة وفرد به عن قتادة عن جابر عن ابن عباس عن جماعة
ابن الزبير وروى الحسين بن علي رضوان الله عليها قال قال لي جدي صلى الله

عليه وسلم يابى عليك بالقناعة تكن من أغنى الناس وأد الفرائض تكن من
أعبد الناس .

يابنى إن فى الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم
ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صباراً قرأ صلى الله عليه وسلم
إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ذكره أبو الفرج ابن الجوزى فى كتاب
روضة المشتاق : (۱) البلاء يوم القيامة فلا ينصب

(فصل) فإن قيل أما وزن أعمال المؤمنين فظاهر وجهه فتقابل الحسنات
بالسيئات فتوجد حقيقة الوزن والكافر لا يكون له حسنات فما الذى يقابل بكفره
وسيئاته وأن يتحقق فى أعماله الوزن فالجواب إن ذلك على وجهين أحدهما إن الكافر
يحضر له ميزان فيوضع كفره أو كفره وسيئاته فى إحدى كفتيه ثم يقال له هل لك
من طاعة تضعها فى الكفة الأخرى فلا يجدها فيشال الميزان فترفع الكفة الفارغة
وتقع الكفة المشغولة فذلك خفة ميزانه وهذا ظاهر الآية لأن الله تعالى وصف
الميزان بالخفة لا الموزون وإذا كان فارغاً فهو خفيف والوجه الآخر أن الكافر
يكون منه صلة الأرحام ومواساة الناس وعق المملوك ونحوها مما لو كانت من
المسلم لكانت قربة وطاعة فن كانت له مثل هذه الخيرات من الكفار فإنها تجمع
وتوضع فى ميزانه غير أن الكفر إذا قابلها بها رجح بها ولم يخل من أن يكون الجانب
الذى فيه الخيرات من ميزانه خفيفاً ولو لم يكن له إلا خير واحد أو حبة واحدة
لا حضرت ووزنت كما ذكرنا . فإن قيل لو احتسبت خيراته حتى يوزن لجوزى بها
جزاء مثلها وإس له منها جزاء لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن عبد الله
ابن جدعان وقيل له إنه كان يقرى الضيف ويصل الرحم ويهين فى النوائب فهل
ينفعه ذلك فقال لا لأنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وسأله عدى بن
حاتم عن أبيه مثل ذلك فقال إن أبك طلب أمراً فأدره يعنى الذكر فدل أن الخيرات
من الكافر ليست بخيرات وإن وجودها وعدمها بمنزلة واحدة سواء والجواب أن
الله تعالى قال وتضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ولم يفصل بين
نفس ونفس بخيرات الكافر توزن ويجزى بها إلا أن الله تعالى حرم عليه الجنة

لجزاؤه أن يخفف عنه بدليل حديث أبي طالب فإنه قيل له يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك فقال نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح ولولا أنا لكان في المدرك الأسفل من النار وما قاله عليه السلام في ابن جدعان . وحاتم إنما هو في أنهما لا يدخلان الجنة ولا يتنعمان بشيء من نعيمها والله أعلم .

(فصل) أصل ميزان موزان قلبت الواو بالكسرة ما قبلها قال ابن قورك وقد أنكرت المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها ومن المكلمين من يقول كذلك وروى ذلك عن ابن عباس أن الله تعالى يقب الأعراس أجساماً فيزنها يوم القيامة وقد تقدم هذا المعنى . والصحيح أن الموازين تثقل بالكتب فيها الأعمال مكتوبة وبها تخفف كما دل عليه الحديث الصحيح والكتاب العزيز قال الله عز وجل وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين وهذا نص قال ابن عمر توزن صحائف الأعمال وإذا ثبت هذا فالصحف أجسام فيجعل الله تعالى رجحان إحدى الكفتين على الأخرى دليلاً على كثرة أعماله بإدخاله الجنة أو النار وروى عن مجاهد والضحاك والانس أن الميزان هنا بمعنى العدل والنضاء وذكر الوزن والميزان ضرب مثل كما يقول هذا الكلام في وزن هذا وفي وزانه أي يعادله ويساويه وإن لم يكن هناك وزن .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا القول مجاز وليس بشيء وإن كان شائعاً في اللغة للسنة الثابتة في الميزان الحقيقي ووصفه بكفتين ولسان وأن كل كفة منهما طباق السموات والأرض وروى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال توضع الموازين يوم القيامة فلو وضعت فيهن السموات والأرض لو سعتن فتقول الملائكة يا ربنا ما هذا فيقول أذن به لمن شئت من خلقي فكفة الحسنات من نور والأخرى من ظلام فالكفة النيرة للحسنات والكفة المظلمة للسيئات وجاء في الخبر أن الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش ويؤتى بالميزان فنصب بين يدي الله تعالى كفة للحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة وكفة للسيئات عن يسار العرش

مقابل النار ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الأصول وقال ابن عباس توزن الحسنات
والسيئات في ميزان له كفتان ولسان .

قال عباؤنا ولو جاز حمل الميزان على ما ذكره لجاز حمل الصراط على الدين
الحق والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد من الأحزان والأفراح
والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة والملائكة على القوى المحمودة وهذا كله
فاسد لأنه رد لما جاء به الصادق وفي الصحيحين فيعطى صحيفة حسناته وقوله
فيخرج له بطاقة وذلك يدل على الميزان الحقيقي وأن الموزون صحف الأعمال
كما بينا وبالله توفيقنا ولقد أحسن من قال :

تذكر يوم تأتي الله فردا . وقد نصبت موازين القضاء
وهتكت الستور عن المعاصي . وجاء الذنب منكشف الغطاء

(فصل) قال عباؤنا رحمهم الله الناس في الآخرة ثلاث طبقات متقون لا كبار
لهم ومخلطون وهم الذين يوافقون بالفواحش والكبائر والثالث الكفار فأما المقون
فإن حسناتهم توضع في الكفة النيرة وصغارهم إن كانت لهم في الكفة الأخرى
فلا يجعل الله لتلك الصغار وزنا وتثقل الكفة النيرة حتى لا تبرح وترتفع المظلة
لارتفاع المارغ الخالي وأما المخلطون لحسناتهم توضع في الكفة النيرة وسيةتهم في
الكفة المظلة فيكون لكبارهم ثقل فإن كانت الحسنات أثقل ولو بصوابة دخل
الجنة وإن كانت السيئات أثقل ولو بصوابة دخل النار إلا أن يغفر الله وإن تساوى
كان من أصحاب الاعراف على ما يأتي هذا إن كانت للكبائر فيما بينه وبين الله
وأما إن كانت عليه تبعات وكانت له حسنات كثيرة فإنه ينقص من ثواب حسناته
بقدر جزاء السيئات لكثرة ما عليه من التبعات فيحمل عليه من أوزار من ظله
ثم يعذب على الجميع هذا ما تقتضيه الأخبار على ما تقدم ويأتي، قال أحمد بن حنبل
تبعث الناس يوم القيامة على ثلاث فرق فرقة أغنياء بالأعمال الصالحة وفرقة فقراء
وفرقة أغنياء ثم يصيرون فقراء مفاليس في شأن التبعات وقال سفيان الثوري .

أنتك أن تلقى الله عز وجل بسبب ذنباً فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه
بذنب واحد فيما بينك وبين العباد .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا صحيح لأن الله غنى كريم وابن آدم فقير
مسكين محتاج في ذلك اليوم إلى حسنة يدفع بها سيئة إن كانت عليه حتى ترجع ميزانه
فيكثر خيره وثوابه وأما الكافر فإنه يوضع كفره في الكفة المائلة ولا يوجد له
حسنة توضع في الكفة الأخرى فتبقى فارغة لفراغها وخلوها عن الخير فيأمر الله
بهم إلى النار ويعذب كل واحد منهم بقدر أوزاره وآثامه وأما المتقون فإن صغائرهم
تكفر باجتنابهم الكبائر ويؤمر بهم إلى الجنة ويثاب كل واحد منهم بقدر حسناته
وطاعته فهذان الصنفان هما المذكوران في القرآن في آيات الوزن لأن الله تعالى لم
يذكر إلا من ثقلت موازينه ومن خفت موازينه وقطع لمن ثقلت موازينه بالإفلاح
والعيشة الراضية ولمن خفت موازينه بالخلود في النار بعد أن وصفه بالكفر وبقي
الذين خاطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فبينهم النبي صلى الله عليه وسلم حسب ما ذكرنا
ولأنما توزن أعمال المؤمن المتق لإظهار فضله كما توزن أعمال الكافر الخزيه وذلك
فإن أعماله توزن تبيهاً له على فراغه وخلوه عن كل خير فكذلك توزن أعمال
المتق تحسناً لحاله وإشارة لخلوه من كل شر وتزييناً لأمره على رؤوس الأشهاد
وأما المخطئ السيء بالصالح فإن دخل النار فيخرج بالشفاعة على ما يأتي .

(فصل) فإن قيل أخبر الله عن الناس لأنهم محاسبون مجزيون وأخبر أنه يلا
جهنم من الجنة والناس أجمعين ولم يخبر عن ثواب الجن ولا عن حسابهم بشيء . فما
القول في ذلك عندكم وهل توزن أعمالهم ، فالجواب أنه قد قيل إن الله تعالى لما قال
إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون دخل في الجملة
الجن والإنس فثبت للجن من وعد الجنة بعموم الآية ما ثبت للإنس وقال أولئك
الذين حق عليهم القول في أمم فدخلت من قبيلهم من الجن والإنس لأنهم كانوا خاسرين
ثم قال ولكل درجات بما عملوا وإنما أراد لكل من الجن والإنس فقد ذكروا في
الوعد والوعيد مع الإنس وأخبر تعالى أن الجن يسألون فقال خبراً عما يقال لهم

يا معشر الجن والإنس ألم بأنكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينفرونكم لقاء
يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وهذا سؤال وإذا ثبت بعض السؤال ثبت كله
وقد تقدم هذا، وقال تعالى وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن إلى قوله
يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويخرجكم من غناب
اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك
في ضلال مبين وهذا يدل صريحاً على أن حكمهم في الآخرة كالمؤمنين وقال حكاية
عندهم وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون الآيتين ولما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
زادهم كل عظم وعلف دوابهم كل روث قال فلا تستنجوا بهن فإنها طعام إخوانكم الجن
لجملهم إخواننا وإذا كان كذلك فخكهم كحكما في الآخرة سواء والله أعلم وقد
تقدمت الإشارة إلى هذا في باب ما جاء أن الله يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان

(فصل) قوله في الحديث فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله ليست هذه شهادة التوحيد لأن من شأن الميزان أن
يوضع في كفة شيء وفي أخرى ضده فتوضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة
فهذا غير مستحيل لأن العبد يأتي بهما جميعاً ويستحيل أن يأتي الكفر والإيمان
جميعاً عند واحد حتى يوضع الإيمان في كفة والكفر في كفة فلذلك استحال أن
توضع شهادة التوحيد في الميزان وأما بعدما آمن العبد فان النطق منه بلا إله إلا الله حسنة
توضع في الميزان مع سائر الحسنات قاله الترمذي الحكيم رحمه الله.

قال الشيخ المواقف رحمه الله ويدل على هذا قوله في الحديث فيقول بلى أن
لك عندنا حسنة ولم يقل إن لك عندنا إيمان وقد سئل رسول الله ﷺ
عن لا إله إلا الله أمن الحسنات هي فقال من أعظم الحسنات خرج به البيهقي
وغيره ويجوز أن تكون هذه الكلمة هي آخر كلامه في الدنيا كما في حديث معاذ
ابن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه في الدنيا
لا إله إلا الله وجبت له الجنة رواه صالح بن أبي غريب عن كثيرين مرة
عن معاذ وقد تقدم أول الكتاب وقيل يجوز حمل هذه الشهادة على الشهادة التي

هي الإيمان ويكون ذلك في كل مؤمن وكل مؤمن ترجح حسناته ويوزن إيمانه كما توزن سائر حسناته وإيمانه يرجح سيئاته كما في هذا الحديث ويدخله النار بعد ذلك فيطهره من ذنوبه ويدخله الجنة بعد ذلك وهذا مذهب قوم يقولون أن كل مؤمن يعطى كتابه يمينه وكل مؤمن يثقل ميزانه وينأولون قول الله تعالى فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون أي الناجون من الخلود وهو في قوله فهو في عيشة راضية يوما ما وكذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة إنه صائر إليها لا بحالة أصابه قبل ذلك ما أصابه .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا تأويل فيه نظر يحتاج إلى دليل من خارج ينص عليه والذي تدل عليه الآية والأخبار أن من ثقل ميزانه فقد نجح وسلم وبالجنة أيقن وعلم لا أنه يدخل النار بعد ذلك والله أعلم وقال عليه السلام ماشيء يوضع في الميزان أثقل من خاق حسن خرجته الترمذي عن أبي الدرداء وقال فيه حديث حسن صحيح وقد تقدم من حديث سمرة بن جندب ورأيت رجلا من أمي قد خف ميزانه فجاء أفراطه فثقلوا ميزانه وكذلك الأعمال الصالحة دليل على فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القشيري في التحبير له يمكن عن بعضهم أنه قال رأيت بعضهم في الميزان فقلت ما فعل الله بك فقال وزنت حسناتي فرجحت السيئات على الحسنات فجاءت صرة من السماء وسقطت في كفة الحسنات فرجحت فحملت الصرة فإذا فيها كف تراب أقيته في قبر مسلم وذكر أبو عمر في كتاب جامع بيان العلم بإسناده عن حماد بن زيد عن أبي حنيفة عن حماد عن إبراهيم في قوله عز وجل وتضع الموازين القسط ليوم القيامة قال يجاء بعمل الرجل فيوضع في كفة ميزانه يوم القيامة فتخف فيجاء بشيء أمثال الغمام أو قال مثل السحاب فيوضع في ميزانه فترجح فيقال له اتدري ما هذا فيقول لا فيقال له هذا فضل العلم لذى كنت تعلمه الناس أو نحو ذلك .

باب منه

الترمذی عن عائنة رضی الله عنها أن رجلا فعد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويصرونني وأشتهم واضربهم فكيف أنا منهم قال يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فإن كان عقابك أيام بقدر ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل قال فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف فقال رسول الله ﷺ أما تقرأ كتاب الله تعالى ونضع الموازين بالقسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا الآية فقال الرجل والله يا رسول الله ما أجمل وذو لاء شيئا خيرا من مفارقتهم أشهدك أنهم أحرار كلهم قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن غزوان وقد روى أحمد بن حنبل عن عبد الرحمن بن غزوان هذا الحديث وعن وهب بن منبه في قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيامة قال إنما يوزن من الأعمال خواتيمها وإذا أراد الله بعبد خيرا ختم له بخير وإذا أراد الله به شرا ختم له بشر عمله ذكره أبو نعيم .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هذا صحيح يدل عليه قوله عليه السلام وإنما الأعمال بالخواتيم والله تعالى أعلم .

باب منه وذكر أصحاب الأعراف

ذكر خيثمة بن سليمان في مسنده عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع الموازين يوم القيامة فتوزن السيئات والحسنات فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صوابه دخل الجنة ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صوابه دخل النار قيل يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته قال أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون وذكر ابن المبارك قال أخبرنا أبو بكر الهذلي عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن مسعود قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته

بواحدة دخل النار ثم قرأ فنقلت موازينه فأرثك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأرثك الذين خسروا أنفسهم ثم قال إن الميزان تخف بمثقال حبة أو ترجح قال ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف وذكر الحديث وقال كعب الأحبار إن الرجلين كانا صديقين في الدنيا فيمر أحدهما بصاحبه وهو يجر إلى النار فيقول له أخوه والله ما بقى لي إلا حسنة أنجو بها خذها أنت يا أخى فتسجوا بها مما أرى وأبقى أنا وإياك من أصحاب الأعراف قال فيأمر الله بهما جميعا فيدخلان الجنة وذكر أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة أنه يؤتى برجل يوم القيامة فما يجد له حسنة ترجح ميزانه وقد اعتدات بالسوية فيقول الله تعالى رحمة منه اذهب في الناس فالتمس من يعطيك حسنة أدخلك بها الجنة فيصير يجوس خلال العالمين فما يجد أحدا يكلمه في ذلك الأمر إلا يقول له خفت أن يخف ميزاني فأنا أحوج منك إليها فيأس فيقول له رجل ما الذى تطالب فيقول حسنة واحدة فلقد مررت بقوم لهم منها الألف فبخلوا على فيقول له الرجل لقد لقيت الله تعالى فما وجدت في صحيفتى إلا حسنة واحدة وما أظنها تغنى عنى شيئا خذها هبة منى إليك فينطلق بها فرحا مسرورا فيقول الله له ما بالك وهو أعلم فيقول رب اتفق من أمرى كيت وكيت ثم ينادى سبحانه بصاحبه الذى وهبه الحسنة فيقول له سبحانه كرمي أوسع من كرمك خذ بيد أخيك ولا تطلقا إلى الجنة وكذا تستوى كفتا الميزان لرجل فيقول الله تعالى له لست من أهل الجنة ولا من أهل النار فيأتى الملك بصحيفة فيضمها في كفة الميزان فيها مكتوب أف ترجح على الحسنات لأنها كلمة عقوق ترجح بها جبال الدنيا فيؤمر به إلى النار قال فيطلب الرجل أن يردده الله تعالى فيقول رددوه فيقول لها أيتها العبد العاق لا تى شىء تطالب الرد إلى فيقول لاهى رأيت أنى سائر إلى النار وإذا لا بد لي منها وكنت عاقا لا تى وهو سائر إلى النار مثل فضف على به هذابى وأنقذه منها قال فيضحك الله تعالى ويقول عققته في الدنيا وبررته في الآخرة خذ بيد أهلك ولا تطلقا إلى الجنة .

(فصل) ذكر الله تعالى الميزان في كتابه بلفظ الجمع وجاءت السنة بلفظ الأفراد

والجمع فقبل يجوز أن يكون هناك موازين للعامل الواحد بوزن بكل ميزان منها
صنف من أعماله كما قال :

ملك تقوم الحادثات لعدله فلكل حادثة لها ميزان
تصرفت الأشياء في ملكوته ولكل شئ مدة وأوان

ويمكن أن يكون ميزان واحد عبر عنه بلائذ الجمع كما قال تعالى كذبت عاد
المرسلين كذبت قوم نوح المرسلين وإنما هو رسول واحد وقيل المراد بالموازين
جمع موزون أى الأعمال الموزونة لاجمع ميزان وخرج الألبكائى فى سننه عن
أنس رفعه أن ما ملكا موكل بالميزان فيؤتى بابن آدم فيرتف بين كفتى الميزان فان
رجح نادى الملك بصوت يسمع الخلاق كلها سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا
وان خف نادى الملك شقى فلان شقارة لا يسعد بعدها أبدا وخرج عن حذيفة قال
صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه السلام .

(فصل) وأما أصحاب الأعراف فيقال إنهم مساكين أهل الجنة ذكر هناد بن
السرى قال حدثنا وكيع عن سفيان عن مجاهد عن حبيب عن عبد الله بن الحارث قال
أصحاب الأعراف ينهى بهم إلى نهر يقال له الحياة حافاه نصب لذهب قال أراه
قال مكمل بالثلوث فينتسلون منه اغتساله فيبدوا فى نحرهم شامة بيضاء ثم يعودون
فيقتلون فكما اعتسلوا زادت بياضا فيقال لهم تمنسوا فيتمنون ماشاؤا
قال فيقال لهم لكم ما تمنيتم وسبب من ضعفا قالوا فهم مساكين أهل الجنة فى رواية
فاذا دخلوا الجنة وفى نحرهم تلك الشامة البيضاء فيعرفون بها قال فهم يسمون
فى الجنة مساكين أهل الجنة وإختلف العلماء فى تعيينهم على اثنى عشر قولاً (الأول)
ما تقدم ذكره فى الحديث وهو قول ابن مسعود وكعب الأحرار كما ذكرنا وذكره
ابن وهب عن ابن عباس (الثانى) قوم صالحون فقهاء علماء قاله مجاهد (الثالث) هم
الشهداء ذكره المهدوى (الرابع) هم فضلاء المؤمنين والشهداء فرغوا من شغل
أنفسهم وفرغوا لمطالعة أحوال الناس ذكره أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم
القشيري (الخامس) هم المستشهدون فى سبيل الله الذين خرجوا عصاة لآبائهم

قاله شرحبیل بن سعد و ذکر الطبری فی ذلك حدیثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وانه تعادل عقوقهم واستشهادهم (السادس) هم العباس وحمزة وعلی بن أبی طالب
 وجعفر ذو الجناحین يعرفون بحبهم ببياض الوجوه ومبغضهم بسواد الوجوه ذكره
 الثعلبي عن ابن عباس (السابع) هم عدول القيامة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم
 وهم في كل أمة ذكره الزهراوى واختاره النحاس (الثامن) هم قوم أنبياء قاله الزجاج
 (التاسع) هم قوم كانت لهم صفائر لم تكفر عنهم بالآلام والمصائب في الدنيا فوقفوا
 وليست لهم كبار فيحبسون عن الجنة لينالهم بذلك غم فيقع في مقابلة صفائرهم
 حكاه ابن عطية الفاضلى أبو محمد في تفسيره (العاشر) ذكره ابن وهب عن ابن عباس قال
 أصحاب الأعراف الذين ذكر الله في القرآن أصحاب الذنوب العظام من أهل القبلة
 وذكره ابن المبارك قال أخبرنا جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال أصحاب
 الأعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان جسم أمرهم لله فأقيموا ذلك المقام إذا
 نظروا إلى أهل النار وعرفوهم بسواد الوجوه وقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين
 وإذا نظروا إلى أهل الجنة عرفوهم ببياض وجوههم . قال ابن عباس أدخل الله
 أصحاب الأعراف الجنة وفي رواية سعيد بن جبیر عن عبد الله بن مسعود وكانوا آخر
 أهل الجنة دخولا الجنة (قال) ابن عطية وتمنى سالم مولى أبى حذيفة أن يكون من
 أصحاب الأعراف لأن مذهبه أنهم مذنبون (الحادى عشر) أنهم أولاد الزنا
 ذكره أبو نصر القشيري عن ابن عباس (الثاني عشر) أنهم ملائكة موكلون بهذا
 السور يميزون الكافرين من المؤمنين قبل إدخالهم الجنة والنار قاله أبو مجلز لاحق
 بن حميد قليل له لا يقال لللائكة رجال فقال أنهم ذكوري وليسوا إناث فلا يبعد إيقاع
 لفظ الرجال عليهم كما وضع على الجن في قوله تعالى وأنه كان رجال من الإنس يعوذون
 برجال من الجن . والأعراف سور بين الجنة والنار قيل هو جبل أحد يوضع هناك
 (روى) عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق أنس وغيره ذكره أبو عمر بن
 عبد البر وغيره حسب ما ذكرناه في كتاب جامع أحكام القرآن من سورة
 الأعراف والحدقة .

(حكاية) روى عن بعض الفضالين رضى الله عنه أنه قال أخذتني ذات ليلة

(۲۱ - تذكرة)

سنة فنمت فرأيت في منامي كأن القيامة قد قامت وكان الناس يحاسبون فقوم يمضي بهم إلى الجنة وقوم يمضي بهم إلى النار قال فأنتيت إلى الجنة فنأديت أهل الجنة بماذا نلتم سكنى الجنة فى محل الرضوان فقالوا بطاعة الرحمن ومخالفة الشيطان ثم أنتيت إلى باب النار فنأديت يا أهل النار بماذا نلتم النار قالوا بطاعة الشيطان ومخالفة الرحمن قال فنظرت فاذا أنا بقوم موقوفون بين الجنة والنار فقلت لهم ما بالكم فقالوا لى موقوفون بين الجنة والنار . لنا ذنوب جلّت وحسنات قلت فالسيئات منعنا من دخول الجنة والحسنات منعنا من دخول النار وأنشدوا :

نحن قوم لنا ذنوب كبار منعنا من الوصول إليه
تركنا مذبذبين حيارى امسكتنا من القدوم عليه

باب اذا كان يوم القيامة تتبع كل أمة ما كانت تعبد
فاذا بقى فى هذه الامة منافقوها امتحنوا وضرب الصراط

الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله الناس يوم القيامة فى صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول ألا يتبع كل إنسان ما كان يعبد فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره واصحاب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون وذكروا الحديث بطوله وخرج مسلم عنه أن ناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله هل ترى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون فى القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون فى رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتهم الله فى صورة غير صورته التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكانا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتهم الله فى صورته التى يعرفون فيقول

أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجوز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فأنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما يقرب عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المجازي حتى ينجي وذكر الحديث وسيأتي

(فصل) ذكر الفقيه أبو بكر بن برجان في كتاب الإرشاد له بعد قوله ويلهم رؤس المحشر لطلب من يشفع لهم ويريحهم مما هم فيه وهم رؤساء أتباع الرسل فيكون ذلك ثم يؤمر آدم عليه السلام بأن يخرج بعث النار من ذريته وهم سبعة أصناف البعثان الأولان يلتقطهم عنق النار من بين الخلائق لقط الحمام حب السموم وهم أهل الكفر بالله جحدا وعتوا وأهل الكفر بالله إعراضا وجهلا ثم يقال لأهل الجمع أين ما كنتم تعبدون من دون الله لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فر كان يعبد من دون الله شيئا اتبعه حتى يقذف به في جهنم (قال) الله عز وجل هذ لك تبلوا كل نفس ما أسلفت ورددوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون وقال فككبوا فيها هم والغاؤون وجنود إبليس أجمعون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمد الأرض مد الأديم يوم القيامة لعظمة الله عز وجل ثم لا يكون لبشر من بنى آدم منها إلا موضع قدميه ثم ادعى أنا أول الناس فأخر ساجدا ثم يؤذن لي فأقول يا رب خبرني هذا جبريل صلى الله عليه وسلم وهو عن يمين عرش الرحمن تبارك وتعالى أنك أرسلته إلى وجبريل ساكت لا يكلم حتى يقول الله عز وجل صدق ثم يؤذن لي في الشفاعة فأقول يا رب عبادك عبدوك في أقطار الأرض فذلك المقام المحمود ثم يبعث البعث الرابع وهم قوم وحدوا الله وكذبوا المرسلين جهلوا صفات الله جل جلاله ورددوا عليه كتبه ورسله ثم يبعث البعث الخامس والسادس وهم أهل الكتابين يأتون ربهم عطاشا يقال لهم ما كنتم تبغون فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا فيقال لهم ألا ترون فيشار لهم إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا فيردونها سقوطا فيها ثم تقع المحنة بالمنافقين والمؤمنين في معرفة ربهم وتمييزه من المعبودات من دونه فيذهب الله المنافقين ويثبت المؤمنين ثم ينصب الصراط مجازا على من

جهنم أعادنا الله منها أرق من الشعر وأحد من موسى كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسقط أهل البدع في الباب السادس منه أو الخامس وأهل الكبار في السابع أو السادس وإنما يسقط الساقط بعد ما يعجز عمله ويخلص المؤمنون على درجاتهم في تفاوتهم في النجاة ويحبسون على قنطرة بين الجنة والنار يتفاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا صفوا وهذبوا أدخلوا الجنة ومن ذلك المقام يوقف أصحاب الأعراف .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله هكذا ذكر هذا الترتيب وهو ترتيب حسن وسيأتي له مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

(فصل) قوله هل تضارون بضم التاء وفتحها وبتشديد الراء وتخفيفها وضم التاء وشد الراء أكثر وأصله تضاررون اسكنت الراء الأولى وأدغمت مع الثانية وماضيه ضرور على ما لم يسم فاعله ويجوز أن يكون مبينا للفاعل بمعنى تضاررون بكسر الراء إلا أنها سكنت الراء وأدغمت وكله من الضر المشدد وأما التخفيف فهو من ضاره يضره و يضره مخففا والمعنى أن أهل الجنة إذا امتن الله عليهم برؤيته سبحانه بجلى لهم ظاهرا بحيث لا يجب بعضهم بعضا ولا يضره ولا يزاحمه ولا يجادله كما يفعل عند رؤية الأهله بل كالحال عند رؤية الشمس والقمر ليلة تمامه وقد روى تضامون من المضامة وهي الازدحام أيضا أى لا تزدهون عند رؤيته تعالى كما تزدهون عند رؤية الأهله وروى تضامون بتخفيف الميم من الضيم الذى هو الذل أى لا يذل بعضهم بعضا بالمزاحمة والمنافسة والمنازعة وسيأتى هذا المعنى مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أبواب الجنة إن شاء الله تعالى وقوله فإنكم ترونه كذلك هذا تشبيه للرؤية وحالة الرائي لا المرئي لأن الله سبحانه لا يحاط به وليس كمثل شئ ولا يشبهه شئ . وقوله فيأتيهم الله في صورة غير صورته التى يعرفون هذا موضع الامتحان ليعين المحق من المبطل وذلك أنه لما بقى المنافقون والمرءون متلبسين بالمؤمنين والمخلصين زاعمين أنهم منهم وانهم عملوا مثل أعمالهم وعرفوا الله مثل معرفتهم امتحنهم الله بأن أتاهم بصورة قالت للجميع أنار بكم فأجاب المؤمنون بإنكار ذلك والنعوذ منه لما قد سبق لهم من معرفتهم بالله عز وجل وأنه منزه عن صفات هذه الصورة إذ

سماتها سمات المحدثات ولهذا قال في حديث أبي سعيد الخدري فيقولون نعوذ بالله
حنك لا نشارك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب .

قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمر في كتاب المفهم لشرح اختصار كتاب مسلم
وهذا لمن لم يكن له رسوخ العلماء ولعلمهم الذين اعتقدوا الحق وجزءوا عليه من غير
بصيرة ولذلك كان اعتقادهم قابلا للانقلاب عليهم ، والله أعلم

قال الشيخ المؤلف رحمه الله ويحتمل أن يكونوا المنافقين والمرائين وهو أشبه
والله أعلم لأن في الامتحان الثاني يتحقق ذلك لأن في حديث أبي سعيد بعد قوله
حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم
فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود
ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن
يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها فيقول
أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب الحجر على جهنم وتحمل الشفاعة وسيأتي قوله
فيأنهم الله في صورته التي يعرفون أي يتجلى لهم في صفته التي هو عليها من الجلال
والكمال والتعالى والجمال بعد أن رفع الموانع عن أبصارهم فيتبعونه أي يتبعون أمره
أو ملائكته ورسله الذين يسوقونهم إلى الجنة والله أعلم والدعوى الدعاء قال الله
سبحانه وتعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم أي دعاؤهم والكلايب جمع كلوب والسعدان
نبت كثير الشوك شركة كالحطاطيف والمهاجن ترعاه الإبل فيطيب لبنها تقول العرب
مرعى ولا كالسعدان والموبق المهلك أو بقره ذنبه اهلكه ومنه الحديث اجتنبوا السبع
الموبقات وقوله تعالى أو يوقنن بما كسبوا والمجازى الذى جوزى بعمله وقوله فيكشف
عن ساق كشف الساق عبارة عن معظم الأمر وشدته ذكره ابن المبارك قال أخبرنا
أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى يوم يكشف عن
ساق قال يوم كرب وشدته أخبرنا ابن جريج عن مجاهد قال شدة الأمر وجده قال
مجاهد وقال ابن عباس هي أشد ساعة في القيامة وقال أبو عبيدة إذا اشتد الأمر
أو الحرب قيل كشف الأمر عن ساقه والأصل فيه أن من وقع في شيء يحتاج إلى

الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة وكذا زال القتي
قال يوم يكشف عن ساق هذا من الاستعارة فسمى الشدة ساقا لأن الرجل إذا
وقع في الشدة شمر عن ساقه فاستعيرت في موضع شدة قال . شعر :

وكنت إذ جرى دعا لمضوفة استمر حتى ينصف الساق مئزرى
وقال آخر :

في الحرب إن تضت به الحرب تضها وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا
وقال آخر يصف سنة شديدة : قد شمرت عن ساقها ،
وقال آخر :

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر البراح
وقال آخر :

أبشر عناق . إنه شر باق . قد سن لي قومك ضرب الأعناق
وقامت الحرب بنا على ساق والشعر في هذا المعنى كثير وقيل يكشف عن ساق جهنم
وقيل عن ساق العرش فأما ما روى أن الله تعالى يكشف عن ساقه يوم القيامة فيسجد
له كل مؤمن ومؤمنة كما في صحيح البخاري فإنه تعالى على التبويض والأعضاء وأن
ينكشف ويتغطى ومعناه أى يكشف على العظيم من أمره وقال الخطابي إنما جاء ذكر
الكشف عن الساق على معنى الشدة فيحتمل أن يكون معنى الحديث أنه يبرز من
أحوال يوم القيامة وشدتها ما يرتفع معه سواتر الامتحان فيبرز عند ذلك أهل اليقين
والإخلاص فيؤذن لهم في السجود وينكشف الغطاء عن أهل النفاق فتعود ظهورهم
طباقا واحدا لا يستطيعون السجود قال وقد تأوله بعض الناس فقال لا يتكران يكون
الله سبحانه قد يكشف لهم عن ساق لبعض المخلوقين من ملائكتنا أو غيرهم فيجعل
ذلك سببا لبيان ما شاء من حكمه في أهل الإيمان والنفاق قال الخطابي وفيه وجه
آخر لم أسمعه من قدوة وقد يحتمله معنى اللغة سمعت أبا عمر يذكر عن أبي العباس
أحمد بن يحيى النحوى فيما عده من المعانى المختلفة الواقعة تحت هذا الاسم قال
والساق النفس ومنه قول على رضى الله عنه حين راجعه أصحابه في قتل الخوارج
فقال والله لاقاتلهم حتى ولو تلفت ساقى يريد نفسه وقال أبو سليمان وقد يحتمل على

هذا أن يكون المراد التجلي لهم وكشف الحجب عن أبصارهم حتى إذا رأوه سجدوا له قال ولست أقطع به القول ولا أراه واجبا فيما أذهب إليه من ذلك .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : هذا القول أحسن الأقوال إن شاء الله وقد جاء فيه حديث حسن ذكره أبو الليث السمرقندي في تفسير سورة ن والقلم فقال حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا ابن منيع قال حدثنا هذبة قال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة القرشي عن أبي بردة بن أبي موسى قال حدثني أبي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان يوم النيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم ما تنتظرون وقد ذهب الناس فيقولون إن لنا ربنا كنا نعبده في الدنيا ولم نره قال وتعرفونه إذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال فكيف تعرفونه ولم تروه قالوا أنه لا شبيه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرون له سجدا وتبقى أفوام ظهورهم مثل صياصي البقر فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون فيقول الله تعالى عبادي ارفعوا رؤوسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم من اليهود والنصارى في النار قال أبو بردة لحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال آله الذي لا إله إلا هو فحدثك أبوك بهذا الحديث خلفت له ثلاث إيمان فقال عمر ما سمعت من أهل التوحيد حديثا هو أحب إلى من هذا .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله فهذا الحديث يبين لك معنى كشف الساق وأنه عبارة عن رؤيته سبحانه وهو معنى ماني صحيح مسلم والحديث يفسر بعضه بعضا فلا اشكال فيه والحمد لله وقد ذكر البيهقي عن روح بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن أبي بردة عن أبي موسى عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق قال عن نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به روح بن جناح وهو شامي يأتي بأحاديث منكرا لا يتابع عليها وموالي عمر بن عبد العزيز فيهم كثرة قال الشيخ المؤلف رحمه الله الحديث الذي قبله أبين وأصح اسنادا فيقول

عليه وقد هاب الإمام أبو حامد الفزالي القول فيه واشفق من تأويله فقال في كتاب
كشف علم الآخرة ثم يكشف الجليل عن ساقه فيسجد الناس كلهم تعظيماً له وتواضعاً
إلا الكفار الذين قد أشركوا به أيام حياتهم وعبدوا الحجارة والخشب وما لم ينزل
به سلطاناً فإن صياصي أصلابهم تعود حديداً فلا يقدرّون على السجود وهو قوله
تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون وروى البخاري
في تفسيره مسنداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكشف الله عن ساقه يوم
القيامة فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة وقد أشفقت من تأويل الحديث وعدت عن
منكره وكذا أشفقت من صفة الميزان وزيفت قول واصفيه وجعلته متحيزاً إلى
العالم المالكوتي فإن الحسنات والسيئات أعراض ولا يصح وزن الأعراض إلا
بميزان ملكوتي .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله قد ذكرنا الميزان وبيننا القول فيه وفي الأعمال
الموزونة غاية البيان بالأخبار الصحيحة والحسان وبيننا القول هنا في كشف الساق
بحيث لم يبق فيه لأحد ريب ولا مخافة ولا شقاق فله الحمد على ما به أنعم وفهم
وعلم والحمد لله رب العالمين .

كل النصف بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلی اللہ علی سیدنا محمد وعلی آلہ وصحبہ وسلم

باب کیف الجواز علی الصراط وصفته

ومن یحبس علیہ ویزل عنہ ، وفی شفقة النبی صلی اللہ علیہ وسلم علی

أمتہ عند ذلك ، وفی ذکر القناطر قبلہ والسؤال علیہا

وبیان قوله تعالی : وإن منکم إلا واردہا

روی عن بعض أهل العلم أنه قال لن يجوز أحد الصراط حتى يسأل في سبع قناطر . فأما القنطرة الأولى فيسأل عن الإيمان بالله وهي شهادة أن لا إله إلا الله فإن جاء بها مخلصاً والاخلاص قول وعمل جاز ، ثم يسأل على القنطرة الثانية عن الصلاة فإن جاء بها تامة جاز ، ثم يسأل على القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فإن جاء به تامة جاز ، ثم يسأل على القنطرة الرابعة عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز ، ثم يسأل في الخامسة عن الحج والعمرة فإن جاء بهما تامتين جاز ثم يسأل في القنطرة السادسة عن الفسل والوضوء فإن جاء بهما تامين جاز ، ثم يسأل في السابعة وليس في القناطر أصعب منها فيسأل عن ظلمات الناس .

وذكر أبو حامد في كتاب كشف علم الآخرة أنه إذا لم يبق في الموقف إلا المؤمنون والمسلمون والمحسنون والعارفون والصديقون والشهداء والصالحون والمرسلون ليس فيهم مراتب ولا مناقب ولا زنديق فيقول الله تعالى يا أهل الموقف من ربكم ؟ فيقولون : الله ، فيقول لهم : أتعرفونه ؟ فيقولون : نعم ، فيتجلى لهم ملك عن يسار العرش لو جعلت البحار السبع في نقرة ابهامه لما ظهرت فيقول لهم بأمر الله أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك ، فيتجلى لهم ملك عن يمين العرش لو جعلت البحار الأربعة عشر في نقرة ابهامه لما ظهرت فيقول لهم أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك ، فيتجلى لهم الرب سبحانه في صورة غير صورته فيقول لهم أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك ، فيتجلى لهم الرب في الصورة التي كانوا يعرفونه فيها

ويسمعونه وهو يضحك فيسجدون له جميعهم فيقول لهم اهلا بكم ثم ينطلق بهم
سبحانه إلى الجنة فيتبعونه فيمر بهم على الصراط والناس أفواج المرسلون ثم
النيون ثم الصديقون ثم المحسنون ثم الشهداء ثم المؤمنون العارفون ، وتبقى
المسلون منهم المكبوب لوجهه ومنهم المحبوس في الاعراف ومنهم قوم قصروا
عن تمام الايمان فمنهم من يجوز الصراط على مائة عام وآخر يجوز على ألف ، ومع
ذلك كله لن تحرق النار من رأى ربه عياناً لا يضام في رؤيته . فتوهم نفسك يا أخي إذا
صرت على الصراط ونظرت إلى جهنم تحتك سوداء مظلمة قد لظى سعيها وعللا
لهيها وأنت تمشي أحياءاً وتزحف أخرى ، قال :

أبت نفسى تتوب فما احتيالى إذا برز العباد لذى الجلال
وقاموا من قبورهم سكارى بأوزار كأمثال الجبال
وقد نصب الصراط لكي يجوزوا فمنهم من يكب على الشمال
ومنهم من يسير لدار عدن تلقاه العرائس بالغدوالى
يقول له المهيمن يا ولي غفرت لك الذنوب فلا تبالى
وقال آخر :

إذا مد الصراط على جحيم تصول على العصاة وتستطيل
فقوم فى الجحيم لهم ثبور وقوم فى الجنان لهم مقيل
وبان الحق وانكشف المغطى وطال الويل واتصل العويل

وذكر مسلم من حديث أبي هريرة فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم فيؤذن
لهم وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولهم كالبرق
قال قلت بأبي أنت وأمى وأى شئ كمر البرق قال ألم تر إلى البرق كيف يمر ويرجع
فى طرفه عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجرى بهم أعمالهم ونبيلكم
صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول يا رب سلم سلم حتى تعجز أعمال
العباد حتى يجرى الرجل ولا يستطيع السير إلا زحفاً . قال وفى حاشى الصراط
كلايب معاةة مأمورة بأخذ من أمرت بأخذه فخذوش ناج ومكردس فى النار

والذي نفس محمد بيده أن قمر جهنم لسبعون خريفاً . وروى من حديث حذيفة أيضاً وذكر مسلم أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري وفيه ثم يضرب الجسر على جهنم وتحمل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلايب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فجاج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم الحديث وسيأتي بتامه إن شاء الله تعالى وفي رواية أبي سعيد الخدري بلغني أن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف وفي رواية أرق من الشعر رواها مسلم وخرج ابن ماجه حديث أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوضع الصراط بين ظهراني جهنم على حسك كحسك السعدان ثم يستجيز الناس فجاج مسلم ومخدوج به ثم ناج ومحتبس به ومنكوس فيها . وذكر ابن المبارك قال حدثنا هشام بن حسان عن موسى عن أنس عن عبيد بن عمير أن الصراط مثل السيف على جسر جهنم وأن لجنه كلاب وحسكا والذي نفسى بيده إنه ليؤخذ بالكروب الواحد أكثر من ربيعة ومضر . قال وأخبرنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال قال بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر وعلى بعض مثل الوادي الواسع . قال وأخبرنا عوف عن عبد الله بن سفيان الثقفي قال يجوز الناس يوم النيام على الصراط على قدر أيمانهم وأعمالهم فيجوز الرجل كالطرف في السرعة وكالسهم المرمى وكالطائر السريع الطيران وكالفرس الجواد المضمهر ويجوز الرجل يعدو عدواً والرجل يمشى مشياً حتى يكون آخر من ينجو يحبو حبوا .

وذكر هناد بن السرى حدثنا عبد الله بن نعيم حدثنا سفيان حدثنا سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء قال : قال عبد الله يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم قال فيمر الناس على قدر أعمالهم أرلهم كلعج البرق ثم كمر الريح ثم كأسرع البهائم ثم كذلك حتى يمر الرجل سعياً وحتى يمر الرجل ماشياً ثم يكون آخرهم يتلبط على بطنه يقول يارب لم أبطأت بي فيقول لم أبطىء بك إنما أبطأ بك عمالك . قال وحدثنا أبو معاوية عن اسماعيل بن مسلم عن قتادة قال : قال عبد الله بن مسعود تجوزون الصراط

بعضواً وقد دخلون الجنة برحمة الله وتقتسمون المنازل بأعمالكم . أبو داود عن
 معاذ بن أنس الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حنى مؤمناً من مناقق أراه
 قال بعث الله ملكاً يحسب لهم يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى مؤمناً بشيء يريد
 شينه حبسه الله عز وجل على جسر جهنم حتى يخرج مما قال . وقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم الزالون على الصراط كثير وأكث من يزل عنه النساء . ذكره
 أبو الفرج بن الجوزي . وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم فإذا صار الناس على طرف
 الصراط نادى ملك من تحت العرش يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط
 وليقف كل عاص منكم وظالم فيالها من ساعة ما أعظم خوفها وما أشد حرها يتقدم
 فيها من كان في الدنيا ضعيفاً مهيناً ويتأخر عنها من كان في الدنيا عظيماً مكيناً ثم يؤذن
 لجميعهم بعد ذلك بالجواز على الصراط على قدر أعمالهم في ظلهم وأنوارهم فإذا
 عصف الصراط بأمتي نادوا واهمداه واهمداه فأبادر من شدة اشتياقي عليهم وجبريل
 أخذ بحجزتي فأبدي رافعاً صوتي رب أمتي لا أسألك اليوم نفسي ولا فاطمة
 ابنتي والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره ينادون رب سلم سلم وقد عظمت الأحوال
 واشتدت الأوجال والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم بالسلاسل
 والأغلال وينادونهم أما نهيتم عن كسب الأوزار أما خوفاً عذاب النار أما أنذرتهم كل
 الانذار أما جاءكم النبي المختار ذكره أبو الفرج بن الجوزي أيضاً في كتاب روضة المشتاق
 والطريق إلى الملك الخلاق فتفكر الآن فيما يحمل بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط
 ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار وتغيظها
 وقد كلفت أن تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك
 وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض فضلاً عن حدة الصراط
 فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بجدته واضطرت إلى أن ترفع
 القدم الثاني والخلافت بين يديك يزلون ويعثرون وتتناولهم ربانية النار بالحطاطيف
 والسكاليب وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون فتسفل إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو
 أرجلهم فياله من منظر ما أفضله ومرتقى ما أصعبه ومجاز ما أضيقه .

(فصل) ذهب بعض من تكلم على أحاديث هذا الباب في وصف الصراط

بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف أن ذلك راجع إلى يسره وعسرة على قدر الطاعات والمعاصي ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى لحفاتها وغموضها وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي دقيق فضرب المثل له بدقة الشعر فهذا والله أعلم من هذا الباب ، ومعنى قوله وأحد من السيف أن الأمر الدقيق الذي يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حد السيف ومضيه إسراعاً منهم إلى طاعته وامتناله ولا يكون له مرد كما أن السيف إذا نفذ بحدة وقوة ضاربه في شيء لم يكن له بعد ذلك مرد وإما أن يقال إن الصراط نفسه أحد من السيف وأدق من الشعر فذلك مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنيبه وأن فيه كلاليب وحسكا أي أن من يمر عليه يقع على بطنه ومنهم من يزل ثم يقوم وفيه أن من الذين يمرون عليه من يعطى النور بقدر موضع قدميه وفي ذلك إشارة إلى أن للمارين عليه مواطن الأقدام ومعلوم أن رقة الشعر لا يحتمل هذا كله . وقال بعض الحفاظ إن هذه اللفظة ليست بثابتة .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله : ما ذكره هذا القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار وأن الإيمان يجب بذلك وأن القادر على إمساك الطير في الهوى قادر على أن يمسك عليه المؤمن فيجريه أو يمشيه ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة ولا ولا استعانة في ذلك للأثار الواردة في ذلك وبيانها بنقل الأئمة العدول ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور . وعن يحيى بن النيمان رأيت رجلاً نام وهو أسود الرأس واللحية شاب يملأ العين فرأى في منامه كأن الناس قد حشروا وإذا ينهر من نار وجسر يمر الناس عليه فدعى فدخل الجسر فاذا هو كحد السيف يمر يمينا وشمالا فأصبح أبيض الرأس واللحية .

(فصل) أحاديث هذا الباب تبين لك معنى الورود المذكور في القرآن في قوله عز وجل : وإن منكم إلا واردها . روى عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الأحبار أنهم قالوا الورود المر على الصراط رواه السدي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم . وذكر أبو بكر النجاد سليمان قال حدثنا أبو الحسن محمد بن عبد الله

ابن ابراهيم بن عبدة السبطي حدثنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن سعيد البوشنجي قال حدثنا سليم بن منصور بن عمار قال حدثني أبي منصور بن عمار قال حدثني بشر بن طلحة الخزامي عن خالد بن الدريك عن يعلى بن منبه عن رسول الله ﷺ قال تقول النار للؤمن يوم القيامة جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهي وقيل الورود والدخول روى عن ابن مسعود وعن ابن عباس أيضا وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم وحديث أبي سعيد الخدري نص في ذلك على ما يأتي في دخولها العصاة بجرانهم والاولياء بشفاعتهم وروى جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وذكر ابن المبارك قال أخبرنا سفيان عن رجل عن خالد بن معدان قال قالوا ألم يعدنا ربنا أننا نرد النار فقال إنكم مررتم بها وهي خامدة قال ابن المبارك وأخبرنا سعيد الجيزي عن أبي الليل عن غنيم عن أبي العوام عن كعب أنه تلا هذه الآية وإن منكم إلا واردها قال هل تدرون ما ورودها قالوا الله أعلم قال فإن ورودها أن يجاء بهم وتمسك للناس كأنها من إهالة حتى إذا استقرت عليها أندام الخلق برهم وفاجرهم نادى مناد ان خذي أصحابك وذري أصحابي فتخسف بكل ولي لها هي أعلم بهم من الوالد بر لده وينجوا المؤمنون وقال مجاهد ورود المؤمنين هو الحمى الذي يصيب المؤمن في دار الدنيا وهي حظ المؤمن من النار فلا يرد لها وأسند أبو عمر بن عبد البر في ذلك حديثا في التمهيد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد مريضا من وعك به فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبشر فإن الله تعالى يقول هي نارى أساطها على عبدى المؤمن انكون حظه من النار وقالت طائفة الورود النظر إليها في القبر فينجى منها الفائز ويصلاها من قدر عليه دخولها ثم يخرج منها بالشفاعة أو غيرها من رحمة الله تعالى واحتجوا بحديث ابن عمر أن أحدهم إذا مات عرض عليه مقعده بالعداة والعشى الحديث وقيل المراد بالورود الاشراف على جهنم والاطلاع عابها والقرب منها وذلك أنهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم فيرونها وينظرون إليها في حالة الحساب ثم ينجى الله الذين اتقوا بما نظروا إليه ويصار بهم إلى الجنة ونذر الظالمين

ای یومر بهم إلى النار قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين أي أشرف عليها لا أنه دخله وروت حفصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية قالت فقلت يا رسول الله وأين قول الله عز وجل وإن منكم إلا واردها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تنجي الذين اتقوا خروجه مسلم من حديث أم مبشر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند حفصة الحديث وقيل الخطاب للكفار في قوله تعالى وإن منكم إلا واردها روى وكيع عن شعبة عن عبد الله بن السائب عن رجل عن ابن عباس أنه قال في قول الله عز وجل وإن منكم إلا واردها قال هذا خطاب للكفار وروى عنه أنه كان يقرأ وإن منهم ردا على الآيات التي قبلها من الكفار قوله فوريك انحشرتهم والشياطين ثم لنحضرنهم وأيهم أشد ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صايبا، وإن منهم. وكذلك قرأ سكرمة وجماعة وقالت فرقة المراد منكم الكفرة والمعنى قل لهم يا محمد وإن منكم وقال الجمهور المخاطب العالم كله ولا بد من ورود الجميع وعايه نشأ الخلاف في الورد كما ذكرنا و الصحيح أن الورد الدخول لحديث أبي سعيد كما ذكرنا وفي مسند الدارمي أبي محمد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم فأولهم كلح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرجل في مشيه وقال صلى الله عليه وسلم لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة التسم خروجه الأئمة قال الزهري كأنه يريد هذه الآية وإن منكم إلا واردها ذكره أبو داود الطيالسي في مسنده وهذا بين لك ما ذكرناه لأن المسيس حقيقته في اللغة الممانسة لأنها تكون بردا وسلاما على المؤمنين وينجون منها سالمين قال خالد بن معدان إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا ألم يقل ربنا انا نرد النار فيقال قد وردتموها فلقبتموها رمادا قال الشيخ المؤلف رحمه الله والذي يجمع شتات الأقوال أن يقال إن من وردها ولم تؤذ به بلهبا وحرها فقد بعد عنها ونجي منها نجائنا الله منها بفضلها وكرمه وجعلنا ممن وردها سالما وخرج منها غانما وروى ابن جريج عن عطاء قال قال أبو راشد الحر روى لابن عباس لا يسمعون حسيسها فقال له ابن عباس أيجنون أنت؟ فأين قوله تعالى وإن منكم إلا واردها وقوله

فأوردتهم النار وقوله إلى جهنم وردا ولقد كان من دعاء من مضى اللهم أخرجني
من النار سالما وأدخلني الجنة فائزا وقد أشق كثير من العلماء من تحقق الورد والجهل
بالصدر كان أبو ميسرة إذا آوى إلى فراشه يقول ليت أمي لم تلدني فتقول له امرأته:
يا أبا ميسرة إن الله قد أحسن إليك وهداك إلى الإسلام قال أجل ولكن الله قد
بين لنا إنا واردوا النار ولم يبين لنا إنا صادرون . وعن الحسن قال : قال رجل
لأخيه أي أخى هل أتاك أمك وورد النار قال نعم قال فهل أتاك أمك خارج منها
قال لا قال فقيم الضحك إذا قال فما رؤى ضاحكا حتى مات . وروى عن ابن عباس
أنه قال في هذه المسألة لنافع الأزرق الخارجي أما أنا وأنت فلا بد أن يردها
فأما أنا فينجيني الله منها وأما أنت فما أظنه ينجيك . وذكروا ابن المبارك قال أخبرنا
اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي عاصم قال بكى ابن رواحة فبكت امرأته فقال لها
ما يبكيك قالت بكيت حين رأيتك تبكي فقال عبد الله انى قد علت أنى وورد النار
لما أدري أناج منها أم لا وفى معناه قيل :

وقد أتانا ورود النار ضاحية حقايقينا ولما يأتنا الصدر

باب ما جاء فى شعار المؤمنين على الصراط

الترمذى عن المغيرة بن شعبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شعار
المؤمنين على الصراط رب سلم قال حديث غريب . وفى صحيح مسلم وندبكم صلى الله
عليه وسلم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم وقد تقدم .

باب فىمن لا يوقف على الصراط طرفة عين

ذكر الوائلى أبو نصر فى كتاب الابانة أخبرنا محمد بن محمد بن الحاج قال أخبرنا
محمد بن عبد الرحمن الربيعى حدثنا على بن الحسين أبو عبيد قال حدثنا زكريا بن يحيى
أبو السكن قال حدثنى عبد الله بن صالح الهامى قال حدثنى أبو همام القرشى عن
سليمان بن المغيرة عن قيس بن مسلم عن طاووس عن أبي هريرة قال : قال لى
رسول الله صلى الله عليه وسلم علم الناس ستى وان كرهوا ذلك وإن أحببت أن

لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدث في دين الله حدثا
برأيك قال وهذا غريب الاستاد والامن حسن

باب منه

أبو نعيم قال حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا خير بن عرفة قال حدثنا هاني بن المتوكل
قال حدثنا أبو ربيعة سليمان بن ربيعة عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي عن
أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحسن الصدقة في الدنيا جاز على
الصراط ومن قضى حاجة أرملة أخلف الله في تركته قال هذا حديث غريب من
حديث محمد تفرد به سليمان عن موسى وذكر المختلي أبو القاسم حدثنا عثمان بن سعيد أبو
عمرو الانطكي قال حدثنا علي بن المهيم حدثنا إبراهيم بن بشار حدثنا شيخ يكنى
أبا جعفر قال رأيت في منامي كأنني واقف على قناطر جهنم فنظرت إلى هول عظيم
فجعلت أفكر في نفسي كيف العبور على هذه فاذا قائل يقول من خلقني يا عبد الله ضع
حملك راعبر فقلت وما حمل قال دع الدنيا واعر قال وحدثني أبو بكر خليفة الحارث بن
ابن خليفة قال حدثنا عمرو بن جرير حدثني اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال
سمعت أبا العرداء يقول لابنه يا بني لا يكن بينك إلا المسجد فان المساجد بيوت
المتقين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يكن المسجد بيته ضمن الله
له بالروح والرحمة والجواز على الصراط

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وهذا الحديث يصح ما ذكرناه من الرؤيا
فان من سكن المسجد واتخذها بيتا واعرض عن الدنيا وأهلها واقبل على الآخرة
وعمل لها

باب ثلاثة مواطن لا يخطئها النبي صلى الله عليه وسلم .

لعظم الأمر فيها وشدته

الترمذى عن أنس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لى يوم القيامة قال أنا فاعل ان شاء الله قال فإين أطلبك قال أول ما تطلبنى على الصراط قات فان لم ألقك قال فاطلبنى عند الميزان قلت فان لم ألقك عند الميزان قال فاطلبنى عند الحوض فانى لأخطى هذه الثلاثة مواطن قال هذا حديث حسن وقد تقدم من حديث عائشة أنه عليه والسلام قال أما ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدا عند الميزان وعند تطاير الصحف وعند الصراط

باب فى تلقى الملائكة للأنبياء وأممهم .

بعد الصراط وفى هلاك أعدائهم

ابن المبارك عن عبد الله بن سلام قال إذا كان يوم القيامة جمع الله الأنبياء نبياً نبياً وأمة أمة حتى يكون آخرهم مركزاً محمد وأمة ويضرب الجسر على جهنم وينادى مناد أين أحمد وأمة فيقوم نبي الله صلى الله عليه وسلم وتتبعه أمته برها وفاجرها حتى إذا كان على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فتهافتوا فى النار يمينا وشمالا ويمضي النبي ﷺ والصالجون معه فتلقاهم الملائكة رتبا فيدلونهم كرسى عن يمين الرحمن ثم يتبعه عيسى عليه السلام على مثل سبيله وتتبعه أمته برها وفاجرها حتى إذا كانوا على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فتهافتوا فى النار يمينا وشمالا ويمضي النبي ﷺ والصالجون معه فتلقاهم الملائكة رتبا فيدلونهم على طريق الجنة على يمينك على شمالك حتى يذهبى إلى ربه فيوضع له كرسى من الجانب الآخر ثم يدعى نبي نبي وأمة أمة حتى يكون آخرهم نوحا رحم الله نوحا

باب ذكر الصراط الثانى

وهو القنطرة التى بين الجنة والنار

اعلم رحمك الله أن فى الآخرة صراطين أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب أو من يلتقطه عنق النار فاذا خلس من

خاص من هذا الصراط الاكبر الذي ذكرناه ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفذ حسناتهم حبسوا على صراط آخر خاص لهم ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد ان شاء الله لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه وأرنبى على الحسنات بالقصاص جرمه .

البخارى عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لأحدم أهدي في الجنة بمنزله منه بمنزله كان له في الدنيا .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله معنى يخلص المؤمنون من النار أن يخلصوا من الصراط المضروب على النار ودل هذا الحديث على أن المؤمنين في الآخرة مختلفوا الحال قال مقاتل إذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم بمعنى النحية طبتهم فادخلوها خالد بن وقد ذكر الدارقطني حديثاً ذكر فيه أن الجنة بمد الصراط . قلت ولعله أراد بعد القنطرة بدليل حديث البخارى والله أعلم أو يكون ذلك في حق من دخل النار وخرج بالشفاعة فهؤلاء لا يحبسون بل إذا خرجوا بثوا على أنهار الجنة على ما يأتى بيانه في الباب بعد هذا ان شاء الله تعالى وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أصحاب الجسد محبسون بين الجنة والنار يسألون عن فضول أموال كانت بأيديهم . ولا تعارض بين هذا وبين حديث البخارى فان الحديثين مختلفا المعنى

لاختلاف أحوال الناس وكذلك لا تعارض بين قوله عليه السلام لأحدم أهدي بمنزله في الجنة وبين قول عبد الله بن سلام ان الملائكة تدلهم على طريق الجنة يمينا وشمالا فان هذا يكون فيمن لم يحبس على قنطرة ولم يدخل النار فيخرج منها فيخرج على باب الجنة وقد يحتمل أن يكون ذلك في الجميع فاذا وصلت بهم الملائكة إلى باب

الجنة كان كل أحد عرف بمنزله في الجنة وموضعه فيها بمنزله كان في الدنيا والله أعلم وهو معنى قوله ويدخلهم الجنة عرفها لهم قال أكثر أهل التفسير إذا دخل أهل الجنة الجنة يقال لهم تفرقوا إلى منازلكم فهم أعرف بمنزلهم من أهل الجنة إذا انصرفوا إلى منازلهم وقيل أن هذا التعريف إلى المنازل بدليل وهو أن الملك الموكل بعمل العبد يمشي بين يديه وحديث أبي سعيد الخدري يردده والله أعلم

باب من دخل النار من الموحدين

مات واحترق ثم يخرجون بالشفاعة

مسلم عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس أصابهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فأماهم الله إمامة حتى إذا كانوا لحما اذن لهم في الشفاعة فيجىء بهم ضبائر ضبائر فبشوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة اقبضوا عليهم فينتون نبات الحبة تكون في حميل السيل فقال رجل من القوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان يرمى الغنم بالبادية .

(فصل) هذه الموتة للعصاة موتة حقيقية لأنه أكدها بالمصدر وذلك تكريماً لهم حتى لا يحسوا ألم العذاب بعد الاحتراق بخلاف الحى الذى هو من أهلها ومخلد فيها وكلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ، وقيل يجوز أن تكون إمامتهم عبارة عن تغييبه إياهم عن آلامها بالنوم ولا يكون ذلك موتاً على الحقيقة فإن النوم قد يخيب عن كثير من الآلام والملاذ وقد سماه الله موتاً فقال الله تعالى والله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فهو وفاة وليس بموت على الحقيقة الذى هو خروج الروح عن البدن وكذلك الصعقة قد عبر الله بها عن الموت في قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وأخبر عن موسى عليه السلام أنه نحر صعقا ولم يكن ذلك موتاً على الحقيقة غير أنه لما غيبه عن أحوال المشاهدة من الملاذ والآلام جاز أن يسمى موتاً وكذلك يجوز أن يكون.

أمانهم غيبهم عن الآلام وهم أحياء بلطفة يحدثها الله فيهم كما غيب النسوة اللاتي قطعن أيديهن بشاهد ظهر لمن فقيهن فيه عن الآلمهن والتأويل الأول أصح لما ذكرناه من تأكده بالصدر ولقوله في تفسير الحديث حتى إذا كانوا فحما فهم أموات على الحقيقة كما أن أهلها أحياء على الحقيقة وليسوا بأموات فإن قيل فامعنى إدخالهم النار وهم فيها غير عالمين قيل يجوز أن يدخلهم تأديبا لهم وإن لم يعذبهم فيها ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبة لهم كالمحبوسين في السجون فإن الحبس عقوبة لهم وإن لم يكن معه غل ولا قيد والله أعلم وسيأتى لهذا مزيد بيان في أبواب النار إن شاء الله تعالى وقوله ضبائر ضبائر معناه جماعات جماعات الواحدة ضبارة بكسر الضاد وهى الجماعة من الناس وبثوا فرقوا والحبة بكسر الحاء بزر البقول وحمل السيل ما احتمله من غثاء وطين وسيأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

باب فيمن يشفع لهم قبل دخول النار

من أجل أعمالهم الصالحة وهم أهل الفضل في الدنيا

ذكر أبو عبد الله محمد بن ميسرة الجبلى القرطبي في كتاب التدين له روى أبى وابن وضاح من حديث أنس يرفعه قال يصف أهل النار فيقرنون فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان أما تذكر رجلا سقاك شربة ماء يوم كذا وكذا فيقول إنك لانت هو قال فيقول نعم قال فيشفع فيه فيشفع ويقول الرجل منهم يا فلان لرجل من أهل الجنة أما تذكر رجلا وهب لك وضوءا يوم كذا وكذا فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه (قلت) أخرجه ابن ماجه في سننه بمعناه قال حدثنا محمد بن عبد الله بن نعيم وعلى بن محمد قالا حدثنا الأعمش عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف الناس يوم القيامة صفوفا وقال ابن نعيم أهل الجنة فيمر الرجل من أهل النار على الرجل من أهل الجنة فيقول يا فلان أما تذكر يوم استسقيتني فسقيتك شربة قال فيشفع له ويمر الرجل على الرجل فيقول أما تذكر يوم ناولتك طهورا فيشفع له قال ابن نعيم ويقول يا فلان أما تذكر يوم بعثتني لحاجة كذا وكذا فنجست

لك فيشفع له. وخرج أبو نعيم الحافظ باسناده عن الثوري حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوفيههم أجورهم يوم القيامة ويزيدهم من فضله . قال أجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة بان وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا . وذكر أبو جعفر الطحاوي أيضا عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة جمع الله أهل الجنة صفوفًا وأهل النار صفوفًا فينظر الرجل من صفوف أهل النار إلى الرجل من صفوف أهل الجنة فيقول له يا فلان تذكر يوم اصطفتك معروفًا إليك فيقول اللهم ان هذا اصطنع إلى في الدنيا معروفًا قال فيقال له خذ بيده وادخله الجنة برحمة الله عز وجل ، قال أنس رضى الله عنه أشهد أنى سمعت رسول الله عليه وسلم يقول . قال أبو عبد الله محمد بن ميسرة ورأيت في الكتاب الذى يقال إنه الزبور انى ادعو عبادى الزاهدين يوم القيامة فأقول لهم عبادى انى لم أزوعكم الدنيا لهُوانكم على وانكن أردت أن تستوفوا نصيبكم موفورا اليوم فتخللوا الصفوف فن أحببتوه فى الدنيا أو قضى لكم حاجة أو ورد عنكم غيبة أو أطعمكم لقمة ابتغاء وجهى وصاب مرضاتى فخذوا بيده وادخلوه الجنة .

(فصل) وذكر أبو حامد فى آخر كتاب الإحياء قال أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول يا فلان هل تعرفنى فيقول لا والله ما أعرك من أنت فيقول أنا الذى مررت بى فى الدنيا يوما فاستسقيتنى شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لى بها عند ربك فيسأل الله تعالى ويقول انى أشرفت على أهل النار فنادانى رجل من أهلها فقال هل تعرفنى فقلت لا من أنت قال أأ الذى استسقيتنى فى الدنيا فسقيتك فاشفع لى بها فشفعنى فيشفعه الله تعالى فيؤمر به فيخرج من النار والله تعالى اعلم .

باب في الشافعين لمن دخل النار

وما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع رابع أربعة وذكر من يبقى في جهنم بعد ذلك ابن ماجه عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثه الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وذكر ابن السماك أبو عمرو عثمان بن أحمد قال حدثنا يحيى بن جعفر بن الزبرقان قال أخبرنا علي بن عاصم قال حدثنا خالد الحذاء عن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أنى الزعراء قال قال عبد الله ابن مسعود يشفع نبيكم رابع أربعة جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم ما سألكم في سقر قالوا لم نك من المصابين ولم نك نطعم المسكين إلى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فهو لاء الذين يبقون في جهنم .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله وقد قيل إن هذا هو المقام المحمود لدينا صلى الله عليه وسلم خرجه أبو داود الطيالسي قال حدثنا يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبي الزعراء عن عبد الله قال ثم يأتى الله عز وجل في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل عليه الصلاة والسلام ثم يقوم إبراهيم خايل الله صلى الله عليه وسلم ثم يقوم موسى أو عيسى عليهما السلام قال أبو الزعراء لا أدري أيهما قال ثم يقوم نبيكم صلى الله عليه وسلم رابعا فيشفع لا يشفع لاحد بعده في أكثر مما يشفع وهو المقام المحمود الذى قال الله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا .

ابن ماجه عن عبد الله ابن أبي الجعداء أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يقول ليدخان الجنة بشفاعة رجل من أمى أكثر من بنى تميم قالوا يا رسول الله الله سواك قال سواى قلت أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا سمعته أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب ولا نعرف لابن أبي الجعداء غير هذا الحديث الواحد .

قال المؤلف رحمه الله وخرجه البيهقي في دلائل النبوة وقال في آخره قال عبد الوهاب الثقفي قال هشام بن حسان كان الحسن يقول إنه أوتيس القرني وذكر ابن السماك قال حدثنا يحيى بن جعفر حدثنا شبابة بن سوار حدثنا حريز بن عثمان عن عبد الله بن ميدرة وحبيب بن عدى الرحبي عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل بشفاعته رجل من أمتي الجنة مثل أحد الحيين ربعة ومضر قال قيل يا رسول الله وما ربعة من مضر قال إنما أقول ما أقول قال فكان المشيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان .

الترمذي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من أمتي من يشفع للقمام ومنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للرجل حتى يدخلوا الجنة قال حديث حسن . وذكر البزار في مسنده عن ثابت أنه سمع أنس بن مالك يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة وذكر القاضي عياض في الشفا عن كعب أن لكل رجل من الصحابة رضى الله عنهم شفاعته وذكر ابن المبارك قال أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في أمتي رجل يقال حلة بن أشيم يدخل الجنة بشفاعته كذا كذا .

(فصل) إن قال قائل كيف تكون الشفاعته لمن دخل النار والله تعالى يقول إنك من تدخل النار فقد أخزيتة وقال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وقال وكم من ملك في السموات لا تنفى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ومن ارتضاء الله لا يخزيه قال الله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم الآية قلنا هذا مذهب أهل الوعيد الذين ضلوا عن الطريق وحادوا عن التحقيق وأما مذهب أهل السنة الذين جمعوا بين الكتاب والسنة فإن الشفاعته تنفع العصاة من أهل الملة حتى لا يبقى منهم أحد إلا دخل الجنة . والجواب عن الآية الأولى مناقه أنس بن مالك رضى الله عنه أن معنى من يدخل النار من يخلد وقال قتادة يدخل مقلوب يخلد ولا تقول كما قال أهل حروراء فيكون قوله على هذا فقد أخزيتة على بابيه من الهلاك أى أهلكته وأبعده ومقتنه ولهذا قال سعيد بن

المسبب الآية جاءت خاصة في قوم لا يخرجون من النار دليله قوله في آخر الآية وما للظالمين من أضرار أى الكفار وان قدرنا الآية في العصاة من الموحدين فيحتمل أن يكون الخزى بمعنى الحياء يقال خزى يخزى خزاية إذا استحي فهو خزيان وامرأة خزيانة كذا قال أهل المعاني لخزى المؤمنون يومئذ استحيوا ثم في دخول النار من سائر أهل الأديان إلى أن يخرجوا منها والخزى للكافرين هو هلاكهم فيها من غير موت والمؤمنون يموتون فافترقوا في الخزى والهوان ثم يخرجون بشفاعته من أذن الله له في الشفاعة وبرحمة الرحمن وشفاعته على ما يأتي في الباب بعد هذا وعند ذلك يكونوا مرضيين قد رضى عنهم ثم لا يأتي الاذن في أحد حتى لا يبقى عليه من قصاص ذنبه إلا ما تجيزه الشفاعة فيؤذن فيه فيلحق بالمائزين الراضين والحمد لله رب العالمين وأما قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه فمعناه لا يعذبه ولا يعذب الذين آمنوا وان عذب العصاة وإما فإنه يخرجهم بالشفاعة وبرحمته على ما يأتي بيانه في الباب بعد هذا والله أعلم .

باب منه في الشفعاء وذكر الجهنميين

ابن المبارك قال أخبرنا رشدين بن سعد عن يحيى عن أبي عبد الرحمن الغنوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الصيام والقرآن يشفعان العبد يقول الصيام رب منعتك الطعام والشراب والنهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن منعتك النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان . وذكر مسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه وفيه بعد قوله في نار جهنم : حتى إذا خلاص المؤمنون من النار فالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد منا شدة لله تعالى في استيفاء الحق من المؤمنين يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار وخرجه ابن ماجه ولفظه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا خلاص الله المؤمنين من النار وآمنوا فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا أشد مجادلة من المؤمنين في إخوانهم الذين دخلوا النار . قال يقولون ربنا إخواننا كانوا . فذكره بمعناه يقولون ربنا كانوا يصومون منا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على

النار فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبتيه يقولون ربنا ما بقي فيها أحد من أمرتنا به ثم يقول الله عز وجل ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا من أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا من أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فافروا إن شئتم إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين . في البخاري وبقيت شفاعتي بدل قوله ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا لحما فيأقيمهم في نهر على أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل إلا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض قالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كالزواجر في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة هولاء عتقا الله الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين فيقول لكم عندي أفضل من هذا فيقولون يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا فيقول رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبدا وخرج أبو القاسم اسحاق بن إبراهيم بن محمد الختلي في كتاب الديباج له حدثنا أحمد بن أبي الحرث فقال له حدثنا عبد المجيد بن أبي رواد عن معمر بن راشد عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ الله من القضاء بين خلقه أخرج كتابا من تحت العرش إن رحمتي سبقت غضبي فأنا أرحم الراحمين قال فيخرج من النار مثل أهل الجنة أو قال مثل أهل الجنة قال واكثرظني أنه قال مثل أهل الجنة مكتوب بين أعينهم عتقاء الله .

(فصل) هنا الحديث بين في أن الإيمان يزيد وينقص حسب ما بيناه في آخر سورة آل عمران من كتاب جامع أحكام القرآن فإن قوله اخرجوا من في قلبه مثقال دينار ونصف دينار وذرة يدل على ذلك وقوله من خير يريد من الإيمان وكذلك ما جاء ذكره في الخبر في حديث قتادة عن أنس وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ما يزن برة ما يزن ذرة أي من الإيمان بدليل الرواية الاخرى التي رواها معبد بن هلال العنزي عن أنس وفيها فأقول يا رب أمي أمي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فاخرجه منها فانطلق فأفعل الحديث بطوله أخرجه مسلم فقوله من إيمان أي من أعمال الإيمان التي هي أعمال الجوارح فيكون فيه دلالة على أن الأعمال الصالحة من شرائع الإيمان ومنه قوله تعالى وما كان الله ليضع إيمانكم أي صلاتكم وقد قيل إن المراد في هذا الحديث أعمال القلوب كأنه يقول اخرجوا من عمل عملا بنية من قلبه كقوله الأعمال بالنيات وفي هذا المعنى خبر عجيب يأتي ذكره انفا إن شاء الله تعالى ويجوز أن يراد به رحمة على مسلم رقة على يتيم خوفا من الله رجاء له توكل عليه ثقة به بما هي أفعال القلوب دون الجوارح وسماها إيمانا لكونها في محل الإيمان والدليل على أنه أراد بالإيمان ما قلنا ولم يرد بمجرد الإيمان الذي هو التوحيد له ونفى الشركاء والاخلاص بقول لا إله إلا الله ما في الحديث نفسه من قوله اخرجوا اخرجوا ثم هو سبحانه بعد ذلك يقبض قبضة فيخرج قوما لم يعملوا خيرا قط يريد إلا التوحيد مجرد عن الأعمال وقد جاء هذا مبينا فيما رواه الحسن بن أنس وهي الزيادة التي زادها على معبد في حديث الشفاعة ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمده بذلك المحامد ثم أخرجه ساجدا قال فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يا رب انذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك لك أو قال ليس ذلك إليك وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من قال لا إله إلا الله وذكر الترمذي الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب على جباههم عتقاء الرحمن فيسألون أن يمحو ذلك الاسم عنهم فيمحوه وفي رواية فيبعث الله ملكا فيمجاه عن جباههم

الطهريك وسيأتي يقال محالوجه محوه محوا ويمحيه محيا ومحاه أيضا فهو محو ومحى
صارت الواو ياء لكسر ما قبلها فأدغمت في الياء التي هي لام الفعل وأشد الأصمى:
• كما رأيت الوزق المححيا • وانمحي انفعل وامتحى لفتح فيه ضميمة

قاله الجوهري . وذكره أبو بكر البرزاري في مسنده عن أبي سعيد الخدري عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون
وأما الذين يريد الله إخراجهم فتهيئهم النار ثم يخرجون منها فيلقون على نهر الحياة
فيرسل الله عليهم من مائها فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ويدخلون الجنة
فتسميهم أهل الجنة الجهنميين فيدعون الله تعالى فيذهب ذلك الاسم عنهم .

البخاري عن أنس عن النبي ﷺ قال يخرج قوم من النار بعد مامسهم
منها سفع فيدخلون الجنة فتسميهم أهل الجنة الجهنميين . الترمذي عن عمران بن حصين
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليخرجن قوم من النار بشفاعتي يسمون الجهنميين
قال حديث حسن . وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعتي لأهل
الكبائر من أمي . خرجه الترمذي وصححه أبو محمد عبد الحق وخرجه أبو داود
الطيالسي وابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم شفاعتي لأهل الكبائر من أمي . زاد الطيالسي قال فقال لي جابر من لم يكن من
أهل الكبائر فإله وللشفاعة قال أبو داود وحدثناه محمد بن ثابت عن جعفر بن محمد
عن أبيه عن جابر وذكر أبو الحسن الدارقطني عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال نعم أنا لشرار أمي فقالوا فكيف أنت لخيارها قال أما خيارها
فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرارهم فيدخلون الجنة بشفاعتي وخرج ابن ماجه حدثنا
إسماعيل بن أسد حدثنا أبو بدر حدثنا يزيد بن خيشمة عن نعيم بن أبي هند عن ربيعي
ابن حراش عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرت
بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفي
أزونها للمتقين لا ولكنها للخاطئين المذنبين المتلوثين (قلت) وأبأناه الشيخ الفقيه
أبو القاسم عبد الله بن علي بن خلف لإجازة عن أبيه الفقيه الإمام المحدث أبي الحسن
علي بن خلف الكومى قال قرىء على الشيخة الصالحة فغرت النساء خديجة بنت أحمد بن الحسن

ابن عبد الكريم النهرواني في منزلها وأنا حاضر أسمع قبل لما أخبركم الشيخ أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد النعماني فأقرت به وقالت نعم قال حدثنا أبو الحسن محمد ابن أحمد بن محمد بن زرقويه البزار أخبرنا أبو علي إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ابن صالح الصغار حدثنا عبد الله بن أيوب المخزومي حدثنا أبو بدر شجاع بن الوليد السكوني عن زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبي هند عن ربهى بن حراش عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيرت بين الشفاعة ونصف أمي فاخترت الشفاعة أترونها للذئبين لا راكمها للخاطئين المتلوثين. وخرج ابن ماجه قال حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا ابن جابر قال سمعت سليم بن عامر يقول سمعت عوف بن مالك الأشجعي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما خيرني ربي الليلة قلنا الله ورسوله اعلم قال أنه خيرني بين أن يدخل نصف أمي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة قلنا يا رسول الله ادعوا الله أن يجعلنا من أهلها قال هي لكل مسلم وما الخبر العجيب الذي أوعدنا بذكره فذكره الكلابي ذى أبو بكر محمد بن إبراهيم في بحر الفوائد له حدثنا أبو النصر محمد بن اسحاق الرشادي قال حدثنا أبو بكر محمد ابن عيسى بن يزيد الطرسوسي قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا إبراهيم بن الحكم ابن أبان عن أبيه عن أبي قلابة قال كان لي ابن أخ يتعاطى الشراب فرض فبعث إلى ليلا أن الحق بي فأتيته فرأيت أسودين قد دنيا من ان أخى فقلت إنا لله ملك ابن أخى فاطلع أبيضان من الكوة التي في البيت فقال أحدهما لصاحبه انزل إليه فلما نزل تنحى الأسودان فجاء فشم فاه فقال ما أرى فيه ذكرا ثم شم بطنه فقال ما أرى فيه صوما ثم شم رجله فقال ما أرى فيهما صلاة فقال له صاحبه إنا لله وإنا إليه راجعون رجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليس له من الخير شيء ويحك عد فانظر فعاد فشم فاه فقال ما أرى فيه ذكرا ثم عاد فشم بطنه فقال ما أرى فيه صوما ثم عاد فشم رجله فقال ما أرى فيهما صلاة فقال ويحك رجل من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ليس معه من الخير شيء اصعد حتى أنزل أنا فنزل الآخر فشم فاه فقال ما أرى فيه ذكرا ثم شم بطنه فقال ما أرى فيه صوما ثم شم رجله فقال ما أرى فيهما صلاة قال ثم عاد فاخرج طرف لسانه فشم لسانه فقال الله أكبر أراه قد كبر تكبيرة في سبيل الله يريد بها وجه الله بإنتاكية قال ثم فاضت نفسه وشممت في البيت رائحة

المسك فلما صليت الغداة قلت لأهل المسجد هل لكم في رجل من أهل الجنة وحدثهم
حديث ابن أخي فلما باغت ذكر إننا كية قالوا ليست بإننا كية هي انطا كية قلت لا وانه
لا أسميتها إلا كما سماها الملك .

قال علماؤنا فهذا أنجته تكبيرة أراد بها وجه الله تعالى وهذه التكبيرة كانت
سوى الشهادة التي هي شهادة الحق التي هي الايمان بالله تعالى كما قررناه فشفاعة النبي
صلى الله عليه وسلم والملائكة والنبين والمؤمنين لمن كان له عمل زائد على مجرد الصديق
ومن لم يكن معه من الايمان خير كان من الذين يتفضل الله عليهم فيخرجهم من النار
فضلا وكرما وعنا منه حقا وكلمة صدقا إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فسبحان الرؤف بعباده الموفى بعهده :

(فصل) قلت جاء في حديث أبي سعيد الخدرى قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم
الخواتيم وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه يكتب على جباههم عتقاء الرحمن
وهذا تعارض ووجه الجمع بين الحديثين أن يكون بعضهم سيماهم في وجوههم
وبعضهم سيماهم في رقابهم وقد جاء في حديث جابر وفيه بعد إخراج الشافعين ثم
يقول الله تبارك وتعالى أنا الله أخرج بعلى ورحمى فيخرج أضعاف ما خرجوا وأضعافهم
ويكتب في رقابهم عتقاء الله عز وجل فيدخلون الجنة فيسمون فيها بالجهنميين قلت
وقد يعبر بالرقبة عن جملة الشخص قال الله تعالى فتحرير رقبة وقال عليه السلام
ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها - وقد تعبر العرب بالرقاب عن جملة المال
قال الشاعر :

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

فيحتمل أن يكون المعنى في حديث أبي سعيد وجابر رضى الله عنهما
فيخرجون مثل اللؤلؤ يعرف أهل الجنة أشخاصهم بالخواتيم المكتوبة على جباههم
كما في حديث أبي هريرة رضى الله عنه ولا تعارض على هذا والله أعلم

(فصل) إن قال قائل لم سأوا معو ذلك الاسم عنهم وهو اسم شريف لانه

سبحانه إضافة إليه كما أضاف الأسماء الشريفة فقال نبي وبيتي وعرشي وملائكتي وقد جاء في الخبر إن المتحابين في الله مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون في الله ولم يسألوا محوره؟ قيل إنما سألوا محوره ذلك بخلاف المتحابين في الله تعالى لأنهم آمنوا أن ينسبوا إلى جهنم التي هي دار الأعداء واستحيوا من إخوانهم لأجل ذلك فلما من عليهم بدخول الجنة أرادوا كمال الامتنان بزوال هذه النسبة عنهم وقد روى مرفوعا عنهم إذا دخلوا الجنة قال أهل الجنة هؤلاء الجهنميون فعند ذلك يقولون إلهنا لم تركتنا في النار كان أحب إلينا من العار فيرسل الله ريحا من تحت العرش يقال لها المثيرة فتب على وجوههم فتحمى الكتابة وتزيدهم بهجة وجمالا وحسنا.

أخبرنا الشيخ الراوية أبو محمد عبد الوهاب عرف بابن رواحة قرأت عليه قال قرىء على الحافظ السافي وأنا أسمع قال أخبرنا الحاجب أبو الحسن بن العلاف أخبرنا أبو القاسم بن بشران أخبرنا الآجري أبو بكر محمد بن الحسين حدثنا أبو علي الحسن ابن محمد بن سعيد الأنصاري حدثنا علي بن مسلم الطوسي حدثنا مروان بن معاوية الفزاري قال حدثني عمرو بن رفاعة الربيعي عن أبي نصر عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون وأهلها الذين يخرجون منها إذا أسقطوا فيها كانوا فيها حتى يأذن الله فيخرجهم فيلقمهم على نهر يقال له الحياة أو الحيوان فبرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون ثم يدخلون الجنة يسمون الجهنميين ثم يطلبون إلى الرحيم عز وجل فيذهب ذلك الاسم عنهم ويلحقون بأهل الجنة وأما سب المتحابين فعلمة شريفة ونسبة رفيعة فلذلك لم يسألوا محورها ولا طلبوا زوالها وإزالتها والله أعلم. فإن قيل ففي هذا ما يدل على أن بعض من يدخل الجنة قد يلحقه تنغيص ما والجنة لا تنغيص فيها ولا نكد قيل له هذه الأحاديث تدل على ذلك وأن ذلك يلحقهم عند دخول الجنة ثم يزول ذلك الاسم عنهم وقد مثل بعض علمائنا هذا الذي أصاب هؤلاء بالبحر تقع فيه النجاسات أنه لاحق لها كذلك ما أصاب هؤلاء بالنسبة إلى أهل الجنة وهو تشبيه حسن.

قال المؤلف رحمه الله وقد يلحق الجميع خوفا ما عند ذبح الموت على الصراط على ما يأتي وبعده يكونون آمنين مسرورين قد زال عنهم كل متوقع والله أعلم .

(فصل) إن قال قائل كيف يشفع القرآن والصيام وإنما ذلك عمل العالمين قيل له وقد تقدم هذا المعنى ونزيده وضوحا فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء القرآن يوم القيامة كالرجل الشاحب فيقول أنا الذي أبهرت ليالك وأظلمات نهارك خرجت من ما جه في سنه من حديث بريدة وإسناده صحيح فقوله يجيء القرآن أي ثواب قارئ القرآن وقد جاء في صحيح مسلم من حديث النّوّاس بن سمعان الكلابي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوثق بالقرآن يوم القيامة وأمله الذين كانوا يعملون به تقدمه سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثه أمثال مانسيتين بعد قال كأنهما غمامتان أو ظلتان سواداوان بينهما شرق أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما .

قال علاؤنا فقوله تحاجان عن صاحبهما أي يخلق الله من يجادل عنه بثوابهما ملائكة كما جاء في بعض الحديث أنه من قرأ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة خلق الله سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة

قال المؤلف رحمه الله وكذلك يخلق الله من ثواب القرآن والصيام ملكين كريمين فيشفعان له وكذلك إن شاء الله سائر الأعمال الصالحة كما ذكره ابن المبارك في دقائقه أخبرنا رجل عن زيد بن أسلم قال بلغني أن المؤمن يتمثل له عمله يوم القيامة في أحسن صورة أحسن ما خلق الله وجهها وثيابها وأطيبه ريحا فيجلس إلى جنبه كلما أفزعه شيء آمنه وكلما تخوف شيئا هون عليه فيقول له جزاك الله من صاحب خيرا من أنت فيقول أما تعرفني وقد صحبتك في قبرك وفي دنياك أنا عمالك كان والله حسنا؟ فلذلك تراني حسنا وكان طيبا فلذلك تراني طيبا تعال فاركني فطال ماركبتك في الدنيا وهو قوله تعالى : (وينجي الله الذين اتقوا بما فازتهم) الآية حتى يأتي به إلى ربه عز وجل فيقول يارب إن كل صاحب عمل في الدنيا قد أصاب في عمله وكل صاحب تجارة وصانع قد أصاب في تجارته غير صاحب هذا قد شغل في نفسه فيقول الله تعالى فا تسأل فيقول المغفرة والرحمة أو نحو هذا فيقول فإني قد غفرت له ثم يكسى حلة

الكرامة ويجعل عليه تاج الوقار فيه لؤلؤة تضيء من مسيرة يومين ثم يقول :
يا رب إن أبويہ قد شغل عنہما وكل صاحب عمل وتجارة قد كان يدخل علی أبويہ
من عمله فيعطى أبويہ مثل ما أعطى . ويتمثل للكافر عمله في أقبح ما يكون صورة
وأبن رائحة ويجلس إلى جنبه كلما أفزعه شوء زاده وكما تخوف شيئا زاده خوفا
منه فيقول بنس صاحب أنت ومن أنت فيقول أما تعرفني فيقول لا فيقول أنا عمك
كان قبيحا فلذلك تراني قبيحا وكان منتنا فلذلك تراني منتنا فطأ طيء رأسك أركبك
فطالما ركبتني في الدنيا . فذلك قوله تعالى : ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة .

قال المؤلف رحمه الله مثل هذا لا يقال من جهة الرأي، ومعناه يستند من حديث قيس
ابن عاصم المنقري أن النبي ﷺ قال: أنه لا بد لك يا قيس من قرين يدفن معك
وهو حي وتدفن معه وأنت ميت فإن كان كريما أكرمك وإن كان اثميا أسلمك ثم
لا يحشر إلا معك ولا تبعث إلا معه ولا تسأل إلا عنه فلا تجعله إلا صالحا فإن كان صالحا
فلا تأنس إلا به وإن كان فاحشا فلا تستوحش إلا منه وهو فملك. وذكر أبو الفرج
ابن الجوزي في كتاب روضة المشتاق، والطريق إلى الملك الخلاق قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: يوثق يوم القيامة بالتوبة في صورة حسنة ورائحة طيبة فلا يجد رائحتها
ولا يرى صورتها إلا مؤمن فيجدون لها رائحة وأنسا فيقول الكافر والعاصي المصير
مالنا ما وجدنا ما وجدتم ولا رأينا ما رأيتم فتقول لهم التوبة طال ما تعرضت لكم
في الدنيا فما أردتموني فلو كنتم قبلتموني لكنتم اليوم وجدتموني فيقولون نحن اليوم نتوب
فينادي مناد من تحت العرش هيهات هيهات ذهبت أيام المهلة وإنقضى زمان التوبة
فلو جئتموني بالدنيا وما اشتملت عليه ما قبلت توبتكم ولا رحمت عبرتكم فعند ذلك
تنأى التوبة عنهم وتبعد ملائكة الرحمة عنهم وينادي مناد من تحت العرش : يا خزنة
النار هلوا إلى أعداء الجبار وهذا بين فيما ذكرناه وبالله توفيقنا والله أعلم .

باب يعرف المشفوع فيهم بأثر السجود وبياض الوجوه

قد تقدم من حديث أبي سعيد الخدري أن المؤمنين يقولون ربنا إخواننا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجرون أدخلناهم النار فيقول لهم اذهبوا فن عرفتم أخرجوه . وذكر الحديث وخرج مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه بعد قوله ومنهم المجازي حتى ينجي حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار بأثر السجود تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبئون منه كما تبت الحبة في حميل السيل . وذكر الحديث . وخرج عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن قوما يخرجون من النار يحترقون فيها إلا دارات وجوههم حتى يدخلوا الجنة .

(فصل) هذا الحديث أدل دليل على أن أهل الكبار من أمة محمد صلى الله وسلم لا تسود لهم وجوه ولا تزرق لهم أعين ولا يغفلون بخلاف الكفار وقد جاء هذا المعنى منصوصا في حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل للكبار من أمي ثم ماتوا عليها فهم في الباب الأول من جهنم لا تسود وجوههم ولا تزرق أعينهم ولا يغفلون بالأشلال ولا يقرنون بالشياطين ولا يضربون بالمقامع ولا يطرحون في الأدراك ، منهم من يمكك فيها ساعة ثم يخرج ومنهم من يمكك فيها يوما ثم يخرج ومنهم من يمكك فيها شهرا ثم يخرج ومنهم من يمكك فيها سنة ثم يخرج وأكثرهم مكثا فيها مثل الدنيا من منذ خلقت إلى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة . الحديث بطوله وسيأتي تمامه إن شاء الله تعالى خرجه الترمذي في نوادر الأصول . وقال أبو حامد في كتاب كشف علوم الآخرة إنه يؤتى بأهل الكبار من أمة محمد صلى الله عليه وسلم شيوخا وعجايزا وكهولا ونساء وشبابا فإذا نظر إليهم مالك خازن النار قال من أنتم معاشر الأشقياء مالي أرى أيديكم لا

تغل ولم توضع عليكم الأغلال والسلاسل ولم تسود وجوهكم وما ورد على أحسن
منكم فيقولون يا مالك نحن أشقياء أمة محمد ﷺ دعنا نبكي على ذنوبنا فيقول لهم
ابكوا فلن ينفعكم البكاء فكم من شيخ وضع يده على لحيته ويقول واشيبتاه
واطول حسرتاه واضعف قوتاه وكم من كهل ينادي وامصيبتاه واطول مقاماه .
ناصيتها وشعرها وهي تنادي واسوأناه واهتك أستارها فيكون ألف عام فاذا النداء من
قبل الله : يا مالك ادخلهم النار في أول باب منها فاذا همت النار تأخذهم فيقولون بحمهم
لا إله إلا الله فتفر عنهم النار خمسمائة ثم عام ثم يأخذون في البكاء فتشتد أصواتهم
وإذا النداء من قبل الله تعالى : يا نار خذيهم يا مالك ادخلهم الباب الأول من النار
فعند ذلك يسمع لها صاصلة كالرعد القاصف فاذا همت النار أن تحرق القلوب زجرها
مالك وجعل يقول لا تحرقى قلبا فيه القرآن وكان وعاء الإيمان فإذا بالزبانية قد جاؤا
بالحميم ليصبوه في بطونهم فيزجرهم مالك فيقول لا تدخلوا الحميم بطونا فخصها رمضان
ولا تحرق النار جباها سجدت لله تعالى فيعودون فيها حمما كالفأيق المحلوك والإيمان
يتلألا في القلوب وسيأتي لهذا مزيد بيان في آخر أبواب النار نجانا الله منها ولا
يجعلنا ممن يدخلها فيحترق فيها وأعادنا من عذابها بمنه وكرمه .

(۱)
(فصل) قوله إذا فرغ الله، مشكل وفي التنزيل سنفرغ لكم أيها الثقلان، ومعناه
في التهديد والوعيد من الله تعالى لعباده كقول القائل سأفرغ لك وازلم يكن مشغولا
عنه بشغل وليس بالله تعالى شغل تعالى عن ذلك . وقيل المعنى سنقصد لمجازاتكم
وعقوبتكم كما يقول القائل لمن يريد تهديده إذا أفرغ لك أي أقصد قصدك وفرغ
يعنى قصد وأحكم قال جرير بن نمير الجعفي :

الآن وقد فرغت إلى نمير فهذا حين كنت لها عذبا

يزيد وقد قصدت نحوه فعنى فرغ الله من القضاء بين العباد أي تم عليهم
حسابهم وفصل بينهم لأنه لا يشغله شأن عن شأن سبحانه وتعالى .

(۱) ومعناه المبالغة في تمام الجزء الأول في نسخة

باب ما يرجی من رحمة الله تعالى ومغفرته وعفوه يوم القيامة

قال الحسن يقول الله تعالى يوم القيامة: جوزوا الصراط بعفوى وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم وقال عليه السلام: ينادى مناد من تحت العرش يا أمة محمد أما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات فتواهبوها فيما بينكم وادخلوا الجنة برحمتي. وروى أن أعرابيا سمع ابن عباس يقرأ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، فقال الأعرابي والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يوقمهم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير فتيه وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في الموت فبتكيت فقال: هلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثا واحدا وسوف أحدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار خرجه مسلم وغيره من الأئمة وخرج مسلم من حديث سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى خالق يوم خالق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل في الأرض منها رحمة واحدة فيها تعطف الوالدة على ولدها والطيور والوحش بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكلها بهذه الرحمة أخرجه ابن ماجه من حديث أبي سعيد وفي بعض الطرق لأبي هريرة فإذا كان يوم القيامة رد هذه الرحمة على تلك التسعة والتسعين رحمة فأكلها مائة رحمة فيرحم الله بها عباده يوم القيامة وفي بعض الروايات فإذا كان يوم القيامة جمعت الواحدة إلى التسعة والتسعين فكملمن مائة رحمة حتى إن إبليس ليطاول لها رجاء أن ينال منها شيئا وقال ابن مسعود لن تزال الرحمة بالناس حتى إن إبليس ليهتز صدره يوم القيامة مما يرى من رحمة الله تعالى وشفاعة الشافعين وقال الأصمعي كان رجل يحدث بأهوال يوم القيامة وأعرابي جالس يسمع فقال يا هذا من يلبي هذا من العبادة قال الله فقال الأعرابي إن الكريم إذا قدر عفا وغفر وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وهو أهل التقوى وأهل المغفرة، قال فقال الله تعالى أنا أهل إن اتقى فلا يجعل معي إله آخر فمن اتقى أن يجعل معي إله آخر فأنا أهل أن أغفر له وخرجه أبو عيسى الترمذي بمعناه وقال حديث حسن غريب وروى عن عبد الله بن أبي أوفى قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده لئلا أرجم بعبدته من الوالدة الشفيقة
بولدها وروى مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال قدم على رسول الله
ﷺ بسبى وإذا بأمرأة من السبى تبتغى ولدا لها إذ وجدت صبيا في السبى فأخذته
فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أترون هذه المرأة
طارحة ولدها قلنا لا والله وهى قادرة على أن تطرحه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لئلا أرجم بعباده من هذه بولدها أخرجه البخارى أيضا وقال أبو غالب كنت
اختلف إلى أبي أمامة بالشام فدخلت يوما على فتى مريض من جيران أبي أمامة وعنده
عم له وهو يقول يا عدو الله ألم أمرك ألم أنك فقال الصبي يا عماء لو أن الله تعالى
دفعنى إلى والدتى كيف كانت صانعة بى قال كانت تدخلك الجنة قال ان ربي الله أشفق
من والدتى وأرحم بى منها وقبض الفتى من ساعته فلما جهزه عمه وصلى عليه وأراد أن
يضعه فى لحده فدخلت القبر مع عمه فلما أن سواه صاح وفرع فقلت له ما شأنك قال
فسح له فى قبره وملىء نورا فدهشت منه وقال هلال بن سعد يؤمر بإخراج رجلين
من النار فيقول الله تعالى كيف وجدتما مقبلكما فيقولان شر مقبل فيقول الله
تعالى ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد ويأمر بصرفهما إلى النار فيغدوا
فيقول الذى عدنا خيرت من وبال المعصية مالم أكن لا تعرض لسخطك ثانية
ويقول الذى نكأ حسن ظنى بك أن لا تردنى إليها بعد ما أخرجتنى منها فيأمر بهما
إلى الجنة .

(قال المؤلف رحمه الله) وهذا الخبر رفعه الترمذى أبو عيسى بمعناه من أبي هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن رجلين من دخلا النار اشتد صياحهما فقال
الرب تبارك وتعالى أخرجهما فلما أخرجا قال لهما لاى شئ اشتد صياحكما قالوا فعلنا ذلك
لترحمنا قال إن رحمتى لكما أن تطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتم من النار فينطلقان فيلقى
أحدهما نفسه فيجعلها له بردا وسلاما ويقوم الآخر فلا يلقى نفسه فيقول الله تبارك
وتعالى ما منعك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك فيقول رب إنى لأرجو أن تبيدنى
بعدنما أخرجتنى فيقول الله تعالى لك رجاؤك فيدخلان الجنة برحمتك أبو عيسى

إسناد هذا الحديث ضعيف لانه عن رشدین بن سعد ورشدین ضعيف عن ابن أنعم الأفریقی والأفریقی ضعيف عند أهل الحديث وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اخرجوا من النار من ذكرني يوما أو خافني في مقام قال حديث حسن غريب وذكر أبو نعيم الحافظ عن إسحاق بن سويد قال صحبت مسلم بن يسار عاما إلى مكة فلم أسمعه يتكلم بكلمة حتى باغنا ذات عرق قال ثم حدثنا قال بلغني أنه يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول انظروا في حسناته فينظر في حسناته فلا يوجد له حسنة فيقول انظروا في سيئاته فتوجد له سيئات كثيرة فيؤمر به إلى النار فيذهب إلى النار يلتفت فيقول ردوه إلى لم تلتفت فيقول أي رب لم يكن هذا ظني أو رجائي فيك - شك إبراهيم - فيقول صدقت فيؤمر به إلى الجنة

(قال المؤلف) وهذا الحديث رفعه ابن المبارك قال أنا رشدین بن سعد قال حدثني أبو هاني الخولاني عن عمرو بن مالك أن فضالة بن عبيد وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما حدثاه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيامة وفرغ الله من قضاء الخلق فيبقى رجلان فيؤمر بهما إلى النار فيلتفت أحدهما فيقول الجبار تبارك وتعالى ردوه فيردوه فيقال له لم إلتفت فيقول كنت أرجو أن تدخلني الجنة فيؤمر به إلى الجنة قال فيقول لقد أعطاني ربي حق إني لو أطعمت أهل الجنة ما نقص ذلك مما عندي شيئا قالوا وكان رسول الله ﷺ إذا ذكره يرى السرور في وجهه .
(قال المؤلف) وفي هذا المعنى خبر الرجل الذي ترفع له شجرة بعد أخرى حتى يخرج من النار إلى أن يدخل الجنة خرج به مسلم في الصحيح وسيأتي :

باب منه وفي أول ما يقول الله تعالى للؤمنين وفي أول ما يقولون له أبو داود الطيالسي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثني يحيى بن أيوب عن عبيد الله زحر عن خالد بن أبي عمران عن أبي عياش عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شئتم أنبأكم بأول ما يقول الله عز وجل للؤمنين يوم القيامة وبأول ما يقولون له قالوا نعم يا رسول الله قال فان الله تعالى يقول للؤمنين هل أحببتم لقائي فيقولون نعم ياربنا قال وما جلدكم على ذلك قال فيقولون غفوك ورحمتك ورضوانك فيقول فاني قد أوجبت لكم رحمتي .

باب منه

ذكر أبو نعيم الحافظ قال حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر بن زيد بن أسلم أن رجلا كان في الأمم الماضية يجهد في العبادة ويشدد على نفسه ويقنط الناس من رحمة الله ثم مات إلى رب مالى عندك قال النار قال فأين عبادتي واجتهادى قيل له إنك كنت تقنط الناس من رحمتي في الدنيا وأنا أقنطك من رحمتي وقال مقاتل قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولم يرخص لهم في معاصي الله عز وجل .

باب حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات

مسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول صلى الله عليه حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات خرجه البخارى أيضا والترمذى وقال فيه حديث حسن صحيح غريب وخرج الترمذى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال أنظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها قال فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها قال فرجع إليه وقال وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها قال فأمر بها فحفت بالمكاره فقال فرجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها قال فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره فرجع إليه فقال وعزتك لقد حفت أن لا يدخلها أحد قال اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فإذا هي يركب بعضها بعضها فرجع إليه فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فأمر بها فحفت بالشهوات فقال ارجع إليها فرجع إليها فقال وعزتك لقد خشيت ألا ينجوا منها أحد إلا دخلها قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

(فصل) المكاره كل ما يشتق على النفس فعله ويصعب عليها عمله كالطهارة في السبرات

وغيرها من أعمال الطاعات والصبر على المصائب وجميع المكروهات والشهوات كل ما يراعى النفس ويلائمها ويحرمها ويرواها وأصل الحفاف الماء بالثني الحيط

به الذي لا يتوصل إليه إلا بعد أن يتخطى فثل صلى الله عليه وسلم المكاره والشهوات بذلك فالجنة لا تنال إلا بقطع مفاوز المكاره والصبر عليها والنار لا ينجو منها إلا بترك الشهوات وفطام النفس عنها وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مثل طريق الجنة وطريق النار بتمثيل آخر فقال طريق الجنة حزن بربرة وطريق النار سهل بسهوة ذكره صاحب الشهاب والحزن هو الطريق الوعر المسلك والربرة هو المكان المرتفع وأراد به أعلى ما يكون من الروابي والسهوة بالسین المهملة هو الموضع السهل الذي لا غلظ فيه ولا وعورة وقال القاضي أبو بكر ابن العربي في سراج المریدین له ومعنى قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات أى جعلت على حافاتها وهى جوانبها ويتوهم الناس أنه ضرب فيها المثل لجملة فى جوانبها من الخارج ولو كان ذلك ما كان مثلاً صحيحاً وإنما هى من داخل وهذه صورتها :

النار	الجنة
<div style="border: 1px solid black; padding: 5px; display: inline-block;"> <p>تج المال</p> </div>	<div style="border: 1px solid black; padding: 5px; display: inline-block;"> <p>الصبر الالم المكاره الفوز</p> </div>

وعن هذا صبر ابن مسعود حفت الجنة بالمكاره والنار حفت بالشهوات فن اطلع الحجاب فقد واقع ماوراهه وكل من تصورهما من خارج فقد ضل عن معنى الحديث وعن حقيقة الحال فإن قيل فقد حجبت النار بالشهوات قلنا المذنب واحد لأن الاعى عن التقوى الذى أخذت سمعه وبصره الشهوات يراها ولا يرى النار التى هى فيها وإن كانت باستيلاء الجهالة ورين الغفلة على قلبه كالطائر يرى الحبة فى داخل الفخ وهى محبوبة عنه ولا يرى الفخ لغلبة شهوة الحبة على قلبه وتعلق باله بها وجهله بما جعلت فيه وحجبت .

باب احتجاج الجنة والنار وصفة أهلها

البخارى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجت الجنة والنار فقالت هذه يدخلى الجبارون والمتكبرون وقالت هذه يدخلى الضعفاء والمساكين فقال الله لهذه أنت عذابى أعذب بك من أشاء وقال لهذه أنت رحمتى أرحم

بك من أشاء ولكل واحدة منك ما خرج مسلم والترمذی وقال هذا حديث حسن صحيح .

(فصل) قال الحاكم أبو عبد الله في علوم الحديث سئل محمد بن خزيمه عن قول النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت النار والجنة فقالت هذه يدخلني الضعفاء من الضعيف قال الذي يرى نفسه من الحول والقوة . يعنى في اليوم عشرين مرة أو خمسين مرة

(قال المؤلف) ومثل هذا لا يقال من جهة الرأى فهو مرفوع واقه أعلم . وأما المساكين فالمراد بهم المتواضعون وهم المشار إليهم في قوله عليه السلام اللهم احينى مسكينا وأمتى مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين ولقد أحسن من قال :

إذا أردت شريف الناس كلهم فانظر إلى ملك في زى مسكين
ذاك الذى عظمت في الله رغبته وذلك يصلح للدنيا وللدين

ومعنى احتجت الجنة والنار أى حجت كل واحدة صاحبها وخاصمتها وميأتى بيانه عند قوله عليه السلام اشتكت النار إلى ربها .

باب منه في ضفة أهل الجنة وأهل النار وفي شرار الناس من هم

مسلم عن عياض بن حمار الجاشعوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما في خطبته أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب اكل ذى قربي ومسلم عفيف ضعيف ذو عيال قال وأهل النار خمسة الضعيف الذى لا زبر له الذين هم فيكم تبع لا يبتغون أهلا ولا مالا والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش وعن حارثة بن وهب الخزاعى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متطعم لو أقسم على الله لأبرقسه ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر وفي رواية زعيم متكبر خرجه ابن ماجه أيضا أبو داود عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظرى قال الجواظ الغليظ الفظ . ابن ماجه عن ابن عمران قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب من عباده الا الماردا المتعمد الذي
 يتمرد على الله وأبي أن يقول لا اله الا الله وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لا يدخل النار الا شقى قيل يا رسول الله ومن الشقى قال من لم يعمل
 لله بطاعته ولم يترك له معصية وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أهل الجنة من ملائكة الله أذنيه من ثناء الناس خيرا وهو يسمع وأهل النار من ملائكة
 الله أذنيه من ثناء الناس شرا وهو يسمع . مسلم عن أنس قال مر بجنازة فأنى عليها
 خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت وجبت ومر بجنازة فأنى عليها
 شرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت وجبت فقال عمر فذاك أبي وأمي
 مر بجنازة فأنى عليها خيرا فقلت وجبت وجبت ومر بجنازة فأنى عليها شرا فقلت
 وجبت وجبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أثنتم عليه خيرا وجبت
 له الجنة ومن أثنتم عليه شرا وجبت له النار أتم شهداء الله في الأرض قالها ثلاثا
 وقالت عائشة رضی الله عنها الجنة دار الأسخياء والار دار البخلاء وقال زيد بن
 أسلم أمرك الله تعالى أن تكون كريما فيدخلك الجنة ونهاك أن تكون بخيلا فيدخلك النار
 وذكر أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن
 أحب أن يكون أكرم الناس فليترك الله ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما
 في يد الله أوثق منه بما في يده ألا أنبئكم بشراركم قالوا نعم يا رسول الله قال من
 أكل وحده ومنع رفقاه وجلد عبده أفأنبئكم بشر من هذا قالوا نعم يا رسول
 الله قال من يبغض الناس ويبغضونه قال أفأنبئكم بشر من هذا قالوا نعم
 يا رسول الله قال من لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا . قال
 أفأنبئكم بشر من هذا قالوا نعم يا رسول الله قال من لا يرجو
 خيره ولا يؤمن شره إن عيسى بن مريم قائم في بني إسرائيل
 اختلاف فيه فردوه إلى الله عز وجل قال أبو نعيم وهذا الحديث لا يحفظ بهذا السياق
 عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من حديث محمد بن كعب عن ابن عباس .

(فصل) قوله ذو سلطان مقسط وما بعده مراد على أنها صفات لذو وهي بمعنى
 صاحب والمقسط العادل والمتصدق المعطي الصدقات والموافق المسدد لفعل الخيرات

ورقيق القلب لينه عند التذكرو الموعظة ويصلح أن يكون بمعنى الشفيق وقوله ضعيف متضعف يعنى ضعيف في أمور الدنيا قوى في أمر دينه كما قال عليه السلام المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير الحديث خرج به مسلم فان كان ضعيفا في أمور دينه لا يعنى بها فذهوم وذلك من صفات أهل النار كما قال وأما النار خمسة الضعيف الذى لا زبر له أى لا عقل له ومن لا عقل له ينفك به عن المفسد ولا ينزجر به عنها فحذبك به ضعفا وخسارة في الدين وقد قيل في الزبر إنه المال وليس بشيء لأن النبي صلى الله عليه وسلم فسر ذلك بقوله الذين هم فيكم تبعوا لا يتبعون أهلا ولا مالا .

قال شيخنا أبو العباس رضى الله عنه في معنى بذلك أن هؤلاء ضعفاء العقول فلا يسعون في تحصيل مصلحة دنيوية ولا فضيلة نفسية ولا دينية بل يهملون أنفسهم إهمال الأنعام ولا يباليون بما يثبون عليه من الحلال والحرام وهذه الأوصاف الخبيثة الذاتية هي أوصاف هذه الطائفة المسماة بالقلندرية وقد قال مطرف بن عبد الله بن الشخير راوى الحديث والله لقد أدركتهم في الجاهلية وإن الرجل ليرعى على الحى ما به إلا وليدتهم يطاوها ويخفى بمعنى يظهر وهو من الأضداد وذكر البخل والكذب هكذا الرواية المشهورة بالواو والجامعة والكذب وقد رواه ابن أبي جعفر عن الطبراني بأو التى للشك قاله القاضى عياض ولعله الصواب وبه تصح القسمة لأنه ذكر أن أصحاب النار خمسة الضعيف الذى وصفه والخائن الذى وصفه والرجل المخادع الذى وصفه قال وذكر البخل والكذب ثم ذكر الشنظير والفحاش فرأى هذا القائل أن الرابع هو صاحب أحد الصنفين وقد يحتمل أن يكون الرابع قد جمعها على رواية واو العطف كما جمعها في الشنظير الفحاش وكذلك قوله أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط أخرى ومعلم عفيف بالرفع وحذف الواو وقال شيخنا إنتهى كلام القاضى عياض رحمه الله والضعيف الكثير العفة وهي الانكفاف عن الفواحش وعن ما لا يليق والمتعفف أخرى ومسلم بالرفع وحذف الواو شيخنا إنتهى كلام القاضى عياض رحمه الله والضعيف الكثير العفة وهي الانكفاف عن الفواحش وعن ما لا يليق والمتعفف المتكلف العفة والشنظير السوء الخلق ويقال شنظيرة أيضا قاله الجوهرى وأنشد قول أعرابية :

شنظيرة وزجنيه أهبل من حقه يحسب رأسى رجلى

كانه لم ير أنى قبلى . وربما قالوا شنظيرة بالذال المعجمة لقربها من الظاء لغة أولغة والفعاش الكثير الفحش وقيل الشنظير هو الفعاش قال صاحب العين يقال شنظر بالقوم شتم أعراضهم والشنظير الفعاش من الرجال القلق وكذلك من الإبل والجواظ الجموع المنوع ومنه قوله تعالى ويجمع فأوعى، وقيل الجواظ الكثير اللحم المختال وقيل الجافى القلب والعنلقيل هو الجافى الشديد الخصومة وقيل هو الأكل الشروب الظلوم .

(قال المؤلف) ويقال إنه اللفظ الغليظ الذى لا ينقاد لخير والجمعبرى اللفظ الغليظ القصير وجاء فى تفسيره فى بعض الأحاديث هم الذين لا تصدع رؤسهم قال شيخنا والزنيم المعروف بالشر وقيل الهم وأما الزنيم المذكور فى القرآن فرجل معين له زئمة كزئمة النيس وقيل هو الوليد وكان له زئمة تحت أذنه وقيل هو الملقب بالقوم وقيل هو الأخنس بن شريق .

(فصل) قوله عليه السلام من أثنتم عليه شرا وجبت له النار يعارضه قوله عليه السلام لا تسبوا الأموات فانهم قد أنضوا إلى ما قدموا أخرجه البخارى والثناء بالشر سب وقيل ذلك خاص بالمنافقين الذى شهدت الصحابة فيهم بما ظهر لهم ولذلك قال عليه السلام وجبت له النار والمسلم لا تجب له النار واختار هذا القول للقاضى عياض وقيل ذلك جائز فيمن كان يظهر الشر ويعلم به فيكون ذلك من باب لاغية فى فاسق وقيل إن النهى إنما هو بعد الدفن وأما قبله فمنوع لقوله عليه السلام لا تسبوا الأموات فالنهي عن سب الأموات متأخر فيكون ناسخا والله أعلم وقوله أتم شهداء الله فى الأرض معناه عند الفقهاء إذا أثنى عليه أهل الفضل والصدق والعدالة لأن الفسقة قد يثنون على الفاسق فلا يدخل فى الحديث وكذلك لو كان القاتل فيه عدوا له وإن كان فاضلا لأن شهادته فى حياته لو كانت عليه كانت غير مقبولة وكذلك الحكم فى الآخرة على ما تقدم والله أعلم وقيل إن تكرار أتم شهداء الله فى الأرض ثلاثا إشارة إلى القرون الثلاثة الذين قال فيهم النبى ﷺ خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .

(قال المؤلف) والاول اصح لان الله تعالى مدح هذه الامة بالفضل والعدالة الى يوم القيامة قال الله تعالى (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) يعنى في الآخرة كما تقدم فلا يشهد الا العدول وقد خرج البخارى عن حماد بن زيد عن ثابت عن انس قال مر على النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة فأتوا عليها خيرا فقال وجبت ثم مر عليه بأخرى فأتوا عليها شرا أو قال غير ذلك فقال وجبت فقيل يا رسول الله قلت لهذا وجبت ولهذا وجبت فقال المؤمنون شهداء الله في الأرض وخرجه ابن ماجه بهذا الإسناد وقال شهادة القوم والمؤمنون شهود الله في الأرض وفي البخارى أيضا عن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة فقلنا وثلاثة فقلنا واثنان قال واثنان ثم لم نسأله عن الواحد قال أبو محمد عبد الحق وهذا الحديث مخصوص والله أعلم والذي قبله يعطى العموم وأن من كثرت شهوده وانطلقت السنة المسلمين فيه بالخير والثناء الصالح كانت له الجنة والله أعلم .

(قال المؤلف رحمه الله) ومن هذا المعنى ما ذكره هناد بن السرى أخبرنا إسحاق الرازى عن أبي سنان عن عبد الله بن السائب قال مرت جنازة بعبد الله بن مسعود فقال لرجل قم فانظر من أهل الجنة هو أم من أهل النار قال الرجل ما يدريني أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار قال ثناء أمر أن يلقى على السنة المسلمين الثناء عليه وفي قلوبهم المحبة له قال الله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) وقال عليه السلام إذا أحب الله عبدا قال يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادى في السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه قال فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وذكر في البغضاء مثل ذلك وهذا حديث صحيح خرجه البخارى ومسلم قال أبو محمد عبد الحق وقد شوهه رجال من المسلمين علماء صالحون كثرا الثناء عليهم وصرفت القلوب إليهم في حياتهم وبعد مماتهم ومنهم من كثرا المشيعون لجنازته وكثرا الحاملون لها والمشتغلون بهارر بما كثر الله الخلق بما شاء من الجن المؤمنين أو غيرهم مما يكون في صور الناس ذكر قاسم بن أصبغ قال حدثنا أحمد بن زهير قال أخبرنا محمد بن يزيد الرقاعى قال مات عمرو بن قيس الملائى بناحية فارس فاجتمع لجنازته من الخلق مالا يحصى فلما

حذفت نظر و اقلم يروا احدا قال الرقاعي سمعت هذا بما من لا احصى كثرة وكان سفيان الثوري يترك بالنظر الى عمرو بن قيس هذا ولما مات احمد بن حنبل رضى الله عنه صلى عليه من المسلمين ما لا يحصى فامر المتوكل ان يمسح موضع الصلاة عليه من الارض فوجد موقف الفى الف وثلاث مائة الف او نحوها ولما انتشر خبر موته اقبل الناس من البلاد يصلون على قبره فعلى عليه ما لا يحصى وروى انه اسلم في ذلك اليوم من اهل الذمة اليهود والنصارى نحو من ثلاثين الف لما راوا من كثرة الخلق على جنازته ولما راوا من العجب في ذلك اليوم ولما مات سهل بن عبد الله التستري رحمه الله انكب الناس على جنازته وحضرها من الخلق ما لا يعلو الا الله تعالى وكانت في البلد ضجة فسمع بها يهودى شيخ كبير فخرج فلما رأى الجنازة صاح وقال هل ترون ما ارى قالوا وما ترى قال ارى قوما ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة ثم اسلم وحسن اسلامه ويقال ان الكعبة لم تخل من طواف طائف يطوف بها الا يوم مات المغيرة بن حكيم فانها نخلت لانحشار الناس لجنازته تبركا بها ورغبة في الصلاة عليه وقد شوهد من جناز الصالحين من يشيعها الطير ويسير معها حيث سارت منهم ابو العيص ذو النون المصرى وابو ابراهيم المزنى صاحب الشافعى حدث بذلك الثقات قاله ابو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة

باب منه في صفة اهل الجنة واهل النار

مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من اهل النار لم ارها قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات يميلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا قال الحافظ ابن دحية ابو الخطاب الرواية بالياء بلا خلاف وتحكم ابو الوليد الكمانى فرواه بالثاء المثناة وهي المنتصبة وهذا خطأ منه وتصحيح وخرج مسلم أيضاً عن ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال يدخل الجنة اقوام افئدتهم مثل افئدة الطير .

(فصل) للعلماء في تأويل هذا الحديث وجهان أحدهما أنها مثلها في الخوف

والهبة والطير أكثر الحيوانات خوفاً حتى قالوا أحذر من غرابه وقد غلب الخوف على كثير من السلف حتى انصدعت قلوبهم فأتوا الثاني أنه مثلها في الضعف والرقه كما جاء في الحديث الآخر في أهل اليمن هم أرق قلوباً وأضعف أفئدة .

(قال المؤلف) ويحتمل وجهاً ثالثاً أنها مثلها نحالية من كل ذنب سليمة من كل عيب لا خبرة لهم بأمور الدنيا كما روى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ أكثر أهل الجنة البله وهو حديث صحيح أى البله عن معاصي الله والله اعلم قال الأزهرى الأبله في كلامهم على وجوه يقولون عيش أبله إذا كان ناعماً ومنه أخذ بلهنية العيش قال بعضهم : وطالما عشت في بلهنية . والأبله الذى لا عقل له والأبله الذى طبع على الخير وهو غافل عن الشر لا يسرفه وقال هذا هو المراد بالحديث وقال العتبي الأبله هم الذين غلب عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس وأنشد :
ولقد هوت بطلعة ميالة بلهائ تطلعن على أسرارها

يعنى لأنها غر لادهاء لها قال المؤلف رحمه الله ونظير ما ذكرناه وماقاله هؤلاء الأئمة من الكتاب قوله تعالى (إلا من أتى الله بقلب سليم) وقوله عليه السلام وقد سئل أى الناس أفضل قال الصادق اللسان المخموم القلب قالوا أما الصادق اللسان فقد عرفناه أنه ذلك فما المخموم القلب قال النقى الذى لا غل فيه . ولا حسد ذكره أبو عبيدة والعرب تقول نحمت البيت أى كنيسته ومنه سميت الخنامة وهى مثل القمامة والكناسة .

وقال بعض العلماء فى البله وجهاً آخر لطيفاً وهو أنهم سموا بذلك لقصورهم عن كمال المعرفة بحق الله تعالى ورؤية استحقاقه العبادة وإيثار طلبه والشغف بحبه وخدمته وطلب رضاه الذى هو جنة الخلد إذا وقفوا بخواطرهم على الجنة ونعيمها وعبودية وأطاعوه فى نيل درجاتها ولذا هما غافلين عن مراقبة جلاله وملاحظة كماله يعكوف همهم على نيل نعمه وأفضاله فهم بله أيضاً بالإضافة إلى العقلاء عن الله عز وجل ذوى الأبواب المقبلة على مشاهدة عظمة الله تعالى المتوجهين بكليتهم إليه المشغولين به عما لديه ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فى سياق قوله أكثر أهل الجنة البله وعليون لاولى الأبواب وفى الخير أن طائفة من العقلاء بالله عز وجل

للملائكة إلى الجنة والناس في الحساب فيقولون للملائكة إلى أين تحملوننا فيقولون
إلى الجنة فيقولون إنكم لتحملوننا إلى غير بغتنا فتقول لهم الملائكة وما بينكم
فيقولون المقعد الصدق مع الحبيب كما أخبر في مقعد صدق عند ملك مقدر ولعل
من هذا القبيل من يسأل الله الجنة إلا أن سؤاله إياها لا لها بل موافقة لمولاه لما
علم أنه يجب أن يسأل من ثوابه ويستعاض من عذابه فوافق مولاه في إيثاره
لا لحظ نفسه كما قال عليه السلام لأحد أصحابه الذي قال أما أنا فأقول في دعائي
اللهم ادخلي الجنة وعاقني من النار ولا أدري ما دندنتك ولا دندنة معاذ فقال
له النبي ﷺ حولها ندندن .

قال الشيخ المؤلف رحمه الله خرجه أبو داود في سننه وابن ماجه أيضا .

(فصل) قال الحافظ ابن دحية أبو الخطاب قوله صنفان من أهل النار لم أرهما
الصنف فيما ذكر عن الخليل الطائفة من كل شيء والسوط في اللغة اسم للغراب
وإن لم يكن له ثم ضرب . قاله الفراء وقال ابن فارس في المعجم السوط من
العذاب النصيب والسوط خلط الشيء ببعضه ببعض وإنما سمي سوطا لمخ لظته وإنما
أراد النبي صلى الله عليه وسلم عظم الشياطين وخروجها عن حد ما يجوز به الضرب
في التأديب وهذه الصفة للشياطين مشاهدة عندنا بالمغرب إلى الآن وغيره وقوله نساء
كاسيات عاريات يعني أنهن كاسيات بالثياب عاريات من الدين لانكشافهن وإبدائهن
بعض محاسنهن وقيل كاسيات ثيابا رقاقا يظهر ما خلفها وما تحتها فهن كاسيات في
أظهار عاريات في الحقيقة وقيل كاسيات في الدنيا بأنواع الزينة من الحرام
وما لا يجوز لبسه عاريات يوم القيامة ثم قال عليه السلام ما نلات بميلات قيل
معناه زائغات عن طاعة الله تعالى وطاعة الأزواج وما يلزمهن من صيانة الفروج
والتستر عن الأجانب وميلات يعلمن غيرهن الدخول في مثل قطعهن وقيل ما نلات
متبخرات في مشين بميلات يمان رؤسهن وأعطافهن من الخيلاء والتبختر وميلات
لقلوب الرجال إليهن لما يبدن من زينتهن وطيب رائحتهن وقيل يتمشطن الميلاء
وهي مشطة البغايا، والميلات: اللواتي يتمشطن غيرهن المشطة الميلاء قال صلى الله
عليه وسلم رؤسهن كأسنمة البخت معناه يعظمن رؤسهن بالخمر والمقانع ويجعلن على

رؤسهن شيئاً يسمى عندهن التنازة لاعتصم الشعر . والذوائب المباح للنساء حسب ما ثبت في الصحيح عن أم سلمة قالت قلت : يا رسول الله إني امرأة أشد ضفر رأسي الحديث .

باب ما جاء في أكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار

مسلم عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قلت على باب الجنة فإذا عامة من دخلها المساكين وإذا أصحاب الجدد محبوسون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار . وقتت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء . ومن حديث ابن عباس في حديث كسوف الشمس : ورأيت النار فلم أر منظرًا كما يوم قطور رأيت أكثر أهلها النساء . قالوا بهم يا رسول الله قال بكذبهن قيل أيكفرن بالله قال العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط . وعن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال إن أقل ساكني الجنة النساء .

(فصل) قال علماءنا إنما كان النساء أقل ساكني الجنة لما يغاب عليهن من الهوى والميل إلى عاجل زينة الدنيا لنقصان عقولهن أن تنفذن بصائرهن إلى الأخرى فيضعفن عن عمل الآخرة والتأهب لها وليلهن إلى الدنيا والتزين بها ولهاشم مع ذلك من أقوى أسباب الدنيا التي تصرف الرجال عن الأخرى ما لهم فيهن من الهوى والميل لهن فأكثرهن معرضات عن الآخرة بأنفسهن صارقات عنها لغيرهن سريعات الانخداع لداعينهن من المرصين عن الدين عسيرات الاستجابة إن يدعوهن إلى الأخرى وأعمالها من المتقين . ومن كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أيها الناس لا تطيعوا للنساء أمرًا ولا تأمنوهن على مال ولا تدعوهن يدبرن أمر عشير فانهن إن تركن وما يردن أفسدن الملك وعصين المالك وجدناهن لا دين لهن في خلواتهن ولا ورع لهن عند شهواتهن اللذة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة فاما صواالحهن ففاجرات وأما طواالحهن فعاشرات وأما المعصومات فهن المعدومات فهن ثلاث خصال من اليهود يتظلمن وهن ظالمات ويخلفن وهن كاذبات ويتمنعن وهن راغبات فاستعيذوا بالله من شرارهن وكونوا

(۲۴ - تذكرة)

على حذر من خيارهن والسلام. وقال صلى الله عليه وسلم: ما تركت بعدى فتنة أضرب
على الرجال من اللذيباء وسيأتى. وقال: ما رأيت من ناقصات عقل ودين أسلب للرب
الرجل الحازم من إحداهن يا معشر النساء. وهو معنى قوله عليه السلام في الحديث
المتقدم ماثلات ميلات قال الحافظ بن دحية تحفظوا عباد الله منهم وتجنبوا عيبن
ولا تثقوا بؤدهن ولا وثيق عهدهن ففي نقصان عقولهن ودينهن ما يغنى عن
الإطنا ب فيهن.

باب منه

البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال كل أمتى يدخلون الجنة إلا من يأبى قيل ومن يأبى يا رسول الله قال من
أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى. وذكر ابن أبي الدنيا قال حدثنا محمد بن علي حدثنا
أبو إسحاق بن الأشعث قال سمعت فضيل بن عياض يقول سمعت ابن عباس يقول يؤتى بالدينا
يوم القيامة فى صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوهة خلقتها فتشرف على
الخلائق فيقال هل تعرفون هذه فيقولون نعمذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا
التي تشاجرت عليها بها تقاطعت الأرحام وبها تحاسدت وتباغضتم واغتررت ثم
تقذف فى جهنم فتنادى أى رب أين أتباعى وأشياعى فيقول الله تعالى ألقوا بها
أتباعها وأشياعها.

باب ما جاء أن العرفاء فى النار

أبو داود الطيالسى عن غالب القطان عن رجل عن أبيه عن جده الحديث. وفيه أن أباه
أرسله إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنه قال إن أبى شيخ كبير وهو عريف الماء وأنه
يسألك أن تجعل إلى العرافة بعده فقال إن العرافة حق ولا بد للناس من عرفاء ولكن
العرفاء فى النار. وفى الصحيح فى قصة هوازن أرجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمرم.
(فصل) قال علاؤنا العريف هنا القيم بأمر القبيلة والمحلة بلى أمورهم ويتعرف
أخبارهم ويعرف الأمر منه أحوالهم، وقوله العرافة حق، يريد أن فيها مصلحة للناس
ورققا بهم إلا تراه يقول ولا بد للناس من عرفاء، وقوله فى النار معناه التحذير من
الترامة والتأمر على الناس لما فيه من الفتنة والله أعلم.

باب منه

أبو داود الطيالسي قال حدثنا هشام عن عباد بن أبي علي عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل للأمناء وويل للعرفاء لیتمنین أقوام يوم القيامة أن ذواتهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض وأنهم لم يلوا عملا .

باب لا يدخل الجنة صاحب مكس ولا قاطع رحم

قال الله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبعونها عوجاء نزلت في المكاسين والعشارين في قول بعض العلماء ، وقال تعالى فهل عسى أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله ، الآية . مسلم عن جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال ابن أبي عمير قال سفيان يعني قاطع رحم رواه البخاري . أبو داود عن عقبه بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يدخل الجنة صاحب مكس . فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال

(فصل) قال علاؤنا صاحب المكس هو الذي يعثر أموال الناس ويأخذ من التجار والمختلفين مالا يجب عليهم إذا مروا به مكسا باسم العشر أو الزكاة وليس هو الساعي الذي يأخذ الصاقات والحق الواجب للفقراء ، وقد قدمنا أن التبديل إذا كان في الأعمال ليس في العقائد صاحبه في المشيئة وإن عذب فانه يخرج بالشفاعة على ما تقدم . وهكذا القول في أهل الكبائر المتوعد عليها بالنار واللعة يخرجون بالشفاعة إذا ارتكبوها على غير وجه الاستحلال .

باب ما جاء في أول ثلاثة يدخلون الجنة

وأول ثلاثة يدخلون النار

أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ثلاثة يدخلون الجنة الشهيد ورجل عفيف متعفف ذو عيال وعبد أحسن عبادة ربه

وأدى حق مواليه وأول ثلاثة يدخلون النار أمير متسلط وذو ثروة من مال لا يؤدى حقه وفقير نخور .

باب ما جاء في أول من تسعير بهم جهنم

مسلم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قائلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قائلت لأن يقال فلان جرى فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . خرجه أبو عيسى الترمذى بمعناه وقال في آخره ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي فقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعير بهم النار يوم القيامة .

باب فيمن يدخل الجنة بغير حساب

مسلم عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب قالوا من هم يا رسول الله قال هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتبون وعلى ربهم يتوكلون . الترمذى عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: وعدي ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي . قال الترمذى هذا حديث غريب وقد أخرجه ابن ماجه أيضا وخرج أبو بكر البزار من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليدخلن الجنة من أمي سبعون ألفا مع كل واحد من السبعين ألفا سبعون ألفا . وخرج أيضا هو وأبو عبد الله الحكيم الترمذي عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أعطاني سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فقال عمر يا رسول الله فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطاني مع كل من السبعين ألفا سبعين ألفا فقال عمر يا رسول الله فهلا استزدته قال لقد استزدته فأعطاني هكذا وفتح أبو وهب يديه قال أبو وهب قال هشام هذا من الله لا يدري ما عدده . وخرج الترمذي الحكيم أيضا عن نافع أن أم قيس حدثته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج أخذها بيدها في سكة من سكة المدينة حتى انتهى بها إلى بقيع الغرقد فقال يبعث من هاهنا سبعون ألفا يوم القيامة في صورة القمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال أنت منهم فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة . قال أبو عبد الله فهذا العدد من مقبرة واحدة فكيف بسائر مقابر أمته، وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت منهم كأنه رأى فيه أنه منهم والآخر لم يره بموضع ذلك فقال سبقك بها عكاشة، وأم قيس هي بنت أخت عكاشة بن محسن الأسدي .

(قال المؤلف رحمه الله) خرج مسلم في صحيحه بمعناه .

(فصل) لا تظن أن من استرقى واكتوى لا يدخل الجنة بغير حساب فإن النبي صلى الله عليه وسلم رقى نفسه وأمر بالرقى وكذلك كوى أصحابه ونفسه فيما ذكر الطبري وغيره فحمل النبي عن رقى مخصوصة بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لآل عمرو بن حزم أعرضوا على رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك وكذلك الكى الذى يوجد عنه غنى فمن فعله في محله وعلى شرطه لم يكن ذلك مكروها في حقه ولا منقصا له من فضله ويجوز أن يكون من السبعين ألفا وقد كوى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه فيما ذكر الطبري في كتاب آداب النفوس له ذكره الحليسي في كتاب المنهاج في الدين له واختلفت الرواية في الكى فروى أن النبي صلى الله عليه وسلم اكتوى من الكلم الذى أصابه في وجهه يوم أحد وكوى سعد بن زرارة من الشوك وكوى سعد بن معاذ الذى اهتر لموته عرش الرحمن وأبي بن كعب المخصوص بأنه أقرأ

الامة للقرآن وقد اکتوى عمران بن حصين وقطع رجله عروة بن الزبير فن اعتقد
أن هؤلاء لا يصلحون أن يكونوا من السبعين ألفا ففساد كلامه لا يخفى .

باب منه

أخبرنا ابن رواح إجازة قال حدثنا السافي قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن
أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك بن جعفر قراءة عليه وأنا أسمع بأصبهان سنة
إحدى وتسعين وأربع مائة قال أخبرنا أبو القاسم علي بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم
الأسد باذى الهمداني قراءة عليه في شعبان سنة تسع وأربعمائة قال أخبرنا أبو بكر
محمد بن أحمد بن إسحاق بن السفي الحافظ قال أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد
المطيقى قال حدثنا أبو بكر بن زنجويه قال حدثنا عثمان بن صالح قال حدثنا بن طيبة
عن دراج عن أبي حجيرة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل غسل ثوبه فلم يجد له خلفا ورجل لم ينصب
على مستوقده بقدرين قطور رجل دعى بشراب فلم يقل له أيها تريد وقال ابن مسعود
من احتقر بثرا لفلاة من الأرض إيمانا واحتسابا دخل الجنة بلا حساب .

باب منه

ذكر أبو نعيم عن علي بن الحسين رضى الله عنه قال إذا كان يوم القيامة نادى
مناد أيكم أهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال انطلقوا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة
فيقولون إلى أين فيقولون إلى الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم قالوا من أنتم قالوا أهل
الفضل قالوا وما كان فضلكم قالوا كنا إذا جهل علينا حملنا وإذا ظلمنا صبرنا وإذا أسى علينا
غفرنا قالوا ادخلوا الجنة فنعمة أجر العاملين ثم ينادى مناد ليقم أهل الصبر فيقوم ناس
من الناس وهم قليل فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقال لهم مثل
ذلك فيقولون نحن أهل الصبر قالوا وما كان صبركم قالوا صبرنا أنفسنا على طاعة
الله وصبرناها عن معاصي الله قالوا ادخلوا الجنة فنعمة أجر العاملين قال ثم ينادى
مناد ليقم جيران الله فيقوم ناس من الناس وهم قليل فيقال لهم انطلقوا إلى الجنة

أهل الفضل

أهل الصبر

جيران الله

فتلقاه الملائكة فيقال لهم مثل ذلك قالوا وبم جاورتهم الله في داره قالوا كنا
نزاور في الله ونتجالس في الله وتبادل في الله عز وجل قالوا ادخلوا الجنة فنعم
أجر العاملين ، وذكر من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ينادى مناد من بطنان العرش أين أهل
المعرفة بالله أين المحسنون قال فيقوم عنق من الناس حتى يقفوا بين يدي الله تعالى
فيقول وهو أعلم بذلك من أنتم فيقولون نحن أهل المعرفة بك الذي عرفتنا إياك
وجعلتنا أهلا لذلك فيقول صدقتم ثم يقول ما عليكم من سبيل أدخلوا الجنة
برحمتي ، ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد نجاهم الله من أهوال يوم
القيامة ، قال أبو نعيم هذا طريق مرضى لولا الجارث بن منصور الوراق وكثرة وهمه
ابن المبارك عن ابن عباس قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد ستعلمون اليوم من
أصحاب الكرم ليقيم الحامدون لله تعالى على كل حال فيقومون فيسرحون إلى الجنة
ثم ينادى ثانية ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم ليقيم الذين كانت تتجافى جنوبهم
عن المضاجع يدهون ربهم خوفا وطمعا ومسا رزقناهم ينفقون قال فيقومون
فسرحون إلى الجنة لا يشركون الله في شيء ولا يبيع عن ذكر الله الآية فيسرحون إلى الجنة ، وروى أنه إذا كان
يوم القيامة نادى مناد أين عبادي الذين أطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب فيقومون كان
وجوههم البدر أو الكوكب الدرى ركبانا على نجائب من نور أزمته من الياقوت
الأحمر تطير بهم على رؤوس الخلائق حتى يقوموا بين يدي العرش فيقول الله لهم السلام على
عبادي الذين أطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب أنا اصطفتكم وأنا أحببتكم وأنا اخترتكم
اذهبوا فادخلوا الجنة بغير حساب فلا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيمرون
على الصراط كالبرق الخاطف فيفتح لهم أبوابها ثم إن الخلائق في المحشر موقوفون
فيقول بعضهم لبعض يا قوم أين فلان ابن فلان وذلك حين يسأل بعضهم بعضا
فينادى مناد إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون .

أهل المعرفة

باب منه

ذكر الميائشي القرشي أبو جعفر عمر بن حفص من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا كان يوم القيامة جاء أصحاب الحديث بأيديهم المحابر فيأمر الله تعالى جبريل أن يأتيهم فيسألهم من هم فيأتيهم فيسألهم فيقولون نحن أصحاب الحديث فيقول الله تعالى لهم ادخلوا الجنة طال ما كنتم تصلون على نبيي صلى الله عليه وسلم، وخرج عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا كان يوم القيامة وضعت منابر من نور عليها قباب من در ثم ينادى مناد أين الفقهاء وأين الأئمة وأين المؤذنون اجلسوا على هذه فلاروع عليكم اليوم ولا حزن حتى يفرغ الله فيما بينه وبين العباد من الحساب، وروى يزيد بن هارون عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن ابن أبي ليلى عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مسألة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة وخير له من عتق رقبة، إن طالب العلم والمرأة المطيعة لزوجها والولد البار يدخلون الجنة بغير حساب، بعتة من الزيادات بعد ربيعين من ربيع
ابن عبد الغافر رحمه الله قال حدثنا يحيى عن الحسين بن علي حدثنا يزيد بن هارون فذكره .

باب منه

أبو نعيم عن قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي مائة ألف فقال أبو بكر يارسول الله زدنا قال وهكذا وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك، قال يارسول الله زدنا فقال عمران الله قادر أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق عمر، هذا حديث غريب من حديث قتادة عن أنس تفرد به عن قتادة أبو هلال واسمه محمد ابن سليم الراسبي ثقة بصرى .

(فصل) لا يحملنك بأخى شيء من هذا الحديث ولا الذى قبله ولا ما وقع فى صحيح مسلم من قوله عليه السلام مخبرا عن الله تعالى كما تقدم : فيقبض قبضة من النار على التجسيم وقد تقدم القول على هذا المعنى عند قوله : ويطوى السموات يمينه . وإنما المعنى أن الله تعالى يخرج من النار خلقا كثيرا لا يأخذهم عد ولا يدخلون تحت حصر فيخرجون دفعة واحدة بغير شفاعة أحد ولا ترتيب خروج بل كما يلقى القابض الشيء المقبوض عليه من يده فى مرة واحدة فعبّر عن ذلك بالحفنة والحثوة والقبضة فاعلم ذلك .

باب أمة محمد صلى الله عليه وسلم شطر أهل الجنة وأكثر

مسلم عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك قال فيقول أخرج بعث النار من ولدك قال وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فذلك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قال فاشتد ذلك عليهم قالوا يا رسول الله أينما ذلك الرجل قال أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم واحد ثم قال والذى نفسى بيده إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذى نفسى بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة فحمدنا الله وكبرنا ثم قال والذى نفسى بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم فى الأمم كمثل الشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود أو كالأرقعة فى ذراع الدابة خرج البخارى . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يكون الخلائق يوم القيامة مائة وعشرون صفا طول كل صف مسيرة أربعين ألف سنة وعرض كل صف عشرون ألف سنة قيل له يا رسول الله كم المؤمنون قال ثلاث صفوف قيل له والمشركون قال مائة وسبعة عشر صفا قيل له فإضافة المؤمنين من الكافرين قال المؤمنون كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود ذكر هذا الخبر القتبى فى عيون الأخبار له وهو غريب جدا يخالف لصفوف المؤمنين الوارد فى الأحاديث . وذكر أبو بكر بن أبى شيبة قال حدثنا بن نمير قال حدثنى موسى الجهنى

عن الشعبي قال سمعته يقول قال نبي الله صلى الله عليه وسلم أيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة قالوا الله ورسوله أعلم قال فيسركم أن تكونوا نصف أهل الجنة قالوا الله ورسوله أعلم قال إن أمتي يوم القيامة ثلث أهل الجنة إن الناس يوم القيامة عشرون ومائة صف وإن أمتي من ذلك ثمانون صفا ورواه مرفوعا عن عبد الله ابن مسعود وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة يوم القيامة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفا . في إسناده الحرث بن حضيره ضعيف ضعفه مسلم في صدر كتابه . وخرج ابن ماجه والترمذي عن بريدة بن حصيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .

(فصل) تقدم من حديث عبد الله بن عمر وفيه ثم يقول اخرجوا بعث النار وفي هذا يقال لآدم اخرج بعث النار فقيل إن آدم لما أمر أولا بالاجراج أمر هو والملائكة أن يخرجوا ويميزوا أهل الجنة وأهل النار والله أعلم .

وقول الصحابة رضوان الله عليهم أينا ذلك الرجل يريدون من الواحد الذي لا يدخل النار توها منهم أن القضية واردة فيهم فقال صلى الله عليه وسلم إن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم رجلا وأطلق لفظ البشارة وبين أن الألف كلها في النار لكن من غير هذه الأمة المحمدية ومن هذه الأمة واحد في الجنة على ما يقتضيه ظاهر هذا اللفظ وإذا كان كذلك استغرق العدد جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا في الجنة أو أكثرهم لأن يأجوج ومأجوج لا يموت الرجل منهم حتى يرى ألف عين تطوف بين يديه من صلبه على ما يأتي بيانه من ذكرهم في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى والله أعلم .

باب في ذكر أبواب جهنم وما جاء فيها

وفي أهوالها وأسمائها أجازنا الله منها برحمته وفضله لأنه ولي ذلك والقادر عليه ذكر الله عز وجل النار في كتابه ووصفها على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ونعتها فقال عز من قائل ، كلا إنها لظى نزاعة للشوى ، الشوى جمع شواة وهي جلدة الرأس وقال ، ما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر لواحده

للشعر، أى مغيرة يقال لاحته الشمس ولوحته إذا غيرته، قال، وما أدراك ما هية نار حامية، وقال، لينبذن في الحطمة، أى ليرمين فيها، وما أدراك ما الحطمة، الآية. ذكر ابن المبارك عن خالد بن أبي عمران بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال أن النار لنا كل أهلها حتى إذا اطلعت على أفئدتهم انتهت ثم تعود كما كانت ثم تستقبله أيضا فتطلع على فؤاده وهو كذلك أبدا فذلك قوله تعالى، نار الله الموقدة، الآية وقال، إذا الجحيم سعرت، أى أوقدت وأضرمت وقال وسيصلون سعيرا، وقال وأعدنا لهم عذاب السعير، وقال والذين كفروا لهم نار جهنم الآية. وقال ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار. وسيأتى بيان هذا فأوعدها الكافرين وخوف الطغاة والمتمردين والعصاة من الموحدين لينزجروا عما نهام عنه فقال وقوله الحق واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين. وقال إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا. وقال ذلك الذي يخوف الله بعبادته والآى في هذا المعنى كثير والله تعالى أعلم.

باب ما جاء أن النار لما خلقت فزعت الملائكة حتى طارت أفئدتها

ذكر ابن المبارك قال أخبرنا معمر بن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار فزعت الملائكة حتى طارت أفئدتها فلما خلق الله آدم سكن ذلك عنهم وذهب ما كانوا يحدون، وقال ميمون بن مهران لما خلق الله جهنم أمرها فزفرت زفرة فلم يبق في السموات السبع ملك إلا خر على وجهه فقال لهم الجبار جل جلاله ارفعوا رؤوسكم أما علمتم أنى خلقتكم لطاعتي وعبادتي وخاقت جهنم لأهل معصيتي من خلقى فقالوا ربنا لأننا منها حتى نرى أهلها فذلك قوله تعالى، وهم من خشية ربهم مشفقون، فالنار عذاب الله فلا ينبغي لأحد أن يعذب بها وقد جاء النهى عن ذلك فقال لا تعذبوا بعذاب الله والله أعلم.

باب ما جاء في البكاء عند ذكر النار والخوف منها

ابن وهب عن زيد بن أسلم قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه إسرافيل فسلموا على النبي ﷺ وإذا إسرافيل منكس الطرف متغير اللون فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل مالي أرى إسرافيل منكس الطرف متغير اللون قال لاحت له أنفا حين هبط لحوته من جهنم فذلك الذي ترى من كسر طرفه . ابن المبارك قال أخبرنا محمد بن مطرف عن الثقة أن فقي من الأنصار دخلته خشية من ذكر النار فكان يبكي عند ذكر النار حتى حبسه ذلك في البيت فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاءه في البيت فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم اعتنقه الفقي فخر ميتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم جهزوا صاحبكم فان الفرق من النار قد فلذ كبده ، وروى أن عيسى عليه السلام مر بأربعة ألف امرأة متغيرات الألوان عليهن مدارع الشعر والصوف فقال عيسى السلام ما الذي غير ألوانكن معاشر النسوة قلن ذكر النار غير ألواننا يا ابن مريم إن من دخل النار لا يذوق فيها بردا ولا شربا با ذكره الخرائطي في كتاب القبور ، وروى أن سلمان الفارسي لما سمع قوله تعالى وإن جهنم لموعدهم أجمعين ، فر ثلاثة أيام هاربا من الخوف لا يعقل لخيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له يا رسول الله أنزلت هذه الآية قوله عز وجل وإن جهنم لموعدهم أجمعين فوالذي بعثك بالحق نبيا لقد قطعت قلبي فأنزل الله تعالى إن المتقين في جنات وعيون الآية ذكره الثعلبي وغيره .

باب ما جاء فيمن سأل الله الجنة واستجار به من النار

الترمذي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم أدخله الجنة ومن استجار بالله من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم أجره من النار ، وروى البيهقي عن أبي سعيد الخدري أو عن ابن حنبل عن أبي هريرة أن أحدهما حدثه عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم أنه قال إذا كان يوم حار ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض
 فإذا قال العبد لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم اللهم أجرني من حر نار جهنم قال
 الله لجهنم إن عبداً من عبادي استجار بي منك وإني أشهدك أني أجرته
 وإذا كان يوم شديد البرد ألقى الله سمعه وبصره إلى أهل السماء وأهل الأرض فإذا
 قال العبد لا إله إلا الله ما أشد برد هذا اليوم اللهم أجرني من زمهرير جهنم قال
 الله لجهنم إن عبداً من عبادي استجار بي منك ومن زمهريرك أشهدك اني قد
 أجرته فقالوا وما زمهرير جهنم قال جب يلقي فيه الكافر فيتميز من شدة برده
 بعضه من بعض .

(قال المؤلف رحمه الله) تقرر من الكتاب والسنة أن الأعمال الصالحة والاختصاص
 فيها مع الإيمان موصلة إلى الجنان ومباعدة من النيران وذلك يكثر إرادته والقطع به
 مع الموافاة على ذلك بغنى عن ذكر ذلك. ويكفيك الآن من ذلك ما ثبت في الصحيحين
 عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يصوم
 يوماً في سبيل الله إلا أباعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً، خرجه النسائي
 عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام يوماً في سبيل الله زحزح
 الله وجهه عن النار سبعين خريفاً، وخرجه أبو عيسى الترمذي عن أبي أمامة عن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال من صام يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما
 بين المشرق والمغرب، ويروى ما بين السماء والأرض قال هذا حديث غريب من حديث
 أبي أمامة، وخرج الطبراني سليمان بن أحمد حدثنا عمارة بن وثيمة المصنوعي قال حدثنا
 أبي وثيمة بن موسى بن الفرات قال حدثنا أدريس بن يحيى الخولاني عن رجاء بن
 أبي عطاء عن وهب بن عبد الله المعافري عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من أطعم أخاه حتى يشبعه وسقاه من ماء حتى يرويه بعده الله
 من النار سبع خنادق ما بين كل خندق مسيرة مائة عام، وفي كتاب أبي داود عن
 أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه
 المسلم بوعد من جهنم سبعين خريفاً قلت يا أبا حمزة وما الخريف قال العام.
 وفي الصحيحين عن عدى بن حاتم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل ، لفظ مسلم .

باب ماجاء في جهنم وأنها أدراك ولمن هي

قال الله تعالى وإن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، فالنار دركات سبعة أي طبقات
ومنازل وإنما قال أدراك ولم يقل درجات لاستعمال العرب لكل ما تسافل درك
ولما تعالى درج فيقول للجنة درج وللنار درك فالمنافقون في الدرك الأسفل من
النار وهي الهاوية لغلظ كفرهم وكثرة غوائلهم وتمكنه من أذى المؤمنين. ابن وهب
قال حدثني ابن يزيد قال : قال كعب الأحبار إن في النار لبثا ما فتحت أبوابها بعد
مغلقة ماجاء على جهنم يوم منذ خلقها الله تعالى إلا تستعيز بالله من شر ما في تلك البئر
مخافة إذا فتحت تلك البئر أن يكون فيها من عذاب الله مالا طاقة لها به ولا صبر
لها عليه وهي الدرك الأسفل من النار. وذكر ابن المبارك قال أخبرنا سفيان عن
سليبة بن كهيل عن خيشمة عن ابن مسعود في قوله تعالى إن المنافقين في الدرك الأسفل
من النار، قال توأبيت من حديد تصمت عليهم في أسفل النار قال وأخبرنا إبراهيم
ابن هارون الغنوي قال سمعت حطان بن عبد الله الرقاشي يقول سمعت عليا يقول
هل تدرون كيف أبواب جهنم قال هي مثل أبوابنا هذه قال لا بل هي بكذا بعضها
فوق بعض ، وقال العلاء أعلى الدرجات جهنم وهي مختصة بالعصاة من أمة محمد صلى
الله عليه وسلم وهي التي تخلو من أهلها فتصفق الرياح أبوابها ثم لظى ثم الحطمة
ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ، وقد يقال للدرجات لقوله تعالى
ولكل درجات بما عملوا، ووقع في كتب الزهد والرقائق أسماء هذه الطبقات وأسماء
أهلها من أهل الأديان على ترتيب لم يرد في أثر صحيح، قال الضحاك في الدرك الأعلى
المحمديون وفي الثاني النصارى وفي الثالث اليهود وفي الرابع الصابئون وفي الخامس
المجوس وفي السادس مشركوا العرب وفي السابع المنافقون وقال معاذ بن جبل وذكر
السوء من العلماء من إذا وعظ عتف وإذا وعظ أنف فذلك في الدرك الأول
من النار ومن العلماء من يأخذ علمه بأخذ السلطان فذلك في الدرك الثاني من النار
ومن العلماء من يخزن علمه فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من يتخير
العلم والكلام لوجوه الناس ولا يرى سفلة الناس له موضعا فذلك في الدرك الرابع

من النار ومن العلماء من يتعلم كلام اليهود والنصارى وأحاديثهم ليكثر حديثهم
فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا يقول للناس
سلوني فذلك الذي يكتب عنده الله متكلف والله لا يحب المتكلفين فذلك في الدرك السادس
من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مرثية وعقلا فذلك في الدرك السابع من النار
ذكره غير واحد من العلماء. ومثله لا يكون رأيا وإنما يدرك توفيقا ثم من هذه الأسماء
ما هو اسم علم للنار كلها بجملتها نحو جهنم وسقر واطى وسموم فهذه أعلام ليست
لباب دون باب فاعلم ذلك. وفي التنزيل «ووقانا عذاب السموم» يريد النار بجملتها
كما ذكرنا أجازنا الله منها بمنه وكرمه آمين.

باب ماجاء أن جهنم تسعر كل يوم وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة

أبو نعيم قال حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا الحسين بن إسحاق التستري قال
حدثنا علي بن بحر قال حدثنا سوار بن عبد العزيز عن النعمان بن المنذر عن مكحول
عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن جهنم تسعر في كل يوم
وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة فانها لا تسعر يوم الجمعة ولا تفتح أبوابها، غريب من
حديث عبد الله ومكحول لم نكتبه إلا من حديث النعمان.

(قال المؤلف رحمه الله) ولهذا المعنى كانت النافذة جائزة في يوم الجمعة عند قائم
الظهيرة دون غيرها من الأيام والله أعلم.

باب ماجاء في قول الله تعالى لها سبعة أبواب

لكل باب منهم جزء مقسوم

قال الله تعالى في محكم كتابه «لها سبعة أبواب» وقال: حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها
وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لجهنم سبعة أبواب باب منها
لمن سل السيف على أمي أو قال على أمة محمد ﷺ، خرجه الإمامان
الحافظان الترمذيان أبو عبد الله وأبو عيسى، وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من
حديث مالك بن مغول، قال الشيخ رحمه الله مالك بن مغول أبو عبد الله البجلي

الكوفي إمام ثقة خرج له البخاري ومسلم والإمامة ، وقال أبي بن كعب لجهنم سبعة أبواب باب منها للحرورية وذكر أبو نعيم الحافظ عن عطاء الخراساني قال إن لجهنم سبعة أبواب أشدها غما وكربا وحرا وأنتنهار بمجال الزناة الذين ارتكبوا بعد العلم ، وروى الله تعالى لها سبعة أبواب الآية جزء أشركوا بالله وجزء شكوا في الله وجزء أغفلوا عن الله وجزء آثروا شهواتهم على الله وجزء شفوا غيظهم بغضب الله وجزء صيروا رغبتهم بحظهم عن الله وجزء عتوا على الله ذكره الحليمي أبو عبد الله الحسن بن الحسين في كتاب منهاج الدين له وقال فإن كان ثابتا فالمشركون بالله هم الثنوية والشاكون هم الذين لا يدرون أن لهم إلها أو لا إله لهم أو يشكوف في شريعته أنها من عنده ولا والغافلون عن الله هم الذين يحددونه أصلا ولا يثبتونه وهم الدهرية والمؤثرون شهواتهم على الله هم المنهكون في المعاصي لتكذيبهم رسل الله وأمره ونهيه والشافون غيظهم بغضب الله تعالى هم القاتلون أنبياء الله وسائر الداعين له المعذبون من ينصح لهم أو يذهب غير مذهبهم والمصرون رغبتهم بحظهم من الله تعالى هم المنكرون للبعث والحساب منهم يعبدون أي شيء يرغبون فيه لهم جميع حظهم من الله تعالى والعاتون على الله هم الذين لا يبالون بأن يكون ما هم فيه حقا أو باطلا فلا يتفكرون ولا يعتبرون ولا يستدلون والله أعلم بما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كان الحديث ثابتا ، وقال بلال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في مسجد المدينة وحده فمرت به أعرابية فصارت خافه ولم يعلم بها فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية د لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزؤ مقسوم ، فخرت الأعرابية مغشيا عليها وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبتها فانصرف ، ودعا بماء فصب على وجهها حتى أفاقته وجلست فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا هذه مالك فقالت هذا شيء من كتاب الله أو شيء من تلقاء نفسك فقال يا أعرابية بل هو من كتاب الله المنزل فقالت كل عضو من أعضائي يعذب على كل باب من أبوابها قال يا أعرابية بل لكل باب منهم جزؤ مقسوم يعذب أهل كل باب على قدر أعمالهم فقالت والله اني امرأة مسكينة لا مال لي ولا نلى إلا سبعة أعبد أشهدك يا رسول الله أن كل عبد منهم عن باب من أبواب جهنم حر لوجه الله تعالى فأتاه جبريل عليه السلام فقال يا رسول

الله بشر الاعرابية أن الله قد غفر لها وحرم عليها أبواب جهنم كلها وفتح لها أبواب الجنة كلها والله أعلم .

باب منه وفي بعد أبواب جهنم بعضها من بعض

وما أعد الله تعالى فيها من العذاب

ذكر عن بعض أهل العلم في قول الله تعالى ، لكل باب منهم جزء مقسوم ، قال : من الكفار والمنافقين والشياطين وبين الباب والباب خمسمائة عام :

(الباب الأول) يسمى جهنم لأنه يتجهم في وجوه الرجال والنساء فيأكل خومهم وهو أهون عذابا من غيره (والباب الثاني) يقال له لظى نزاعة للشوى يقول: أكله اليبدين والرجلين. تدعو من أدبر عن التوحيد وتولى عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (والباب الثالث) يقال له سقر وإنما سمي سقر لأنه يأكل اللحم دون العظم (الباب الرابع) يقول لما الحطمة فقد قال الله تعالى ، وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة ، تحطم العظام وتحرق الأفتدة قال الله تعالى ، التي تطلع على الأفتدة ، تأخذ النار من قدميه وتطلع على فؤاده وترى بشر كالفصر كما قال تعالى أنها ترى بشر كالفصر كأنه جمالات صفر، الآية يعني سودا فتطلع الشرر إلى السماء ثم تنزل فتحرق وجوههم وأيديهم وأبدانهم فيكون الدمع حتى ينفذ. ثم يكون الدماء ثم يكون القيح حتى ينفذ القيح حتى لو أن السفن أرسلت تجرى فيما خرج من أعينهم لجرت. (والباب الخامس) يقال له الجحيم وإنما سمي جحيمًا لأنه عظيم الجمره ، الجمره الواحدة أعظم من الدنيا . (والباب السادس) يقال له السعير وإنما سمي السعير لأنه يسعير بهم ولم يطف منذ خلق فيه ثلاثمائة قصر في كل قصر ثلاثمائة بيت في كل بيت ثلاثمائة لون من العذاب وفيه الحيات والعقارب والقيود والسلاسل والأغلال وفيه جب الحزن ليس في النار عذاب أشد منه إذا فتح باب الجب حزن أهل النار حزنا شديدا (والباب السابع) يقال له الهاوية من وقع فيه لم يخرج منه أبدا وفيه بر الهباب وذلك قوله تعالى ، كلما خبت زدناهم سعيرا ، إذا فتح الهباب يخرج منه نار تستعبد منه النار وفيه الذين قال الله تعالى ، سأرمقه صعودا ، أو هو جبل من نار يوضع أعداء الله على (۲۵ - تذكرة)

وجوههم على ذلك الجبل مغلولة أيديهم إلى أعناقهم بحرعة أعناقهم إلى أقدامهم والزبانية وقوف على رؤوسهم بأيديهم مقامع من حديد إذا ضرب أحدهم بالقمعة ضربة سمع صوتها الثقلان . وأبواب النار حديد فرشها الشوك غشاوتها الظلمة أرضها نحاس ورصاص وزجاج النار من فوقهم والنار من تحتهم لهم من فوقهم ظل من النار ومن تحتهم ظل أوقد عليها ألف عام حتى احترت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة مدلهمة مظلمة قد مزجت بغضب الله ذكره القتيبي في عيون الأخبار وذكر ابن عباس أن جهنم سوداء مظلمة لا ضوء لها ولا لهب وهي كما قال الله تعالى ولها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم . على كل باب سبعون ألف جبل على كل جبل سبعون ألف شعب من النار في كل شعب سبعون ألف شق من النار في كل شق سبعون ألف واد في كل واد سبعون ألف قصر من نار في كل قصر سبعون ألف بيت من نار في كل بيت سبعون ألف قله من سم فإذا كان يوم القيامة كسف عنها الغطاء فيطير منها سرادق عن عيين الناس وآخر عن شمالهم وسرادق أمامهم وسرادق فوقهم وآخر من ورائهم فإذا نظر الثقلان إلى ذلك جثوا على ركبهم وكل ينادي رب سلم رب سلم . وقال وهب بن منبه بين كل بابين مسيرة سبعين سنة كل باب أشد حرا من الذي فوقه بسبعين ضعفا وبقوله إنه لجهنم سبعة أبواب لكل باب منها سبعون واديا فعر كل واد منها سبعون عاما لكل واد منها سبعون ألف شعب في كل شعب منها سبعون ألف مغارة في جوف كل مغارة سبعون ألف شق في كل شق منها سبعون ألف شعبان في شق كل شعبان سبعون ألف عقرب لكل عقرب منها سبعون ألف فقارة في كل فقارة منها قلة سم لا ينتهي الكافر ولا المنافق حتى يواقع ذلك كله ذكره ابن وهب في كتاب الأحوال له ومثله لا يزال من جهة الرأي فهو توقف لأنه إخبار عن مغيب والله تعالى أعلم .

(۱) في كل جبل (تعلق)

باب ماجاء في عظم جهنم وأزمتها وكثرة ملائكتها

وفي عظم خلقهم وتقاتها من أيديهم وفي قمع النبي صلى الله عليه وسلم إياها
وردها عن أهل الموقف

مسلم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم
يوم القيامة لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها. وذكر ابن
وهب قال حدثني زيد بن أسلم قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاجاء
فقام النبي صلى الله عليه وسلم منكس الطرف فأرسلوا إلى علي فقالوا يا أبا الحسن
ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يحزن ونامنذ خرج جبريل عنه فأناه على فوضع يده على صدره
من خلفه وقبل بين كفيه وقال ما هذا الذي تراه ملك يا رسول الله فقال يا أبا الحسن
أتاني جبريل فقال لي إذا دكت الأرض دكاً الآية وجيء بجهنم تقاد بسبعين ألف زمام
لكل زمام يقوده سبعون ألف ملك فينهم كذلك إذ شردت عليهم شرده إنفلتت من
أيديهم فلولا أنهم أدركوها لأحرقت من في الجمع فأخذوها. وذكر أبو حامد في كتاب
كشف علوم الآخرة أنهم يأتون بها تمشي على أربع فوائم وتقاد بسبعين ألف زمام
مع كل زمام سبعون ألف ملك بيد كل واحد حافة لوجمع حديد الدنيا كله ما عدل منها
بحلقة واحدة على كل حافة سبعون ألف زنبى لو أمر زنبى منهم أن يدك الجبال
لدكها وأن يهد الأرض لهدها وانها إذا انفلتت من أيديهم لم يقدروا على إمساكها
لعظم شأنها فيجثوكل من في الموقف على الركب حتى المرسلون ويتعلق إبراهيم وموسى
وعيسى بالعرش هذا قدنسى الذبيح وهذا قدنسى هارون وهذا قدنسى مريم عليهم السلام
وكل واحد منهم يقول نفسى نفسى لا أسألك اليوم غيرها قال وهو الأصح عندي ومحمد صلى
الله عليه وسلم يقول أمى أمى سلمها يارب ونجها يارب وليس في الموقف من تحمله ركبان
وهو قوله تعالى وترى كل أمة جاثية الآية وعند تفلتها تكبوا من الغيظ والحق وهو
قوله تعالى إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً أى تعظيماً لغيظها وحنقها
يقول الله تعالى تكاد تميز من الغيظ أى تكاد تنشق نصفين من شدة غيظها فيقوم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى ويأخذ بنظامها ويقول ارجى مدحورة إلى

خلقك حتى يأتيك أهلك أفواجا فتقول خل سبيلي فإنك يا محمد حرام على فينادى مناد من سرادقات العرش اسمى منه وأطبعى له ثم تجذب وتجعل عن شمال العرش ويتحدث أهل الموقف. يجذبها فيخف وجلهم وهو قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، وهناك تنصب الموازين على ما تقدم .

(فصل) هذا يبين لك ما قلناه أن جهنم اسم لجميع النار ومعنى يؤتى بها بجاء بها من المحل الذي خلقها الله تعالى فيه فتدار بأرض المحشر حتى لا يبقى للجنة طريق إلا الصراط كما تقدم . والزمنا ما يزم به الشيء أى يشد ويربط به وهذه الأزيمة التي تساق بها جهنم تمنع من خروجها على أرض المحشر فلا يخرج منها إلا الأعناق التي أمرت بأخذ من شاء الله بأخذه على ما تقدم ويأتى وملائكتها كما وصفهم الله غلاظ شداد وقد ذكر ابن وهب حدثنا عبد الرحمن بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم ما بين منكبى أحدم كما بين المشرق والمغرب وقال ابن عباس ما بين منكبى الواحد منهم مسيرة سنة وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقدمة فيدفع بتلك الضربة سبعين ألف إنسان في قعر جهنم وأما قوله تعالى عليها تسعة عشر، فالمراد رؤسهم على ما يأتى وأما جملتهم فالعبارة عنهم كما قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك إلا هو .

(فصل) قال العلماء إنما خص النبي بردها وقمعها وكفها عن أهل المحشر دون غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم لأنه رآها في مسراه وعرضت عليه في صلواته حسب ما ثبت في الصحيح قال وفي ذلك فوائد ثمان (الأولى) أن الكفار لما كانوا يستهزؤن به ويكذبونه في قوله ويؤذونه أشد الأذى أراه الله تعالى النار التي أعدها للمستخفين به وبأمره تطيب القلب وتسكين الفؤاد (الثانية) الإشارة في ذلك إلى أن من طيب قلبه في شأن أعدائه بالإهانة والانتقام فالأولى أن يطيب قلبه في شأن أوليائه وأحبابه بالتعجيب والشفاعة والإكرام (الثالثة) ويحتمل أن عرضها عليه ليعلم منه الله تعالى حين أنقذهم منها ببركته وشفاعته (الرابعة) ويحتمل أنه عرضها عليه ليكون في القيامة إذا قال سائر الأنبياء نفسى نفسى يقول علينا محمد صلى الله عليه وسلم أمى أمى وذلك حين تسجر جهنم ولئلا أمر الله عز وجل محمدا

صلى الله عليه وسلم فقال جل من قائل ، يوم لا يخزي الله النبي ، الآية قال الحافظ أبو الخطاب والحكمة في ذلك أن يفرع إلى شفاعة أمته ولولم يؤمنه لكان مشغولا بنفسه كغيره من الأنبياء (الفائدة الخامسة) أن سائر الأنبياء لم يروا قبل يوم القيامة شيئا منها فاذا رأوها جزعوا وكفت ألسنتهم عن الخطيئة والشفاعة من هولها وشغلهم أنفسهم عن أمهم وأمانينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد رأى جميع ذلك فلا يفرع منه مثل ما فرعوا يقدر على الخطبة وهو المقام المحمود الذي وعده به ربه تبارك وتعالى في القرآن المجيد وثبت في صحيح السنة (الفائدة السادسة) فيه دليل فقهي على أن الجنة والنار قد خلقتا خلافا للمعتزلة المنكرين لخلقها وهو يجرى على ظاهر القرآن في قوله تعالى أعدت للمتقين . أعدت للكافرين والاعداد دليل الخلق والايجاد (الفائدة السابعة) ويحتمل أنه أراه إياها ليعلم خسة الدنيا في جنب ما أراه فيكون في الدنيا أزهد وعلى شدائد ما أصبر حتى يؤديه إلى الجنة فقد قيل جدا عنة تؤدي بصاحبها إلى الرخاء وبؤسا لعنة تدرى بصاحبها إلى البلاء .

(الفائدة الثامنة) ويحتمل أن الله تعالى أراد ألا يكون لأحد كرامة إلا يكون لمحمد ﷺ مثلها ولما كان لإدريس عليه السلام كرامة الدخول إلى الجنة قبل يوم القيامة أراد الله تعالى أن يكون ذلك لصفية ونجيه وحبيبه وأمينه على وحيه محمد صلى الله عليه وسلم وكرم وعظم وبجل ووقر قال ذلك جميعه الحافظ ابن دحية رضى الله عنه في كتاب الابتهاج في أحاديث المعراج .

باب منه

وفي كلام جهنم وذكر أزواجها وأنه لا يجوزها إلا من عنده جواز

روى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال حدثنا أنس بن مالك قال نزل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوا هذه الآية يوم تبدل الأرض غير الأرض الآية قال النبي ﷺ أين يكون الناس يوم القيامة يا جبريل قال يا محمد يكونون على أرض بيضاء لم يعمل عليها خطيئة قط وتكون الجبال كالمون المنفوش قال الصوف تذب الجبال من مخافة جهنم يا محمد إنه ليجاب بجهنم يوم القيامة

تذف زفا عليها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك حتى تقف بين يدي الله تعالى فيقول لها يا جهنم تكلمي فتقول لا إله إلا الله وعزتك وعظمتك لأن تقمن اليوم ممن أكل رزقك وعبد غيرك لا يجوزني إلا من عنده جواز فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما الجواز يوم القيامة قال أبشر وبشر إلا من شهد أن لا إله إلا الله جاز جسر جهنم قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل أمي أهل لا إله إلا الله وخرج الحافظ أبو محمد عبد الغنى الحافظ من حديث سليمان بن عمرو بن ميمون عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا جمع الله الخلائق في صعيد واحد يوم القيامة أقبلت النار يركب بعضها بعضها وخزنتها يكفونها وهي تقول وعزة ربي لتخلين بيني وبين أزواجي أو لاغشين الناس عنقا واحدا فيقولون من أزواجك فتقول كل متكبر جبار .

باب ما جاء أن التسعة عشر خزنة جهنم

قال الله تعالى ، عليها تسعة عشر ، . ابن المبارك قال أخبرنا حماد بن سلمة عن الأزرق بن قيس عن رجل من بني تميم قال كنا عند أبي العوام فقرا هذه الآية وما أدراك ما سقر الآية عليها تسعة عشر فقال : تسعة عشر ألف ملك قال وما أدراك ما سقر الآية عليها تسعة عشر فقال ماتسعة عشر قال تسعة عشر ألف ملك قال الله عز وجل وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا قال صدقت هم تسعة عشر ملكا بيد كل ملك منهم مرزبة لها شعبتان فيضرب الضربة فيهوى بها سبعين ألف خريف وخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله قال قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هل يعلم نبيكم عدة خزنة جهنم قالوا لا ندرى حتى نسأله فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد غلب أصحابك اليوم فقال وبماذا غلبوا قال سألهم اليهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قال فإذا قالوا قال قالوا لا ندرى حتى نسأل نبينا قال انقلب قوم سألوها عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا لكنهم قد سألوها نبيهم فقالوا أرنا الله جهنم هل بأعداء الله إني سألتهم عن تربة الجنة وهي الدرهم فلما جاؤا قالوا يا أبا القاسم

كم عدد خزنة جهنم قال هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسعة قالوا نعم قال لهم
النبي صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة قال فكثروا ثم قالوا خبزة يا أبا القاسم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم الخبز من الدرهم قال أبو عيسى هذا حديث غريب إنما نعرفه من
هذا الوجه من حديث خالد عن الشعبي عن جابر .

باب ما جاء في سعة جهنم وعظم سرادقها وبيان قوله تعالى

وإذا ألقوا منها مكا مضيقا مقرنين

قال الله تعالى ، إنا أعتدنا للظالمين نارا أضاء لهم سرادقها ، ابن المبارك
قال أخبرنا عنبسة بن سعيد عن حبيب بن أبي عمرة عن مجاهد قال قال
ابن عباس أتدري ماسعة جهنم قال قلت لافال أجل والله ماتدري أن بين شحمة أذن
أحدم وبين عاتقه مسيرة خمسين خريفا تجري منها أودية القيح والدم قلت لها أنهار
قال لا بل أودية ثم قال أتدري ماسعة جسر جهنم قلت لا قال قلت أجل حدثتني
عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى والأرض جميعا
قبضته يوم القيامة قلت فأين الناس يومئذ قال على جسر جهنم خرجه الترمذي
وصححه وقد تقدم وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم سرادق
النار أربع جدر وكف كل جدار مسيرة أربعين سنة ذكره ابن المبارك وخرجه
الترمذي أيضا وسيأتي ، وذكر ابن المبارك قال حدثنا محمد بن بشار عن قتادة وإذا
ألقوا منها مكا مضيقا مقرنين قل ذكر لنا أن عبد الله كان يقول أن جهنم لتضييق
على الكافر كتضييق الزج على الرمح وذكره الثعلبي والقشيري عن ابن عباس .

باب ما جاء أن جهنم في الأرض وأن البحر طابقها

روى عبد الله بن عمر وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يركب البحر
إلا رجل فاز أو حاج أو معتمر فإن تحت البحر نارا ذكره أبو عمر وضعفه وقال
عبد الله بن عمر ولا يتوضأ بماء البحر لأنه طابق جهنم ذكره أبو عمر أيضا وضعفه
وفي تفسير سورة ق عن وهب بن منبه قال أشرف ذو القرنين على جبل ف رأى

تحتة جبالا صفارا فقال له ما أنت قال أنا قاف قال فاهذه الجبال حولك قال هي عروقي وما من مدينة إلا وفيها عرق من عروقي فاذا أراد الله أن يزلزل تلال الأرض أمرني فحركت عرقى ذلك فتزلزلت تلك الأرض فقال له يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله قال إن شأن ربنا لعظيم تقصردونه الأوهام قال بأذن ما يوصف منها قال إن ورأى أرضا مسيرة خمسمائة عام في خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضها بعضا لولا هي لاحتزقت من حر جهنم وذكر الخبر .

(قال الشيخ المؤلف رحمه الله) وهذا يدل على أن جهنم على وجه الأرض والله أعلم بموضعها وأين هي من الأرض .

باب ما جاء في قوله تعالى وإذا البحار سجرت
وما جاء أن الشمس والقمر يقذفان في النار

قال ابن عباس في قوله تعالى وإذا البحار سجرت قال أوقدت فصارت نارا وذكر ابن وهب عن عطاء بن يسار أنه تلا هذه الآية وجمع الشمس والقمر قال يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في النار فتكون نار الله الكبرى وخرج أبو داود الطيالسي في مسنده عن يزيد الرقاشي عن أنس يرفعه إلى النبي ﷺ قال قال النبي ﷺ إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار وروى عن كعب الأحبار أنه قال يجاء بالشمس والقمر كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في النار .

(فصل) قال الشيخ رحمه الله كذا الرواية ثوران بالثاء المثناة وإنما يجمعان في جهنم لأنها قد عبدت من دون الله لا تكون النار عذابا لهما لأنها جماد وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبيكت الكافرين وحسرتهم هكذا قال بعض أهل العلم وقال ابن قسي صاحب خلع النعلين: أعلم أن الشمس والقمر ثوران مكوران في نار جهنم على شبه هذا التكوير فنهار سميع وليل زمهرير والداردار قائمة لافرق بينها وبين هذين في حركة التسيار والتدوار ومدار فلكى الليل والنهار إلا أن تلك خالية من رحمة الله ومع هذه رحمة واحدة من رحمة الله وعن الشمس والقمر يكون سواد الدار ولهب ظاهر النار وهما من أشد غضب الله تعالى بما عايناه من عصيان العاصين وفسق الفاسقين إذ لا يكاد يغيب عنهما ابن ولا تخفى عنها خائنة عين فانه

لا يبصر أحد إلا بنورهما ولا يدرك إلا بضوئيهما ولو كانا خلف حجاب من الغيب الليلي أو وراء ستر من الغيم اليومي فإن الضوء الباقي على البسيطة في ظل الأرض ضوءهما والنور نورهما ومع ما هما عليه من الغضب لله فانه لم يشتد غضبهما إلا من حيث نزع لجام الرحمة عنهما وقبض ضياء الأين والرافة منهما وكذلك عن كل ظاهر من الحياة الدنيا في قبض الرحمة المستردة من هذه الدار إلى دار الحيوان والأنوار قال عليه السلام إن لله مائة رحمة نزل منها واحدة إلى الأرض الدنيا فيها تتعاطف البهائم ويتراحم الخلق وتتواصل الأرحام فإذا كان يوم القيامة قبض الله هذه الرحمة وردها إلى التسعة والتسعين وأكلها مائة كما كانت ثم جعل المائة كلها رحمة للمؤمنين وخذت دار العذاب ومن فيها من الفاسقين من رحمة رب العالمين فبزوال هذه الرحمة زال ما كان فيه القمر من رطوبة وأنوار ولم يبق إلا ظلمة وزمهرير وبرزوا لها زال ما كان بالشمس من وضوح وإشراق ولم يبق إلا فرط سواد واحراق وبما كانا به قبل من الصفة الرحمانية كان إمامهما للعالمين وإبواقهما على القوم الفاسقين وهي زمام الإمساك ولجام المنع عن التدمير والإهلاك وهي سنة الله تعالى في الإبقاء إلى الأوقات والامهال إلى الآجال إلا أن يشاء غير ذلك فلا راد لأمره ولا معقب لحكمه لا إله إلا هو سبحانه .

(قال المؤلف رحمه الله) وقد روى عكرمة عن ابن عباس تكذيب كعب الأحمبار في قوله وقال هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام والله أكرم وأجل من أن يعذب على طاعته ألم تر إلى قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يعني دونهما في طاعته فكيف يعذب عبدين أثنى الله عليهما أنهما دائبان في خدمته وطاعته ثم حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى لما أبرم خاقه لإحكاما ولم يبق غير آدم خاق شمسا وقمر من نور عرشه الحديث وفي آخره فإذا قامت الساعة وقضى الله في أهل الدارين وميز أهل الجنة والنار ولم يدخلوها بعد أن يدعوا الله بالشمس والقمر يجاء بهما أسودين مكورين قد وقفوا في الزلازل لأن فرائصها ترعد من أهوال ذلك اليوم من مخافة الرحمن تبارك وتعالى فإذا كنا حبال العرش خرا ساجدين لله تعالى فيقولان إلهنا قد علمت طاعتنا لك ودؤبنا في طاعتك وسرهتنا للضيق في أمرك في أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين إيانا فيقول الله تعالى صدقتا إني قد قضيت على نفسي أني أبدى وأعيد إني معيدكما إلى ما بدأتكما منه فارجعا إلى ما خلقتكما منه فيقولان ربنا بما خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشى فارجعا إليه فيلتمع من كل

واحد منهما بركة تكاد تخطف الابصار نورا فيخطلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى ، إنه هو يبدى ، ويعيد ، ذكره الثعلبي في كتاب العرائس له والله أعلم .

باب ما جاء في صفة جهنم وحرها وشدة عذابها

الترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عيها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة قال أبو عيسى وحديث أبي هريرة في هذا الباب موقوف اصح ولا أعلم أحدا رفعه غير يحيى بن أبي بكير عن شريك . ابن المبارك عن أبي هريرة قال إن النار أوقدت ألف سنة فابيضت ثم أوقدت ألف سنة فاحمرت ثم أوقدت ألف سنة فاسودت فهي مظلمة كسواد الليل : مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه عن أبي هريرة إنه قال ترونها كناركم هي أشد سوادا من القار والقار هو الزفت . ابن المبارك قال اخبرنا سفيان عن سليمان عن أبي ظبيان عن سلمان قال النار سوداء لا يضي لها ولا جمرها ثم قرأ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم التي توقدون جزءا من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا يا رسول الله وإن كانت لكافية قال فإنها فضلت بتسعة وستين جزءا يخرجها مسلم وزاد كلها مثل حرها : ابن ماجه عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه جزءا من سبعين جزءا من نار جهنم ولولا أنها أطفيت بالماء مرتين ما انتفعتم بها ولأنها لتدعوا الله أن لا يعيدها فيها خرجها اطفئت بن عيينة من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه جزءا من سبعين جزءا ولولا أنها ضربت بالماء مرتين ما كان لأحد فيها منفعة وفي خبر آخر عن ابن عباس وهذه النار قد ضربت بماء البحر سبع مرات ولولا ذلك ما انتفع بها ذكره أبو عمر رحمه الله وقال عبد الله بن مسعود ناركم هذه جزءا من سبعين جزءا من نار جهنم ولولا أنه ضرب بها البحر عشر مرات ما انتفعتم منها بشيء وسئل ابن عباس عن نار الدنيا مم خلقت قال من نار جهنم غير أنها طفت بالماء سبعين مرة ولولا ذلك ما قربت لأنها من نار جهنم مسلم عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

یوثی بأنعم أهل الدنيا يوم القيامة من أهل النار فيصنع في النار صبغة ثم يقال يا ابن آدم هل رأيت خيرا قط هل مر بك نعيم قط فيقول لا والله يارب ويوثى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة فيصنع صبغة في الجنة فيقال له هل رأيت بؤسا قط هل مر بك شدة قط فيقول لا والله يارب ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط أخرجه ابن ماجه أيضا من حديث محمد بن إسحاق عن حميد الطويل عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوثى يوم القيامة بأنعم أهل الدنيا من الكفار فيقول اغمسوه في النار غمسة فيغمس فيها ثم يخرج فيقال له أي فلان هل أصابك نعيم قط فيقول لا ما أصابني نعيم قط ويوثى بأشد المؤمنين ضرا أو بلاء فيقال اغمسوه في الجنة فيغمس شمسة ثم يخرج فيقال له أي فلان هل أصابك ضر قط أو بلاء فيقول ما أصابني ضر قط ولا بلاء . وروى أبو هدبة ابراهيم بن هدبة قال حدثنا انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن جهنميا من أهل جهنم أخرج كفه إلى أهل الدنيا حتى يبصروها لا حرقت الدنيا من حرها ولو أن نارنا من خزنة جهنم خرج إلى أهل الدنيا حتى يبصروها لمات أهل الدنيا حين يبصرونها من غضب الله تعالى وقال كعب الأحبار والذي نفس كعب بيده لو كنت بالشرق والنار بالماغرب ثم كشف عنها لخرج دماغك من منخريك من شدة حرها يا قوم هل لكم بهذا قرار أم لكم على هذا صبر يا قوم طاعة الله أهون عليكم من هذا العذاب فاطيعوه وخرج البزار في مسنده عن أبي هريرة قال في مسنده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان في المسجد مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لأحرقهم .

(فصل) قوله ناركم هذه التي يوقد ابن آدم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم يعني أنه لو جمع كل ما في الوجود من النار التي يوقدها ابن آدم لكانت جزءا من أجزاء جهنم المذكور وبيان أنه لو جمع حطب الدنيا فأوقد كله حتى صار نارا لكان الجزء الواحد من أجزاء نار جهنم الذي هو من سبعين جزءا أشد من حر نار الدنيا كما بينه في آخر الحديث وقوله وإن كانت لكافية إن هنا مخففة من الثقلة عند البصر بين نظيره وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله أي إنها كانت كافية فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنها كما فضلت عليها في المقدار والعدد بتسعة وتسعين فضلت عليها أيضا في شدة الحر بتسعة وستين ضعفا

باب منه وما جاء في شكوى النار وكلامها وبعد قعرها

وأهوالها وفي قدر الحجر الذي يرمى به فيها

روى الأئمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب آكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون من البرد من زمهريرها وأشد ما تجدون من الحر من سمومها أخرجه البخاري ومسلم . وعن أبي هريرة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سمع وجبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر رمى به في النار منذ سبعين خريفا فهو يهوى في النار إلى الآن حتى انتهى إلى قعرها أخرجه مسلم الوجبة الهدية وهي صوت وقع الشيء الثقيل الترمذي عن الحسن قال قال عتبة بن غزوان علي منبرنا هذا يعني منبر البصرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم قهوى فيها سبعين عاما وما تفضى إلى قرارها قال فكان ابن عمر يقول أكثر وأذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد وإن مقامها حديد قال أبو عيسى لا نعرف للحسن سماعا من عتبة بن غزوان وإنما قدم عتبة بن غزوان البصرة في زمن عمرو ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن المبارك قال أخبرنا يونس بن يزيد عن الزهري قال بلغنا أن معاذ ابن جبل كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال والذي نفس محمد بيده إن ما بين شفة النار وقعرها لصخرة زنة سبع خلفات بشحومهن ولحومهن وأولادهن تهوى من شفة النار قبل أن تبلغ قعرها سبعين خريفا حدثنا هشام بن بشير قال أخبرني زفر حدثنا ابن أبي مريم الخزازي قال سمعت أبا أمامة يقول إنما بين شفير جهنم وقعرها مسيرة سبعين خريفا من حجر يهوى أو قال صخرة تهوى عظيمها كعشر عشراء عظام سمان فقال له مولى لعبد الرحمن بن خالد هل تحت ذلك من شيء يا أبا أمامة قال نعم غي وآثام . مسلم عن خالد بن عمير العدوي قال خطبنا عتبة بن غزوان وكان أميراً على البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فإن الدنيا قد أذنت بصرم وولت جدا ولم يبق منها إلا صباية كصباية الإناء يتصايبها صاحبها وإنكم منتقلون منها إلى دار لا زوال لها فانتقلوا بخير ما يحضركم فإنه ذكر لنا إن الحجر ليلقى من شفير جهنم فيهوى فيها سبعين عاما لا يدرك لها قعرا

والله لتملأن أفعجبتهم الحديث وسيأتي بتامه في أبواب الجنة إن شاء الله تعالى
وقال كعب لو فتح من نار جهنم قدر منخر ثور بالشرق ورجل بالمغرب لغلى
دماغه حتى يسيل من حرها وإن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا
نبي مرسل الا خر جاثيا على ركبتيه ويقول نفسي نفسي .

(فصل) قوله اشتمكت النار شكواها الى ربها بأن أكل بعضها بعضا محمول على الحقيقة
لا على المجاز إذ لا إحالة في ذلك وليس من شرط الكلام عند أهل السنة في القيام
بالجسم إلا الحياة وأما البنية واللسان والبلبة فليس من شرطه وليس يحتاج في الشكوى إلى
أكثر من وجود الكلام وأما الاحتجاج في قوله عليه السلام احتججت النار والجنة فلا بد
فيه من العلم والتفطن للحجة وقيل إن ذلك مجاز عبر عنه بلسان الحال كما قال عنزة

فازور من وقع القنا بلبابه وشكى إلى بعبرة وتحمم

وقال آخر :

إلى شكى جملى طول السرى صبرا جميلا فكلانا مبتلى

والأول أصح إذ لا استحالة في ذلك ، وقد قال تعالى وهو أصدق القائلين ، إن
الحكم إلا لله يقضى الحق ، الآية وقال ، كلا إنها لظى نزاعة للشوى ، الآية أى أدير
عن الإيمان وتولى أى أعرض عن اتباع الحق وجمع يعنى المال فأوعى أى جعله في
الوعاء أى كنزه ولم ينفقه في طاعة الله تعالى قال ابن عباس تدعوا المنافق والكافر
بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطائر الحب .

(قال الشيخ المؤلف رحمه الله) قول ابن عباس هذا قد جاء معناه مرفوعا وهو
يدل على أن المراد بالشكوى والحجة الحقيقة ذكر رزين أن رسول الله ﷺ
قال من كذب على متعمدا فليتبوا بين عيني جهنم مقعدا قيل يا رسول الله ولها عيتان قال أما
سمعت الله يقول إذا رأتهم من كان بعيد ، الآية يخرج عنق من النار له عيتان يبصران
ولسان فيقول وكلت بمن جعل مع الله لها آخر فلها وبصر بهم من الطائر بحب السمسم فيلتهطه في
رواية أخرى فيخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لتقط الطائر حب السمسم صححه أبو محمد
ابن العربي في قبسه وقال يفصلهم عن الخاق بالمعرفة كما يفصل الطائر حب السمسم من التربة

وخرج الترمذی عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران واذنان تسمعان ولسان ينطق يقول إزو وكتبت بثلاث بكل جبار عند وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر وبالمصورين وفي الباب عن أبي سعيد قال أبو عيسى هذا حديث غريب صحيح وذكر ابن وهب قال حدثني العلاف بن خالد في قول الله تعالى وجىء يومئذ بجهنم قال يؤتى بجهنم يوم القيامة يأكل بعضها بعضها يقودها سبعون ألف ملك فإذا رأت الناس وذلك قوله تعالى وإذا رأتهم من مكان بعيد الآية فإذا رأتهم زفرت زفرة فلا يبقى نبي ولا صديق إلا برك لركبته يقول يا رب نفسي نفسي ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي امتي وكان بعض الوعاظ يقول أيها المجترى على النار ألك طاقة بسطوة الجبار ومالك خازن النار ومالك إذا غضب على النار وزجرها رجرة كادت تأكل بعضها بعضاً .

باب ما جاء في مقامع أهل النار وسلاسلهم وأغلالهم

قال الله تعالى ولهم مقامع من حديد وقال إذا لاعلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم وقال في سلسلة ذراعها سبعون ذراعاً وقال إن لدينا أنسكالا وجحماً الآية وروى عن الحسن أنه قال ما في جهنم واد ولا مغار ولا غل ولا سلسلة ولا قيد إلا واسم صاحبها مكتوب عليه وروى عن ابن مسعود وسيأتي الترمذی عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن رضاضة مثل هذه وإشار إلى مثل الجمجمة أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمائة عام لبليت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها قال هذا حديث أسناده صحيح وفي الخبر إن الله تعالى ينزى لأهل النار سحابة فإذا رآها ذكروا أصحاب الدنيا فتناديهم يا أهل النار ما تشتهون فيقولون نشتهى فيقولون نشتهى الماء البارد فتمطرهم أغلالاً تزداد في أغلالهم وسلاسل تزداد في سلاسلهم وقال محمد بن المنكدر لو جمع حديد الدنيا كله ما خلى منها وما بقي ما عدل حافة واحدة من حلق السلسلة التي ذكر الله تعالى في كتابه فقال « في سلسلة ذراعها سبعون ذراعاً » الآية ذكره أبو نعيم وقال ابن المبارك أخبرنا سفيان عن بشير بن دعلوق أنه سمع نوحاً يقول في قوله تعالى في سلسلة ذراعها سبعون ذراعاً فاسلكوه قال كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعد ما بينك وبين مكة وهو يومئذ في مسجد الكوفة أخبرنا بكار بن عبد الله أنه سمع ابن أبي مليكة

یحدث عن ابی بن کعب قال ان حلقة من السلسلة التي قال الله ذرعا سبعون ذراعا ان حلقة منها مثل جميع حديد الدنيا سمعت . فيان يقول في قوله فاسلكوه قال بلغاها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه وقال ابن زيد ويقال ما ياتي يوم القيامة على اهل النار الا وريحمة من الله تطلع طائفة منهم فيخرجون ويقال ان الحلقة من غل اهل جهنم لو القيت على اعظم جبل في الدنيا لهدته وروى عن طاووس ان الله تعالى خلق ملكا وخلق له اصابع على عدد اهل النار فما من اهل النار معذب الا وملك يعذبه باصبع من اصابعه فوالله لو وضع الملك اصبع من اصابعه على السماء لأذاها ذكر القنبي في كتاب غيرن الاخبار له .
باب منه

وما جاء في كيفية دخول اهل النار النار

ذكر ابن وهب قال حدثنا عبد الرحمن بن زيد قال تلقاهم جهنم يوم القيامة بشرر كالنجوم فيولوا هارين فيقول الجبار تبارك وتعالى ردوهم عاها فيردونهم فذلك قوله تعالى يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم اى مانع يمنعكم ويلفاهم وهجها قبل ان يدخلوها فتندر أعينهم فيدخلوها عميا مغلواين في الاغلال أيديهم وأرجلهم ورقابهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب قال ابن زيد ولهم مقامع من حديد يقيمون بها هؤلاء فاذا قال خذوه فيأخذوه كذا وكذا اى ملك فلا يضمون أيديهم على شيء من عظامه الا صار تحت أيديهم رقابا المظام واللحم يصير رقابا قال فتجتمع أيديهم وأرجلهم ورقابهم في الاغلال فيلقون في النار مصفودين فليس لهم شيء يتقون به الا الوجوه فهم عمى قد ذهبت أبصارهم ثم قرأ أفن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة الآية فاذا أفرأها يكادون يبلغون قعرها يلقاهم لها فيردهم إلى أغلالها حتى إذا كادوا يخرجون نالقتهم الملائكة بمقامع من حديد فيضربونهم بها فجاء أمر غلب اللهب فهووا كما هم أسفل السافلين هكذا وقرأ كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها فهم كما قال الله تعالى عاملة ناصبة تصلى نارا حامية والانكال القيود عن الحسن ومجاهد واحدها نكل وسميت القيود أنكالا لانه ينكل بها اى يمنع قال الهروي والاصفاد هي الاغلال ويقال القيود أعادنا الله منها بمنه وكرمه .

باب منه

في رفع لهب النار أهل النار حتى يشرفوا على أهل الجنة

يروى أن لهب النار يرفع أهل النار حتى يطيروا كما يطير الشرر إذا زار ففهم أشرفوا على أهل الجنة وبينهم حجاب فينادى أصحاب الجنة أصحاب النار إن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا الآية وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة حين يروا الأنهار تطرد بينهم أن أفيضوا علينا من الماء الآية فتردهم ملائكة العذاب بمقامع الحديد إلى قعر النار قال بعض المفسرين، هو معنى قول الله تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها، أعيدها فيها ذكره أبو محمد عبد الحق في كتاب العاقبة له قال ولعلك تقول كيف يرى أهل الجنة أهل النار وأهل النار أهل الجنة وكيف يسمع بعضهم كلام بعض وبينهم ما بينهم من بعد المسافة وغلظ الحجاب فيقال لك لا تقل هذا فإن الله تعالى يقوى إسماعهم وأبصارهم حتى يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم كلام بعض وهذا قريب في القدرة.

باب ما جاء أن في جهنم جبالا وخنادق

وأودية وبحارا وصهاريج وآبارا وجبابا وتنانير وسجوننا وبيوتنا وجسورا
وقصورا وأرساما ونواعير وعقارب وحيات آجارتنا الله منها
وفي وعيد من شرب الخمر والمسكر وغيره

الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصعود
جبل من نار يصعد فيه الكافر سبعة خريفا ويهوى فيه كذلك أبدا قال أبو عيسى
هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث ابن طبيعة وقد تقدم من حديث أنس أن من
مات سكرانا فإنه يبعث يوم القيامة سكرانا إلى خندق في وسط جهنم يسمى السكران
واختلف العلماء في تأويل قوله تعالى فويل فويل قد ذكر ابن المبارك أخبرنا رشدين بن سعد عن
عمرو بن الحرث أنه حدثه عن أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والصعود
جبل من نار يصعد فيه سبعة خريفا ثم يهوى فهو كذلك قال وأخبرنا سعيد بن أبي أيوب

عن ابن عجلان ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار قال : الويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر ، لو سيرت فيه الجبال لمسعت من حره . قال : وأخبرنا سفیان عن زياد بن فياض ، عن أبي عياض أنه قال : الويل مسيل في أصل جهنم . وذكر ابن عطية في تفسيره عن أبي عياض أن الويل صهرج في جهنم من صديد أهل النار . قال وحكى الزهراوى عن آخرين : أنه باب من أبواب جهنم . وقال أبو سعيد الخدرى أنه واد بين جبلين يهوى فيه الهاوى أربعين خريفاً ، ذكره ابن عطية ، وقد تقدم رفعه . وخرجه الترمذى أيضاً مرفوعاً عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الويل واد في وسط جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لانعرفه مرفوعاً إلا من حديث ابن هبيرة (۱) . وقال ابن زيد في قوله تعالى « وظل من يحوم » اليحوم جبل في جهنم يستغيث إلى ظله أهل النار . « لا بارد ، بل حار لأنه من دخان شفير جهنم . ولا كريم ، أى لا عذب ، عن الضحاك . وقال سعيد بن المسيب : ولا حسن منظره . وذكر ابن وهب عن مجاهد في قوله تعالى « موبقاً » قال واد في جهنم يقال له موبق . وقال عكرمة : هو نهر في جهنم يسيل ناراً على حافته حيات مثل البغال الدم ، فإذا ثارت إليهم لتأخذهم استغاثوا منها بالافتحام في النار . وقال أنس بن مالك : هو واد في جهنم من قيح ودم . وقال نوف البكالى في قوله تعالى « وجعلنا بينهم موبقاً » قال : واد في جهنم بين أهل الضلالة وبين أهل الإيمان . وعن عائشة رضی اللہ عنہا زوج النبی صلی اللہ علیہ وسلم أنها سئلت عن قول الله عز وجل « فسوف يلقون غياً » قالت : نهر في جهنم . واختلفوا في الفلق في قوله تعالى « قل أعوذ برب الفلق » فروى ابن عباس أنه سجن في جهنم ، وقال كعب : هو بيت في جهنم ، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ، ذكره أبو نعیم . وذكر أبو نعیم عن حميد بن هلال قال : حدثت أن في جهنم تنانير ضيقها كضيق زج أحدكم في الأرض ، تضيق على قوم بأعمالهم .

ابن المبارك ، أخبرنا إسماعيل بن عياش ، حدثنا ثعلبة بن مسلم ، عن أيوب بن بشير ، عن شق الأصبغى قال : إن في جهنم جبلا يدعى صعوداً ، يطلع فيه الكافر

(۱) وهو متكلم فيه كثيراً . أحمد محمد مرسى

أربعين خريفاً قبل أن يرقاه ، قال الله تعالى « سارھقه صعوداً ، وأن في جھنم قصراً يقال له ہواء ، يرمى الكافر من أعلاه فہوى أربعين خريفاً قبل أن يبلغ أصله ، قال الله تعالى « ومن يحال عليه غضبي فقد ہوى ، . وأن في جھنم وادياً يدعى أئاما ، فيه حيات وعقارب ، في ققار إحداهن مقدار سبعين قلة من سم ، والعقرب منهن مثل البغلة المولفة ، تلدغ الرجل فلا تلبيه عما يجد من حر جھنم حمة لدغتها ، فہو لما خلق له ، وأن في جھنم سبعين داء لآهلها ، كل داء مثل جزء من أجزاء جھنم ، وأن في جھنم وادياً يدعى غياً ، يسيل قيحاً ودماً ، فہو لما خلق له ، قال الله تعالى « فسوف يلقون غياً ، . وری أبو ہدبة إبراهيم بن ہدبة ، قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن في جھنم بحراً أسود مظلماً منن الرياح ، يغرق الله فيه من أكل رزقه وعبد غيره . وذكر أبو نعیم عن محمد بن واسع قال : دخلت يوماً على بلال بن أبي بردة ، فقلت : يا بلال ، إن أباك حدثني عن جدك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن في جھنم وادياً يقال له للم ، ولذلك الوادي بئر يقال له ههب ، حق على الله تعالى أن يسكنها كل جبار ؛ فأياك أن تكون منهم .

ابن المبارك ، قال : حدثنا يحيى بن عبيد الله قال : سمعت أبي يقول : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن في جھنم وادياً يقال له للم ، وإن أودية جھنم لتستعيد بالله من حره .

مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن علي بن حسين ، عن الحسين بن علي ، عن أبيه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : كل مسكر خمر ، وثلثة غضب الله عليهم ولا ينظر إليهم ولا يكلمهم ، وهم في المنسا والمنسا بئر في جھنم للكذب بالقدر ، والمبتدع في دين الله ، ومدمن الخمر . ذكره الخطيب أبو بكر من حديث أحمد بن سليمان الخفاني ، القرشي ، الأسدي ، عن مالك . وذكر ابن وهب من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر على صور الناس ، يعلوهم كل شيء من الصفار ، يساقون حتى يدخلوا سجننا في جھنم يقال له بولس ،

يسقون من عصارة أهل النار من طينة الخبال ؛ أخرجه ابن المبارك . أخبرنا محمد ابن عجلان ، عن عمرو شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس ، يغشاهم الذل من كل مكان ، يساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس ، تلوهم نار الأنبار ، يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال ، أخرجه الترمذی وقال حديث حسن .

(قال المؤلف رحمه الله) طينة الخبال عرق أهل النار أو عصارتهم شراب أيضا لمن شرب المسكر ، جاء ذلك في صحيح البخارى . وعن جابر أن رجلا قدم من جيشان ، وجيشان من اليمن ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بأرضهم من الثرة ، يقال له المزر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسكر هو ؟ قال : نعم ! قال : إن على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال . قالوا : يا رسول الله ، وما طينة الخبال ؟ قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار . وروى عن زيد بن ثابت ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المدينة مهاجري ، وفيها مضجعي ، ومنها مخرجي ، حق على أمتي حفظ جيرانى فيها ، من حفظ وصيتى كنت له شهيدا يوم القيامة ، ومن ضيعها أورده الله حوض الخبال ، قيل : وما حوض الخبال ؟ قال : حوض من صديد أهل النار . غريب من حديث خارجة بن زيد ، عن أبيه ، لم يروه عنه غير أبي الزناد تفرد به عنه ابنه عبد الرحمن . وروى الترمذی وأسد بن موسى ، عن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : تعوذوا بالله من جب الحزن ؛ فقيل يا رسول الله : وما جب الحزن ؟ قال : واد في جهنم تتعوذ منه جهنم في كل يوم سبعين مرة ، أعدده الله للقراء المرأين . وفي رواية : أعدده الله للذين يرامون الناس بأعمالهم . وقال الترمذی في حديث أبي هريرة مائة مرة . قلنا : يا رسول الله ، ومن يدخله ؟ قال : القراء المرأون بأعمالهم . قال : حديث غريب أخرجه ابن ماجه أيضا عن أبي هريرة وثقه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعوذوا بالله من جب الحزن . قالوا : يا رسول الله ، وما جب الحزن ؟ قال : واد في جهنم تتعوذ منه جهنم في كل يوم أربعائة مرة ، قيل : يا رسول الله ، من يدخله ؟ قال : أعد للقراء المرأين

بأعمالهم ، وإن من أبيض القراء إلى الله تعالى الدين يزودون الأبرار . قال
 المجازي : الجوزة . وفي حديث آخر ذكره أسد بن موسى أنه عليه السلام قال : إن
 في جهنم لواديا إن جهنم لتعود من شر ذلك الوادي في كل يوم سبع مرات ، وإن
 في ذلك الوادي لجأ ، إن جهنم وذلك الوادي ليتعودان بالله من شر ذلك
 الجب ، وإن في ذلك الجب الحية ، إن جهنم والوادي وذلك الجب ليتعودون بالله
 من شر تلك الحية ، أهدما الله للأشقياء من حملة القرآن . وقال أبو هريرة :
 إن في جهنم أرحاء تدور بعلاء السوء فيشرف عليهم بعض من كان يعرفهم في الدنيا ،
 فيقول : ما صيركم إلى هذا وإنما كنا نتعلم منكم ؟ قالوا : إنا كنا نأمركم بالأمر
 وننخالفكم إلى غيره .

(قال المؤلف رحمه الله) وهذا مرفوع معناه في صحيح مسلم من حديث أسامة
 ابن زيد رضي الله عنه ، وسيأتي في باب من أمر بالمعروف ولم يأت به . وقال أبو المثنا
 الأملوكي : إن في النار أقواما يربطون بنواعير من نار تدور بهم تلك النواعير ،
 ما لهم فيها راحة ولا فترة . وقال محمد بن كعب القرظي : إن لملك مجلسا في وسط
 جهنم وجسورا تمر عليها ملائكة العذاب ، فهو يرى أفصاها كما يرى أدناها .
 الحديث ، وسيأتي .

باب منه

وفي بيان قوله تعالى : فلا اقتحم العقبة ،

وفي ساحل جهنم ووعيد من يرذى المؤمنين

ابن المبارك ، قال : أخبرنا رجل عن منصور ، عن مجاهد ، عن يزيد بن شجرة ،
 قال : وكان معاوية بعثه على الجيوش ، فلقى عدوا فرأى أصحابه فشلا لجمعهم فحمد
 الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، اذكروا نعمة الله عليكم . وذكر الحديث ؛
 وفيه : فإنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسماتكم ، فإذا كان يوم القيامة قيل : يا فلان
 هانورك ، يا فلان لانور لك ، إن لجهنم ساحلا كساحل البحر فيه هوام وحيات
 كالبيخت ، وعقارب كالبيغال الدم ، فإذا استغاث أهل النار قالوا : الساحل ! فإذا

ألقوا فيه سلطت عليهم تلك الهوام فتأخذ شفار أعينهم وشفاههم وما شاء الله منهم ، تكشطها كسطا ، فيقولون : النار ، النار ! فإذا ألقوا فيها سلط الله عليهم الجرب فيحك أحدهم جسده حتى يبدو عظمه ، وإن جلد أحدهم لأربعون ذراعا ، قال يقال : يافلان ، هل تجد هذا يرذيك ؟ فيقول : وأى شيء أشد من هذا ؟ فيقال : هذا بما كنت ترضى المؤمنين . قال ابن المبارك : وأخبرنا سفيان بن عيينة ، عن عمار الدهني أنه حدثه ، عن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري قال : إن صعودا صخرة في جهنم ، إذا وضعوا أيديهم عليها ذابت ، فإذا رفعوها عادت ، اقتحامها فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة . وقال ابن عمر وابن عباس : هذه العقبة جبل في جهنم . وقال محمد بن كعب ، وكعب الأحبار : هي سبعون درجة في جهنم . وقال الحسن وقتادة : هي عقبة شديدة صعبة في النار دون الجسر ، فافتحموها بطاعة الله عز وجل . وقال مجاهد والضحاك والكلبي : هي الصراط ، وقيل : النار نفسها . وقال الكلبي أيضا : هي جبل بين الجنة والنار ، يقول : فلأجاوز هذه العقبة بعمل صالح ، ثم بين اقتحامها بما يكون فقال : « فك رقبة ، الآية . وقال ابن زيد وجماعة من المفسرين : معنى الكلام الاستفهام ، تقديره : أفلا اقتحم العقبة ، يقول : هل لا أنفق ماله في فك الرقاب ، وإطعام السفبان ليجاوز به العقبة ، فيكون خيرا له من إنفاقه في المعاصي ؟ وقيل : معنى الكلام التمثيل والتشبيه ؛ فشبه عظم الذنوب وثقلها بعقبة ، فإذا أعتق رقبة وعمل صالحا كان مثله كمثل من اقتحم العقبة ، وهي الذنوب التي تضره وتؤذيه وثقله ، فإذا أزالها بالأعمال الصالحة والتوبة الخالصة ، كان كمن اقتحم عقبة يستوى عليها ويجوزها .

(قال المؤلف رحمه الله) هذا حديث حسن ، قال الحسن : هي والله عقبة شديدة ، مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان ، وأنشد بعضهم :

لاني بليت بأربع يرميني بالنبل قد نصبوا على شراكا
 إبليس والدنيا ونفسي والهوى من أين أرجو بينهن فكاكا
 يارب ساعدني بعفوانتي أصبحت لا أرجو لمن سواكا

وَأُنشِدُ غَيْرَهُ أَيْضاً فِي مَعْنَى ذَلِكَ :

إِذْ بَلَيْتُ بِأَرْبَعٍ يَرْمِيَنِي بِالنَّبْلِ عَنْ قَوْسٍ لَهَا تَوْتِيرٌ
إِبْلِيسَ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالهُوَى يَا رَبُّ أَنْتَ عَلَى الْخَلَاصِ قَدِيرٌ

وَقَالَ آخَرَ :

إِنِّي بَلَيْتُ بِأَرْبَعٍ مَا سَلَمْتُوَا إِلَّا لِعَظْمِ بَلَيْتِي وَشِقَاتِي
إِبْلِيسَ وَالدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالهُوَى كَيْفَ الْخَلَاصِ وَكُلِّهِمْ أَعْدَائِي

(قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ) قَالَ : فَمَنْ أَطَاعَ مَوْلَاهُ وَجَاهَدَ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ ، وَخَالَفَ شَيْطَانَهُ وَدُنْيَاهُ ، كَانَتْ الْجَنَّةُ نَزْلَهُ وَمَأْوَاهُ ، وَمَنْ تَمَادَى فِي غِيهِ وَطَغْيَانِهِ وَأَرْخَى فِي الدُّنْيَا زَمَامَ عَصْيَانِهِ ، وَوَافَقَ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ فِي مَنَاهُ وَلَذَاتِهِ وَأَطَاعَ شَيْطَانَهُ فِي جَمِيعِ شَهْوَاتِهِ كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : هَذَا مَا مِنْ طَغْيٍ وَآثَرُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى . وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهُوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ، وَمَعْنَى فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ : أَيُّ لَمْ يَقْتَحِمِ الْعَقَبَةَ ، وَهَذَا خَبْرٌ أَيُّ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ، وَالْعَرَبُ يَقُولُ : لَأَفْعَلُ بِمَعْنَى لَمْ يَفْعَلْ . قَالَ زَهْرِي : وَكَانَ طَوِيٌّ كُشْبًا عَلَى سِتْكَنَةٍ ، فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَنْقُدْ : أَيُّ فَلَمْ يَبْدِهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكْ رِقَبَةٌ ، يَقُولُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ لَمْ تَكُنْ تَدْرِيهَا حَتَّى أَعْلَمْتُكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكْ رِقَبَةٌ : أَيُّ عَتَقَ رِقَبَةً مِنَ الرَّقِّ أَوْ إِطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ بِجَاعَةٍ ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ : أَيُّ قَرَابَةٍ . أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ : يَعْنِي بِهِ اللَّاصِقُ بِالتُّرَابِ مِنَ الْحَاجَةِ فِي تَفْسِيرِ الْحَسَنِ . وَقَالَ سَفِيَانُ بْنُ عَيْنَةَ : كُلُّ شَيْءٍ قَالَ فِيهِ وَمَا أَدْرَاكَ ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَهُ بِهِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ قَالَ فِيهِ وَمَا يَدْرِيكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَخْبَرَهُ بِهِ . وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ سَلِيمَانُ بْنُ أَحْمَدَ فِي كِتَابِ [مَبَايِعِ الْإِخْلَاقِ] عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لِأَنَّ أَجْمَعَ أَنْاسًا مِنْ أَصْحَابِي عَلَى صَاعٍ مِنْ ضَعَامٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَخْرَجَ إِلَى السُّوقِ فَأَشْتَرِيَ نَسْمَةً فَأَعْتَقَهَا .

باب ما جاء في قوله تعالى

«وقودها الناس والحجارة»

الوقود بفتح الواو على وزن الفعول بفتح الفاء الحطب ، وكذلك الظهور اسم الماء والسحور اسم الطعام ، وبضم الفاء اسم للفعل وهو المصدر ، والناس عموم ومعناه الخصوص ممن سبق عليه القضاء أنه يكون حطباً لها أجازنا الله منها . قال : حطب النار شباب وشيوخ وكهول ونساء عاريات طال منهن العويل .

ابن المبارك ، عن العباس بن عبدالمطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار وحتى يخاض البحار بالخيل في سبيل الله تبارك وتعالى ، ثم يأتي أقوام يقرءون القرآن ، فإذا قرءوه قالوا : من أقرأ منا ؟ من أعلم منا ؟ ثم انفت إلى أصحابه فقال : هل ترون في أولئك من خير ؟ قالوا : لا قال : أولئك منكم ، وأولئك من هذه الأمة ، وأولئك هم وقود النار . خرجه عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن ابن الهادي ، عن العباس بن عبد المطلب فذكره . والحجارة هي حجارة الكبريت ، خلقها الله تعالى عذبه كيف شاء أو كما شاء ، عن ابن مسعود وغيره ذكره ابن المبارك ، عن عبد الله بن مسعود . وخصت بذلك لأنها تزيد على جميع الحجارة بخمسة أنواع من العذاب : سرعة الإيقاد ، وتن الرائحة ، وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالابدان ، وقوة حرها إذا حيت . وقيل : المراد بالحجارة الأصنام لقوله تعالى : «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ، أي حطب ، وهو ما يلقى في النار مما تذكى به ، وعليه فيكون الناس والحجارة وقوداً للنار ، وعلى التأويل الأول يكونون معذبين بالنار والحجارة . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : كل مؤذ في النار . وفي تأويله وجهان (أحدهما) أن كل من أذى الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة بالنار . (الثاني) أن كل ما يؤذى الناس في الدنيا من السباع والحوام وغيرهما في النار معد لعقوبة أهل النار . وذهب بعض أهل التأويل إلى أن هذه النار المخصوصة بالحجارة هي نار الكافرين خاصة ، والله أعلم .

باب ما جاء في تعظيم جسد الكافر وأعضائه

بحسب اختلاف كفره وتوزيع العذاب على العاصي المؤمن

بحسب أعمال الأعضاء

مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام للراكب المرع .

الترمذي عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعا وإن ضرسه مثل أحد ، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة . قال : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث الأعمش . وفي رواية : ونخذه مثل البيضا ، ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة . أخرجه عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة ، وقال : هذا حديث حسن غريب . وقال : مثل الربذة ، يعني به كما بين مكة والمدينة ، والبيضا جبل .

ابن المبارك ، أنبأنا يونس عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة قال : ضرس الكافر يوم القيامة أعظم من أحد ، يعظمون لتمتليء منهم وليذوقوا العذاب . أخبرنا الليث بن سعد ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : ضرس الكافر مثل أحد ، ونخذه مثل البيضا ، وجبينه مثل الورقان ، ومجلسه من النار كما بينى وبين الربذة ، وكثف بصره سبعون ذراعا ، وبطنه مثل إضم . إضم بالكسر ، جبل . قاله الجوهري .

(قال المؤلف رحمه الله) والورقان جبل بالمدينة كما روى عن أنس بن مالك . قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : فلما تجلى ربه للجبل صار بعظمه ستة أجبل ؛ فوقعت ثلاثة بمكة : ثور ، وثبير ، وحراء . وبالمدينة : أحد ، وورقان ، ورضوى . وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد ابن عمير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بصر الكافر - يعني غلظ جلده - سبعون ذراعا ، وضرسه مثل أحد في سائر خلقه . وذكر عن عمرو بن ميمون أنه يسمع بين جلد الكافر وجسده دوى كدوى الوحش .

الترمذی عن أبي المخارق ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الكافر ليسحب لسانه الفرسخ والفرسخين يتوطئه الناس . مسلم عن سمرة بن جندب أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حجزته ، ومنهم من تأخذه إلى ترقوته . وفي رواية : حقويه مكان حجزته .

(فصل) هذا الباب يدل على أن كفر من كفر فقط ، ليس ككفر من طغى وكفر وتمرد وعصى ، ولا شك في أن الكفار في عذاب جهنم متفاوتون كما قد علم من الكتاب والسنة ، ولأننا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وفتك فيهم وأفسد في الأرض وكفر ، مساوياً لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين . ألا ترى أبا طالب كيف أخرجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى ضحضاح لنصرته إياه ، وذبه عنه وإحسانه إليه ؟ وحديث مسلم عن سمرة يصح أن يكون في الكفار بدليل حديث أبي طالب ، ويصح أن يكون فيمن يعذب من الموحدين . إلا أن الله تعالى يميتهم لإماتة حسب ما تقدم بيانه . وفي خبر كعب الأحبار : يا مالك ، مر النار لا تحرف ألسنتهم فقد كانوا يقرءون القرآن ، يا مالك قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم ، فالنار أعرف بهم وبمقدار استحقاقهم من الوالدة بولدها ، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى سرتة ، ومنهم من تأخذه النار إلى صدره ، وذكر الحديث وسيأتي بكلامه إن شاء الله تعالى . وذكر التتبي في عيون الأخبار له مرفوعاً عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله إذا قضى بين خلقه وزادت حسنات العبد دخل الجنة ، وإن استوت حسناته وسيئاته حبس على الصراط أربعين سنة ، ثم بعد ذلك يدخل الجنة ، وإن زادت سيئاته على حسناته دخل النار من باب التوحيد ، فيعذبون في النار على قدر أعمالهم . فمنهم من انتهى له النار إلى كعبيه ، ومنهم من انتهى إلى ركبتيه ، ومنهم من انتهى النار إلى وسطه ، وذكر الحديث . وذكر الفقيه أبو بكر بن بركان أن حديث مسلم في معنى قوله تعالى ﴿ ولكل درجات بما عملوا وليوفهم أعمالهم وهم لا يظلمون ، قال أرى - والله أعلم -

أن هؤلاء الموصوفين في هذه الآية والحديث أهل التوحيد ، فإن الكافر لا تعاف النار منه شيئاً ، وكما اشتمل في الدنيا على الكفر شملته النار في الآخرة ، قال الله تعالى : لهم من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال ، أي أن ما فوقهم ظلال لهم ، وما تحتهم ظلال لمن تحتهم .

باب منه

ابن ماجه ، عن الحارث بن قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مضر ، وإن من أمتي من يعظم للنار حتى يكون أحد زواياها .

باب ما جاء في شدة عذاب أهل المعاصي

وإذابتهم أهل النار بذلك

مسلم عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون ، وذكره قاسم بن إصبع من حديث عبد الله بن مسعود أيضاً . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتل نبياً أو قتله نبي ، أو مصور يصور التماثيل . وذكر أبو عمر بن عبد البر وابن ماجه وابن وهب من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم ينفعه الله بعبه ؛ إسناده فيه عثمان بن مقسم البزى لم يرفعه غيره . وهو ضعيف عند أهل الحديث ، معتزلي المذهب ، ليس حديثه بشيء ، قاله أبو عمر . وذكر ابن وهب قال : حدثنا ابن زيد قال : يقال إنه ليؤذى أهل النار نين فروج الزناة يوم القيامة .

ابن المبارك ، قال : أخبرنا موسى بن علي بن رباح قال : سمعت أبي يذكر عن بعض من حدث ، قال : ثلاثة قد آذوا أهل النار - وكل النار في أذى - : رجال مغلقة عليهم توابيت من نار وهم في أصل الجحيم فيضجون حتى تعلو أصواتهم أهل النار فيقول لهم أهل النار : ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا ؟ فقالوا : كنا متكبرين ، ورجال قد شقت بطونهم يسحبون أمعاءهم في النار ، فقال

لهم أهل النار : ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا ؟ قالوا : كنا نقتطع حقوق الناس بإيماننا وأمانتنا . ورجال يسعون بين الجحيم والحميم لا يقرون ، قيل لهم : ما بالكم من بين أهل النار فعل بكم هذا ؟ قالوا : كنا نسعى بين الناس بالنميمة . أخبرنا إسماعيل بن عياش ، حدثني تغلب بن مسلم ، عن أيوب بن بشير العجلي ، عن شق بن مائع الأصبجي ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أربعة يؤذون أهل النار على ما لهم من الأذى ، يسعون بين الجحيم والحميم يدعون بالويل والثبور ، يقول أهل النار بعضهم لبعض : ما بال هؤلاء قد أذونا على ما بنا من الأذى ؟ قال : فرجل مغان عليه تابوت من جمر ، ورجل يجر أمعاءه ، ورجل يسيل فوه قيحا ودما ، ورجل يأكل لحمه . قال فيقال لصاحب التابوت : ما بال الأبعد قد أذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال فيقول : إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس لم يجد لها قضاء ، أو قال وفاء . ثم يقال للذي يجر أمعاءه : ما بال الأبعد قد أذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال فيقول : إن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول منه ثم لا يغسله . ثم يقال للذي يسيل فوه دما وقيحا : ما بال الأبعد قد أذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال فيقول : إن الأبعد كان ينظر في كل كلمة فذيمة خبيثة فيذيعها ، يستلذها ويستلذ الرفث بها ، ثم يقال للذي يأكل لحمه : ما بال الأبعد قد أذانا على ما بنا من الأذى ؟ قال فيقول : إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس ويمشي بالنميمة . خرجه أبو نعيم الحافظ وقال : تفرد به إسماعيل بن عباس وشق بن مختلف فيه فقيل له صحبة .

(قال المؤلف رحمه الله) وقد تقدم حديث البخاري الطويل عن سمرة بن جندب ، وحديث بن عباس وأبي هريرة وابن مسعود في باب ما يكون منه في عذاب القبر ، وحديث أبي هريرة في الذين تسع بهم جهنم وغير ذلك مما تقدم في معنى هذا الباب ؛ فتأمل ذلك . وقد تقدم أن من أذان أموال الناس في غير سفه ولا إصراف ولم يجد قضاء ونيته الأداء ومات أن الله لا يحبس عن الجنة ولا يعذب ، بل يرضى عنه خصاؤه إن شاء الله ويكون الجميع في رحمته بكرمه وفضله ، فأما من أذانها لينفقها في المعاصي ثم لا يقدر على الأداء فلعله الذي يعذب .

باب منه

وفي عذاب من عذب الناس في الدنيا

أبو داود الطيالسي قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي نجيح، عن خالد بن حكيم، عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدهم عذاباً للناس في الدنيا. خرجه البخاري في التاريخ فقال: حدثنا علي، حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي نجيح، عن خالد بن حكيم بن حزام أن أبا عبيدة تناول رجلاً من أهل الأرمين فكلمه خالد بن الوليد، فقالوا: أغضبت الأمير؟ فقال: لم أرد غضبه. سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أشد الناس عذاباً يوم القيامة أشدهم عذاباً للناس في الدنيا. خرجه مسلم بمعناه من حديث هشام بن حكيم بن حزام أنه مر على أناس من الأنباط بالشام قد أقيموا في الشمس، فقال: ما شأنهم؟ قالوا: حبسوا على الجزية، فقال هشام: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله عز وجل يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا.

باب ما جاء في شدة عذاب من أمر بالمعروف ولم يأته

ونهى عن المنكر وأتاه، وذكر الخطباء، وفيمن خالف قوله فعله

وفي أعوان الظلمة كلاب النار

البخاري عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار فيقولون: أي فلان! أأنت كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: كنت أمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله. خرجه مسلم أيضاً بمعناه. عن أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يؤتى بالرجل يوم القيامة فيأقى في النار، فتندلق أفتاب بطنه في النار فيدور كما يدور الحمار بالرحا فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان بن فلان، مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى! كنت أمر بالمعروف ولا آتية، وأنهى عن المنكر وآتية.

وخرج أبو نعيم الحافظ من حديث مالك بن دينار ، عن ثمامة ، عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتيت ليلة أسرى بنى قريظة تفرض شفاهم بمقاريض من نار ، كلما فرضت ردت ، قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ، ويقرمون كتاب الله ولا يعملون . وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد قال : سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت ليلة أسرى بنى رجالا تفرض شفاهم بمقاريض من نار ، قال فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : خطباء ، أى من الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب ، الآية . قال وأخبرنا سفيان ، عن إسماعيل ، عن الشعبي قال : يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم فى النار ، فيقولون : ما أدخلكم النار ، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديكم وتعليمكم ؟ قالوا : إنا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله . وذكر أبو نعيم الحافظ ، قال : حدثنا محمد بن أحمد بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال : حدثنى أبى ، قال : حدثنا سيار بن حاتم ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان ، عن ثابت ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى يعافى الأميين يوم القيامة ما لا يعافى العلماء ، هذا حديث غريب تفرد به سيار عن جعفر ، لم نكتبه إلا من حديث أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، قال وحدثنا أحمد بن إسحاق ابن حمزة ، حدثنا محمد بن علوش بن الحسين الجرجاني ، قال حدثنا علي بن المثنى ، قال حدثنا يعقوب بن خليفة أبو يوسف الأعشى ، قال حدثنى محمد بن مسلم الطائفى ، قال حدثنى إبراهيم بن ميسرة ، عن طاووس ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الجلاوزة والشرط أعوان الظلمة كلاب النار ، غريب من حديث طاووس ، تفرد به محمد بن مسلم الطائفى ، عن إبراهيم بن ميسرة ، عن طاووس . الجلاوزة : جمع جلواز ، قال الجوهري : والجلواز الشرطى ، والجمع : الجلاوزة .

(فصل) قال بعض السادة : أشد الناس حسرة يوم القيامة ثلاثة : رجل ملك عبدا فعله شرائع الإسلام ، فأطاع وأحسن وعصى السيد ، فإذا كان يوم القيامة

أمر بالعبور إلى الجنة ، وأمر بسيدته إلى النار ، فيقول عند ذلك : واحسرتاه !
 واغبناه ! أما هذا عبدي ؟ أما كنت مالكا لمهجته وماله ؟ وقادرا على جميع ما له ؟
 فما له سعد ، وما لي شقيت ؟ فيناديه الملك الموكل به : لأنه تأدب ، وما تأدبت ،
 وأحسن ، وأسأت . ورجل كسب مالا فعصى الله تعالى في جمعه ومنعه ولم يقدمه
 بين يديه حتى صار إلى وارثه ، فأحسن في إنفاقه وأطاع الله سبحانه في إخراجهِ ،
 وقدمه بين يديه ؛ فإذا كان يوم القيامة أمر بالوارث إلى الجنة ، وأمر بصاحب المال
 إلى النار ، فيقول : وحسرتاه ! واغبناه ! أما هذا مالي فما أحسنت به أحوالي
 وأعمالي . . فيناديه الملك الموكل به : لأنه أطاع الله ، وما أطعت ، وأنفق لوجهه
 وما أنفقت ؛ فسعد وشقيت . ورجل علم قوما ووَعظهم فعملوا بقوله ولم يعمل ؛
 فإذا كان يوم القيامة أمر بهم إلى الجنة ، وأمر به إلى النار ، فيقول : واحسرتاه !
 واغبناه ! أما هذا علمي ؟ فما لهم فازوا به وما فزت ؟ وسلموا به وما سلمت ؟
 فيناديه الملك الموكل به : لأنهم عملوا بما قلت ، وما عملت ، فسعدوا وشقيت .
 ذكره أبو الفرج بن الجوزي .

(فصل) قال إبراهيم النخعي رضي الله عنه : إني لأكره القصص لثلاث آيات :
 قوله تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ، وقوله تعالى : « لم تقولون مالا
 تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ، وقوله تعالى : « وما أريد أن
 أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، .

(قال المؤلف رحمه الله) وألفاظ هذه الآيات تدل مع ما ذكرناه من
 الأحاديث على أن عقوبة من كان عالماً بالمعروف وبالمنكر ، وبوجوب القيام
 بوظيفة كل واحد منهما أشد ممن لم يعمله ، وإنما كان كذلك لأنه كالمستهمين بحرمات
 الله ، ومستحق لأحكامه ، وهو كمن لم ينتفع بعلمه . وقد قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم : أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ، وقد تقدم .
 وروى أبو أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الذين يأمرون الناس
 بالبر وينسون أنفسهم يجرّون قصبهم في نار جهنم ، فيقال لهم : من أنتم ؟ فيقولون :
 نحن الذين كنا نأمر الناس بالخير ونذى أنفسنا . وقوله : تندلق ، أي : تخرج ،

والاندلاق الخروج بسرعة ، يقال : اندلق السيف ، خرج من غمده . وروينا : فتنقان ، بدل : فتندلق . والأفتاب : الأمعاء ، واحدها : قتب ، بكسر القاف . وقال الأصمعي : واحدها : قتيبة ، ويقال لها أيضا : الأفتاب ، واحدها : قصبه ، قاله أبو عبيد . وقد قال صلى الله عليه وسلم : رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار ، وهو أول من سيب السوائب .

(فصل) قال المؤلف رحمه الله : إن قال قائل : قد تقدم من حديث أبي سعيد الخدري أن من ليس من أهل النار إذا دخلوها أحرقوا فيها وماتوا ، على ما ذكرتموه في أصح القولين ، وهذه الأحاديث التي جاءت في العصاة بخلاف ، فكيف الجمع بينهما ؟ قيل له : الجمع ممكن . وذلك - والله أعلم - أن أهل النار الذين هم أهلها ، كما قال الله تعالى ، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ، قال الحسن : تنضجهم النار في اليوم سبعين ألف مرة ، والعصاة بخلاف هذا ، فيعذبون وبعد ذلك يموتون ، وقد تختلف أيضا أحوالهم في طول التعذيب بحسب جرائمهم وآثامهم . وقد قيل إنه يجوز أن يكونوا متألمين حالة موتهم ، غير أن آلام المؤمنين تكون أخف من آلام الكفار ، لأن آلام المعذبين وهم موتى أخف من عذابهم وهم أحياء ، دليله قوله تعالى ، وحق بال فرعون سوء العذاب . النار يعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ، فأخبر أن عذابهم إذا بعثوا أشد من عذابهم وهم موتى ، ومثله ما جاء في حديث البراء من قول الكافر : رب لا تقم الساعة ، رب لا تقم الساعة ، رب لا تقم الساعة . يرى أن ما يخلص له من عذاب الآخرة أشد مما هو فيه ، وقد يكون ما جاء في الخطاب هو عذابهم في القبور ، في أعضاء مخصوصة كغيرهم ، كما جاء في حديث سمرة الطويل على ما تقدم ، إلا أن قوله في حديث أسامة بن زيد يوم القيامة يدل على غير ذلك . وقد يحتمل أن يجمع لهم الأمران لعظم ما ارتكبوه من مخالفة قولهم فعلهم ، ونعوذ بالله من ذلك .

باب ما جاء في طعام أهل النار

وشرابهم ولباسهم

قال الله تعالى « والذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار ، وقال « سراويلهم من قطران ، ، وقال « إن شجرة الزقوم طعام الأليم كالمهل يغلي في البطن ، ، وقال « لا يذوقون فيها برداً ، ، أي نوماً « ولا شراباً إلا حمياً وغساقاً جزاء وفاقاً ، ، وقال « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً ، ، وقال عز من قائل « تسمى من عين آنية ليس لهم طعام إلا من ضريع « وقال « فليس له اليوم ها هنا حميم ولا طعام إلا من غسلين ، . قال الهروي : معناه من صديد أهل النار ، وما ينغسل ويسيل من أبدانهم .

(قال المؤلف رحمه الله) وهو الغساق أيضاً . وذكر ابن المبارك : أخبرنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم وأبي رزين في قوله تعالى « هذا فليذوقوه حميم وغساق ، قالوا : ما يسيل من صديدهم ، وقيل الغساق : القيح الغليظ المتين . وذكر ابن وهب ، عن عبد الله بن عمر ، قال : الغساق القيح الغليظ ، لو أن قطرة منه تهراق في المغرب أنتنت أهل المشرق ، ولو أنها تهراق في المشرق أنتنت أهل المغرب ، وقيل : الغساق الذي لا يستطاع من شدة برده ، وهو الزمهرير . وقاله كعب : الغساق عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة فتستنقع ، ويؤرق بالآدمي فيغمس فيها غمسة فيسقط جلده ولحمه عن العظام ، فيجر لحمه في كعبه كما يجر الرجل ثوبه . وقوله « جزاء وفاقاً ، أي وافق أعمالهم الخبيثة ، واختلف في الضريع فقيل : هو نبت ينبت في الربيع ، فإذا كان في الصيف يبس ، واسمه إذا كان عليه ورقة شبرق ، وإذا تساقط ورقه فهو الضريع ؛ فالإبل تأكله أخضر ، فإذا يبس لم تذقه ، وقيل : هو الشوك ، وقيل : هو حجارة ، وقيل : الزقوم ، وقيل : واد في جهنم . وقال المنسرون : إن شجرة الزقوم أصلها في الباب السادس وأنها تحيا بلهب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء ، فلا بد لأهل النار من أن يتحدر إليها من كان فوقها فيأكلون منها . وقال أبو عمران الجوني في قوله تعالى « إن شجرة الزقوم

طعام الاثيم كالمهل يغلى في البطون ، قال : بلغنا أن ابن آدم لا ينهش منها نهشة إلا نهشت منه مثلها ، والمهل ما كان ذاتياً من الفضة والنحاس ، وقيل : المهل عكر الزيت الشديد السواد ، وقوله تعالى وتغلى في البطون كغلي الحميم ، يعنى الماء الشديد الحر .

باب منه وما جاء أن أهل النار يجوعون ويعطشون

وفى دعواتهم ولجابتهم

قال الله تعالى : ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين ، ، الآية .

البيهقي ، عن محمد بن كعب القرظي قال : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله في أربع ، فإذا كان في الخامسة لا يتكلمون بعدها أبداً ، يقولون : ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا ، فهل إلى خروج من سبيل ؟ قال فيجيبهم الله تعالى : ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم ، وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ، ثم يقولون : ربنا أبصرنا وسمعنا فأرجعنا نعمل صالحاً إننا موقنون ، فيجيبهم الله تعالى : فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم ، وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون ، ثم يقولون : ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجيب دعوتك وندع الرسل ، فيجيبهم الله تعالى : أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال ؟ ثم يقولون : ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ، فيجيبهم الله تعالى : أولم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ، فذوقوا فما للظالمين من نصير ، ثم يقولون : ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ، فيجيبهم : أحسبوا فيها ولا تكلمون ، فلا يتكلمون بعدها أبداً .

وخرجه ابن المبارك بأطول من هذا فقال : أخبرنا الحكم بن عمر بن ليلي ، حدثني عامر قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : بلغني - أوهذ كر لي - أن أهل النار استغاثوا بالخزنة ، فقال الله تعالى ، وقال الذين في النار لخزنة جهنم : ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ، فسألوا يوماً واحداً يخفف عنهم فيه العذاب ، فردت عليهم الخزنة : أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ فيقولون : بلى ، فردت (٢٧ - تذكرة)

عليهم الخزنة : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ، قال : فلما يسوا بما عند الخزنة نادوا مالكا - وهو عليهم وله مجلس في وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب ، فهو يرى أفصاها كما يرى أدناها - فقالوا : يا مالكا ، ليقض علينا ربك ، قال : اسألوا الموت ، فسكت عنهم لا يجيبهم ثمانين سنة ، قال : والسنة ستون وثلاثمائة يوم ، والشهر ثلاثون يوماً ، واليوم كألف سنة مما تعدون . ثم لحظ عنهم بعد الثمانين فقال : إنكم ما كثون ؛ فلما سمعوا منه ما سمعوا وأيسوا بما قبله ، قال بعضهم لبعض : يا هؤلاء إنه قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون ، فهل فلنصبر فعمل الصبر يتفعلنا كما صبر أهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر إذ صبروا ، فأجمعوا رأيهم على الصبر فصبروا فأطال صبرهم ، ثم جزعوا فنادوا : سواء علينا أصرنا أم جزعنا مالنا من محيص ، أي من منجى ، قال : فقام إبليس عند ذلك فقال : « إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم - إلى قوله - ما أنا بمصرخكم ، يقول : بمن عنكم شيئاً وما أتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل : قال فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم ، قال فتودوا : لملت الله أكبر من مقتكم أنفسكم ، إلى قوله : فهل إلى خروج من سبيل . قال : فرد عليهم ذلك بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم ، وإن يشرك به تؤمنوا ، فالحكم لله العلي الكبير . قال : فهذه واحدة ؛ فنادوا الثانية : ربنا أخرجنا نعمل صالحاً إنا موقنون . قال فإرد عليهم ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ، يقول : لو شئت لهديت الناس جميعاً فلم يختلف منهم أحد ، ولكن حق القول مني لا ملان جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون . قال فهذه ثذان ؛ فنادوا الثالثة : ربنا أخرجنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وندع الرسل ، فإرد عليهم : « أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم - إلى قوله تعالى - الجبال ، قال فهذه الثلاثة : قال ثم نادوا الرابعة : ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ، قال فيجيبهم : أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير . ثم مكث عنهم ما شاء الله . ثم ناداهم : ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون .

قال : فلما سمعوا صوته قالوا : الآن يرضى ربنا ، فقالوا عند ذلك : ربنا غلبت علينا شقوتنا - أي : الكاب الذي كتب علينا - وكنا قوماً ضالين ، ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإننا ظالمون ، فقال عند ذلك : اخشوا فيها ولا تكلمون ؛ فانقطع عند ذلك الرجاء والدعاء ، وأقبل بعضهم على بعض يذبح بعضهم في وجه بعض وأطبقت عليهم . قال لحدثني الأزهري بن أبي الأزهري أنه ذكر له أن ذلك قوله تعالى : هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون . قال ابن المبارك : وحدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قاعة ؛ فذكره عن أبي أيوب ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص : إن أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاماً ، ثم يرد عليهم : إنكم ما كنون ، قال : هانت والله دعوتهم على مالك ، ورب مالك ، قال : ثم يدعون ربهم . قال ، فيقولون : ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين . ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإننا ظالمون . قال : فسكت عنهم قدر الدنيا مرتين . قال ثم يرد عليهم : اخشوا فيها ولا تكلمون . قال : فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة ، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم ؛ فثبته أصواتهم بصوت الحير : أولها زفير وآخرها شهيق ، ومعنى ما نبس : ما تكلم ، قال الجوهري : يقال ما نبس بكلمة ، أي : ما تكلم . وما نبس بالثبديد أيضاً ، وقال الراجز :

ه إن كنت غير مالك فنبس ه

الترمذي عن شهر بن حوشب ، عن أم الدرداء ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يلقى على أهل النار الجوع مع ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع ، لا يسمن ولا يغني من جوع ، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الفصص في الدنيا بالشراب ؛ فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد ، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم ، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم ، فيقولون : ادعوا خزنا جهنم ، فيقولون : ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات؟ قالوا : بلى قالوا : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ، قال فيقولون : ادعوا مالكا ، فيقولون : يا مالك ليقض علينا ربك ، قال فيجيبهم : إنكم ما كنون . قال الأعمش : ثبت أن بين دعائهم

وبين إجابة مالك لإمام ألف عام ، قال فيقولون : ادعوا ربكم ، فلا أحد خير من ربكم ، قال فيقولون : ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ، قال فيجيبهم : اخسروا فيها ولا تكلمون . قال : فعند ذلك يتسوا من كل خير ، وعند ذلك يأخذون في المزفر والحسرة والويل . رفعه قطبة بن عبد العزيز ، عن الأعمش ، عن شمر بن عطية ، عن شهر وهو ثقة عند أهل الحديث ، والناس يوقفونه على أبي الدرداء . وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى « وهم فيها كالخون » قال تشويه النار فتخاص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرتة . ولسرادق النار أربعة جدر ، كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة ، ولو أن دلوا من غسلين يهراق في الدنيا لانتن أهل الدنيا . قال : هذا حديث صحيح غريب . وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله « كالمهل » قال : كعكر الزيت ، وإذا قربه إلى وجهه سقطت فروة وجهه . قال أبو عيسى : هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد ، ورشدين قد تكلم فيه من جهة حفظه .

(قال المؤلف رحمه الله) وقع في هذا الحديث فروة وجهه وهو شاذ ، إنما يقال : فروة رأسه ، أي جلده ، هذا هو المشهور عند أهل اللغة ، وكذا جاء في حديث أبي أمامة . وعن أبي حنيفة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الخيم ليصب على رءوسهم فينفذ الخيم حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلب ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ، ثم يعاد كما كان . قال هذا حديث حسن صحيح غريب . وعن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله « ويسقي من ماء صديد يتجرعه » قال : يقرب إلى فيه فيكرهه ، فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه ، فإذا شربه فتاح أمعاه حتى يخرج من دبره ، يقول الله تعالى : « وسقوا ماء حيا فتاح أمعاهم » وقال تعالى : « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الثراب وساء مرتفقا » قال : هذا حديث غريب . وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية « اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم

فكيف بمن يكون طعامه ؟ قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . خرجه ابن ماجه أيضا .

باب ماجاء في بكاء أهل النار ومن أدناهم عذابا فيها

ابن المبارك قال : أخبرنا عمران بن زيد النخعي ، حدثنا يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا أيها الناس ابكوا فإن لم تبكوا فتبا كوا ، فإن أهل النار يكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول ، حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون ؛ فلو أن سفنا أجريت فيها لجرت . خرجه ابن ماجه أيضا . من حديث الأعمش ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرسل البكاء على أهل النار فيبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم يبكون الدم حتى يصير في وجوههم كهيئة الأخدود ، لو أرسلت فيها السفن لجرت .

مسلم عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه . وروى عن أبي موسى الأشعري موقوفا أنه قال : إن أهل النار ليبكون الدموع في النار ، حتى لو أجريت فيها السفن لجرت ، ثم إنهم يبكون الدم بعد الدموع . ولمثل ما هم فيه فليبك .

(قال المؤلف رحمه الله) وهو يستند من معنى ما تقدم : وفي التنزيل . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون . وفي الترمذي من حديث أبي ذر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : والله لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيتم كثيرا ؛ فمن كبر بكاءؤه خوفا من الله تعالى وخشية منه ضحك كثيرا في الآخرة . قال الله تعالى مخبرا عن أهل الجنة : إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ، ووصف أهل النار فقال : وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين . قال وكنتم منهم تضحكون ، وسيأتي بيانه .

باب ما جاء أن لكل مسلم فداء من النار من الكفار

ابن ماجه قال : أخبرنا جبارة بن المغلس ، حدثنا عبد الأعلى بن أبي المساور ، عن أبي بردة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أذن لامة محمد صلى الله عليه وسلم في السجود فسجدوا طويلاً ، ثم يقال ارموا رءوسكم فقد جعلنا عدتكم فداءكم من النار . حدثنا جبارة بن المغلس ، حدثنا كثير بن سلمان ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذه الامة أمة مرحومة عذابها بأيديها ، إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين ؛ فيقال : هذا فداؤك من النار .

(قال المؤلف رحمه الله) هذان الحديثان وإن كان إسنادهما ليس بالقوى - قال الدارقطني جبارة بن المغلس متروك - فإن معناهما صحيح بدليل حديث مسلم ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا كان يوم القيامة دفع الله لكل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول : هذا فكاكك من النار . وفي رواية أخرى : لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه من النار يهودياً أو نصرانياً ، قال : فاستخلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا إله إلا هو ثلاث مرات أن أباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال خلف له .

(فصل) قال علماءنا رحمه الله عليهم : هذه الأحاديث ظاهرها الإطلاق والعموم وليست كذلك ، وإنما هي في ناس مذنبين تفضل الله تعالى عليهم برحمته ومغفرته ، فأعطى كل إنسان منهم فكاكاً من النار من الكفار ، واستدلوا بحديث أبي بردة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يحيى يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فيغفرها الله لهم ويضعها على اليهود والنصارى . خرجه مسلم عن محمد ابن عمرو بن عباد بن جبلة بن أبي رواد . قال حدثنا حرمي بن عمار ، قال : حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي ، عن عباس ، عن غيلان بن جرير ، عن أبي بردة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قالوا : وما معنى فيغفرها لهم ؟ أي : يسقط المأخذة عنهم

بها حتى كأنهم لم يذنبوا ، ومعنى قوله : ويضعها على اليهود والنصارى أنه يضاعف عليهم عذاب ذنوبهم ، حتى يكون عذابهم بقدر جرمهم وجرم مذنبى المسلمين ، لو أخذوا بذلك ، لأنه تعالى لا يأخذ أحدا بذنب أحد ، كما قال تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وله سبب - أنه أن يضاعف لمن يشاء العذاب ، ويخفف عن من يشاء بحكم إرادته ومشيبته ، إذ لا يسأل عن فعله ، قالوا وقوله فى الرواية الأخرى : لا يموت رجل مسلم إلا أدخل مكانه يهودياً أو نصرانياً ؛ فمعنى ذلك أن المسلم المذنب لما كان يستحق مكاناً من النار بسبب ذنوبه ، وعنى الله عنه وبقي مكانه خالياً منه ، أضاف الله تعالى ذلك المكان إلى يهودى أو نصرانى ليعذب فيه زيادة على تعذيب مكانه الذى يستحقه بحسب كفره ، ويشهد لهذا قوله عليه السلام فى حديث أنس للمؤمن الذى يثبت عند السؤال فى القبر فيقول له : انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة .

(قال المزيلى رحمه الله) قد جاءت أحاديث دالة على أن لكل مسلم مذنباً كان أو غير مذنب منزلاً : منزلاً من الجنة ومنزلاً من النار ، وذلك هو معنى قوله تعالى « أولئك هم الوارثون ، أى يرث المؤمنون منازل الكفار ، ويجعل الكفار فى منازلهم فى النار على ما يأتى بيانه ، وهو مقتضى حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أن العبد إذا وضع فى قبره ، الحديث وقد تقدم . إلا أن هذه الوراثة تختلف : فمنهم من يرث ولا حساب ، ومنهم من يرث بحسابه وبمناقشته وبعد الخروج من النار ، حسب ما تقدم من أحوال الناس والله أعلم .

وقد يحتمل أن يسمى الحصول على الجنة ووراثة من حيث حصولها دون غيرهم وهو مقتضى قوله تعالى « وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء ، .

باب في قوله تعالى

«وتقول هل من مزيد؟»

مسلم عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض ، وتقول قط وعزتك وكرمك . ولا يزال في الجنة فضل حتى يذشيء الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة . وفي رواية أخرى من حديث أبي هريرة : فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله عليها رجله فتقول : قط قط ؛ فهناك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض ، فلا يظلم الله من خلقه أحداً ، وأما الجنة فإن الله يذشيء لها خلقا .

(فصل) للعلاء في قول النار : هل من مزيد تأويلان : أحدهما وعدّها لئلا منها فقال : أوفيتك ؟ فقالت : وهل من مسلك ؟ أي : قد امتلأت ، كما قال :

امتلا الحوض وقال قطني مهلا رويدا قد ملأت بطني

وهذا تفسير مجاهد وغيره ، وهو ظاهر . الحديث الثاني زدني ، تقول ذلك غيظا على أهلها وحنقا عليهم ، كما قال «تكاد تميز من الغيظ» أي : تذشق ، وبين بعضها من بعض . وقوله حتى يضع فيها قدمه - وفي رواية أخرى : حتى يضع عليها ، وفي أخرى رجله ولم يذكر فيها ولا عليها - فعناه عبارة عن من تأخر دخوله في النار من أهلها ، وهم جماعات كثيرة لأن أهل النار يلقون فيها فوجا فوجا ، كما قال الله تعالى «كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير» ، ويؤيده أيضا قوله في الحديث : لا يزال يلقى فيها فالخزنة تنظر أولئك المتأخرين إذ قد علموهم بأسمائهم وأوصافهم ، كما روى عن ابن مسعود أنه قال : ما في النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت إلا وعليه اسم صاحبه ؛ فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفته ، فإذا استوفى كل واحد ما أمر به وما ينتظره ولم يبق منهم أحد قالت الخزنة : قط قط ، أي حسبنا حسبنا ، اكتفينا اكتفينا ، وحينئذ تنزوي جهنم على من فيها وتنطبق ، إذ لم يبق أحد ينتظر ، فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم ، لا أن الله جسم من الأجسام ، تعالى الله عما يقول الظالمون

والجاحدون علواً كبيراً . والعرب تعبر عن جماعة الناس والجراد بالرجل ، فتقول جاءنا رجل من جراد ورجل من الناس ، أى جماعة منهم والجمع : أرجل ، ويشهد لهذا التأويل قوله فى نفس الحديث : ولا يزال فى الجنة فضل حتى يذشىء الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة ، وفى الحديث تأويلات أتينا عليها فى الأسماء والصفات أشبهها ما ذكرناه . وفى التزويل أن لهم قدم صدق عند ربهم ، قال ابن عباس : المعنى منزل صدق ، وقال الطبرى : معنى قدم صدق عند ربهم عمل صالح . وقيل : هو السابقة الحسنة ؛ فدل على أن القدم ليس حقيقة فى الجارحة ، والله الموفق .

قال ابن فورك ، وقال بعضهم : القدم خلق من خلق الله يخلقه يوم القيامة فيسميه قدماً ، ويضيفه إليه من طريق الفعل يضعه فى النار فتمتلىء النار منه ، والله أعلم .

(قال المؤلف رحمه الله) وهذا نحو ما قلناه فى الرجل . قال الشاعر :

فر بنا رجل من الناس وانزوى إليهم من الحى اليمانين أرجل
قبائل من لحم وعك وحمير على ابني نزار بالعداوة أحفل

وقال الراجز :

يرى الناس أفواجا إلى باب داره كأنهم رجلا دباً وجراد
فيوم لإلحاق الفقير بذي الغنى ويوم رقاب بوكرت بحصاد

الدبا : الجراد قبل أن يطير ، والله أعلم .

باب ذكر آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة

وفى تعيينه وتعيين قبيلته واسمه

مسلم عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن لآعلم آخر أهل النار خروجاً منها ، وآخر أهل النار دخولاً الجنة ، رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تعالى : اذهب فادخل الجنة فيأتها ، فيخيل إليه أنها ملائكة ، فيقول : يارب وجدتها ملائكة ، فيقول الله : اذهب فادخل الجنة ، فيأتها فيخيل

إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول : يارب وجدتها ملأى ، فيقول : اذهب فادخل الجنة ، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، أو أن لك عشرة أمثال الدنيا ، قال فيقول : أتسخر بي ؟ أو أتضحك بي وأنت الملك ؟ قال : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه ، قال : فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة ؛ وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : آخر من يدخل الجنة رجل ، فهو يمشي مرة ، ويكبو مرة ، وتسفعه النار مرة ؛ فإذا جاوزها التفت إليها ، فقال : تبارك الذي نجاني منك ، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين ، فترفع له شجرة فيقول : أي رب أدتني من هذه الشجرة فلا أستظل بظلها وأشرب من مائها ، فيقول الله تعالى : يا ابن آدم ، لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها ؟ فيقول : لا يارب ! ويعاهده أن لا يسأله غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها . ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى ، فيقول : أي رب أدتني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها ، لا أسألك غيرها ، فيقول : يا ابن آدم ، لعلي إن أدتتك منها تسألني غيرها ؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها ، وربه يعذره ، لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها ؛ فإذا أدناه منها ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين ، فيقول مثله : فيدنيه منها ؛ فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة ، فيقول : أي رب أدخلنيها ، فيقول : يا ابن آدم ما يصريني منك ؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها ؟ فيقول : أي رب أتستهزى بي ، وأنت رب العالمين ؟ فضحك ابن مسعود فقال : ألا تسألوني مم أضحك ؟ فقالوا : مم تضحك ؟ قال : هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : مم تضحك يا رسول الله ؟ قال : من ضحك رب العالمين ، فيقول : إني لا أستهزىء منك ولكني على ما أشاء قادر . وقال ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم : آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة ، يقال له جهينة ، تقول أهل الجنة : عند جهينة الخبر اليقين . ذكره المياثني أبو حفص عمر بن عبد المجيد القرشي في كتاب [الاختيار له في الملح من الأخبار والآثار] ، ورواه أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب ، من حديث عبد الملك بن الحكم قال :

حدثنا مالك بن أنيس ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن آخر من يدخل الجنة رجل من جهينة ، يقال له جهينة ، فيقول أهل الجنة : عند جهينة الخبر اليقين ، سلوه : هل بقي من الخلائق أحد ؟ ورواه الدارقطني أيضاً في كتاب رواه مالك ، ذكره السهيلي . وقد قيل : إن اسمه هناد ، والله أعلم .

(فصل) قوله : أتستهزى منى ؟ - وفي رواية : أتسخر ؟ - والهزو ، والسخرية بمعنى واحد ، وفيه تأويلان : (أحدهما) أنه صدر منه هذا القول عند غلبة الفرح عليه واستخفافه إياه ، كما غلط الذي قال : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ، خرجه مسلم . (الثاني) أن يكون معناه : أتجازيني على ما كان منى في الدنيا من قلة احتفالي بأعمالي ، وعدم مبالاتي بها ؟ فيكون هذا على وجه المقابلة ، كما قال الله تعالى مخبراً عن المنافقين : إنما نحن مستهزئون الله يستهزى بهم ، أى ينتقم منهم ويجازيهم على استهزائهم ، والاستهزاء فى اللغة : الانتقام .

قد استهزوا منهم بالغى مذحج سراهم وسط الضحاضح جثم
ومثله : « ومكروا ومكر الله » ، الآية . وهو كثير ، وسيأتى إبان الاستهزاء من الله مزيد بيان ، والضحك من الله تعالى راجع إلى معنى الرضى عن العبد : فاعلم ذلك .

باب منه وما جاء فى خروج الموحدين من النار

وذكر الرجل الذى ينادى : يا حنان يا منان ، وبيان قوله تعالى

« لأنها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة » ، وفى أحوال أهل النار

خرج الطبرانى أبو القاسم ، قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال : حدثنا محمد بن عباد المكي ، حدثنا حاتم بن إسماعيل بن بسام الصيرفي ، عن يزيد الفقير ، عن رجل ، عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ناساً من أمتي يدخلون النار بذنوبهم فيكونون فى النار ما شاء الله أن يكونوا ، ثم يعيرهم أهل الشرك ، فيقولون : ما نرى ما كنتم تخالفوننا فيه من تصديقكم

وإيمانكم نفعكم ، فلا يبقى موحد إلا أخرجه الله من النار ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ، ، وروى أبو ظلال ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن عبداً في جهنم ينادى ألف سنة : يا حنان يا منان ، فيقول الله تعالى لجبريل : إئت عبدي فلاناً ، فينطلق جبريل عليه السلام فيرى أهل النار منكبين على وجوههم ، قال فيرجع فيقول : يا رب لم أراه ، فيقول الله تعالى : إنه في مكان كذا وكذا ، قال : فيأتيه فيجىء به ، فيقول له : يا عبدي ، كيف وجدت مكانك ومقيلك ؟ قال فيقول : شر مكان ، وشر مقيل ، قال فيقول : ردوا عبدي ، قال فيقول : يا رب ما كنت أرجو أن تردني إذ أخرجتني منها ، فيقول الله تعالى : دعوا عبدي . وأبو ظلال هذا اسمه هلال بن أبي مالك القسمل يحد في البصريين . وعن سعيد بن جبير قال : إن في النار لرجلاً - أظنه في شعب من شعابها - ينادى مقدار ألف عام : يا حنان يا منان ، فيقول رب العزة لجبريل : يا جبريل أخرج عبدي من النار ؛ فيأتيها فيجدها مطبقة فيرجع فيقول : يا رب إنها عليهم موصدة ، فيقول : يا جبريل ، ارجع ففسكها فأخرج عبدي من النار ، فيفسكها فيخرج مثل الخيال فيطرحه على ساحل الجنة حتى ينبت الله له شعرا ولحما ودما ، ذكره أبو نعيم . وروى ليث عن مجاهد ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبار من أمتي ، الحديث وقد تقدم . وفيه بعد قوله وأطولهم مكثاً من يمكث فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت ، وذلك سبعة آلاف سنة . ثم إن الله إذا أراد أن يخرج الموحدين منها قذف في قلوب أهل الأديان فقالوا لهم : كنا وأتّم وآبؤنا جميعاً في الدنيا ؛ فأتمّم وكفرنا وصدقتم وكذبنا ، وقدرتم وجحدنا ؛ فما أغنى ذلك عنكم ، نحن وأتم اليوم فيها سواء ، تعذبون كما نعذب ، وتخلدون فيها كما نخلد ؛ فيغضب الله عند ذلك غضباً شديداً لم يغضب مثله من شيء فيما مضى ، ولا يغضب من شيء فيما بقي ، فيخرج أهل التوحيد منها إلى عين بين الجنة والنار والصراط يقال لها : نهر الحياة ، فيرش عليهم من الماء فينبتون كما تنبت الحبة في حبل السيل ؛ فما يلي الظل منها أخضر ، وما يلي الشمس منها أصفر ، ثم يدخلون الجنة فيركب على جباههم : هؤلاء عتقاء الله

من النار ، إلا رجلاً واحداً يمكنك فيها ألف سنة ، ثم ينادى : يا حنان يا منان ؛
 فيبعث الله إليه ملكاً فيخوض في النار في طلبه سبعين عاماً لا يقدر عليه ، ثم
 يرجع فيقول : إنك أمرتني أن أخرج عبدك فلاناً من النار منذ سبعين عاماً فلم
 أقدر عليه ، فيقول الله تعالى : انطلق فهو في وادي كذا تحت صخرة فأخرجه ؛
 فيذهب فيخرجه منها فيدخله الجنة ، ثم إن الجهنميين يطلبون من الله تعالى أن
 يمحو عنهم ذلك الاسم ، فيبعث الله ملكاً فيمحوه عن جباههم ، ثم إنه يقال لأهل
 الجنة ومن دخلها من الجهنميين : اطلعوا إلى أهل النار فيطلعون إليهم فيرى الرجل
 أباه ويرى جاره وصديقه ، ويرى العبد مولاه ، ثم إن الله تعالى يبعث إليهم
 الملائكة بأطباق من نار ، ومسامير من نار ، وعمد من نار ؛ فتطبخ عليهم بتلك
 الأطباق ، وتشد بتلك المسامير ، وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل
 فيه روح ولا يخرج منه غم وينسأهم الرحمن على عرشه ، ويتشاغل أهل الجنة
 بنعيمهم ، ولا يستغيثون بعدها أبداً ، وينقطع الكلام ؛ فيكون كلامهم زفيراً
 وشهيقاً ، فذلك قوله تعالى : إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة . وقال ابن مسعود :
 في عمد ، أي بعمد ، وكذا في مصحفه إنها عليهم مؤصدة بعمد . وخرج أبو نعيم
 الحافظ ، عن زاذان قال : سمعت كعب الأحبار يقول : إذا كان يوم القيامة جمع
 الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فنزلت الملائكة فصاروا صفوفاً ، فيقول
 الله لجبريل : إئت بجهم ، فيجىء بها تقاد بسبعين ألف زمام حتى إذا كانت من
 الخلائق على قدر مائة عام زفرت زفرة طارت لها أفئدة الخلائق ، ثم زفرت
 ثانية فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه ، ثم تزفر الثالثة فتبلغ
 المقلوب الحناجر وتذهل العقول فيفزع كل امرئ إلى عمله ، حتى إن إبراهيم الخليل
 يقول : بخلتى لا أسألك إلا نفسي ، ويقول موسى : بمناجاتي لا أسألك إلا نفسي ،
 ويقول عيسى : بما أكرمتني لا أسألك إلا نفسي ، لا أسألك مريم التي ولدتني ،
 ومحمد صلى الله عليه وسلم يقول : أمتي أمتي ، لا أسألك اليوم نفسي ، إنما أسألك
 أمتي . قال فيجيبه الجليل جل جلاله : إن أوليائي من أمتك لا خوف عليهم ولا هم
 يحزنون ؛ فوعزتي وجلالي لأقرن عينك في أمتك . ثم يقف الملائكة بين يدي

الله تعالى ينتظرون ما يترسون به ، فيقول لهم تعالى وتقدس : معاشر الزبانية ، انطلقوا بالمصرين من أهل الكباثر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى النار ، فقد اشتد غضبي عليهم بتجاوزهم بأمرى في دار الدنيا ، واستخفافهم بحقي وانها كهم حرمى ، يستخفون من الناس ويبارزونى مع كرامتى لهم وتفضيلى لإياهم على الأمم ، ولم يعرفوا فضلى وعظيم نعمتى ؛ فعندها تأخذ الزبانية بلحى الرجال وذوائب النساء حينطلق بهم إلى النار ، وما من عبد يساق إلى النار ؛ من غير هذه الأمة ، إلا مسود وجهه ، قد وضعت الانكال فى رجليه والاغلال فى عنقه ، إلا من كان من هذه الأمة ، فإنهم يساقون بالوانهم ؛ فإذا وردوا على مالك قال لهم : معاشر الأشقياء ، من أى أمة أنتم ؟ فما ورد على أحسن وجوها منكم ا فيقولون : يا مالك ، نحن من أمة القرآن ، فيقول لهم : يا معاشر الأشقياء ، أو ليس القرآن أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فيرفعون أصواتهم بالنحيب والبكاء ، فيقولون : يا محمداه ويا محمداه ا اشفع لمن أمر به إلى النار من أمتك ، قال فينادى مالك بتهدد وانتهاز : يا مالك ، من أمرك بمعاينة أهل الشقاء ومخادتهم والتوقف عن إدخالهم العذاب ؟ يا مالك ، لا تسود وجوههم فقد كانوا يسجدون لى فى دار الدنيا . يا مالك ، لا تغلهم بالاغلال ، فقد كانوا يغتسلون من الجنابة . يا مالك ، لا تعذبهم بالانكال ، فقد طافوا بيتى الحرام . يا مالك ، لا تلبسهم القطران ، فقد خلعوا ثيابهم للإحرام . يا مالك ، مر النار لا تحرق ألسنتهم ، فقد كانوا يقرءون القرآن . يا مالك ، قل للنار تأخذهم على قدر أعمالهم ، فالنار أعرف بهم وبمقادير استحقاقهم من الوالدة بولدها . فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى سرتة ، ومنهم من تأخذه إلى صدره ، ومنهم دون ذلك . فإذا انتقم الله عز وجل منهم على قدر كباثرهم وعتوهم وإصرارهم ، فتح بينهم وبين المشركين باباً فرأوهم فى الطبقة الأعلى من النار ، لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً ، يكون ويقولون : يا محمداه ، ارحم من أمتك الأشقياء واشفع لهم ، فقد أكلت النار لحومهم ودماءهم وعظامهم ، ثم ينادون : يارباه ، ياسيداه ، ارحم من لم يشرك بك فى دار الدنيا ، وإن كان قد أساء وأخطأ وتعدى ؛ فعندها يقول المشركون :

ما أغنى عنكم إيمانكم بالله وبمحمد شيئاً ، فيغضب الله تعالى لذلك ؛ فعندها يقول : يا جبريل انطلق فأخرج من في النار من أمة محمد ، فيخرجهم ضباطاً قد امتحشوا فيلقهم على نهر على باب الجنة يقال له نهر الحياة ، فيمكنون حتى يعودوا أنضر ما كانوا ، ثم يأمر بإدخالهم الجنة مكتوباً على جباههم : هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيعرفون من بين أهل الجنة بذلك ، فيتضرعون إلى الله عز وجل أن يحو عنهم تلك السمة فيمحوها الله تعالى عنهم ، فلا يعرفون بها بعد ذلك أبداً . وذكر أبو نعيم الحافظ عن أبي عمران الجوني قال : بلغنا أنه إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من يخاف الناس شره في الدنيا ، فيوثقون بالحديد ، ثم أمر بهم إلى النار ، ثم أوصدها عليهم ، أي أطبقها ؛ فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرارها أبداً ، ولا والله ما ينظرون إلى أديم سماء أبداً ، ولا والله لا تلتقي جفونهم على غمض نوم ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبداً ، قال : ثم يقال لأهل الجنة : يا أهل الجنة افتحوا اليوم الأبواب ، فلا تخافوا شيطاناً ، ولا جباراً ، وكلوا اليوم واشربوا بما أسلفتم في الأيام الخالية ، قال أبو عمران : إذا هي والله يا إخوتاه أيامكم هذه .

(فضل) قوله : فيرش عليهم من الماء فيذبون كما تنبت الحبة في حيل السيل ، وجاء في حديث أبي سعيد الخدري المتقدم ، ثم يقال : يا أهل الجنة أفيضوا عليهم من الماء ، والمعنى واحد . والنبات معروف وهو خروج الشيء : والحبة بكسر الحاء بذور البقول ، وحيل السيل : ما احتمله من طين وغيث ؛ فإذا اتفق أن يكون فيه حبة فإنما تنبت في يوم وليلة ، وهي أسرع نابتة نباتاً ، فشبّه النبي صلى الله عليه وسلم سرعة نبات أجسادهم بسرعة نبات تلك الحبة . وفي التنزيل : ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ، وقوله : وأطولهم مكثاً من يمكث فيها مثل الدنيا منذ خلقت إلى يوم أفنيت وذلك سبعة آلاف سنة ، اختلف في انقضاء هذا العالم ، وفي مدة الدنيا ، وأكثر المنجمون في ذلك فقال بعضهم : عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعدد النجوم السيارة لكل واحد ألف سنة . وقال بعضهم : بأنها اثنتا عشر ألف سنة بعدد البروج ، لكل برج ألف سنة . وقال بعضهم : ثلاثمائة وستون ألف

سنة بتعدد درجات الفلك ، لكل درجة ألف سنة ، وقوله : إلا رجلا واحدا يمكث فيها ألف سنة ، ثم ينادى : يا حنان يا منان - الحنان الذي يقبل على من أعرض عنه ، والمنان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال ، سبحانه وتعالى لا إله إلا هو . روى ذلك عن علي رضي الله عنه . وقد ذكرنا ذلك في كتاب [الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العليا] مستوفى والحمد لله . وقد تقدم الكلام في نحو ذلك الإسم عنهم ، فلاه معنى لإعادته ، وقوله : وينسأهم على عرشه ، أى يتركهم في العذاب ، كما قال «نسوا الله فأنسوا» أى تركوا عبادته وتوحيده فتركهم . والعرش في كلام العرب له محامل كثيرة قد أتينا عليها في كتاب [الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى] منها الملك كما قال زهير :

تداركتما عبسا وقد تل عرشها وذيان إذ زلت بأقدامها النعل

وقال آخر :

بعد ابن جفنة ، وابن هاتك عرشه والحارثين يؤملون فلاحا

وتقول العرب : تل عرش فلان ، إذا ذهب عزه وسلطانه وملكه ؛ فالمعنى : وينسأهم الرحمن على عرشه ، أى : بما هو عليه من الملك والسلطان والعظمة والجلال ، لا يعاب بهم ولا يلتفت إليهم لما حكم به في الأزل عليهم من خلودهم في النار ، ولا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجمل في سم الخياط . وأجمع أهل السنة على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها : كإبليس ، وفرعون ، وهامان ، وقارون ، وكل من كفر وتكبر وطغى ؛ فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى . وقد وعدهم الله عذابا أليما ، فقال عز وجل « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب » . وأجمع أهل السنة أيضاً على أنه لا يبقى فيها ولا يخلد إلا كافر جاحد ، فاعلم .

(قال المؤلف رحمه الله) وقد زل هنا بعض من ينتمى إلى العلم والعلماء فقال : إنه يخرج من النار كل كافر ومبطل وجاحد ويدخل الجنة ، فإنه جائز في العقل

أن تنقطع صفة الغضب فيعكس عليه فيقال ، وكذلك جائز في العقل أن تنقطع صفة الرحمة فيلزم عليه أن يدخل الأنياء والأولياء النار يعذبون فيها ، وهذا فاسد مردود بوعده الحق وقوله الصدق ، قال الله تعالى في حق أهل الجنان : « عطاء غير مجدود ، أي : غير مقطوع ، وقال : وما هم منها بمخرجين ، وقال : لهم أجر غير ممنون ، وقال : لهم فيها نعم مقيم خالدين فيها أبداً ، وقال في حق الكافرين : ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، وقال : فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون ، وهذا واضح ، وبالجملة فلا مدخل للمعقول فيما اقتطع أصله الإجماع والرسول ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . »

باب ما جاء في الاستهزاء بأهل النار وبيان قوله تعالى

« فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ، على الأرائك ينظرون
هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ؟ »

ذكر ابن المبارك قال: أخبرنا الكلبى عن أبي صالح في قوله تعالى : « الله يستهزى بهم » قال : يقال لأهل النار وهم في النار: اخرجوا ، ففتتح لهم أبواب النار؛ فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك ، فإذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم ، فذلك قوله عز وجل « الله يستهزى بهم » ويضحك منهم المؤمنون حين غلقت دونهم ، فذلك قوله عز وجل « فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون ، هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون . » قال ابن المبارك وأخبرنا محمد بن بشار عن قتادة في قوله تعالى « فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون » قال ذكر لنا أن كعباً كان يقول : إن بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوله في الدنيا اطلع من بعض الكوى ، قال الله سبحانه وتعالى في آية أخرى « فاطلع فرآه في سواء الجحيم » قال : ذكر لنا أنه يطلع فيرى جماجم القوم تغلى .

أخبرنا معمر عن قتادة قال : قال بعض العلماء : لولا أن الله عز وجل عرفه إياه ما عرفه ، لقد تغير خبره وسببه ، فعند ذلك يقول : « تالله إن كدت لتردين (٢٨ — تذكرة)

ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين ، في النار . والخبر والسبر : اللون والهيئة من قولهم : جاءت الإبل حسنة الأحبار والأنسبار ، قاله الفراء . وقال الأصمعي : هو البهاء والجمال وأثر النعمة ، يقال : فلان حسن الخبر والسبر : إذا كان جميلاً حسن الهيئة . قال ابن أحمد :

لبسنا حبرة حتى اقتضينا آجال وأعمار قضينا
ويقال أيضاً : فلان حسن الخبر والسبر بالفتح ، وهذا كله مصدر قولك :
حبرته تحبيراً . والأول اسم ، وتحبير الخط والشعر وغيرهما تحسينه وتزيينه .

باب منه

روى أبو هدية إبراهيم بن هدية ، قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المستهزئين بعباد الله في الدنيا تفتح لهم أبواب الجنة يوم القيامة يقال لهم : ادخلوا الجنة ، فإذا جاءوا أغلق الباب دونهم . وتفتح الثانية فيقال لهم : ادخلوا الجنة ، فإذا جاءوا أغلق الباب دونهم : وتفتح لهم الثالثة ، فيدعون فلا يجيبون ، قال فيقول لهم الرب : أنتم المستهزئون بعبادى ؟ أنتم آخر الناس حساباً ؛ فيقومون حتى يغرقوا في عرقهم ، فينادون : ياربنا إما صرفتنا إلى جهنم وإما إلى رضوانك .

باب منه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يؤمر يوم القيامة بأناس إلى الجنة ، حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها ، فيقولون : ياربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك وما أعددت فيها لأولياك كان أهون علينا ، قال : ذلك أردت بكم ، كنتم إذا خلوتكم بى بارزتمونى بالعظائم ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين ، تراون الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم ، هبتم الناس ولم تهابونى ، وأجلتم الناس ولم

تجلوني ، وتركتم للناس ولم تتركوا لي ؛ فاليوم أذيقكم العذاب الاليم مع ما حرمتكم من الثواب . ذكره أبو حامد رحمه الله .

باب ماجاء في ميراث أهل الجنة منازل أهل النار

جاء في الخبر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى جعل لكل إنسان مسكناً في الجنة ومسكناً في النار ، فأما المؤمنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ، وتجعل الكفار في منازلهم من النار . خرج ابن ماجه بمعناه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منكم من أحد إلا له منزلان : منزل في الجنة ومنزل في النار ؛ فإذا مات فدخل النار ورث أهل الجنة منزله ، فذلك قوله تعالى : أولئك هم الوارثون ، إسناده صحيح .

(قال المؤلف رحمه الله) وهذا بين في أن لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار كما تقدم . وقد قال هاهنا : ما منكم ؛ فخطب أصحابه الكرام المنزهين عن الذنوب العظام الموجبة للنيران رضي الله عنهم ، وسيأتي لهذا مزيد بيان في أبواب الجنان إن شاء الله تعالى .

باب ماجاء في خلود أهل الدارين

وذبح الموت على الصراط ومن يذبحه

البخاري ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ، جرى بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ، ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة لا موت ، ويا أهل النار لا موت ، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم .

مسلم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، يجاء يوم القيامة بالموت كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال يا أهل الجنة : هل تعرفون هذا ؟ فيشربون وينظرون ، فيقولون : نعم ! هذا الموت ، قال ثم يقال : يا أهل النار : هل تعرفون هذا ؟

فيشربون وينظرون ، فيقولون : نعم ! هذا الموت ، قال فيؤمر به فيذبح ، قال ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت فيها ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ، وأشار بيده إلى الدنيا ، وأخرجه أبو عيسى الترمذى ، عن أبي سعيد الجندرى يرفعه قال : إذا كان يوم القيامة أتى بالموت كالكبش الأملح فيوقف بين الجنة والنار فيذبح وهم ينظرون ، فلو أن أحداً مات فرحاً مات أهل الجنة ، ولو أن أحداً مات حزناً مات أهل النار ، قال هذا حديث حسن صحيح . وذكر ابن ماجه في حديث فيه طول عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط ، فيقال يا أهل الجنة : فيطلعون خائفين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ، ثم يقال يا أهل النار : فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذى هم فيه ، فيقال : هل تعرفون هذا ؟ قالوا نعم ! هذا الموت ، قال فيؤمر به فيذبح على الصراط ، ثم يقال للفريقين كلاهما خلود فيما تجدون لاموت فيه أبداً . أخرجه الترمذى بمعناه مطولاً عن أبي هريرة أيضاً ، وفيه : فإذا أدخل الله أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار بالموت ملياً فيوقف على السور الذى بين الجنة وبين النار ، ثم يقال يا أهل الجنة فيطلبون خائفين ثم يقال يا أهل النار : فيطلعون مستبشرين يرجون الشفاعة ، فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون هو لا وهو لا عرفناه ، هو الموت الذى وكل بنا فيضجع فيذبح ذبجاً على السور ، ثم يقال يا أهل الجنة : خلود لاموت ، ويا أهل النار خلود لاموت ، قال هذا حديث حسن صحيح .

(فصل) قال المؤلف رحمه الله : هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل الدارين فيها ، لا إلى غاية ولا إلى أمد ، مقيمين على الدوام والسرمد من غير موت ولا حياة ولا راحة ولا نجاة ، بل كما قال في كتابه الكريم وأوضح فيه عن عذاب الكافرين « والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك يجزى كل كفور . وهم يصطارخون فيها - إلى قوله - من نصير ، وقال « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ، وقاله

فان الذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد . كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها ، وقد تقدمت هذه المعاني كلها ؛ فمن قال أنهم يخرجون منها وأن النار تبقى خالية ، بحملتها خاوية على عروشها ، وأنها تفتنى وتزول ، فهو خارج عن مقتضى المعقول ومخالف لما جاء به الرسول . وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول ، ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ، وإنما تخلى جهنم وهي الطبقة العليا التي فيها العصاة من أهل التوحيد ، وهي التي ينبت على شفيرها فيما يقال الجرجير ، قال فضل بن صالح المعافري : كنا عند مالك بن أنس ذات يوم ، فقال لنا انصرفوا : فلما كان العشية رجعنا إليه ، فقال : إنما قلت لكم انصرفوا لأنه جاءني رجل يستأذن على زعم أنه قدم من الشام في مسألة ، فقال : يا أبا عبد الله ، ما تقول في أكل الجرجير ؛ فإنه يتحدث عنه أنه ينبت على شفير جهنم ؟ فقلت له : لا بأس به ؛ فقال : أستودعك الله وأقرأ عليك السلام . ذكره الخطيب أبو بكر أحمد رحمه الله ، وذكر أبو بكر البزار ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : يأتي على النار زمان تخفق الرياح أبوابها . ليس فيها أحد ، يعني من الموحدين ، هكذا رواه موقوفا من قول عبد الله بن عمرو وليس فيه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، ومثله لا يقال من جهة الرأي ؛ فهو مرفوع .

(فصل) قد تقدم أن الموت معنى ، والكلام في ذلك وفي الاعمال وأنها لا تنقلب جوهرًا ، بل يخلق الله أشخاصًا من ثواب الاعمال وكذلك الموت يخلق الله كبشًا يسميه الموت ، ويلقى في قلوب الفريقين أن هذا هو الموت ، ويكون ذبحه دليلًا على الخلود في الدارين ؛ قال الترمذي : والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة رضي الله عنهم مثل سفيان الثوري ، ومالك بن أنس ، وابن المبارك ، وابن عيينة ، ووکیع وغيرهم . أنهم رووا هذه الأشياء وقالوا : وتروى هذه الأحاديث ، ولا يقال : كيف ؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء ويؤمن بها ولا تفسر ولا تؤم ؟ ولا يقال : كيف وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه .

(قال المؤلف رحمه الله) وإنما يؤتى بالموت كالكبش والله أعلم لما جاء أن ملك الموت أتى آدم عليه السلام في صورة كبش أملح ، قد نشر من أجنحته أربعة آلاف جناح على ما تقدم أول الكتاب في باب : [ماجاء في صفة ملك الموت عند قبض روح المؤمن والكافر] . وفي التفسير من سوزة الملك عن ابن عباس ومقاتل والكلبي في قوله « الذي خلق الموت والحياة » أن الموت والحياة جسمان ، فجعل الموت في هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجد ريحاً إلا مات ، وخلق الحياة على صورة فرس أثنى بقاء ، وهي التي كان جبريل والأنبياء عليهم السلام يركبونها ، خطوها مد البصر ، فوق الحمار ودون البغل ، لا تمر بشيء يجد ريحها إلا حي ، ولا تطأ على شيء إلا حي ، وهي التي أخذ السامري من أثرها فألقاه على العجل فحي ، حكاه الثعلبي والقشيري ، عن ابن عباس والماوردي ، عن مقاتل والكلبي . ومعنى يشربون : يرفعون رؤسهم . والأملح : من الكبش الذي يكون فيه بياض وسواد ، والبياض أكثر . قاله الكسائي : وقال ابن الأعرابي : وهو النقي البياض . وذكر صاحب خلع النعلين : أن هذا الكبش المذبوح بين الجنة والنار ، أن الذي يتولى ذبحه يحيى بن زكريا عليهما السلام ، بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وبأمره الأكرم . وذكر في ذبحه كلاماً مناسباً لحياة أهل الجنة وحياة أهل النار . وذكر صاحب كتاب العروس : أن الذي يذبحه جبريل عليه السلام ، فإنه أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

أبواب الجنة وما جاء فيها وفي صفتها ونعيمها

وصف الله تعالى الجنات في كتابه وصفا يقوم مقام العيان في غير ما سوزة من القرآن ، وأكثر ذلك في سورة الواقعة والرحمن ، وهل أتاك حديث الغاشية وسورة الإنسان ، وبين ذلك أيضاً نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بأوضح بيان ، فنذكر من ذلك ما بلغنا في الأخبار الصحاح والحسان . وعن السلف الصالح أهل الفضل والإحسان رضي الله عنهم وحشرنا معهم آمين .

ذكر ابن وهب ، قال وحدثنا ابن زيد قال : إن رسول الله صلى الله عليه

وسلم ليقرأ ، هل أتى على الإنسان حين من الدهر ، وقد أنزلت عليه وعندده رجل أسود قد كان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له عمر بن الخطاب : حسيك لا تثقل على النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : دعة يا ابن الخطاب ، قال : فنزلت عليه هذه السورة وهو عنده ، فلما قرأها عليه وبلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرج نفس صاحبكم أو أخيم الشوق إلى الجنة .

باب صفة أهل الجنة في الدنيا

قال ابن وهب سمعت ابن زيد يقول : وصف الله أهل الجنة بالخفاة والحزن والبكاء والشفقة في الدنيا ، فأعقبهم به النعيم والسرور في الآخرة ، وقرأ قول الله عز وجل : « إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين ، قال : ووصف أهل النار بالسرور في الدنيا والضحك فيها والتفكك فقال : « إنه كان في أهله مسرورا إنه ظن أن لن يحور بلى ، . وقد تقدم من صفة أهلها ما فيه كفاية والحمد لله وحده .

باب منه

وهل تفضل جنة جنة

قال الله تعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان ، ثم وصفهما ، ثم قال بعد ذلك « ومن دونهما جنتان ، وعن ابن عباس في تأويل قوله تعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان ، أى بعد أداء الفرائض جنتان ، قيل : على حدة ؛ فلكل خائف جنتان . وقيل : جنتان لجميع الخائفين ، والأول أظهر . قال الترمذى محمد بن علي : جنة لخوفه من ربه ، وجنة لتركه لشهوته ، والمقام الموضع ، أى : خاف مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية ، وقيل : خاف قيام ربه عليه ، أى : إشرافه واطلاعه عليه ، بيانه : « أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ، .

وقال مجاهد والنخعي : هو الرجل يهيم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه

وروى عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : الجنةان بستانان في عرض الجنة ، كل بستان مسيرة مائة عام ، في وسط كل بستان دار من نور على نور ، وليس منها شيء إلا يهتز نعمة وخضرة ، قرارها ثابت وشجرها ثابت . ذكره الهروي والثعلبي أيضا من حديث أبي هريرة ، وقيل : إن إحدى الجنةين أسافل القصور ، والأخرى أعاليها . وقال مقاتل : هما جنة عدن وجنة النعيم ، وقوله « ومن دونهما جنتان » قال ابن عباس : أي وله من دون الجنةين الأوليين جنتان أخريان ، قال ابن عباس : ومن دونهما ، أي في الدرج ، والجنات لمن خاف مقام ربه فيكون في الأوليين النخل والشجر ، وفي الأخيرين الزرع والنبات وما انبسط ، قال الماوردي : ويحتمل أن يكون « ومن دونهما جنتان » لاتباعه لقصور منزلتهم عن منزلته ، إحداهما للهور العين ، والأخرى للولدان المخلدن ليتمير فيها الذكور من الإنث ، وقال ابن جريج هي أربع جنان : جنتان منها للسائقين المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان وجنتان لأصحاب اليمين فيهما فاكهة ونخل ورمان وفيهما عينان نضاختان ، وقال ابن زيد : الأوليان من ذهب المقربين ، والأخريان من ورق لأصحاب اليمين (١) .

(قال المؤلف رحمه الله) وإلى هذا ذهب الحلبي أبو عبد الله الحسن بن الحسين في كتاب : [منهاج الدين له] واحتج بما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس « ومن خاف مقام ربه جنتان - إلى قوله - مدهامتان » قال : هاتان للمقربين ، وهاتان لأصحاب اليمين ، وعن أبي موسى الأشعري نحو ذلك ، ولما وصف الله الجنةين أشار إلى الفرق بينهما ، فقال في الأوليين « فيهما عينان تجريان » وفي الأخيرين « فيهما عينان نضاختان » أي فوارتان بالماء ، ولكنهما ليستا كالجاريتين ، لأن النضغ دون الجري ، وقال في الأوليين « فيهما من كل فاكهة زوجان » معروف وغريب أو

(١) وقيل جنة للخائف الإنسي وجنة للخائف الجنى ، فإن الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى عمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي وجنة يثاب بها وأخرى يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية ، وكذا ما جاء مثني بعد .
أحمد محمد مرسي

وطب ويابس ؛ فعم ولم يخص ، وفي الآخرتين « فيهما فاكهة ونخل ورمان ، ولم يقل من كل فاكهة ، وقال في الأولتين « متكئين على فرش بطائنها من إستبرق ، وهو الديباج ، وفي الآخرتين « متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان ، والعبقري الوشي ولا شك أن الديباج أعلى من الوشي ، والرفرف كسر الحبا ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء عليها أفضل من فضل الحبا ، وقال في الأولتين في صفة الحور العين « كأنهن الياقوت والمرجان ، ، وفي الآخرتين فيهن خيرات حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان وقال في الأولتين « ذواتا أفنان ، وفي الآخرتين « مدهامتان ، أي خضراوان كأنهما من شدة خضرتهما سرداوان ووصف الأولتين بكثرة الأغصان ، والآخرتين بالخضرة وحدها ، وفي هذا كله تحقيق للمعنى الذي قصدناه ، قوله « ومن دونهما جنتان » ولعل ما لم يذكره من تفاوت ما بينهما أكثر مما ذكر ، فإن قيل كيف لم يذكر أهل هاتين الجنتين كما ذكر أهل الجنتين الأولتين ؟ قيل : الجنان الأربع لمن خاف مقام ربه ، إلا أن الخائفين لهم مراتب ؛ فالجنتان الأولتان لأعلى العباد رتبة في الخوف من الله تعالى ، والجنتان الآخرتان لمن قصر حاله في الخوف من الله تعالى .

(قال المؤلف رحمه الله) فهذا قول ، والقول الثاني أن الجنتين في قوله تعالى « ومن دونهما جنتان ، أعلى وأفضل من الأولتين ، ذهب إلى هذا الضحك ، وأن الجنتين الأولتين من ذهب وفضة ، والآخرتين من ياقوت وزمرد ، وقوله « ومن دونهما جنتان ، أي ومن أمامهما ومن قبلهما ، وإلى هذا القول ذهب أبو عبد الله محمد الترمذي الحكيم في : [نوادر الأصول] وقال : ومعنى « ومن دونهما جنتان ، أي دون هاتين إلى العرش أي أقرب وأدنى إلى العرش ، وقال مقاتل : الجنتان الأولتان : جنة عدن وجنة النعيم ، والآخرتان جنة الفردوس وجنة المأوى .

(قال المؤلف رحمه الله) ويدل على هذا قوله عليه الصلاة والسلام : إذا سألت الله فاسأله الفردوس ، الحديث ، وسيأتي قال الترمذي : وقوله « فيهما عينان نضاختان ، أي بألوان الفواكه والنعيم والجواري المزيينات ، والدواب المسرجات والياب الملونات ، وهذا يدل على أن النضج أكثر من الجرى .

(قال المؤلف رحمه الله) على هذا تدل أقوال المفسرين روى عن ابن عباس نضاختان : أى فوارتان بالماء ، والنضح بالخاء أكثر من النضح بالخاء ، وعنه أيضاً أن المعنى نضاختان بالخير والبركة ، قاله الحسن ومجاهد ، وعن ابن عباس أيضاً وابن مسعود : تنضح على أولياء الله بالمسك والكافور والعنبر فى دور أهل الجنة كما ينضح رش المطر ، وقال سعيد بن جبیر : بأنواع الفواكه والماء ، وقوله « فىهما فاكهة ونخل ورمان » قال بعض العلماء : ليس الرمان والنخل من الفاكهة لأن الشىء لا يعطف على نفسه ، وهذا ظاهر الكلام ، وقال الجمهور : هما من الفواكه ، وإنما أعاد ذكر النخل والرمان لفضلهما على الفواكه ، كقوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى » وقوله « من كان عدواً لله وملائكته وكتبه ورسله وجبريل وميكال » وقيل إنما كررها لأن النخل والرمان كانا عندهم فى ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا ، لأن النخل عامة قوتهم ، والرمان كالثمرات ، فكان يكثر غرسها عندهم لحاجتهم إليها ، وكانت الفواكه عندهم من ألوان الثمار التى يعجبون بها ، وإنما ذكر الفواكه ثم ذكر النخل والرمان لعمومها وكثرتها عندهم من المدينة إلى مكة إلى ما والاها من بلاد اليمن ، فأخرجهما فى الذكر من الفواكه وأفرد الفواكه على حديثها ، وقوله « فىهن خيرات حسان » يعنى النساء والواحدة خيرة ، قال الترمذى : الخيرة ما اختارهن الله فأبدع خلقهن باختياره ، واختيار الله لا يشبه اختيار آدميين ، ثم قال حسان فوصفهن بالحسن ، فإذا وصف خالق الشىء شيئاً بالحسن فمن ذا الذى يقدر أن يصف حسنهن ؟ فانظر ما هنالك ، وفى الأولتين ذكر بأنهن قاصرات الطرف وكأنهن الياقوت والمرجان ؛ فانظر كم بين الخيرة وهى مختارة الله وبين قاصرات الطرف ؟ ثم قال « حور مقصورات فى الخيام » وقال فى الأولتين « فىهن قاصرات الطرف » قصرن طرفهن على الأزواج ، ولم يذكر أنهن مقصورات ؛ فدل على أن المقصورات أعلى وأفضل ، وقد بلغنا فى الرواية : أن سحابة مطرت من العرش تخلق من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطئ الأنهار ، سمعتها أربعون ميلاً وليس لها باب ، حتى إذا حل ولى الله بالخيمة

انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها وهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين والله أعلم ، ثم قال :
 • متكئين على رفر ف خضر ، اختلف في الرفر ف ، ماهو ؟ فقيل : كسر الحبا
 وجوانب الدرع وما تدلى منها ، الواحدة رفرقة . وقيل : الرفر ف شيء إذا
 استوى عليه صاحبه رفر ف به واهوى به كالمرجاح يمينا وشمالا ، ورفعا وخفضا .
 يتلذذ به مع أنيسته واشتقاقه على هذا من رف يرف إذا ارتفع ، ومنه رفة الطائر
 لتحريكه جناحيه في الهواء ، وربما سمي الظلم رفرقا بذلك ، لأنه يرفرف بجناحيه
 ثم يعدو . ورفرف الطائر أيضا إذا حرك جناحيه حول الشيء يريد أن يقع عليه .
 قال الترمذى الحكيم : فالرفرف أعظم خطرا من العرش ، وذكر في الاولين متكئين
 على فرش بطائنها من إستبرق وقال هنا • متكئين على رفر ف خضر ، فالرفرف هو
 مستقر الولي على شيء إذا استوى عليه الولي رفر ف به ، أي طار به هكذا وهكذا
 حيث ما يريد كالمرجاح . وروى لنا حديث المعراج أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لما بلغ سدره المنتهى جاءه الرفر ف فتناوله من جبريل وطار به إلى سند
 العرش ، فذكر أنه طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي ، ثم لما حان
 الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوى به حتى أدله إلى جبريل صلوات
 الله عليهما ، وجبريل يبكي ويرفع صوته بالتحميد ، والرفرف خادم من الخدم بين
 يدي الله تعالى له خواص الامور في محل الدنو والقربة ، كما أن البراق دابة يركبها
 الانبياء صلوات الله عليهم مخصوصة بذلك في أرضه . فهذا الرفر ف الذي سخره
 الله لاجل الجنتين الدائيتين هو متكأهما وفرشهما ، يرفرف بالولي على حافات تلك
 الانهار وشطوطها حيث شاء إلى خيام أزواجه الخيرات الحسان ، ثم قال : « وعبقرى
 حسان ، والعبقرى : ثياب منقوشة تبسط ، فإذا قال خالق النقوش أنها حسان ،
 فما ظنك بتلك العباقر ، والعبقرى : قربه من ناحية اليمن فيما بلغنا ، ينسج فيها بسط
 منقوشة ، فذكر الله ما خلق في تلك الجنتين من البسط المنقوشة الحسان والرفرف
 الخضر . وإنما ذكر لهم من الجنان ما يعرفون أسماءها هنا ؛ فبان تفاوت هاتين
 الجنتين . وقد روى عن بعض السلف : فإذا هو يشير إلى أن هاتين الجنتين من

دونهما ، أى أسفل منهما وأدون ؛ فكيف يكون مع هذه الصفة أدون فحسبته لم يفهم الصفة . ذكره فى الأصل التاسع والثمانين من كتاب : [نوادير الأصول] .

(فصل) لما قال الله سبحانه وتعالى « ومن خاف مقام ربه جنتان ، ثم قال : « ومن دونهما جنتان ، دل على أن الجنان أربع لاسبع على ما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى .

باب صفة الجنة وما أعد الله لأهلها فيها

مسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخر آبله ما أطلعكم عليه ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ، بله : بمعنى غير . وقيل : اسم من أسماء الأفعال بمعنى دع . ابن ماجه عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لأصحابه : ألا مشمر للجنة ؟ بأن الجنة لا خطر لها ، هى ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وفاكهة كثيرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة فى مقام أبد فى جدة ونضرة ، فى دار عالية سليمة بهية ، قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله قال : قولوا إن شاء الله . ثم ذكر الجهاد وحض عليه .

الترمذى عن أبى هريرة قال : قلت يا رسول الله مم خلق الخلق ؟ قال : من الماء قلت : الجنة ما بناؤها ؟ قال : لبنه من فضة ، ولبنه من ذهب بلاطها المسك الأذفر ، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ، وتربتها الزعفران . من دخلها ينعم لا يبأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابهم ، ولا يفنى شبابهم . وذكر الحديث . وقال ليس لإسناده ذلك بالقوى ، وليس هو عندى بمتصل ، وقد روى هذا الحديث بإسناد آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم .

(قال المؤلف رحمه الله) خرجه أبو داود الطيالسى فى سنده قال : حدثنا إبراهيم بن معاوية ، عن سعيد الطائى ، قال : حدثنى أبو المدله ، مولى أم المؤمنين

أنه سمع أبا هريرة يقول : قلنا يا رسول الله لما إذا كنا عندك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة ، فإذا فارقتك وشئنا النساء والأولاد أعجبتنا الدنيا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أنكم تكونون إذا فارقتموني كما تكونون عندي لصاغتكم الملائكة بأكفها ولزارتكم في بيوتكم ، ولو كنتم لا تذبون لجاء الله بقوم يذبون كي يستغفروا فيغفر لهم . قلنا : يا رسول الله أخبرنا عن الجنة ، ما بناؤها ؟ قال : لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة ، وبلاطها المسك الأذفر ، وحصاؤها الدر والياقوت ، وترابها الزعفران ، من يدخلها يبقى لا يبأس ، ويخلد لا يموت ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه .

مسلم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن صياد : ما تربة الجنة ؟ قال درمكة بيضاء مسك يا أبا القاسم ، قال صدقت . وعنه أن ابن صياد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال : درمكة بيضاء مسك خالص .

ابن المبارك ، قال أخبرنا معمر عن قتادة ، عن العلاء بن يزيد ، عن أبي هريرة قال : حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ، ودرجها اللؤلؤ والياقوت ، قال : وكنا نحدث أن رضاختها اللؤلؤ ، وترابها الزعفران .

(قال المؤلف رحمه الله) كل هذا مرفوع حسب ما تقدم في هذا الباب ويأتي .

باب ما جاء في أنهار الجنة وجبالها

وما جاء في الدنيا منها

قال الله تعالى « مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى » . وروى أنها تجري في غير أخدود . منضبطة بالقدرة .

ويروى عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أنهار في الجنة تخرج من تحت تلال أو جبال مسك ، ذكره العقبلي . وذكر إسماعيل بن إسحق قال : حدثنا إسماعيل بن أبي إدريس ، قال : حدثني كثير بن عبد الله بن عمر بن

عوف ، عن أبيه ، عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربعة جبال من جبال الجنة ، وأربعة أنهار من أنهار الجنة ، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة قيل : فن الأجل ؟ قال : جبل أحد ، يجبنا ونجبه ، والطور : جبل من جبال الجنة ولبنان : جبل من جبال الجنة ، والجودي : جبل من جبال الجنة ، والأنهار : النيل والفرات ، وسيحان وجيحان والملاحم : بدر ، وأحد ، والخذق ، وخيبر وبالسند المذكور قال : غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم أول غزوة غزاها الأيواء حتى إذا كنا بالروحاء نزل بعرق الظبية فصلى بهم ، ثم قال : هل تدرؤن ما اسم هذا الجبل ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا خصيب جبل من جبال الجنة ، اللهم فبارك فيه وبارك لأهله ، وقال : للروحاء هذه سجاسج واد من أودية الجنة ، لقد صلى في هذا المسجد قبلي سبعون نبياً ، ولقد مر بها موسى عليه السلام ، عليه عباءتان قطونيتان على ناقه وردا في سبعين ألفاً من بني إسرائيل حتى جاء البيت العتيق ، الحديث . وسيأتي تمامه إن شاء الله تعالى .

الترمذي عن حكيم بن معاوية ، عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن في الجنة بحر الماء ، وبحر اللبن ، وبحر العسل ، وبحر الخمر ، ثم تنشق الأنهار بعد ذلك . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وحكيم بن معاوية هو والد بهز بن حكيم .

مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة ، وقال كعب بن نهر دجلة نهر بالجنة ، ونهر الفرات نهر لبنهم ، ونهر مصر نهر خرم ، ونهر سيحان نهر غسلهم ، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر .

وذكر البخاري من طريق شريك عن أنس في حديث الإسراء ؛ فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان ، فقال : ما هذان يا جبريل ؟ قال : النيل والفرات عنصرهما ، ثم مضى في السماء ؛ فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من اللؤلؤ والزبرجد فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر ، قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي خبا لك ربك .

باب منه

وما جاء في رفع هذه الأنهار آخر الزمان
عند خروج يأجوج ومأجوج ، ورفع القرآن والعلم

ذكر أبو جعفر النحاس قرىء على أبي يعقوب إسحق بن إبراهيم بن يونس ،
عن جامع بن سواده ، قال حدثنا سعيد بن سابق ، ثنا مسلمة بن علي ، عن مقاتل بن
حيان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أنزل
الله عز وجل إلى الأرض خمسة أنهار : سيحون وهو نهر الهند ، وجيحون وهو نهر
بلخ ؛ ودجلة والفرات وهما نهر العراق ، والنيل وهو نهر مصر ، أنزلها الله من
عين واحدة من عيون الجنة في أسفل درجة من درجاتها ، على جناحي جبريل عليه
السلام فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض ، وجعل فيها منافع للناس في
أصناف معاشهم ، وذلك قوله جل ثناؤه : وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه
في الأرض ، فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل رفع من
الأرض القرآن والعلم وجميع الأنهار الخمسة ؛ فيرفع ذلك إلى السماء ؛ فذلك قوله
تعالى : ولإنا على ذهاب به لقادرون ، فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض ؛ فقد
أهلها خير الدنيا والدين .

(قال المؤلف رحمه الله) رفع القرآن عند خروج يأجوج ومأجوج فيه نظر
وسياتي بيانه آخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

وروى عن المسعودي أنه قال : مد الفرات على عهد ابن مسعود فذكره الناس
مده ؛ فقال ابن مسعود : لا تسكرها مده فإنه سياتي زمان يلتمس فيه طست بماء
من ماء فلا يوجد ، وذلك حين يرجع كل ماء إلى عنصره ؛ فيكون بقية الماء
والعيون بالشام وسياتي بيان هذا إن شاء الله تعالى .

باب من أين تفجر أنهار الجنة

البخارى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة ، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها ، قالوا يا رسول الله : أفلا نبشر الناس ؟ قال إن في الجنة ، مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض ؛ فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة . خرجه ابن ماجه أيضا وغيره .

وقال أبو حاتم البستي معنى قوله : فإنه أوسط الجنة يريد في الارتفاع ، وقال قتادة : الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأعلاها وأفضلها وأرفعها ، وقد قيل : إن الفردوس اسم يشمل جميع الجنة ، كما أن جهنم اسم لجميع النيران كلها ، لأن الله تعالى مدح في أول سورة المؤمنين أقواما وصفهم ، ثم قال « هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » ثم أعاد ذكرهم في سورة المعارج فقال « أولئك في جنات مكرمون » ، فعلينا أن الفردوس جنات لاجنة واحدة ، قاله وهب ابن منبه .

باب ما جاء أن الخمر شراب أهل الجنة

ومن شربه في الدنيا لم يشربه في الآخرة

وفي لباس أهل الجنة وآيتهم

النسائي عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من لبس الخمر في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الآخرة ، ومن شرب في أنية الذهب والفضة لم يشرب بها في الآخرة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لباس أهل الجنة وشراب أهل الجنة وآنية أهل الجنة .

(فصل) قال المصنف رحمه الله - إن قال قائل - قد سوى النبي صلى الله

عليه وسلم بين الاشياء الثلاثة وأنه يحرمها في الآخرة ، فهل يحرمها إذا دخل الجنة ؟ قلنا : نعم ! إذا لم يتب منها ، لقوله عليه الصلاة والسلام : من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة ، خرجه مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك لا لبس الحرير ، ومن أكل في آنية الذهب والفضة ، أو شرب فيها لاستعجاله ما أخر الله له في الآخرة ، وارتكاب ما حرم الله عليه في الدنيا .

وقد روى أبو داود الطيالسي في مسنده قال : حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن داود السراج ، عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ، وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو . وهذا نص صريح ، وإسناده صحيح . فإن كان وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فهو الغاية في البيان ، وإن كان من قول الراوي على ما ذكر أنه موقوف ، فهو أعلم بالمقال ، وأقعد بالحال ، ومثله لا يقال من جهة الرأي ، وسيأتي لهذا الباب مزيد بيان .

باب ما جاء في أشجار الجنة

وفي ثمارها وما يشبه ثمر الجنة في الدنيا

الترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، اقرءوا إن شئتم ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ، وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، وقرءوا إن شئتم ، وظل ممدود ، وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها ، وقرءوا إن شئتم ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

ابن المبارك ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو قال مائة سنة ، وهي شجرة الخلد ، قال : (٢٩ - تذكرة)

وأخبرنا ابن أبي خلدَةَ ، عن زياد مولى بنى مخزوم ، سمع أبا هريرة يقول : في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة . واقروا ان شتم ، وظل عمود ، فبلغ ذلك كعباً فقال صدق والذي أنزل التوراة على لسان موسى بن عمران والفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم لو أن رجلاً ركب حقة أو جذعة ثم دار في أصل تلك الشجرة ما يبلغها حتى يسقط هرما ان الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا ويخرج من أصل تلك الشجرة . الترمذى عن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكر له سدرة المنتهى قال يسير الراكب في ظل الفتن منها مائة سنة أو يستظل بظلها مائة ركب — شك يحيى — فيها فراش الذهب — كأن ثمرها القلال . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وذكر عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما رفعت لى سدرة المنتهى في السماء السابعة . نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل آذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ، ونهران باطنان ، قلت : يا جبريل ما هذا ؟ قال : أما الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران ، فالنيل والفرات .

(قال المؤلف رحمه الله) كاه لفظ مسلم لإلا قوله نبقها مثل قلال هجر . أخرجه الدارقطنى فى سننه ، قال : حدثنا أبو بكر النيسابورى حدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا عبد الرزاق فذكره .

وخرج البخارى أيضا من حديث قتادة قال : حدثنا أنس بن مالك عن مالك ابن صعصعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحديث حديث الإسماء وفيه : ورفعت لى سدرة المنتهى فاذا نبقها كأنه قلال هجر وورقها كأنه آذان الفيلة وفى أصلها أربعة أنهار : نهران ظاهران ، ونهران باطنان . وذكر الحديث وفى حديث ابن مسعود سدرة المنتهى : صبر الجنة ، قال أبو عبيدة : صبرها أعلاها . وكذلك صبر كل شىء أعلاه ، والجمع : أصبار .

قال النمر (١) بن تولب : يصف روضة :

غرست وباكرها الربيع بديعة وطفاء تملؤها إلى أصبارها

يعنى إلى أعاليها وهي جماعة للصبر ، وقال الآخر : الصبر جانب الشيء ، وفيه

الغتان : صبر ، وبصر ، كما قالوا : جذب وجذب ، وقال أبو عبيد : وقول أبي عبيدة

تعجب - إلى أن يكون في أعلاها من أن يكون في جانبها . ابن المبارك قال

حدثنا صفوان عن سليم بن عامر قال : كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

يقولون : إنه لتنفعنا الأعراب ومسائلهم قال : أقبل أعرابي يوماً ، فقال يا رسول

الله : لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أرى في الجنة شجرة

تؤذى صاحبها ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما هي ؟ قال السدر

فإن له شوكة مؤذية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو ليس يقول الله

تعالى : في سدر مخضود ، نخضد شوكة فجعل مكان كل شوكة ثمرة ، فإنها

تثبت ثمراً ، نفتق عن الثمر منها على اثنين وسبعين لونا طعام ما فيه لون يشبه

الآخر ، ويروى . الثمر بالثناء باثنين فيها كلها ، قاله أبو محمد عبد الحق .

وذكر عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن يحيى بن أبي كثير عن عمرو بن يزيد

البكالي عن عتبة بن عبد السدي قال : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم

فسأله عن الجنة وذكر له الحوض فقال فيها فاكهة قال : نعم فيها شجرة

تدعى طوبى ، قال يا رسول الله أى شجر أرضنا يشبهه ؟ قال : لا يشبهه شيء من

شجر أرضك ، أتيت الشام ؟ هناك شجرة تدعى الجوزة تثبت على ساق

(١) النمر بن تولب من عكل شاعر مقل مخضرم . وهو أحد أجواد العرب

المذكورين وفرسانهم . وكان يسمى السكيس لحسن شعره . وقد أدرك الإسلام

وأسلم وهو القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

أنا أتيناك وقد طال السفر نقود خيلا ضمرا فيها عسر

نطعمها الشحم إذا عز الشجر والخيل في أطعمها اللحم ضرر

الشحم يعنى اللبن - والبیت يروى أيضاً

عزبت وباكرها الشق بديعة اه أحمد محمد مرسي

ويفرش أعلاها ، قال يارسول الله : فاعظم أصلها ؟ قال : لو ارتحلت جذعة من
إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر رقوقها هرما ، قال فهل فيها عنب ؟ قال :
نعم ! قال : فاعظم العنقود منها ؟ قال : مسيرة الغراب شهرا لا يقع ولا يفر ، قال :
فما عظم الحبة منها ؟ قال : أما عمد أبواك وأهلك إلى جذعة فذبحوها وسلخ إهابها ؟
فقال : افروا لنا منها دلوا ، فقال يارسول الله : إن تلك الحبة لتتبعني وأهل بيتي ؟
قال نعم وعامة عشيرتك ، ذكره أبو عمر في - التمهيد - بإسناده وهو إسناد صحيح .
وذكر مسلم من حديث ابن عباس في صلاة الكسوف ، قالوا يارسول الله :
رأيناك تناوات في مقامك شيئا ، ثم رأيناك تكلمت ؟ فقال : إني رأيت الجنة
فتناولت منها عنقودا ، ولو أخذته لأكلتم منها ما بقيت الدنيا ، تكلمت ؛ وهناك
تأخرت ، يقال منه : كع يكع كعوعا تأخر ، والسكع : الضعيف العاجز ، قال الشاعر :
ولسكني أمضى على ذلك مقدا إذا بعض من لاقى الخطوب تكلمها

وذكر ابن المبارك حدثنا المسعودي عن عمرو بن مره عن أبي عبيدة
قال : نخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها ، وثمرها كأثمار القلال ، كلها نزع
ثمرة عادت مكانها أخرى ، وإن ماءها ليجرى في غير أخدود ، والعنقود اثنا عشر
ذراعا ، ثم أتى على الشيخ فقلت : من حدثك بهذا ؟ قال : مسروق و ذكر ابن
وهب من حديث شهر بن حوشب ، عن أبي أمامة الباهلي قال : طوبى شجرة في
الجنة ! ليس منها دار إلا فيها غصن منها ، ولا طير حسن إلا وهو فيها ، ولا ثمرة
إلا هي فيها ، وذكر الخطيب أبو بكر أحمد عن إبراهيم بن نوح قال : سمعت
مالك بن أنس يقول : ليس في الدنيا من ثمارها شيء يشبه ثمار الجنة إلا الموز
لأن الله تعالى يقول : أكلها دائم وظلها ، وإننا نجد الموز في الشتاء والصيف .
وذكر الثعلبي بإسناده من حديث الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير قال : حدثني
الثقة عن أبي ذر ، قال : أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم طبق من تين ، فأكل منه
وقال لأصحابه : كلوا ، فلو قلت إن فاكهة نزلت من السماء قلت : هذه ، لأن
فاكهة الجنة بلا عجم ، فكلوها فإنها تقطع الواسير وتنفع من النقرس ، ذكره
القشيري أبو نصر وهذا أنهم .

ورأيت بخط الفقيه الإمام المحدث أبي الحسن علي بن خلف الكوفي أبي شيخنا
أبي القاسم عبد الله وحدث حديثاً عليه سماع جماعة على أبي الفرج محمد بن أبي
حاتم محمود بن أبي الحسن القزويني في ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وأربعمائة
قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن زيد الجعفرى في شوال سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة
قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا يحيى بن الحسين الحسيني قال حدثنا عقيل بن
سمير حدثنا علي بن حماد الغازي حدثنا عباس بن حميد قال : حدثنا
أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضميرة عن علي رضي الله عنه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا على تفكروا بالبطيخ وعظموه فإن
مائه من الجنة وحلاوته من حلاوة الجنة وما من عبد أكل منها لقمة إلا أدخل
الله جوفه سبعين دراهم وأخرج منه سبعين داهم وكتب الله له بكل لقمة عشر
حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ثم تلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأنبأنا عليه شجرة من يقطين، قال: الدباء والبطيخ من الجنة (١)

باب في كسوة الجنة وكسوة أهلها

قال الله تعالى « ويلبسون ثيابا خضرا من سندس (٢) واستبرق ، وقالوا لبأسهم
فيها حرير ،

وذكر ابن هناد السرى قال : حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحاق عن
أبراهم بن عازب قال : أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم سرقة (٣) من حرير
فجعلوا يتداولونها بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنعجبون منها ؟
قالوا : نعم يا رسول الله : قال والذي نفسى بيده لما ديل سعد بن معاذ في الجنة
خير منها ، قال هناد بن السرى : وحدثنا قبيصة عن حماد بن سلمة عن محمد بن
عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ أن عطارد بن حاجب أهدى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ثوبا من ديباج كساه إياه كسرى فاجتمع إليه الناس فجعلوا

(١) هذا الخبر وأمثاله موضوع لأصل له . أحمد محمد مرسي

(٢) السندس رقيق الديباج والاستبرق غايظه (٣) شقة بيضاء جيدة

يلبسونه ويهجنون ويقولون يا رسول الله : أنزل عليك هذا من السماء ؟ فقال :
ما تعجبون ! فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير من هذا ،
يا غلام اذهب بهذا إلى أبي جهم وجئتنا بأنبجانيته .

باب ماجاء أن شجر الجنة وثمارها تنفتق عن ثياب الجنة

وخيلها ونجبها

ابن المبارك أخبرنا معمر عن الأشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب
عن أبي هريرة قال : في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله تعالى : تنفتق
لعبدى ما شاء فتفتق له عن فرس بسرجه ولجامه وهيأته كما يشاء وتنفتق له عن
الراحلة برحلتها وزمامها وهيأتها كما يشاء ، وعن النجائب والثياب .

النسائي ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذ جاء رجل فقال يا رسول الله : أخبرنا عن ثياب أهل الجنة ، أخلقوا
تخلق ، أو نسجاً تنسج ؟ فضحك بعض القوم . فقال : مم تضحكون ؟ إن جاهلا
يسأل علماً ، فجلس يسيرا أو قليلاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين
السائل عن ثياب الجنة ؟ فقالوا : هاهو ذا يا رسول الله ، قال : لا . بل تنفتق عنها
ثمر الجنة ، قالها ثلاثاً : والله أعلم

باب ليس في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب

الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما في الجنة
شجرة إلا وساقها من ذهب قال حديث حسن غريب وسيأتي لهذا مزيد بيان
أنفا في الباب بعد هذا إن شاء الله تعالى اه :

باب ماجاء في نخيل الجنة وثمرها وخيرها

ابن المبارك ، قال أخبرنا سفيان عن حماد بن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال : نخيل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكر بها ذهب أحمر وسقفها كسوة
لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحلهم وثمرها أمثال القلال . والدلاء أشد بياضاً
من اللبن وأحلى من العسل ، وألين من الزبد ليس فيها عجم .

ابن وهب ، قال : وحدثنا ابن زيد قال قال رجل يا رسول الله . هل في الجنة من نخل فأني أحب النخل ؟ قال : أي والذي نفسي بيده لها جذوع من ذهب ، وكرانيف من ذهب ، وجريد من ذهب ، وسعف كأحسن حلل يراها امرؤ من العالمين ، وعراجين من ذهب وشماريخ وكرانيف من ذهب وأقلام من ذهب وثمارها كالقلال ، ألين من الزبد وأحلى حلاوة من العسل . وذكر أبو الفرج ابن الجوزي ، عن جرير بن عبد الله البجلي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخذ عودا بيده فقال : يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده . قال فقلت فأين النخل والشجر ؟ قال : أصولها اللؤلؤ والذهب ، وأعلىها الثمر .

باب الزرع في الجنة

البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يوماً يحدث وعنده رجل من أهل البادية أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع فقال له : أو لست فيما شئت ، قال : بلى ! ولكني أحب أن أزرع فأسرع وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال ؛ فيقول الله : دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبهك شيء فقال الأعرابي يا رسول الله : لا تجرد هذا إلا قرشياً أو أنصاريأ . فإنهم أصحاب زرع ، فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

باب ما جاء في أبواب الجنة وكما هي ولما هي

وفي تسميتها وسعتها

قال الله تعالى : حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ، قال جماعة من أهل العلم هذه وأبو الثمانيه فللجنة ثمانية أبواب . واستدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام : وما منكم من أحد يتوضأ فيباغ أو فيسبغ الوضوء ، ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء . رواه عمر بن الخطاب ؛ أخرجه مسلم .

وجاء في تعيين هذه الأبواب لبعض العلماء كما جاء في حديث الموطأ وصحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أنفق

زوجين^(١) في سبيل الله نودي في الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة
دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان
من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب
الريان؛ فقال أبو بكر: يا رسول الله ما على أحد يدعى من هذه الأبواب من
ضرورة فهل يدعى أحد من هذه الأبواب؟ قال: نعم! وأرجو أن تكون منهم.
قال القاضي عياض: ذكر مسلم في هذا الحديث من أبواب الجنة أربعة وزاد
غيره بقية الثمانية فذكر منها: باب التوبة، وباب الكاظمين الغيظ، وباب الراضين،
وباب الايمن الذي يدخل منه من لا حساب عليه.

(قال المؤلف رحمه الله) فذكر الترمذي الحكيم أبو عبد الله أبواب الجنة في
[نوادير الأصول] فذكر باب محمد صلى الله عليه وسلم، وهو باب الرحمة، وهو
باب التوبة، فهو منذ خلقه الله مفتوح لا يغلاق؛ فإذا طلعت الشمس من مغربها
أغلق فلم يفتح إلى يوم القيامة، وسائر الأبواب مقسومة على أعمال البر. فباب منها
للصلاة، وباب للصوم، وباب للزكاة والصدقة، وباب للحج، وباب للجهاد،
وباب للصلاة، وباب للعمرة، فزاد باب الحج، وباب العمرة، وباب الصلة،
فعلى هذا أبواب الجنة أحد عشر باباً.

وقد ذكر الأجرى أبو الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
قال: إن في الجنة باباً يقال له باب الضحى فإذا كان يوم القيامة ينادى مناد أين
الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى؟ هذا بابكم فادخلوه، ذكره في كتاب
[النصيحة] ولا يبعد أن يكون لنا ثالث عشر على ما ذكره أبو عيسى الترمذي
عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: باب أمي
الذين يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المجرد^(٢) ثلاثاً، ثم إنهم ليضغطون
عليه حتى تكاد مناكبهم تزول. قال الترمذي: سألت محمداً، يعني البخاري عن

(١) أي صنفين من أي نوع كان كروانتي لإمكان التكاثر بينهما والله أعلم بفضله. أحمد مرسى
(٢) المجرد: أي الحاذق في الفروسية وقوله ثلاثاً يجتمل في الأيام أو الشهور أو
سنى الأعوام. أحمد محمد مرسى.

هذا الحديث فلم يعرفه ، وقال لخالد بن أبي بكر منا كير عن سالم بن عبد الله .
(قال المؤلف رحمه الله) فقولہ باب امتی بدل علی أنه لساثر أمته ، فمن لم يغلب
عليه عمل يدعى به ، وعلى هذا يكون ثاثة عشر ، ولهذا يدخلون مزدحمين ، وقد
تقدم أن أكثر أهل الجنة البله فالله أعلم .

وعما يدل على أنها أكثر من ثمانية حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأصبح الوضوء ثم قال أشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صادقا من نفسه أو
قلبه ، شك أيهما قال فتح له من أبواب الجنة ثمانية أبواب يوم القيامة ، يدخل
من أيها شاء . خرجه الترمذي وغيره . قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب
(التمهيد) هكذا قال فتح له من أبواب الجنة ، وذكر أبو داود والنسائي وابن
سنجر فتحت له أبواب الجنة الثمانية ، ليس فيها ذكر من ؛ فعلى هذا أبواب الجنة
ثمانية كما قالوا .

(قال المؤلف رحمه الله) قد ذكرنا أنها أكثر من ثمانية وبالله توفيقنا ، وأما
كون الواو في وفتحت أبوابها ، واو الثمانية ، وأن أبواب الجنة كذلك ثمانية
أبواب فقد جاء ما يدل على أنها ليست كذلك في قوله تعالى « هو الله الذي لا إله
إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، غفلوا المتكبر
وهو ثامن إسم من الواو يدل على بطلان ذلك القول وتضعيفه . وقد بيناه في
سورة براءة ، والكهف من كتاب (جامع أحكام القرآن) والحمد لله .

وقد خرج مسلم ، عن خالد بن عمير ، قال : خطبنا عتبة بن غزوان ، وكان
أميراً على البصرة فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر الحديث على ما تقدم ، وفيه : ولقد
ذكر لنا أن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة ، وليأتين عليه
يوم وهو كظيظ من الزحام ، الحديث .

وخرج عن أنس في حديث الشفاعة ، والذي نفس محمد بيده إن ما بين
المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر ، أو كما بين مكة وبصرى وخرج
عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يدخلن الجنة من امتي
سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف ، لا يدري أبو حازم أيهما قال متمسكون آخذ
بعضهم بعضاً ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة

البدر فهذه الأحاديث مع ضحيتها تدل على أنها أكثر من الثمانية إذ هي غير ما تقدم — فيحصل منها والحمد لله على هذا ستة عشر باباً .

وقد ذكر الإمام أبو القاسم عبد الكريم القشيري في كتاب (التحبير) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الخلق الحسن طوق من رضوان الله عز وجل في عنق صاحبه ، والطوق مشدود إلى سلسلة من الرحمة ، والسلسلة مشدودة إلى حلقة من باب الجنة ، حيث ما ذهب الخلق الحسن جرت السلسلة إلى نعيمها تدخله من ذلك الباب إلى الجنة والخلق السوء : طوق من سخط الله في عنق صاحبه والطوق مشدود إلى سلسلة من عذاب الله ، والسلسلة مشدودة من باب النار ، حيث ما ذهب الخلق السوء جرت السلسلة إلى نفسها تدخله من ذلك الباب إلى النار وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال للجنة باب يقال له الفرع ، لا يدخل منه إلا من فرح الصبيان .

(فصل) قوله من أنفق زوجين في سبيل الله ، قال الحسن البصري : يعني إثنين من كل شيء : دينارين ، درهمين ، ثوبين ، نفسين ، وقيل : يريد شيتين ديناراً ودرهماً ، درهماً وثوباً ، خفاً ولجاماً ونحو هذا . وقال الباجي ، يحتمل أن يريد بذلك العمل من صلاتين أو صيام يومين .

(قال المؤلف رحمه الله) والأول من التفسير أولى ، لأنه مروى عن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم : وذكر الآجري ، عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أنفق زوجين في سبيل الله ابتدرته حجة الجنة ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : بعيرين درهمين ، قوسين ، نعلين ، وأما ما جاء من سعة أبواب الجنة فيحتمل أن يكون بعضها سمته كذا ، وبعضها سمته كذا كما ورد في الأخبار فلا تعارض والحمد لله .

باب منه

روى البخاري ومسلم ، عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن في الجنة باباً يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون فيدخلون منه ، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد .

(قال المؤلف رحمه الله) وهكذا والله أعلم سائر الأبواب المختصة بالأعمال .

وجاء في حديث أبي هريرة إن من الناس من يدعى من جميع الأبواب ، فقيل :
ذلك الدعاء دعاء تنويه وإكرام وإعظام ثواب العاملين تلك الأعمال إذ قد
جمعها ونيله ذلك ، ثم يدخل من الباب الذي غلب عليه العمل ، وفي صحيح مسلم
عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أصبح منكم اليوم
صائماً ؟ قال : أبو بكر : أنا ، قال : فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا
قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ قال أبو بكر : أنا ، قال : فمن عاد منكم اليوم
مريضاً ؟ قال أبو بكر : أنا ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اجتمعن في
امريء إلا دخل الجنة :

باب منه

خرج أبو داود الطيالسي في مسنده قال : حدثنا جعفر بن الزبير الحنفي :
عن القاسم مولى يزيد بن معاوية ، عن أبي امامة قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : انطلق برجل إلى باب الجنة فرفع رأسه فإذا على باب الجنة مكتوب
الصدقة بعشر أمثالها ، والقرض الواحد بثمانية عشر ، لأن صاحب القرض
لا يأتيك إلا وهو محتاج (١) ، والصدقة ربما وضعت في غنى ، خرجه ابن ماجه
في السنن ، قال : حدثنا عبيد الله بن عبد الكريم حدثنا هشام بن خالد حدثنا
خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : رأيت ليلة أسرى بي على باب الجنة مكتوب الصدقة بعشر
أمثالها ، والقرض بثمانية عشر ؛ فقلت لجبريل : ما بال القرض أكثر من الصدقة ؟
قال لأن السائل يسأل وعنده والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة .

باب ما جاء في درج الجنة وما يحصلها للمؤمن

الترمذي رحمه الله ، عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول

(١) قوله لأن صاحب القرض الخ مدرج من كلام بعض الفقهاء بينه مكى
ابن إبراهيم قاله السيوطي في المدرج وكأنه أخذه في الحديث بعده . احمد محمد مرسي

الله صلى الله عليه وسلم يقول : الجنة مائة درجة ، كل درجة منها ما بين السماء والارض وإن أعلاها الفردوس وأوسطها الفردوس وإن العرش على الفردوس ، منها تفجر أنهار الجنة : فإذا سألتهم الله فأسأله الفردوس ، قال الترمذى عطاء هذا لم يدرك معاذ بن جبل .

(قال المؤلف رحمه الله) قد خرج البخارى من حديث أبي هريرة رضى الله عنه كما تقدم ، فهو صحيح متصل .

وذكر ابن وهب قال : أخبرني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم أنه سمع عتبة ابن عبيد الصفي يذكر عن حدثه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله : كم في الجنة من درجة ؟ قال : مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض أول درجة منها دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من فضة والدرجة الثانية دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من ذهب ، والدرجة الثالثة دورها وبيوتها وأبوابها وسررها ومغاليقها من ياقوت ولؤلؤ وزبرجد ، وسبع وتسعون درجة لا يعلم ما هي إلا الله .

الترمذى عن أبي سعيد الخدرى ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن في الجنة مائة درجة لو أن العالدين اجتمعوا في إحداهن لو سعتهم ، قال هذا حديث غريب . ابن ماجه ، عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد : فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه . وخرجه أبو داود ، عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتنق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها ، وذكر أبو حفص عمر ابن عبد المجيد القرشى الميائسى في كتاب [الاختبار في الملح من الاخبار والآثار] عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : درج الجنة على عدد آي القرآن ، لكل آية درجة : فتلك ستة آلاف ومائتا آية وستة عشر آية . بين كل درجتين مقدار ما بين السماء والارض ، وينتهي به إلى أعلى عطين ، لها سبعون ألف ركن .

وهي باقوته نضى مسيرة أيام وليالي . وقالت عائشة رضى الله عنها أن عدد آى القرآن على عدد درج الجنة ، فليس أحد دخل الجنة أفضل من قرأ القرآن ذكره مكي رحمه الله .

(فصل) قال علاؤنا رحمة الله عليهم : حملة القرآن وقراؤه هم العاملون بأحكامه وبجلاله وحرامه والعاملون بما فيه . وقال مالك : قد يقرأ القرآن من لا خير فيه ، وقد تقدم حديث العباس بن عبد المطلب فى أبواب النار ، وحديث أبى هريرة فيمن تعلم العلم وقرأ القرآن عجباً ورياء ، ما فيه كفاية لمن تدبر .

وروى أبو هذبة إبراهيم بن هذبة قال : حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تعلم القرآن ولم يأخذ بما فيه وحرفته كان عليه شهيدا ودليلا إلى جهنم ، ومن تعلم القرآن وأخذ بما فيه كان له شهيدا ودليلا إلى الجنة ، وفى البخارى : مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة ، طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذى لا يقرأ القرآن ويعمل به كالثرة طعمها طيب ولا ربح لها ، وذكر الحديث . وقد أشبعنا القول فيه فى قارىء القرآن وأحكامه فى كتاب [التذكار فى فضل الأذكار] وفى مقدمة : جامع أحكام القرآن ما فيه كفاية والحمد لله . وقد تقدم أن فى الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين فى سبيله فالجهاد يحصل مائة درجة ، وقراءة القرآن تحصل جميع الدرجات ؛ والله المستعان على ذلك والإخلاص فيه بمنه وفضله .

باب ما جاء فى غرف الجنة ولمن هى

قال الله تعالى : لکن الذين اتقوا ربهم لهم غرف مبنية ، الآية . وقال : إلامن آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف ^(١) بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون ، وقال : أولئك يجزون الغرفة بما صبروا .

(١) من إضافة المصدر إلى المفعول أصله فأولئك لهم أن يجازوا الضعف . الواحد عشرا فما فوقها اه . أحمد محمد مرسي

وروى مسلم عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدرى الغائر فى الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم ، قالوا يا رسول الله : تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال : بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين .

وخرج الترمذى الحكيم أخبرنا صالح بن محمد قال : حدثنا سليمان بن عمرو عن أبى حازم عن سهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ، وقوله وهم فى الغرفات آمنون ، قال الغرفة من ياقوتة حراء أو زبرجدة خضراء أو درة بيضاء ليس فيها فصم ولا وصل وإن أهل الجنة ليتراءون الغرفة منها كما تراءون الكوكب الشرقى أو الغربى فى أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنهما : قال وحدثنا صالح بن عبد الله وقتيبة بن سعيد وعلى بن حجر قالوا حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن المتحابين فى الله تعالى اهلى عمود من ياقوتة حراء فى رأس العمود سبعون ألف غرفة يضىء حسنهم أهل الجنة كما تضىء الشمس أهل الدنيا يقول أهل الجنة بعضهم لبعض انطلقوا بنا حتى ننظر إلى المتحابين فى الله عز وجل فإذا أشرفوا عليهم أضاء حسنهم أهل الجنة كما تضىء الشمس أهل الدنيا عليهم ثياب خضر من سندس مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل .

وذكر الثعلبى من حديث أبى عمران بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أهل عليين لينظرون إلى الجنة فإذا أشرف رجل من أهل عليين أشرفت الجنة لضياء وجهه فيقولون ما هذا النور ؟ فيقال أشرف رجل من أهل عليين الأبرار أهل الطاعة والصدق .

وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن أهل الغرف ليتراءون عليين كما تراءون الكوكب الدرى فى أفق السماء وأن أبا بكر وعمر منهم وأنهما ذكره الثعلبى .

الترمذى عن على ورضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن

في الجنة انظر فإرى ظهورها من بطونها وبتونها من ظهورها فقام إليه أعرابي فقال : لمن هي يا رسول الله ؟ قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام .

وذكر أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن واسع عن الحسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال : ألا أخبركم بغرف الجنة ؟ ثرثراً من ألوان الجواهر يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، فيها من النعيم والثواب والكرامات ما لا أذن سمعت . ولا عين رأت ، فقلنا : بأيننا أنت وأمننا يا رسول الله . فزجرت ؟ فقال : لمن أفشنا السلام ، وأدام الصيام . وأطعم الطعام ، وصلى والناس نيام . فقلنا : بأيننا أنت وأمننا يا رسول الله ، ومن يطيق ذلك ؟ فقال : أمتي تطيق ذلك ، وسأخبركم من يطيق ذلك ، من لقي أخاه المسلم فسلم عليه فقد أفشى السلام ، ومن أطعم أهله وعباله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ، ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ، ومن صلى العشاء الآخرة في جماعة فقد صلى والناس نيام : اليهود ، والنصارى والمجوس .

(فصل) اعلم أن هذه الغرف مختلفة في العلو والصفة بحسب اختلاف أصحابها في الأعمال ، فبعضها أعلى من بعض وأرفع . وقوله الغائر من المشرق أو المغرب يروى بالياء اسم فاعل ، من غار . وقد روى مسلم في غير الغارب بتقديم الراء ، والمعنى واحد . وروى الغار بالياء بواحدة ، ومعناه الذهب أو الباقى ، فإن غير من الأضداد ، يقال غير إذا ذهب ، وغير إذا بقي ، ويعنى به أن الكركب حالة طلوعه وغروبه بعيد عن الإبصار فيظهر صغيراً لبعده ، وقد بينه بقوله من المشرق أو المغرب . وقد روى العازب بالعين المهملة والزاي ، أى البعيد . ومعانيها كلها متقاربة المعنى ، وقوله والذي نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ولم يذكر عملاً ولا شيئاً سوى الإيمان والتصديق للمرسلين ، ذلك ليعلم أنه عنى الإيمان البالغ وتصديق المرسلين من غير سؤال آية ولا تلجج ، وإلا فكيف تنال الدرجات بالإيمان والتصديق الذى للعامّة ، ولو كان كذلك كان جميع الموحدين

في أعالي الغرفات وأرفع الدرجات وهذا محل ، وقد قال الله تعالى : أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ، والصر بذل النفس والثبات له وقوفا بين يديه بالقلوب عبودية وهذه صفة المقربين . وقال في آية أخرى : وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون ، فذكر شأن الغرفة وأنها لا تنال بالأموال والأولاد وإنما تنال بالإيمان والعمل الصالح ، ثم بين لهم جزاء الضعف وأن محامهم الغرفات ، يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة وتعاق قلب به مطمئتنا به في كل ما نابه ، وبجميع أموره وأحكامه ، فإذا عمل عملا صالحا فلا يخلطه بفساده وهو الفاسد . فلا يكون العمل الصالح الذي لا يشوبه فساد إلا مع إيمان بالغ مطمئن صاحبه بمن آمن وبجميع أموره وأحكامه ، والمخلط ليس بإيمانه وعمله هكذا : فلهذا كانت منزلته دون غيره .

(قال المؤلف رحمه الله) ذكره الترمذى الحكيم رحمة الله عليه وهذا واضح بين ، وقد قال تعالى : إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا ، وقال : ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا ، وقال : ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ، فلما باين بين الأبرار والمقربين في الشراب على ما بآنى بيانه ، باين بينهم في المنازل والدرجات وأعالي الغرفات حسب ما باين بينهم في الأعمال الصالحات والاجتهاد في الطاعات قال الله تعالى : كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين ، فيجهد الإنسان ان يكون من الأبرار المقربين ليكون في عليين وأصحاب عليين جلساء الرحمن وهم أصحاب المنابر من النور في المقعد الصدق وقال تعالى : فأما من أوتى كتابه بيمينه فهو في عيشة راضية في جنة عالية ، فأصحاب اليمين في علو الجنان أيضا وجميعها عوالي وجنات المقربين جميعها علالي وإحداهن عليه ، كقول الشاعر

الأياعين ويحك أسعدني بغزر الدمع في ظلم الليالي
لملك في القيامة أن تفوزى بخير الدار في تلك العلالى

باب منه

روى من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن في الجنة لغرفاً ليس لها مغاليت من فوقها ولا عماد من تحتها ، قيل يا رسول الله : وكيف يدخلها أهلها ؟ قال : يدخلونها أشباه الطير ، قيل : هي يا رسول الله لمن ؟ قال : لأهل الآسقام والأوجاع والبلوى ، خرجه أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد الشحامى .

باب منه

روى الليث بن سعد قال : حدثنا محمد بن عجلان أن وافد النضرى أخبره عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليؤتىن برجال يوم القيامة ليسوا بأزبياء ولا شهداء تغبطهم الأنبياء والشهداء بمنزلهم من الله ، يكونون على منابر من نور ، قالوا : ومن هم يا رسول الله ؟ قال هم الذين يحبون الله إلى الناس ويحبون الناس إلى الله ويمشون في الأرض نصحاء قلنا يا رسول الله هذا يحبون الله إلى الناس فكيف يحبون الناس إلى الله قال يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فإذا أطاعوهم أحبهم الله تعالى .

باب

ما جاء في قصور الجنة ودورها وبيوتها وبما ينال ذلك المزمين .
خرج الأجرى عن الحسن قال سألت عمران بن حصين وأبا هريرة رضى الله عنهما عن تفسير هذه الآية «ومساكن طيبة» فقالا على الخبر سئمت سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر من لوزة في الجنة في ذلك القصر سبعون داراً من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتاً من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفاً ووصيفة فيعطى الله تبارك وتعالى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله ذكره في كتاب النصيحة (١) . وذكر ابن وهب

(١) ظاهر الوضع

(م - ٣٠ تذكرة)

قال أخبرنا ابن زيد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ليجا بالرجل الواحد بالقصر من التؤلوة الواحدة في ذلك القصر سبعون غرفة في كل غرفة زوجة من الحور العين في كل غرفة سبعون بابا يدخل عليه من كل باب رائحة من رائحة الجنة سوى الرائحة التي تدخل عليه من الباب الآخر وقرأ قول الله عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين . الترمذي عن بريد بن الحنصيص قال أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال يا بلال بما سبقتني إلى الجنة. فادخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك أمامي فأبيت على قصر مربع مشرف من ذهب فقلت لمن هذا القصر قالوا لرجل عربي فقلت أنا عربي لمن هذا القصر قالوا لرجل من قريش قلت أنا قرشي لمن هذا القصر قالوا لرجل من أمة محمد قلت أنا محمد لمن هذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب فقال بلال يا رسول الله ما أذنت قط إلا صليت ركعتين وما أصابني حدث إلا توضأت عنده ورأيت أن الله تعالى على ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما قال حديث حسن صحيح وخرج المبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد مختصراً من حديث أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة إذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا فقالوا لعمر بن الخطاب . وذكر الدارمي أبو محمد في مسنده قال حدثنا عبد الله بن بريد قال حدثنا حيوة قال أخبرني أبو عقيل أنه سمع سعيد بن المسيب يقول أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى له قصر في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى له قصران في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى له ثلاث قصور في الجنة. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا تكلمت قصورنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أوسع من ذلك قال الدارمي أبو عقيل زاهر بن معبد زعموا أنه كان من الأبدال وقد تقدم من حديث سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل دار النهداء أو دار المزمين وخرج أبو داود الطيالسي قال حدثنا حماد ابن زيد عن أبي سنان قال دنت ابنى سنان وأبو طلحة الخولاني على شفير القبر فقال حدثني النجاشي بن عبد الرحمن عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قبض الله عز وجل ابن العبد قال لله لائمه ماذا قال عبدي قالوا حمدك وارجع قال ابنو له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد .

باب ما جاء في قوله تعالى وفرش مرفوعة

الترمذى عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها لكما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد . وقال بعض أهل العلم في تفسير هذا الخبر الفرش في الدرجات وبين الدرجات كما بين السماء والأرض قال المزيلى رحمه الله وقد قيل أن الفرش كناية عن النساء اللواتى في الجنة والمعنى ونساء مرتفعات الأقدار في حسنهن وكاملهن والعرب تسمى المرأة فراشاً ولباساً وأزاراً ونعجة على الاستعارة لأن الفرش محل النساء وفي الحديث الولد للفراش وللعاهر الحجر وقال الله تعالى وهن لباس لكم، الآية وقال وأن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة .

باب ما جاء في خيام الجنة

وأسواقها وتعارف أهل الجنة في الدنيا وعبادتهم فيها

مسلم عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الجنة خيمة من لؤلؤة بجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل للؤمن ما يرون الآخريين يطوف عليهم المؤمن في رواية . قال الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل للؤمن ما يرون الآخريين . وخرج مسلم أيضاً عن أنس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال^(١) نتحشوا في وجودهم وثيابهم المسك فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهلهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلهم والله لقد ازدادتم بعدنا حسناً وجمالاً الترمذى عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة أسأل الله أن يجمع بينى وبينك في سوق الجنة . فقال سعيد أنها سوق قال نعم وذكر الحديث وفيه فتأتى سوقاً قد حفت به الملائكة . فيه ما لم تنظر العيون إلى

(١) خصت لأنها ريح المطر والرحمة .

مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا ما اشتبهنا ليس يباع فيها ولا يشتري وفي ذلك السوق يلتقي أهل الجنة بعضهم بعضاً فيقبل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنى فيروعه (١) ما عليه من اللباس فما ينقض آخر حديثه حتى يتمثل عليه ما هو أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها. وذكروا الحديث في طريقه أبو العشرين وهو ضعيف وخرجه ابن ماجه مكمل وفيه بعد قوله قال نعم : أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة نزلوا فيها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيرون الله ويبرز لهم عرشه ويبدا لهم في روضة من رياض الجنة فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أديانهم وما فيهم دنى على كنان المسك والكافور ما يرون بأن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً قال أبو هريرة قلت يا رسول الله هل ترى ربنا قال نعم هل تتأرون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا لا قال كذلك لا تأرون في رؤية ربكم عز وجل ولا يبقى في ذلك المجلس أحداً لا حاضره الله محاضرة حتى أنه يقول للرجل منكم ألا تذكر يا فلان يوم عملت كذا وكذا يذكره بعض غدرانه في الدنيا فيقول يا رب ألم تغفر لي فيقول بلى فبسة مغفرتي بلغت منزلتك هذه فيبيناهم كذلك إذ غشيتهم سحابة من فواتهم فأمرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ثم يقول قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتبهتم قال فيأتون سوقاً الحديث بلفظه ومعناه إلى أن قال وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها قال ثم تنصرف إلى منازلنا فنلقانا أزواجنا فيقلن مرحباً وأهلاً لقد جئت وأن بك من الجمال والطيب أفضل بنا فارقنا عليه فيقولون إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار وبحقنا أن نثقل بمثل ما انقلبنا. وخرج الترمذي أيضاً عن علي عليه السلام قال قال رسول

(١) أي ينقطع . حتى يظهر على بدنه لباس أحسن من صاحبه

(٢) قوله فيروعه ، أن يرجع الضمير إلى من فيكون الروع مجازاً عن الكرامة بما هو عليه من اللباس وأن يرجع إلى ذي المنزلة . فالروع بمعنى الإعجاب أي بمجبه حسنه فيدخل في روعه ما يتمنى مثل ذلك لنفسه . أحمد مرسي

الله صلى الله عليه وسلم أن في الجنة لسوقاً ما فيها يبيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء فإذا انتهى الرجل صورة دخل فيها قال هذا حديث غريب . وروى أبو هذبة إبراهيم بن هذبة قال حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن في الجنة أسواقاً لا شراء فيها ولا يبيع . أهل الجنة لما أنقضوا إلى روح الجنة جلسوا متكئين على أزلكو رطب وترابها مسك يتعارفون في تلك الجنان كيف كانت الدنيا وكيف كانت عبادة الرب وكيف يحيي الليل ويصام النهار وكيف كان فقر الدنيا وغناؤها وكيف كان الموت وكيف صرنا بعد طول البلاء من أهل الجنة والله أعلم ،

باب لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز

خرج أبو بكر الخطيب أحمد بن علي من حديث عبد الرزاق عن الثوري عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان ابن فلان أدخلوه الجنة عالية قلمونها دائية ذكره أحمد ابن حنبل في مسنده قال المؤلف رضى الله عنه لعل هذا فيمن لا يدخل الجنة بغير حساب وذلك بين في الباب بعد هذا .

باب أول الناس يسبق إلى الجنة الفقراء

ابن المبارك قال أخبرنا عبد الوهاب بن الورد قال قال سعيد بن المسيب جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبرني يا رسول الله بجملة الله يوم القيامة قال هم الخائفون الماضعون المواضعون الذاكرون الله كثيراً قال يا رسول الله أفهم أول الناس يدخلون الجنة قال لا قال فن أول الناس يدخل الجنة قال الفقراء يسبقون الناس إلى الجنة فيخرج إليهم منها ملائكة فيقولون إرجعوا إلى الحساب فيقولون على ما نحاسب والله ما أنقضت علينا من الأموال في الدنيا شيئاً فنقبض فيها ونبسط وما كنا أمراء نعبدل ونجور وليكننا جاءنا أمر الله فعبدناه حتى

أنا اليقين فيقال : ادخلوا الجنة معهم أجر العاملين . وروى عن النبي صلى الله عليه عليه وسلم أنه قال اتقوا الله في الفقراء فإنه يتمول يوم القيامة ابن صفوتى من خلقي فتقول الملائكة من هم ياربنا فيقول الفقراء الصابرون الراضون بقدرى أدخلوهم الجنة قال فيدخلون الجنة يأكلون ويشربون والأغنياء في الحساب يترددون . الترمذى عن أبي سعيد الندرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام خرجه من حديث الأعمش سليمان عن عطية العوفى عن أبي سعيد وقال فيه حديث حسن غريب من هذا الوجه وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام نصف يوم قال هذا حديث حسن صحيح . وفى طريق أخرى يدخل فقراء المسلمين قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام قال حديث حسن صحيح . وزوى عن أبي الدرداء قال حدثنى عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم قيل له يا رسول الله وما نصف يوم قال خمسمائة سنة قيل له فكم السنة من شهر قال خمسمائة شهر قيل له فكم الشهر من يوم قال خمسمائة يوم قيل له فكم اليوم قال خمسمائة ما تعدون ذكره العتبى فى عيون الأخبار له .

الترمذى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً قال هذا حديث حسن صحيح وخرجه من حديث أنس أيضاً وقال فيه حديث غريب .

وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفاً .

(فصل) قال المؤلف رحمه الله لإختلاف هذه الأحاديث يدل على أن الفقراء مختلفوا الحال وكذلك الأغنياء وقد تقدم من حديث أبي بكر بن أبي شيبة

أول ثلاثة يدخلون الجنة . ولا تعارض والحمد لله . فإن الحديثين مخالفاً للمعنى وقد اختلف في أى الفقراء هم السابتون وفي مقدار المدة التى بها يسبقون ويرتفع الخلاف عن الموضوع الأول بأن يرد ما لى حديث أبى هريرة إلى متيد روايته الأخرى وكذلك حديث جابر يرد أيضاً إلى حديث عبد الله بن عمرو ويكون المعنى فقراء المسلمين المهاجرين إذ المدة فيها أربعون خريفاً ويبقى حديث أبى سعيد الخدرى فى المدة بخمسةائة عام فى فقراء المهاجرين وكذلك حديث أبى الدرداء فى فقراء المسلمين بنصف يوم خمسمائة سنة ووجه الجمع بينهما أن يقال أن سباق الفقراء من المهاجرين يسبقون سباق الأغنياء منهم بأربعين خريفاً وغير سباق الأغنياء بخمسمائة عام وقد قيل ان حديث أبى هريرة وأبى الدرداء وجابر يعنى جميع فقراء قرون المسلمين فيدخل الجنة سباق فقراء كل قرن قبل غير السباق من أغنيائهم بخمسمائة عام على حديث أبى هريرة وأبى الدرداء وقيل السبان بأربعين خريفاً على ما تقدم من حديث جابر والله أعلم .

(فصل) قال المزلف رحمه الله وقد احتج بأحاديث هذا الباب من فضل الفقير على الغنى وقد اختلف الناس فى هذا المعنى وطال فيه الكلام بينهم حتى صنعوا فيه كتباً وأبواباً واحتج كل فريق لمذهبه فى ذلك والأمر قريب .

وقد سئل أبو على الدتاق أى الوصفين أفضل الغنى أو الفقر فقال الغنى لأنه وصف الحق والفقير وصف الخلق ووصف الحق أفضل من وصف الخلق قال الله تعالى يا أيها الناس أتمم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد، وبالجملة فالفقير بالحقيقة العبد وإن كان له مال وإنما يكون غنياً إذا عول على مولاه ولم ينظر إلى أحد سواه فإن تعلق باله بشىء من الدنيا ورأى نفسه أنه فقير إليه فهو عبده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نفس عبد الدينار الحديث خرج البخارى وغيره . وقد كتبنا فى كتاب قبح الحرص بالزهد والتقناعة ورد ذل السؤال بالكسب والصناعة وتكلمنا عليه وبيناه والحمد لله وإنما شرف العبد انقاره إلى مولاه وعزه خطوته له .

ولقد أحسن من قال :

وإذا تذلت الرقاب تواضعاً منا إليك فعزها في ذلها .

ذاغنى المعان الببال بانال الحريص عليه الراغب فيه هو الفتيير حقيقة وعادته
الذي يقول ما أبالي به ولا لي رغبة فيه وإنما هي ضرورة اليبس فإذا وجدتها
فغيرها زيادة تشغل عن الإرادة فهو الغنى حقيقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس خرج مسلم وأحمد عثمان بن
سعدان الموصلي هذا المعنى فقال :

تتبع بما يكفيك واستعمل الرضى فإنك لا تدري أتصبح أم تمسى

فليس الغنى عن كثرة المال . إنما يكون الغنى والفتقر من قبل النفس وقد
أشبعنا القربل في هذا في كتاب قمع الحرص وقد بقيت هنا درجة ثالثة رفيعة وهي
الكفاف التي - ألها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اجعل رزق ال محمد قوتاً
وفي رواية كما ما خرج مسلم ومعلوم أنه عليه الصلاة والسلام لا يسأل إلا أفضل
الأحوال وأسنى المقامات والأعمال وقد اتفق الجميع على أن ما أحوج من الفتقر
مكروه وما أبطر من الغنى مذموم .

وفي سنن ابن ماجه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من غنى ولا فقر إلا يود يوم القيامة أنه أوتي من الدنيا قوتاً . الكفاف حالة
متوسطة بين التنى والفتقر وقد قال عليه الصلاة والسلام خير الأمور أوسطها فهي
حالة سلمية من أمانات الغنى المطغى وأمانات الفتقر المدقع الذي كان يتعوذ منهما النبي
صلى الله عليه وسلم فكانت أفضل منهما تم ان حالة صاحب الكفاف حاله الفقير
الذي لا يترنه في طيبات الدنيا ولا في زهرتها فكانت حاله إلى الفقر أقرب فقد
حصل له ما حصل للفتقر من الثواب على الصبر وكفى مرارته وأفاته وعلى هذا
أهل الكفاف هم إن شاء الله صدر كنية الفقراء الداخلين الجنة قبل الأغنياء
بعضهم لأنهم وسطهم والوسط العدل كما قال الله تعالى : وكذلك جعلناكم

أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، أى عدولا خياراً وليسوا من الاغنياء
كاذكرنا .

باب منه

اترمذى عن ابن عمر قال : خطبنا عمر بالجابية فقال يا أيها الناس إني قمت
فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال أوضيكم بأصحابي ثم الذين
يلونهم ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ويشهد الشاهد ولا يتشهد
لا يخلون رجل بامرأة لا تحل له إلا كان ثالثهما الشيطان عليكم بالجماعة
وإياكم والفرقة فان الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد من أراد بحبوحه
الجنة فليزم الجماعة من سرتة حسنة وساءته سيئته فذلك المزمع قال أبو عيسى
هذا حديث حسن صحيح غريب .

باب منه

ما جاء في صفة أهل الجنة ومراتهم وسهم وطولهم وشبابهم وعرفهم وثيابهم
وأمشاطهم ومجامرهم وأزواجهم وفي لسانهم وأيس في الجنة عزب :
مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول زمرة
يدخلون الجنة وفي رواية من أمتي على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على
أشد كوكب درى في السماء أضاء وفي رواية ثم هم بعد ذلك منازل . لا يبرلون ولا
يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون أمشاطهم الذهب وفي رواية الفضة ورشحهم
المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين وفي رواية لكل واحد منهم
زوجتان يرى منح ساقبها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض
قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا .

قال أبو على الألوة هو العود وفي رواية اخلاقهم على خطن رجل واحد على
طول أبيهم وفي رواية على صورة أبيهم بستون ذراعاً في السماء .

وقال أبو كريب على خان رجل واحد وقال أبو هريرة حين تذاكروا الرجال في الجنة أكثر أم النساء فقال لكل رجل منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وما في الجنة عذب. الترمذى عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن المرأة من أهل الجنة يرى بياض ساقها من وراء سبعمائة حلة حتى يرى مخها. وذلك بأن الله سبحانه وتعالى يقول: كُنَّهِنَّ الْيَاقُوتَ وَالْمَرْجَانَ، فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته وروى موقوفاً.

البيهاقى عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أن امرأة من أهل الجنة أطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بيننا وبينهم الملائكة ريحاً ولنصفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها.

الترمذى عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أهل الجنة جرد مرد كل لا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم قال حديث غريب وخرج عنه أيضاً عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جرداء مرداء مكعبين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سنة قال حديث حسن غريب وروى عن قتادة مرسلًا.

وذكر المياثنى من حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أهل الجنة مرداء. الاموسى بن عمران إن له لحية إلى سترته.

الترمذى عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو أن مائة ظفر بما في الجنة بدا إلى الدنيا لتزخرف له ما بين خوافق السموات والأرض ولو أن رجلاً من أهل الجنة أطلع فبدت أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم قال حديث حسن غريب.

وعن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات من أهل الجنة من صغير وكبير يردون بنى ثلاثين في الجنة لا يزيدون عليها ولا ينقصون وكذلك أهل النار قال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين:

(فصل) في حديث أبي هريرة لكل واحد منهم زوجتان وقد تقدم من حديث عمران بن حصين أن أقل ساكني الجنة النساء قال علياً وأنا لم يخلفوا في جنس النساء وإنما اختلفوا في نوع من الجنس وهو نساء الدنيا ورجالها أي ما أكثر في الجنة فإن كانوا اختلفوا في المعنى الأول وهو جنس النساء مطلةً لحديث أبي هريرة حجة وإن كانوا اختلفوا في نوع من الجنس وهم أهل الدنيا فالنساء في الجنة أقل .

قال المؤلف رحمه الله . يحتمل أن يكون هذا في وقت كون النساء في النار وأما بعد خروجهن في النفاة ورحمة الله تعالى حتى لا يبقى فيها أحد ممن قال لا إله إلا الله فالنساء في الجنة أكثر وحينئذ يكون لكل واحد منهم زوجتان من نساء الدنيا وأما الحور العين فقد تكون لكل واحد منهم الكثير منهن .

وفي حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة ذكره الترمذي وقال فيه حديث غريب .

ومثله حديث أبي أمامة خرجته أبو محمد الدارمي وسيأتي والأخبار دالة على هذا .

(فصل) وقوله وأمشاطهم الذهب والفضة وبجامرهم الآلوة قد يقال هنا أي حاجة في الجنة للامتشاط ولا تنابد شعورهم ولا تنسخ وأي حاجة للبخور وريحهم أطيب من المسك وبجباب عن ذلك بأن نعيم أهل الجنة وكسوتهم ليس عن دفع ألم اعتراهم فليس أكلهم عن جوع ولا شربهم عن ظمأ ولا تطيبهم عن نتن وإنما هي لذات متوالية ونعم متتابعة ألا ترى قوله تعالى لآدم ، إن لك الاتجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحي ، وحكمة ذلك أن الله تعالى عرفهم في الجنة بنوع ما كانوا يتنعمون به في الدنيا وزادهم على ذلك ما لا يعلمه إلا الله عز وجل . قال المؤلف رحمه الله تعالى وقد جاء مثل هذا في أهل النار حيث قال : ، إذ

الاعلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون، وقال وان لدينا انكالا وجميعا، فعذبهم في النار بنوع ما كانوا يعذبون به في الدنيا قال النبي آرون ان الله جعل الانكال في الرجل خشية ان يهربوا لا والله ولكنهم اذا ارادوا ان يرتفعوا استقلت بهم .

ابن المبارك قال اخبرنا سعيد بن ابي ايوب قال حدثني عقيل عن ابن شهاب قال لسان اهل الجنة عربي واذا خرجوا من قبورهم سرياني وقد تقدم وقال سفيان بلغنا ان الناس يتكلمون يوم القيامة قبل ان يدخلوا الجنة بالسريانية فاذا دخلوا الجنة تكلموا بالعربية .

باب منه

في الحور العين وكلامهن وجراب نساء الادميات وحسنهن .
ذكر ان الادميات في الجنة على سن واحد واما الحور العين فاصناف مصنفة صفار وكبار على ما اشتهت انفس اهل الجنة .

الترمذي عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قال يقطن نحن الخالدات فلا نئيد ونحن الناعمات فلا نبئس ونحن الراضيات فلا نخطط طوبى لمن كان لنا وكما له وفي الباب عن ابي هريرة وابي سعيد وانس قال ابو عيسى حديث علي حديث غريب .

وقالت عائشة رضي الله عنها ان الحور العين اذا قلن هذه المقالة اجابهن المؤمنات من نساء اهل الدنيا نحن المصليات وما صلين ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتوضآت وما توضأتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن قالت عائشة فغلبهن والله .

وذكر ابن وهب عن محمد بن كعب القرظي انه قال والله الذي لا اله الا هو لو ان امرأة من الحور العين اطلعت سوارها من العرش لا طغأ نور سوارها نور

الشمس والقمر فكيف المسورة وأن ما خلق الله شيئاً تلبسه إلا عليه مثل ما عليها من ثياب وحلى .

وقال أبو هريرة ان في الجنة حوراء يقال لها العيناء إذا مشيت مشى حولها سبعون ألف وصيف عن يمينها وعن يسارها كذلك وهي تقول أين الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر .

وقال ابن عباس ان في الجنة حوراء يقال لها لعبة لو بزقت في البحر لذهب ماء البحر كله مكنوب على نحرها من أحب أن يكون له مثلي فليعمل بطاعة ربي عز وجل .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم . أنه وصف حوراء ليلة الإسراء فقال ولقد رأيت جبينها كالهلال في طول البدر منها ألف وثلاثون ذراعاً في رأسها مائة صغيرة ما بين الصغيرة والصغيرة سبعون ألف ذؤابة والذؤابة أضواء من البدر مكلل بالبدر وصفوف الجواهر على جبينها سطران مكتوبان بالبدر الجواهر في السطر الأول . بسم الله الرحمن الرحيم وفي السطر الثاني من أراد مثلي فليعمل بطاعة ربي فقال لي جبريل يا محمد هذه وأمثالها لامتك فابشر يا محمد وبشر أمتك وأمرهم بالإجتهد . وذكر الختلي أبو التماسم قال حدثنا إبراهيم بن أبي بكر حدثنا أبو اسحاق حدثني محمد بن صالح قال : قال عطاء السلي لمالك بن دينار يا أبا يحيى شوقنا . قال يعطاء . أن في الجنة حوراء يتباهى بها أهل الجنة من حسنها لولأن الله كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لما نوا عن آخرهم من حسنها قال فلم يزل عطاء كمداً من قول مالك أربعين يوماً .

ابن المبارك قال أخبرنا معمر عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الأودي عن ابن مسعود قال ان المرأة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم ومن تحت سبعين حلة كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء قال وأخبرنا رشدين عن ابن أنعم عن حبان بن أبي جبلة قال أن نساء الدنيا من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا وروى مرفوعاً أن الأدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف ضعف .

باب ماجاء أن الأعمال الصالحة مهور الحور العين

قال الله تعالى : « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار إلى قوله ولهم فيها أزواج مطهرة ، . وروى الترمذى الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول قال : حدثنا الخطاب أبو الخطاب حدثنا سهل ابن حماد أبو عتاب ، قال : حدثنا جرير بن أيوب البجلي حدثنا الشعبي عن نافع بن بردة عن أبي مسعود الغفاري ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما من عبد يصوم يوماً من رمضان إلا زوج زوجة من الحور العين في خيمة من درة مجوفة مما نعت الله حور مقصورات في الخيام ، على كل امرأة منهن سبعون حلة ليس منها حلة على لون الأخرى ويعطى سبعين لوناً من الطيب ليس منهن لون على ربح الأخر لكل امرأة منهن سبعون سريراً من ياقوتة حمراء موشحة بالدر والياقوت على كل سرير سبعون فراشاً على كل فراش أريكة لكل امرأة منهن سبعون ألف وصيفة لحاجتها وسبعون ألف وصيف مع كل وصيف صحفة من ذهب فيها لون من طعام تجد لآخر لقمة لذة لم تجد لأوله ويعطى زوجها مثل ذلك على سرير من ياقوت أحمر عليه سواران من ذهب موشح بياقوت أحمر هذا بكل يوم صامه من شهر رمضان سوى ما عمل من الحسنات (١) .

وخرج أبو عيسى الترمذى من حديث المقدم بن معدى كرب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا شهيد عند الله ست خصال الحديث وفيه ويزوج بائنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، وقد تقدم في باب ما ينجي من أهوال القبر وفتنته . قال المزيلى رحمه الله وهذا يؤيد ما ذكرناه في حديث أبي هريرة لكل واحد منهم زوجتان ، أن ذلك من نساء الدنيا ، وقال يحيى بن معاذ : ترك الدنيا شديد وفوت الآخرة أشد وترك الدنيا مهر الآخرة ويقال : مهر الحور العين كنس المساجد . رفعه النعماني من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كنس المساجد مهور الحور العين ، وعن أبي قرصانة أيضاً سمعت النبي صلى

(١) موضوع لا أصل له

الله عليه وسلم يقول : إخراج القمامة من المسجد مهوور الحور العين ، القمامة :
الكناسة ، والجمع قمامة قاله الجوهرى .

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مهوور الحور العين
قبضات (١) التمر وقلن الخبز ، ذكره الثعلبى أيضاً ، وقال أبو هريرة : يتزوج أحدكم
فلانة بنت فلان بالمال الكثير ويدع الحوز العين بأثمة والتمر والكسوة .

وقال محمد بن النعمان المقرئ : كنت قاعداً عند الجلا المقرئ بمكة في المسجد
الحرام إذ مر بنا شيخ طويل نحيل الجسم عليه أظفار خلقة فقام إليه الجلا ووقف
عده ساعة ثم انصرف إلينا فقال : هل تعرفون من هذا الشيخ ، فقلنا : لا ، فقال :
إبتاع من الله حوراء بأربعة آلاف ختمة ، فلما أكملها رآها في المنام في حلها وحللها
فقال : لمن أنت ، فقالت : أنا الحور التي ابتعتني من الله تعالى بأربعة آلاف ختمة
هذا الثمن فسانحلتى أنا منك قال : ألف ختمة قال الجلا : فهو يعمل فيها بعد .

وروى عن سحنون أنه قال : كان بمصر رجل يقال له سعيد ، وكانت له أم
من المتعبدات ، وكانت إذا قام من الليل يصلى تقوم والدته خلغنه إذا غاب عليه
النوم ونعس تناديه والدته : يا سعيد : إنه لا ينام من يخاف النار ويخطب الحور
الحسان فيقوم مرعوباً .

ويروى عن ثابت أنه قال : كان أبي من القوامين لله في سواد الليل ، قال :
رأيت ذلت ليلة في منامى امرأة لا تشبه النساء ، فقلت لها : من أنت ؟ فقالت :
حوراء أمة الله ، فقلت لها : زوجيني نفسك ، فقالت : اخطبني من عند ربي وامهري
فقلت : وما مهرك ؟ فقالت : طول التجد ، وأنشدوا :

يا خاطب الحور في خدرها وطالباً ذاك على قدرها
انهض بجد لا تكن وانيا وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم وحالف الوحدة في ذكرها
وقم إذا الليل بدا وجهه وصم نهراً فهو من مهرها
فلو رأيت عينك إقبالها وقد بدت رمانا صدرها

(١) كناية عن الصدقة يثنى التمرة أو كسرة الخبز كما دل عليه الخبر بعده

وهي تماشي بين أترابها وعقدها يشرق في نحرها
هان في نفسك هذا الذي تراه في دنياك من زهرها

وقال مضر القاريء : غلبني النوم ليلة فذمت عن حزبي فرأيت في منامي فيما
يرى النايم جارية كأن وجهها القمر المستم ومعها رق فقالت : أتقرأ أيها الشيخ ؟
قلت : نعم ، فقالت : اقرأ هذا الكتاب ، ففتحته فإذا فيه مكتوب : فوالله ما ذكرته
قط إلا ذهب عني النوم :

ألهتك اللذائذ والأمانى عن الفردوس والظلال الدواني
ولذة نومة عن خير عيش مع الخيرات في غرف الجنان
تيقظ من منامك إن خيراً من النوم التهجد بالقران

وقال مالك بن دينار : كان لي أحزاب أقرأها كل ليلة ، فذمت ذات ليلة ، فإذا
أنا في المنام بجارية ذات حسن وجمال وبيدها رقعة ، فقالت : أتحسن أن تقرأ ؟ فقلت :
نعم ، فدفعت إلي الرقعة ، فإذا فيها مكتوب هذه الآيات :

لهاك النوم عن طلب الأمانى وعن تلك الأوانس في الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها وتلهو في الخيام مع الحسان
تنبه من منامك إن خيراً من النوم التهجد بالقران

وروى عن يحيى بن عيسى بن ضرار السعدي وكان قد بكى شوقاً إلى الله ستين
عاماً ، قال : رأيت كأن ضفة نهر يجري بالمسك الأذفر حافتاه شجر اللؤلؤ وذببت
من قضبان الذهب ، فإذا بجوار مزينات يقلن بصوت واحد : سبحان المسيح بكل
لسان سبحان الموجود بكل مكان سبحان الدائم في كل زمان سبحانه سبحانه ، قال :
فقلت : من أنتن ؟ قلن : خان من خان الله سبحانه ، قلت : وما تصنعن ها هنا ؟
فقلن :

يواجهون رب العالمين لحقهم وتسرى هموم القوم والناس نوم
ذراًنا إله الناس رب محمد لقوم على الأقدام بالليل قوم
فقلت : يخ . يخ . هو من هؤلاء ، لقد أفر الله أعينهم ، فقلن : أما تعرفهم ؟
فقلت : والله ما أعرفهم ، قلن : هؤلاء المتجدون بالليل أصحاب السهر

باب في الحور العين ومن أى شيء خلقن

روى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الحور العين من أى شيء خلقن . فقال من ثلاثة أشياء أسفلهن من المسك وأوسطهن من العنبر وأعلىهن من الكافور وشعورهن وحواجبهن سواد خط من نور .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : سألت جبريل عليه السلام فقلت أخبرني كيف يخلق الله الحور العين فقال لي يا محمد يخلقهن الله من قضبان العنبر والزعفران مضروبات عليهن الخيام أول ما يخلق الله منهن نهداً من مسك أذفر أبيض عليه يكتم البدن وروى عن ابن عباس أنه قال : خلق الله الحور العين من أصابع رجلها إلى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها إلى ثديها من المسك الأذفر ومن ثديها إلى عنقها من العنبر الأشهب ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض عليها سبعون ألف حلة مثل شقائق النعمان إذا أقبلت يتلألأ وجهها نوراً ساطعاً كما تتلألأ الشمس لأهل الدنيا وإذا أقبلت يرى كبدها من رقة ثيابها وجلدها . في رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الأذفر ولكل ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها وهي تنادى هذا ثواب الأولياء . جزاء بما كانوا يعملون (١) .

باب إذا ابتكر الرجل امرأة في الدنيا

كانت زوجته في الآخرة

ابن وهب عن مالك أن أسماء بنت ابن بكر الصديقة رضى الله عنها امرأة الزبير ابن العوام كانت تخرج عليه حتى عوتب في ذلك قال : وغضب عليها وعلى ضررتها فعقد شعر واحدة بالأخرى ثم ضربهما ضرباً شديداً وكانت الضرة أحسن اتقاء وكانت أسماء لا تتقي . فكان الضرب بها أكثر . فشكيت إلى أبيها أبي بكر فقال لها : أى بنية أصبرى فإن الزبير رجل صالح . ولعله أن يكون زوجك في الجنة .

(١) سبق أن نهينا على مثل هذه الاخبار مرارا . احمد مرسى .

(م - ٣١ التذكرة)

ولقد بلغني أن الرجل إذا ابتكر بالمرأة تزوجها في الجنة قال أبو بكر بن العربي هذا حديث غريب ذكره في أحكام القرآن له . فإن كانت المرأة ذات أزواج فقيل أن من مات عنها من الأزواج أخرهن له . قال حذيفة لامرأته ان سرك أن تكوني زوجتي في الجنة ان جمعنا الله فيها فلا تتزوجي من بعدى فإن المرأة لآخر أزواجها في الدنيا .

وخطب معاوية بن أبي سفيان أم الدرداء نأبت (١) وقالت سمعت أبا الدرداء يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : المرأة لآخر أزواجها في الجنة وقال لي إن أردت أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي من بعدى .

وذكر أبو بكر النجاد قال حدثنا جعفر بن محمد بن شاكر حدثنا عبيد بن اسحاق المطار حدثنا سنان بن هارون عن حميد عن انس أن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت : يا رسول الله المرأة يكون لها الزوجان في الدنيا ثم يموتون ويجمعون في الجنة لايهما تكون . الاول أو لآخر ؟ قال لاحسنهما خلقتا كان معها يأم حبيبة . ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة . وقيل أنها تخير إذا كانت ذات أزواج .

باب ما جاء أن في الجنة أكلًا وشربًا ونكاحًا حقيقة

ولا قدر فيها ولا نقص ولا نوم

مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا : فإبان الطعام قال : جشاء أو رشح كرشح المسك يلهمون التسليح والنحميد وفي رواية والتكبير كما يلهمون النفس .

الترمذي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع قيل يا رسول الله أو يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة وفي الباب عن زيد بن أرقم قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

(١) ان اباء هذه الصحابة الفاضلة رضى الله تعالى عنها خطبة الزواج المعروف ونغم مظاهر السمادة العاجلة مانبه . . فقد آثرت ما يبقى على ما يفنى . أحمد مرسي

وذكر الدارمي في مسنده عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجوع والشهوة فقال رجل من اليهود أن الذي يأكل ويشرب يكون منه الحاجة قال ثم يفيض من جلده عرق فإذا بطنه قد ضم .

وذكر المخرمي عبد الله بن أيوب قال : حدثنا أبو أسامة عن هشام عن زبن ابن الحوارا وهو زيد بن العمى عن ابن عباس قال : قلنا يا رسول الله أنفضى إلى نائنا في الجنة كما نفضى إليهن في الدنيا قال أي والذي نفسى بيده أن الرجل ليفضي في العداة الواحدة إلى مائة عذراء .

خرجه البزار في مسنده من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله أنفضى إلى نائنا في الجنة قال : أي والذي نفسى بيده أن الرجل ليفضي في اليوم الواحد إلى مائة عذراء . وخرج عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ ان أهل الجنة إذا جاءوا نساءهم عادوا أبكاراً وسيأتى لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

ابن المبارك قال أخبرنا معمر عن رجل عن أبي قلابة قال يؤتون بالطعام والشراب فإذا كان في آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فيشربون فتضمر لذلك بطونهم وتفيض عرقاً من جلودهم أطيب من ريح المسك ثم قرأ شراباً طهوراً ، أبو محمد الدارمي عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ ما من أحد يدخله الله الجنة إلا زوجه الله اثنين وسبعين زوجة اثنتين من الحور العين وسبعين من ميراثه من أهل النار ما منهن واحدة إلا ولها قبل . قبل شهى وله ذكر لا ينثى قال هشام بن خالد من ميراثه من أهل النار يعني رجلاً دخلوا النار فورث أهل الجنة نساءهم كما ورثت امرأة فرعون . وروى من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تمس أهل الجنة أزواجهم فقال نعم بذكر لا يمل وفرج لا يحنى وشهوة لا تنقطع . الدارقطنى عن جابر بن عبد الله قيل يا رسول الله أينام أهل الجنة قال لا . النوم أخو الموت . والجنة لاموت فيها . والله أعلم .

باب المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة

كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة

الترمذى عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهى ، قال حديث حسن غريب أخرجه ابن ماجه وقال في ساعة واحدة في الجنة .

قال الترمذى : وقد اختلف أهل العلم في هذا ، فقال بعضهم في الجنة جماع ولا يكون ولد . هكذا يروى عن طاووس ومجاهد وابراهيم النخعي . وقال محمد وقال اسحق بن ابراهيم ، في حديث النبي صلى الله عليه وسلم إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهى ، ولكن لا يشتهى هذا أبدا ، وقد روى عن أبي رزين العقيلي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد . والله أعلم .

باب ما جاء أن كل ما في الجنة دائم لا يبلى ولا يفنى ولا يبيد

مسلم عن أبي سعيد الخدرى وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ينادى مناد أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وأن لكم أن تحموا فلا تموتوا أبدا . وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا . وأن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا ، وذلك قوله عز وجل : ونودوا أن تلكموا الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ، وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا يبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، وقد تقدم قول الحور العين : نحن الخالدات فلا نبيد .

باب ما جاء أن المرأة من أهل الجنة ترى زوجها

من أهل الدنيا في الدنيا

ابن وهب قال : وحدثنا ابن زيد قال : يقال للمرأة من أهل الجنة وهي في السماء . أحببت أن نريك زوجك من أهل الدنيا فتقول نعم ، فيكشف لها عن الحجب ويفتح الأبواب بينها وبينه حتى تراه وتعرفه وتعاينه بالنظر حتى تستبطنه قدومه وتشتاق إليه كما تشتاق المرأة إلى زوجها الغائب عنها . ولعله يكون بينه وبين زوجته في الدنيا ما يكون بين النساء وأزواجهن من مكالمة أو محادثة فتغضب زوجته التي في الدنيا فيشتق ذلك عليها وتقول : ويحك دعني من شرك إنما هو معك ليالي قلائل ، أخرجه الترمذي بمعناه عن معاذ بن جبل ، قال : لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا ، إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذي قاتلك الله ، وإنما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب أخرجه ابن ماجه أيضاً .

باب ما جاء في طير الجنة وخيلها وأبلها

الترمذي ، عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر ، قال : ذاك نهر أعطاه الله بمعنى في الجنة ، أند بياضاً من اللبن وأحلى من العسل : فيه طير أعناقها كأعنان الجزر ، فقال عمر : ان هذه لناعمة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكلها أنعم منها ، قال : هذا حديث حسن ، وأخرجه الثعلبي ، من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال : ان في الجنة طيراً مثل أعناق البخت تصف على يد ولي الله فيقول أحدها : يا ولي الله رعيت في مروج الجنة تحت العرش ، شربت من عيون التسنيم ، فكل مني فلا يزال يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها . فيخر بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منه ما أراد ، فإذا شبع تجمع عظام المير فيطير رعى في الجنة حيث شاء ، فقال عمر بن أبي الله ، إنها لناعمة قال أكلها أنعم منها .

الترمذی . عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه ، أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هل في الجنة من خيل : قال إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء تطير بك حيث شئت ألا فعلت ، قال : وسأله رجل فقال : يا رسول الله هل في الجنة من أبل ، قال : فلم يقل له ما قال لصاحبه . فقال إن يدخلك الله الجنة لك فيها ما اشتيت نفسك ولذت عينك .

وخرج مسلم عن أنى مسعود الأنصاري . قال جاء رجل بناقاة مخطومة فقال : هذه في سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ : لك بها يوم القيامة سبعائة ناقاة كلها مخطومة وذكر ابن وهب قال : حدثنا ابن زيد قال : كان الحسن البصري يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أدنى أهل الجنة منزلة الذي يركب في ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدن على خيل من ياقوت أحمر لما أجنحة من ذهب اقرأوا إن شئتم ، وإذا رأيت (١) ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا .

وذكر ابن المبارك عن شفي بن مانع ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أن من نعيم أهل الجنة أنهم ليتزاورون على المطايا والنجب وأنهم يوثون في يوم الجمعة بخيل مسرجة ملجمة لاتروث ولا تبول فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله وذكر الحديث .

وعن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مرارا كبرهم ثم تلى قوله تعالى : وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا .

وحكى عن عبد الله بن المبارك . خرج إلى غزو فرأى رجلا حزينا قد مات فرسه فبقي محرونا ، فقال له بمعنى إياه بأربعمائة درهم ففعل الرجل ذلك ، رأى باعه له ، فرأى من ليلته في المنام كأن القيامة قد قامت وفرسه في الجنة وخلفه سبعمائة فرس . فأراد أن يأخذه فتودى أن دعه ، فإنه لابن المبارك وقد كان لك بالأمس ، فلما أصبح جاء إليه وطلب الإقالة فقال له ولم قال : تقص عليه

(١) ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوى بل معناه والله اعلم أن بصرك اينما وقع في الجنة رأيت نعيما والآية . أحمد مرسي

القصة فقال له : اذهب فإ رأيتك في المنام رأيتنا، في اليتيمة . قال المؤلف رحمه الله تعالى ، وهذه الحكاية صحيحة لأنها في معنى ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي مسعود كما ذكرنا .

باب ما جاء أن الحناء سيد ريحان الجنة

وأن الجنة حفت بالريحان

ابن المبارك أنبأنا همام عن قيادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمر قال : الحناء سيد ريحان الجنة ، وأن فيها من عناق الخيل وكرام النجائب يركبها أهلها . وقد تقدم عن أبي هريرة موقوفاً ، أن شجرة طوبى تنفق عن النجائب والسياب . ومثل هذا لا يقال من جهة الرأي وإنما هو توقيف فاعله .

وذكر أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت من حديث سعيد بن معن المدني قال : حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الجنة حفتها بالريحان وحفف الريحان بالحناء وما خان الله شجرة أحب إليه من الحناء ، وأن المختضب بالحناء لنصلي عليه ملائكة السماء إذا غدا وتقدس الأرض قال السكري وتقدس عليه ملائكة الأرض إذا راح هذا حديث منكر لا يصح . وفي إسناده غير واحد لا يعرف .

وروى الترمذي في كتاب الثمائل . حدثنا محمد بن خليفة وعمرو بن علي قالوا : حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا الحجاج الصواف عن حنان عن أبي عثمان النهدي قال : قال رسول الله ﷺ إذا أعطى أحدكم الريحان فلا يردّه فإنه خرج من الجنة قال أبو عيسى لا يعرف حنان غير هذا الحديث ، وقال عبد الرحمن ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل ، حنان الأسدي من بني أسد بن شريك وهو حنان صاحب الرقيق ، عم مسرهد والد مسدد ، روى عن أبي عثمان النهدي وروى عنه الحجاج بن أبي عثمان الصواف سمعت أبي يقول ذلك . وقد تقدم عن أبي هريرة موقوفاً أن شجرة طوبى تنفق عن النجائب والسياب ، ومثل هذا كله لا يقال من جهة الرأي وإنما هو توقيف فاعله .

باب ما جاء أن الشاة والمعزى من دواب الجنة

ابن ماجه عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ الشاة من دواب الجنة وفى كتاب البزار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أحسنوا إلى المعزى واميطوا عنها الأذى لأنها من دواب الجنة ، وفى التنزيل ، وفديناه بذيبح عظيم ، وإنما سمي عظيم لأنه رعا فى الجنة أربعين عاماً ، روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنه .

باب ما جاء أن للجنة ريبضاً وريحاً وكلاماً

البهقي عن أنس عن النبي ﷺ قال : لما خلق الله الجنة عدن وخرس أشجارها بيده قال لها تكلمى فقالت ، قد أفلح المؤمنون ، خرجه البزار من حديث أبي سعيد الخدرى .

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر . وقال لها تكلمى فقالت ، قد أفلح المؤمنون ، فقال طوبى لك منزل الملوك وهذا يروى موقوفاً عن أبي سعيد الخدرى قال : لما خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وخرسها . قال لها تكلمى فقالت ، قد أفلح المؤمنون ، فدخلتها الملائكة . فقالت طوبى لك منزل الملوك ، وروى من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما خلق الله الجنة قال لها تزينى فتزينت ثم قال لها تكلمى فتكلمت ثم قالت : طوبى لمن رضيت عنه .

النسائي عن فضالة بن عبيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أنا زعيم والزعيم الخيل لمن آمن بي وأسلم وجاهد فى سبيل الله يلبس له فى ريبض الجنة ، وبيت فى وسط الجنة وبيت فى أعلى غرف الجنة ، من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً يموت حيث شاء أن يموت .

وقال عمر بن عبد العزيز والزهدي والباكني ومجاهد مؤمنوا الجن فى ريبض

ورحاب حول الجنة وليسوا فيها وروى مالك عن مسلم بن ابي مريم عن ابي صالح ،
عن ابي هريرة أنه قال نساء كاسيات عاريات مايلات بميلات لا يدخلن الجنة
ولا يجدن ريحها وأن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة سنة ، هذا موقوف قال
ابو عمر بن عبد البر : وقد رواه عبد الله بن نافع الصايغ عن مالك بهذا
الإسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : الا من
قتل نفساً معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة
الجنة وأن ريحها يوجد من مسيرة سبعين خريفاً . لفظ الترمذي .

قال : وفي الباب عن أبي بكره قال أبو عيسى حديث أبي هريرة حديث
حسن صحيح .

وخرج البخاري عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
من قتل نفساً معاهدا لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً .

باب ما جاء في الجنة قيعانا وأن غراسها

سبحان الله والحمد لله

الترمذي . عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقيت
ابراهيم عليه السلام ، ليلة أسرى بي فقال ، يا محمد اقرأ أمّتك مني السلام وأخبرهم
أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر . قال : وفي الباب ، عن أبي أيوب وهذا حديث
حسن غريب .

ابن ماجه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس
غرساً فقال : يا أبا هريرة ما الذي تغرس ، قال : غرساً قال : ألا أدلك على غراس
خير من هذا ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل
واحدة شجرة في الجنة .

الترمذي . عن جابر بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قال

سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

باب ما جاء أن الذكر نفقة بناء الجنة

ذكر الطبري . في كتاب آداب النفوس قال : حدثنا الفضل بن الصباح قال : سألت النضر بن اسماعيل فحدثني عن حكيم بن محمد الأحسى ، قال : بلغني أن الجنة تبنى بالذكر فإذا حبسوا الذكر كفوا عن البناء . فيقال لهم في ذلك فيقولون حتى يجينا نفقة ، قال المؤلف رحمه الله : الذكر طاعة الله ، عز وجل في أمثال أمره واجتناب نهيه .

ودليله ما روى عن النبي ﷺ : من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قل صلاته وصومه وصنيعه للخير ومن عصى الله فقد نسى الله وإن كثرت صلاته وصومه وصنيعه للخير . ذكره أبو عبد الله ، محمد في أحكام القرآن له ، وذكره أيضا العامري في شرح الشهاب له .

ولفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أطاع الله فقد ذكره وإن كان ساكنا ، ومن عصى الله فقد نسيه وإن كان قاريا مسبحا ، قال المؤلف رحمه الله ، وهذا والله أعلم لأنه كالمستهزى والمتهاون ومن اتخذ آيات الله هزوا وقد قال العلماء في تأويل قوله تعالى : ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، أى لا تركوا أمر الله فتكونوا مقصرين لاعبين ، قالوا : ويدخل في هذه الآية الاستغفار من الذنب قولاً مع الإصرار فعلا . وكذا كل ما كان في هذا المعنى والله أعلم .

باب ما لأدنى أهل الجنة منزلة وما لأعلام

مسلم . عن المغيرة بن شعبه يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سأل موسى عليه السلام ربه ، فقال : يارب ما أدنى أهل الجنة منزلة ، قال : هو رجل يأتي بعد ما يدخل أهل الجنة الجنة ، فيقول : أى رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذانهم فيقال له : أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا

فيقول رضيت رب فيقول : اك ذلك ومثله معه ، ومثله ، ومثله ، ومثله ، فقال في الخامسة ، رضيت رب ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، واك ما اشتيت نفسك ، ولذت عينك ، فيقول : رضيت رب ، قال : يارب فأعلام منزلة ، قال : أولئك الذين أردت . غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ، قال : ومصدقه من كتاب الله ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرآة أعين ، وقد روى موقوفا عن المغيرة قوله .

البخاري . عن عبد الله هو ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : إن آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، وآخر الناس خروجا من النار ، رجل يخرج حبوا ، فيقول له ربه : أدخل الجنة فيقول : رب الجنة ملأى ، فيقول له ذلك ثلاث مرات كل ذلك يعيد عليه الجنة ملأى ، فيقول : إن لك مثل الدنيا عشر مرات وقد تقدم هذا .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : أن أدنى أهل الجنة منزلة من له سبع قصور ، قصر من ذهب ، وقصر من فضة ، وقصر من در ، وقصر من زمرد ، وقصر من ياقوت ، وقصر لا تدركه الأبصار ، وقصر على لون العرش ، في كل قصر من الحل والحلال والخور العين ما لا يعليه إلا الله عز وجل ذكره القتيبي في عيون الأخبار له وفي مراسل الحسن عن رسول الله ﷺ أن أدنى أهل الجنة منزلة الذي يركب في ألف ألف من خدمه الحديث وقد تقدم .

وخرج الترمذي . عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيا ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة ، قال حديث غريب ، وقد روى عن ابن عمر ولم يرفعه .

وخرج عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة ، وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء قال : هذا حديث غريب .

ابن المبارك قال أخبرنا سفيان عن رجل عن مجاهد قال : أن أدنى أهل الجنة منزلة من يسير في ملكه مسيرة ألف سنة يرى أنصاه كإيرى أدناه ، وأرفعهم هو الذي ينظر إلى ربه بالغداة والعشي . وقد تقدم هذا مرفوعاً في الباب من ابن عمر موقوفاً وهذا الباب والذي قبله يدل على أن أدنى أهل الجنة منزلة له الكثير من الزوجات من الحور العين على ما قررناه فيما تقدم والله أعلم .

باب رضوان الله تعالى لأهل الجنة أفضل من الجنة

البخارى . عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الله تعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك ، فيقول هل رضيم ، فيقولون : وما لنا لا نرضى برب . وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول أنلا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون يا ربنا أى شيء أفضل من ذلك ، فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبداً ، أخرجه مسلم ، بمعناه في حديث فيه طول .

باب رؤية أهل الجنة لله تعالى

أحب إليهم بما هم فيه وأقر لأعينهم

مسلم . عن صهيب ، عن النبي ﷺ قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى لهم أتريدون شيئاً أزيدكم ، فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ، قال فيكشف لهم الحجاب ، فاعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ، وفي رواية ثم تلى هذه الآية : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة .

وخرج النسائي عن صهيب قال : قيل لرسول الله هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى زيادة ، قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ينادي منادياً أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه ، فقالوا : ألم تبيض وجوهنا وتثقل موازيننا وتجرنا من النار . قال : فيكشف الحجاب فينظروا إليه

فوالله ما أعظام الله شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجه الله ولا أقر لأعينهم .

وخرجه أبو داود الطيالسي أيضاً . قال : حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال : تلى رسول الله ﷺ هذه الآية وللذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادياً أهل الجنة أن لكم عند الله تعالى موعداً فيقولون : ما هو أليس قد بيض وجوهنا وثقل موازيننا وأدخلنا الجنة فيقال لهم ثلاثاً ، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه فيكون ذلك عندهم أعظم مما أعطوا .

أخبرنا الشيخ الراوية . أبو محمد عبد الوهاب قرأه عليه بغير الاسكندرية حماد بن محمد بن علي الحافظ السلمي وأنا أسمع قال أخبرنا الحاجب أبو الحسن ابن العلاف ، حدثنا أبو القاسم بن بشر أن ابننا أبو بكر الأجرى حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي حدثنا عبد الوهاب بن عبد الحكم الوراق النيسابوري حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : ان أهل الجنة إذا دخلوا الجنة نودوا أن يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعداً لم تروه قالوا : وما هو ألم يبيض وجوهنا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة قال : فيكشف الخجائب فينظرون إليه فوالله ما أعظام الله شيئاً هو أحب إليهم منه ، ثم تلى رسول الله ﷺ : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة .

قال المؤلف : رحمه الله وكذا أخرجه الإمام أحمد بن حنبل والدارقطني وابن أبي أسامة عن يزيد بن هارون ، وانفرد مسلم بإخراجه فرواه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن يزيد بن هارون ورواه نوح بن أبي مريم عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، فقال للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة قال : والزيادة النظر إلى وجهه الكريم ، فأخطأ فيه خطأ بينا ووهما قبيحا .

وذكر ابن المبارك . قال : أخبرنا أبو بكر الهلالى الهجيمى قال : سمعت
أبا موسى الأشعري على منبر البصرة يقول : ان الله يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل
الجنة فيقول هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلى والحلل والثمار والأنهار
والأزواج المطهرة فيقولون نعم أنجزنا الله ما وعدنا فيقول الملك هل أنجزكم ما وعدكم
ثلاث مرات فلا يفقدون شيئا مما وعدوا فيقولون نعم فيقول بئى لكم شيء إن
الله تعالى يقول وللذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، ألا ان الحسنى الجنة والزيادة النظر
إلى الله تعالى .

(فصل) ما رواه النسائى مرفوعا وكذلك أبو داود الطيالسى ، وأسنداه
عن الأجرى وذكره ابن المبارك موقوفا بين حديث مسلم ، وأن المعنى بقوله :
قال الله تعالى قال ملك الله تريدون شيئا أزيدكم أى يزيدكم وقوله فيكشف الحجاب
معناه أنه يرفع الموانع من الإدراك عن أبصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعوت
العظمة والجلال والبهاء والكمال والرفعة والجمال لا إله إلا هو سبحانه عما يقول
الزايغون والمبطلون فذكر الحجاب إنما هو فى حق المخلوق لا فى حق الخالق ،
فهم المحجوبون ، والبارى جل اسمه وتقدسست أسماؤه منزلة عما يحجبه ، إذ الحجب
إنما يحيط بمقدر محسوس وذلك من نعوتنا ، ولكن حجبه عن أبصار خلقه ،
وبصائرهم . وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء .

وروى فى صحيح الأحاديث ، أن الله تعالى إذا تجلى لعباده ورفع الحجب عن
أعينهم فإذا رآوه تدفقت الأنهار واصطفت الأشجار : وتجاوبت السرر والغرفات
بالصيرير والأعين المتدفقات بالخرير واسترسلت الريح المثيرة ، وبثت فى الدور
والقصور المسك الأذفر والكافور وغردت الطيور وأشرقت الحور العين . ذكره
أبو المعالى فى كتاب الرد له على السجزي ، وقال : وكل ذلك بقضاء الله وقدره وإن
لم يكن منها شيء عن الرؤية والنظر ولكن الله تعالى يعرف بما شاء ما شاء من آيات
ظمته ودلالات هيئته وذلك بمشابة تدكدك الجبل الذى تجلى الله له . وترضضه
حتى صار رملا هائلا سايلا والله أعلم .

الله عليه وسلم يقول : إخراج القمامة من المسجد مهوور الحور العين ، القمامة :
الكناسة ، والجمع قمامة قاله الجوهري .

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مهوور الحور العين
قبضات^(١) التمر وقلن الخبز ، ذكره الثعالب أيضاً ، وقال أبو هريرة : يتزوج أحدكم
فلانة بنت فلان بالمسال الكثير ويدع الحور العين بالقممة والتمر والكسوة .

وقال محمد بن النعمان المقرئ : كنت قاعداً عند الجلا المقرئ بمكة في المسجد
الحرام إذ مر بنا شيخ طويل نحيل الجسم عليه أطهار خلقة فقام إليه الجلا ووقف
عه ساعة ثم انصرف إلينا فقال : هل تعرفون من هذا الشيخ ، فقلنا : لا ، فقال :
ابناع من الله حوراء بأربعة آلاف ختمة ، فلما أكملها رآها في المنام في حلها وحلها
فقال : لمن أنت ، فقالت : أنا الحور التي ابتعتني من الله تعالى بأربعة آلاف ختمة
هذا الثمن فما نحلتني أنا منك قال : ألف ختمة قال الجلا : فهو يعمل فيها بعد .

وروى عن سحنون أنه قال : كان بمصر رجل يقال له سعيد ، وكانت له أم
من المتعبدات ، وكانت إذا قام من الليل يصلي تقوم والدته خلفه فإذا غلب عليه
النوم ونعمس تناديه والدته : يا سعيد : إنه لا ينام من يخاف النار ويخطب الحور
الحسان فيقوم مرعوباً .

ويروى عن ثابت أنه قال : كان أبي من القوامين لله في سواد الليل ، قال :
رأيت ذات ليلة في منامى امرأة لا تشبه النساء ، فقلت لها : من أنت ؟ فقالت :
حوراء أمة الله ، فقلت لها : زوجيني نفسك ، فقالت : اخطبني من عند ربي وامهري
فقلت : وما مهرك ؟ فقالت : طول التجد ، وأنشدوا :

يا خاطب الحور في خدرها وطالباً ذاك على قدرها
انهض بجد لا تكن وانبا وجاهد النفس على صبرها
وجانب الناس وارفضهم وحالف الوحدة في ذكرها
وقم إذا الليل بدا وجهه وصم نهاراً فهو من مهرها
فلو رأيت عينك إقبالها وقد بدت رمانا صدرها

(١) كناية عن الصدقة يمتن التمرة أو كسرة الخبز كما دل عليه الخبر بعده

وهي تمشي بين أترابها وعقدتها يشرق في نحرها
لهان في نفسك هذا الذي تراه في دنياك من زهرها

وقال مضر القاريء : غلبني النوم ليلة فذمت عن حزبي فرأيت في منامي فيما
يرى النائم جارية كأن وجهها القمر المستم ومعهما رق فقالت : أتقرأ أيها الشيخ ؟
قلت : نعم ، فقالت : اقرأ هذا الكتاب ، ففتحته فإذا فيه مكتوب : فوالله ما ذكرته
قط إلا ذهب عني النوم :

ألهتك اللذائذ والأمانى عن الفردوس والظلال الدواني
ولذة نومة عن خير عيش مع الخيرات في غرف الجنان
تيقظ من منامك إن خيراً من النوم التهجد بالقران

وقال مالك بن دينار : كان لي أحزاب أقرأها كل ليلة ، فذمت ذات ليلة ، فإذا
أنا في المنام بجارية ذات حسن وجمال ويدها رقعة ، فقالت : أحسن أن تقرأ ؟ فقلت :
نعم ، فدفعت إلي الرقعة ، فإذا فيها مكتوب هذه الآيات :

لهاك النوم عن طلب الأمانى وعن تلك الأوانس في الجنان
تعيش مخلداً لا موت فيها وتلهو في الخيام مع الحسان
تنبه من منامك إن خيراً من النوم التهجد بالقران

وروى عن يحيى بن عيسى بن ضرار السعدي وكان قد بكى شوقاً إلى الله ستين
عاماً ، قال : رأيت كأن ضفة نهر يجري بالمسك الأذفر حافتاه شجر اللؤلؤ وزيت
من فضبان الذهب ، فإذا بجوار مزينات يقلن بصوت واحد : سبحان المسبح بكل
لسان سبحان الموجود بكل مكان سبحان الدائم في كل زمان سبحانه سبحانه ، قال :
فقلت : من أنتن ؟ قلن : خلن من خلن الله سبحانه ، قلت : وما تصنعن ها هنا ؟
فقلن :

يُناجون رب العالمين لحقهم وتسرى هموم القوم والناس نوم
ذراًنا إله الناس رب محمد لقوم على الأقدام بالليل قوم
فقلت : سبح . سبح لهو من هؤلاء ، لقد أفر الله أعينهم ، فقلن : أما تعرفهم ؟
فقلت : والله ما أعرفهم ، قلن : هؤلاء المهجدون بالليل أصحاب السهر

باب في الحور العين ومن أى شيء خلقن

روى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عن الحور العين من أى شيء خلقن . فقال من ثلاثة أشياء أسفلهن من المسك وأوسطهن من العنبر وأعلىهن من الكافور وشعورهن وحواجبهن سواد خط من نور .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : سألت جبريل عليه السلام فقلت أخبرني كيف يخلق الله الحور العين فقال لي يا محمد يخلقهن الله من قضبان العنبر والزعفران مضروبات عليهن الخيام أول ما يخلق الله منهن نهداً من مسك أذفر أبيض عليه يلتام البدن وروى عن ابن عباس أنه قال : خلق الله الحور العين من أصابع رجلها إلى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها إلى ثديها من المسك الأذفر ومن ثديها إلى عنقها من العنبر الأشهب ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض عليها سبعون ألف حلة مثل شقائق النعمان إذا أقبلت يتلألأ وجهها نوراً ساطعاً كما تتلألأ الشمس لأهل الدنيا وإذا أقبلت يرى كبدها من رقة ثيابها وجلدها . في رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الأذفر ولكل ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها وهي تنادى هذا ثواب الأولياء . جزاء بما كانوا يعملون (١) .

باب إذا ابتكر الرجل امرأة في الدنيا

كانت زوجته في الآخرة

ابن وهب عن مالك أن أسماء بنت ابن بكر الصديقة رضي الله عنهما امرأة الزبير ابن العوام كانت تخرج عليه حتى عوتب في ذلك قال : وغضب عليها وعلى ضررتها ففقد شعر واحدة بالأخرى ثم ضربهما ضرباً شديداً وكانت الضرة أحسن اتقاء وكانت أسماء لا تتقي . فكان الضرب بها أكثر . فشكت إلى أبيها أبي بكر فقال لها : أى بنية أصبرى فإن الزبير رجل صالح . ولعله أن يكون زوجك في الجنة .

(١) سبق أن نبهنا على مثل هذه الأخبار مراراً . احمد مرسى .

(م - ٣١ التذكرة)

ولقد بلغني أن الرجل إذا ابتكر بالمرأة تزوجها في الجنة قال أبو بكر بن العربي هذا حديث غريب ذكره في أحكام القرآن له . فإن كانت المرأة ذات أزواج فقيل أن من مات عنها من الأزواج أخراهن له . قال حذيفة لامرأته ان سرك أن تكوني زوجتي في الجنة ان جمعنا الله فيها فلا تزوجي من بعدى فإن المرأة لآخر أزواجها في الدنيا .

وخطب معاوية بن أبي سفيان أم الدرداء نأبت (١) وقالت سمعت أبا الدرداء يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : المرأة لآخر أزواجها في الجنة وقال لي إن أردت أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تزوجي من بعدى .

وذكر أبو بكر النجاد قال حدثنا جعفر بن محمد بن شاكر حدثنا عبيد بن اسحاق العطار حدثنا سنان بن هارون عن حميد عن انس أن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت : يا رسول الله المرأة يكون لها الزوجان في الدنيا ثم يموتون ويحتمعون في الجنة لايهما تكون . الأول أو الآخر ؟ قال لأحسنهما خلقا كان معها يأم حبيبة . ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة . وقيل أنها تخير إذا كانت ذات أزواج .

باب ما جاء أن في الجنة أكلا وشربا ونكاحا حقيقة

ولا قدر فيها ولا نقص ولا نوم

مسلم عن جابر بن عبد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا : فما بان الطعام قال : جشاء أو رشح كرشح المسك يلهمون التسليح والنحميد وفي رواية والتكبير كما يلهمون النفس .

الترمذي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في الجماع قيل يا رسول الله أو يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة وفي الباب عن زيد بن أرقم قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح .

(١) ان اباء هذه الصحابة الفاضلة رضوا الله تعالى عنها خطبة الزواج المعروف رغم مظاهر السمادة العاجلة مافيه . . فقد آثرت مايبقى على ما يفنى . أحمد مرسي

وذكر الدارمي في مسنده عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجوع والشهوة فقال رجل من اليهود أن الذي يأكل ويشرب يكون منه الحاجة قال ثم يفيض من جلده عرق فإذا بطنه قد ضم .

وذكر المخرمي عبد الله بن أيوب قال : حدثنا أبو أسامة عن هشام عن زبن ابن الحوارا وهو زيد بن العمى عن ابن عباس قال : قلنا يا رسول الله أنتفضى إلى نساءنا في الجنة كما نفضى إليهن في الدنيا قال أي والذي نفسي بيده أن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء .

خرجه البزار في مسنده من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله أنتفضى إلى نساءنا في الجنة قال : أي والذي نفسي بيده أن الرجل ليفضي في اليوم الواحد إلى مائة عذراء . وخرج عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ ان أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عادوا أبكاراً وسيأتى لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

ابن المبارك قال أخبرنا معمر عن رجل عن أبي قلابة قال يؤتون بالطعام والشراب فإذا كان في آخر ذلك أتوا بالشراب الطهور فيشربون فتضمع لذلك بطونهم وتفيض عرقاً من جلودهم أطيب من ريح المسك ثم قرأوا شراباً طهوراً ، أبو محمد الدارمي عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ ما من أحد يدخله الله الجنة إلا زوجه الله اثنين وسبعين زوجة اثنتين من الحور العين وسبعين من ميراثه من أهل النار ما منهن واحدة إلا ولها نيل . قبل شهى وله ذكر لا ينثى قال هشام بن خالد من ميراثه من أهل النار يعني رجالاً دخلوا النار فورث أهل الجنة نساءهم كما ورثت امرأة فرعون . وروى من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تمس أهل الجنة أزواجهم فقال نعم بذكر لا يمل وفرج لا يحنى وشهوة لا تنقطع . الدارقطني عن جابر بن عبد الله قيل يا رسول الله أينام أهل الجنة قال لا . النوم أخو الموت . والجنة لاموت فيها . والله أعلم .

باب المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة

كان حمله ووضعه وسنه في ساعة واحدة

الترمذى عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهى ، قال حديث حسن غريب أخرجه ابن ماجه وقال في ساعة واحدة في الجنة .

قال الترمذى : وقد اختلف أهل العلم في هذا ، فقال بعضهم في الجنة جماع ولا يكون ولد . هكذا يروى عن طاووس ومجاهد وإبراهيم النخعى . وقال محمد وقال اسحق بن إبراهيم ، في حديث النبي صلى الله عليه وسلم إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهى ، ولكن لا يشتهى هذا أبدا ، وقد روى عن أبي رزين العقيلي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد . والله أعلم .

باب ما جاء أن كل ما في الجنة دائم لا يبلى ولا يفنى ولا يبئد

مسلم عن أبي سعيد الخدرى وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ينادى مناد أن لكم أن تصحوا فلاتسه ، وأبدا ، وأن لكم أن تحيوا فلاتموتوا أبدا . وأن لكم أن تشبوا فلاتهرموا أبدا . وأن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا ، وذلك قوله عز وجل : ونودوا أن نلكموا الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ، وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا يبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، وقد تقدم قول الحور العين : نحن الخالدات فلا نبئد .

باب ما جاء أن المرأة من أهل الجنة ترى زوجها

من أهل الدنيا في الدنيا

ابن وهب قال : وحدثنا ابن زيد قال : يقال للمرأة من أهل الجنة وهي في السماء . أنجبين أن نريك زوجك من أهل الدنيا فتقول نعم ، فيكشف لها عن الحجب ويفتح الأبواب بينها وبينه حتى تراه وتعرفه وتعايه بالنظر حتى تستبطن قدميه وتشتاق إليه كما تشتاق المرأة إلى زوجها الغائب عنها . ولعله يكون بينه وبين زوجته في الدنيا ما يكون بين النساء وأزواجهن من مكالمة أو محاسبة فتغضبه زوجته التي في الدنيا فيشتق ذلك عليها وتقول : ويحك دعني من شرك إنما هو معك ليالي قلائل ، أخرجه الترمذي بمعناه عن معاذ بن جبل ، قال : لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا ، إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذي قاتلك الله ، وإنما هو دخيل عندك يوشك أن يفارقك إلينا ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب أخرجه ابن ماجه أيضاً .

باب ما جاء في طير الجنة وخيلها وأبلها

الترمذي ، عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله ﷺ ما الكوثر ، قال : ذاك نهر أعطانيه الله يعني في الجنة ، أند بياضاً من اللبن وأحلى من العسل : فيه طير أعناقها كأعنان الجزر ، فقال عمر : ان هذه لناعمة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكلها أنعم منها ، قال : هذا حديث حسن ، وأخرجه الثعلبي ، من حديث أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال : ان في الجنة طيراً مثل أعناق البخت تصف على يد ولي الله فيقول أحدها : يا ولي الله رعيت في مروج الجنة تحت العرش ، شربت من عيون التسنيم ، فكل مني فلا يزال يفتخرن بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها . فيخرب بين يديه على ألوان مختلفة فيأكل منه ما أراد ، فإذا شبع تجمع عظام الخيل فيطير رعى في الجنة حيث شاء ، فقال عمر بن الخطاب ، إنها لناعمة قال أكلها أنعم منها .

الترمذی . عن سليمان بن بريدة ، عن أبيه ، أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هل في الجنة من خيل : قال إن الله أدخلك الجنة فلا نشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حراء تطير بك حيث شئت ألا فعلت ، قال : وسأله رجل فقال : يا رسول الله هل في الجنة من أبل ، قال : فلم يقل له ما قال لصاحبه . فقال إن يدخلك الله الجنة لك فيها ما اشتيت نفسك ولذت عينك .

وخرج مسلم عن أنى مسعود الأنصارى . قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال : هذه في سبيل الله ، فقال رسول الله ﷺ : لك بها يوم القيامة سبعائة ناقة كلها مخطومة وذكر ابن وهب قال : حدثنا ابن زيد قال : كان الحسن البصرى يذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أدنى أهل الجنة منزلة الذى يركب في ألف ألف من خدمه من الولدان المخلدين على خيل من ياقوت أحمر لما أجزحة من ذهب اقرأوا إن شئتم ، وإذا رأيت (١) ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا .

وذكر ابن المبارك عن شفي بن مانع ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أن من نعيم أهل الجنة أنهم ليتزاورون على المطايا والنجب وأنهم يوثون في يوم الجمعة بخيل مسرجة ملجمة لاتروث ولا تبول فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء الله وذكر الحديث .

وعن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مرارا كبرهم ثم تلى قوله تعالى ، وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا ،

وحكى عن عبد الله بن المبارك . خرج إلى غزو فرأى رجلا حزينا قد مات فرسه فبقي محرونا ، فقال له بعض إياه بأربعمائة درهم ففعل الرجل ذلك ، أى باعه له ، فرأى من ليلته في المنام كأن القيامة قد قامت وفرسه في الجنة وخلفه سبعائة فرس . فأراد أن يأخذه فنودى أن دعه ، فإنه لابن المبارك وقد كان لك بالأمس ، فلما أصبح جاء إليه وطلب الإقالة فقال له ولم قال : قصص عليه

(١) ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوى بل معناه والله اعلم أن بصرك اينما وقع في الجنة رأيت نعيما والآية . أحمد مرسي

القصّة فقال له : اذهب فما رأيته في المنام رأينا ، في اليقظة . قال المؤلف رحمه الله تعالى ، وهذه الحكاية صحيحة لأنها في معنى ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي مسعود كما ذكرنا .

باب ما جاء أن الحناء سيد ريحان الجنة

وأن الجنة حفت بالريحان

ابن المبارك أنبأنا همام عن قاعة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمر قال : الحناء سيد ريحان الجنة ، وأن فيها من عناق الخيل وكرام النجائب يركبها أهلها . وقد تقدم عن أبي هريرة موقوفاً ، أن شجرة طوبى تنفق عن النجائب والثياب . ومثل هذا لا يقال من جهة الرأي وإنما هو توقيف فاعلمه .

وذكر أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت من حديث سعيد بن معن المدني قال : حدثنا مالك بن أنس عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الجنة حففها بالريحان وحفف الريحان بالحناء وما خلق الله شجرة أحب إليه من الحناء ، وأن الختضب بالحناء لتصلي عليه ملائكة السماء إذا غدا وتقدس الأرض قال السكري وتقدس عليه ملائكة الأرض إذا راح هذا حديث منكر لا يصح . وفي إسناده غير واحد لا يعرف .

وروى الترمذي في كتاب الثمائل . حدثنا محمد بن خليفة وعمرو بن علي قالوا : حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا الحجاج الصواف عن حنان عن أبي عثمان النهدي قال : قال رسول الله ﷺ إذا أعطى أحدكم الريحان فلا يرده فإنه خرج من الجنة قال أبو عيسى لا يعرف حنان غير هذا الحديث ، وقال عبد الرحمن ابن أبي حاتم في كتاب الجرح والتعديل ، حنان الأسدي من بني أسد بن شريك وهو حنان صاحب الرقيق ، عم مسرهد والد مسدد ، روى عن أبي عثمان النهدي وروى عنه الحجاج بن أبي عثمان الصواف سمعت أبي يقول ذلك . وقد تقدم عن أبي هريرة موقوفاً أن شجرة طوبى تنفق عن النجائب والثياب ، ومثل هذا كله لا يقال من جهة الرأي وإنما هو توقيف فاعلمه .

باب ما جاء أن الشاة والمعزى من دواب الجنة

ابن ماجة عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ الشاة من دواب الجنة وفي كتاب البزار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أحسنوا إلى المعزى واميطوا عنها الأذى فإنها من دواب الجنة ، وفي التنزيل « وفديناه بذبح عظيم ، وإنما سمي عظيم لأنه رعا في الجنة أربعين عاماً ، روى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه .

باب ما جاء أن للجنة ربضا وريحاً وكلاماً

البيهقي عن أنس عن النبي ﷺ قال : لما خلق الله الجنة عدن وغرس أشجارها بيده قال لها تكلمي فقالت « قد أفلح المؤمنون ، خرجه البزار من حديث أبي سعيد الخدري .

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الأذفر . وقال لها تكلمي فقالت « قد أفلح المؤمنون ، فقال طوبى لك منزل الملوك وهذا يروى موقوفاً عن أبي سعيد الخدري قال : لما خلق الله الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرسها . قال لها تكلمي فقالت « قد أفلح المؤمنون ، فدخلتها الملائكة . فقالت طوبى لك منزل الملوك ، وروى من حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما خلق الله الجنة قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها تكلمي فتكلمت ثم قالت : طوبى لمن رضيت عنه .

البيهقي عن فضالة بن عبيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أنا زعيم والزعيم الخليل من آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله يلبس له في ريش الجنة ، وبيت في وسط الجنة وبيت في أعلى غرف الجنة ، من فعل ذلك فلم يدع للخير مطلباً ولا من الشر مهرباً يموت حيث شاء أن يموت .

وقال عمر بن عبد العزيز والزهدي والباكلي ومجاهد مؤمنوا الجن في ريش

ورحاب حول الجنة وليسوا فيها وروى مالك عن مسلم بن ابي مریم عن ابي صالح ،
عن ابي هريرة أنه قال نساء كاسيات عاريات مايلات مميلات لا يدخلن الجنة
ولا يجدن ريحها وأن ريحها يوجد من مسيرة خمسين سنة ، هذا موقوف قال
أبو عمر بن عبد البر : وقد رواه عبد الله بن نافع الصايغ عن مالك بهذا
الإسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وخرج أبو داود والترمذی عن ابي هريرة عن النبي ﷺ قال : الا من
قتل نفساً معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا یرح رائحة
الجنة وأن ريحها لیوجد من مسيرة سبعین خريفا . لفظ الترمذی .
قال : وفي الباب عن ابي بكره قال أبو عيسى حديث ابي هريرة حديث
حسن صحيح .

وخرج البخاری عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
من قتل نفساً معاهدا لم یرح رائحة الجنة وأن ريحها لیوجد من مسيرة أربعين عاما .

باب ما جاء في الجنة قيعانا وأن غراسها

سبحان الله والحمد لله

الترمذی . عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقيت
ابراهيم عليه السلام ، ليلة أسرى بي فقال ، يا محمد اقرأ أمّتك مني السلام وأخبرهم
أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر . قال : وفي الباب ، عن ابي أيوب وهذا حديث
حسن غريب .

ابن ماجه عن ابي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو يفرس
غرسا فقال : يا ابا هريرة ما الذي تفرس ، قال : غرسا قال : ألا أدلك على غراس
خير من هذا ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يفرس لك بكل
واحدة شجرة في الجنة .

الترمذی . عن جابر بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من قال

سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة في الجنة ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب .

باب ماجاء أن الذكر نفقة بناء الجنة

ذكر الطبري . في كتاب آداب النفوس قال : حدثنا الفضل بن الصباح قال : سألت النضر بن اسماعيل فحدثني عن حكيم بن محمد الأحمسي ، قال : بلغني أن الجنة تبنى بالذكر فإذا حبسوا الذكر كفوا عن البناء . فيقال لهم في ذلك فيقولون حتى يجينا نفقة ، قال المؤلف رحمه الله : الذكر طاعة الله ، عز وجل في أمثال أمره واجتناب نهيه .

ودليله ما روى عن النبي ﷺ : من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قل صلاته وصومه وصنيعه للخير ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثر صلاته وصومه وصنيعه للخير . ذكره أبو عبد الله ، محمد في أحكام القرآن له ، وذكره أيضا العامري في شرح الشهاب له .

ولفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أطاع الله فقد ذكره وإن كان ساكنا ، ومن عصى الله فقد نسيه وإن كان قاريا مسبحا ، قال المؤلف رحمه الله ، وهذا والله أعلم لأنه كالمستهزئ والمتهاون ومن اتخذ آيات الله هزوا وقد قال العلماء في تأويل قوله تعالى : ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، أي لا تركوا أمر الله فتكونوا مقصرين لاعبين ، قالوا : ويدخل في هذه الآية الاستغفار من الذنب قولاً مع الإصرار فعلاً . وكذلك ما كان في هذا المعنى والله أعلم .

باب ما لأدنى أهل الجنة منزلة وما لأعلام

مسلم . عن المغيرة بن شعبه يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : سألت موسى عليه السلام ربه ، فقال : يارب ما أدنى أهل الجنة منزلة ، قال : هو رجل يأتي بعد ما يدخل أهل الجنة الجنة ، فيقول : أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذانهم فيقال له : أترض أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا

فيقول رضيت رب فيقول : لك ذلك ومثله معه ، ومثله ، ومثله ، ومثله ، فقال في الخامسة ، رضيت رب ، فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ، واك ما اشتيت نفسك ، ولذت عينك ، فيقول : رضيت رب ، قال : يارب فأعلام منزلة ، قال : أولئك الذين أردت . غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ، قال : ومصدقه من كتاب الله ، فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرآءة أعين ، وقد روى موقوفا عن المغيرة قوله .

البخارى . عن عبد الله هو ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : إن آخر أهل الجنة دخولا الجنة ، وآخر الناس خروجا من النار ، رجل يخرج حبوا ، فيقول له ربه : أدخل الجنة فيقول : رب الجنة ملأى ، فيقول له ذلك ثلاث مرات كل ذلك يعيد عليه الجنة ملأى ، فيقول : إن لك مثل الدنيا عشر مرات وقد تقدم هذا .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : أن أدنى أهل الجنة منزلة من له سبع قصور ، قصر من ذهب ، وقصر من فضة ، وقصر من در ، وقصر من زمرد ، وقصر من ياقوت ، وقصر لا تدركه الأبصار ، وقصر على لون العرش ، في كل قصر من الحلى والحلال والحور العين ما لا يعلمه إلا الله عز وجل ذكره القتيبي في عيون الأخبار له وفي مراسل الحسن عن رسول الله ﷺ أن أدنى أهل الجنة منزلة الذي يركب في ألف ألف من خدمه الحديث وقد تقدم .
وخرج الترمذى . عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيا ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة ، قال حديث غريب ، وقد روى عن ابن عمر ولم يرفعه .

وخرج عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة ، وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء قال : هذا حديث غريب .

ابن المبارك قال أخبرنا سفيان عن رجل عن مجاهد قال : أن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه مسيرة ألف سنة يرى أنصاه ككأبرى أدناه . وأرفعهم هو الذى ينظر إلى ربه بالغداة والعشى . وتد تقدم هذا من نوعا فى الباب عن ابن عمر موقوفا وهذا الباب والذى قبله يدل على أن أدنى أهل الجنة منزلة له الكثير من الزوجات من الحور العين على ما قررناه فيما تقدم والله أعلم .

باب رضوان الله تعالى لأهل الجنة أفضل من الجنة

البخارى . عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الله تعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير فى يدك ، فيقول هل رضىم ، فيقولون : وما لنا لا نرضى يارب . وقد أعطينا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أفلا أعطيكم أفضل من ذلك ، فيقولون ياربنا أى شىء أفضل من ذلك ، فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا ، أخرجه مسلم ، بمعناه فى حديث فيه طول .

باب رؤية أهل الجنة لله تعالى

أحب إليهم بما هم فيه وأقر لأعينهم

مسلم . عن صهيب ، عن النبي ﷺ قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى لهم أتريدون شيئا أزيدكم ، فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ، قال فيكشف لهم الحجاب ، فاعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل ، وفى رواية ثم تلى هذه الآية : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة .

وخرج النسائى عن صهيب قال : قيل لرسول الله هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى زيادة ، قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ينادى مناديا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ، فقالوا : ألم تبيض وجوهنا وتثقل موازيننا وتجبرنا من النار . قال : فيكشف الحجاب فينظروا إلى ربهم

فوالله ما أعظام الله شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجه الله ولا أقر لأعينهم .

وخرجه أبو داود الطيالسي أيضاً . قال : حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال : تلى رسول الله ﷺ هذه الآية وللذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادياً أهل الجنة أن لكم عند الله تعالى موعداً فيقولون : ما هو أليس قد بيض وجوهنا وثقل موازيننا وأدخلنا الجنة فيقال لهم ثلاثاً ، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه فيكون ذلك عندهم أعظم مما أعطوا .

أخبرنا الشيخ الراوية . أبو محمد عبد الوهاب قرأه عليه بغير الاسكندرية حماد الله قال : قرىء على الحافظ السلعي وأنا أسمع قال أخبرنا الحاجب أبو الحسن ابن العلاف ، حدثنا أبو القاسم بن بشر أن إبننا أبو بكر الأجرى حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الحميد الواسطي حدثنا عبد الوهاب بن عبد الحكم الوراق النيسابوري حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : ان أهل الجنة إذا دخلوا الجنة نودوا أن يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعداً لم تروه قالوا : وما هو ألم يبيض وجوهنا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة قال : فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعظام الله شيئاً هو أحب إليهم منه ، ثم تلى رسول الله ﷺ : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة .

قال المؤلف : رحمه الله وكذا أخرجه الإمام أحمد بن حنبل والدارقطني وابن أبي أسامة عن يزيد بن هارون ، وانفرد مسلم بإخراجه فرواه عن أبي بكر ابن أبي شيبه عن يزيد بن هارون ورواه نوح بن أبي مريم عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال : سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، فقال للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة قال : والزيادة النظر إلى وجهه الكريم ، فأخطأ فيه خطأ بينا وهم وهما قبيحا .

وذكر ابن المبارك . قال : أخبرنا أبو بكر الهلالى الهجيمى قال : سمعت
أبا موسى الأشعري على منبر البصرة يقول : ان الله يبعث يوم القيامة ملكا إلى أهل
الجنة فيقول هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلى والحلل والثمار والأنهار
والأزواج المطهرة فيقولون نعم أنجزنا الله ما وعدنا فيقول الملك هل أنجزكم ما وعدكم
ثلاث مرات فلا يفقدون شيئا مما وعدوا فيقولون نعم فيقول بقى لكم شيء إن
الله تعالى يقول ، للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، ألا ان الحسنى الجنة والزيادة النظر
إلى الله تعالى .

(فصل) ما رواه النسائي مرفوعا وكذلك أبو داود الطيالسي ، وأسنداه
عن الأجرى وذكره ابن المبارك موقوفا بين حديث مسلم ، وأن المعنى بقوله :
قال الله تعالى قال ملك الله تريدون شيئا أزيدكم أى يزيدكم وقوله فيكشف الحجاب
معناه أنه يرفع الموانع من الإدراك عن أبصارهم حتى يروه على ما هو عليه من نعوت
العظمة والجلال والبهاء والكمال والرفعة والجمال لا إله إلا هو سبحانه عما يقول
الزائفون والمبطلون فذكر الحجاب إنما هو فى حق المخلوق لا فى حق الخالق ،
فهم المحجوبون ، والبارى جل اسمه وتقدسست أسماؤه منزلة عما يحجبه ، إذ الحجب
إنما يحيط بمقدر محسوس وذلك من نعوتنا ، ولكن حجبه عن أبصار خلقه ،
وبصائرهم . وإدراكاتهم بما شاء وكيف شاء .

وروى فى صحيح الأحاديث ، أن الله تعالى إذا تجلى لعباده ورفع الحجب عن
أعينهم فإذا رآوه تدفقت الأنهار واصطفت الأشجار : وتجاوبت السرر والغرفات
بالصرير والأعين المتدفقات بالخويز واسترسلت الريح المثيرة ، وبثت فى الدور
والقصور المسك الأذفر والكافور وغردت الطيور وأشرقت الحور العين . ذكره
أبو المعالى فى كتاب الرد له على السجزي ، وقال : وكل ذلك بقضاء الله وقدره وإن
لم يكن منها شيء عن الرؤية والنظر ولكن الله تعالى يعرف بما شاء ما شاء من آيات
ظلمته ودلالات هيئته وذلك بمشابة تدكك الجبل الذى تجلى الله له . وترضضه
حتى صار رملا هابلا سايلا والله أعلم .

باب منه في الروية

مسلم . عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال : جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم ، وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل ، إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ، وعن جرير بن عبد الله قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ : وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ، أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح .

وخرج أبو داود عن أبي رزين العقيلي قال : قلت يا رسول الله ، أكلنا يرى الله محلياً به يوم القيامة . قال نعم . قلت وما آية ذلك في خلقه قال : يا أبا رزين ، أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخلياً به . قلت بلى . قال فأنه أعظم إنما هو خلق من خلق الله يعني القمر فأنه أجل وأعظم .

(فصل) قوله إلا رداء الكبرياء على وجهه الرداء به هنا مستعار كفى به عن كبريائه وعظمته يدينه الحديث الآخر الكبرياء رداً ، والعظمة أزارى يريد بذلك صفتي فقره : رداء الكبرياء يريد صفة الكبرياء فهو بكبريائه وعظمته لا يريد أن يراه أحد من خلقه بعد رؤية القيامة حتى يأذن لهم بدخول جنة عدن فإذا دخلوها أراد أن يروه فيروه وهم في جنة عدن قال : معناه البيهق وغيره . وليست العظمة والكبرياء من جنس الثياب المحسوسة ، وإنما هي توسعات ووجه المناسبة أن الرداء والأزار ، لما كانا ملازمين للإنسان مخصوصين به ، ولا يشاركه

ففيها غيره عبر عن عظمته وكبريائه بهما لانهما بما لا يجوز مشاركة الله تعالى
فيهما ألا ترى آخر الحديث فن نازعني واحداً منهما قصته ثم قذفته في النار .

باب منه

وفي سلام الله تعالى عليهم

روى محمد بن المكندر عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور من فوقهم فإذا الرب سبحانه
قد أشرف عليهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة وذلك قوله تعالى و سلام
قولاً من رب رحيم ، قال : فإذا نظروا إليه نسوانعيم الجنة حتى يحتجب عنهم
فإذا احتجب عنهم بقي نوره وبركته عليهم في ديارهم .

(فصل) قوله : قد أشرف عليهم أى أطلع كما يقال فلان مشرف عليك
أى مطلع عليك من مكان عال والله تعالى لا يوصف بالمكان من جهة الحلول
والتمكن وإنما يوصف من جهة العلو والرفعة فعبر عن اطلاعه عليهم ونظره
إليهم بالإشراف ولما كان سبحانه قابلاً متكاملاً وكان الكلام له صفة في ذاته ،
لم يزل ولا يزال فهو يسلم عليهم سلاماً هو قول منه ، كما قال تعالى :
و سلام قولاً من رب رحيم ، وقوله : فإذا نظروا إليه نسوانعيم الجنة أى لخوا
عنه بلذة النظر إلى وجهه الكريم وذلك أن ما دون الله تعالى لا يقاوم تجليه ،
ولولا أن الله تعالى يثبتهم ويبقيهم لحل بهم ما حل بالجبل حين تجلى له ،
وقوله حتى يحتجب عنهم يجوز أن يكون معناه حتى يردمهم إلى نعيم الجنة الذى
نسوه وإلى حظوظ أنفسهم وشهواتها التى سهوا عنها فانتفعوا بنعيم الجنة الذى
وعده لهم وتنعموا بشهوات النفوس التى أعدت لهم وليس ذلك إن شاء الله
تعالى على معنى الاحتجاب عنهم الذى هو بمعنى الغيبة والإستار فيكونوا له
ناسين وعن شهوده محجوبين ، وإلى نعيم الجنة ساكنين ، ولكنه يردمهم إلى

ما نسوه ولا تحجبهم عما شاهدوه حجة غيبة واستتار ، يدل على ذلك قوله : بقى نوره وبركته عليهم في ديارهم وكيف يحجبهم عنه وهو ينعت المزيد عليهم وما وعدم به من النعيم والنظر إذا صح والحجة إذا ارتفعت لم يكن بين نظر البصر وشهود السر فرق . ولا بين حال الشهود والغيبة فرق فيكون محجوباً في حال الغيبة بل تنفق الأوقات وتتساوى الأحوال فيكون في كل حال شاهداً وبكل جارحة ناظراً ولا يكون في حال محجوباً ولا بالغيب موصوفاً .

حكاية

حكى عن قيس المجنون أنه قيل له : ندعو لك ليلي ؟ فقال وهل غابت عني فتدعي ؟ فقيل له : أنتحب ليلي ؟ فقال : المحبة ذريعة الوصل وقد وقعت الوصل فأنا ليلي وليلي أنا والله أعلم .

باب منه

وبيان قوله تعالى « ولدينا مزيد »

يحيى بن سلام قال : أخبرنا رجل من أهل الكوفة عن داود بن أبي هند عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة لينظرون إلى ربهم في كل جمعة على كئيب من كافور لا يرى طرفاه وفيه نهر جار حافتاه المسك عليه جوار يقرؤون القرآن بأحسن أصوات سمعها الأولون والآخرون فإذا انصرفوا إلى منازلهم أخذ كل رجل بيد من شاء منهم ثم يمرون على قناطر من لؤلؤ إلى منازلهم فلولا أن الله تعالى بهديهم إلى منازلهم ما اهتدوا إليها لما يحدث الله إليهم في كل جمعة .

وخرج عن بكر بن عبد الله المزني قال : إن أهل الجنة ليزورون ربهم في مقدار كل عيد كأنه يقول في كل سبعة أيام مرة فيأتون رب العزة في حلل خضر ووجوه مشرقة وأساور من ذهب مكللة بالدر والزمرد عليهم أكاليل الذهب ويركبون نجائبهم ويستأذنون على ربهم فيأمر لهم ربنا بالكرامة .

(م - ٣٢ التذكرة)

وذكر هودا بن المبارك جميعاً قال ، حدثنا المسعودي عن النهال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود قال : تسارعوا إلى الجمعة فإن الله يبرز لأهل الجنة كل يوم جمعة في كتيب من كافور أبيض فيكونون معه في القرب قال ابن المبارك : على قدر تسارعهم إلى الجمعة في الدنيا .

وقال يحيى بن سلام : كسارعتهم إلى الجمعة في الدنيا ، قال يحيى : وسمعت غير المسعودي يزيد فيه وهو قوله تعالى « ولدينا مزيد » وقال الحسن في قوله تعالى « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » قال : الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل وليس شيء أحب إلى أهل الجنة من يوم الجمعة يوم المزيد لأنهم يرون فيه الجبارجل جلاله وتقدس أسمائه .

فصل

قال المؤلف رحمه الله قوله في كتيب يريد أهل الجنة أي هم على كتيب كما في مرسل الحسن أول الباب وقيل المزيد ما يزوجون به من الحور العين رواه أبو سعيد الخدري مرفوعاً .

وذكر أبو نعيم الحافظ عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال : إن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول : ما تريدون أن أمطركم فلا يتمنون شيئاً إلا مطروا قال خالد : يقول كثير ابن أشهدني الله ذلك لأقولن لها أمطرينا جوارى مزيّنات وقد تقدم من حديث ابن عمرو أكرمهم على الله من ينظر إلى الله غدوة وعشية ، وهذا يدل على أن أهل الجنة في الرؤية يختلفوا الحال .
وقد روى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال إن الله تعالى عباداً لو حجهم في الجنة ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار وعذابها .

باب

نبذ من أقوال العلماء في تفسير كلمات وآيات من القرآن

وردت في ذكر الجنة وأهلها

من ذلك قوله تعالى « ونزعنا ما في صدورهم من غل ^(١) » قال ابن عباس أول ما يدخل أهل الجنة الجنة تعرض لهم عينان فيشربون من إحدى العينين فيذهب

(١) أي حقد كان في الدنيا .

الله تعالى ما في قلوبهم من غل ثم يدخلون المين الأخرى فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم وتجري عليهم نضرة النعيم ، وقال على رضى الله عنه في قوله تعالى « وسقاهم ربهم شرابا طهورا » قال إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من إحداها فتجري عليهم بنضرة النعيم فلا تتغير ألبسارهم ولا تشتت أشعارهم أبداً ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من الأذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فتقول « لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدن ، وذكره ابن المبارك قال : أخبرنا معمر عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضرة عن علي أنه تلى هذه الآية « وسيق^(١) الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها ، وجدوا عند باب الجنة شجرة يخرج من ساقها عينان فعمدوا إلى إحداها كأنما أمروا بها فاغتسلوا منها فلم تشتت رؤوسهم بعدها أبداً ولم تغير جلودهم بعدها أبداً كأنما دهنوا بالدهن ثم عمدوا إلى الأخرى فشربوا منها فطهرت أجوافهم وغسلت كل قدر فيها وتلقاهم على كل باب من أبواب الجنة ملائكة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدن ، ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان الدنيا بالحميم يحيى من الغيبة يقولون : أبشر أعداءك كذا وكذا ، ثم يذهب الغلام منهم إلى الزوجة من أزواجه فيقول قد جاء فلان باسمه الذى كان يدعى في الدنيا فتقول له : أنت رأيت ؟ فيستخفها الفرح حتى تقوم على أسكفة الباب ثم ترجع فتجىء فتنظر إلى تأسيس بنيانه من جندل اللؤلؤ أخضر وأصفر وأحمر من كل لون ثم يجلس فينظر فإذا زرابى مشوثة وأكواب موضوعة وبنامق مصفوفة ثم يرفع رأسه إلى سقف بنيانه فلولا أن الله قدر ذلك لأذهب بصره لأنما هو مثل البرق ، ثم يقول - كما أخبر تعالى « الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ،

وذكره القتيبي في عيون الأخبار له مرفوعاً عن علي رضى الله عنه أنه قال :

(١) سياق إعزاز وتشريف بالإسراع بهم إلى دار الكرامة أو سيق مراكبهم إذ لا يذهب بهم إلا راكبين .

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل : يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ، ما هؤلاء الوفد قال : يحشرون ركباناً ثم قال : والذي نفسي بيده أنهم إذا خرجوا من قبورهم ركبوا نوقاً عليها رحائل الذهب مرصعة بأنواع الجواهر فتسير بهم إلى باب الجنة قال : وعند باب الجنة شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحدى تلك العيون فإذا بلغ الشراب الصدر أخرج الله كل ما في قلوبهم من غل فإذا بلغ الشراب البطن طهرهم الله به من دنس الدنيا وقدرها فذلك قوله تعالى : وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ، قال : ثم يغتسلون من العين الأخرى فلا تشعث رموسهم ولا تتغير ألوانهم قال : ثم يضربون حلق أبواب الجنة فلو سمعت الخلائق طنين الأبواب لافتتنوا بها فيبادر رضوان فيفتح لهم فينظرون إلى حسن وجهه فيخرون ساجدين فيقول لهم رضوان يا أولياء الله أنا قيمكم الذي وكلت بكم وبمنازلكم فينطلق بهم إلى قصور من فضة شرافاتها من ذهب يرى ظاهرها من باطنها من النور والرقعة والحسن قال فيقول أولياء الله عند ذلك يا رضوان لمن هذا ؟ فيقول : هذا لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلولا أن الموت يرفع عن أهل الجنة لمات أكثرهم فرحاً ، قال : ثم يريد أحدهم أن يدخل قصره فيقول له رضوان اتبعني حتى أريك ما أعد الله لك قال فيمر به فيريه قصوراً وخياماً وما أعطاه الله عز وجل قال : ثم يأتي به إلى غرفة من ياقوتة من أسفلها إلى أعلاها مائة ذراع قد لونت بجميع الألوان على جنادل الدر والياقوت وفي الغرفة سرير طوله فرسخ في عرض مثل ذلك عليه من الفراش كقدر خمسين غرفة بعضها فوق بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذلك قوله عز وجل : وفرش مرفوعة ، وهي من نور والسرير من نور وعلى رأس ولي الله تاج له سبعون ركناً في كل ركن سبعون ياقوتة تضيء وقد رد الله وجهه كالبدر وعليه طوق ووشاح يتلألأ من نور وقد سور بثلاثة أسورة سوار من الذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ فذلك قوله تعالى : يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير ، وقوله تعالى : جنات عدن يدخلونها ، قال ابن عباس الجنات سبع : دار الجلال ، ودار السلام ، وجنة عدن ، وجنة

(۱) فلعل ذلك الشراب هو الذي غسل به صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين شق فلم يبق به حظ للشيطان وأشار إليه تعالى ألم فشرح لك صدرك والله أعلم .

المأوى ، وجنة الخلد ، وجنة الفردوس ، وجنة النعيم ، وقيل : إن الجنان أربع لأن الله تعالى قال « ولمن خاف مقام ربه جنتان » وقال بعد ذلك « ومن دونهما جنتان » ولم يذكر سوى هذه الأربع جنة خامسة ، فإن قيل فقد قال جنة المأوى قيل جنة المأوى اسم لجميع الجنان يدل عليه أنه تعالى قال : فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون والجنة اسم الجنس ، فمرة يقال جنة ومرة يقال جنات وكذلك جنة عدن وجنات عدن لأن عدن الإقامة وكلها دار الإقامة كما أن كلها مأوى المؤمنين ، وكذلك دار الخلد ودار السلام لأن جميعها للخلود والسلامة من كل خوف وحزن وكذلك جنات النعيم وجنة النعيم لأن كلها مشحونة بأصناف النعيم ذكره الخليلي في كتاب منهاج الدين له وقال : إنما منعنا أن نجعل كل واحدة من عدن والمأوى والنعيم جنة سوى الأخرى لأن الله تعالى إن كان سمي شيئاً من هذه الأسماء جنة في موضع فقد سمي الجنات كلها بذلك الاسم في موضع آخر فعلنا أن هذه الأسماء ليست لتمييز جنة من جنة ولكننا للجنان أجمع لا سيما وقد أتى الله بذكر العدد فلم يثبت إلا أربعاً ، وقد أثبت لهذه الجنان أبواباً فقال : وفتحت أبوابها ، وقال عليه الصلاة والسلام : إن أبواب الجنة ثمانية فيحتمل أن يكون ذلك ، لأن لكل جنة من الجنان الأربع بابين ، ووصف أهل الجنة فصنفهم صنفين أحدهما السابقون المقربون والآخرون أصحاب اليمين ، فعلنا أن السابقين أهل الجنتين العلويتين في قوله « ولمن خاف مقام ربه جنتان » وأهل اليمين أهل الجنتين الدنيتين في قوله : « ومن دونهما جنتان » وبهذا جاءت الروايات .

وروى سعيد بن جبیر عن ابن عباس في قوله تعالى : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » إلى قوله « ومن دونهما جنتان قال ، فتلك للقرابين وهاتان لأصحاب اليمين وعن أبي موسى الأشعري نحو ذلك .

قوله تعالى « يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ » قال المفسرون : ليس أحد من أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أساور من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ وقال هنا من أساور من ذهب ولؤلؤ وقال في آية أخرى « وحلوا أساور من فضة » .

وفي الصحيح تبلغ حلية المؤمن حيث تبلغ الوضوء وقرىء لؤلؤا بالنصب على معنى ويحلون لؤلؤا وأساورا جمع أسورة وأسورة واحدا سوار فيها ثلاث لغات ضم السين وكسرها وأسوار ، قال المفسرون : لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان جعل الله ذلك لأهل الجنة إذ هم ملوك قوله تعالى «ولباسهم فيها حرير»

روى عن يحيى بن سلام عن حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة قال : دار المؤمن في الجنة درة مجوفة في وسطها شجرة تنبت الحلل ويأخذ بأصبعه أوقال بأصبعيه سبعين حلة منظمة باللؤلؤ والزبرجد والمرجان وأخرجه ابن المبارك بهذا السند عن حماد عن ابن المهزم قال : سمعت أبا هريرة يقول : إن دار المؤمن في الجنة من لؤلؤة فيها أربعون بيتا في وسطها شجرة تنبت الحلل فيذهب فيأخذ بأصبعيه سبعين حلة منظمة باللؤلؤ والزبرجد والمرجان ، وقد تقدم هذا المعنى وأبو المهزم ضعيف .

وروى عن أبي هريرة أنه قال : بلغني أن ولي الله يلبس حلة ذات وجهين يتجاوبن بصوت مابح تقول التي تلى جنده : أنا أكرم على ولي الله منك أنا أمس بدنه وأنت لا تمسبه وتقول التي تلى وجهه : أنا أكرم على ولي الله منك ، أنا أرى وجهه وأنت محجوبة لا ترى وجهه وقد تقدم أن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ، من حديث أبي سعيد الخدري صححه أبو عمرو رحمه الله وقال : هذا عندي على نحو المعنى الذي نزعنا به في شارب الخمر أنه إذا دخل الجنة لا يشرب فيها خمرا ولا يذكرها ولا يراها ولا تشتهيها نفسه فكذلك لابس الحرير في الدنيا إن لم يتب منه .

قال المؤلف رضي الله عنه وكذلك من استعمل آنية الذهب والفضة ولم يتب من استعمالها .

وقد روى عن أبي موسى الأشعري أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين ، فقيل : ومن الروحانيون يا رسول الله ؟ قال قراء أهل الجنة أخرجه الترمذي أبو عبد الله .

في نوادر الأصول ، وقد قيل : إن حرمانه الخمر وإبائه الخمر وشربه في إناء الذهب والفضة واستماعه للروحانيين إنما هو في الوقت الذي يعذب في النار ويسقى من طينة الخبال ، فإذا خرج من النار بالشفاعة أو بالرحمة العامة المعبر عنها في الحديث بالقبضة أدخل الجنة ولم يحرم شيئاً منها لا خمر ولا حريراً ولا غيره ، لأن حرمان شيء من لذات الدنيا لمن كان في الجنة نوع عقوبة ومؤاخذة والجنة ليست بدار عقوبة ولا مؤاخذة فيها بوجه من الوجوه .

قال المؤلف رحمه الله : وحديث أبي سعيد الخدري وأبو موسى الأشعري يرد هذا القول وكما لا يشتهى منزلة من هو أرفع منه وليس ذلك لعقوبة كذلك لا يشتهى خمر الجنة ولا حريرها ولا يكون ذلك عقوبة .

قوله تعالى ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق ، وقال عليهم (۱) ثياب سندس خضر واستبرق ، الاستبرق : الديباج الصفيق الكثيف ، والسندس : الرقيق الخفيف ، وخص الأخضر لأنه الموافق للبصر ، لأن البياض يبدد النظر ويؤلم والسواد يورم والخضرة لون بين السواد والبياض وتلك تجمع الشعاع . قوله تعالى « متكئين فيها على الأرائك ، الأرائك جمع أريكه وهي السرر في الحجل ، وقال متكئين على سرر مصفوفة .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج في شهر واحد ألف حوراً يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا .

وروى عن ابن عباس أنه قال : إن الرجل من أهل الجنة يعانق الحور سبعين سنة لا يملها ولا يمله كلها أتاها وجدها بكراً ، وكلما رجعت إليه عادت إليه شهوته فيجامعها بقوة سبعين رجلاً لا يكون بينهما منى يأتي من غير منى ولا منها .

وقال المسيب بن شريك : قال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى « إنا أنشأناهم إنشأً فجعلناهم أبنكاراً عرباً (۲) أتراباً ، قال : هي عجائز الدنيا أنشأ الله خلقاً جديداً كلها أتاها أزواجهن وجدوهن أبنكاراً ، فلما سمعت عائشة ذلك قالت :

(۱) وفي قراءة عليهم ثياب سندس .

(۲) جمع عروب وهي المتحبية إلى زوجها وسكن راءه حمزة وكلهن على سن واحد كلهن بنات ثلاث وثلاثين كأزواجهن .

واوجعاه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ليس هناك وجع وذكر يحيى بن سلام صاحب له عن أبان بن أبي عياش عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الرجل من أهل الجنة ليتنعم مع زوجته في تكاة واحدة سبعين عاما فتناديه أبهى منها وأجل من غرفة أخرى اما آن لنا منك دولة بعد فيلتفت إليها فيقول من أنت ؟ فتقول : أنا من اللاتي قال الله تعالى «ولدينا مزيد» فيتحول إليها يتنعم معها سبعين عاما في تكاة واحدة فتناديه أبهى منها وأجل من غرفة أخرى اما آن لنا منك دولة بعد فيلتفت إليها فيقول : من أنت ؟ فتقول : أنا من اللاتي قال الله تعالى « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» فيتحول إليها فيتنعم معها في تكاة واحدة سبعين عاما فهم كذلك يزورون ، قال تعالى « وزوجناهم بحور عين ، الحور البيض في قول قتادة والعامه ، والعين العظام العيون وقال قتادة في قوله تعالى « إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون» يعني في الآخرة شغل فاكهون ، قال : يعني افتضاض العذارى فاكهون ، قال الحسن : مسرورون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون ، قوله تعالى « أولئك لهم رزق معلوم ، فيه قولان : أحدهما حين يشتهونه ، قاله مقاتل : الثاني بمقدار الغداة والعشى قاله ابن السائب قال الله تعالى « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ، قال العلماء : ليس في الجنة ليل ولا نهار وإنما هم في نور أبدا ، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب ، ذكره أبو الفرج ابن الجوزي .

وخرج أبو عبد الله الترمذى في نوادر الأصول له من حديث أبان عن الحسن وأبي قلابة قال قال رجل يارسول الله هل في الجنة من ليل ؟ قال : وما هي بك على هذا قال سمعت الله تعالى يقول في الكتاب « ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا ، فقلت : الليل بين البكرة والعشى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس

(۲) متلذذون في النعمة والفاكهة والتشكير والإبهام دلالة التنظيم لهجتهم إلخ.

هناك ليل إنما هو ضوء ونور يرد الغدو على الرواح والرواح على الغدو وبأنهم طرف الهدايا لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون فيها وتسلم عليهم الملائكة قوله تعالى ذكره. فواكه جمع فاكهة قال الله تعالى « وأمددناهم بما كرهوا ولحمنا يشتهون » وهي الثمار كلها رطبها ويابسها قاله ابن عباس ، وقال مجاهد في قوله تعالى « ودانية عليهم ظلالها ، يعني ظلال الشجر » وذلك قطوفها تذليلاً ، أي ذلك ثمارها يتناولون منها كيف شاءوا إن قام ارتفعت بقدره وإن قعد تدلت إليه وإن اضطجع تدلت إليه حتى يتناولها .

وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا شريك عن أبي إسحاق عن البراء « ودانية عليهم ظلالها وذلك قطوفها تذليلاً ، قال : أهل الجنة يأكلون الثمار من الشجر كيف شاءوا جلوساً ومضطجعين وكيف شاءوا واحد القطوف قطف بكسر القاف .

وذكر ابن وهب قال : أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن خلق أهل الجنة إذا دخلوا الجنة ستون ذراعاً كالنخلة السحوق يأكلون من ثمار الجنة قياماً .

وذكر يحيى بن سلام عن عثمان بن نعيم بن عبد الله عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده أن أهل الجنة ليتناولون من قطوفها وهم متكئون على فراشهم فما تصل إلي في أحدهم حتى يبدل مكانها أخرى قوله تعالى « يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب » .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم بيد كل خادم صحفتان واحدة ذهب والأخرى فضة في كل واحدة لون لا يشبه الأخرى ذكره القتيبي في عيون الأخبار . قال المفسرون يطوف على أديانهم منزلة سبعون ألف غلام بسبعين ألف صحفة من ذهب يغدي عليه بها في كل واحدة منها لون ليس في صاحبها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضاً ويراع عليه بمثلها ويطوف على أرفعهم درجة كل يوم سبعائة ألف غلام مع كل غلام صحفة

من ذهب فيها ألوان من الطعام ليس في صاحبها يأكل من آخرها كما يأكل من أولها ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضاً وأكواب أى ويطاف عليهم بأكواب كما قال تعالى «ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب» قال قتادة: الكوب المدور القصير العنق القصير العروة، والإبريق المستطيل الطويل العنق الطويل العروة.

وقال ابن عزيز: أكواب أباريق لا عرى لها ولا خراطيم واحدها كوب، قاله الأخفش وقطرب، وقال الجوهري في الصحاح: الكوب كوز لا عروة له، ونحوه قول مجاهد والسدي وهو مذهب أهل اللغة: التي لا آذان لها ولا عرى «كانت قوارير قوارير من فضة، أى اجتمع فيها صفاء القوارير في بياض الفضة وذلك أن لكل قوم من تراب أرضهم قوارير، قال: وإن تراب الجنة فضة فهي قوارير من فضة، قاله ابن عباس، وقال: هي في صفاء الفضة، وفي ذلك دليل على أن أرض الجنة من فضة، إذ المعهود في الدنيا اتخاذ الآنية من الأرض يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها كلقوارير يرى الشراب من جدر القوارير وهذا لا يكون في فضة «الدنيا قدرها تقديراً، أى في أنفسهم فأتهم على نحو ما قدروا واشتهوا من صغار وكبار وأوساط هذا تفسير قتادة.

وقال ابن عباس ومجاهد: أتوا بها على قدر رتبهم بغير زيادة ولا نقصان والمعنى قدرتها الملائكة التي تطوف عليهم ويسقون فيها كأساً أى من كأس كما قال في الآية الأخرى «إن الأبرار يشربون من كأس، يعنى الخمر، قال «ويطاف عليهم بكأس من معين، أى من خمر، والمعين: الماء الجاري الظاهر لا فيها غول، أى لا تغتال عقولهم ولا يصيبهم منها صداع ولا هم عنها ينزفون، أى لا تذهب عقولهم بشرها، يقال: الخمر غول للحليم والحرب غول للنفوس أى تذهب بها وقرأ حمزة والكساري: ينزفون بكسر الزاي من أتراف القوم إذا حان منهم النزف وهو السكر كما يقال: احصد الزرع إذا حان حصاده واقطف الكرم إذا حان قطافه، واركب المهر إذا حان ركوبه، وقيل: المعنى لا ينغدون شرابهم لأنه دأبهم والكأس عند أهل اللغة اسم شامل لكل إناء مع شرابه فإن كان

فارغاً فليس بكأس « كان مزاجها كافورا ، قال السكبي : كافورا عينا في الجنة يشرب بها أي منها وقيل الباء زائدة والمعنى : يشربها ومنه تنبت بالدهن أي تنبت بالدهن وقال « كان مزاجها زنجيلا ، وكانت العرب تستطيب الزنجبيل وتضرب به المثل وبالخر مزجين فخطبهم الله بما كانوا عارفين ويستحبون كأنه يقول لكم في الآخرة مثل ما تستحبون في الدنيا إن آمنتم « عينا فيها تسمى سلسيلا ، السلسيل اسم العين والسلسيل في اللغة صفة لما كان غاية في السلاسة ، وقال تعالى « يسقون من رحيق » يعني الشراب وهي « الخمر مختوم ختامه مسك » قال مجاهد : يختم به آخر جرعة ، وقيل : المعنى إذا شربوا هذا الرحيق ففنى ما في الكأس وانقطع الختم ذلك مطعم المسك .

وقال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى « ختامه مسك » خاطه ليس بخاتم يختم ألم تر إلى قول المرأة من نسائكم خلطه من الطيب كذا وكذا إنما خاطه مسك ليس بخاتم يختم ذكره ابن المبارك وابن وهب واللفظ لابن وهب .

وذكر ابن المبارك عن أبي الدرداء « ختامه مسك » قال : شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شربتهم لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده ثم أخرجها لم يبق ذور روح إلا وجد ريح طيبها وفي ذلك « فليتنافس المتنافسون » أي في الدنيا بالأعمال الصالحة ، قال « ومزاجه من تسنيم » أي ومزاج ذلك الشراب « عينا يشرب بها المقربون » قال قتادة : يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة ، وتسليم أشرف شراب في الجنة ، وأصل التسليم في اللغة الارتفاع فهي عين ما تجرى من علو إلى أسفل ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه وكذلك تسليم القبور وقد تسلم العيون والمياه فتشرف عليهم تجرى من أعلى العرش يحقق ذلك ما رواه أبو مقاتل عن صالح بن سعيد عن أبي سهل عن الحسن بن علي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربع عيون في الجنة عيان تجريان من تحت العرش إحداهما التي ذكرها الله « يفجرونها تفجيرا » والأخرى « نضاختان » من فوق العرش إحداهما التي ذكرها الله سلسيلا والأخرى التسليم . ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الأصول في الأصل التاسع والثمانين . وقال : التسليم للبعدين خاصة شربا لهم . والكافور

للأبرار شرباً لهمم والكافور يمزج للأبرار من التسليم شرابهم وأما الزنجبيل
والسليد فللأبرار منها مزاج هكذا ذكره في التنزيل وسكت عن ذلك لمن هي له
شرب فما كان للأبرار مزاج فهو للتقربين صرفاً وما كان للأبرار صرف فهو
لسائر أهل الجنة مزاج . والأبرار هم الصادقون والمقربون هم الصديقون . قال
الحسن : خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل . وفي التنزيل وبكأس من
معين يبيضاء ولذة للشاربين ، أى لذية يقال شراب لذية إذا كان طيباً قوله تعالى :
ووعدهم قلصرات الطرف ، أى نساء قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا ينظرن
إلى غيرهم . قال ابن زيد : إن المرأة ممن لتقول لزوجها : وعزة ربي ما أرى في
الجنة شيئاً أحسن منك وعين عظام العيون الواحدة ممن عينا وكأنهن بيض
مكنون ، أى مصون

وقال الحسن وابن زيد شبهن ببيض تكنها النعامة بالريش من الريح والغبار
فلونه أبيض في صفرة وهو أحسن ألوان النساء . وقيل المراد بالبيض : اللؤلؤ
كقوله ، وحوار عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ، أى في إصداقه . وقال : فيهن
خيرات حسان ، يعنى النساء الواحدة خيرة وأصل خيرات خيرات تخفف
كهن ولين .

ابن المبارك قال : أنبأ الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن أبي عامر
قال : لو أن خيرة من خيرات حسان أطلعت من السماء لأضاءت لها ولقهر ضوء
وجهها الشمس والقمر ولنصيف تكساه خيرة خير من الدنيا وما فيها . النصيف :
القناع وقوله : حسان أى حسان الخلق . وإذا قال تعالى ، حسان ، فمن يقدر أن
يصف حسنهن حور أى بيض مقصورات أى محبوسات في الخيام جمع خيمة . وقد
تقدم صفتها .

وقال ابن عباس : الخيمة درة بجوفة فرسخ في مثله لها أربع آلاف مصراع
من ذهب . ذكره ابن المبارك : أنبأنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس .
وذكر عن أبي الدرداء : قال الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً كلها در .

وعن أبي الأحوص « حور مقصورات في الخيام ، قال : الدر المجوف .

وقال الترمذى الحكيم في قوله تعالى « حور مقصورات في الخيام ، قال : بلغنا في الرواية أن سحابة مطرت من العرش تخلقن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطئ الأنهار لسعتها أربعون ميلاً ، وليس لها في ذلك باب حتى إذا حل ولى الله بالجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولى الله أن أبصار المخلوقين من الملائكة والخدم لم تأخذها فهي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين ، وذكر الدارقطنى في كتاب المديح عن المعتمر بن سليمان ، قال : إن في الجنة نهراً ينبت الجوارى الأبيكار والرُفرف المجالس قاله قتادة ، وقيل : فضول المجالس . وقال أبو عبيد : الرُفرف : العرش . وقال الترمذى الحكيم : إن الرُفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه رُفرف وأهوى به كالمرجاح يميناً وشمالاً ورفعاً وخفضاً يتلذذ به مع أنيسته ، فإذا ركبوا الرُفرف أخذ إسرافيل في السماع ، فيروى في الخبر أنه ليس أحد من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل ، فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلاتهم وتسيحاتهم فإذا ركبوا الرُفرف أخذ إسرافيل في السماع بأنواع الأغاني تسيحاً وتقديساً للملك اتقدوس فلم تبق شجرة في الجنة إلا ووردت ولم يبق ستر ولا باب إلا ارتج وانفتح ولم تبق حلقة على باب إلا طنت بأنواع طينها ولم يبق أجمة من أجام الذهب إلا وقع أهبوب الصوت في مقاصبها فزمرت تلك المقاصب بفنون الزمر ولم تبق جارية من جوار الحور العين إلا غنت بأغانيتها والطير بألحانها ويوحى الله تبارك وتعالى إلى الملائكة أن جاوبوهم واسمعوا عبادى الذين نزهوا أسماعهم عن مزامير الشيطان فيجاوبون بألحان وأصوات روحانين فتختلط هذه الأصوات فتصير رجة واحدة ، ثم يقول الله عز وجل ذكره : يا داوود قم عند ساق العرش تجدى ، فيندفع داوود بتمجيد ربه بصوت يعم الأصوات ويحياها وتتضاعف اللذة وأهل الخيام من تلك الرُفرف تهوى بهم وقد حفت بهم أفانين اللذات والأغاني ، فذلك قوله تعالى « فهم في روضة يحبرون ،

وعن يحيى بن أبي كثير في قوله تعالى « فهم في روضة يحبرون » ، وقال : الروضة اللذات والسماع ، قوله تعالى « وعبقري حسان » العبقري الفرش له قال ابن عباس : الواحدة عبقرة وهي النمارق أيضا في قوله تعالى « ونمارق مصفوفة » والزراي البسط مبثوثة ، معناه : مبسوطة وقيل أي منسوجة بالدر والياقوت ، قوله تعالى « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين » ، يعني أهل الجنة من غير السابقين وأهل الجنة كلهم أصحاب يمين « في سدر مخضود » وهو الذي نزع شوكة وقد تقدم « وطلح منضود » أي بعضه على بعض وقال المفسرون : الطلح شجر الموزها هنا وهو عند العرب شجر حسن اللون لخضرته وإنما خص بالذكر لأن قريشا كانوا يتعجبون من خضرته وكثرة ظلاله من طلح وسدر فحطوبوا وواعدوا لما يحبون مثله ، قاله مجاهد وغيره ، قوله تعالى « ولهم فيها أزواج مطهرة » قال مجاهد : مطهرة من البول والغائط والحيض والنخام والبصاق والمني والولد ، ذكره ابن المبارك .

أنبأنا ابن جريج عن مجاهد فذكره « وهم فيها خالدون » أي باقون لا خروج لهم منها وقد تقدم .

وقال مجاهد أيضا في قوله تعالى « على سرر متقابلين قال » لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض توأصلا وتحابيا ، وقيل : الاسرة تدور كيف شاءوا فلا يرى أحد قفا أحد ، وقال ابن عباس : على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد ، السرير منها ما بين صنعاء إلى الجابية وما بين عدن إلى أيلة ، وقيل : تدور بأهل المنزل الواحد والله أعلم .

باب ما جاء في أطفال المسلمين والمشركين

وذكر أبو عمرو في كتاب التمهيد والاستدكار وأبو عبد الله الترمذى في نوادر الأصول والمفسرون عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه في تفسير قوله تعالى : وكل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين ، قال : هم أطفال المسلمين ، زاد الترمذى : لم يكتسبوا فيرهنوا بكتسبهم وقال أبو عمرو والجمهور من العلماء : على أن أطفال المسلمين في الجنة وقد ذهب طائفة من العلماء إلى الوقف في أطفال المسلمين وأولاد المشركين أن يكونوا في جنة أو في نار ، منهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك وإسحاق بن راهوية لحديث أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأطفال ، فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين هكذا قال الأطفال ولم يخص طفلا من طفل قال الحلیمی في كتاب منهاج الدين وقد توقف في ولدان المسلمين من توقف في ولدان المشركين وقال : إذا كان كل منهم يعامل بما علم الله تعالى منه إنه فاعله لو بلغه فكذلك ولدان المسلمين واحتج بأن صديا صغيرا مات لرجل من المسلمين فقالت إحدى نساء النبي صلى الله عليه وسلم : طوبى له عصفور من عصفير الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وما يدريك إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا قال : فهذا يدل على أنه لا يمكن أن يقطع في أطفال المسلمين بشيء قال الحلیمی : وهذا الحديث يحتمل أن يكون إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على التي قطعت بأن الصبي في الجنة لأن القطع بذلك قطع بإيمان أبويه وقد يحتمل أن يكونا منافقين فيكون الصبي ابن كافرين فيخرج هذا على قول من يقول : قد يجوز أن يكون ولدان المشركين في النار وقد يحتمل أن يكون أنكر ذلك لأنه لم يكن أنزل عليه في ولدان المسلمين شيء ثم أنزل عليه قوله تعالى : والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان الحقنابهم ذرياتهم ، وقد قرئ : وأتبعناهم ذرياتهم ، فأخبر تعالى أن الذين آمنوا في الحياة الدنيا وجعل ذرياتهم أتباعهم في الإيمان وأنه يلحق بهم ذرياتهم في الآخرة ، ثبت بذلك أن ذراري المسلمين في الجنة ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : سألت

ربى أن يرى أهل الجنة وأهل النار فجاءني جبريل وميكائيل عليهما السلام في النوم فقالا : انطلق يا أبا القاسم إلى أن قال وأنا أسمع لفظ الصديان ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هم ذرية أهل الإسلام الذين يموتون ، قبل آباءهم يكفل بهم إبراهيم عليه السلام حتى يلحق آباؤهم ، فدل أنهم في الجنة .

قال المؤلف رحمه الله : الحديث الذي احتجوا به خرجه أبو داود الطيالسي ، قال : حدثنا قيس بن الربيع ، عن يحيى بن إسحاق .

وعن عائشة بنت طلحة عن عائشة رضی الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبي من الأنصار ليصلي عليه فقلت : يا رسول الله طوبى له عصفور من عصفير الجنة لم يعمل سوء قط ولم يدره ، فقال : يا عائشة أو لا تدري أن الله تبارك وتعالى خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آباءهم .

وقالت طائفة : أولاد المسلمين في الجنة وأولاد المشركين في النار واحتجوا بما ذكرناه من الآية والحديث ، وبحديث سلمة بن يزيد الجعفي ، قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم أنا وأخى ، فقلنا : يا رسول الله إن أمنا ماتت في الجاهلية وكانت تقرى الضيف وتصل الرحم وتصوم وتفعل وتفعل فهل ينفعها من عملها ذلك شيء ؟ قال : لا قال : فقلنا إن أمنا وأدت أختاننا في الجاهلية لم تبلغ الخنث فهل ذلك نافع أختنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرايتم الوائدة والموءودة فإنهما في النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فيغفر لها . قال أبو عمرو هذا الحديث صحيح من جهة الإسناد إلا أنه يحتمل أن يكون خرج على جواب السائل في عين مقصودة فكانت الإشارة لها ، وفي بعض طرق حديث سلمة بن زيد فلما رأى ما قد دخل علينا ، قال : وأمى مع أمكما خرجه ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده عن سلمة بن يزيد ، قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : أمى ماتت وكانت تقرى الضيف وتطعم الجار وكانت وأدت وأدت في الجاهلية ولها سعة من مال أفينفعها إن تصدقت عنها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لا ينفع الإسلام إلا من أدركه أنها وما وادت في النار ورأى ذلك قد شق على فقال
وأم محمد معها وما فيها خير وخرج أبو نعيم الحافظ وغيره عن ابن مسعود قال جاء .
أبنا مليكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله إن أمنا كانت تكرم
الزوج وتعطف على الولد وذكر الضيف غير أنها وادت في الجاهلية فقال أمكا في
النار فأدبروا الشريرى في وجوههما فأمر بهما فردا والبشرى ترى في وجوههما رجاء
أن يكون حدث شيء قال أمى مع أمكا وذكر الحديث وروى بقية بن الوليد عن
محمد بن يزيد الألعانى قال سمعت عبد الله بن قيس يقول سمعت عائشة سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ذرارى المسلمين فقال هم مع آبائهم قلت بلا عمل قال الله
أعلم بما كانوا عاملين وسألته عن ذرارى المشركين فقال مع آبائهم فقالوا بلا عمل
قال الله أعلم بما كانوا عاملين قال أبو عمر عبد الله بن قيس هذا شامى تابعى ثقة
وأما بقية بن الوليد فضعيف وأكثر حديثه مناكير ولكن هذا الحديث قد روى
مرفوعا عن عائشة من غير هذا الوجه قالت عائشة سألت رسول صلى الله عليه وسلم
عن ولدان المسلمين أين هم يوم القيامة قال فى الجنة قالت وسألته عن ولدان المشركين
أين هم يوم القيامة قال فى النار فقلت بحجة له يا رسول الله لم يدركوا الأعمال ولم
تجر عليهم الاقلام قال ربك أعلم بما كانوا عاملين والذى نفسى بيده لئن شئت أسمعتك
تضاغيمهم فى النار قال أبو عمر فى طريقه أبو عقيل صاحب ليه لا يحتج بمثله عند
أهل العلم .

قال المؤلف رحمه الله : كذا ذكر أبو عمر هذا الحديث بهذا اللفظ وكذلك
ذكره أبو أحمد بن على فيما ذكر أبو محمد عبد الحق .

وذكره أبو داود الطيالسى قال حدثنا أبو عقيل عن بهية عن عائشة قالت
سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين قال هم فى النار يا عائشة قالت
فقلت فما تقول فى المسلمين قال هم فى الجنة يا عائشة قالت قلت وكيف ولم يدركوا
الأعمال ولم تجر عليهم الاقلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ربك أعلم بما كانوا
عاملين قال : أبو محمد عبد الحق ويحيى بن المتوكل ضعيف عندهم وبهية لم يرو عنها
(م - ۳۳ تذكرة)

إلا أبو عقيل وقالت طائفة أن الأطفال يمتحنون في الآخرة واحتجوا بحديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من الهالك في الفترة والمعتوه والمولود قال : يقول الهالك في الفترة لم يأتني كتاب ولا رسول ثم تلى دلو أنا أهلكنهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا ، الآية ويقول المعتوه رب لم تجعل لي عقلا أعقل به خيرا ولاشرا ويقول المولود رب لم أدرك العمل فترفع لهم نار فيقول لهم ردوها وادخلوها قال فيردها أو يدخلها من كان في علم الله سعيدا لو أدرك العمل ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا لو أدرك العمل قال فيقول الله إياي عصيتم فكيف رسي لو أتتكم .

قال أبو عمر من الناس من يوقف هذا الحديث على أبي سعيد ولا يرفعه منهم أبو نعيم الملاي .

قال المؤلف رحمه الله ويضعفه من جهة المعنى أن الآخرة ليست بدار تكليف وإنما هي دار جزاء ثواب وعقاب وقال الحلبي وهذا الحديث ليس بثابت وهو مخالف لأصول المسلمين لأن الآخرة ليست بدار الامتحان فإن المعرفة بالله تعالى فيها تكون ضرورة ولا محنة مع الضرورة ولأن الأطفال هناك لا يخلون من أن يكونوا عقلاء أو غير عقلاء فإن كانوا مضطرين إلى المعرفة فلا يليق بأحوالهم المحنة وإن كانوا غير عقلاء فهم من المحنة ابعده .

وقال أبو عمر رحمه الله : هذه الأحاديث من أحاديث الشيوخ وفيها علل وليست من أحاديث الأئمة الفقهاء وهو أصل عظيم والقطع فيه بمثل هذه الأحاديث ضعيف في العلم والنظر مع أنه قد عارضها ما هو أقوى مجيبا منها .

ذكر البخاري حديث أبي رجاء العطاردي عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث الطويل حديث الدويا وفيه قوله عليه الصلاة والسلام وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فأبراهيم عليه السلام وأما الولدان حوله فكل مولود يولد

على الفطرة فقبل يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاد المشركين وخرج البخاري أيضا في رواية أخرى عن أبي رجا العطاردي والشيخ في أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله أولاد الناس وهذا يقتضى عمومته جميع الناس . قال المؤلف رحمه الله ذهب إلى هذا جماعة من العلماء وهو أصح شيء في الباب قالوا أولاد المشركين إذا ماتوا صغارا في الجنة واحتجوا بحديث عائشة ذكره أبو عمر في التمهيد قالت سألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال هم مع آبائهم ثم سألته بعد ذلك فقال الله أعلم بما كانوا عاملين ثم سألته بعد ما استحکم الإسلام فنزلت ، ولا تزروا زرة وزرا أخرى، قال هم على القنطرة أو قال هم في الجنة قال المؤلف رحمه الله : هذا حديث مرتب في غاية البيان وهو يقتضى على ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث صحاح من قوله في الأطفال الله أعلم بما كانوا عاملين فكان ذلك منه قبل أن يعلم أن أولاد المشركين في الجنة وقبل أن ينزل عليه ولا تزروا زرة وزرا أخرى وقد كان عليه الصلاة والسلام أنزل عليه بمكة ، قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم أن أتبع إلا ما يوحى إلي ، ولم يكشف له عن عاقبة أمرهم وأمر المشركين ثم أنزل عليه وهو الذي أرسل رسوله بالهدى، الآية وأنزل عليه ، ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنتصرون وأن جنودنا لهم الغالبون ، وأنزل عليه ، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب، فاعلمه بأن الذي يفعل به أن يظهره عليهم وقد ذكر ابن سنجر واسمه محمد بن سنجر قال حدثنا هوزة حدثنا عوف عن حسناء بنت معاوية قالت حدثني عمي قال قلت يا رسول الله من في الجنة قال النبي في الجنة والمولود في الجنة والوثيد في الجنة والشريد في الجنة .

وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي عن الملائين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فأعطانيهم قال أبو عمر إنما قيل للأطفال اللاهين لأن أعمالهم كاللهو واللعب من غير عقد ولا عزم من قوهم هيت في الشيء أى لم أعتده كقوله ، لاهية قلوبهم، وقالت طائفة أولاد المشركين يخدم أهل الجنة وحببتهم ما رواه الحجاج بن نصير عن مبارك بن فضالة بن علي بن زيد عن أنس

عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه قال أولاد المشركين خُدم أهل الجنة ذكره أبو عمر قال المؤلف رحمه الله وإسناد هذا الحديث ليس بالقوى لكن يدل على صحة هذا القول أعني أنهم في الجنة أو أنهم خُدم أهل الجنة ما ذكر جماعة من العلماء بالتأويل أن الله تعالى لما أخرج ذرية آدم من صلبه في صور الزر أقرؤاه بالربوبية وهو قوله «وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا» ثم أعادهم في صلب آدم بعد أن أقرؤا له بأنه لا إله إلا هو ثم يكتب العبد في بطن أمه شقيا أو سعيدا على الكتاب الأول فمن كان في الكتاب الأول شقيا عمر حتى يجرى عليه القلم فينقض الميثاق الذي أخذ عليه في صلب آدم بالشرك ومن كان في الكتاب الأول سعيدا عمر حتى يجرى عليه القلم فيؤمن فيصير سعيدا ومن مات صغيرا من أولاد المسلمين قبل أن يجرى عليه القلم فهم مع آبائهم في الجنة ومن كان من أولاد المشركين فات قبل أن يجرى عليه القلم فليس يكونون مع آبائهم في النار لأنهم ماتوا على الميثاق الأول الذي أخذ عليهم في صلب آدم صلى الله عليه وسلم ولم ينتقضوا الميثاق .

قال المؤلف رحمه الله وغفر له وهذا أيضا حسن فإنه جمع بين الأحاديث ويكون معنى قوله عليه الصلاة والسلام لما سئل عن أولاد المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين يعني لو بلغوا بدليل حديث البخارى وغيره عما ذكرناه .

وقد روى إبان عن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين فقال لم يكن لهم حسنات فيجزوا بها فيكونوا من ملوك الجنة ولم يكن لهم سيئات فيعاقبوا عليها فيكونوا من أهل النار فهم خُدم لأهل الجنة .

ذكره يحيى بن سلام في تفسيره وأبو داود الطيالسي في مسنده وأبو نعيم الحافظ أيضا عن يزيد الرقاشي عن أنس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذراري المشركين لم يكن لهم ذنوب يعاقبون عليها فيدخلون النار ولم تكن لهم حسنات يجازون بها فيكونوا من ملوك الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من خُدم أهل الجنة .

روى أبو عبد الله الترمذى الحكيم قال حدثنا أبو طالب الهروى قال حدثنا يوسف بن عطية عن قتادة حدثنا أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم فإنما يولدون على الفطرة على الإسلام كلهم ولكن الشياطين أتتهم فاختالتهم عن دينهم فهودتهم ونصرتهم ومجستهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وخرج من حديث عياض بن حماد المجاشعى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال فى خطبته أن الله أمرنى أن أعلمكم وقال أنى خلقت عبادى كلهم حنفاء فأتتهم الشياطين فاختالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بى وحرمت عليهم ما أحلت لهم .

قال أبو عبد الله الترمذى وهذا بعد الإدراك حين عقلوا أمر الدنيا وتأكدت حجة الله عليهم بما نصب من الآيات الظاهرة من خلق السموات والأرض والشمس والقمر والبر والبحر واختلاف الليل والنهار فلما عملت أهواؤهم فهم اتتهم الشياطين فدعتهم إلى اليهودية والنصرانية بأهوائهم يمينا وشمالا قال المؤلف رحمه الله وهذا أيضا يقوى ما أخذناه من أن أطفال المشركين فى الجنة وحديث عياض بن حماد خرجة مسلم فى صحيحه وحسبك وحسبك.. وللعلماة فى الفطرة أقوال قد ذكرناها فى كتاب جامع أحكام القرآن من سورة الروم والحمد لله .

باب منه

وفى ثواب من قدم ولدا

مسلم عن أبى حسان قال قلت لأبى هريرة رضى الله عنه أنه مات لى إبنان فما أنت محدثى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تطيب به أنفسنا عن موتانا قال نعم صفارهم دعاميص الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فأخذ بثوبه أو قال بيده كما أخذ أنا بصنيفة ثوبك هذا فلا يتناهى أو قال فلا ينتهى حتى يدخله الله وأبويه الجنة .

وخرج أبو داود الطيالسى قال حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة عن أبيه أن

النبي صلى الله عليه وسلم كان يختلف إليه رجل من الأنصار معه ابن له فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اتجبه يا فلان فقال نعم قال احبك الله كما أحبه فقده النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عنه فقالوا يا رسول الله مات ابنه فقال رسول الله ﷺ أما ترضى أو لا ترضى أن لا تأتى بابا من أبواب الجنة إلا جاء يسعى حتى يفتحه لك فقالوا يا رسول الله أله وحده أم لنا كلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لكلكم ذكره أبو عمر في التمهيد أيضا وقال هذا حديث ثابت صحيح وخرج أبو داود الطيالسي في مسنده قال حدثنا هشام عن قتادة عن راشد عن عبادة ابن الصامت أن رسول الله ﷺ قال والنفساء يجرها ولدها يوم القيامة بسرره إلى الجنة .

فصل

هذا الحديث يدل على أن صغار أولاد المؤمنين في الجنة وهو قول أكثر أهل العلم كما بينا في الباب قبل هذا وهو مقتضى ظاهر قول الله عز وجل ، والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم ، كما تقدم .

وقد أنكر بعض العلماء الخلاف فيهم وهذا فاعدا أولاد الأنبياء عليهم السلام فإنه قد تقرر الإجماع على أنهم في الجنة حكاه أبو عبد الله المازري ودعاميص جمع دعموص وهو دويبة تفوص في الماء والجمع دعاميص ودعامص .

قال الأصبغ

فا ذنبنا أن حاش لي بحر عليكم وبمرك ساج لا يوارى الدعامصا .
وقد قيل أن الدعموص يراد به الأذن على الملوك المتصرف بين يديهم قال أمية ابن الصلت دعموص أبواب الملوك وجانب للخرق فاتح وهذا هو المراد بالحديث وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حجابا من النار وأدخل الجنة .

قال المؤلف رحمه الله قوله عليه الصلاة والسلام لم يبلغوا الحنث معناه عند أهل العلم لم يبلغوا الحلم ولم يبلغوا أن يلزمهم حنث .
وقد روى الترمذى عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قدم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحلم كانوا له حصنا حصينا من النار قال أبو ذر قدمت إثنين قال واثنين فقال أبو بن كعب سيد القراء قدمت واحدا قال وواحدا ولكن إنما ذلك عند الصدمة الأولى قال أبو عيسى هذا حديث غريب وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه خرجة ابن ماجة أيضا وفي هذا كله دليل على أن أطفال المسلمين في الجنة لأن الرحمة إذا نزلت بأبائهم استحال أن يرحموا من أجل من ليس بمرحوم . قال أبو عمر بن عبد البر وهذا إجماع من العلماء في أن أطفال المسلمين في الجنة ولم يخالف في ذلك إلا فرقة شذت من المجرة فجعلتهم في المشية وهو قول مهجور مردود بإجماع الحجة الذين لا يجوز مخالفتهم ولا يجوز على مثلهم الغلط .

إلا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من أخبار الأحاد الثقات العدول وأن قوله صلى الله عليه وسلم الشقى من شقى في بطن أمه وأن الملك ينزل فيكتب أجله ورزقه الحديث مخصوص وأن من مات من أطفال المسلمين قبل الاكتساب فهو بمن سعد وهو في بطن أمه ولم يشق بدليل الأحاديث والإجماع وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اعائشة أن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها أهلا وهم في أصلاب آبائهم ساقط ضعيف مردود بالإجماع والآثار وطلحة بن يحيى الذى يرويه ضعيف لا يحتج به وهذا الحديث بما انفرد به فلا يخرج عليه .

باب

ما جاء في نزل أهل الجنة وتحفهم إذا دخلوها

روى البخارى ومسلم عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفأها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزه في السفر نزل لأهل الجنة قال فأتى رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة قال بلى قال تكون الأرض خبزة واحدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنظر إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك حتى بدت نواجذه قال ألا أخبرك بأدامهم قال بلى قال أدامهم بالأم ونون قالوا وما هذا قال ثورونون يأكل من زائدة كبدها سبعون ألفاً .

وخرج مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه من حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعني فقلت ألا نقول يا رسول الله فقال اليهودى إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن اسمى محمد الذى سماني به أهلى فقال اليهودى جئت أسألك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أينفعك شيء إن حدثتك قال أسمع بأذنى فنكث رسول الله صلى الله عليه وسلم : يعود معه فقال سل فقال اليهودى أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم في الظلّة دون الجسر قال فن أول الناس اجازة قال فقراء المهاجرين قال اليهودى فما تحفهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على أثرها قال ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها قال فما شرايبهم على أثرها قال من عين فيها تسمى سلسيلا قال صدقت وذكر الحديث .

فصل

قال المؤلف رحمه الله هذا الحديث انفرد به مسلم وهو ابن من الحديث الآخر الذي قبله لأنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم جوابا لليهودي والحديث الذي قبله آخره من قول اليهودي وهو يدخل في المسند لإقرار النبي صلى الله عليه وسلم والجبار اسم من أسماء الله تعالى قد أتينا على ذكره في الكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وبكفتها ويقلبها ويميلها من قولك كفات الإناء إذا كبته وقد تقدم أن أرض المحشر كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد والنزل ما يعد للضيف من الطعام والشراب ويقال نزل أو نزل بتخفيف الزاى وتثقلها وقرىء بذلك قوله «نزلنا من عند الله» قال أهل اللغة النزل ما يهيا للنزيل والنزيل الضيف . قال الشاعر :

نزيل القوم أعظمهم حقوقا وحق الله في حق النزيل

وحظ النزيل مجتمعا والتحفة ما يتحف به الإنسان من الفواكه والطرف محاسبة وملاطفة وزيادة كبد النون قطعة منه كالإصبع وبالام قد جاء مفسرا في متن الحديث أنه الثور ولعل اللفظ عبرانية والنون الحوت وهو عربي وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد آدَام الدنيا والآخرة اللحم ذكره أبو عمر في التمهيد وذكر ابن المبارك قال أخبرنا بن طيبة^(۱) قال حدثني يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير أخبره أن ابن العوام مؤذن إيليا أول رجل أذن بإيليا أخبره أنه سمع كعبا يقول إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة إذا دخلوها أن لكل ضيف جزورا وإنى أجزركم اليوم حوتا وثورا فيجزر لأهل الجنة .

باب

ما جاء أن مفتاح الجنة لا إله إلا الله والصلاة .

أبو داود الطيالسي قال حدثنا سليم بن معاذ الضبي عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الصلاة الوضوء ومفتاح الجنة الصلاة .

(۱) اسمه عبد الله الحضرمي رجل عالم فاضل لكنه كان يحدث من كتبه فاحترقت فحدث من حفظه نخلط . لهذا ضعفه .

والبيهقي عن معاذ بن جبل قال قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : حين بعثه إلى اليمن أنك ستأتي أهل الكتاب فيسألونك عن مفتاح الجنة فقل شهادة أن لا إله إلا الله . وفي البخاري وقيل لو هب لوهب أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله قال بلى ولكن ليس مفتاح إلا وله أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك .

أسنان المفتاح

فصل

قال المؤلف رحمه الله الأسنان عبارة عن توحيد الله وعبادته جميعا وعن توحيده أيضا فقط .

قال الله تعالى « وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار » وقال « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات الفردوس نزلا » وهو في القرآن كثير الإيمان مع العمل وهو مقتضى الحديث الأول حديث جابر رضي الله عنه وعن توحيد الله فقط كما في الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق . وذكر الطبراني من حديث موسى بن عقبة عن اسحق بن يحيى بن طلحة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حضر ملك الموت عليه السلام رجلا فنظر في كل عضو من أعضائه فلم يجد فيه حسنة ثم شق عن قلبه فلم يجد فيه شيئا ثم فك عن لحيته فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكته يقول لا إله إلا الله فقال رجبت لك الجنة يقول كلمة الإخلاص .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب

الفتن والملاحم وإشراط الساعة

(أول أبواب الفتن)

باب

الكف عن قال لا إله إلا الله

مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله .

باب

ما جاء أن المؤمن حرام دمه وماله وعرضه وفي تعظيم حرمة عند الله تعالى .
ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : في حجة الوداع الا أن أحرم الايام يومكم هذا وأن أحرم الشهور شهركم هذا وأن أحرم البلد بلكم هذا الا وأن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا شهركم هذا الاهل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد خوجه مسلم من حديث أبي بكره وجابر بعناه .

وخرج بن ماجه أيضا عن عبد الله بن عمر وقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم : يطوف بالكعبة ويقول ما أطيبك وأطيب رائحتك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفسي بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرا .

مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه .

مؤمن كحججان ومسال
كل حرمة

النسائي عن بريدة قال قال رسول الله صلى عليه وسلم قتل المؤمن عند الله أعظم
من زوال الدنيا .

الترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من أشار على أخيه
بجديده لعنته الملائكة قال حديث حسن صحيح غريب .

باب

ما جاء في قتل المؤمن والإعانة على ذلك

قال الله تعالى : ومن يقتل مؤمناً متعمداً جزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله
عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ، وقال تعالى : والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر
ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً
يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً .

وروى عبد العزيز بن يحيى المدني قال حدثنا مالك بن أنس عن أبي الزناد عن خارجة
ابن زيد عن زيد بن ثابت قال كان رسول الله ﷺ يعظنا ويحدثنا ويقول والذي
نفسى بيده ما عمل على وجه الأرض قط عمل أعظم عند الله بعد الشرك من سفك
دم حرام والذي نفسى بيده أن الأرض لتضج إلى الله تعالى من ذلك ضجيجاً
تستأذنه فيمن عمل ذلك على ظهرها لتخسف به ذكره أبو نعيم .

قال حدثنا شافع بن محمد بن أبي عوانة الأسفرايني قال حدثنا أحمد بن عبد
الجوهري قال حدثنا علي بن حرب قال حدثنا عبد العزيز بن يحيى قال حدثنا مالك
فذكره أبو داود عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يقول
كل ذنب عسى الله أن يفره إلا من مات مشركاً أو مؤمناً قتل مؤمناً متعمداً .

وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزال المؤمن معنقاً (١) صالحاً ما لم
يصب دماً حراماً فإذا أصاب دماً حراماً بلح قال الهروي بلح أى أعباً وانقطع به
بقال بلح الفرس إذا انقطع جريه وبلحت الركبة إذا انقطع ماؤها .

(١) قوله معنقاً بكسر النون أى مسرعاً فى طاعة الله منبسطة فى عمله .

وذكر أبو بكر النيسابوري قال حدثنا زكريا بن يحيى قال حدثنا عمرو قال حدثنا الفزازی عن زياد بن أبي زياد الشامي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعان في قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله يوم يلقاه مكتوب على جبهته أيس من رحمة الله. قال الهروي وفي الحديث من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة قال شقيق هو أن يقول في أقتل أن كما قال عليه الصلاة والسلام كفى بالسيف مئاً معناه شافياً

باب

إقبال الفتن ونزولها كمواقع القطر والظلل ومن ابن تيمى والتحذير منها وفضل العبادة عندها .

قال الله تعالى « وانقروا فتنة لا تصيبن الذى ظلموا منكم خاصة، وقال تبارك وتعالى « ونبلوكم بالشر والخير فتنة، ففى هذا تنبيه بالغ على التحذير من الفتن .

مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه برضى من الدنيا وعن زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم : لم : قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فرعاً محمراً وجهه يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلقن بإصبعين الإبهام والتي تليها قالت فقلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث وعن أسامة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أشرف على أطام (۱) من أطام المدينة ثم قال هل ترون ما أرى إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر أخرجهما البخارى .

البيهقى عن كرز بن علقمة الخزاعى قال سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم

(۱) البناء المرتفع

هل للإسلام من منتهى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيما أهل بيت من العرب
أو العجم أراد الله بهم خيرا أدخل عليهم الإسلام فقال ثم ماذا قال ثم تقع الفتن
كالظلل فقال الرجل كلا والله إن شاء الله قال بلى والذي نفسي بيده لتعودن فيها
أساود صبا يضرب بعضكم رقاب بعض قال الزهري أساود صبا الحية السوداء إذا
أراد أن ينهش ارتفع هكذا ثم انصب خرجه أبوداود الطيالسي أيضا .
قال ابن دحية أبو الخطاب الحافظ هذا الحديث لا مطعن في صحته إسناده رواه
سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة بن الزبير عن كرز قرأته بجامع قرطبة
وبمسجد الغدير وبمسجد أبي علاقة على المحدث المورخ أبي القاسم خلف بن عبد الملك
بن بشكوال الأنصاري قال سمعت جميع هذا الكتاب وهو جامع الخير للإمام
سفيان بن عيينة عن الشيخين الجليلين الثقة المفتي أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن
عتاب والوزير الكاتب الثقة أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن طريف فالأفاناه
على العدل أبي القاسم حاتم بن محمد التميمي بحق سماعه على الثقة الفاضل أبي الحسن
أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن فراس رحمه الله بمكة حرسها الله تعالى بالمسجد الحرام
بحق سماعه على الثقة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم الديلمي بحق سماعه على الثقة الصالح أبي
عبيد الله سعيد بن عبد الرحمن المخزومي بحق سماعه من الإمام الفقيه أبي محمد سفيان
ابن عيينة . قال المؤلف رحمه الله وقد حدثني بهذا السند المذكور الفقيه القاضي أبو
عامر يحيى بن عبد الرحمن أجازة عن أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال وكرز
هو كرز بن علقمة بن هلال الخزاعي أسلم يوم الفتح وعمر طويلا وهو
الذي نصب اعلام الحرم في خلافة معاوية وإمارة مروان بن الحكم وفيه ثم
مه قال ثم تعود الفتن بدل قال ثم ماذا قال ثم تقع الفتن ولم يذكر قول الزهري إلى
آخره . قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية قول الرجل ثم مه هنا على الاستفهام أي ثم
ما يكون ومه في غير هذا الموضع زجر واسكات كقوله عليه الصلاة والسلام مه أنكن
صواحب يوسف وقوله كأنها الظلال ، الظلل السحاب والظلة السحابة ومنه قوله تعالى

« فأخذهم عذاب يوم الظلة ، وقول الرجل بجهله كلا والله معناها الجحد بمعنى لا والله وقيل هي بمعنى الزجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذي نفسي بيده وبلى رد للنفي استفهاما كان أو خبرا أو نهيا فالاستفهام ألتستبريكم « وأليس ذلك بقادر ، جوابه بلى هو قادر ومقال الخبر « لن تمسنا النار ، جوابه قالوا بلى تمسكم ومثال النهي لا تلتق زيدا جوابه بلى لا لقيته .

قال أبو الخطاب بن دحية وقوله صبا هكذا قيدناه بضم الصاد وشد الباء على مثال غزا والأساود نوع من الحيات عظام فيها سوداء وهو أخبثها والصب منها التي تنهش ثم ترتفع ثم تنصب شبههم فيما يتولونه من الفتن والقتل والأذى بالصب من الحيات . قال المؤلف رحمه الله الأساود جمع أسود وهو الحية وصبا جمع صاب كغاز وغزا وهو الذي يميل ويلتوى وقت النهش ليكون أنكى في اللدغ وأشد صبا للسم ويجوز أن يكون جمع أصب وهو الذي كأنه ينصب عند النهش انصبايا والأول من صبا إذا مال والثاني من صب إذا سكب .

مسلم عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . قالت استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فزعا مرعوبا يقول سبحان الله ماذا فتح الليلة من الخزائن وماذا أنزل من الفتن من يوقظ صواحب الحجر يريد أزواجه لكي يصلين رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة .

وعن عبيد بن عمير قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال يا أصحاب الحجرات سعرت النار وجاءت الفتن كأنها قطع الليل المظلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا .

قال أبو الحسن القابس هذا وأن كان مرسلا فإنه من جيد المراسيل وعبيد ابن عمير من أئمة المسلمين .

مسلم عن سالم بن عبد الله أنه قال يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم

للكبيرة سمعت أبي عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن الفتنة تجيء من هاهنا وأوفاً بيده نحو المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض وإنما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطاً فقال الله تعالى له «وقلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتونا»

وعن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم : قال العبادة في المهرج كهجرة إلى .

فصل

قوله ويل للعرب من شر قد اقترب قد تقدم معنى الويل والمراد به هنا الحزن قاله بن عرفة فأخبر عليه الصلاة والسلام بما يكون بعده من أمر العرب وما يستقبلهم من الويل والحرب وقد وجد ذلك بما استؤثر عليهم به من الملك والدولة والأموال والإمارة نصار ذلك في غيرهم من الترك والعجم وتشتتوا في البراري بعد أن كان العز والملك والدنيا لهم ببركته عليه الصلاة والسلام وما جاءهم به من الدين والإسلام فلما لم يشكروا النعمة وكفروها يقتل بعضهم بعضاً وسلب بعضهم أموال بعض سلبها الله منهم ونقلها إلى غيرهم كما قال تعالى وأن تتولوا يستبدل قوماً غيركم، ولهذا لما قالت زينب في سياق الحديث انهلك وفيما الصالحون قال نعم إذا كثرت الخبث .

فصل

قال علماءنا رحمة الله عليهم قولها انهلك وفيما الصالحون قال نعم إذا كثرت الخبث دليل على أن البلاء قد يرفع عن غير الصالحين إذا كثرت الصالحون فأما إذا كثرت المفسدون وقل الصالحون ملك المفسدون والصالحون معهم إذا لم يأمرُوا ويكفروا معنى قوله «واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة، بل يعم شؤمها من تعاطاها ومن رخصها هذا بفساده وهذا برضاء وإقراره على ما نيينه فإن قيل فقد قال الله تعالى «الأتزر وأزره وزر أخرى» وكل نفس بما كسبت رهينة، «لها ما كسبت وعليها»

ما اكتسبت وهذا يوجب أن لا يؤاخذ أحد بذنب أحد وإنما تتعان العقوبة بصاحب الذنب . وقرئ « واتفوا فتنة لتصيين الذين ظلموا منكم خاصة ، وعلى هذه القراءة يكون المعنى أنها تصيب الظالم خاصة وهي قراءة زيد بن ثابت وعلى وأبي وابن مسعود رضی الله عنهم أجمعين . والجواب أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على من رآه أن يغيره إما بيده فإن لم يقدر فبلسانه فإن لم يقدر فبقلمه ليس عليه أكثر من ذلك وإذا أنكر بقلبه فقد أدى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك .

روى الأئمة عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلمه ليس عليه غيره وذلك أضعف الإيمان .

روى عن بعض الصحابة أنه قال : ان الرجل إذا رأى منكراً لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلاث مرات اللهم إن هذا منكر لا أرضاه فإذا قال ذلك فقد أدى ما عليه فأما إذا سكت عليه فكلهم عاص هذا بفعله وهذا برضاه كما ذكرنا وقد جعل الله في حكمه وحكمته الراضى بمنزلة الفاعل فانتظم في العقوبة دليله قوله تعالى « إنكم إذا مثلهم ، فأما إذا كره الصالحون ما صنع المفسدون وأخلصوا كراهيتهم لله تعالى وتبرءوا من ذلك حسب ما يلزمهم ويجب لله عليهم غير معتدين سلوا قال الله تعالى « فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم ، وقال « فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بهذاب . ينهون بما كانوا يفسقون . »

وقال ابن عباس قد أخبرنا الله عز وجل عن هذين ولم يخبرنا عن الذين قالوا « لم تعظون قوما الله مهلكهم ، » .

وروى سفيان بن عيينة قال حدثنا سفيان بن سعيد عن مسعد قال بلغني أن ملكاً

(۳۴-۴)

أمر أن يخسف بقرية فقال يارب إن فيها فلانا العابد فأوحى الله تعالى إليه أن به فابدأ فإنه لم يتغير وجهه في ساعة قط . وقال وهب بن منبه لما أصاب داود الخطيئة قال يارب اغفر لي قال قد غفرت لك وألزمت عارها بنى إسرائيل قال كيف يارب وأنت الحكيم العدل الذي لا تظلم أحداً أعمل أنا الخطيئة ويلزم عارها غيرى فأوحى الله تعالى إليه يا داود إنك لما اجترأت على بتلك المعصية لم يعجلوا عليك بالنكرة .

وروى أبو داود عن العرس بن عميرة الكندي عن النبي ﷺ قال : إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهاها وقال مرة فأنكرها كن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وهذا نص في الغرض وحسن رجل عند الشعبي قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال الشعبي قد شركت في دمه .

وفي صحيح الترمذي أن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده فالفتنة إذا عمت هلك الكل وذلك عند ظهور المعاصي وانتشار المنكر وعدم التغيير وإذا لم تغير وجب على المؤمنين المنكرين لها بقلوبهم هجران تلك البلدة والمهرب منها وهكذا كان الحكم فيمن كان قبلنا من الأمم كما في قصة السبت حين هجروا العاصين وقالوا لانساكنكم وبهذا قال السلف رضي الله عنهم . روى ابن وهب عن مالك قال تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهاراً ولا يستقر فيها واحتج بصنيع أبي الدرداء في خروجه عن أرض معاوية حين أعلن بالربا فأجاز بيع سقاية الذهب بأكثر من وزنها خرجه أهل الصحيح وقال مالك في موضع آخر إذا ظهر الباطل على الحق كان الفساد في الأرض وقال إن لزوم الجماعة نجاة وأن قليل الباطل وكثيره هلكة وقال ينبغي للناس أن يغضبوا لأمر الله تعالى في أن تنتهك فرائضه وحرمة والذي أتت به كتبه وأنبياءه أو قال يخالف كتابه .

قال أبو الحسن القاسبي الذي يلزم الحق ويغضب لأمر الله تعالى على بينة من

النجاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله قال أبو عمر وروى أشهب بن عبد العزيز قال : قال مالك لا ينبغي الإقامة في أرض يكون العمل فيها بغير حق والسب للسلف قال أبو عمر أما قول مالك هذا فعناه إذا وجد بلداً يعمل فيه الحق في الأغلب وقد قال عمر بن عبد العزيز فلان بالمدينة وفلان بمكة وفلان باليمن وفلان بالعراق وفلان بالشام امتلأت الأرض والله جوراً وظلماً قال أبو عمر فأين الحرب إلا إلى السكوت ولزوم البيوت والرضى بأقل قوت . وقال منصور بن الفقيه فأحسن :

الخير أجمع في السكوت وفي ملازمة البيوت

فإذا استوى لك ذا وذا فاقنع له بأقل قوت

وكان سفيان الثوري يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الحاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان ينتقل فيه الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكي عنه أنه قال والله ما أدري أي البلاد أسكن فقيل له خراسان فقال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة فقيل الشام فقال يشار إليكم بالأصابع أراد الشهرة فقيل له خالعراق قال بلد الجبارة فقيل له فمكة قال مكة تذيب الكيس والبدن وقال القاضي أبو بكر بن العربي قال شيخني في العبادة لا يذهب بك الزمان في مصافاة الأقران ومواصلة الأحزان ولم أر لاختصاص طريقاً أقرب من طريقين إما أن يغلق المرء على نفسه بابه وإما أن يخرج إلى موضع لا يعرف فيه فإن اضطر إلى مخالطة فليكن معهم ببدنه وليفارقهم بقلبه ولسانه فإن لم يستطع فقلبه ولا يفارق السكوت أنشدني محمد بن عبد الملك الصوفي قال أنشدني أبو الفضل الجوهري الخير أجمع في السكوت .

البيتان قال القاضي ولي في هذا المني شعر :

حاز السلامة مسلم يأوي إلى سكن وتوت

ماذا يؤمل بهد ما يأوي إلى بيت وقيت

قال المؤلف رحمه الله ولأبي سليمان الخطابي في هذا المعنى شعر :

آنست بوحدتي ولزمت بيتي فدام الأنس لي وتما السرور
وأدبني الزمان فلا أبالي هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بسائل ما دمت حيا أسار الخيل أم ركب الأمير

والشعر في هذا المعنى كثير وسيأتي للعزلة له زيادات بيان من السنة إن شاء الله تعالى وكثرة الخبث ظهور الزنا وأولاد الزنا .

وذكر ابن وهب عن يحيى مولى الزبير أنه ذكر أن في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم خسف قبل المشرق فقال بعض الناس يا رسول الله يخسف الأرض وفيها المسلمون فقال إذا كان أكثر أهلها الخبث قال علماء نارحة الله عليهم فيكون إهلاك جميع الناس عند ظهور المنكر والاعلان بالمعاصي فيكون طهرة للمؤمنين ونقمة للفاسقين لقوله عليه الصلاة والسلام ثم بعثوا على نياتهم وفي رواية أعمالهم وقد تقدم هذا في المعنى فمن كانت نيته سالحة أتىب عليها ومن كانت نيته سيئة جوزى عليها وفي التنزيل : يوم تبلى السرائر ، فاعلمه .

باب

ما جاء في رحي الإسلام ومتى تدور

أبو داود عن البراء بن ناجية عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تدور رحي الإسلام لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين فإن يهلكوا فسبيل من هلك وإن لم يقيم لهم دينهم يقيم سبعين عاما قال قلت أما بقي قال بما مضى .

فصل

قال الهروي في تفسير هذا الحديث قال الحربى ويروى نزول وكان نزول أقرب لأنها نزول عن ثبوتها واستقرارها وتدور يكون بما يحبون ويكرهون فإن كان الصحيح سنة خمس فإن فيها قام أهل مصر وحصروا عثمان رضى الله عنه وإن كانت الرواية سنة ست ففيها خرج طلحة والزبير إلى الجبل وإن كانت سنة سبع ففيها كانت صفين غفر الله لهم أجمعين . وقال الخطابي يريد عليه الصلاة والسلام أن هذه المدة إذا انقضت حدث في الإسلام أمر عظيم يخاف على أنه لذلك الهلاك يقال الأمر إذا تغير واستحال دارت رحاه وهذا والله أعلم إشارة إلى انقضاء مدة الخلافة وقوله ليقم لهم دينهم أى ملكهم وسلطانهم وذلك من لدن بايع الحسن عليه السلام معاوية إلى انقضاء بنى أمية من المشرق نحو من سبعين سنة وانتقاله إلى بنى العباس والدين الملة والسلطان ومنه قوله تعالى « لياخذ أخاه في دين الملك ، أى فى سلطانه » وقوله تدور رحي الإسلام دوران الرحي كناية عن الحرب والقتال شبهها بالرحى الدائرة التى تطحن لما يكون فيها من قبض الأرواح وهلاك الأنفس .

باب

(ما جاء أن عثمان رضى الله عنه لما قتل سل سيف الفتنة)

الترمذى عن ابن أخى عبد الله بن سلام قال لما أريد عثمان رضى الله عنه جاء عبد الله بن سلام فقال له عثمان بن عفان رضى الله عنه ما جاء بك قال جئت فى نصرتك قال اخرج إلى الناس فاطردهم عنى فإنك خارجا خيرا من داخل قال فخرج عبد الله بن سلام إلى الناس فقال : أيها الناس أنه كان فى الجاهلية إسمى فلان بن فلان فسماى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ونزلت فى آيات من كتاب الله تعالى نزلت : وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم ، إن الله لا يهدى القوم الظالمين ، ونزلت فى : قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ، إن الله سيفا مغمودا عنكم وإن الملائكة قد جاورتكم فى بلدكم هذا الذى نزل فيه نبيكم فأنه الله فى هذا الرجل أن تقتلوه فوالله إن قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة وتسلن سيف الله المغمود عنكم فلا يبعد إلى يوم القيامة قال فقالوا اقتلوا اليهودى واقتلوا عثمان قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .

قال المؤلف رحمه الله ومثل هذا من عبد الله لا يكون إلا عن علم من الكتاب أعنى التوراة على ما يأتى أو سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم وسيأتى :

فصل

قال العلماء بالسيرة والخبار أنه دخل على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فى الدار جماعة من الفجار منهم كنانة بن بشر التجيبى فأشعره مشقما (۱) أى قتله به فانتضح الدم على المصحف ووقع على قوله تعالى فيكفيكم الله وهو

(۱) المشقص هو السكين العريض .

السميع العليم وقيل ذبحه رجل من أهل مصر يقال له عمار وقيل ذبحه رومان وقيل قتله الموت الأسود يقال له أيضا الدم الأسود من طغاة مصر فقطع يده فقال عثمان أما والله إنها لأول كف خطت في المصحف وهذه البلوى التي ثبتت في الصحيح عن أبي موسى أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطاً^(۱) وأمرني بحفظ باب الحائط فجاء رجل يستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فإذا أبو بكر ثم جاء آخر يستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فإذا عمر ثم جاء آخر يستأذن فسكت هنيهة ثم قال ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فإذا عثمان بن عفان لفظ البخاري ذكره في مناقب عثمان .

وقد قيل أن الصحيح في مقتله رضى الله عنه أنه لم يتعين له قاتل معين بل أخلاط الناس وهم رعا ع جاءوا من مصر ومن غير قطر وجاء الناس إلى عثمان فيهم عبد الله بن عمر متقلداً سيفه وزيد بن ثابت فقال له زيد بن ثابت إن الأنصار بالباب يقولون إن شئت كنا أنصار الله مرتين قال لا حاجة لي في ذلك كفوا وكان معه في الدار الحسن والحسين وابن عمر وعبد الله بن الزبير وأبو هريرة وعبد الله ابن عامر بن ربيعة ومروان بن الحكم كلهم شاك في السلاح فعزم عليهم في وضع أسلحتهم وخروجهم ولزوم بيوتهم فقال له الزبير ومروان نحن نعزم على أنفسنا أن لا نبرح فضايق عثمان رضى الله عنه من الحصار ومنع من الماء حتى أفطر على ماء البحر المالح قال الزبير بن بكار حاصروه شهرين وعشرين يوماً وقال الواقدي حاصروه تسعة وأربعين يوماً ففتح الباب نخرج الناس وسلموا له راية في إسلام نفسه قال سليط بن أبي سليط فنهانا الإمام عثمان عن قتالهم ولو أذن لنا لضربناهم حتى نخرجهم من أقطارها ودخلوا عليه في أصح الأقوال وقتله من شاء الله من سفة الرجال .

وروى أبو عمر بن عبد البر عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا لي بعض أصحابي فقلت أبو بكر قال لا فقلت عمر فقال لا فقلت ابن عمك قال لا فقلت له عثمان قال نعم فلما جاءه قال لي بيده فتنجيت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يساره ولون عثمان يتغير فلما كان يوم الدار

(۱) الحائط الحديقة والمتزه

وحصر عثمان قیل له ألا نقاتل عنك قال لا إن رسول الله ﷺ عهد إلى عهدا وأنا صابر عليه .

وفي الترمذی عن عائشة رضی الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا عثمان لعل الله يغمصك قيصاً فإن أرادوك على خلعك فلا تخلعه لهم قال هذا حديث حسن غريب .

وفيه عن ابن عمر قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما لعثمان وقال حديث حسن غريب . ويروى أنه دخل عليه عبد الله بن عمر ابن الخطاب قال انظر ما يقول هؤلاء يقولون اخلع نفسك أو نقتلك قال له أخلد أنت في الدنيا حال لا قال فهل يزيدون علي أن يقتلوك قال لا قال هل يملكون لك الجنة أو ناراً قال لا قال فلا تخلع قيصاً الله عليك فيكون سنة كلما كره قوم خليفة خلعوه وقتلوه واختاف في سنة رضی الله عنه حين قتله من قتله من الفجار أدخلهم الله بحبوة النار فقيل قتل وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل ابن تسعين سنة وقال قتادة قتل عثمان وهو ابن ست وثمانين وقيل غير هذا وقتل مظلوما كما شهد له بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة أهل السنة وألقى على مزبلة فأقام فيها ثلاثة أيام لم يقدر أحد على دفنه حتى جاء جماعة بالليل خفية فحمله على لوح وصلوا عليه ودفن في موضع من البقيع يسمى حش كوكب وكان مما حبسه عثمان رضی الله عنه وزاده في البقيع وكان إذا مر به يقول يدفن فيك رجل صالح . وكان هو المدنون فيه وعمى قبره ثلاثاً يعرف وقتل يوم الجمعة ثمان ليال خلون من ذي الحجة يوم التروية سنة خمس وثلاثين قاله الواقدي . وقيل ليلتين بقيتا من ذي الحجة وكانت خلافته إحدى عشر سنة إلا أياماً اختلف فيها رضی الله عنه . وقيل إن المتعصبين على عثمان رضی الله عنه من المصريين ومن تابعهم من البلدان كانوا أربعة آلاف وبالمدينة يومئذ أربعون ألفاً وقد اختلف العلماء فيما نزل به مثل نازلة عثمان الحق الله جناح المغفرة والرضوان هل يلتقى بيده أو يستنصر

فأجاز جماعة من الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين أن يستسلم وهو أحد قولي الشافعي وقال بعض العلماء لا يسلم بيده بل يستنصر ويقا تل وليكل من القولين وجه ودليل وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى . وقال بعض العلماء ولو اجتمع أهل المشرق والمغرب على نصره عثمان لم يقدر وا على نصرته لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنذره في حياته فأعلمه بالبلوى التي تصيبه فكان ذلك من المعجزات التي تأخبر بوقوعها بعد موته صلى الله عليه وسلم وما قال رسول الله شيئاً قط إلا كان .

وقال حسان بن ثابت :

قتلتم ولي الله في جوف داره وجثتم بأمر جائر غير مهتد

فلا ظفرت إيمان قوم تعاونوا على قتل عثمان الرشيد المنسد

وخرج مسلم في صحيحه قال وحدثنا محمد بن المثني ومحمد بن حاتم قال حدثنا

معاذ بن معاذ قال حدثنا ابن عوف عن محمد قال : قال جندب جئت يوم الجرة

فإذا رجل جالس فقلت له ليهراقن اليوم ههنا دما فقال ذلك الرجل كلا والله قلت

بلى والله قال كلا والله قلت بلى والله قال ثلاث كلا إنه لحديث رسول الله صلى الله

عليه وسلم حدثني قلت بئس المجلس لي أنت منذ اليوم تسمعني أخالفك وقد سمعته

من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تتهاني ثم قلت ما هذا الغضب فأقبلت عليه

أسأله فإذا الرجل حذيفة .

والجرة موضع بجهة الكوفة على طريق الحيرة قيده الحفاظ بفتح الجيم والراء

وقيده بعض رواة الحفاظ أيضا بإسكان الراء وهو يوم خرج فيه أهل الكوفة

متألبين متعصبين ليردوا إلى عثمان بن عفان وهو سعيد بن العاص بن أمية بن

عبد شمس وكتبوا إلى عثمان لا حاجة لنا في سعيدك ولا وليدك وكان رده سنة

أربع وثلاثين وكتبوا إلى عثمان أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري فلم يزل والياً

عليهم إلى أن قتل عثمان ولما سمع بقتله يعلى بن أمية التيمي الخنظلي أبو صنوان

ويقال أبو خالد أسلم يوم الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما والطائف وثبوك وكان صاحب الجند وصنعاء أقبل لينصره فسقط عن بعيره في الطريق فانكسرت نخذه فقدم مكة بعد انقضاء الحج فخرج إلى المسجد وهو كبير على سرير واستشرف إليه الناس واجتمعوا فقال من خرج يطلب بدم عثمان فعلى جهازه فأعان الزبير بأربع مائة ألف وحمل سبعين رجلا من قریش وحمل عائشة رضي الله عنها على حمل اذب ويقال اذب لكثرة وبره اشتراه ابن أمية الحنظلي بمائتي ديناراً قاله ابن عبد البر في الاستيعاب وقال ابن شبة في كتاب الجمل له اشتراه بشمانين ديناراً والأول أصح واسمه عسكر .

وذكر ابن سعد قال أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني إسماعيل بن إبراهيم عن أبيه قال كان عبد الله بن أبي ربيعة عاملاً لعثمان على صنعاء فلما بلغه خبر عثمان أقبل سريعاً لينصره فلقية صفوان بن أمية وصفوان على فرس وعبد الله بن أبي ربيعة على بغلة فدنا منها الفرس فحادت فطرحت ابن أبي ربيعة فكسرت نخذه فقدم مكة بعد الصرر وعائشة بمكة يومئذ تدعو إلى الخروج تطلب دم عثمان فأمر بسرير فوضع له سرير في المسجد ثم حمل فوضع على سريرته فقال أيها الناس من خرج في طلب دم عثمان فعلى جهازه . قال فجهر ناساً كثيراً وحملهم ولم يستطع الخروج إلى الجمل لما كان برجله أخبرنا محمد بن عمر قال حدثني محمد بن عبيد الله ابن عبيد عن ابن أبي مليكة عن عبد الله ابن أبي السائب قال رأيت عبد الله بن أبي ربيعة على سرير في المسجد الحرام يحض الناس على الخروج في طلب دم عثمان ويحمل من جاء انتهى كلام ابن سعد في الطبقات ولا تعارض والحمد لله فإنه يحتمل أن يكون خرجاً جميعاً في نصرة عثمان فكسرا أو اجتمعا بمكة وجعلوا يجهزان من يخرج والله أعلم .

وكانت عائشة رضي الله عنها حاجة في السنة التي قتل فيها عثمان وكانت مهاجرة له فاجتمع طلحة والزبير ويعلى وقالوا لها بمكة عسى أن تخرجي رجاء أن يرجع الناس إلى أمهم ويرزعوا نبيهم وهي تمتنع عليهم فاحتجوا عليها بقوله تعالى لا خير

فی كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، وقالوا لها إن المتألمين على عثمان بالبصرة كثير فبانت الاقضية مقاديرها فاصطف الناس للقتال ورموا علياً وأصحابه بالنبال فقال علي لا ترموا بهم ولا تضربوا بسيف ولا تطعنوا برمح فرمى رجل من عسكر القوم بهم فقتل رجلاً من أصحاب علي فأتى به إلى علي فقال علي اللهم اشهد ثم رمى آخر فقتل رجلاً من أصحاب علي فقال علي اللهم اشهد ثم رمى آخر فقال علي اللهم اشهد وقد كان علي نادى الزبير يا أبا عبد الله ادن إلى أذكرك كلاماً سمعته أنا وأنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي الأمان فقال علي الأمان فبرز فأذكره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له وقد وجدتهما يضحكان بعضهما إلى بعض إما أنك ستقاتل علياً وأنت له ظالم فقال الزبير اللهم إني ما ذكرت هذا إلا في هذه الساعة وثي عنان فرسه لينصرف فقال له ابنه عبد الله إلى أين قال أذكركني علي كلاً ما قاله له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلا ولبيك رأيت سيوف بني هاشم حداد ويحملها رجال شداد قال ويك ومثلي يعير بالجن هلم الرمح فأخذ الرمح وحمل في أصحاب علي فقال علي افرجوا للشيخ فإنه مخرج فشق الليمنة والميسرة والقلب ثم رجع وقال لإبنه لا أم لك أيفعل هذا جبان وانصرف وقامت الحرب على ساق وبلغت النفوس إلى التراق فأفرجت عن ثلاثة وثلاثين ألف قتيل وقيل عن سبعة عشر ألف وفيه اختلاف فيهم من الأزد أربعة آلاف ومن ضبة ألف ومائة وباقيهم من سائر الناس كلهم من أصحاب عائشة وقتل فيها من أصحاب علي نحو من ألف رجل وقيل اقل وقطع على خطام الجمل سبعون يداً من بني ضبة كلها قطعت يد رجل أخذ الزمام آخر وهم ينشدون :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل تنازل الموت إذا الموت نزل
والموت أشهى عندنا من العسل

وكان الجمل للراية إلى أن عقر الجمل وكانوا قد ألبسوه الأذراع وقال جملة من أهل العلم أن الواقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة منهم على الحرب بل فجأة وعلى

سبيل دفع كل واحد من الفريقين عن أنفسهم لظنه أن الفريق الآخر قد غدر به لأن الأمر كان انتظم بينهم على الصلح والتفريق على الرضا بخلاف قتلة عثمان من التمكن منهم والإحاطة بهم فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا ثم اتفقت آراؤهم على أن يفترقوا فريقين ويبدوا في الحرب شجرة في المسكرين وتختلف السهام بينهم ويصبح الفريق الذي في عسكر على غدر طلحة والزبير والذي في عسكر طلحة والزبير غدر على فتم لهم ما أرادوا ودبروه ونشب الحرب فكان كل فريق دافعا لمكرته عند نفسه ومانعا من الاشاعة بدمه وهذا صواب من الفريقين وطاعة الله إذ وقع القتال والامتناع منهما على هذا السبيل وهذا هو الصحيح المشهور وكان قتالهم من ارتفاع النهار يوم الخميس إلى قريب العصر لعشر ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين .

وفي صحيح مسلم من كتاب الفتن عن ابن عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة فقال رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان يعنى المشرق وقيل هذا بنصف ورقة بأسانيد منها عن عبد الله بن عمر القواريري ومحمد بن المثنا باضطراب في بيت حفصة ثم قال وقال عبد الله بن سعيد في روايته قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عند باب عائشة فقال بيده نحو المشرق الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان قالها مرتين أو ثلاثا .

وذكر الإمام أحمد بن حنبل في مسنده في الخامس عشر من مسند عائشة رضي الله عنها قال حدثني محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم أن عائشة رضي الله عنها لما أتت الحويجة سمعت نباح الكلاب فقالت ما أظنني إلا راجعة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا أبتكن تنبج كلاب الحوآب فقال لها الزبير ترجعين عسى الله أن يصلح بك بين الناس .

وروى أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا وكيع بن الجراح عن عصام بن قدامه عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبتكن صاحبة

الجل الأذب يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت وهذا حديث ثابت صحيح رواه الإمام المجمع على عدالته وقبول روايته الإمام أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة وكذلك وكيع جمع على عدالته وحفظه وفقهه عن عصام وهو ثقة عدل فيما ذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب له عن عكرمة وهو عند أكثر العلماء ثقة عالم وهذا الحديث من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم وهو إخباره بالشيء قبل كونه. وقوله الأديب أراد الأدب فأظهر التضعيف والعجب من القاضي أبي بكر ابن العربي كيف أنكر هذا الحديث في كتبه منها في كتاب العواصم من القواصم وذكر أنه لا يوجد أصلاً وأظهر لعلماء المحدثين بإنكاره غباوة وجهلاً وشهرة هذا الحديث اوضح من فلق الصبح وأجلى وقدرناه أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب فقال حدثنا سعيد بن نصر قال حدثنا قاسم بن أصبغ قال حدثنا محمد بن وضاح قال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة فذكره بسنده المتقدم .

وروى أبو جعفر الطبري قال لما خرجت عائشة رضي الله عنها من البصرة طالبة المدينة بعد انقضاء الحرب جهزها على رضي الله عنه جهازاً حسناً وأخرج معها من أراد الخروج واختار عليها أربعين امرأة معروفات من نساء البصرة وجهاز معها أخاها محمداً وكان خروجها من البصرة يوم السبت غرة رجب سنة ست وثلاثين وشيعها على رضي الله عنه على أميال وصرح معها بذي يوم ما .

فصل

فإن قيل فلم ترك على الاقتصاص من قتلة عثمان فالجواب إنه لم يكن ولي دم وإنما كان أولياء الدم أولاد عثمان وهم جماعة عمرو وكان اسن ولد عثمان وعمر وابان وكان حدثاً فقيهاً وشهد الجل مع عائشة والوليد بن عثمان وكان عنده مصحف عثمان الذي كان في حجره حين قتل ومنهم الوليد بن عثمان ذكر ابن قتيبة في المعارف أنه كان صاحب شراب وفتوة ومنهم سعيد بن عثمان وكان والياً لمعاوية على خراسان

فهؤلاء بنو عثمان الحاضرون في ذلك الوقت وهم أولياء الدم دون غيرهم ولم يتعالم إلى على أحد منهم ولا نقل ذلك عنهم فلو تحاكموا إليه لحكم بينهم إذ كان أمضى الصحابة للحديث المروى فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وجواب ثان أنه لم يكن في الدار عدلان يشهدان على قاتل عثمان بعينه فلم يكن له أن يقتل بمجرد دعوى في قاتل بعينه ولا إلى الحكم في ذلك سبيل مع سكوت أولياء الدم عن طلب حقهم ففي تركهم له أوضح دليل وكذلك فعل معاوية حين تمت له الخلافة وملك مصر وغيرها بعد أن قتل على رضى الله عنه لم يحكم على واحد من المتهمين بقتل عثمان بإقامة قصاص وأكثر المتهمين من أهل مصر والكوفة والبصرة وكلهم تحت حكمه وأمره ونهيه وغلبته وقهره وكان يدعى المطالبة بذلك قبل ملكه ويقول لا نبايع من يؤوى قتلة عثمان ولا يقتص منهم والذي كان يجب عليه شرعا أن يدخل في طاعة على رضى الله عنه حين انهقدت خلافته في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومهبط وحيه ومقر النبوة وموضع الخلافة بجميع من كان فيها من المهاجرين والأنصار بطوع منهم وارتضاء واختيار وهم أمم لا يحصون وأهل عقد وحل والبيعة تتعقد بطائفة من أهل الحل والعقد فلما بويغ له رضى الله عنه طلب أهل الشام في شرط البيعة التمكن من قتلة عثمان وأخذ القود منهم فقال لهم على عليه السلام أدخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا إليه فقالوا لا تستحق بيعة وقتلة عثمان معك نراهم صباحا ومساء وكان على في ذلك أسد رأيا وأصوب قبيلا لأن عليا لو تعاطى القود معهم لتعصب لهم قبائل وصارت حربا ثالثة فانتظر بهم إلى أن يستوثق الأمر وتنعقد عليه البيعة ويقع الطلب من الأولياء في مجلس الحكم فيجرى القضاء بالحق .

قال ابن العربي أبو بكر ولا خلاف بين الأمة أنه يجوز للإمام تأخير القصاص إذا أدى إلى إثارة فتنة أو تشتيت الكلمة وكذلك جرى لطلحة والزبير فإنهما ماخلما عليا من ولاية ولا اعتراضا عليه في ديانة وإنما رأوا أن البداية بقتل أصحاب عثمان أولى .

وذكر ابن وهب قال حدثني حرملة بن عمران عن يزيد بن أبي حبيب أنه سمعه يحدث محمد بن يزيد بن أبي زياد الثقفي قال اصطحب قيس بن خرشه وكعب الكنانى حتى إذا بلغا صفين وقف كعب ثم نظر ساعة فقال لا إله إلا الله ليرافن في هذه البقعة من دماء المسلمين ما لم يهرق ببقعة من الأرض فغضب قيس ثم قال وما يدريك يا أبا اسحق ما هذا فإن هذا من الغيب الذى استأثر الله تعالى به فقال كعب ما من شبر من الأرض إلا هو مكتوب فى التوراة التى أنزل الله على موسى ابن عمران ما يكون عليه إلى يوم القيامة .

أخبرنا شيخنا القاضى لسان المتكلمين أبو عامر يحيى بن الشيخ الفقيه الإمام أبى الحسين بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري إجازة عن شيخه المحدث الثقة المؤرخ أبا القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال قال حدثنا جماعة من شيوخنا رحمهم الله منهم الفقيه المفتى أبو محمد بن عنان قال أنبأنا الإمام أبو عمر بن عبد البر فيما أجازة لنا بخطه قال حدثنا خلف بن القاسم قال حدثنا عبد الله بن عمر قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج قال حدثني خالد أبو الربيع وأحمد بن صالح وأحمد بن عمر وابن السرح ويحيى بن سليمان قال حدثنا ابن وهب فذكره وأحمد بن محمد بن الحجاج هو ابن رشيد بن سعد أبو جعفر مصرى قال أبو أحمد بن عدى كذبوه وأنكرت عليه أشياء ومحمد بن يزيد بن أبي زياد مجهول قاله الدارقطني وبقى السند ثقات معروفون .

وأما وقفة صفين فإن معاوية لما بلغه مسير أمير المؤمنين على كرم الله وجهه إليه من العراق خرج من دمشق حتى ورد صفين فى النصف من المحرم فسبق إلى سهولة المنزل وسعة المناخ وقريب الماء من الفرات وبنى قصر البيت ماله وصفين صحرا ذات كدى وإكبات وكان أهل الشام قد سبقوا إلى المشرعة من صائر الجهات ولم يكن ثم مشرعة سواها للواردين والواردات فنعت عليا رضى الله عنه إياها وحمتها عن تلك الكفاة فذكرهم بالمواظظ الحسنة والآيات وحذروهم بقول

النبي صلى الله عليه وسلم فيمن منع فضل الماء بالفلاة فردوا قوله وأجابوه
بالسنة الطاعة إلى أن قاتلهم بالقواضب^(١) والسهمريات فلما غلبهم عليها رضى الله عنه
أباحها للشاربين والشاربات ثم بنى مسجداً على تل بأعلى الفرات ليقيم فيه مده مقامه
فرائض الصلوات لفضل صلاة الجماعة على صلاة الفرد بسبع وعشرين من الدرجات
على ما ثبت في الصحيح من رواية ابن عمر وغيره من الصحابة العدول الثقة
وحضرها مع علي جماعة من البدرين ومن بايع تحت الشجرة من الصحابة المرضيين.
وكان مع علي رايات كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال المشركين وكان
مقام علي رضى الله عنه ومعاوية بعشرين سبعة أشهر وقيل تسعة وقيل ثلاثة أشهر
وكان بينهم قبل القتال نحو من سبعين زحفاً وقتل في ثلاثة أيام من أيام البيض
وهي ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمسة عشرة ثلاثة وسبعون ألفاً من الفريقين .

وذكره الثقة العدل أبو إسحاق وإبراهيم بن الحسين الكسائي الهمداني
المعروف بابن ديزيل وهو الملقب بسفينة وسفينة طائر إذا وقع على الشجرة لم يغم
عنها ويترك فيها شيئاً وهو في تلك الليالي هي ليلة الهرير جعل يهر بعضهم على بعض
والهرير الصوت يشبه النباح لأنهم تراموا بالنبل حتى فنيت وتطاعنوا بالرمح حتى
اندقت وتضاربوا بالسيوف حتى انقصفت ثم نزل القوم يمشى بعضهم إلى بعض قد
كسروا جفون سيوفهم واضطربوا بما بقى من السيوف وعمد الحديد فلا تسمع إلا
غمغمة القوم والحديد في الهام ولما صارت السيوف كالناجل تراموا بالحجارة ثم
جثوا على الركب فتعاثروا بالتراب ثم تكادموا بالأفواه وكسفت الشمس وثار
القتام وارتفع الغبار وضلت الألوية والرايات ومرت أوقات أربع صلوات لأن
القتال كان بعد صلاتهم صلاة الصبح واقتتلوا إلى نصف الليل وذلك في شهر ربيع
الأول سنة تسع وثلاثين قال الإمام أحمد بن حنبل في تاريخه وقال غيره في شهر
ربيع الأول وكان أهل الشام يوم صفين خمسة وثلاثين ومائة وألف وكان أهل

(١) جمع قضيب السيف الرقيق .

العراق عشرين أو ثلاثين ومائة وألف ذكره الزبير بن بكار أبو عبد الله القاضي العدل قال حدثني عمر بن أبي بكر المؤملي عن زكريا بن عيسى عن ابن شهاب عن محمد بن عمرو بن العاص وكان ممن شهد صفين وأبلى فيه وفيه يقول :

فلو شهدت جمل مقامى ومشهدى بصفين يوماً شاب منها الذوايب
غزاة أتى أهل العراق كأنهم من البحر لج موجه متراكب
وجئناهم نمشى كأن صفوفنا سحائب غيث رفعتها الجنائب
ويرى : شهاب حريق رفعته الجنائب
وقالوا لنا إنا نرى أن تبايعوا علينا فقلنا بل نرى أن نضارب
وطارت إلينا بالرماح كتابهم وطرنا إليهم بالألأ كف قواضب
إذا نحن قلنا أستهزموا عرضت لنا كتاب منهم واشمازت كتاب
فلا هم يولون الظهور فيدبروا فرارا كفعل الخادرات الدرايب
قال ابن شهاب فأنشدت عائشة رضى الله عنها أبياته هذه فقالت ما سمعت
بشاعر أصدق شعرا منه .

قال الحافظ ابن دحية قوله بل نرى أن نضارب أن هنا مخففة من الثقيلة محذوفة
الإسم تقديره أننا نضارب وقوله كفعل الخادرات الدرايب الخادرات الأسود
يقال أسود خادر كأن الأجمة له خدر فعناه أنهم لا يدبرون كالأسود التي لاتدبر عن
فرايبها لأنها قد ضربت بها ودربت عليها والدرية الضراوة يقال درب يدرب
ورفع الدرايب لأنها بدل من الضمير في يدبروا قال والإجماع منعقد على أن طائفة
الإمام طائفة عدل والأخرى طائفة بغى ومعلوم أن علياً رضى الله عنه كان الإمام (۱)
وروى مسلم في صحيحه قال حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار واللفظ لابن مثنى
قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي سلمة قال سمعت أبا نضرة يحدث عن
أبي سعيد الخدرى قال أخبرنى من هو خير منى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(۱) إجماع أهل السنة والسلف الصالح على إمامة على كرم الله وجهه وان معاوية باغ ظالم
عن حكي الإجماع بالنص على ان معاوية يطلب الباطل وانه باغ الامام النوى
في شرح مسلم . احمد مرسي

(م - ۳۵ تذكره)

قال لعمار حين جعل يحفر الخندق جعل يمسح رأسه ويقول بوس بن سمية تقتلك فئة باغية وخرجه أيضاً من حديث إسحاق بن إبراهيم وإسحاق بن منصور ومحمد بن غيلان ومحمد بن قدامة قالوا أخبرنا النضر بن شميل عن شعبة عن أبي سلة بهذا الإسناد نحوه غير أن في حديث النضر قال أخبرني من هو خير مني أبو قتادة وله طرق غير هذا في صحيح مسلم.

وقال أبو عمرو بن عبد البر في كتاب الاستيعاب له في ترجمة عمار وتواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقتل عمار الفئة الباغية وهو من أصح الأحاديث.

وقال فقهاء الإسلام فيما حكاه الإمام عبدالقاهر في كتاب الإمامة من تأليفه وأجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقى الحديث والرأى منهم مالك والشافعى وأبو حنيفة والأوزاعى والجمهور الأعظم من المتكلمين إلى أن علياً مصيب فى قتاله لاهل صفين كما قالوا بإصابته فى قتل أصحاب الجمل وقالوا أيضاً بأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له ولكن لا يجوز تكفيرهم بينهم.

وقال الإمام أبو منصور التيمى البغدادى فى كتابه الفرق من تأليفه فى شأن القصة عقيده أهل السنة وأجمعوا أن علياً كان مصيباً فى قتاله لاهل صفين كما قالوا بإصابته فى قتل أصحاب الجمل وقالوا أيضاً بأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له ولكن لا يجوز تكفيرهم بينهم.

وقال الإمام أبو منصور التيمى البغدادى فى كتاب الفرق فى بيان عقيده أهل السنة وأجمعوا أن علياً كان مصيباً فى قتال أهل الجمل أعنى طلحة والزبير وعائشة بالبصرة وأهل صفين أعنى معاوية وعسكره.

وقال الإمام أبو المعالى فى كتاب الإرشاد فصل على رضى الله عنه كان إماماً حقاً فى توليته ومقاتلوه بغاة وحسن الظن بهم يقتضى أن يظن بهم قصد الخير وأن أخطأوه فهو آخر فصل ختم به كتابه وحسبك بقول سيد المرسلين وإمام المتقين

لعمار رضى الله عنه تقتلك الفئة الباغية . وهو من أثبت الأحاديث كما تقدم ولما لم يقدر معاوية على إنكاره لثبوتها عنده قال إنما قتله من أخرجه ولو كان حديثاً فيه شك لرده معاوية وأنكره وأكذب ناقله وزوره .

وقد أجاب على رضى الله عنه عن قول معاوية بأن قال فرسول الله صلى الله عليه وسلم إذن قتل حمزة حين أخرجه وهذا من على رضى الله عنه إلزام لاجواب عنه ووجه لا اعتراض عليها قاله الإمام الحافظ أبو الخطاب بن دحية .

باب

لا يأتى زمان إلا والذي بعده شر منه وفي ظهور الفتن

البخارى عن الزبير بن عدى قال أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج فقال اصبروا فإنه لا يأتى عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم وأخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يتقارب الزمان وينقص العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج قالوا يا رسول الله أيم هو قال القتل القتل أخرجه البخارى ومسلم .

فصل

قوله يتقارب الزمان قيل معناه قصر الأعمار وقلة البركة فيها وقيل هو دنو زمان الساعة وقيل هو قصر مدة الأيام على ما روى أن الزمان يتقارب حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كالיום واليوم كالساعة والساعة كاحترق السمعة أخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن غريب .

وقال حماد بن سلمة سألت أبا سنان عن قوله يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر وقال ذلك من استلذاذ العيش قال الخطابي يريد والله أعلم زمان خروج

المهدى ووقوع الأمانة في الأرض فيما يبسطه من العدل فيها على ما يأتي ويسلخ به العيش عند ذلك وتستقصر مدته ولا يزال الناس يستقرون مدة أيام الرخاء وإن طالت وامتدت ويستطيرون أيام المكروه وإن قصرت وقلت والعرب تقول في مثل هذا . مر بنا يوم كمرقوب القطا قصرا ويلقى الشح بمعنى يتلقى ويتعلم ويتواصى عليه ويدعى إليه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه أي تقبلها وتعلمها ويجوز يلقي بتخفيف اللام والقاف على معنى يترك لإفاضة المال وكثرته حتى يهم رب المال من يقبل صدقته فلا يجد من يقبلها على ما يأتي ولا يجوز أن يكون يلقي بمعنى يوجد لأن الشيخ ما زال موجودا قبل تقارب الزمان .

باب

ما جاء في الفرار من الفتن وكسر السلاح وحكم المكره عليها

مالك عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن .

مسلم عن أبي بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها ستكون فتن . الأثم تكون فتن الأثم تكون فتن القاعد فيها خير من الماشى والماشى فيها خير من الساعى إليها إلا فإذا نزلت أو وقعت فن كانت له إبل فليطحق بأبله ومن كانت له غنم فليطحق بغنمه ومن كانت له أرض فليطحق بأرضه فقال له رجل يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض قال يعمد إلى سيفه فيدق عليه بحجر ثم لينج إن استطاع النجاة اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت قال فقال رجل يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفتنين فيضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني قال يبوء بأثمه وأثمك ويكون من أصحاب النار وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشى والماشى خير من الساعى من تشرف لها تستشرفه ومن وجد فيها ملجأ فليذهب قال حديث حسن صحيح .

باب منه

والأسر بلزوم البيوت عند الفتن

ابن ماجه عن أبي بردة قال دخلت على محمد بن مسلمة فقال إن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف فإذا كان ذلك فات بسيفك أحدا فاضرب به حتى ينقطع ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية فقد وقعت وفعلت ما قال النبي صلى الله عليه وسلم .

أبو داود عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بين أيديكم فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسى كافراً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الساعي قالوا فما تأمرنا قال كونوا أحلاس بيوتكم .

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم كان محمد بن مسلمة رضى الله عنه ممن اجتنب ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره إذا كان ذلك أن يتخذ سيفاً من خشب ففعل وأقام بالربذة ومن اعتزل الفتنة أبو بكر وعبد الله بن عمر وأسامة بن زيد وأبو ذر وحذيفة وعمران بن حصين وأبو موسى وأهبان ابن صيفي وسعد بن أبي وقاص وغيرهم ومن التابعين شريح والنخعي وغيرهما رضى الله عنهم قال المؤلف رحمه الله هذا وكانت تلك الفتنة والقتال بينهم على اجتهاد منهم (۱) فكان المصيب منهم له أجران والمخطئ له أجر ولم يكن قتال على الدنيا فكيف اليوم الذي تسفك فيه الدماء باتباع الهوى طلباً للملك والاستكثار من الدنيا فواجب على الإنسان أن يكف اليد واللسان عن ظهور الفتن ونزول البلايا والمحن نسأل الله السلامة والفوز بدار الكرامة بحق نبيه وآله وأتباعه وصحبه وقوله كونوا أحلاس بيوتكم حض على ملازمة البيوت والعودة فيها حتى يسلم من الناس ويسلموا منه ومن مراسيل الحسن وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال نعم صوامع المؤمنين بيوتهم وقد

(۱) أن الجور والفجور وحب الدنيا والرياسة وارتكاب المعاصي لا يكون عن اجتهاد أصلاً ولا يمكن إن يدعى ذلك الزاني والسارق والشارب الاجتهاد أيضاً إذ لا فارق بين الباغي وفاطع الطريق . . . الخ

بنو أمية كان الملك غايتهم فأدر كوه بدعوى ثار عثمان

ومن تأمل الآيات والاحاديث في البغي يكتفى ويشتفى . هداانا الله للصواب ووفقنا للحب في الله والبغض فيه آمين . احمد محمد مرسى

تكون العزلة في غير البيوت كالبادية والكهوف قال الله تعالى إذ أوى الفتيحة إلى الكهف .

ودخل سلة بن الاكوع على الحجاج وكان قد خرج إلى الربذة حين قتل عثمان وتزوج امرأة هناك وولدت له أولادا فلم يزل بها حتى كان قبل أن يموت بميال فدخل المدينة فقال له الحجاج ارتددت على عقبيك قال لا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لنا في البدو خرجة مسلم وغيره وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان يكون خير مال^(۱) المسلم غنما يتبع به شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وما زال الناس يعتزلون ويخالطون كل واحد منهم على ما يعلم من نفسه ويتأتى له من أمره وقد كان المعمرى بالمدينة معتزلا وكان مالك مخالطا للناس ثم اعتزل ملكه آخر عمره رضى الله عنه فيروى عنه أنه أقام ثمان عشر سنة لم يخرج إلى المسجد فقيل له في ذلك فقال ليس كل واحد يمكنه أن يخبر بعذره واختلف الناس في عذره على ثلاثة أقوال فقيل لئلا يرى المناكير وقيل لئلا يمشى إلى السلطان وقيل كانت به أبرة فكان يرى تنزيه المسجد عنها ذكره القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب سراج المرادين له .

باب منه

وكيف التثبت في الفتنة والاعتزال عنها وفي ذهاب الصالحين
ابن ماجه عن عديسة بنت أهبان قالت لما جاء علي بن أبي طالب هاهنا بالبصرة دخل علي أبي فقال يا أبا مسلم ألا تعينني على هؤلاء القوم قال بلى فدعى جاريته فقال يا جارية أخرجي سيفي قالت فأخرجته فسل منه قدر شبر فإذا هو خشب فقال إن خليلي وابن عمك صلى الله عليه وسلم عهد إلى إذا كانت فتنة بين المسلمين فاتخذ سيفاً من خشب فإن شئت خرجت معك قال لا حاجة لي فيك ولا في سيفك .

وعن زيد بن شرجيل عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله

(۱) المحفوظ لنا خير مال المسلم الغنم . احمد مرسي

عليه وسلم أن بين يدي الساعة فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسى كافرا ويصبح كافرا ويمسى مؤمنا والقاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي فكسروا قسيكم وقطعوا أو تاركم وأحربوا بسيفهم الحجارة فإن دخل على أحد منكم فليكن كخير ابني آدم أخرجه أبو داود أيضا .

وخرج من حديث سعيد بن أبي وقاص قلت يا رسول الله إن دخل على بيتي وبسط يده إليه ليقتلني قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن كخير ابني آدم وتلى هذه الآية « لئن بسطت إلى يدك لتقتلني »

ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي فيغربل الناس فيه غربلة يبقى حثالة من الناس قد مرجت عهدهم وخفت أمانتهم واختلفوا فكانوا هكذا وهكذا وشبك بين أصابعه قالوا كيف بنا يا رسول الله إذا كان ذلك الزمان قال تأخذون بما تعرفون وتدعون بما تنكرون وتقبلون على خاصتكم وتذرون أمر عامتكم أخرجه أبو داود أيضا وخرجه أبو نعيم الحافظ بإسناده عن محمد بن كعب القرظي أن الحسن بن أبي الحسن حدثه أنه سمع شريحا وهو قاضي عمر بن الخطاب يقول قال عمر بن الخطاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستغربلون حتى تصيروا في حثالة من الناس قد مرجت عهدهم وخربت أماناتهم فقال قائل كيف بنا يا رسول الله قال تعملون بما تعرفون وتركون ما تنكرون وتقولون أحد أحد انصرنا على من ظلمنا واكفنا من بغانا غريب من حديث محمد بن كعب والحسن وشريح ما علمت له وجهها غير هذا .

النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيت الناس مرجت عهدهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وهكذا وشبك بين أصابعه فقتلت إليه فقلت له كيف أصنع عند ذلك يا رسول الله جعلني الله فداك قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصة نفسك ودع عنك أمر العامة أخرجه أبو داود أيضا .

الترمذی عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك ويأتي على الناس زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجما قال هذا حديث غريب . وفي الباب عن أبي ذر رضي الله عنه .

فصل

قوله يوشك معناه يقرب وقوله فيغربل الناس فيها غريبة عبارة عن موت الأخيار وبقاء الأشرار كما يبقى الغربال من حثالة ما يغربله والحثالة ما يسقط من قشر الشعير والأرز والتمر وكل ذي قشر إذا بقي وحثالة الدهن تفله وكأنه الردي . من كل شيء ويقال حثالة وحفالة بالثاء والفاء معا .

كما روى ابن ماجه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنتقون كما ينتقى التمر من اغضاله وليذهبن خياركم وليبقين شراركم فوتوا إن استطعتم .

وخرج البخاري عن مرداس الأسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير والتمر لا يباليهم الله باله وفي رواية لا يعبا الله بهم يقال ما أباليه باله وبال وبلي مقصور ومكسور الأول مصدر وقيل اسم أي ما أكثر به والبالي الأكثر والاهتمام بالشيء والصالحون هم الذين أطاعوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم به واتقوا عما نهام عنه .

قال أبو الخطاب بن دحية ومرداس وهذا هو مرداس بن مالك الأسلمي من أسلم بفتح اللام سكن الكوفة وهو معدود في أهلها ولم يحفظ له من طريق صحيح سوى هذا الحديث .

قال المؤلف رحمه الله انفراد به البخاري رحمه الله روى عن قيس بن أبي حازم في الرقاق ومرجت معناه اختلطت واختلفت والمرج الاختلاط والاختلاف

باب

الامر بتعلم كتاب الله واتباع ما فيه ولزوم جماعة المسلمين
عند غلبة الفتن وظهورها وصفة دعاة آخر الزمان
والامر بالسمع والطاعة للخليفة وإن ضرب الظهور وأخذ المال

أبو داود عن نصر بن عاصم الليثي قال أنينا اليشكري في رهط من بني ليث
يقال من القوم قال بنو الليث أتيناك نسألك عن حديث خديفة فقال أقبلنا مع
أبي موسى قافلين وغلث الدواب بالكوفة قال فسألت أبا موسى الأشعري أنا
وصاحب لي فأذن لنا فقدمنا الكوفة فقلت لصاحبي أنا داخل المسجد فإذا قامت
السوق خرجت إليك قال فدخلت المسجد فإذا فيه حاقمة كأنما قطعت رؤوسهم
يستمعون إلى حديث رجل واحد قال فقمت عليهم فجاء رجل فقام إلى جنبي قال
فقلت من هذا قال أبصرى أنت قال قلت نعم قال فد عرفت ولو كنت كوفيا
لم تسأل عن هذا هذا خديفة فدوت منه فسمعت خديفة رضى الله عنه يقول كان
الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أنا أسأله عن الشر
وعرفت أن الخير لن يسبقني قال فقلت يا رسول الله بعد هذا الخير شر قال
يا خديفة تعلم كتاب الله واتباع ما فيه ثلاث مرات قلت يا رسول الله بعد هذا
الخير شر قال فتنة وشر قلت يا رسول الله بعد هذا الشر خير فقال يا خديفة
تعلم كتاب الله واتباع ما فيه قال قلت يا رسول الله بعد هذا الشر خير قال
هدنة على دخن وجماعة على أقذافهم أو فيها قلت يا رسول الله الهدنة على الدخن
ما هي قال لا ترجع قلوب أقوام على الذي كانت عليه قال قلت يا رسول الله بعد
هذا الخير شر قال فتنة^(۱) عمياء صماء عليها دعاة على أبواب النار فإن مت يا خديفة
وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدا منهم .

وخرج أبو نعيم الحافظ عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول خذوا العطاء مادام عطاء فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه وليتم
بتاركه يئمه سكم من ذلك الفقر والحاجة إلا أن رحن الإسلام دائرة فدوروا

(۱) لعله والله اعلم الفتن التي وقعت بعد قتل عثمان رضى الله عنه والخير الذي
بعده ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز وبالذى يعرف منهم وينكر الامراء بعده
وبالدعاة من قام في طلب الملك في الخوارج وغيرهم احمد مرصى

مع المكتاب حيث دار الا ان المكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا المكتاب الا انه سيكون عليكم امراء يقضون لانفسهم مالا يقضون لكم ان عصيتموهم قتلوكم وان اطعتموهم اضلوكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع قال كما صنع اصحاب عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام نشروا بالمناشير وحملوا على الخشب موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله خرجه في باب يزيد بن مرثد غريب من حديث معاذ لم يروه عنه الا يزيد بن مرثد وعن الرضين بن عطاء .

وخرج البخارى ومسلم وأبو داود عن أبي إدريس الخولاني أنه سمع حذيفة يقول كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فإجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير شر قال نعم فقلت هل بعد ذلك من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر^(۱) فقلت هل بعد ذلك الخبر من شر قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها فقلت يا رسول الله صفهم لنا قال نعم قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا فقلت يا رسول الله فما تأمرني إن أدركت ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال فاعتزل الفرق كلها ولو إن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك .

وفي رواية قال سيكون بعدى أئمة لا يهتدون بهدای ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس قال قلت فكيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك قال اسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع لفظ مسلم:

وفي كتاب أبي داود بعد قوله هدنة على دخن قال قلت يا رسول الله ثم ماذا قال إن كان لله خليفة في الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه وإلا قتلت وأنت عاض في جذل^(۲) جرة قلت ثم ماذا قال ثم يخرج الدجال معه نهر ونار فمن وقع في ناره وجب أجره وحط وزره ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره . قال ثم ماذا قال هي قيام الساعة .

(۱) (۱) أى ترى منهم ما تعرفه انه من ديني وترى منهم ايضا ما تنكرانه من ديني .

(۲) (۲) الجذل بالكسر والفتح اصل الشجرة يقطع وقد يجعل العود جذلا .

فصل

قوله على اذا الاقذا جمع القذا أو القذا جمع قذاة وهر ما يقع في العين من الاذى في الطعام والشراب من تراب أو نبت أو غير ذلك فالمراد به في الحديث الفساد الذي يكون في القلوب أي أنهم يتقون بعضهم بعضا ويظهرون الصلح والاتفاق ولكنهم في باطنهم خلاف ذلك والجدل الاصل كما هو مبين في كتاب مسلم على أصل شجرة .

باب

إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار

مسلم عن الأحنف بن قيس قال خرجت وأنا أريد هذا الرجل فلقيني أبو بكر فقال أين تريد يا أحنف قال فقلت أريد نصرة ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني عليا قال فقال لي يا أحنف ارجع فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا توجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قال فقلت يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال إنه قد أراد قتل صاحبه أخرجه البخاري وفي بعض طرقه أنه كان حريضا على قتل صاحبه .

فصل

قال علي بن ابي طالب ليس هذا الحديث في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ، فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله وهذا يدل على أن قوله القاتل والمقتول في النار ليس في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لأنهم إنما قاتلوا على التأويل قال الطبري لو كان الواجب في كل

اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الحرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف
لما أقيم جد ولا أبطل باطل ولو وجد أهل النفاق والفجور سيلا إلى استحلال كل
ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين وسبي نساءهم وسفك دماهم بأن يتحزبوا
عليهم ويكف المسلمون أيديهم عنهم بل يقولوا هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها
وأمرنا بكف الأيدي والحرب فيها وذلك مخالف لقوله عليه الصلاة والسلام خذوا على
أيدي سفهائكم .

قال المؤلف رحمه الله لحديث أبي بكره محمول على ما إذا كان القتال على الدنيا
وقد جاء هكذا منصوصا فيما سمعناه من بعض مشايخنا إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل
والمقتول في النار خروجه البزار .

وَمَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا مَا خَرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمَ
لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَا قَتَلَ وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَا قَتِلَ فَقِيلَ كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ قَالَ الْهَرَجُ
الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ فَبَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْقِتَالَ إِذَا كَانَ عَلَى جَهَالَةٍ مِنْ طَلَبِ
الدُّنْيَا أَوْ اتِّبَاعِ هَوَى كَانَ الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ فَمَا قَاتَلَ يَكُونُ عَلَى تَأْوِيلِ دِينِي فَلَا
وَإِنَّمَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ عَنْهُمْ فَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ تَوْفِيرُهُمْ
وَالِإِمْسَاكَ عَنْ ذِكْرِ زَلَمِهِمْ وَنَشْرِ مَحَاسِنِهِمْ لِثَنَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ
وَقَوْلُهُ الْحَقُّ دَلَّ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، وَرَقَالَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ قَالَ وَدَلَّ يَسْتَوِي مِنْكُمْ
مَنْ اتَّفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ، وَكُلٌّ مِنْ ذَهَبِ مِنْهُمْ إِلَى تَأْوِيلِ فَهُوَ مَعْدُورٌ وَإِنْ كَانَ
بَعْضُهُمْ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ وَأَكْثَرُ سَوَابِقٍ وَقِيلَ أَنَّ مَنْ تَوَقَّفَ مِنَ الصَّحَابَةِ حَلُّوا
الْإِحَادِيثَ الْوَارِدَةَ بِالْكَفِّ عَلَى عُمومِهَا فَاجْتَنَبُوا جَمِيعَ مَا وَقَعَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ مِنَ
الْخِلَافِ وَالْقِتَالِ وَرَبَّمَا نَدِمَ بَعْضُهُمْ عَلَى تَرْكِ ذَلِكَ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَاهُ نَدِمَ عَلَى تَخَلُّفِهِ
عَنْ نَصْرَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ مَا آسَى عَلَى شَيْءٍ مَا آسَى
عَلَى تَرْكِ قِتَالِ الْبَاغِيَةِ يَعْنِي فَتَنَةَ مَعَاوِيَةَ وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ أَنَّ الْفِتْنَةَ الْبَاغِيَةَ



إذا علم منها البغى قوتلت قال عبد الرحمن بن أبزي شهدنا صفين مع علي في ثمان مائة .
من بايع بيعة الرضوان قتل منهم ثلاث وستون منهم عمار بن ياسر .

وقال أبو عبد الرحمن السلمى شهدنا مع علي صفين فرأيت عمار بن ياسر
لا يأخذ في ناحية من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
يتبعونه كأنه علم لهم قال وسمعتة يقول يومئذ لهاشم بن عتبة يا هاشم تقدم الجنة
تحت الأبارقة اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا شفقات
هجر لعلنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ثم قال :

نحن ضربناكم على تزييله فاليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
أو يرجع الحق إلى سبيله

قال فلم أر أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قتلوا في موطن ما قتلوا يومئذ
وسئل بعض المتقدمين عن الدماء التي وقعت بين الصحابة فقال : تلك أمة قد دخلت
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون .

وقد أشبعنا القول في هذه المسألة في كتاب الجامع لأحكام القرآن من سورة
الحجرات والصواب ما ذكرناه لك أولا والله أعلم وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه
قال سيكون بين أصحابي فتنة يغفرها الله لهم بصحبتهم إياي ثم يستن بها قوم من
بعدهم يدخلون بها النار .

باب

جعل الله بأس هذه الأمة بينها

قال الله تعالى د أو يلبسكم شيئا وبذيق بعضكم بأس بعض (۱) مسلم عن ثوبان
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارفها

(۱) أي يقائل بعضهم بعضاً .

ومفاربها وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض قال ابن ماجه في سننه يعني الذهب والفضة وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضهم وبعضاً ويبى بعضهم بعضاً زاد أبو داود وإنما أخاف على أمتي الآثم المضلين وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي المشركين وحتى يعبد قبائل من أمتي الأوثان وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون يزعم كلهم أنه نبي وأنا حاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله .

ابن ماجه عن معاذ بن جبل قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً صلاة فأطال فيها فلما انصرف قلنا أو قالوا يا رسول الله أطلت اليوم الصلاة قال إني صليت صلاة رغبة ورهبة سألت الله لأمتي ثلاثاً فأعطاني ثنتين ورد علي واحدة سألته ألا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها وسألته ألا يهلكهم غيراً فأعطانيها وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فردها علي وأخرجه مسلم عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية وفي رواية في طائفة من أصحابه حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين فصلينا معه ودعا ربه طويلاً ثم انصرف إلينا فقال سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته ألا يهلك أمتي بالفرق فأعطانيها وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فنعنيها وأخرجه الترمذي والنسائي وصححه واللفظ للنسائي عن خباب بن الارت وكان شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه راقب رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة كلها حتى كان الفجر فلما سلم رسول الله ﷺ من صلاته جاء خباب فقال يا رسول الله باني أنت وأمى لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل إنها صلاة رغب ورهب سألت الله فيها لأمتي ثلاث خصال فأعطاني

ثنتين ومنعني واحدة سألت ربي ألا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها وسألت ربي عز وجل ألا يظهر عليها عدوا من غيرنا فأعطانيها وسألت ربي عز وجل ألا يلبسنا^(۱) شيئا فنحنها .

ابن ماجة عن أبي موسى قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بين يدي الساعة لهرجا قال قلت يا رسول الله ما الهرج قال القتل القتل فقال بعض المسلمين يا رسول الله إنا نقتل الآن في العام الواحد من المشركين كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس يقتل المشركين ولكن يقتل بعضكم بعضا حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته وذكر الحديث والله أعلم .

باب

ما يكون من الفتن وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم بها
مسلم عن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ماترك فيه شيئا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة الا حدث به حفظه من نسيه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وأنه ليكون منه الشيء قد نسيته فاذا كره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه .

وخرج أبو داود أيضا عنه قال والله ما أدري أنسى أصحابي أم تناسوه والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاث مائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته مسلم عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا أنبأنا فيه عن الفتنة فقال وهو يعد الفتن منها ثلاثة لا يكدن يذرن شيئا ومنهن فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار قال حذيفة فذهب أولئك الرهط كلهم غيري .

أبو داود عن عبد الله بن عمر قال كنا قعودا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الفتن فأكثر فيها حتى ذكر فتنة للاحلاس فقال قائل يا رسول الله وما فتنة الاحلاس قال هي هرب وهرب^(۲) ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدمي رجل

(۱) يخالطكم فرقا على اهواء شتى فينشب القتال بينكم .

(۲) الحرب بالتحريك نهب المال بحيث لا تبقى لصاحبه شيء وقد حدث فعلا .

من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني إنما أويايائي المتقون ثم يصطليح الناس على رجل كورك على ضلع^(۱) ثم فتنة الدهماء لا تدع أحدا من هذه الأمة إلا لطمته لطمه فإذا قيل انقضت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمتنى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا حتى يصير الناس فسطاطين فسطاط إيمان لانفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه فإذا كان ذلكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده

فصل

قول حذيفة قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاما وفي الرواية الأخرى مجلسا قد جاء مبينا في حديث أبي زيد قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وما هو كائن فأعلمنا احفظنا أخرجه مسلم .

وروى الترمذى من حديث أبي سعيد الخدرى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر نهارا^(۲) ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه فظاهر هذا أن ذلك المقام كان من بعد العصر لا قبل ذلك وهذا تعارض فيجوز أن يكون ذلك كله في يومين فيوم خطب فيه من بعد العصر ويوما قام فيه خطيبا كله ويجوز أن تكون الخطبة من من بعد صلاة الصبح إلى غروب الشمس كما في حديث أبي زيد وافتصر بعض الرواة في الذكر على ما بعد العصر كما في حديث أبي سعيد الخدرى وفيه بعد والله أعلم .

وقوله حتى ذكر فتنة الاجلاس قال الخطابي إنما أضيفت الفتنة إلى الاجلاس لدوامها وطول لبثها يقال للرجل إذا كان يلزم بيته لا يبرح منه هو جلس بيته ويحتدل أن تسمى هذه الفتنة بالاجلاس لسوادها وظلمتها والحرب ذهاب الأهل والمال يقال حرب الرجل فهو حريب إذا سلب أهله وماله ومن هذا المعنى أخذ لفظه

(۱) أى فان الورك لا يستقيم على الضلع ولا يتركب عليه لاختلاف ما بينهما أى ان هذا الرجل غير خليق بالملك .

(۲) أى أول رفته ليسع خطبته صلى الله عليه وسلم . أحمد مرسي

الحرب لأن فيه ذهاب النفوس والأموال والله أعلم والدخن الدخان يريد أنها ثور كالدخان من تحت قدميه وقوله كورك على ضلع مثل ومعناه الأمر الذي لا يثبت ولا يستقيم يريد أن هذا الرجل غير خليق بالملك والديهما تصغير الدهما على معنى المذمة لها والتعظيم لأمرها كما قال (دويبية تصفر منها الأامل) أي هذه الفتنة سوداء مظلمة ودلت أحاديث هذا الباب على أن الصحابة رضی الله عنهم كان عندهم من علم الكواين إلى يوم القيامة العلم الكثير لكن لم يشيعوها إذ ليست من أحاديث الأحكام وما كان فيه شيء من ذلك حدثوا به وتقصوا عنه .

وقد روى البخارى عن أبي هريرة قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعامين أما أحدهما فبثته وأما الآخر فلو بثته لقطع هذا البلعوم قال أبو عبد الله البلعوم مجرى الطعام . والفسطاط الخيمة الكبيرة وتسمى مدينة مصر الفسطاط والمراد به في هذا الحديث الفرقة المجتمعة المنحازة عن الفرقة الأخرى تشبيهاً بانفراد الخيمة عن الأخرى حملاً على تسمية مصر بالفسطاط والله أعلم .

باب

ذكر الفتنه التي تموج موج البحر وقول النبي صلى الله عليه وسلم
هلاك أمتي على يد أغيلة من سفهاء قريش

ابن ماجه عن شقيق عن حذيفة قال كنا جلوساً عند عمر بن الخطاب فقال أيكم يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة قال حذيفة نقلت أنا فقال إنك لجرى، قال كيف سمعته يقول قلت سمعته يقول فتنة الرجل في أهله وماله وجاره يكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عمر ليس هذا أريد إنما أريد التي تموج موج البحر قال مالك ولها يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها باباً مغلقاً قال فيفتح الباب أو يكسر قال بل يكسر قال ذلك أجدر أن لا يغلَق فقلت لحذيفة أكان عمر يعلم من الباب قال كما يعلم أن دون غد الليلة إنى حدثته حديثاً ليس بالأغاليط قال فهبنا أن نسأله من الباب فقلنا لمسروق سله (م - ۳۶ التذكرة)

فدأله فقال عمر أخرجه البخاري ومسلم أيضا وخرج الخطيب أبو بكر أحمد بن علي من حديث مالك بن أنس أن عمر بن الخطاب دخل على بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فوجدتها تبكي فقال ما يبكيك قالت هذا اليهودي لكعب الاحبار يقول إنك باب من أبواب جهنم فقال عمر ما شاء الله إنني لأرجو أن يكون الله خلقني سعيدا قال ثم خرج فأرسل إلى كعب فدعاه فلما جاءه كعب قال يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده لا تنسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة فقال عمر أي شيء هذا مرة في الجنة ومرة في النار قال والذي نفسي بيده إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة البخاري عن عمرو بن يحيى بن سعيد قال أخبرني جدي قال كنت جالسا مع أبي هريرة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ومعنا مروان فقال أبو هريرة سمعت الصادق المصدوق يقول هلك أمتي على يد أغيلة من قريش قال مروان لعنة الله عليهم غيلة قال أبو هريرة لو شئت أن أقول بنى فلان وبني فلان لفعلت فكنت أخرج مع جدي إلى بنى مروان حين تملكوا بالشام فإذا رأهم أحدا نأوا غلبانا قال لنا عسى هؤلاء أن يكونوا منهم قلنا أنت أعلم الغلام الطار الشارب والجمع الغيلة والغدان ونص مسلم في صحيحه في كتاب الفتن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يهلك أمتي هذا الحى من قريش قال فما تأمرنا قال لو لئن الناس اعتزلوهم.

فصل

قال علياؤنا رحمة الله عليهم هذا الحديث يدل على أن أبا هريرة كان عنده من علم الفتن العلم الكثير والتعيين على من يحدث عنه الشر الغزير ألا تراه يقول لو شئت قلت لكم م بنو فلان وبنو فلان لكنه سكت عن تعيينهم مخافة ما يطرأ من ذلك من المفاسد وكانهم والله أعلم يزيد^(۱) بن معاوية وعبيد الله بن زياد ومن تنزل منزلتهم من أحداث ملوك بنى أمية فقد صدر عنهم من قتل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبيهم وقتل خيار المهاجرين والأنصار بالمدينة وبمكة وغيرها

(۱) وأبوه أيضا كان رأس الفتنة وأصل البلية وخراب الاسلام جزاء الله بما يستحق . أحمد مرسي

وغير خاف ما صدر عن الحجاج وسليمان بن عبد الملك وولده من سفك الدماء وإتلاف الأموال وإهلاك الناس بالحجاز والعراق وغير ذلك وبالجملة فبنوا أمية قابلاً وصية النبي صلى الله عليه وسلم في أهل بيته وأمتة بالمخالفة والتمتوق فسفكوا دماءهم وسبوا نساءهم وأسروا صغارهم وخرّبوا ديارهم وجحدوا فضاهم وشرّفهم واستباحوا أنفسهم وشتمهم نكالفوارس رسول الله ﷺ في وصيته وقابلوه بنقيض مقصودة وأمنيته فواخجلتهم إذا وقفوا بين يديه وافضحتهم (۱) يوم يعرضون عليه والله أعلم .

باب

ما جاء في بيان مقتل الحسين رضي الله عنه ولا رضي عن قاتله

ذكر أبو علي سعيد بن عثمان بن السكن الحافظ قال حدثنا أبو عبد الله الحسين ابن إسماعيل قال حدثنا محمد بن إبراهيم الحلواني قال ابن السكن وأخبرني أبو بكر محمد بن محمد بن إسماعيل حدثنا أحمد بن عبد الله بن زياد الحداد قال حدثنا سعيد ابن عبد الملك بن واقد قال حدثنا عطاء بن مسلم عن أشعث بن سحيم عن أبيه عن أنس بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابني هذا يقتل بأرض من أرض العراق فن أدركه منكم فلينصره فقتل أنس مع الحسين بن علي عليهما السلام أنبأناه أجازة الشيخ الفقيه القاضي أبو عامر عن أبي القاسم بن بشكوال عن أبي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عتاب وأبي عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبي تليد عن أبي عمر بن عبد البر قال حدثنا الحافظ أبو القاسم خلف بن القاسم قال حدثنا الإمام الحافظ أبو علي بن السكن فذكره وخرج الإمام أحمد في مسنده قال حدثنا مؤمل قال حدثنا عمارة بن زاذان حدثنا ثابت عن أنس أن ملك المطر استأذن أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فأذن له فقال لام سلة أملكى علينا الباب لا يدخل علينا أحد قال وجاء الحسين ليدخل فنعتة فوثب فدخل فجعل يقعد على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وعلى منكبيه وعلى عاتقه قال فقال الملك للنبي صلى الله عليه وسلم

(۱) جاء في الحديث عن سيدنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : ان من اصحابي من لا يراني يوم القيامة ولا اراه حتى يلج الجمل في سم الخياط . مسند احمد وقد صح ايضا في معناه حديث الحوض المعروف انك لا تدري ما الذي احدثوا بعدك . صحيح مسلم ، وقد قال بعضهم ممثلاً سيدنا الإمام علي كرم الله وجهه وغيره . كالشمس في الأفق الأعلى ابو حسن وفي معاوية في الأرض قنديل .
واخرج الديلمي عن انس رضي الله عنه اياك وصاحب السوء فانه قطعة في النار لا ينفعك وده ولا يفي لك بعهداه ام احمد محمد مريسي

أحبه قال نعم قال اما أن أمتك ستقتله وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه
فضرب بيده فجاء بطينة حراء فأخذتها أم سلة فصرتها في خمارها قال ثابت بلغته
أنها كربلاء وقال مصعب بن الزبير حج الحسين خمسة وعشرين حجة ماشيا وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه وفي الحسن أنهما سيدا شباب أهل الجنة وقال هما
ريحانناي من الدنيا وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رآهما هش لها وربما أخذهما
كما روى أبو داود أنهما دخلا المسجد وهو يخطب فقطع خطبته ونزل فأخذهما
وصعد بهما وقال رأيت هذين فلم أصبر وكان يقول فيهما اللهم إني أحبهما فأحبهما
وأحب من^(۱) يحبهما وقتل رحمه الله ولا رحمه قاتله يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم
سنة إحدى وستين بكر بلاء بقرب موضع يقال له أطف بقرب من الكوفة قال
أهل التواريخ لما مات معاوية وأفضت الخلافة إلى يزيد وذلك سنة ستين وردت
البيعة على الوليد بن عتبة بالمدينة ليأخذ بالبيعة إلى أهلها أرسل إلى الحسين بن علي
وإلى عبد الله بن الزبير ليلا فقال بايعا فقلنا لا يبايع سرا ولكن
نبايع على رؤوس الناس إذا أصبحنا فرجعا إلى بيوتهما وخرجا من ليلتهما إلى
مكة وذلك ليلة الأحد لليلتين بقيتا من رجب فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان
وشوالا وذا القعدة وخرج يوم التروية يريد الكوفة فبعث عبيد الله بن زياد خيلا
لمقتل الحسين وأمر عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص فأدركه بكر بلاء وقيل أن
عبيد الله بن زياد كتب إلى الحر بن يزيد الرياحي أن جمع بالحسين قال أهل اللغة
أراد حبسه وضيق عليه والجمع جمع الموضع الضيق من الأرض ثم أمده
بعمرو بن سعد في أربعة آلاف ثم مازال عبيد الله يزيد العساكر ويستفز الجماهير
إلى أن بلغوا إثنين وعشرين ألفاً وأميرهم عمرو بن سعد ووعده أن يملكه مدينة الرى
فباع الفاسق الرشيد بالغبي وفي ذلك يقول شعر :

أترك ملك الرى والرى منيتى وأرجع أهوما بقتل حسين
فضيق عليه اللعين أشد تضيق وسد بين يديه وضح الطريق إلى أن قتله يوم
الجمعة وقيل يوم السبت العاشر من المحرم وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب قتل

(۱) باظالمًا عقد اليدين مصليا من دون ظلمك يعقد الزنار

فا رأى الماهلين فيمن يبغيض من يحبه المعصوم صلى الله عليه وسلم بل
يعن فى ضد ذلك ويقتل بالسيف والسهم ووالح اللهم إرنا الحق حقا لتبعه واحفظنه
من سوء كله امين . احمد مرسى

يوم الاحد لعشر مضين من المحرم بموضع من أرض الكوفة يقال له كربلاء ويعرف بالطف أيضا وعليه جبة خزدكنا وهو ابن ست وخمسين سنة قاله نسابه قريش الزبير بن بكار ومولده لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة وفيها كانت غزوة ذات الرقاع وفيه قصرت الصلاة وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة وانفقوا على أنه قتل يوم عاشوراء العاشر من المحرم سنة إحدى وستين ويسمى عام الحزن وقتل معه اثنان وثمانون رجلا من الصحابة مبارزة منهم الحر بن يزيد لأنه تاب ورجع مع الحسين ثم قتل جميع بنيه إلا علياً المسمى بعد ذلك بزین العابدين كان مريضاً أخذ أسيراً بعد قتل أبيه وقتل أكثر إخوة الحسين وبني أعمامه رضی الله عنهم ثم أنشأ يقول :

با عين أبكى بعبرة وعويل واندي إن نذبت آل الرسول
سبعة كلهم لصلب على قد أصيبوا وتسعة لعقيل

قال جعفر الصادق وجد بالحسين ثلاثة وثلاثون طعنة بالسيف وأربع وثلاثون ضربة واختلفوا فيمن قتله فقال يحيى بن معين أهل الكوفة يقولون إن الذي قتل الحسين عمرو بن سعد قال ابن عبد البر إنما نسب قتل الحسين إلى عمرو بن سعد لأنه كان الأمير على الخيل التي أخرجها عبيد الله بن زياد إلى قتال الحسين . وأمر عليهم عمرو بن سعد ووعدته أن يولية الرى إن ظفر بالحسين وقتله وكان في تلك الخيل والله أعلم قوم من مصر ومن اليمن وفي شعر سليمان بن قتة الخزاعي وقيل إنها لأبي الرميح الخزاعي ما يدل على الاشتراك في دم الحسين وقيل قتله سنان ابن أبي سنان النخعي وقال مصعب النسابة الثقة قتل الحسين بن علي سنان بن أبي سنان النخعي وهو جد شريك القاضي ويصدق ذلك قول الشاعر :

وأى رزية عدت حسناً غداة تبيده كفا سنان

وقال خليفة بن خياط الذي ولي قتل الحسين شمر بن ذي الجوشن وأمير الجيش عمرو بن سعد وكان شمر أبرص وأجهز عليه خولى بن يزيد الأصبحي من حمير حز رأسه وأتى به عبيد الله بن زياد وقال :

أوفر ركابي فضة وذهبا أنا قتلت الملك المحجبا
فلتت خير الناس أما وأباً وخيرهم إذ ينسبون نسباً

هذه رواية أبي عمر بن عبد البر في الاستيعاب وقال غيره تولى حمل الرأس بشر
ابن مالك الكندي ودخل به على ابن زياد وهو يقول :

أوفر ركابي فضة وذهبا أنا قتلت الملك المحجبا
وخيرهم إذ يذكرون النسبا قتلت خير الناس أما وأباً

في أرض نجد وحرا ويثرباً

فغضب ابن زياد من قوله وقال إذا علمت أنه كذلك فلم قتله والله لانك مني
خيراً أبداً ولا لحقتك به ثم قدمه فضرب عنقه وفي هذه الرواية اختلاف
وقد قيل إن يزيد بن معاوية هو الذي قتل القاتل وقال الإمام أحمد بن حنبل قال حدثنا
عبد الرحمن بن مهدي حدثنا حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس
قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف النهار أشعث أغبر معه قارورة
فيها دم يلتقطه ويتبعه فيها قال قلت يا رسول الله ما هذا قال دم الحسين وأصحابه لم
أزل أتبعه منذ اليوم قال عمار فحفظنا ذلك اليوم فوجدناه قتل ذلك اليوم وهذا سند صحيح
لامطعن فيه وساق القوم حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تساق الأسرى حتى
إذا بلغوا بهم السكوفة خرج الناس فجعلوا ينظرون إليهم وفي الأسارى على بن
حسين وكان شديد المرض قد جمعت يدها إلى عنقه وزينب بنت علي وبنت فاطمة
الزهراء وأختها أم كلثوم وفاطمة وسكينة بنت الحسين وساق الظلة والفسقة معهم
رهوس القتلى. روى قطر عن منذر الثوري عن محمد بن الحنفية قال قتل مع الحسين
سبعة عشر رجلاً كلهم من ولد فاطمة عليها الصلاة والسلام وذكر أبو عمر بن عبد البر عن
الحسن البصري قال أصيب مع الحسين بن علي ستة عشر رجلاً من أهل بيته
ما على وجه الأرض لهم بومئذ شبيه وقيل إنه قتل مع الحسين من ولده وإخوته
وأهل بيته ثلاثة وعشرون رجلاً وفي صحيح البخاري في المناقب عن أنس بن مالك
أني عبيد الله بن زياد، برأس الحسين نجعل في طست فجعل ينكث وقال في حسنة
شيئاً فقال أنس كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مخضوباً بالونيمه

يقال نكت في الارض إذا أثر فيها ونكت بالحصبا إذا ضرب بها وكان الفاسق
يؤثر في رأسه المكرم بالقضيب وأمر عبيد الله بن زياد من قور الرأس حتى ينصب
في الرمح فتحاماه أكثر الناس فقام رجل يقال له طارق بن المبارك بل هو ابن
المشثوم الملعون المذموم فقوره ونصبه بباب دار عبيد الله ونادى في الناس وجمعهم
في المسجد الجامع وخطب خطبة لا يحل ذكرها ثم دعا بزباد بن حر بن قيس
الجمعي فسلم إليه رأس الحسين ورءوس إخوته وبنيه وأهل بيته وأصحابه ودعى
بعل بن الحسين فحمله وحمل عماته وأخوانه إلى يزيد على محامل بغير وطاء والناس
يخرجون إلى لقائهم في كل بلد ومنزل حتى قدموا دمشق ودخلوا من باب توما
وأقيموا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام الصبي ثم وضع الرأس المكرم
بين يدي يزيد فأمر أن يجهل في طست من ذهب وجفل ينظر إليه ويقول
هذه الآيات :

صبرنا وكان الصبر منا عزيمة وأسيافنا يقطعن كفا ومعصما
تعلق هاما من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلما

ثم تكلم بكلام قبيح وأمر بالرأس أن تصلب بالشام ولما صلبت أخفى خالد
بن عفران شخصه من أصحابه وهو من أفاضل التابعين فطلبوه شهرا حتى وجدوه
فسألوه عن عزائه فقال ألا ترون ما نزل بنا :

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد متزلا بدماية تزيلا
وكأنما بك يا ابن بنت محمد قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشاناً ولم يترقبوا في قتلك التنزيل والتأويلا
ويكبرون بأن قتلنا وإنما قتلوا بك التكبير والتهللا

واختلف الناس في موضع الرأس المكرم وأين حمل من البلاد فذكر الخافظ
أبو الملا الهمداني أن يزيد حين قدم عليه رأس الحسين بعث به إلى المدينة فأقدم
إليه عدة من موالى بني هاشم وضم إليهم عدة من موالى أبي سفيان ثم بعث بتقل
الحسين ومن بقى من أهله معهم وجهزهم بكل شيء ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلا

أمر لهم بها وبعث برأس الحسين عليه السلام إلى عمرو بن سعد بن العاص وهو إذ
 ذاك عامله على المدينة فقال عمرو ووددت أنه لم يبعث به إلى . ثم أمر عمرو بن سعد
 ابن العاص برأس الحسين عليه السلام فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة عليها
 الصلاة والسلام هذا أصح ما قيل في ذلك ولذلك قال الزبير بن بكار أن الرأس حمل إلى
 المدينة والزبير أعلم أهل النسب وأفضل العلماء لهذا السبب قال حدثني بذلك محمد بن
 حسن المخزومي النسابة والامامية تقول إن الرأس أعيد إلى الجثة بكر بلاء بعد
 أربعين يوماً من المقتل وهو يوم معروف عندهم يسمون الزيارة فيه زيارة الأربعين
 وما ذكر أنه في عسقلان في مشهد هناك أو بالقاهرة فشيء باطل لا يصح ولا يثبت
 وقد قتل الله قاتله صبراً ولقى حزناً طويلاً وذعراً وجعل رأسه الذي اجتمع فيه
 العيب والذم في الموضع الذي جعل فيه رأس الحسين وذلك بعد قتل الحسين بستة
 أعوام وبعث المختار به إلى المدينة فوضع بين يدي بنى الحسين الكرام وكذلك عمرو بن
 سعد وأصحابه اللثام ضربت أعناقهم بالسيف وسقوا كأس الحمام وبقي الوقوف بين
 يدي الملك العلام في يوم يعرف المجرمون بسيامهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام :
 وفي الترمذي حدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن
 عمارة بن عميرة قال لما أتى برأس عبيد الله بن زياد وأصحابه نصبت في المسجد في
 الرحبة فانتهيت إليهم وهم يقولون قد جاءت قد جاءت فإذا حية قد جاءت تخلل
 الرموس حتى دخلت في منخري عبيد الله فككت هنية ثم خرجت فذهبت حتى
 تنببت ثم قالوا جاءت قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً .
 قال العلماء وذلك مكافأة لفعله برأس الحسين وهي من آيات العذاب الظاهرة
 عليه ثم سلط الله عليهم المختار فقتلهم حتى أوردتهم النار وذلك الأمر مرجح إبراهيم
 ابن مالك لقي عبد الله بن زياد على خمسة فراسخ من الموصل وعبيد الله في ثلاثة
 وثلاثين ألفاً وإبراهيم في أقل من عشرين ألفاً فتطاعنوا بالرماح وترأموا بالسهم
 واصطفقوا بالسيوف إلى أن اختلط الظلام فنظر إبراهيم إلى رجل عليه بزة حسنة
 ودرع سابتة وعمامة خزدكنا وديباج خضرا من فوق الدرع وقد أخرج يده من
 الديباجة ورائحة المسك تشم (١) عليه وفي يده صفيحة له مذهبة فقصدته الأمير إبراهيم
 (١) وفي نسخة تفوح .

لا لشيء إلا لتلك الصفيحة والفرس الذي تحته حتى إذا لحقه لم يلبث أن ضربه ضربة كانت فيها نفسه فتناول الصفيحة وغار الفرس فلم يقدر عليه ولم يبصر الناس بعضهم بعضاً من شدة الظلمة فترجع أهل العراق إلى عسكرهم والخيل لا تطأ إلا على القتلى فأصبح الناس وقد فقد من أهل العراق ثلاثة وسبعون رجلاً وقتل من أهل الشام سبعون ألفاً .

فتعشوا منهم بسبعين ألفاً أو يزيدون قبل وقت العشاء .
فلما أصبح وجد الأمير الفرس رده عليه رجل كان أخذه ولما علم أن الذي قتل هو عبد الله بن زياد كبر وخر ساجداً وقال الحمد لله الذي أجرى قتله على يدي فبعث به إلى المختار زيادة على سبعين ألف رأس في أولها أمر رهوس أهل الفساد عبيد الله المنسوب إلى زياد :

قال المؤلف رحمه الله نقلت هذا من كتاب هجر البحريين في فوائده المشرقين والمغربين للحافظ أبي الخطاب بن دحية رضى الله عنه .

فصل

ومثل صنيع عبيد الله بن زياد صنع قبله بشر بن أرطاة العاهري الذي هتك الإسلام وسفك الدم الحرام وأذاق الناس الموت الزؤام ولم يدع لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذمام فقتل أهل بيته الكرام وحكم في مفارقهم الحسام وعجل لهم الحمام ذبح ابن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب وهما صغيران بين يدي أمهما يمرحان وهما قيم وعبد الرحمن فوسوست أمهما وأصابها ضرب من الجان لما أشعله الشكل في قلبها من لب النيران روى أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه في حديث فيه طول كان أبو ذر الغفاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من شر يوم البلاء ويوم العورة في صلاة صلاها أطال قيامها وركوعها وسجودها قال فسألناه مم تعوذت وفيه دعوت فقال تعوذت من يوم البلاء ويوم العورة فإن فسأنا من المسلمات ليسبين فيكشف عن بدونهن فأبتن كانت أعظم ساقاً أشربت على عظم ساقها فدعوت الله عز وجل أن لا يدركني هذا الزمان ولعلكم تدركانه

وذكر أبو عمر بن عبد البر قال أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن أنبأنا أبو محمد اسماعيل بن محمد^(۱) الحبطلي ببغداد في تاريخه الكبير حدثنا محمد بن مؤمن بن حماد قال حدثنا سلمان بن شريح قال حدثنا محمد بن عبد الحكم عن عوانه قال أرسل معاوية بعد تحكيم الحكمة بشر بن أرطاة في جيش فساروا من الشام حتى قدموا المدينة وعامل المدينة يومئذ لعلي عليه السلام أبو أيوب الاتصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففر أبو أيوب ولحق بعلي رضي الله عنهما ودخل بشر المدينة فصعد منبرها فقال ابن شريح الذي عهدته هنا بالأمس يعني عثمان بن عفان ثم قال يا أهل المدينة والله لولا ما عهدته إلى معاوية ما تركت فيها محتلماً إلا قتلته ثم أمر أهل المدينة بالبيعة لمعاوية وأرسل إلى بني سلمة فقال مالكم عندي أمان ولا مبايعة حتى تأتونني بجابر بن عبد الله فأخبر جابر فانطلق حتى جاء الشام فأنى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها ماذا ترين فأنى خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلالة فقالت أرى أن تباع وقد أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يباع فأنى جابر بشراً فبايعه لمعاوية وهدم بشر دوراً بالمدينة ثم انطلق حتى أتى مكة وبها أبو موسى الأشعري يخاف أبو موسى على نفسه أن يقتله فهرب فقيل ذلك لبشر فقال ما كنت لأقتله وقد خلع^(۲) علياً .. ولم يطلبه وكتب أبو موسى إلى اليمن أن خيلاً مبعوثاً من عند معاوية تقتل من الناس من أبي أن يقر بالحكومة ثم مضى بشر إلى اليمن وعامل اليمن لعلي رضي الله عنه عبيد الله بن العباس فلما بلغه أمر بشر فر إلى الكوفة حتى أتى علياً رضي الله عنه واستخلف على المدينة عبيد الله بن عبد ممدان الحارثي فأنى بشر فقتله وقتل ابنه ولقي ثقل عبيد الله بن العباس وفيه ابنان صغيران لعبيد الله بن عباس فقتلها ورجع إلى الشام وذكر أبو عمرو الشيباني قال لما وجه معاوية بشر بن أرطاة لقتل شيعة علي رضي الله عنه سار إلى أن أتى المدينة فقتل ابنه عبد الله بن العباس وفر أهل المدينة حتى دخلوا الحرة حرة بني سليم وهذه الحرجة التي ذكر أبو عمرو الشيباني أغار بشر على همدان فقتل وسبي نساءه فكان أول نساء سبين في الإسلام وقتل أحياء من بني سعد وقد اختلفوا كما ترى في أي موضع قتل الصغيرين من أهل البيت هل في المدينة أو في مكة أو في اليمن لأنه دخل

(۱) وفي نسخة اسماعيل بن علي الخطي .

(۲) فالظاهر لي والله أعلم أن هذا الذي دعى أبو الحسن الأشعري يدافع عما

حدث من تلك الطامات بدعوى الورع البارد سقرا لموقف جده . . . احمد مرسى

هذه البلاد وأكثر فيها الفساد وأظهر لعلي رضي الله عنه العناد وأفرط في بغضه وزاد وسلط على أهل البيت الكريم الأجناد فقتل وسبي وأباد ولم يبق إلا أن يخذ الأخاديد ويقعد الأوتاد وكان معاوية قد بعثه في سنة أربعين إلى اليمن وعليها عبيد الله ابن العباس أخو عبد الله بن العباس ففر عبيد الله وأقام بشر باليمن وباع دينه ببخس من الثمن فأخاف السبيل ورعى المرعى الوبيل وباع المسلمات وهتك المحرمات فبعث على رضي الله عنه في طابه حارثة بن قدامة السعدي فهرب بشر إلى الشام وقد ألبس بدميم أفعاله ثياب العار والذمام وبقى الوقوف بين يدي الملك العلام يوم يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام ورجع الشريف أبو عبد الله محمد إلى بلاد اليمن فلم يزل والياً عليهم حتى قتل على رضي الله عنه ويقال أن بشر بن أرطاة لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم حرفاً لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو صغير فلا تصح له صحبة قاله الإمام أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين وغيرهما وقال آخرون خرف في آخر عمره قال يحيى بن معين وكان رجل سوء قال المؤلف رحمه الله كذا ذكره الحافظ أبو الخطاب بن دحية رحمه الله .

وقد ذكر أبو داود عن جنادة عن ابن أبي أمية قال كنا مع بشر بن أرطاة في البحر فأتى بسارق يقال له مصدر وقد سرق بختية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقطع الأيدي في الغزو ولولا ذلك لقطعته .

قال أبو محمد عبد الحلي بشر هذا يقال ولد في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت له أخبار سوء في جانب علي وأصحابه وهو الذي ذبح طفلين لعبيد الله ابن العباس ففقدت أمهما عقلها وهامت علي وجهها فدعى عليه على رضي الله عنه أن يطيل الله عمره ويذهب عقله وكان كذلك قال ابن دحية ولما ذبح الصغيرين وفقدت أمهما عقلها كانت تقف في الموشم تشمر شعرها بينكي العيون ويهيج بلابل الأحزان والعيون وهو هذا .

هامن أحسن يا بني اللذين هما كالدريتين تسطا عنهما الضدف

يقال تسطت العصاة إذا صارت فلما قاله في المجمل غيره .

هامن أحس بإبني اللذين هما سمعى وعقلى فقلبي اليوم محتطف
حدثت بشراً وما صدقت ما زعموا من قولهم ومن الإفك الذى اقترف
أحنى على ودجى لإبنى مرهفة مشحودة وكذاك الإثم يقترف

باب

ما جاء أن اللسان فى الفتنة أشد من وقع السيف

أبو داود عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون
فتنة تستنطف العرب قتلاها فى النار اللسان فيها أشد من موقع السيف خرجه
الترمذى وقال فيه حديث غريب وسمعت محمد بن إسماعيل يقول لا يعرف لزياد
ابن سمين كوش عن عبد الله بن عمر غير هذا الحديث الواحد وروى موقوفاً
وذكره أبو داود عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ستكون فتنة صبا بكما عميا من أمرف لها استشرفت له اللسان فيها كوقوع السيف
أخرجه ابن ماجه أيضاً عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم
والفتن فإن اللسان فيها مثل وقع السيف .

فصل

قال المؤلف رحمه الله قوله تستنطف أى ترمى مأخوذ من نطف الماء أى
قطر والنطاف الماء الصافى قل أو كثر واجمع النطاف أى أن هذه الفتنة تقطر قتلاها
فى النار أى ترميهم فيها لاقتناهم على الدنيا واتباع الشيطان والهوى وقتلاها بدل
من قوله العرب هذا المعنى الذى ظهر لى فى هذا ولم أقف فيه على شيء لغيرى والله
أعلم قوله اللسان فيها أشد من وقع السيف أى بالكذب عند أئمة الجور ونقل
الأخبار إليهم فربما ينشأ عن ذلك من النهب والقتل والجلد والمفاسد العظيمة
أكثر مما ينشأ من وقوع الفتنة نفسها وفى الصحيحين عن أبي هريرة أنه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها فى النار أبعد ما بين
المشرق والمغرب وفى رواية عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العبد

ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب لفظ
مسلم وقد روى أن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يلقي لها بالاً يهوى بها
في النار سبعين خريفاً فقوله من سخط الله أي عما يسخط الله وذلك بأن يكون
كذبة أو نميمة أو بهانا أو بخسا أو باطلا يضحك به الناس كما جاء عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال ويل للذي يتكلم بالكلمة من الكذب ليضحك الناس ويل
له وويل له وفي حديث ابن مسعود أن الرجل ليتكلم بالكلمة من الرفاهية من سخط
الله ترديه بعد ما بين السماء والأرض قال أبو زياد الكلابي الرفاهية السعة في المعاش
والخصب وهذا أصل الرفاهية فأراد عبد الله أن يتكلم بالكلمة في تلك الرفاهية
والآتراف في دنياه مستهيناً بها لما هو فيه من النعمة فيسخط الله عز وجل عليه قال
أبو عبيد وفي الرفاهية لغة أخرى الرفاعية وليس في هذا الحديث يقال هو في
رفاهية ورفاعية من العيش وقوله صما بكما عمياً يريد أن هذه الفتنة لا تسمع
ولا تبصر فلا تطلع ولا ترتفع لأنها لا حواس لها فترعوى إلى الحق وأنه شبهها
لاختلاطها وقتل البرى فيها والسقيم بالأعمى الأصم الآخر من الذي لا يهتدى إلى
شيء فهو يخبط عشواء والبكم الخرس في أصل الخلقه والصمم الطرش.

باب

الأمر بالصبر عند الفتن وتسليم النفس للقتل عندها والسعي من جنها

أبو داود عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر قلت
لبيك يا رسول الله وسعديك وذكر الحديث قال كيف أنت إذا أصاب الناس
موت يكون البيت بالوصيف يعني القبر قلت الله ورسوله أعلم أو قال ما خار الله
لي ورسوله قال عليك بالصبر أو قال تصبر ثم قال يا أبا ذر قلت لبيك وسعديك قال
كيف أنت إذا رأيت أحجار الزيت قد غرقت بالدم قلت ما خار الله لي ورسوله
قال عليك بمن أنت منه قال قلت يا رسول الله أفلا آخذ سيني فأضعه على عاتقي
قال شاركت القوم إذا قال قلت فما تأمرني قال تلزم بيتك قال قلت فإن دخل على بيتي
قال فإن خشيت أن يهرك شعاع السيف فآلق ثوبك على وجهك يئوه بإئمه وإثمك

خرجه ابن ماجه وقال تصبر من غير شك وزاد بعده قال كيف أنت وجوع
يصيب الناس حتى تأتي مسجدك فلا تستطيع أن ترجع إلى فراشك أو لا تستطيع
أن تقوم من فراشك إلى مسجدك قال قلت لآله ورسوله أعلم أو ما خارا لله لي
ورسوله قال عليك بالعفة ثم قال كيف أنت وقد أصيب الناس حتى تفرق حجارة
الزيت بالدم الحديد وقال فالتق طرف رداثك على وجهك فيبوه بإثمه وإثمك
فيكون من أصحاب النار وفي حديث عبد الله بن مسعود حين ذكر الفتنة قال إزم
بيتك قبل فإن دخل على بيتي قال فكان مثل الجمل الأورق الثقال الذي لا يبيح إلا
كرها ولا يمشي إلا كرها ذكره أبو عبيد قال حدثني أبو النضر عن المسعودي
عن علي بن مدرك عن أبي الرواح عن عبد الله قال أبو عبيدة سمعت بعض الرواة
يقول الرواح والوجه الرواح بضم الراء .

أبو داود قال عن المقداد بن الأسود قال وايم الله لقد سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول إن السعيد لمن جنب الفتن ومن ابتلى نضر فرواها الترمذي عن
أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان فيه
قاصبر على دينه كالقابض على الحجر قال حديث غريب .

فصل

قوله بالوصيف الوصيف الخادم يريد أن الناس يشتغلون عن دفن موتاهم
حتى لا يوجد فيهم من يحفر قبر الميت ويدفنه إلا أن يعطى وصيفا أو قيمته وقد
يكون معناه أن مواضع القبور تضيق عليهم فيبتاعون لموتاهم القبور كل قبر بوصيف
وقوله غرقت بالدم أي لزمت والفروق اللزوم فيه ويروي عرفت وأحجار الزيت
موضع بالمدينة .

روى الترمذي عن عمير مولى أبي اللحم عن أبي اللحم أنه رأى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يستقي وهو مقنع بكفيه يدعو وذكر عمر بن أبي شيبة في كتاب
المدينة على ما كنها الصلاة والسلام قال حدثنا محمد بن يحيى عن ابن أبي فديك قال أدركت
أحجار الزيت ثلاثة أحجار مواجهة بيت أم كلاب وهو اليوم يعرف ببيت بني

أسد فعلى الكنيس الحجارة فاندفت قال وحدثنا محمد بن يحيى قال أخبرني أبو خزيمة
الليثي عن عنان عن ابن الحارث بن عبيد عن هلال بن طلحة الفهدي أن حبيب
ابن سلمه الفهدي كتب إليه أن كتباً سألني أن أكتب له إلى رجل من قومي عالم
بالأرض قال فلما قدم كعب المدينة جاءني بكتابه ذلك فقال أعالم أنت بالأرض
قلت نعم وكانت بالزوراء حجارة يضعون عليها الزياتون رواياهم فأقبلت حتى
جئتها فقلت هذه أحجار الزيت فقال كعب لا والله ما هذه صفتها في كتاب الله
انطلق أمامي فإنك أهدى بالطريق مني فانطلقنا حتى جئنا بني عبد الأشهل فقال
بأبا هلال أني أجد أحجار الزيت في كتاب الله تعالى فسأل القوم عنها وهم يومئذ
متوافرون فسألهم عن أحجار الزيت وقال إنها ستكون بالمدينة ولحمة عندها.

فصل

وأما حديث ابن مسعود كن مثل الجمل الأورق فقال الأصمعي الأورق وهو
الذي في لونه بياض إلى سواد ومنه قيل للرماد أورق والحمامة ورقاء ذكره
الأصمعي قال وهو أطيب الإبل لحماً وليس بمحمود عند العرب في عمله وسيره وأما
الثقال فهو البطيء قال أبو عبيد إنما خص عبيد الله الأورق من الإبل لما ذكر من
ضعفه عن العمل ثم اشترط الثقال أيضاً فراده إبطاء وثقلاً فقال كن في الفتنة
مثل ذلك وهذا إذا دخل عليك وإنما أراد عبد الله بهذا التثبط عن الفتنة
والحركة فيها.

فصل

وأما أمره صلى الله عليه وسلم أبانذر بلزوم البيت وتسليم النفس للقتل فقالت
طائفة ذلك عند جميع الفتن وغير جائز لمسلم النهوض في شيء منها قالوا وعليه أن
يستسلم للقتل إذا أريدت نفسه ولا يدفع عنها وحلوا الأحاديث على ظاهرها وربما
احتجوا من جهة النظر بأن قالوا إن كل فريق من المقتلين في الفتنة فإنه يقاتل على
تأويل وإن كان في الحقيقة خطأ فهو عند نفسه محق وغير جائز لأحد قتله وسبيله

سبيل حاكم من المسلمين يقضى بقضاء بما اختلف فيه العلماء على ما يراه صوابا
فغير جائز لغيره من الحكم نقضه إذا لم يخالف بقضائه ذلك كتابا ولا سنة ولا
جماعة وكذلك المقتلون في الفتنة كل حزب منهم عند نفسه بحق دون غيره مما
يدعون من التأويل فغير جائز لاحد قتالهم وإن هم قصدوا القتل فغير جائز دفعهم
وقد ذكرنا من يخلف عن الفتنة وتعدوا منهم عمران بن الحصين وابن عمر وقد
روى عنهما وعن غيرهما منهم عبدة السلماني أن من اعتزل الفريقين فدخل بيته فأنى من يريد
نفسه فعليه دفعه عن نفسه وإن أبي الدفع على نفسه فغير مصيب كقوله عليه الصلاة والسلام
من أريدت نفسه وماله فقتل فهو شهيد قالوا فالواجب على كل من أريدت نفسه
وماله فقتل ظلما دفع ذلك ما وجد اليه السبيل متاولا كان المريد أو متعمدا للظلم.

قال المؤلف رحمه الله هذا هو الصحيح من القولين إن شاء الله تعالى وفي
صحيح مسلم عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي قال فلا تعطه مالك قال أرأيت أن قاتلني
قال قاتله قال أرأيت أن قتلني قال فأنت شهيد قال أرأيت إن قتلته قال هو في النار
وقال ابن المنذر ثبتت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قتل
دون ماله فهو شهيد وقد روينا عن جماعة من أهل العلم أنهم رأوا قتال اللصوص
ودفعهم عن أنفسهم وأموالهم وهذا مذهب ابن عمر والحسن البصري وقنادة
ومالك والشافعي وأحمد وإسحاق والنعمان قال أبو بكر وبهذا يقول عوام أهل
العلم أن للرجل أن يقاوم عن نفسه وماله إذا أريد ظلما للأخبار التي جاءت عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخص وقتا من وقت ولا حالا دون حال إلا
السلطان فإن جماعة أهل العلم كالمتجمعين على أن من لم يمكنه أن يمنع نفسه وماله
إلا بالخروج على السلطان ومحاربه أنه لا يحاربه ولا يخرج عليه للأخبار الواردة
الدالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ما يكون منهم من الجور والظلم
وقد تقدم ذلك في باب الحمد لله .

باب

جعل الله في أول هذه الأمة عافيتها وفي آخرها بلاؤها

مسلم عن عبد الله بن عمرو قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فنزلنا منزلا فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضل ومنا من هو في جشره إذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعملهم وينذرهم شر ما يعملهم وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها وتجيء فتنة فيدفع بعضها بعضا وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكي ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول هذه منه فن أراد أن يرحل عن النار ويدخل الجنة فلأنه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يجب أن يؤتى إليه ومن بايع أمانا فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليعطيه إن استطاع فإن جاء حزينا بنازله فاضربوا عنق الآخر قال ابن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة فدوت منه فقلت له ناشدتك الله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهوى إلى أذنيه وقال بيديه وقال سمعته أذناي ووعاه قلبي نقلت له هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا والله عز وجل يقول يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحما ، فسكت ساعة ثم قال أطعه في طاعة الله وأعصه في معصية الله .

فصل

قوله ينتضل الانتضال الرمي بالسهام والجسر المال من المواشي التي ترعى أمام البيوت والديار يقال مال جسر يرعى في مكانه لأنه يرجع إلى أهله يقال جسرنا دوابنا أي أخرجناها إلى المرعى وأصله البعد ومنه يقال للأعزب جسر وجشير لبعده عن النساء وفي الحديث من ترك قراءة القرآن شهرين فقد جشره أي بعد عنه (م - ۳۷ تذكره)

وقوله يدفع بعضها بعضا أى يتلوى بعضها بعضا وينصب بعضها على بعض والتدقيق التصبب وهذا المعنى مبين فى نفس الحديث لقوله وتجيء الفتنة وترزح أى تبعد ومنه قوله تعالى وما هو بمرحزحه من العذاب، أى يبعده وصققة اليد أصلها ضرب الكف على الكف زيادة فى الاستيثاق مع النطق باللسان والالتزام بالقلب وفى التنزيل: « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم ، الآية . وقوله فاصربوا عنق الآخر قيل المراد عزله وخلعه وذلك قتله وموته وقيل قطع رأسه وإذ هاب نفسه يدل عليه قوله فى الحديث الآخر فاصربوه بالسيف كاتنا ما كان وهو ظاهر الحديث هذا إذا كان الأول عدلا والله أعلم .

باب

جواز الدعاء بالموت عند الفتن وما جاء أن بطن الأرض خير من ظهرها .

مالك عن يحيى بن سعيد أنه باغى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو فيقول اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وإذا أردت فى الناس فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون وقد تقدم هذا فى أول الكتاب قال ابن وهب وحدثنى مالك قال كان أبو هريرة يلقى الرجل فيقول له مت إن استطعت فيقول له لم قال تموت وأنت تدري على ماتموت خير لك من أن تموت وأنت لا تدري على ماتموت عليه . قال مالك ولا أرى عمر دعا مادعا به من الشهادة إلا خاف التحول من الفتن قال المؤلف رحمه الله تعالى وقد جاء هذا المعنى مرفوعاً عن أبي هريرة . روى النضر بن شميل عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه ويل للمعرب من شر قد اقرب موتوا إن استطعتم . وهذا غاية فى التحذير من الفتن والخوض فيها حين جعل الموت خيرا من مباشرتها وروى الترمذى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سحباءكم وأموركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها وإذا كان

وأمرؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نساءكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح المري في حديثه غرائب لا يتابع عليها وهو رجل صالح .

البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه أخرجه مسلم وابن ماجه بمعناه وزاد مثني وليس به الدين إلا البلاء .

وروى شعبة عن سلمة بن كهيل سمعت ابا الزعرا يحدث عن عبد الله قال لياتين على الناس زمان يأتي الرجل القبر فيقول يا ليتني مكان هذا ليس به حب الله ولكن من شدة ما يرى من البلاء .

قال المؤلف رحمه الله تعالى وكان هذا إشارة الى أن كثرة الفتن وشدة المحن والمشقات والانكاد اللاحقة للإنسان في نفسه وماله وولده قد أذهبت الدين منه ومن أكثر الناس أو قلة الاعتناء به من الذي يتمسك بالدين عند هجوم الفتن وكذلك عظم قدر العبادة في حالة الفتن حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم العبادة في المخرج كهجرة الى وفد مضي الكلام في هذا المعنى في أول الكتاب ونزيده وضوحاً ان شاء الله تعالى والله أعلم .

باب

أسباب الفتن والمحن والبلاء

أبو نعيم عن ابي ادريس الخولاني عن أبي عبيدة بن الجراح عن عمر بن الخطاب قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحيتي وأنا أعرف الحزن في وجهه فقال إنا لله وإنا اليه راجعون أنا في جبريل آتفا فقال إنا لله وإنا اليه راجعون فقلت إنا لله وإنا اليه راجعون فم ذلك يا جبريل فقال ان أمتك مفتنة بعدك بقليل من دهر غير كثير فقلت فتنة كفر أو فتنة ضلال فقال كل سيكون فقلت ومن أين وأنا تارك فيهم كتاب الله قال فبكتاب الله يفتنون وذلك من قبل أمرائهم وقرائهم يمنع

الامراء الناس المحقوق فيظلمون حقوقهم ولا يعطونها فيقتتلوا ويفتسوا ويتبع
القرء أهواء الامراء فيمدونهم في النفي ثم لا يقصرون قلت كيف يسلم من
يسلم منهم قال بالكف والصبر إن أعطوا الذي لهم أخذوه وإن منعوا تركوه .

اليزار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم تظهر الفاحشة في قوم
إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ولا نقصوا المكيال
والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا زكاة أموالهم
إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله ولا عهد
رسوله إلا سلب عليهم عدوهم فأخذ بعضهم ما كان في أيديهم وإذا لم يحكم أمتهم
بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم أخرجه بن ماجه أيضا في سننه وذكره أبو عمر
ابن عبد البر وأبو بكر الخليل من حديث سعيد بن كثير ابن عفير بن مسلم بن يزيد قال
حدثنا مالك عن عمه أبي سهيل عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر أن رجلا قال
لنبي صلى الله عليه وسلم أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فأى المؤمنين
أكيس قال أكثرهم للوت ذكرا وأحسنهم له استعدادا أولئك الأكياس ثم قال
يا معشر المهاجرين لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون
والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم وذكر الحديث وقال عطاء الخراساني إذا كان
خمس كان خمس إذا أكل الربا كان في الخسف والزلزلة وإذا جار الحكم قحط المطر
وإذا ظهر الزنا كثرت الموت وإذا منعت الزكاة هلكت الماشية وإذا تعدى على أهل
الذمة كانت الدولة ذكره أبو نعيم .

الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشت أمتي
المطيطا وخدمها أبناء الملوك فارس والروم سلط شرارها على خيارها قال هذا
حديث غريب .

ابن ماجه عن قيس بن أبي حازم قال قام أبو بكر رضي الله عنه فحمد الله
وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم
أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وأنا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول أن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم الله بعقابه أخرجه أبو داود في سننه والترمذى في جامعه .

مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه أنه قال إذا فتحت عليكم فارس والروم أى قوم أتم . قال عبد الرحمن بن عوف تكون كما أمر الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون أو نحو ذلك ثم تطلقون فى مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض وأخرج أيضا عن عمرو بن عوف وهو حليف بنى عامر بن لؤى وكان شهيدا بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة ابن الجراح إلى البحرين يأتى بجزيتها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم أبو عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم ثم قال أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين قالوا أجل يا رسول الله قال فابشروا واملوا ما يترككم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم كما بسطت على من كان من قبلكم فتتأفروها كما تأفنا فسرنا فقتلكم كما أهلككم .

وفى رواية فتلهيكم كما ألهتهم بدل فتهلككم . وأخرج ابن ماجه عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذع بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء أخرجه البخارى ومسلم أيضا . وأخرج ابن ماجه عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من صباح إلا وملكان يناديان ويل للرجال من النساء وويل للنساء من الرجال . وأخرج أيضا عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام خطيبا وكان فيما قال أن الدنيا خضرة جلوة وأن الله مستخلفكم

فيها فذاظر كيف تعملون الا فاتقوا الله واتقوا النساء . خرجه مسلم أيضا وقال بدل قوله فاتقوا الله فاتقوا النار واتقوا النساء وزاد فإن أول فتنه بنى إسرائيل كانت في النساء .

الترمذى عن كعب بن عياض قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن لكل أمة فتنه وفتنة أمتي المال قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب . وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى أبواب السلطان افتتن قال وفي الباب عن أبي هريرة وهذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس لانعرفه إلا من حديث الثورى .

فصل

حذر الله سبحانه وتعالى عباده فتنة المال والنساء في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ فقال عز من قائل : يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ، وقال تعالى : إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، ثم قال سبحانه وتعالى فاتقوا الله ما استطعتم وأسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون إن ترضوا الله فرضا حسنا يضاعفه لكم ، فنبه الله على ما يعتصم به من فتنة حب المال والولد في آي ذكر الله فيها فتنة وما كان عاصما من فتنة المال والولد فهو عاصم من كل الفتن والأهواء وقال تعالى : زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ثم قال تعالى : قل أؤنبكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات ، فوصف تعالى ما للبتقين عند ربهم ثم وصف أحوالهم بنعيمهم إلى قوله : والمستغفرين بالأسحار ، وهذا تنبيه لهم على تزهيدهم فيما زين لهم وترغيبهم فيما هو خير منه ومثل هذا في القرآن كثير والمطيطا بضم الميم والمد المثنى يتبختر وهي مشية المتكبرين المفتخرين وهو مأخوذ من مط يط إذا مد قال الجوهري والمطيطا بضم الميم عدود التبختر ومد اليدين في المثنى وفي الحديث إذا مشيت أمتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم وقوله ثم ينطلقون

في مساكين المهاجرين قيل في الكلام حذف أي في مساكين المهاجرين والمعنى أنه إذا وقع التنافس والتحاسد والتباغض حملهم ذلك على أن يأخذ القوي على ما آفأ الله المسكين الذي لا يقدر على مدافعتة فيمنعه عنه ظلما وقهرا بمقتضى التنافس والتحاسد وقيل ليس في الكلام حذف وأن المعنى المراد أن مساكين المهاجرين وضعفاؤهم سيفتح عليهم إذ ذاك من الدنيا حتى يكونوا أمراء بعضهم على رقاب بعض وهذا اختيار القاضي عياض والأول اختيار شيخنا أبي العباس القرطبي قال وهو الذي بشهدله مساق الحديث ومعناه وذلك إنه عليه الصلاة والسلام أخبرهم أنه يتغير بهم الحال وأنهم يصدر عنهم أو عن بعضهم أحوال غير مرضية تخالف أحوالهم التي كانوا عليها من التنافس والتباغض وانطلاقهم في مساكين المهاجرين فلا بد أن يكون هذا الوصف غير مرضى كالأوصاف التي قبله وأن تكون تلك الأوصاف المتقدمة توجيهه وحينئذ يلتزم الكلام أوله وآخره والله أعلم وبعضه رواية السمرقندي فيحملون بعضهم على رقاب بعض أي بالقهر والغلبة .

باب منه

وما جاء أن الطاعة سبب الرحمة والعافية

ذكر أبو نعيم الحافظ قال حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا المقدم ابن داود حدثنا علي بن معبد الرقي حدثنا وهب بن راشد حدثنا مالك بن دينار عن خلاس ابن عمرو عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل يقول أنا الله لا إله إلا أنا مالك الملوك وملك الملوك قلوب الملوك بيدي وأن العباد إذا أطاعوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالرفقة والرحمة. وإن العباد إذا عصوني حولت قلوب ملوكهم عليهم بالسخط والنقمة فساموهم سوء العذاب ولا تشغلوا أنفسكم بالدعاء على الملوك ولكن اشغلوا أنفسكم بالذكر والتضرع إلى أكرمكم ملوككم غريب من حديث مالك مرفوعا تفرد به علي بن معبد عن وهب بن راشد .

أبواب الملاحم

باب

أمارات الملاحم

أبو داود عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملاحمة وخروج الملاحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال .

البخارى عن عوف بن مالك قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم فقال أعدد ستابين يدي الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان ياخذ فيكم كقفاص الغنم ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتوكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا . وخرجه أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير بمعناه وزاد بعد قوله اثنا عشر ألفا قسطنطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها القوطة في مدينة يقال لها دمشق ذكره بإسناده أبو الخطاب بن دحية في كتاب مرج البحرين في فوائد المشرق والمغرب .

وقال عوف بن مالك الأشجعي شهد موت النبي صلى الله عليه وسلم وحضر فتح بيت المقدس مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فتح صلح الحنين خلون من ذي القعدة سنة ستة عشر من الهجرة ثم حضر قسمة كنوز كسرى على يد أمير المؤمنين عمر ثم شاهد قتال الجمل وصفين وشاهد عوف رضي الله عنه أيضا للوثة الذي كان بالشام قبل ذلك وهو المسمى بطاعون عمواس مات يومئذ ستة وعشرون ألفا . وقال المديني خمسة وعشرون ألفا وعمواس بفتح العين وللم لأنه عم واسى أي جعل بعض الناس أسوة بعض وعمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس مات فيه أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح والامير الفقيه أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل قال الإمام أحمد بن حنبل في تاريخه كان طاعون عمواس سنة

ثمانية عشر رواه عن احمد ابو ذرعة الرازي قال كان الطاعون سبع عشر سنة وثمان عشرة سنة وفي سنة سبع عشرة رجع عمر من سرخ وموتان بضم الميم هي لغة وغيرهم بفتحونها وهو اسم الطاعون والموت وقوله كقفاص الغنم هو داء يأخذها لا يلبثها قاله ابو عبيدة لان القفاص الموت العجل ويقال بالسين وقيل هو داء يأخذ في الصدر كأنه يكسر العنق وقد انقضت هذه الخمس وعاش عوف بن مالك إلى زمن عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وقد أربى بصفين على المائة وقال الواقدي مات عوف بن مالك بالشام سنة ثلاث وتسعين فإن صح ما قال فقد مات في أيام الوليد بن عبد الملك بن مروان إن لم يكن تصحيحاً عنه والله أعلم .

باب

ما ذكر في ملاحم الروم وتواترها وتداعى الأمم على أهل الإسلام

ابن ماجة عن عوف بن مالك الأشجعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون بينكم وبين بني الأصفر هدنة فيغدرون بكم فيسيرون إليكم في ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً .

وعن ذى مخمر وكان رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول متصالحكم الروم صلحاً آمناً ثم تغزون أنتم وهم عدواً فتصرون وتغتمون وتقتسمون وتسلمون ثم تنصرفون حتى تنزلون بمرج ذى تلوح غيرفع رجل من أهل الصليب صليبه فيقول غلب الصليب فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليه فيدفعه فعند ذلك تغدر الرم ويجمعون الملحمة فيأتون تحت ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفاً .

وأخرجه أبو داود وزاد وبشور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده وإسناده صحيح ثابت وذو مخمر بالميم لا غير وهو ابن أخى النجاشي قاله الأوزاعي وقد عدّه أبو عمر حتى موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله ابن دحية وخرجا جميعاً عن ابن ماجة

وأبو داود عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر وخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

وعن عبد الله بن بسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين ويخرج الدجال في السابعة خرج ابن ماجه وأبو داود وقال أبو داود هذا صحيح من حديث عيسى قال المؤلف رحمه الله تعالى يريد حديث معاذ المذكور قبله .

عن بشير بن جابر قال هاجت ريح حراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجير إلا يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة قال فقم وكان متكئا فقال إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة ثم قال بيده هكذا ونحاهما نحو الشام فقال عدو يجمعون لأهل الإسلام وتجمع لهم أهل الإسلام قلت الروم تعنى قال نعم ويكون عند ذلك القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة للوث لا ترجع إلا غالبية فيقتلون حتى يحجز بينهم الليل فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتبقى الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطة للوث لا ترجع إلا غالبية فيقتلون حتى يمسا فيبقى هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتبقى الشرطة وإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية الإسلام فيجعل الله الدائرة عليهم فيقتلون مقتلة أما قال لم ير مثلها وأما قال لا يرى مثلها حتى أن الطائر ليمر بجثمانهم فأيخلفهم حتى يخر ميتاً فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدون بقي منهم إلا الرجل الواحد فبأى غنيمة يفرح وبأى ميراث يقسم فينما هم كذلك إذ سمعوا بناس هم أكثر من ذلك فجاءهم الصرخ فقال أن الدجال قد خرج في ذرايعهم فيرفضون ما بأيديهم ويقبلون فيبعثون عشر فوارس طليعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض أو من خير فوارس يومئذ .

أبو داود عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الأمم أن

نداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل من القوم من فلة نحن يومئذ
قال بل أنتم كثير وأسكنكم غنا. كغناء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة
وليقتفن في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا
وكره الموت .

فصل

قوله بنى الأصفر يعنى الروم وفي تسميتهم بذلك قولان أحدهما أن جيشا من
الحبشة غلبوا على ناحيتهم في بعض الدهر فوطوا نساءهم فولدن أولادا صفرا
قاله ابن الأنبارى الثانى أنهم نسبوا إلى بنى الأصفر ابن الروم بن عيصو بن
إسحق بن إبراهيم عليه السلام قاله ابن إسحاق وهذا أشبه من القول الأول والهدنة
الصلح والغاية الرأية كما جاء مفسرا في الحديث بعده سميت بذلك لأنها تشبه السحابة
لمسيرها في الجوف والغاية والصابية السحابة وقد رواها بعض رواة البخارى تحت ثمانين غاية
ببأ مفردة النقطة وهى الأجمة شبه اجتماع رماحهم وكثرتها بالأجمة التى هى الغابة
والصحيح الأول لأنها تظل الاجتاد لكثرة راياتهم وانصال الويتهم وعلاماتهم
كالسحاب الذى يظل الإنسان .

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن تحت كل غاية اثنا عشر
ألفا فجملة العدو تسعمائة ألف وستون ألفا ذكره الحافظ أبو الخطاب بن دحية وقد
روى مرفوعا في حديث فيه طول عن حذيفة أن الله تعالى يرسل ملك الروم وهو
الخامس من الهرقل يقال له ضمارة وهو صاحب الملاحم فيرغب إلى المهدي في الصلح
وذلك لظهور المسلمين على المشركين فيصالحه إلى سبعة أعوام فيضع عليهم الجزية
عن يد وهم صاغرون فلا تبقى لرومى حرمة ويكسرون لهم الصليب ثم يرجع المسكون
إلى دمشق فبينما الناس كذلك إذا برجل من الروم قد التفت فرأى أبناء الروم
وبنائهم في القيود والأغلال فتعير نفسه فيرفع الصليب ويرفع صوته فيقول ألا من
كان يعبد الصليب فلينصره فيقوم رجل من المسلمين فيكسر الصليب ويقول الله
أغلب وأنصر فحيثئذ يندرون وهم أولى بالعدو فيجمعون عند ذلك ملوك الروم

في بلادهم خفية فيأتون إلى بلاد المسلمين حيث لا يشعر بهم المسلمون والمسلمون قد أخذوا منهم الأمن وهم على غفلة أنهم مقيمون على الصالح فيأتون أنطاكية في اثني عشر ألف راية تحت كل راية اثنا عشر ألفاً فلا يبقى بالجزيرة ولا بالشام ولا بأنطاكية نصراني إلا ويرفع الصليب فعند ذلك يبعث المهدي إلى أهل الشام والحجاز واليمن والكوفة والبصرة والعراق يمسر فهم بخروج الروم وجمعهم ويقول لهم أعيونني على جهاد عدو الله وعدوكم فيبعث إليه أهل المشرق أنه قد جاءنا عدو من خراسان على ساحل الفرات وحل بنا ما شغلنا عنك فيأتي إليه بعض أهل الكوفة والبصرة ويخرج اليهم المهدي ويخرج معهم المسلمون إلى لقائهم فيلتقي بهم المهدي ومن معه من المسلمين فيأتون إلى دمشق فيدخلون فيها فتأتي الروم إلى دمشق فيكونون عليها أربعين يوماً فيفسدون البلاد ويقتلون العباد ويهدمون الديار ويقطعون الأشجار ثم أن الله تعالى ينزل صبره ونصره على المؤمنين فيخرجون إليه قيشتد الحرب بينهم ويستشهد من المسلمين خلق كثير فيألفا من وقعة ومقتلة ما أعظمها وما أعظم هولها ويرتد من العرب يومئذ أربع قبائل سليم ونهدوغسان فيلحقون بالروم ويتنصرون مما يعاينون من الهول العظيم والأمر الجسم ثم أن الله تعالى ينزل النصر والصبر والظفر على المسلمين فيقتل من الروم مقتلة عظيمة حتى يخوض الخيل في دماهم وتشتعل الحرب بينهم حتى أن الحديد يقطع بعضه بعضاً وأن الرجل من المسلمين ليطعن العليج بالسفود فينغذه وعليه الدرع من الحديد فيقتل المسلمون من المشركين خلقاً كثيراً حتى تخوض الخيل في الدماء وينصر الله تعالى المسلمين وينضب على الكافرين وذلك رحمة من الله تعالى لهم فمصيبة من المسلمين يومئذ خير خلق الله والمخلصين من عباد الله ليس فيهم مارد ولا مارق ولا شارد ولا مرتاب ولا منافق ثم إن المسلمين يدخلون إلى بلاد الروم ويكبرون على المدائن والحصون فتقع أسوارها بقدره الله فيدخلون المدائن والحصون وينتمون الأموال ويسبون النساء والأطفال ويكون أيام المهدي أربعين سنة عشر سنين في المغرب وإثنا عشرة سنة بالكوفة وإثنا عشرة سنة بالمدينة وستة بمكة وتكون حنيتة جأفة فيينا الناس كذلك إذ تكلم الناس بخروج الدجال العين وسيأتي من

أخبار المهدي ما فيه كفاية إن شاء الله تعالى وقوله ليس له هجير الهجير الدأب
والعادة يقال ما زال ذلك هجيراً واهجيراً واجيراً أي دأبه وعادته وماجت
أي تحركت ريح حمراء أي شديدة احمرت لها الشجر وانكشفت الأرض فظهرت
حمرتها ولما رأى ذلك الرجل جاء بجيء الخائف من قرب الساعة والشرطة هنا بضم
السين أول طائفة من الجيش تقابل سموا بذلك لعلامة تميزوا بها والأشراط
العلامات وتنفى الشرطة أي تقتل وتنفى نرجع ومنه حتى تنفى إلى أمر الله ونهد
تقدم ومنه سمي النهدي نهدياً لتقدمه الصدر والدايرة ويروي والدائرة والمعنى متقارب
قال الأزهري الدائرة الدولة تدور على الأعداء والدايرة النصر والظفر يقال لمن
الدائرة أي لمن الدولة وعلى من الدائرة أي المهزيمة قاله أبو عبيد الهروي والجنبيات
جمع جنبية وهي الجانب ويروي بجثمانهم أي باشخاصهم وقوله إذ سمعوا نبأ بنون
وسين هم أكثر بالثناء المثلثة ويروي ببساس بباء واحدة أكبر بباء واحدة
أيضا وهو الأمر الشديد وهو الصواب لرواية أبي داود إذ سمعوا بأمر هو أكبر
من ذلك والصريح الصارخ أي المصوت عند الأمر الهائل ويرفضون أي يرمون
ويتركون والطلبة الذي يتطلع الأمر ويستكشفه وتداعى الأمم اجتماعها ودعا
بعضها بعضاً حتى تصير العرب بين الأمم كالتقصعة والأكلة وغشاء السيل ما يقذف
به على جانب الوادي من الحشيش والنبات والقماش وكذلك الغشاء بالتشديد والجمع
الإغشاء والله أعلم .

باب

منه وبيان قوله تعالى « حتى تضع الحرب أوزارها »

عن حذيفة قال فتح لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتح فأنيته فقلت الحمد لله
يا رسول الله ألقى الإسلام بجرانه ووضعت الحرب أوزارها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أن دون أن يضع الحرب أوزارها خلا لاسياً أفلا نسألني عنها يا حذيفة
قلت بلى يا رسول الله فاولها قال موتى وفتح بيت المقدس ثم فتان دعواهما
واحدة يقتل بعضهم بعضاً ثم يفيض المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيسخطها

وموت كفافا من الغنم وغلام من بنى الأصفر يذبت في اليوم كنبات أشهر وفي الشهر كنبات السنة فيرغب قومه فيه فيملكونه ويقولون نرجو أن يرد بك علينا ملكنا فيجمع جمعا عظيما ثم يسير حتى يكون بين العريش وأنطاكية فأمرهم يومئذ نعم الأمير فيقول لأصحابه كيف ترون فيقولون نقاتلهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم فيقول لا أرى ذلك ولكن نخلى لهم أرضهم ونسير بذرارينا وعبالنا حتى نحرزهم ثم نغزوم وقد أحرزنا ذرارينا وعبالاتنا فيسيزون حتى يأتوا مدينتي هذه ويستمد أهل الشام فيمدونه فيقول لا يتندب معي إلا من باع نفسه لله حتى يلقاهم فيلقاهم ثم يكسر غمده ثم يقاتل حتى يحكم الله بينهم فينتدبون سبعون ألفا أو يزيدون على ذلك فيقول حسبي سبعون ألفا لا نحملهم الأرض وفي القوم عين العدو فيخبرهم بالذي كان فيسير إليهم حتى إذا التقوا سألوهم أن يخلى بينهم وبين من كان بينهم فسب فيأبى ويدعو أصحابه فيقول أتدرون ما يسأل هؤلاء فيقولون ما أحد أولى بنصر الله وقتاله منا فيقول امضوا واكسروا أغباركم فيسل الله سيفه عليهم فيقتل منهم الثلاثين ويفر في السفن منهم الثلث حتى إذا ترامت لهم جبالهم فبعث الله عليهم ريحا فردتهم إلى مراسيمهم إلى الشام فأخذوا وذبحوا عند أرجل سفنهم عند الشاطئ يومئذ تضع الحرب أوزارها رواه اسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن ربيعة بن سفيان بن مائع المغافري عن مكحول عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ذكره الفقيه بن برجان في كتاب الإرشاد له ومنه نقلته حوفي إسناده مقال والله أعلم .

باب

ما جاء في قتال الترك وصفتهم

البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الأعاجم حر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر .

وخرج مسلم عن أبي هريرة أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

قائلون بين يدي الساعة قوما نعالهم الشعر كأن وجوههم المجان المطرقة حمر
الوجوه صغار الأعين زلف الأنف وفي رواية يلبسون الشعر ويمشون في الشعر
أخرجه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي وغيرهم .

وأخرجه ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما صغار الأعين عراض الوجوه كأن أعينهم
حدق الجراد وكان وجوههم المجان المطرقة يفتعلون الشعور ويتخذون الدرق
يربطون خيولهم بالنخيل .

فصل

قوله المجان المطرقة المجان جمع مجن وهو الترس والمطرقة هي التي قد عوليت
بأزاق وهو الجلد الذي يغشاه شبه وجوههم في عرضها ونبوء وجناتها بالترسة
المطارقة قال معناه الخطابي وغيره وقيده القاضي عياض رحمه الله في كتاب مشارق
الأنوار له فقال الصواب فيه المطرقة بفتح الطاء وتشديد الراء .

قاله الحافظ أبو الخطاب بن دحية قال لي شيخنا المحدث الكبير اللغوي النحوي
أبو إسحق الحمزي بل الصواب فيه المطرقة بسكون الطاء وفتح الراء أي
الآن أطرقت بالعقب أي ألبست حتى غلظت وكأنها ترس على ترس ومنه طارقت
النعل إذا ركبت جلدا على جلد وخرته عليه .

قال المؤلف رحمه الله تعالى هذا معنى ما نقلناه عن الخطابي وقال أهل اللغة وفي
الصحاح والمجان المطرقة التي يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة المخصوصة ويقال
أطرقت الجلد والمصعب أي ألبسته وترس مطرق وقولهم نعالهم الشعر أي يصنعون
من الشعر حبالا ويصنعون منها نعالا كما يصنعون منه ثيابا ويشهد بهذا قوله يلبسون
الشعر ويمشون في الشعر هذا ظاهره ويحتمل أن يريد بذلك أن شعورهم كثيفة
طويلة فهي إذا سدلوها كاللباس وذوايها لوصولها إلى أرجلهم كالنعال
والأول أظهر .

قال ابن دحية إنما كان نعالهم من ظفائر الشعر أو من جلود مشعرة لما في بلادهم من الثلج العظيم الذي لا يكون في بلد كبلادهم ويكون من جلد الذئب وغيره وقوله يلبسون الشعر فهو إشارة إلى الشرايش التي يدار عليها بالقدس والقدس كلب الماء وهو من ذوات الشعر كالمعز وذوات الصوف كالضأن وذوات الوبر الإبل وقوله ذلف الأنف أى غلاظها يقال أنف أذلف إذا كان فيه غلظ وانبطاح والذلف في اللغة تأخر الأرنبة وقيل تطامن فيها وقيل فطس الأنوف كما في حديث البخاري عن أبي هريرة قال حديث كالتقرآن يفسر بعضه بعضا ويروى ذلف الأنوف بالدال المهملة والمعجمة أكثر.

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية رضي الله عنه وخوزا قيدناه في صحيح البخاري ومسلم بالزاي وقيدته الجرجاني فيه خوركورمان بالراء المهملة مضافا إلى كرمان وكذا صوبه الدار قطنى بالراء المهملة مع الإضافة وحكاة عن الإمام أحمد ابن حنبل وقال أن غيره صحف فيه وقال غير الدار قطنى إذا أضيف بالراء المهملة لا غير وإذا عطفته فبالزاي لا غير ويقال إنهما جنسان.

باب

في سياقة الترك للمسلمين وسياقة المسلمين لهم

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده قال حدثنا أبو نعيم حدثنا بشر بن المهاجر قال حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فسألت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أن أمي يوقها قوم عراض الوجوه صفار الأعين كان وجوههم الحجف ثلاث مرات حتى يلهقوهم بجزيرة للعرب أما السياقة الأولى فينجوا من هرب منهم وأما السياقة الثانية فيهلك بعض وينجوا بعض وأما السياقة الثالثة فيصطلون كلهم من بقي منهم قالوا يا نبي الله من هم قال هم الترك قال أما والذي نفسي بيده ليربطون خيولهم إلى سوارى مساجد المسلمين قال وكان بريدة لا يفارقه بعيران أو ثلاثة ومتاع السفر والاستمجة يعد ذلك للهرب مما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء من الترك.

قال الإمام أبو الخطاب عمر بن دحية وهذا سند صحيح أسنده إمام السنة والصابر
على المحنة أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني عن الإمام العدل المجمع على ثقته أبي
نعم الفضل بن دكين وبشير بن المهاجر وثقة راى أنس بن مالك روى عنه جماعة
من الأئمة فوثقوه .

قال المؤلف رحمه الله وخرج أبو داود قال حدثنا جعفر بن مسافر قال حدثنا
خلاد بن يحيى حدثنا بشير بن مهاجر قال حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه عن
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث يقاتلونكم صغار الأعين يعنى الترك قال تسوقونهم
ثلاث مرات حتى تلحقوهم بجزيرة العرب فإما في السياقة الأولى فينجوا منهم من
هرب وأما الثانية فينجوا بعض ويهلك بعض وأما في الثالثة فيصطلبون .

فصل

الاصطلام الاستئصال واصله من الصلم وهو القطع اصطلمت أذنه إذا استوفيت
بالقطع وانشد الفرا .

(تمت اصطلمت إلى الصباخ فلا قرن ولا إذن) والحديث الأول يدل على خروجهم
وقتالهم المسلمين وقتلهم وقد وقع ذلك على نحو ما أخبر صلى الله عليه وسلم فخرج
منهم في هذا الوقت أنهم لا يحميهم إلا الله ولا يردهم عن المسلمين إلا الله حتى
كانهم يا جوج وما جوج أو مقدمتهم قال الحافظ السيد بن دحية رضى الله عنه
يخرج في جمادى الأولى سنة سبع عشرة وستائة جيش من الترك يقال له الططار (۱)
عظم في قتله للخطب والخطر وقضى له من قتل النفوس المؤمنة الوطر (۲) ولم تنهد إلى
دفعه بالحيل الفطر يقتلوا منه وراء النهر وما دونه من جميع البلاد بلاد خراسان
ومحورسوم ملك بنى ساسان وهذا الجبش من يكفر بالرحمن ويرى أن الخالق
المصور هما النيران وملوكهم يعرف بخان خاقان وخربوا بيوت مدينة نساور وأطلقوا
فيها النيران وخار عنهم من أهل خوارزم كل إنسان ولم يبق منهم إلا من اختبئ في
المغارات والكهفان حتى وصلوا إليها وقتلوا وسبوا وخربوا البنيان وأطلقوا الماء

(۱) ويقال التتر أو التتار .

(۲) الوطر الحاجة .

(۲۸ م تذكرة)

على المدينة من نهر جيحان ففرق فيها مبانى الذرا والأركان ثم صيروا المشهد الرضوى يطوس أرضا بعد أن كان مقطوعا ما أمر الله عز وجل به أن يوصل من الدين باخسر الأديان إلى أن وصلوا بلاد قهستان نخبوا مدينة الرى وقزوين وأبهر وزنجان ومدينة أردبيل ومدينة مراغة كرمى بلاد أذربيجان واستأصلوا شافة من في هذه البلاد من العلماء والأعيان واستباحوا قتل النساء وذبح الولدان ثم وصلوا إلى العراق الثانى وأعظم مدنه مدينة أصبهان ودور سورها أربعون ألف ذراع فى غاية الارتفاع والاتقان وأهلها مشغولون بعلم الحديث فحفظهم الله بهذا الشأن وكف كفر الكفر عنهم بأيمان الإيمان وأنزل عليهم مواد التأييد والإحسان فتلقوا بصدور هى فى الحقيقة صدور الشجعان وحققوا الخبر بأها بلد الفرسان واجتمع فيها مائة ألف إنسان وخرجوا إليهم كأسد ولكن غاباتها عوامل الخرصان وقد لبسوا البياض كثغور الأقبان وعليهم دروع فضفاضة فى صفا الغدران وهيات الجاهدين درجات الجنان وأعدت للكافرين دركات النيران وبرز إلى الباطر القتل فى مضاجعهم وساقهم القدر المحتوم إلى مصارعهم فرقوا عن أصبهان مروى السهم من الرى وانشدوا (إلى الوادى فطم على القرى) ففروا منهم فرار الشيطان يوم بدر له خصاص ورأوا أنهم إن وقفوا لم يمكن لهم من الهلاك محاص وواصلوا السير بالسرى وهدوا من همدان الوهاد والذرى بعد أن قامت الحرب على ساق والأرواح فى مساق من ذبح ومثله وضرب الأعناق وصعدوا جبل أورد فقتلوا من فيه من جموع صلحاء المسلمين وخبوا ما فيه من الجنات والبساتين وانتكوا منهم ومن نسايتهم حرمت الدين وكانت استطالتهم على مقدار ثلثى بلاد المشرق الأعلى وقتلوا فيها من الخلائق ما لا يحصى وقتلوا فى العراق الثانى عدة تقرب أن تستقصى وربطوا خيولهم فى سوارى المساجد والجوامع كما جاء فى الحديث المنذر لخروجهم الشارح الجامع وأوغلوا فى بلاد المشرق أى ايفال وقادوا الجيوش إليها مقادة أبى رغال فى كلام له إلى أن قال وقطعوا السبل وأخافوها وجاسوا خلال الديار وطاقوها وملؤا قلوب المؤمنين رعبا وسحبوا ذيل الغلبة على تلك البلاد سحباً وحكموا سيوفهم فى رقاب أهلها وأطلقوا يد التخريب فى وعرها وسهلها

ولا شك أنهم هم المنذر بهم في الحديث وأن لهم ثلاث خرجات يصطلون في الآخرة منها .

قال المؤلف رحمه الله فقد كملت بحمد الله خرجاتهم ولم يبق إلا قتلهم وقتالهم فخرجوا على العراق الأول والثاني كما ذكرناه وخرجوا في هذا الوقت على العراق الثالث بغداد وما اتصل بها من البلاد وقتلوا جميع من كان فيها من الملوك والعلماء والفضلاء والعباد وحاصروا ميفارقين واستباحوا جميع من فيها من الملوك والمسلمين وعبروا الفرات إلى أن وصلوا إلى مدينة حلب فحربوها وقتلوا من فيها إلا أن تركوها خالية ييب ثم أوغلوا إلى أن ملكوا جميع الشام في مدة يسيرة من الأيام وقلعوا بسيوفهم الرؤوس والهام ودخل رعيهم الديار المصرية ولم يبق إلا اللحوق بالدار الآخروية فخرج إليهم من مصر الملك المظفر الملقب بقطر رضى الله عنه بجميع من معه من العسكر وقد بلغت الخناجر القلوب والأنفُس بعزيمة صادقة ونية خالصة إلى أن التقى بعين جالوت فكان له عليهم من النصر والظفر كما كان لطالوت فقتل منهم جمع كثير وعدد غزير وانجلوا عن الشام من ساعتهم ورجع جميعه كما كان إلى الإسلام وعبروا الفرات منهزمين ورأوا ما لم يشاهدوه منذ زمان ولا حين وراحوا خائبين خاسرين مدحورين أذلاء صاغرين .

باب منه

وما جاء في ذكر البصرة والايلة وبغداد والاسكندرية .

أبوداود الطيالسي قال حدثنا الحشرج بن نباتة الكوفي حدثنا سعيد بن جهان عن عبد الرحمن بن أبي بكره عن أبيه قال قال رسول الله صلى عليه وسلم لتتزان طائفة من أمتي أرضا يقال لها البصرة وبكثر بها عددهم ونحاهم ثم يحيى قوم من نبي قنطوراء عراض الوجوه صفار الاعين حتى ينزلوا على جسر لهم يقال له دجلة فيتفرق المسلمون ثلاث فرق أما فرقة فتأخذ باذنان الإبل فتلحق البادية فهلكت وأما فرقة فتأخذ على أنفسها وكفرت وهذه وتلك سواء وأما فرقة فيجعلون عيالهم

خلف ظهورهم ويقاتلون فقتلهم شهداء ويفتح الله على بقيتهم خرجه أبو داود
السختياني في سننه بمعناه .

فقال حدثنا — محمد بن يحيى بن فارس قال حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث
قال حدثني سعيد بن جيهان حدثنا مسلم بن أبي بكر قال سمعت أبي يحدث أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ناس من أمي بغايط يسمنونه البصرة (۱) عند
نهر يقال له دجلة يكون عليه جسر يكثر أهلها وتكون من أمصار المهاجرين قال
ابن يحيى وهو محمد قال معمر ويكون من أمصار المسلمين فإذا كان آخر الزمان
جانبوا قنطورا عراض (۲) الوجوه صفارا الأعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق
أهلها ثلاث فرق فرقة تأخذ أذنان البقر والبرية وهلكوا وفرقة يأخذون لأنفسهم
وكفروا وفرقة يجعلون ذريتهم خلف ظهورهم ويقاتلون وهم الشهداء قال أبو داود
وحدثنا محمد بن مثنى قال حدثني إبراهيم بن صالح بن درهم قال سمعت أبي يقول
انطلقنا حاجين فإذا رجل فقال لنا إلى جنبكم قرية يقال لها الأيلة قلنا نعم قال من
يضمن لي منكم أن يصلي في مسجد العشار ركعتين أو أربعاً ويقول هذه لأبي هريرة .
سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يبعث من مسجد العشار يوم القيامة
شهداء لا يقوم مع شهداء بدر غيرهم .

ذكر الخطيب أبو بكر بن أحمد بن ثابت في تاريخ بغداد أنبأنا أبو القاسم الأزهرى
حدثنا أحمد بن محمد بن موسى قال حدثنا أحمد جعفر بن المنادى قال ذكر في إسناد شديد
الضعف عن سفيان الثوري عن أبي إسحق الشيباني عن أبي قيس عن علي رضي
الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبني مدينة بين الفرات
ودجلة يكون فيها شر ملك بنى العباس وهي الزوراء يكون فيها حرب مقطعة نسي
فيها النساء ويذبح فيها الرجال كما تذبح الغنم قال أبو قيس فقيل لعلي رضي الله عنه
يا أمير المؤمنين وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم الزوراء فقال لأن الحرب تزور
في جوانبها حتى تطبقها .

(۱) أراد بها والله أعلم بغداد بقريته قوله دجلة وانما عرفها بالبصرة لأن ببغداد موصفا
خارجا عنه قريبا من بابها يدعى بباب البصرة فسميها باسم بعضها على حذف مضاف
(۲) أي الترك وهم من اولاد يافث بن نوح . أحمد مرسي

وقال أرطاة بن المنذر قال رجل لابن عباس وعنده حذيفة بن اليمان أخبرني عن تفسير قوله تعالى حم عسق فاعرض عنه حتى أعاد ثلاثا فقال حذيفة أنا أنبيك بها قد عرفت لم تركها نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله أو عبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق ينبي عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقاء فإذا أراد الله زوال ملكهم وانقطاع دولتهم بعث الله على أحدهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة فتحترق كلها كأنها لم تكن في مكانها فتصبح صاحبها متعجبة كيف قلبت فما هو الأبياض يومها حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد ثم يخسف الله بها وبهم جميعا فذلك حم عسق أي عزيمة من عزمات الله وفتنة وقضاء حم أي حم ما هو كائن عدلا منه س سيكون ق واقع في هاتين المدينتين ونظير هذا التفسير ما روى جرير بن عبد الله البجلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تنبئ مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والفوات يجتمع فيها جبابرة الأرض تجيء إليها الخزائن يخسف بها وفي رواية يخسف بأهلها فلهي أسرع ذهابا في الأرض من الوند الجيد في الأرض الرخوة وقرأ ابن عباس حم عسق بغير عين وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود حكاه الطبري وقال العباس وكان على يعرف الفتن بها وذكر القشيري والثعلبي في تفسيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية عرفت الكتابة في وجهه فقيل له يا رسول الله ما أحزنك قال أخبرت ببلايا تصيب أمتي من خسف وقذف ونار تحشرهم وريح تقذفهم في البحر وآيات متتابعات ينزل عيسى وخروج الدجال لفظ الثعلبي وقد روى حديث الزوراء محمد بن زكريا الغلابي وأسند عن علي عايه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إما أن هلاكها على يد السفيناني كأن بها والله قد صارت خاوية على عروشها ومحمد بن زكريا قال الدارقطني كان يضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ابن وهب عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قيل له بالاسكندرية أن الناس قد فزعوا فأمر بسلاخه وفرسه لجاءه رجل فقال من أين هذا الفزع قال سفن ترامت من ناحية قبرس قال انزعوا عن فرسي قال قلنا اصلحك الله أن الناس قد ركبوا فقال ليس هذا بلحمة الاسكندرية إنما يأتون من ناحية المغرب من نحو نطا بلس فيأتي مائة ثم مائة حتى

عد تسع مائة وخرج. الوائلي أبو نصر في كتاب الابانة من حديث رشدين بن سعد عن عقيل عن الزهري عن كعب قال إني لأجد في كتاب الله المنزل على موسى بن عمران أن للاسكندرية شهداء يستشهدون في بطحاتها خير من مضي وخير من بقي وهم الذين يباهى الله عز وجل بهم شهداء بدر.

فصل

قوله بغايط الغائط المطمئن من الأرض والبصرة الحجارة الرخوة وبها سميت البصرة فو بنوا قنطوراهم الترك يقال أن قنطورا جارية كانت لإبراهيم عليه السلام ولدت له أولادا من نسلهم الترك وقيل هم من ولد يافث وهم أجناس كثيرة فمنهم أصحاب مدن وحصون ومنهم قوم في رهوس الجبال والبراري والشعاب ليس لهم عمل غير الصيد ومن لم يصد منهم ودج دابته فشوى الدم في مصران فأكله وهم يأكلون الرخم والغربان وغيرهما وليس لهم دين ومنهم من كان على دين المجوسية ومنهم من تهود وملكهم الذي يقال له خاقان يلبس الحرير وتاج الذهب ويحتجب كثيرا وفيهم بأس شديد وفيهم سحر وأكثهم مجوس.

وقال وهب بن منبه الترك بنوا عم يا جوج وما جوج يعني أنهم كلهم من ولد يافث.

وقيل أن أصل الترك أو بعضهم من اليمن من حمير وقيل فيهم أنهم من بقايا قوم تبع والله أعلم ذكره أبو عمر بن عبد البر في كتاب الابانة.

باب

ذكر أبو نعيم الحافظ عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى عليه وسلم قال يوشك أن يملا الله أيديكم من العجم ثم يجعلهم أسدالا يفرون فيقتلون مقاتلتكم وبأكلون فيأكم غريب من حديث يونس تفرد به عنه حماد.

باب

(ما جاء في فضل الشام وأنه معقل من الملاحم)

البزار عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهب به فاتبعته بصري فعمد به إلى الشام إلا وأن الإيمان حين تقع الفتن الشام خرجة أبو بكر أحمد بن سليمان النجار وقال عمود الإسلام قال أبو محمد عبد الحق هذا حديث صحيح ولعل هذه الفتن هي التي تكون عند خروج الدجال والله ورسوله أعلم وخرجه الحافظ أبو محمد عبد الغنى بن سعيد من حديث الحكم بن عبد الله بن خطاف الأزدي وهو متروك عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت هب رسول الله صلى الله عليه وسلم من نومه مذعورا وهو يرجع فقلت مالك بأبي أنت وأمي قال سل عمود الإسلام من تحت رأسي ثم رميت بصري فإذا هو قد غرزني وسط الشام فقبل لي يا محمد إن الله اختار لك الشام وجعلها ملك عزا ومحشرا ومنعة وذكر أن من أراد الله به خيرا أسكنه الشام وأعطاه نصيبه منها ومن أراد الله به شرا أخرج منها من كنانته فهي معلقة وسط الشام فرما به فلم يسلم دنيا ولا أخرى .

وروى عن عبد الملك بن حبيب أنه قال حدثني من أثق به أن الله عز وجل قال للشام أنت صفوتي من أرضي وبلادى ليسكنك خيرتي من خلقي وإليك المحشر من خرج منك رغبة عنك فبسخط مني عليه ومن دخلك رغبة فيك فبرضى مني دخلك .

أبو داود عن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالفروطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام .

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة عن أبي الزاهرية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم معقل المسلمين من الملاحم دمشق ومعقلهم من الرجال بيت المقدس ومعقلهم من يا جوج وما جوج الطور .

قال المؤلف رحمه الله هذا صحيح ثبت معناه مرفوعا في غير ما حديث
وسياتي .

باب

ما جاء أن الملاحم إذا وقعت بعث الله جيشا يؤيد به الدين

ابن ماجه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وقعت
الملاحم بعث الله جيشا من الموالي هم أكرم العرب فرسا وأجوده سلاحا يؤيد
الله بهم الدين .

باب

ما جاء في المدينة ومكة وخراجهما

مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبلغ
المساكن اهاب أو يهاب قال زهير قلت لسهيل فكم ذلك من المدينة قال كذا وكذا
مبلا أبوداود عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك المسلمون
أن يحاصروا إلى المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم سلاح قال الزهري وسلاح قريب
من خيبر قال المؤلف رحمه الله المسالح المطاع ويقال القوم مستعد بهم في المرصد
ويرتبون لذلك وسموا بذلك لمحلهم السلاح وقال الجوهري والمسلحة كالثغر والمرقب
وفي الحديث كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب قال بشر
بكل قياد مسنعة عنودا ضربها المسالح والفرار

القياد جبل تقاد به الدابة والمسنف المتقدم يقال أسنف الفرس أى تقدم الخيل
فإذا سمعت في الشعر مسنفة يكسر النون فهي من هذا وهى الفرس التى
تتقدم الخيل فى سيرها والعنود من عند عن الطريق يعند بالضم عنودا أى عدل
فهو عنود والعنود أيضا من النوق التى ترعى ناحية والجمع عند ومنه قوله تعالى
« أنه كان لآياتنا عنيدا ، أى بجانبنا للاحق معاندا له معرضاً عنه يقال عند الرجل إذا
أعتا وجاوز قدره .

مسلم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تتركون

المدينة على خير ما كانت لا يتشاهد إلى العوافى يريد عوافى السباع والطيور ثم يخرج راعيان من مزينة يريدان المدينة يتبعان بغنمهما فيجدانها وحشا حتى إذا باغا ثنية الوداع خرا على وجوههما .

وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة ليركنها أهلها على خير ما كانت مذلة للعوافى يعني السباع والطيور وعن حذيفة قال أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فآمنه شيء إلا قد سأله إلا أني لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة .

وذكر أبو زيد عمر بن شبة في كتاب المدينة على ساكنها الصلاة والسلام عن أبي هريرة قال ليخرجن أهل المدينة خير ما كانت نصفها زهو ونصفها رطب قيل ومن يخرجهم منها يا أبا هريرة قال أمراء السوء .

قال أبو زيد وحدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا بن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر يقول أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج أهل المدينة منها ثم يعودون إليها فيعبرونها حتى تمتلئ ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبدا .

وخرج عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليخرجن أهل المدينة ثم يعودون إليها ثم ليخرجن منها ثم لا يعودون إليها أبدا وليدعنها وهي خير ما تكون مونة قيل فن يأكلها قال الطير والسباع وخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال والذي نفسي بيده لتكون بالمدينة ملحمة يقال لها الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين فاخرجوا من المدينة ولو على قدر يريد .

وعن أنس بن مالك قال لتهربن المدينة والبنود قائمة . البنود جمع بند وهو العلم الكبير قاله في النهاية قال مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذوالسويقتين رجل من الحبشة . البخاري عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كأي به أسود أفتح يقطعها حجراً حجراً . الفجج تباعد ما بين الفخذين .

وفي حديث حذيفة الطويل عنه صلى الله عليه وسلم كأنى بحبشى أخرج الساقين
أزرق العينين أفضس الأنف كبير البطن وأصحابه ينقضونها حجرا حجرا ويتناولونها
حتى يرموا بها إلى البحر يعنى الكعبة ذكره أبو الفرج بن الجوزى وهو
حديث فيه طول وقال أبو عبيدة القاسم بن سلام فى حديث على عليه السلام
استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يحال بينكم وبينه فكانى برجل من الحبشة
أصعل أصمغ حمش الساقين قاعد عليها وهى تهدم .

قال حدثنا يزيد بن هارون عن هشام بن حسان عن حفصة عن أبى العالية عن
على قال الأصمغى قوله أصمغ هكذا يروى فأما كلام العرب فهو صمغ بغير ألف
وهو الصغير الرأس وكذلك الحبشة كلهم قال والأصمغ الصغير الأذن يقال منه
رجل أصمغ وامرأة صمغاء وكذلك غير الناس .

أبو داود الطيالسى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم يبائع لرجل بين
الركن والمقام وأول من يستحل هذا البيت أهله فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلكة
العرب ثم تحىء الحبشة فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا وهم الذين يستخرجون
كنزه وذكروا الحلیمی فيما ذكر أنه يكون فى زمن عيسى عليه السلام وأن الصريح
يأتیه بأن ذا السوكتين الحبشى قد سار إلى البيت لهدیه فبيعت إليه عيسى عليه
السلام طائفة من الناس ما بين الثمان إلى التسع .

وذكر أبو حامد فى كتاب مناسك الحج له وغيره ويقال لا تغرب الشمس
يوما إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف
به واحد من الأوتاد وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض
فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة ليس فيها أثر وهذا إذا أنى عليها سبع سنين لم
يحجها أحد ثم يرتفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فإذا الورق أبيض يلوح
ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة واحدة ثم ترجع
الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى بن

مریم علیہ السلام فیقتل الدجال والساعة عند ذلك بمنزله الحامل المقرب تنرفع ولادتها. وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة. قال المؤلف رحمه الله وقيل أن خرابه يكون بعد رفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف وذلك بعد موت عيسى عليه السلام وهو الصحيح في ذلك على ما يأتي بيانه.

فصل

ثبت في الصحيح الدعاء للمدينة والحث على سكناها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمن يدع الرجل ابن عمه وقريبه هلم إلى الرخاء هلم إلى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذي نفسي بيده لا يخرج أحد منهم رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه إلا أن المدينة كالكبير تخرج الخبيث لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكبير خبيث الحديد رواه أبو هريرة وخرجه مسلم.

خرج عن سعيد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء.

ونحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه ومثل هذا كثير وهو خلاف ما تقدم وإذا كان هذا فظاهره التعارض (١) وليس كذلك فإن الحضر على سكناها بما كان عنه فتح الأمصار ووجود الخيرات بها كما جاء في حديث سفيان بن أبي زهير. قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفتح اليمن فيأتي قوم يعيشون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ثم تفتح الشام فيأتي قوم يعيشون فيحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ثم تفتح العراق فيأتي قوم يعيشون فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون رواه الأئمة اللفظ لمسلم فحض صلى الله عليه وسلم على سكناها حين أخبر بانتقال الناس عنها عند فتح الأمصار لأنها مستقر الوحي وفيها مجاورته ففي حياته صحبته ورؤية وجهه الكريم وبعد وفاته مجاورة جدته الشريف ومشاهدة آثاره

(١) ليس كما يقول المؤلف فإنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يأمر بالخروج منها أبدا في حديث ثابت وإنما الثابت اخباره بأن أهلها سيخرجون منها. فإن هذا من ذلك. والله الهادي للصواب أحمد مرسي

العظيمة ولهذا ما قال لا يصبر أحد على لاوائها وشدتها إلا كنت شفيعا أو شهيدا له يوم القيامة وقال من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإنني أشفع لمن مات بها ثم إذا تغذرت الأحوال واعتورتها الفتن والأهوال كان الخروج منها غير قادح والانتقال منها حسن غير قادح .

فصل

وأما قوله من أراد أهل المدينة بسوء فذلك محمول على زمانه وحياته كما في الحديث الآخر لا يخرج أحد منهم رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيرا منه وقد خرج منها بعد موته صلى الله عليه وسلم من الصحابة من لم يعرضها الله خيرا منه فدل على أن ذلك محمول على حياته (١) فإن الله تعالى كان يعرض أبدا رسوله صلى الله عليه وسلم خيرا من رغب عنه وهذا واضح ويحتمل أن يكون قوله أذابه الله كناية عن أهلاكه في الدنيا بعد موته وقد فعل الله ذلك بمن غزاها وقاتل أهلها كسلم بن عقبة إذ أهلكه الله عند منصرفه عنها إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير أبلاء الله بالماء الأصفر في بطنه فمات بتقيد بعد الوقعة بثلاث .

وقال الطبري مات بهرشي وذلك بعد الوقعة بثلاث ليالي وهرشي جبل من بلاد تهامة على طريق الشام والمدينة قريب من الجحفة وكأهلاك يزيد بن معاوية أثر اغرائه أهل المدينة حرم النبي المختار وقتله بها بقايا المهاجرين والأنصار فمات بعد هذه الوقعة واحراق الكعبة بأقل من ثلاثة أشهر ولأنه توفي بالذبيحة وذات الجنب في نصف ربيع الأول بجوارين من قرى حمص وحمل إلى دمشق وصلى عليه لابنه خالد وقال المسعودي صلى عليه ابنه معاوية ودفن في مقبرة باب الصغير وقد بلغ سبعا وثلاثين سنة فكانت ولايته ثلاث سنين وثمانية أشهر وإثني عشر يوما .

(١) أقول هذا حمل باطل وفهم عجيب بعيد عن الصواب بل هو مبطل للفظ الحديث . ولاتناقض أصلا يدعو إلى هذا الجمع المنكف الباطل فان من خرج من الصحابة رضی الله عنهم لم يخرجوا رغبة عنها . كما في الحديث حتى يبدلها الله خيرا منهم وإنما خرجوا حاجة وضرورة دعوتهم إلى ذلك من طلب معيشة أو جهاد أو غير ذلك فالحديث على عمومته في كل زمان ما خرج منها أحد رغبة عنها إلا أبدلها الله خيرا منه وهذه فائدة جليلة فتنبه لها والله اعلم ورسوله أعلم أحمد مرسى

فصل

وأما قوله تركون المدينة حدثنا المخاطب فراده غير المخاطبين لكن نوعهم من أهل المدينة أو نسلهم وعلى خير ما كانت عليه فيما قيل وقد وجد هذا الذي قاله النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أنها صارت بعده صلى الله عليه وسلم معدن الخلافة وموضعها ومقصد الناس وملجأهم ومعقلهم حتى تنافس الناس فيها وتوسعوا في خططها وخرسوا وسكنوا منها ما لم يسكن قبل وبنوا فيها وشيدوا حتى بلغت المساكن أهاب فلما انتهت حالها كمالا وحسنا تناقص أمرها إلى أن أفقرت جهاتها بتغلب الأعراب عليها وتوالى الفتن فيها تخاف أهلها وارتحلوا عنها وصارت الخلافة بالشام ووجه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المزني في جيش عظيم من أهل الشام فنزل بالمدينة فقاتل أهلها فهزمهم وقتلهم بحرة المدينة قتلا ذريعا واستباح المدينة ثلاثة أيام فسميت وقعة الحرة لذلك وفيه يقول الشاعر .

فإن تقتلوننا يوم حرة واقم إنا على الإسلام أول من قتل

وكانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا لذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ويقال لما حرة زهرة وكانت الوقعة بموضع يعرف بواقم على ميل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين وهم ألف وسبع مائة وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصدبان وقتل بها من حملة القرآن سبع مائة رجل من قريش وسبعة وتسعون قتلوا جهرا ظاهرا في الحرب وصبرا .

وقال الإمام الحافظ أبو محمد بن جزم في المرتبة الرابعة وجات الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالت وراثت بين القبر والمنبر أدام الله تشریفها وأكره الناس على أن يبايعوا ليزيد على أنهم عبيد له إن شاء باع وإن شاء أعتق وذكر له يزيد بن عبد الله بن زعنة البيعة على حكم القرآن والسنة فأمر بقتله فضربت عنقه صبرا .

وذكر الاخباريون أنها خلت من أهلها وبقيت ثمارها للعوافي الطير والسباع كما قال صلى الله عليه وسلم ثم تراجع الناس إليها وفي حال خلوها غدت الكلاب على سوارى المسجد والله أعلم وذاكر أبو زيد عمر بن شبة قال حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد أنه قرأ كتابا بالكعبة ليغشين أهل المدينة أمر يفزعهم حتى يتركوها وهي مذلة وحتى تبول السناير على قطائف الخز ما يروعها شيء وحتى نخرق الثعالب في أسواقها ما يروعها شيء وأما قوله في الداعيين حتى إذا بلغوا ثنية الوداع خرا على وجوههما فقبل سقطا ميتين قال عداؤنا وهذا إنما يكون في آخر الزمان وعند اقراض الدنيا بدليل ما قال البخاري في هذا الحديث آخر من يحشر راعيان من مزينة قبل معناه آخر من يموت فيحشر لأن الحشر بعد الموت ويحتمل أن يتأخر حشرهما لتأخر موتهما .

قال الداودي أبو جعفر أحمد بن نصر في شرح البخاري له وقوله في الراعيين ينشقان بغنمهما يعني يطلبان الكلاء وقوله وحشا يعني خالية وقوله شية الرذاع يعني موضعا قريبا من المدينة بمابلي مكة وقوله خرا على وجوههما يعني أخذتهما الصعقة حين النفخة الأولى وهو الموت وقوله آخر من يحشر يعني أنها بأقصى المدينة فيكونان في أثر من يبعث منها ليس أن بعض الناس يخرج بعد بعض من الأجدات الأبالش المتقارب يقول الله تعالى وان كانت الاصيحة واحدة فاذا هم قيام ينظرون، وقول النبي صلى الله عليه وسلم يصعق الناس فأكون أول من تنشق عنه الأرض فاذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أو كان من الذين استثنى الله وقال شيخنا أبو العباس القرطبي ويحتمل أن يكون معناه آخر من يحشر إلى المدينة أي يساق إليها كما في كتاب مسلم رحمه الله تعالى .

قال المؤلف رحمه الله وقد ذكر ابن شبة خلاف هذا كله فذكر عن حذيفة بن أسيد قال آخر الناس يحشرا رجلا من مؤمنة يفقدان الناس فيقول أحدهما لصاحبه قد فقدنا الداس منذ حين انطلق بنا إلى شخص بنى فلان فينطلقان فلا يجدان بها أحدا ثم يقول انطلق بنا إلى المدينة فينطلقان فلا يجدان بها أحدا ثم

يقول انطلق بنا إلى منازل قريش ببقيع الفرقد فينطلقان فلا يريان إلى السباع
والتعالب فيوجهان نحو البيت الحرام .

وقد ذكر عن أبي هريرة قال آخر من يحشر رجلا من رجل من جهينة وآخر من
مزينة فيقولان أين الناس فيأتیان المدينة فلا يريان إلا الثعلب فينزل إليهما ما كان
فيسحبانها على وجوههما حتى يلحقاهما بالناس .

فصل

وأما قوله في حديث أبي هريرة يباع لرجل بين الركن والمقام فهو المهدي الذي
يخرج في آخر الزمان على ما نذكره أيضا يملك الدنيا كلها والله أعلم .

فروى أن جميع ملوك الدنيا كلها أربعة مؤمنان وكافران فالؤمنان سليمان بن
داود والاسكندر والكافران نمرود وبخت نصر وسيدملكها من هذه الامة خامس
وهو المهدي .

باب

في الخليفة الكائن في آخر الزمان المسمى بالمهدي وعلامة خروجه

مسلم عن أبي نضيرة قال كنا جلوسا عند جابر بن عبد الله فقال يوشك أهل
العراق أن لا يجيء قفيز ولا درهم من أين قال من قبل العجم يمنعون ذلك ثم قال
يوشك أهل الشام أن لا يجيء إليهم دينار ولا مدى قلنا من أين لك ذلك قال من قبل
الروم ثم سكت هنيهة ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في آخر
الزمان خليفة يحثي المال حثيا ولا يعده عدا قيل لأبي نضيرة وأبي العلاء تريان
أنه عمر بن عبد العزيز قال لا .

أبو داود عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة
فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث

إليه جيش من الشام فيخسف بهم بالبيدا بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك
أتاه ابدال أهل الشام وعصايب العراق فيبايعونه ثم يذبح رجل من قريش أخواله
كلب فيبعث إليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخبيبة لمن لم يشهد
غنيمة كلب فيغتم المال ويعمل في الناس بسنة نبهم صلى الله عليه وسلم ويلقى الإسلام
بجرانه إلى الأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمين وذكر بن شبة
فقال حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا حماد بن مسلة قال حدثنا أبو المهزم عن
أبي هريرة قال يجيء جيش من قبل الشام حتى يدخل المدينة فيقتل مقاتلة ويبقر
بطون النساء ويقولون للحبلى في البطن افتلوا صباية السوء فإذا علوا البيدا من ذى
الخليفة خسف بهم فلا يدرك أسفلهم أعلام ولا أعلام أسفلهم قال أبو المهزم فلما
جاء جيش ابن دلجة قلنا هم فلم يكونوا هم .

قال وحدثنا محمد بن يحيى قال حدثنا أبو ضمرة الليثى عن عبد الرحمن بن الحرب
ابن عبيد عن هلال بن طلحة الفهرى قال قال كعب الأحبار تجهز يا هلال قال
نخرجنا حتى إذا كنا بالعقيق ببطان المسيل دون النجرة والشجرة يومئذ قائم قال
يا هلال إني أجد صفة الشجرة في كتاب الله قلت هذه الشجرة قال فنزلنا فصلينا
تحتها ثم ركبنا حتى إذا استوبنا على ظهر البيدا قال يا هلال إني أجد صفة البيدا
قلت أنت عليها قال والذي نفسى بيده إن في كتاب الله جيشا يؤمون البيت الحرام
فاذا استوا عليها نادى آخرهم أولهم ارفقوا نخسف بهم وبأمتعتهم وأموالهم
وذرياتهم إلى يوم القيامة ثم خرجنا حتى إذا انهبطت رواحنا أدنى الروحاء قال
يا هلال إني أجد صفة الروحاء قال قلت الآن حين دخلنا الروحاء قال وحدثنا أحمد
ابن عيسى قال وحدثنا عبد الله بن وهب قال وحدثني بن لهيعة عن بشر بن محمد
المعافري قال سمعت أبا نواس يقول سمعت عبد الله بن عمرو يقول إذا أخسف بالجيش
بالبيدا فهو علامة خروج المهدي قال المؤلف رحمه الله ولخروجه علامتان أخريان
يأتى ذكرهما إن شاء الله تعالى .

فصل

قوله ثم سكت هنيئة بضم الهاء وتشديد الياء أى مدة يسيرة بتصغيرهن ويروى بهان ورواه الطبري هنيئة مهموز وهو خطأ لا وجه له . فيه دلالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر عما سيكون بعد فكان . ومثله الحديث الآخر منعت العراق درهمها وقفيزها الحديث أي ستمنع وأتى بلفظ الماضي في الأخبار لأنه ماض في علم الله أنه سيكون كقوله عز من قائل « أتى أمر الله أعلم سيجمعون عن الطاعة ويأبون من اذا ماوظف عليهم في أحد الأمر وذلك أنهم يرتدون عن الاسلام وعن أداء الجزية ولم يكن ذلك في زمانه ولكن أخبر أنهم سيفعلون ذلك وقوله يحى المال حثيا قال ابن الأنيارى أعلى اللغتين حثا يحى وهو أصح وأفصح ويقال حثا يحثوا ويحى واحث بكسر التاء وضمها كله بمعنى اغرف بيدك .

باب

منه خروج المهدي وخروج السفيناني عليه وبعثه الجيش لقتاله وأنه الجيش الذي يخسف به

روى من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى عليه وسلم وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فوره ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا إلى المشرق وجيشا إلى المدينة فيسير الجيش نحو المشرق حتى ينزل بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة يعني مدينة بغداد قال فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويقتضون أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها أكثر من ثلاث مائة كبش من ولد العباس ثم يخرجون متوجهين إلى الشام فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش على ليلتين فيقتلونهم حتى لا يغلب منهم مخبر ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم ويحل جيشه الثاني بالمدينة فينهبونها ثلاثة أيام ولياليها ثم يخرجون (م - ٣٩ التذكرة)

متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل عليه السلام فيقول يا جبريل اذهب فأبدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم وذلك قوله تعالى عز وجل ولوترى إذ فزعوا فلافوت وأخذوا من مكان قريب، فلا يبقى منهم إلا رجلا ن أحدهما بشير والآخر نذير وهما من جهينة ولذلك جاء القول وعند جهينة الخبر اليقين قال المؤلف رحمه الله حديث حذيفة هذا فيه طول وكذلك حديث ابن مسعود فيه ثم أن عروة بن محمد السفياي يبعث جيشا إلى الكوفة فيه خمسة عشر ألف فارس ويبعث جيشا آخر فيه خمسة عشر ألف راكب إلى مكة والمدينة لمحاربة المهدي ومن تبعه فأما الجيش الأول فإنه يصل إلى الكوفة فيتغلب عليها ويسبي من كان فيها من النساء والأطفال ويقتل الرجال ويأخذ ما يجسد فيها من الأموال ثم يرجع فتقوم صبيحة بالمشرق فيتبعهم أمير من أمراء بني تميم يقال له شعيب بن صالح فيستنقذ ما في أيديهم من السبي ويرد إلى الكوفة. وأما الجيش الثاني فإنه يصل إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فيقاتلونها ثلاثة أيام ثم يدخلونها عنوة ويسبون ما فيها من الأهل والولد ثم يسرون نحو مكة أعزها الله لمحاربة المهدي ومن معه فإذا وصلوا إلى البيداء مسحهم الله أجمعين فذلك قول الله تعالى ولوترى إذ فزعوا فلافوت وأخذوا من مكان قريب، وقد ذكر خبر السفياي مطولا بتأمه أبو الحسين أحمد ابن جعفر بن المنادي في كتاب الملاحم له وأنه الذي يخسف بجيشه قال واسمه عتبة ابن هند وهو الذي يقوم في أهل دمشق فيقول يا أهل دمشق أنا رجل منكم وأتم خاصتنا جدي معاوية بن أبي سفيان وليكم من قبل فأحسن وأحسنتم وذكر كلاما طويلا إلى أن ذكر كتابه إلى الجرهمي وهو على ما يليه من أرض الشام وأتى البرقي وهو على ما يليه من حد برقة وما وراء برقة من المغرب إلى أن قال فيأتي الجرهمي فيبايعه واسم الجرهمي عقيل بن عقال ثم يأتيه البرقي واسم البرقي همام بن الورد ثم ذكر مسيرة إلى أرض مصر وقتاله لملكها فيقتلون على قنطرة الفرقا أو دونها بسبعة أيام ثم ينصرف أهل مصر وقد قتل منهم زهاء سبعين ألفا ونيفا ثم يصلح أهل مصر ويبايعونه فينصرف عنهم إلى الشام ثم ذكر تقديمه الأمراء من العرب ورجل من حضرموت ورجل من خداعة ورجل من عبس ورجل من ثعلبة وذكر

عجائب وأن جيشه الذي يخضب بهم تبلعمهم الأرض إلى أعناقهم وتبقى رؤوسهم خارجة ويبقى جميع خيلهم واموالهم وأثقالهم وخزائهم وجميع مضاربهم والسبي على حاله إلى أن يبلغ الخبر الخارج بمكة واسمه محمد بن علي من ولد السبط الأكبر الحسن بن علي فيطوى الله تعالى له الأرض فيبلغ البيدا من يومه فيجد القوم أبدانهم داخله في الأرض ويؤسهم خارجة وهم أحياء فيحمد الله عز وجل هو وأصحابه وينتحبون بالبكاء ويدعون الله عز وجل ويسبحونه ويحمدونه على حسن صنيعه إليهم ويسألونه تمام النعمة والعافية فتبلمهم الأرض من ساعتهم يعني أصحاب السفيان ويجد الحسنى العسكر على حاله والسبي على حاله وذكر أشياء كثيرة الله أعلم بصحتها أخذها من كتاب دانيال فيما زعم .

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية ودانيال نبى من أنبياء إسرائيل كلامه عبرانى وهو على شريعة موسى بن عمران وكان قبل عيسى بن مريم بزمان ومن أسند مثل هذا إلى نبى عن غير ثقة أو توقيف من نبينا صلى الله عليه وسلم فقد سقطت عدالته إلا أن يبين وضعه لتصح أمانته . وقد ذكر في هذا الكتاب من الملاحم وما كان من الحوادث وسيكون وجمع فيه التناقى والتناقض بين الضب والنون وأغرب فيما أعرب في روايته عن ضرب من الهوس والجنون وفيه من الموضوعات ما يكذب آخرها أولها ويتعذر على المتأول لها تأويلها وما يتعلق به جماعة الرنادقة من تكذيب الصادق المصدوق محمد صلى الله عليه وسلم أن في سنة ثلاث مائة يظهر الدجال من يهودية اصهبان وقد طعنا في أوائل سبع مائة في هذا الزمان وذلك شيء ما وقع ولا كان ومن الموضوع فيه المصنوع والتهافت الموضوع الحديث الطويل الذى استفتح به كتابه فهلا اتقى الله وخاف عقابه وأن من أفضح فضيحة في الدين نقل مثل هذه للإسرائيليات عن اليهودين فانه لا طريق فيما ذكر عن دانيال إلا عنهم ولا رواية تؤخذ في ذلك إلا منهم وقد روى البخارى في تفسير سورة البقرة عن أبى هريرة قال كان أهل الكتاب يقرأون النوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا . وقد ذكر في كتاب الاعتصام أن ابن عباس قال كيف تسألون

أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزله الله على رسوله أحدث شيء تقرؤونه محضاً لم يشب وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كلام الله وغيروه وقد كتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلاً إلا إنها كم ما جاءكم من العلم عن مسألته لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم .

قال ابن دحية رضى الله عنه وكيف يؤمن من خان الله وكذب عليه وكفر واستكبر وجر. وأما حديث الدابة فقد نطق بخروجها القرآن ووجب التصديق بها والإيمان قال الله تعالى «وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم» وكنت بالاندلس قد قرأت أكثر كتب المقرئ الفاضل أبى عمر عثمان بن سعيد بن عثمان توفى سنة أربع وأربعين وأربع مائة فن تأليفه كتاب السنن الواردة بالفتن وغوايلها والأزمنة وفسادها والساعة وإشراطها وهو مجلد مزج فيه الصحيح بالسقيم ولم يفرق فيه بين نسر وظلم وأتى بالموضوع وأعرض عما ثبت من الصحيح المسموع فذكر الدابة في الباب الذي نصه باب ما روى أن الوقعة التي تكون بالزوراء وما يتصل بها من الوقائع والآيات والملاحم والطوام وأسند ذلك عن عبد الرحمن عن سفیان الثوري عن قيس بن مسلم عن ربيع بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون وقعة بالزوراء قالوا يا رسول الله وما الزوراء قال مدينة بالمشرق بين أنهارها يسكنها شرار خلق الله وجبارة من أمتي تعذب بأربعة أصناف من العذاب ثم ذكر حديث خروج السفيناني في ستين وثلاثمائة راكب حتى يأتي دمشق ثم ذكر خروج المهدي قال واسمه أحمد بن عبد الله وذكر خروج الدابة قال قلت يا رسول الله وما الدابة قال ذات وبر وریش عظمها ستون ميلاً ليس يدركها طالب ولا يفوتها هارب وذكر ياجوج وماجوج وأنهم ثلاثة أصناف صنف منهم مثل الأرز الطوال وصنف آخر منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع في عشرين ومائة ذراع هم الذين لا يقوم لهم الحديد وصنف يفتش إحدى أذنيه ويلتحف بالآخرى وهذه الأسانيد عن حذيفة في عدة أوراق ظاهرة الوضع والاختلاف وفيها ذكر مدينة يقال لها المقاطع وهي على البحر الذي لا يحمل جارية يعنى السفن قيل يا رسول الله ولم لا يحمل جارية قال لأنه ليس له قعر إلى أن قال حذيفة قال عبد الله بن

سلام والذي بعثك بالحق أن صفة هذه في التوراة طولها ألف ميل وعرضها خمس مائة ميل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ستون وثلاثمائة باب يخرج من كل باب منها مائة ألف مقاتل قال الحافظ أبو الخطاب رضى الله عنه ونحن نرغب عن تسويد الورق بالموضوعات فيه وثبت الصحيح الذي يقربنا من إله الأرضين والسموات فعبد الرحمن الذي يرويه عن الثوري هو بن هانىء أبو نعيم النخعي الكوفي قال يحيى بن معين كتاب وقال أحمد ليس بشيء وقال ابن عدى عامة ما يرويه لا يتابعه الثقات عليه وقد رواه عن الثوري عمر بن يحيى بالسند المذكور انفا وقال تعذب بأربعة أصناف بخسف ومسح وقذف قال البرقاني ولم يذكر الرابع وعمر ابن يحيى متروك الحديث وقد روى حديث الزورا محمد بن زكريا الغلابي وأسند عن علي رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أما إن هلاكها على يد السفيناني كأنى والله بها قد صارت خاوية على عروشها ومحمد بن زكريا الغلابي قال أبو الحسن الدار قطنى كان يضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظم هذه الدابة المذكورة وطول ياجوج وماجوج على تلك الصورة يدل على وضع هذا هذا الحديث بالتصريح ويقطع العاقل بأنه ليس بصحيح لأن مثل هذا القدر في العظم والطول يشهد على كذب واضعه في المنقول وأى مدينة تسع طرفاتها دابة عرضها ستون ميلا ارتفاعا وأى سبيل يضم ياجوج وماجوج وأحدهم طولاً وعرضاً مائتان وأربعون ذراعاً لقد اجترأ هذا الفاسق على الله العزيز الجبار بما اختلقه على نبيه المختار فقد صح عنه باجماع من أئمة الأئمة أنه قال من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ثم يطرق إلينا تكذيب اليهود لنا فيما نقلناه عن توراتهم ويكذبوننا بسبب ذلك في كل حال . مهلم عن أم سلمة وسئلت عن الجيش الذي يخسف به وكان ذلك في أيام ابن الزبير فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ بالبيت عائذ فيبعث إليه بعث فإذا كانوا يبداء من الأرض خسف بهم فقلت يا رسول الله وكيف بما كان كارها قال يخسف به منهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته وقال أبو جعفر هي ببداء المدينة فقل عبد العزيز بن رفيع إنما قال ببداء من الأرض قال كلا إنما والله ببداء المدينة وعن عبد الله بن صفوان قال أخبرني حفصة أنها سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه حتى إذا كانوا يبيداه من الأرض يخسف بأوسطهم وينادى أولهم آخرهم ثم يخسف بهم فلا يبقى منهم إلى الشريد الذي يخبر عنهم أخرجه ابن ماجه وزاد فلما جاء جيش الحجاج ظننا أنهم هم فقال رجل أشهد أنك لم تكذب على حفصه وإن حفصه لم تكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنه عن أم المؤمنين أن رسول الله صلى الله عليه قال سيعوذ هذا البيت يعنى الكعبة قوم ليس لهم منعة ولا عدد ولا عدة يبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا يبيداه من الأرض خسف بهم قال يوسف بن ماهك وأهل الشام يومئذ يسرون إلى مكة قال عبد الله بن صفوان أما والله ما هو بهذا الجيش -

فصل

قوله ليس له منعة بفتح الميم والنون أى جماعة يمنعونه وهو مانع وهو أكثر الضبط فيه ويقال بسكون النون أيضا أى عزة وامتناع يمتنع بها اسم الفعلة من منع أو الحال بتلك الصفة أو مكان بتلك الصفة وأنكر أبو حاتم السجستاني إسكان النون وليس فى هذه الأحاديث أنه يخسف بامتعتهم وإنما فيها أنه يخسف بهم .

باب منه

آخر فى المهدي وذكر من يوطىء له ملكه

ابن ماجه عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لا يصير إلا واحد منهم ثم تطلع الريات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم فاذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله المهدي إسناده صحيح .

وخرج عن عبد الله بن الحارث بن جزالز بيدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق فيوطنون للمهدي يعنى سلطانه .

وخرج أبو داود عن علي رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث بن حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطيء أو يمكن لآل محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم كما مكنت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وجبت على كل مؤمن نصرته أو قال أعانته .

باب منه

آخر في المهدي وصفته واسمه واعطائه ومكته أنه يخرج مع

عيسى عليه السلام فيساعده على قتال الدجال

أبو داود عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون في أمتي المهدي أن قصر فسبع والا فتسع تنعم فيه أمتي نعمة لم يسمعوا بمثها قط تؤتى أكلها ولا تترك منهم شيئا والمال يومئذ كرووس . يقوم الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيقول خذ . وخرج عنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي من أجلا الجبهة أفتى الأنف يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما فيملك سبع سنين وذكر عبد الرازق أخبرنا معمر عن أبي هارون العبدى عن معاوية بن قررة عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلايا تصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتي أهل بيتي فيملأ به الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لا تدع السماء شيئا من قطرها إلا صبته مدرارا ولا تدع الأرض من نباتها شيئا إلا أخرجه حتى تمتفي الأحياء الأموات يعيش في ذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين .

ويروى هذا من غير وجه عن أبي سعيد الخدري أبو داود عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم قال زائدة في حديثه لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا من أمتي أو من أهل بيتي يواطئه اسمه ائمتي وأسم أبيه اسم أبي خروجه الترمذي بمناه وقال حديث حسن صحيح .

وفي حديثه حديثه الطويل مرصفا قوله من الدنيا إلا يوم واحد الطويل

الله ذلك اليوم حتى يأتيهم رجل من أهل بيتي تكون الملائكة بين يديه
ويظهر الإسلام .

وخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال خشينا أن يكون بعد نبينا صلى
الله علينا وسلم حدث فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم قال قلنا وما ذاك قال سنين
قال فيجىء إليه الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيحشى له في ثوبه ما استطاع أن
يحملة قال هذا حديث حسن .

وذكر أبو نعيم الحافظ من حديث محمد بن الحنفية عن أبيه علي رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي منا أهل البيت يصلحه الله عز وجل
في ليلة أو قال في يومين .

فصل

وقع في كتاب الشهاب لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا ادبارا ولا الناس
إلا شحا ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ولا مهدي إلا عيسى بن مريم قال
المؤلف رحمه الله خرجه ابن ماجه في سننه قال حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا
محمد بن إدريس الشافعي قال حدثني محمد بن خالد الجندی عن إبان بن صالح عن
الحسن عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزداد الأمر
إلا شدة فذكره قال بن ماجه لم يروه إلا الشافعي قال المؤلف رحمه الله وخرجه
أبو الحسين الأجرى قال حدثنا أبو جعفر محمد بن خالد البردعي في المسجد الحرام
حدثنا يونس بن عبد الأعلى المصري فذكره فقوله ولا مهدي إلا عيسى يعارض
أحاديث هذا الباب قليل أن هذا الحديث لا يصح لأنه انفرد بروايته محمد بن
خالد الجندی قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ الجندی هذا مجهول واختلف عليه في
إسناده قتادة يرويه عن إبان بن صالح عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم
مرسلا مع ضعف إبان وتارة يرويه عن إبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن
مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم بطوله فهو منفرده به مجهول عن إبان وهو

متروك عن الحسن منقطع والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث فالحكم لها دونه قال المؤلف رحمه الله ونور ضريحه وذكر أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي شيخ أسياننا محمد بن خالد الجندی روى عن إبان بن صالح عن الحسن البصرى وروى فيه الإمام ابن إدريس الشافعى رضى الله عنه وهو راوى حديث لامهدى إلا عيسى بن مريم وهو مجهول وقد وثقه يحيى بن معين روى له ابن ماجه قال أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم الأبرى السجزي قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواياتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم يعنى المهدي وأنه من أهل بيته وأنه سيملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلاً يخرج مع عيسى عليه السلام فيأعدده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة وعيسى صلوات الله عليه يصلى خلفه في طول من قصته وأمره .

قال المؤلف رحمه الله ويحتمل أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام ولامهدى إلا عيسى أى لامهدى كاملاً معصوماً إلا عيسى وعلى هذا تجتمع الأحاديث ويرتفع التعارض .

باب

منه فى المهدي ومن أين يخرج وفي علامة خروجه وأنه يبايع

مرتين ويقا تل السفىانى ويقتله

تقدم من حديث أم سلة وأبى هريرة أن المهدي يبايع بين الركن والمقام وظاهر هذا أنه لم يبايع قبل وليس كذلك فإنه روى من حديث ابن مسعود وغيره من الصحابة أنه يخرج فى آخر الزمان من المغرب الأقصى يمشى النصر بين يديه أربعين ميلاً رايته بيض وصفر فيها رقوم فيها اسم الله الأعظم مكتوب فلا تهزم له راية وقيام هذه الرايات وانبعثها من ساحل البحر بموضع يقال له ما سنة من قبل المغرب فيعقد هذه الرايات مع قوم قد أخذ الله لهم ميثاق النصر والظفر أولئك حزب الله إلا أن حزب الله هم المفلحون الحديث بطوله وفيه فيأتى الناس

من كل جانب ومكان فيبايعونه يومئذ يمكة وهو بين الركن والمقام وهو كاره لهذه المبايعة الثانية بعد البيعة الاولى التي بايعه الناس بالمغرب ثم إن المهدي يقول أيها الناس اخرجوا إلى قتال عدو الله وعدوكم فيجيبونه ولا يعصون له أمرا فيخرج المهدي ومن معه من المسلمين من مكة إلى الشام لمحاربة عروة بن محمد السفياي وكل من معه من كلب تم يتبدد جيشه ثم يوجد عروة السفياي على أعلى شجرة على بحيرة طبرية والخائب من خاب يومئذ من قتال كلب ولو بكلمة أو بتكبيره أو بصيحة .

فيروى عن حذيفة أنه قال قلت يا رسول الله كيف يحل قتلهم وهم مسلمون موحدون فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما إيمانهم على ردة لأنهم خوارج ويقولون برأيهم أن الحمر حلال ومع ذلك إنهم يحاربون قال الله تعالى ولما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ، وذكر الحديث وسيأتي تمامه . وخبر السفياي خرج عمر بن عبيد في مسنده والله أعلم .

وروى من حديث معاوية بن أبي سفيان في حديث فيه طول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ستفتح بعدى جزيرة تسمى بالاندلس فتغلب عليهم أهل الكفر فيأخذون من أموالهم وأكثر بدمهم ويسبون نساءهم وأولادهم ويهتكون الأستار ويخربون الديار ويرجع أكبر البلاد فيافي وقفارا وتنجلي أكثر الناس عن ديارهم وأموالهم فيأخذون أكثر الجزيرة ولا يبقى إلا أقلها ويكون في المغرب المهرج والخوف ويستولى عليهم الجوع والغلاء وتكثر الفتنة ويأكل الناس بعضهم بعضا فعند ذلك يخرج رجل من المغرب الأقصى من أهل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المهدي القائم في آخر الزمان وهو أول أشراف الساعة قال المؤلف رحمه الله كل ما وقع في حديث معاوية هذا فقد شاهدنا بتلك البلاد وعائنا معظمه إلا خروج للمهدي .

ويروى من حديث شريك أنه بلغه أن قبل خروج المهدي تكسف الشمس في رمضان مرتين والله أعلم .

وذكر الدارقطني في سننه قال حدثنا أبو سعيد الاصطخري قال حدثني محمد بن عبد الله بن نوفل حدثنا عبيد بن يعيش حدثنا يونس بن بكير عن عمر بن شمر عن جابر عن محمد بن علي قال إن لمهدينا آيتين لم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في النصف منه ولم يكونا منذ خلق الله السموات والأرض .

باب

ما جاء أن المهدي يملك جبل الديلم والقسطنطينية ويستفتح رومية وانطاكية وكنيسة الذهب وبيان قوله تعالى ، فإذا جاء وعد أولاهما الآية ،

ابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوله الله عز وجل حتى يملك رجل من أهل بيتي جبل الديلم والقسطنطينية إسناده صحيح .

وروى من حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه بعد قوله ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ثم إن المهدي ومن معه من المسلمين يأتون إلى مدينة انطاكية وهي مدينة عظيمة على البحر فيكبرون عليها ثلاث تكبيرات فيقع سورها من البحر بقدره الله عز وجل فيقتلون الرجال ويسبون النساء والأطفال ويأخذون الأموال ثم يملك المهدي انطاكية ويبني فيها المساجد ويعمر عمارة أهل الإسلام ثم يسرون إلى الرومية والقسطنطينية وكنيسة الذهب فيفتحون القسطنطينية ورومية ويقتلون بها أربع مائة ألف مقاتل ويفتضون بها سبعين ألف بكر ويستفتحون المداين والحصون ويأخذون الأموال ويقتلون الرجال ويسبون النساء والأطفال ويأتون كنيسة الذهب فيحرقونها فيها الأموال التي كان المهدي أخذها أول مرة وهذه الأموال هي التي أودع فيها طلبة الروم

قيصر حين غزا بيت المقدس فوجد في بيت المقدس هذه الاموال فأخذها واحتملها على سبعين ألف عجلة إلى كنيسة الذهب بأمرها كامله كما أخذها ما نقص منها شيئاً فيأخذ المهدي تلك الاموال فيردها إلى بيت المقدس قال خديفة قلت يارسول الله لقد كان بيت المقدس عند الله عظيماً جسماً الخطر العظيم القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من أجل البيوت ابتناه الله لسليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة ودر وياقوت وزمرد وذلك أن سليمان بن داود سخر الله له الجن فأتوه بالذهب والفضة من المعادن وأتوه بالجوهر والياقوت والزمرد من البحار يفتخرون كما قال الله تعالى وكل بناء وغواص ، فلما أتوه بهذه الاصناف بناء منها فجعل فيه بلاطاً من ذهب وبلاطاً من فضة وأعمدة من ذهب وأعمدة من فضة وزينه بالدر والياقوت والزمرد وسخر الله تعالى له الجن حتى بنوه من هذه الاصناف قال خديفة فقلت يارسول الله وكيف أخذت هذه الاشياء من بيت المقدس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بني إسرائيل لما عصوا وقتلوا الانبياء سلط الله عليهم بخت نصر وهو من المجوس فكان ملكه سبع مائة سنة وهو قوله تعالى فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا اولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدنا مفعولاً ، فدخلوا بيت المقدس وقتلوا الرجال وسبوا النساء والاطفال وأخذوا الاموال وجميع ما كان في بيت المقدس من هذه الاصناف واحتملوها على سبعين ألف عجلة حتى أودعوها أرض بابل وأقاموا يستخدمون بني إسرائيل ويستملكونهم بالخرزى والعقاب والنكال مائة عام ثم ان الله عز وجل رحمهم فأوحى الله إلى ملك من ملوك فارس أن يسير إلى المجوس في أرض بابل وأن يستنقذ ما في أيديهم من بني إسرائيل فسار إليهم ذلك الملك حتى دخل أرض بابل فاستنقذ من بقي من بني إسرائيل من أيدي المجوس واستنقذ ذلك الحلبي الذي كان في بيت المقدس ورده إليه كما كان أول مرة وقال لهم يا بني إسرائيل إن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم بالسبي والقتل وهو قوله تعالى عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا ، يعني إن عدتم إلى المعاصي عدنا عليكم العقوبة فلما رجعت بنوا إسرائيل إلى بيت المقدس عادوا إلى المعاصي فسلط الله

عليهم ملك الروم قيصر وهو قوله تعالى فاذا جاء وعد الآخرة ليسوا وجوهكم
وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تبيرا، فغزاهم في البر والبحر
فسبقتهم وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم وأخذ حلى جميع بيت المقدس واحتمله
على سبعين ألف عجلة حتى أودعه كنيسة الذهب فهو فيها إلى الآن حتى يأخذه
المهدي ويرده إلى بيت المقدس ويكون المسلمون ظاهرين على أهل الشرك فعند
ذلك يرسل الله عليهم ملك الروم وهو الخامس من آل هرقل على ما تقدم من
تمام الحديث والله اعلم.

باب

ما جاء في فتح القسطنطينية ومن أين تفتح وفتحها علامة خروج
الديجال ونزول عيسى عليه السلام وقتله آياه

مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى
ينزل الروم بالاعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ
فاذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون
لا والله لا نخلى بينكم وبين الذين هم إخواننا فيقاتلونهم فيهزم الثلث لا يتوب الله
عليهم أبدا ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتح الثلث لا يفتنون أبدا
فيفتحون القسطنطينية فيبنيها هم يقتسمون الغنائم وقد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ
صاح فيهم الشيطان أن المسيح قد خلفكم في أهلكم فيخرجون وذلك باطل فاذا جاءوا
الشام خرج فيبنيها هم يعدون للقتال ويسوون الصفوف إذا قيمت الصلاة فينزل عيسى
ابن مريم فأمهم فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لذاب حتى
يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته وخرج ابن ماجة قال حدثنا علي
ابن ميمون الرقي قال حدثنا يعقوب الجعفي عن كثير بن عبد الله بن عمر بن عون
عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون
أدنى مسالح المسلمين بيولا. ثم قال يا على يا على ثم قال يا بني قال أنكم
ستقاتلون بني الأصفر وبقاتلونهم الذين من بعدكم حتى يخرج إليهم روفة الإسلام

أهل الحجاز الذين لا يخافون في الله لومة لائم فيفتحون قسطنطينية بالتسييح والتكبير فيصيبون غنائم لم يصيخوا مثلها حتى يقتسموا بالآترسة فيأتي آت فيقول أن المسيح قد خرج إلى بلادكم الا وهي كذبة فالأخذ نادم والتارك نادم .

وخرج مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سمعت بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر قالوا نعم يا رسول الله قال لا تقوم الساعة حتى يفزوها سبعون ألفا من بني اسحق فاذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بهم قالوا لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط أحد جانبيها قال ثور لا أعلمه قال إلا الذي في البحر ثم يقولون الثانية لا إله إلا الله والله أكبر فيخرج لهم فيدخلونها فيغنمون فبينما هم يقتسمون الغنائم إذ جاءهم الصريح فقال أن الدجال قد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون .

الترمذي عن أنس قال فتح القسطنطينية مع قيام الساعة هكذا رواه موقوفا وقال حديث غريب والقسطنطينية مدينة الروم وتفتح عند خروج الدجال والقسطنطينية قد فتحت في زمن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال المؤلف رحمه الله هو عثمان بن عفان ذكر الطبري في التاريخ له ثم دخلت سنة سبع وعشرين فيها كان فتح إفريقية على يد عبد الله بن أبي سرح وذلك أن عثمان رضي الله عنه لما ولي عمرو بن العاص على عمله بمصر كان لا يعزل أحدا إلا عن شكاية وكان عبد الله بن أبي سرح من جند عثمان فأمره عثمان رضي الله عنه على الجند ورواه بالرجال وسرحه إلى إفريقية وسرح معه عبد الله بن نافع بن قيس وعبد الله بن نافع بن الحصين الفهري فلما فتح الله إفريقية خرج عبد الله وعبد الله إلى الأندلس فأتياها من قبل البحر وكتب عثمان رضي الله عنه إلى من انتدب إلى الأندلس أما بعد فإن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس وانكم ان افتتحتوها كنتم شركاء في الأجر فيقال أنها فتحت في تلك الأزمان وستفتح مرة أخرى كما في أحاديث هذا الباب والذي قبله وقد قال بعض علاننا أن حديث أبي هريرة أول الباب يدل على أنها تفتح بالقتال وحديث ابن ماجه يدل على خلاف ذلك مع حديث أبي هريرة والله أعلم .

قال المؤلف رحمه الله لعل فتح المهدي يكون لها مرتين مرة بالقتال ومرة بالتكبير كما أنه يفتح كنيسة الذهب مرتين فإن المهدي إذا خرج بالمغرب على ما تقدم جاءت إليه أهل الأندلس فيقولون يا ولي الله أنصر جزيرة الأندلس فقد بلغت وتلف أهلها وتغلب عليها أهل الكفر والشرك من أبناء الروم فيبعث كتبه إلى جميع قبائل المغرب وهم قزولة وخذالة وقذالة وغيرهم من القبائل من أهل المغرب أن أنصروا دين الله وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون إليه من كل مكان ويجيبونه ويوقفون عند أمره ويكون على مقدمته صاحب الخرطوم وهو صاحب الناقة الغراء وهو صاحب المهدي وناصر دين الإسلام وولي الله حقا فعند ذلك يبايعونه ثمانون ألف مقاتل بين فارس وراجل قد رضى الله عنهم أولئك حزب الله إلا أن حزب الله هم المفلحون فباعوا أنفسهم من الله والله ذو الفضل العظيم فيعبرون البحر حتى ينتهوا إلى حمص وهي أشبيلية فيصعد المهدي المنبر في المسجد الجامع ويخطب خطبة بليغة فيأتي إليه أهل الأندلس فيبايعه جميع من بها من أهل الإسلام ثم يخرج بجميع المسلمين متوجها إلى البلاد بلاد الروم فيفتح فيها سبعين مدينة من مدائن الروم يخرجها من أيدي العدو عنوة الحديث . وفيه ثم أن المهدي ومن معه يصلون إلى كنيسة الذهب فيجدون فيها أموالا فيأخذها المهدي فيقسمها بين الناس بالسوية ثم يجد فيها تابوت السكينة وفيها غفارة عيسى وعصى موسى عليهما السلام وهي العصا التي هبط بها آدم من الجنة حين أخرج منها وكان قيصر ملك الروم قد أخذها من بيت المقدس في جملة السبي حين سبي بيت المقدس واحتمل جميع ذلك إلى كنيسة الذهب فهو فيها إلى الآن حتى يأخذها المهدي فإذا أخذ المسلمون العصا تنازعوا عليها فكل منهم يريد أخذ العصا فإذا أراد الله تمام أهل الإسلام من الأندلس خذل الله رأيهم وسلب ذوى الألباب عقولهم فيقسمون العصا على أربعة أجزاء فيأخذ كل عسكر منهم جزءا وهم يومئذ أربع عساكر وإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم الظفر والنصر ووقع الخلاف في ذلك بينهم قال كعب الأحبار ويظهر عليهم أهل الشرك حتى يأتون البحر فيبعث الله إليهم ملكا في صورة ايل فيجوز بهم القنطرة التي بناها ذو القرنين لهذا المعنى خاصة فيأخذ الناس وراه حتى يأتوا

إلى مدينة فارس والروم وراهم فلا يزالون كذلك كلما ارتحل المسلمون مرحلة ارتحل المشركون كذلك حتى يأتوا إلى أرض مصر والروم وراهم وفي حديث حذيفة ويتملكون مصر إلى الفيوم ثم يرجعون والله تعالى اعلم .

باب

اشراط الساعة وعلامتها

فاما وقتها لا يعلمه إلا الله وفي حديث جبريل ما المسئول عنها بأعلم من السائل الحديث نخرجه مسلم .

وكذلك روى الشعبي قال لقي جبريل عيسى عليه السلام فقال له عيسى متى الساعة فانتفض جبريل عليه السلام في أجنحته وقال ما المسئول عنها بأعلم من السائل ثقلت في السموات والأرض لأنايتكم إلى بغة .

وذكر أبو نعيم من حديث مكحول عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للساعة إشراف قيل وما إشرافها قال علو أهل الفسق في المساجد وظهور أهل المنكر على أهل المعروف قال اعرابي فما تأمرني يا رسول الله قال دع وكن حلما من أحلاس بيتك غريب من حديث مكحول لم نكتبه إلا من حديث حمزة النصيبي عن مكحول .

فصل

قال العلماء رحمهم الله تعالى والحكمة في تقديم الاشراف ودلالة الناس عليها تنبيه الناس عن رقبتهم وحثهم على الاحتياط لانفسهم بالتوبة والانابة كي لا يباغثوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم فيبغى للناس أن يكونوا بعد ظهور إشراف الساعة قد نظروا لانفسهم وانقطعوا عن الدنيا واستعدوا للساعة الموعود بها والله أعلم وتلك الاشراف علامة لانتهاء الدنيا وانقضائها فنها خروج الدجال ونزول عيسى وقتله الدجال ومنها خروج ياجوج وماجوج ودابة الأرض ومنها طلوع الشمس من مغربها هذه هي الآيات العظام على ما يأتي بيانه وأما ما يتقدم

من هذه من قبض العلم وغلبة الجهل واستيلاء أهله وبيع الحكم وظهور المعازف واستفاضة شرب الخور واكتفاء النساء بالنساء والرجال بالرجال وإطالة البنيان وزخرفة المساجد وإمارة الصبيان ولعن آخر هذه الأمة أولها وكثرة الهرج فإنها أسباب حادثة ورواية الأخبار المنذرة بها بعد ما صار الخبر بها عيانا تكلف لكن لا بد من ذكرها حتى يوقف عليها ويتحقق بذلك معجزة النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه في كل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم .

باب

قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين

مسلم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى .

وروى من طرق أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه رضى الله عنهم ومعناها كلها على اختلاف ألفاظها تقریب من الساعة التي هي القيامة وسرعة مجيئها وهذا كما قال الله تعالى : فقد جاء اشراطها ، وقوله : وما أمر الساعة إلا كلمح البصر ، وقوله تعالى : اقرب للناس حسابهم ، وقوله تعالى : اقربت الساعة وانشق القمر ، وقال : أتى أمر الله فلا تستعجلوه .

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه قوله تعالى : أتى أمر الله ، وثب فلما أنزل فلا تستعجلوه ، جلس قال بعض العلماء إنما وثب عليه الصلاة السلام خوفا منه أن تكون الساعة قد قامت وقال الضحاك والحسن أول اشراطها محمد صلى الله عليه وسلم وروى موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال على عليه السلام من اقرب الساعة ظهور البواسير وموت الفجاءة .

فصل

أن قيل ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن الساعة فقال ما المسئول عنها بأعلم من السائل الحديث فهذا يدل على أنه لم يكن عنده علم وزويم عنه أنه (م ٤٠ - تذكرة)

قال بعثت أنا والساعة كهاتين وهذا يدل على أنه كان عالما فكيف يتألف الخبران
قيل له قد نطق القرآن بقوله الحق دقل إنما عليها عند ربى ، الآية فلم يكن يعلمها هو
ولا غيره وأما قوله بعثت أنا والساعة كهاتين فعناه أن النبي الأخير فلا يلينى نبى آخر
ولما تلينى القيامة كما تلى السابة الوسطى وليس بينهما اصبع أخرى وهذا لا يوجب
أن يكون له علم بالساعة نفسها وهى مع ذلك كائنة لأن أشراتها متتابعة وقد ذكر
الله الاشراط فى القرآن فقال ، فقد جاء أشراتها ، أى دنت وأولها النبي صلى الله عليه وسلم
لأنه نبى آخر الزمان وقد بعث وليس بينه وبين القيامة نبى ثم بين صلى الله عليه
وسلم ما يليه من الاشراط فقال أن تلد الأمة ربها إلى غير ذلك مما سنذكره ونبينه
بحول الله تعالى فى أبواب إن شاء الله تعالى .

باب

أمر تكون بين يدي الساعة

البخارى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة
حتى يقتل فستان عظيمتان يكون بينهما مقالة عظيمة دعواهما واحدة وحتى يبعث
دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم
ويكثر الزلازل ويتقارب الزمان ويظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى
يكثر فيكم المال فيفيض وحتى يهم رب المال من يقبل صدقته وحتى يمرضه فيقول
الذى يمرضه عليه لا أرب لى فيه وحتى يتناول الناس فى البنيان وحتى يمر الرجل
بقبر الرجل فيقول باليتنى مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورءاها
الناس أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت
فى إيمانها خيرا ، ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتباعدانه ولا يطويانه
ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقوم الساعة وهو
يليط حوضه فلا يسقى (١) فيه ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها .

(١) وفى نسخة إبله فيه

فصل

قال علماؤنا رحمة الله عليهم هذه ثلاث عشرة علامة جمعها أبو هريرة في حديث واحد ولم يبق بعد هذا ما ينظر فيه من العلامات والاشراط في عموم إنذار النبي صلى الله عليه وسلم بفساد الزمان وتغيير الدين وذهاب الامانة ما يغني عن ذكر التفاصيل الباطلة والاحاديث المكاذبة في اشراط الساعة من ذلك حديث .

رواه عن قتادة عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في سنة مائتين يكون كذا وكذا وفي العشر والمائتين يكون كذا وكذا وفي العشرين كذا وفي الثلاثين كذا وفي الخمسين كذا وفي الستين والمائتين تعتكف الشمس ساعة فيموت نصف الجن والإنس فهل كان هكذا وقد مضت هذه المدة وهذا شيء يعم وسائر الامور التي ذكرت قد تكون في بلدة وتخلوا منه أخرى فهذا عكوف الشمس لا يخلوا منه أحد في شرق ولا غرب فإن كان المائتين من الهجرة فقد مضت وإن كان من موت النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضت وأيضا دلالة أخرى على أنه مفتعل أن التاريخ لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما وضعوه على عهد عمر رضي الله عنه فكيف يجوز هذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقال في سنة مائتين أو سنة عشرين ومائتين ولم يكن وضع شيء من التاريخ .

وكذلك ما روى عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا كانت سنة تسع وتسعين وخمس مائة يخرج المهدي في أمته على خلاف من الناس يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض ويفتح الله له كنوز الأرض وتنزل السماء قطرها وتخرج الأرض ثمرها ويزرع الزارع في الأرض صاعا فيصيب مائة صاع ويذهب الغلاء والقحط والجوع عن الناس ويجوز إلى الأندلس ويقم فيها ويملكها تسع سنين ويستفتح فيها سبعين مدينة من مدائن الروم ويغنم رومية وكنيسة الذهب فيجد فيها تابوت السكينة وفيها غفارة عيسى

وعصى موسى عليهما السلام فيكفرون العصا على أربعة أجزاء فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم النصر والظفر ويخرج عليهم ذوالعرف في مائة ألف مقاتل بعد أن يتحالف الروم أنهم لا يرجعون أو يموتون فينهمز المسلمون حتى يأتوا سرقسطة البيضاء فيدخلونها بإذن الله تعالى ويكرم الله من فيها بالشهادة ولا يكون للمسلمين بعد خراب سرقسطة سكنى ولا فرار بالانديلس وينتهون إلى قرطبة فلا يجدون فيها أحد لما أصاب الناس من شدة الفزع من الروم يهربون من الاندلس يريدون العدو فإذا اجتمعوا على ساحل البحر ازدحموا على المراكب قيموت منهم خلق كثير فينزل الله إليهم ملكا في صورة ابل فينجوا من نجا وغرق من غرق فيملك الروم الاندلس إلى خروج الدجال .

قال المؤلف رحمه الله كل ما جاء في هذا الحديث فذكر في حديث حذيفة وغيره وإنما تعيين التاريخ وقد كان سنة تسع وتسعين وخمس ومائة ولم يكن شيء من ذلك بل كان بالاندلس تلك السنة وقعة الأرك التي أهلك الله فيها الروم ولم يزل المسلمون في نعمة وسرور إلى سنة تسع وستائة فكانت فيها وقعة العقاب هلك فيها كثير من المسلمين ولم يزل المسلمون في تلك الوقعة بالاندلس يرجعون القهقري إلى أن استولى عليهم العدو وغلبهم بالفتن الواقعة بينهم والتفصيل يطول ولم يبق الآن من الاندلس إلا اليسير فنعوذ بالله من الفتن والحذلان والمخالفة والعصيان وكثرة الظلم والفساد والعدوان والذي ينبغي أن يقال به في هذا الباب أن ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن والكوائن إن ذلك يكون وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا يحتاج إلى طريق صحيح يقطع العذر وإنما ذلك كوقت قيام الساعة فلا يعلم أحد أي سنة هي ولا أي شهر إما أنها تكون في يوم جمعة في آخر ساعة منه وهي الساعة التي خلق الله فيها آدم عليه السلام ولكن أي جمعة لا يعلم تعيين ذلك اليوم إلا الله وحده لا شريك له وكذلك ما يكون من الاشارات تعيين الزمان لها لا يعلم والله أعلم وقد سمعت من بعض أصحابنا أن ما وقع من التاريخ في حديث أبي سعيد الخدري إنما ذلك بعد المائة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم أن يعيش هذا الغلام فعسى أن

لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة وفي رواية قال أنس ذلك الغلام من أنرابي يومئذ خرج مسلم .

وفي حديث جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على الأرض نفس منفوسة يعني اليوم يأتي عليها مائة سنة قال أبو عيسى هذا الحديث حسن صحيح ومعلوم أن أنس توفي في عشر المائة بالبصرة فعلى هذا يكون سنة سبع وتسعين وست مائة وهذا لم يحجى بعد فآله تعالى أعلم .

قال المؤلف رحمه الله وبحديث أبي سعيد الخدري وابن عمر وجابر استدل من قال أن الخضر ميت ليس بحى وقال الثعلبي في كتاب العرائس والخضر على جميع الأقوال نبى معمر محبوب عن الأبصار وذكر عن عمرو بن دينار قال أن الخضر والياس لا يزالان يحييان فى الأرض فإذا رفع القرآن ماتا وهذا هو الصحيح فى الباب على ما بيناه فى سورة الكهف من كتاب جامع أحكام القرآن والحمد لله .

فصل

وأما الثلاث عشرة خصلة فقد ظهر أكثرها من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لا تقوم الساعة حتى يقتل فتان عظيمتان دعواهما واحدة يريد فيه معاوية وعلياً كرم الله وجهه بصفين وقد تقدم الإشارة إليهما وقال القاضى أبو بكر بن العربى وهذا أول خطب طرقي فى الإسلام .

قال المؤلف رحمه الله بل أول أمر دم الإسلام موت النبى صلى الله عليه وسلم ثم بعده موت عمر فموت النبى صلى الله عليه وسلم انقطع الوحي وماتت النبوة وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه قال أبو سعيد ما نقصنا أيدينا من التراب من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا قلوبنا وقال أبو بكر الصديق فى أبيات يرثى بها النبى صلى الله عليه وسلم .

فلتحدثن حوادث من بعده تعنى (١) بين جوانح وصدور

(١) من عنى عناه أى تعب جمع جانحة وهى الأضلاع التى تحت التراب بما يلى الصدر كالضلع بما يلى الظهر اهـ

وقالت صفية بنت عبد المطلب في أبيات تروى بها النبي صلى الله عليه وسلم
لعمرك ما أبكى النبي لفقره ولكن ما أخشى من الهرج اتيا
وبموت عمر سل سيف الفتنة وقتل عثمان وكان من قضاء الله وقدره ما يكون
وكان على ما تقدم وقوله حتى يبعث دجالون كذابون الدجال ينطلق في اللغة على
أوجه كثيرة يأتي ذكرها. أحدها الكذاب كما جاء في هذا الحديث . وصحيح مسلم
يكون في آخر الزمان دجالون كذابون الحديث ولا يجمع ما كان على فعال جمع التفسير
عند الجماهير من النحويين لثلا يذهب بنا المبالغة منه فلا يقال إلا دجالون كما قال
عليه الصلاة والسلام وإن كان قد جاء مكسرا وهو شاذ انشد سيبويه لابن مقبل .
إلا الإفادة فاستولت ركائبنا عند الجباير بالبأساء والنقم

وقال مالك بن أنس في محمد بن اسحاق إنما هو دجال من الدجاجة نحن
أخرجناه من المدينة قال عبد الله بن إدريس الأودي وما عرفت إن دجالا يجمع
على دجالة حتى نسمعتها من مالك بن أنس .

وقوله قريب من ثلاثين قد جاء عددهم معينا في حديث حذيفة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تكون في أمي دجالون كذابون سبعة وعشرون منهم أربع
نسوة وأنا خاتم النبيين ولا نبي بعدى خرج أبو نعيم الحافظ وقال هذا حديث
غريب تفرب به معاوية بن هشام ووجد في كتابه بخط أبيه حدث به أحمد بن حنبل
عن علي بن المديني وقال القاضي عياض هذا الحديث قد ظهر فلوعد من تنبأ من
زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى الآن من اشتهر بذلك وعرف واتبعه جماعة على
ضلالته لوجد هذا العدد فيهم ومن طالع كتب الاخبار والتواريخ عرف صحة هذا
وقوله حتى يقبض العلم فقد قبض العمل به ولم يبق إلا رسمه على ما يأتي بيانه وقوله
وتكثر الزلازل فقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي أنه وقع منها بعراق العجم كثير
وقد شاهدنا بعضها بالاندلس وسيأتي وقوله ويتقارب الزمان قيل المعنى يتقارب
أحوال أهله في قلة الدين حتى لا يكون فيهم من يأمر بالمعروف ولا ينهى عن
المنكر كما هو اليوم لغلبة الفسق وظهور أهله وفي الحديث لا يزال الناس بخير
ما تفاضلوا فإذا تساوا هلكوا يعني لا يزالون بخير ما كان فيهم أهل فضل وصلاح

وخوف الله عز وجل يلجأ إليهم عند الشدائد ويستسقى بأرائهم ويتبرك بذعائهم وأثارهم وقيل غير هذا حسب ما تقدم في باب لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه :

وقوله حتى يكثر فيكم المال فيفيض وحتى بهم رب المال من يقبل صدقته هذا مما يقع بل يكون على ما يأتي ورب مفعول بهم ومن يقبل فاعل بهم يقال أهمنى ذلك الأمر أحزنتى وأقلقتى وهمه يهمله إذا بالغ في ذلك وقوله حتى يتناول الناس في البيان هذا مشاهد في الوجود مشاهدته تغنى عن الكلام فيه .

وقوله حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتنى مكانه ذلك لما يرى من عظيم البلاء ورج الأعداء وغبن الأولياء ورياسة الجهلاء وخمول العلماء واستيلاء الباطل في الأحكام وعموم الظلم والجهر بالمعاصي واستيلاء الحرام على أموال الخلق والتحكم في الأبدان والأموال والأعراض بغير حق كما في هذا الزمان وقد تقدم أول الكتاب حديث أبي عيسى الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم بادروا بالأعمال ستا الحديث .

وروى الأعمش سليمان بن مهران عن عمرو بن مرة عن أبي نضرة عن عبد الله بن الصامت قال قال أبو ذر رضى الله عنه يوشك أن يأتي على الناس زمان يغبط فيه خفيف الحاذ كما يغبط اليوم أبو عشرة ويغبط الرجل باختفائه عن السلطان وجفائه عنه كما يغبط اليوم بمعرفته إياه وكرامته عليه وحتى تمر الجنازة في السوق على الجماعة فينظر إليها الرجل تهتز بهذا رأسه فيقول يا ليتنى مكان هذا قال قلت يا أبا ذر وان ذلك من أمر عظيم قال أجل يا ابن أخي عظيم عظيم .

قال المؤلف رحمه الله هذا هو ذلك الزمان الذي قد استولى فيه الباطل على الحق وتغلب فيه العبيد على الأحرار من الخلق فباعوا الأحكام ورضى بذلك منهم الحكم فصار الحكم مكسا والحق عكسا لا يوصل إليه ولا يقدر عليه بدلوا دين الله وغير واحكم الله سماعون للكذب أكالون للسحت وهم لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون، في الكفار خاصة كلها وقيل عامة فن بدل حكم

الله وغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر
وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود
والنصارى قال فمن .

ولقد أحسن بن المبارك حيث يقول في أبيات له :

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

وقوله حتى تطلع الشمس من مغربها إلى آخره يأتي القول فيه إن شاء الله تعالى
واللقحة الناقة الغزيرة اللبن ويبيط يصلح يقال لاط حوضه يليطة ويلوطه ليطا ولوطا إذا
لطحه بالطين وأصلحه والأكلة بضم الهمزة اللقمة فإذا كانت بمعنى المرة الواحدة فهي
بالفتح لأنها مصدر وهي المرة الواحدة من الأكل كالضربه من الضرب فأخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يعاجله من أمر الساعة ما يمنع من تمام فعله واقتراب من
ذلك رفع الأكلة وهي اللقمة إلى فيه فتقوم الساعة دون بلوغها إليه وكذلك
القول في المتبايعين من نشر الثوب وطيه فاعله .

باب منه

أبو نعيم الحافظ عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيكون في آخر الزمان عباد جهال وقراء فسقة هذا حديث غريب من حديث ثابت
لم نكتبه إلا من حديث يوسف بن عطية عن ثابت وهو قاض بصرى في
حديثه نكارة .

قال المؤلف رحمه الله صحيح المعنى لما ظهر في الوجود من ذلك وقال مكحول
يأتي على الناس زمان يكون عالمهم أنثى من جيفة حمار .

وقد خرج الترمذي الحكيم في نوادر الأصول قال حدثنا أبي رحمه الله قال
حدثنا حوشب بن عبد الكريم حدثنا حماد بن زيد عن إبان عن أنس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان ديدان القراء فن أدرك ذلك
الزمان فليتموذ بالله من الشيطان الرجيم وهم الانتنون ثم تظهر قلانس البره

فلا يستحي يومئذ من الزنا والتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجرة والتمسك يومئذ بدينه أجره كأجر خمسين قالوا منا أو منهم قال بل منكم .

وأخرج الدارمي أبو محمد قال أخبرنا محمد بن المبارك حدثنا صدقة بن خالد عن ابن جابر عن شيخ يكنى أبا عمرو عن معاذ بن جبل قال سبى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب فيتهافت يقرءونه لا يجدون له شهوة ولا لذة يلبسون جلود الضان على قلوب الذئاب أعمالهم طمع لا يخالطهم خوف إن قصدوا قالوا سبنا وإن أساءوا قالوا سيغفر لنا إنا لا نشرك بالله شيئاً وقد تقدم في باب وقودها الناس والحجارة، حديث العباس بن عبد المطلب وفيه ثم يأتي أقوام يقرأون القرآن فإذا قرأوه قالوا من أقرأ منا من أعلم منا ثم التفت إلى أصحابه فقال هل ترون في أولئك من خير قالوا لا قال أولئك منكم وأولئك من هذه الأمة وأولئك هم وقود النار .

باب منه

مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تضطرب البيات دوس حول ذي الخناسة وكانت صنما نعبدها دوس في الجاهلية .

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تذهب الليالي حتى يملك رجل يقال له الجهجاه في غير مسلم رجل من الموالى يقال له جهجاه فسقط من رواية الجلودى من الموالى وهو خطأ وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه . وخرج البخارى ومسلم عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى .

الترمذى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستخرج نار من حضرموت قبل القيامة قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال عليكم بالشام قال حديث حسن غريب صحيح من حديث ابن عمر . البخارى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال أول إشارة الساعة نار تحترق الناس من المشرق إلى المغرب .

الترمذی عن حذيفة بن الیمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا امامكم وتجتلدوا بأسيا فكم ويرث دنياكم شراركم قال هذا حديث حسن غريب خرج ابن ماجه أيضا .

وذكر عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال جاء ذئب إلى راعي غنم فأخذ منها شاة فطلبه الراعي حتى انتزعها منه قال فقعد الذئب على تل فاقعى واستقر وقال عمدت إلى رزق رزقنيه الله أخذته ثم انتزعته مني فقال الرجل بالله إن رأيت كاليوم ذئب يتكلم فقال الذئب أعجب من هذا رجل في التخللات بين الحرتين يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم قال فكان الرجل يهوديا فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وأسلم فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم أنها أمارات بين يدي الساعة قد يوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى يحدثه نعلاة وسوطه بما (۱) أحدث أهله بعده ويروى هذا عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعي إلا أن من اشراط الساعة كلام السباع للإنس والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وحتى تكلم الرجل عذبة صوته وشراك نعلة ويخبره نخذه بحديث أهله بعده .

الترمذی عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله ويخبره نخذه بما أحدث أهله بعده قال هذا حديث حسن غريب صحيح لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل والقاسم بن الفضل ثقة مأمون .

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية حكى أبو عيسى بصحته ونظرنا سنده دون أن نقله فوجدنا له علة قال أبو عيسى حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا أبي عن القاسم بن الفضل قال حدثنا أبو نضرة العبدى عن أبي سعيد الخدري فذكره قال ابن دحية سفيان بن وكيع لم يخرج له البخارى ومسلم حرفا واحدا في صحيحهما وذلك بسبب

(۱) لعل هذا شئ مسينخترع كما اخترعوا اجل ما اشار به صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويمكن تفسير ذلك بالشريط الذى يسجل الصوت وكذا الصورة فيما نعله الآن . وقد ألف الامام المجتهد الحافظ السيد احمد بن الصديق قدس الله سره في ذلك مؤلف قيم جداً لم يؤلف مثله فيما اعلم اسمه مطابقة للاختراعات المصرية بما أخبر به سيد البرية ففيه العجب العجاب والله الهادى للصواب أحمد مرسي

وراق كان له يدخل عليه الحديث الموضوع يقال له قرظمة قال البخاري يتكلمون في سفیان لأشياء لقرنه إياها .

وقال أبو محمد بن عدي كان سفیان إذا لقن يتاقن فهذه علة الحديث التي جهلها أبو عيسى الترمذي .

مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض وحتى يخرج الرجل ذكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجاً وانهاراً .

فصل

حول ذي الخلفة ثبت حديث ذي الخلفة في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جرير بن عبد الله البجلي إلى هذا البيت قال جرير فنشرت إليها في مائة وخمسين من أحسن فكسرها وقتلنا من وجدنا عنده قال أبو الخطاب بن دحية وذو الخلفة بضم الخاء واللام في قول أهل اللغة والسير وبفتحها قيدناه في الصحيحين وكذا قال ابن هشام وقيدته الإمام أبو الوليد الكنانى الوقشى بفتح الخاء وسكون اللام وكذا قال ابن زيد واختلف فيه فقيل هو بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب وقيل هو صنم كان عمرو بن لحي نصبه بأسفل مكة حتى نصبت الأصنام في مواضع شتى وكانوا يلبسونه القلائد ويلقون عليه بيض النعام ويذبحون عنده وقيل ذو الخلفة هي الكعبة اليمانية فكان معنهم في تسميتها بذلك أن عبادة نخالصة والمعنى المراد بالحديث أنهم يرتدون ويرجعون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان فترسل نساء دوس طائفات حوله فترتج أردافهن عند ذلك في آخر الزمان وذلك بعد موت جميع من في قلبه مثقال حبة من إيمان وهو كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تذهب الأيالي والأيام حتى تعبد اللات والعزى الحديث وسيأتي بكماله .

وقوله يسوق الناس بعصاه كناية عن استقامة الناس وانعقادهم إليه وانفاقهم عليه ولم يرد نفس العصاة وإنما ضرب بها مثلاً لطاعتهم له واستيلائه عليهم إلا أن في ذكرها دليلاً على خشونته عليهم وعنفه بهم وقد قيل أنه يسوقهم بعصاة كما

تساق الإبل والماشية وذلك لشدة عنفه وعدواه ولعل هذا الرجل القحطاني هو الرجل الذي يقال له الجهجاه وأصل الجهجة الصياح بالسبع يقال جهجت بالسبع أي زجرته بالصياح ويقال جهجة عنى أي أنته وهذه الصفة توافق ذكر العصى والله أعلم. وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عائذ بن عمرو وكان ممن بايع تحت الشجرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن شر الرعاة الحطمة والرعاة في اللغة جمع راع وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا مثلاً لوالى السولان الحطمة هو الذي يعنف بالابل في السوق والإيراد والإصدار فيحطمها أي يكسرها ولا يكاد يسلم من فساده شيء وسواق حطم كذلك يعنف في سوقه وقوله حتى تخرج نار من أرض الحجاز فقد خرجت نار عظيمة وذلك ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستائة إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت وظهرت النار بقرطبة عند قاع التنعيم بطرف الحرة يحيط بها ترى في صورة البلد العظيم كأعظم ما يكون من البلدان عليها سور يحيط بها عليه شرافات كشرافات الحصون وأبراج وموادن ويرى رجال يقودونها لانمر على جبل إلا دكته وأذابته ويخرج من بجمع ذلك نهر أحمر ونهر أزرق له دوى كدوى الرعد يأخذ الصخور والجبال بين يديه وينتهى إلى البحرة محط الركب العراقي فاجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم وانتهت النار إلى قرب المدينة وكان يلي المدينة ببركة النبي صلى الله عليه وسلم نسيم بارد ويشاهد من هذه النار غليان كغليان البحر وانتهت إلى قرية من قرى اليمن فأحرقها قال لي بعض أصحابنا ولقد رأيتها صاعدة في الهواء من جحر مسيرة خمسة أيام من المدينة .

قال المؤلف رحمه الله وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى ثم نشأ من بعد هذه النار أخرى أرضية بحرم المدينة أحرفت جميع الحرم حتى أنها أذابت الرصاص التي العمدة عليها فوقعت ولم يبق غير السور واقفاً ونشأ بعد ذلك أخذ بغداد بتغلب التتر عليها فقتل من كان فيها وسباه وذلك عمود الإسلام وماؤه فانتشر الخوف وعظم الكرب وعم الرعب وكثر الحزن بانتشار التتر في البلاد وبقي الناس حيارى سكارى بغير خليفة ولا أمام فزادت المحنة وعظمت

الفتنة إن لم يتدارك الله سبحانه بالعمو والفضل والمنه أما قوله وستخرج نار من
حضر موت أو من نحو حضر موت قبل القيامة فاعلمها النار التي جاء ذكرها في
حديث حذيفة .

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقصدنكم اليوم نار هي اليوم خامدة
في واد يقال له برجوت تغشى الناس فيها عذاب أليم تأكل الأنفس والأموال تدور
الدنيا كلها في ثمانية أيام تطير طير الريح والسحاب حرها بالليل أشد من حرها
بالنهار ولها بين الأرض والسماء دوى كدوى الرعد القاصف هي من رؤوس الخلائق
أدنى من العرش قلت يا رسول الله هي يومئذ على المؤمنين والمؤمنات قال وأين
المؤمنون والمؤمنات يومئذ هم شر من الحر يتسافدون كما تتسافد البهائم وليس فيهم
رجل يقول مه مه كذا رواه أبو نعيم الحافظ في باب مكحول أبي يعبد الله امام أهل
الشام عن أبي سلة عنه عن حذيفة .

وقوله عذبة سوطه يريد السير المعلق في طرف السوط وفي هذا الحديث ما يرد
على كفرة الأطباء والزنادقة الملحدين وأن الكلام ليس مرتباً بالهبة والبلة وإنما
البارى جلت قدرته يخلقه متى شاء في أي شيء شاء من جماد أو حيوان على ما قدره
الخالق الرحمن فقد كان الحجر والشجر ينزلان عليه صلى الله عليه وسلم تسليم من
نطق وتكلم ثبت ذلك في غير ما حديث وهو قول أهل أصول الدين في القديم
والحديث وثبت باتفاق حديث البقرة والذئب وأنها تكلمتا على ما أخبر عنهما صلى
الله عليه وسلم في الصحيحين قاله ابن دحية وقوله حتى تعود أرض العرب مروجاً
وأناها أخصاباً عن خروج عادتهم من إنتاج الكلاء ومواضع العشب بحفر
الأنهار وغرس الأشجار وبناء الديار .

باب منه آخر

أبو عمر بن عبد البر عن أبي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أن بين
يدي الساعة التسليم على الخاصة ونحو التجارة حتى تعيب المرأة زوجها على التجارة .

وقطع الارحام ونشو القلم وظهور شهادة الزور وكتبان شهادة الحق قال ابو عمر
ابن عبد البر اما قوله ونشو القلم فإنه أراد ظهور الكتاب خرجه أبو جعفر الطحاوى
بلفظه ومعناه إلا أنه قال حتى تعين المرأة بدل تعيب ولم يذكر وقطع الارحام
ذكره أبو محمد عبد الحق .

وخرج أبو داود الطيالسى قال حدثنا ابن فضاله عن الحسن قال قال عمر بن ثعلب
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن من إشارات الساعة أن تقاتلوا قوما
نعاهم الشعر وأن من إشارات الساعة أن تقاتلوا قوما كان وجوههم المجان المطرقة
وأن إشارات الساعة أن تكثر التجارة ويظهر القلم .

وذكر ابن المبارك بن فضالة عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم وينمض المال ويظهر القلم وتكثر التجارة قال الحسن
لقد أتى علينا زمان إنما يقال تاجر بنى فلان وكاتب بنى فلان ما يكون فى الحى
إلا التاجر الواحد والكاتب الواحد وذكره أبو داود الطيالسى عن عبد الله بن
مسعود قال كان يتمال أن من إشارات الساعة أن تتخذ المساجد طرقا وأن يسلم
الرجل على الرجل بالمعرفة وأن يتجر الرجل وامراته جميعا وأن يفلوا مهور النساء
والخيل ثم يرخص فلا تغلوا إلى يوم القيامة .

باب منه

البخارى عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن من
أشراط الساعة أن يقل العلم ويظهر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء وتقل الرجال
حتى يكون خمسين امرأة القيم الواحد أخرجه مسلم من حديث أنس مسلم عن أبي
موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل
بالصدقة من الذهب لا يجد أحدا يأخذها منه ويرى الرجل الواحد يتبعونه أربعون
امرأة تلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء .

فصل

قوله ويرى الرجل يتبعه أربعون امرأة يريد والله أعلم أن الرجال يقتلون في الملاحم وتبقى نساؤهم أرامل فيقبلن على الرجل الواحد في قضاء حوائجهن ومصالح أمورهن كما قال في الحديث الآخر قوله حتى يكون لخمسین امرأة القيم الواحد الذي يسوسهن ويقوم عليهن من بيع وشراء وأخذ وعطاء وقد كان هذا عندنا أو قريب منه بالاندلس وقيل أن لقلّة الرجال وغلبة الشبق على النساء يتبع الرجل الواحد أربعون امرأة كل واحدة تقول أنكحني أنكحني والاول أشبه ويكون معنى يلذن يستترن ويتحرزن من الملاذ الذي هو السترة لا من اللذة .

ولقد أخبرني صاحبنا أبو القاسم رحمه الله أخو شيخنا أبو العباس أحمد ابن عمر رحمه الله أنه ربط نحواً من خمسين امرأة واحدة بعد أخرى في جبل واحد مخافة سبي العدو ولما خرجوا من قرطبة أعادها الله وأما ظهور الزنا فذلك مشهور في كثير من الديار المصرية. من ذلك مائور ومن ذلك إظهار الخمر والمأخور نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . وأما قلة العلم وكثرة الجهل فذلك شائع في جميع البلاد ذائع أعنى يرفع العلم وقلة ترك العمل به كما قال عبد الله بن مسعود ليس حفظ القرآن بحفظ حروفه ولكن إقامة حدوده ذكره ابن المبارك وسيأتي هذا المعنى مبيناً مرفوعاً إن شاء الله تعالى .

باب

كيف يتقبض العلم

البخارى ومسلم رحمهما الله عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعاً ولكن ينزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم فيبقى ناس جهال يفتنون برأيهم فيضلون ويضلون .

وفي رواية حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فستلوا فافتوا بتغير علم
فضلوا وأضلوا انتزاعا مصدر من غير اللفظ كما قال الله عز وجل وانه أنبتكم من
الأرض نباتا ،

أبو داود عن سلامة بن الحر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من اشراط الساعة أن يتدافع أهل المسجد الإمامة فلا يجدون إماما يصلى بهم .

باب

ما جاء أن الأرض تخرج ما في جوفها من الكنوز والاموال

روى الأئمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الفرات
أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا وفي رواية عن جبل من ذهب
لفضل البخاري ومسلم وقال مسلم في رواية فيقتل الناس عليه فيقتل من كل مائة
تسعة وتسعون ويقول كل واحد منهم لعلى أكون أنا الذى أنجو وقال ابن ماجه فيقتل
الناس عليه فيقتل من كل عشرة تسعة .

وخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تقوى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجىء القسائل
فيقول فى هذا قتلت ويجىء القاطع فيقول فى هذا أقطعت رحى ويجىء السارق
فيقول فى هذا أقطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا لم يذكر الترمذي
السارق وقطع يده وقال حديث حسن صحيح غريب .

فصل

قال الحلبي رحمه الله فى كتاب منهاج الدين له وقال عليه الصلاة والسلام يوشك
أن يحسر الفرات عن جبل من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا فيشبه أن يكون
هذا فى آخر الزمان الذى أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن المال يفيض فيه فلا
يقبله أحد وذلك زمن عيسى عليه السلام فلعل بسبب هذا الفيض العظيم ذلك

الجبل مع ما يغمه المسلمون من أموال المشركين ويحتمل أن يكون نبيه
عن الأخذ من ذلك الجبل لتقارب الأمر وظهور أشرافه فإن الركون إلى الدنيا
والاستكثار مع ذلك جهل واغترار ويحتمل أن يكون إذا حرصوا على النيل منه
تدافعوا وتقاتلوا ويحتمل أن يكون لا يجرى به مجرى المعدن فإذا أخذوا أحدهم
ثم لم يجد من يخرج حق الله إليه لم يوفق بالبركة من الله تعالى فيه فكان الانقباض
عنه أولى .

قال المؤلف رحمه الله التأويل الاوسط هو الذى يدل عليه الحديث والله أعلم .

باب

في ولاة آخر الزمان وصفتهم وفيمن ينطق في أمر العامة

البخارى عن أبي هريرة قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في
مجلس يحدث القوم إذ جاء إعرابي فقال متى الساعة فضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع
ما قال حتى إذا قضى حديثه قال ابن السائل عن الساعة قال ها أنا ذا يا رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) قال إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال وكيف أضاعتها قال
إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية رحمه
الله الرواية الصحيحة عند جميع رواة البخارى إذا وسد ورواه الفقيه الإمام المحدث
أبو الحسن القاسمى أسد قال والذى احفظ وسد وفي نسخه من البخارى إشكال بين
وسدا ووسد على ما قيد له لأنه كان أعنى وهما بمعنى قال أهل اللغة يقال أساد
ووسادواشقا فها واحد يقال أساد ووسادة ووساد فعنى قوله صلى الله عليه وسلم
إذا وسد الأمر إلى غير أهله أى أسند وجعل إليهم وقلده بمعنى الإمارة كما في زماننا
اليوم لأن الله تعالى ائتمن الأئمة والولادة على عباده وفرض عليهم النصيحة لهم
لقوله صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فينبغى لهم تولية أهل
الدين والأمانة للنظر في أمور الأمة فإذا قلدها غير أهل الدين فقد ضيعوا الأمانة
النبى فرض الله عليهم .

(م - ٤١ التذكرة)

وخرج مسلم من حديث جبريل الطويل وفيه قال أخبرني عن الساعة قال ما للسؤال عنها بأعلم من السائل قال فأخبرني عن إماراتها قال أن تلد الأمة ربها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البنيان .

وفي رواية إذا رأيت المرأة تلد ربها فذاك من اشراطها وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الارض فذاك من اشراطها .

الترمذي عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدينيا لكع ابن لكع قال حديث حسن غريب إنما نعرفه من حديث عمرو بن أبي عمرو وخرج الفيلاني أبو طالب محمد حدثنا أبو بكر والشافعي حدثنا موسى بن سهل بن كثير أخبرنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عبد الملك بن قدامة عن المتبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مياتي على الناس سنوات خـدعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة قيل يا رسول الله وما الرويبضة قال الرجل التافه ينطق في أمر العامة وقال أبو عبيد التافه الرجل الخسيس الخامل من الناس وكذلك كل شيء خسيس فهو تافه قال وما ثبت حديث الرويبضة الحديث الآخر أنه قال من اشراط الساعة أن ترى رعاء الشاة رؤس الناس وأن ترى المرأة الجوع يتبارون في البنيان وأن تلد الأمة ربها وذكر أبو عبيد في الغريب له في حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ويخون الأمين ويؤتمن الخائن وتهلك الوعول ويظهر التحوت قالوا يا رسول الله وما الوعول وما التحوت قال الوعول وجوه الناس والتحوت الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم وأنشدوا شعر .

أيا دهرنا عملت بنا إذاكا	ووليتنا بعد وجه قفاكا
قلبت الشرار علينا رهوسا	وأجلست سفلتنا مستواكا
فيا دهران كنت عاديتنا	فها قد صنعت بنا ما كفاكا

وقال آخر :

ذهب الرجال الاكرمون ذروا الحجبا	والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم	بعضا ليدفع معور عن معور

فصل

قال علناؤنا رحمة الله عليهم ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وغيره مما تقدم ويأتي قد ظهر أكثره وشاع في الناس معظمه فوسد الأمر إلى غير أهله وصار رؤس الناس أسافلهم عبيد هم وجها لهم فيملكون البلاد والحكم في العباد فيجمعون الأموال ويبطلون البنيان كما هو مشاهد في هذه الأزمان فلا يسمعون موعظة ولا ينزجرون عن معصية فهم صم بكم عمى قال قتادة صم عن استماع الحق بكم عن التكلم به عمى عن الإبصار له وهذه صفة أهل البادية والجهالة والبهيم جمع بهم وأصلها صفار الضأن وللعز وقد فسره في الرواية الأخرى في قوله رعاء الشاء وحقوله وأن تلد الأمة ربهما وفي رواية ربتها تأنيث رب أي سيدها وقال وكيع هو أن تلد العجم العرب ذكره ابن ماجه في السنن قال علناؤنا وذلك بأن يستولى المسلمون على بلاد الكفر فيكثر التسرى فيكون ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها لشرفه ومنزله بأبيه وعلى هذا فالذي يكون من إشرائط الساعة إستيلاء المسلمين واتساع خطتهم وكثرة الفتوح وهذا قد كان وقيل هو أن يبيع السادات أمهات الأولاد ويكثر ذلك فيتداول الملاك المستولدة فرما يشتريها ولدها ولا يشعر فيكون ربهما وعلى هذا فالذي يكون من إشرائط الساعة غلبة الجهل بتحريم بيع أمهات الأولاد واستهانة الناس بالأحكام وهذا على قول من قال بتحريم بيع أمهات الأولاد وهم الجمهور وقيل المراد أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه بمعاملة السيد أمته من الإهانة والسب ويشهد لهذا ما جاء في حديث أبي هريرة المرأة مكان الأمة وحقوله عليه الصلاة والسلام حتى يكون الولد غيظا وسيأتى إن شاء الله تعالى .

قال المؤلف رحمه الله وهذا ظاهر في الوجود من غير تكبير مستفيض وشهير وقيل إنما كان سيدها ربهما لأنه كان سبب عتقها كما قال عليه الصلاة والسلام في مارية أعتقها ولدها قال المؤلف رحمه الله وقول خامس سمعت شيخنا الأستاذ المحدث النجوى المقرئ أبا جعفر أحمد بن محمد بن محمد القيسي القرطبي المعروف بابن حجة يقول غير مرة وهو الأخبار عن استيلاء الكفار على بلاد المسلمين كما في هذه الأزمان التي قد

استولى فيها العدو على بلاد الأندلس وخراسان وغيرهما من البلدان فتسبي المرأة
وهي حبل أو ولدها صغير فيفرق بينهما فيكبر الولد فرما يجتمعان ويتزوجها
كما قد وقع من ذلك كثير فإننا لله وإن إليه واجعون ويدل على هذا قوله إذ ولدت
المرأة بعلمها وهذا هو المطابق للاشراط مع قوله عليه الصلاة والسلام لا تقوم الساعة
حتى تكون الروم أكثر أهل الأرض والله أعلم .

باب

إذا فعلت هذه الأمة خمس عشرة خصلة حل بها البلاء

الترمذى عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء قيل وما هي يا رسول الله قال إذا كان
المغرم دولا والأمانة مغتبا والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه
وجفا أباه وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل
مخافة شره وشربت الخمر ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر
هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حرا أو خسفا أو مسخا قال هذا حديث
غريب وفي إسناده فرج بن فضالة وضعف من قبل حفظه .

وخرج أيضا من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا اتخذ النوى دولا والأمانة مغتبا والزكاة مغرما وتعلم لغير الدين وأطاع الرجل
لأمراه وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات في المساجد وساد
القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات
والمعازف وشربت الخمر ولعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا
حرا أو زلزلة وخسفا ومسخا وقذفا وآيات متتابعات كنظام بال قطع سلكت
فتابع قال حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

باب منه

ابونعیم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح قوم من أمتي في آخر الزمان قرده وخنزير قيل يا رسول الله ويشهدون أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ويصومون قال نعم قيل فما بالهم يارسول الله قال يتخذون المعازف والقينات والدفوف ويشربون الأشربة فباتوا على شربهم ولهوم فأصبحوا وقد مسخوا قرده وخنزير .

ابن ماجه عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشر بن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها يضرب على رؤسهم بالدفوف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض ويجعل منهم القردة والخنزير خرجه أبو داود عن مالك ابن أبي مریم قال دخلنا على عبد الرحمن بن غنم فتذاكرنا الطلاء قال حدثني أبو مالك الأشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليشر بن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها زاد ابن أبي شيبة يضرب على رؤسهم بالمعازف والمغنيات يخسف الله بهم الأرض .

قال أبو محمد عبد الحق روياه جميعا من حديث معاوية بن صالح الحمصي وقد ضعفه قوم منهم يحيى بن معين ويحيى بن سعيد فيما ذكره بن أبي حاتم وقال أبو حاتم فيه حسن الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به ووثقه أحمد بن حنبل وأبو زرعة .

البخاري عن أبي مالك الأشعري وأرعن أبي عامر سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال ليكون ناس من أمتي يستحلون الحر والحرير والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم يأتيهم حاجة فيقولون ارجع إلينا غدا فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قرده وخنزير إلى يوم القيامة .

قال المؤلف رحمه الله هذا يصحح ما قبله من الأحاديث والحر هو الزنا قاله الباهلي ويروي الخنزير بالحاء والزاي والصراب ما تقدم .

باب منه

ذكر الخطيب أبو بكر أحمد بن علي عن عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبي قال أنبأنا مالك بن أنس عن نافع بن عمر قال كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية أن وجه نضلة أبو معاوية الانصاري إلى حلوان العراق فليغيروا على ضواحيها قال فوجه سعد نضلة في ثلثمائة فارس فخرجوا حتى أتوا حلوان العراق فأغاروا على ضواحيها فأصابوا غنيمة وسبياً فأقبلوا يسرقون الغنيمة والسبي حتى رهنهم العصر وكادت الشمس أن تروب قال فأجأ نضلة الغنيمة والسبي إلى سفح الجبل ثم قال فأذن فقال الله أكبر الله أكبر فإذا مجيب من الجبل يجيب كبرت تكبيراً يا نضلة ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله قال كلمة الإخلاص يا نضلة قال أشهد أن محمداً رسول الله قال هذا النذير وهو الذي بشر به عيسى عليه السلام وعلى رأس أمته تقوم القيامة قال حتى على الصلاة قال طوبى لمن مشى إليها وواظب عليها قال حتى على الفلاح قال أفلاح من أجاب محمداً صلى الله عليه وسلم وهو البقاء لامة محمد صلى الله عليه وسلم قال الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله قال أخلصت الإخلاص كاه يا نضلة فحرم الله بها جسديك على النار فلما فرغ من أذانه قلنا قلنا له من أنت يرحمك الله أملك أنت أم ساكن من الجن أم طائف من عباد الله أسمعتنا صوتك فأرنا شخصك فانا وفد الله ووفد رسوله ووفد عمر بن الخطاب قال فانطلق الجبل عن هامة كالرحاء أبيض الرأس واللحية وعليه طمران من صوف فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته قلنا وعليك السلام ورحمة وبركاته من أنت يرحمك الله قال أنا زرنب بن بزئلا وصفي العبد الصالح عيسى بن مريم أسكنتني هذا الجبل ودعى لي بطول البقاء إلى نزوله من السماء فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويتبرأ مما نحلته النصراني فأما إذ فانتى لقي محمد صلى الله عليه وسلم فاقروا عمر مني السلام وقولوا له يا عمر سدد وقارب فقد دنى الأمر وأخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها إذا ظهرت هذه الخصال في أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالهرب الهرب إذا استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وانتسبوا في غير مناسبتهم وانتمو إلى غير مواليهم ولم يرحم كبيرهم صغيرهم ولم يوقر صغيرهم كبيرهم وترك المعروف فلم يؤمر به وترك المنكر فلم ينه

عنه وتعلم عالمهم العلم ليجلب به الدراهم والدنانير وكان المطر قيظا والولد غيظا وطولوا
المنارات وفضضوا المصاحف وشيدوا البناء واتبعوا الشهوات وباعوا الدين بالدنيا
واستخفوا بالدماء وقطعت الارحام وبيع الحكم وأكل الربا وصار الغنى عزاً وخرج
الرجل من بيته فقام إليه من هو خير منه فسلم عليه وركبت النساء السروج ثم غاب عنها
قال فكتب بذلك نضلة إلى سعد فكتب سعد إلى عمر وكتب عمر إلى سعد يا سعد الله أبوك
سر أنت ومن معك من المهاجرين والأنصار حتى تنزلوا هذا الجبل فإن لقيته فأقره مني
السلام فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن بعض أوصياء عيسى بن مريم
نزل ذلك الجبل ناحية العراق قال فخرج سعد في أربعة آلاف من المهاجرين
والأنصار حتى نزل ذلك الجبل فأقام أربعين يوما ينادى بالآذان في كل وقت
صلاة فلا جواب .

قال الخطيب تابع إبراهيم بن رجاء أبو موسى عبد الرحمن الراسبي على روايته
عن مالك وليس بثابت من حديثه .

باب منه آخر

خرج ابو نعيم من حديث حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اقتراب الساعة اثنان وسبعون خصلة إذا رأيتهم الناس أماتوا الصلاة ، وأضاعوا
الأمانة وأكلوا الربا ، واستحلوا الكذب واستخفوا بالدماء ، واستعلوا البناء ،
وباعوا الدين بالدنيا ، وتقطعت الارحام ويكون الحكم ضعفا ، والكذب
صدقا ، والحريير لباسا ، وظهور الجور ، وكثر الطلاق ، وموت الفجأة ، واثمن
الحائن ، وخون الأمين ، وصدق الكاذب ، وكذب الصادق ، وكثر القذف ، وكان
المطر قيظا ، والولد غيظا وفاض اللئام فيضا ، وغاض الكرام غيضا ، وكان الامراء
لجرة والوزراء كذبة ، والامناء خونة والعرفاء ظلمة ، والقراء فسقة ، إذا لبسوا مسوك
الضأن قلوبهم أنتن من الجيفة وأمر من الصبر يغشيم الله فتنه يتهاوكون فيها تهاوك
اليهود الظلمة ، وتظهر الصفراء يعني الدنانير وتطلب البيضا يعني الدراهم وتكثر
الخطايا وتغل الامراء وحليت المصاحف وصورت المساجد ، وطولت المنابر ،

وخربت القلوب ، وشربت الخمر ، وعطلت الحدود وولدت الامة ربها وترى الحفاة العراة قد صاروا ملوكا ، وشاركت المرأة زوجها في التجارة ، وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ، وحلف بالله وشهد المرء من غير أن يستشهد ، وسلم المعرفة وتفقه لغير الدين ، وطلبت الدنيا بعمل الآخرة واتخذ المغنم دولا ، والامانة مغنا ، والزكاة مغرما ، وكان زعيم القوم أرذلهم وعق الرجل أباه ، وجفا أمه ، وبر صديقه ، وأطاع زوجته ، وعلت أصوات الفسقة في المساجد واتخذ القينات والمعازف ، وشربت الخمر في الطرق واتخذ الظلم نفرا ، وبيع الحكم ، وكثر الشرط واتخذ القرآن مزامير ، وجلود السباع صفاقا ، والمساجد طرقا ، ولعن آخر هذه الامة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حراء وخسفا ومسحا وقذفا وآيات غريب من حديث عبد الله بن عمير عن حذيفة لم يروه عنه فيما أعلم الا فرج بن فضالة .

قال المؤلف رحمه الله وهذه الخصال قد تقدم ذكرها في أحاديث متفرقة وكأها بينة المعنى لإلا قوله وجلود السباع صفاقا قال الجوهري الصفاق الجلد الرقيق تحت الجلد الذي عليه الشعر وخرج الدار قطنى عن عامر الشعبي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتراب الساعة أن يرى الهلال قبلا فيقال لليلتين وأن تتخذ المساجد طرقا وأن يظهر موت الفجأة قال الجوهري معنى قبلا أى يرى ساعة يطلع اعظمه ويوضحه حديث آخر من إشارات الساعة انتفاخ الأهله ويقال رأيت الهلال قبلا وقبلا أى معاينة .

باب منه

الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول قال حدثنا عمر بن أبى عمر قال حدثنا هشام بن خالد الدمشقى عن اسماعيل بن عياش عن ليث عن ابن سابط عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون فى أمتى فرعة فيصير الناس إلى علمائهم فإذا هم قرده وخنازير قال أبو عبد الله فالمسخ تغير الحلقة عن جهتها فإنما حل بهم المسخ لأنهم غيروا الحق عن جهته وحرفوا الكلم عن مواضعه فسخروا أعين الحقائق وقلوبهم عن رؤية الحق فسخ الله صورهم وبدل خلقهم كابدلوا الحق باطلا .

باب

في رفع الامانة والایمان من القلوب

روى الأئمة البخارى ومسلم وابن ماجه وغيرهم واللفظ لمسلم عن حذيفة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الامانة نزلت في حذر قلوب الرجال قال ابن ماجه قال الطنافسى يعنى وسط قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن وعلوا من السنة ثم حدثنا عن رفع الامانة قال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ثم ينام النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفظ فقراه منتبرا وليس فيه شيء ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله فنفظ فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحدا يؤدي الامانة حتى يقال أن في بنى فلان رجلا أمينا حتى يقال للرجل ما أجده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ولقد أتى على زمان ما أبالى أيكم بايعت لأن كان مسلما ليردنه على دينه واثن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه على ساعيه فاما اليوم فما كنت أباع منكم إلا فلانا وفلانا .

فصل

الجذر بالذال المعجمة ويقال بفتح الجيم وكسرها وهو الأصل من كل شيء من النسب والحساب والشجر وغيره والوكت بإسكان الكاف وهو الاثر اليسير يقال أوكتت السرة إذا ظهرت فيها نكتة من الاثر طاب وهو مصدر وكته يكتة وكتاء وهو أيضا مثل نكتة في العين وغيرها والمجل هو النفخ الذى يرتفع من جلد باطن اليد عند العمل بفأس أو مخداف أو نحوه يحتوى على مائم يصلب ويبقى عقدا قال ابن دحية قيدناه في الحديث بسكون الجيم وأجاز أهل اللغة والنحو فتح الجيم مصدر مجلت يده تمجل مجلا بفتح الجيم في المصدر إذا نلظت من العمل وقوله فنفظ أى

ارتفع جلدها وانتفخ فقرأ منتبرا أى منتفطا ومعناه مرتفعا جلده من لحمه وهو
افتعال من النبر وهو الرفع وكل شيء رفع شيئا فقد نبره ومنه اشتق المنبر وأراد
بذلك خلو القلوب من الأمانة كما يخلو المجل المنتبر عن شيء يحويه كجمر دحرجته
يعنى أطلقته فينطلق ظهر اليدين من ذلك وقول حذيفة لقد أتى على زمان الحديث
يعنى كانت الأمانة موجودة ثم قلت فى ذلك الزمان وقوله ليردنه على ساعيه يعنى
من كان رئيسا مقدما فيهم واليا عليهم أن ينصفنى منه وإن لم يكن له اسلام وكل من
ولى على قوم فهو ساع لهم وقوله فما كنت أباع إلا فلانا وفلانا قال أبو عبيدة هو
من البيع والشراء لقلة الأمانة .

باب

فى ذهاب العلم ورفعه وما جاء أن الخشوع والفرائض
أول علم يرفع من الناس

ابن ماجة قال حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة قال حدثنا وكيع قال حدثنا الأعمش
عن سالم بن أبى الجعد عن زياد بن ليلى قال ذكر النبى صلى الله عليه وسلم شيئا
قال ذاك عند أوان ذهاب العلم قلت يا رسول الله كيف يذهب العلم ونحن نقرأ
القرآن ونقرئه أبناؤنا ويقرؤه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة قال ثكلتك أمك
زيادان كنت لاراك من أفقة رجل بالمدينة أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون
التوراة والإنجيل لا يعملون بشيء منهما .

وخرجه الترمذى عن جبير عن تفسير عن أبى الدرداء قال كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشيخص ببصرة إلى السماء ثم قال هذا أوان يختلس العلم من
الناس حتى لا يقدرُوا على شيء منه فقال زياد بن ليلى الانصارى كيف يختلس منا
ونحن قد قرأنا القرآن فوالله لنقرأه ولنقرئه نساءنا وأبناءنا فقال ثكلتك أمك
يا زياد إن كنت لاعدك من فقهاء المدينة هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى
فإذا تغنى عنهم فلقيت عبادة بن الصامت فقات ألا تسمع ما يقول أخوك أبو الدرداء
فأخبرت بالذى قال أبو الدرداء قال صدق أبو الدرداء أن شئت لأحدثك بأوله

علم يرفع من الناس الخشوع يوشك أن يدخل الرجل مسجد جماعة فلا يرى فيه رجلاً خاشعاً قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب ومعاوية بن صالح ثقة عند أهل الحديث ولا أعلم أحداً تكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان .

وروى بعضهم هذا الحديث عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير عن أبيه عن عوف بن مالك .

قال المؤلف رحمه الله خرجه لهذا الإسناد الحافظ أبو محمد عبد الغنى فقال حدثنا عبد الله بن جعفر بن الورد قال حدثنا يحيى بن أيوب حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث قال حدثني إبراهيم بن أبي عبلة عن الوليد بن عبد الرحمن عن جبير بن نفيير قال حدثني عوف بن مالك الأشجعي قال نظر رسول صلى الله عليه وسلم إلى السماء يوماً وقال هذا أوان رفع العلم فقال له رجل من الأنصار يقال له زياد بن أبيد يارسول الله وكيف يرفع العلم وقد كتب في الكتب ووعته الصدور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة وذكر اليهود والنصارى وضلالهم على ما في أيديهم من كتاب الله فذكرت ذلك لشداد بن أوس فقال صدق عون بن مالك إلا أخبرك بأول ذلك يرفع الخشوع حتى لا ترى رجلاً خاشعاً ذكره في باب تقييد الحديث بالكتابة وهو حديث حسن .

قال المؤلف رحمه الله وقد ذكرناه في مسند زياد بن أبيد بإسناد صحيح على ما ذكره ابن ماجه وهو يبين لك ما ذكرناه من أن المقصود برفع العلم العمل به كما قال عبد الله بن مسعود ليس حفظ القرآن بحفظ الحروف ولكن إقامة حدوده ثم بعد رفع العلم بالعلم يرفع الرقم والكتابة ولا يبقى في الأرض من القرآن آية تتلى على ما يأتي في الباب بعد هذا .

وقد خرج الدار قطنى وابن ماجه من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا الفرائض وعلوها للناس فإنه نصف العلم وهو ينسى وهو أول شيء ينزع من أمتي لفظ الدار قطنى ولانعارض والحمد لله فإن الخشوع من علم القلوب والفرائض من علم الظاهر فافترقا والحمد لله .

باب

في دروس الإسلام وذهاب القرآن

ابن ماجه قال أخبرنا علي بن محمد قال أنبأنا أبو معاوية عن أبي مالك الأشجعي عن ربيعي بن خراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ويسرى على كتاب الله تعالى في ليلة فلا يبقى منه في الأرض آية ويبين طرايف من الناس الشيخ الكبير والمعجوز يقولون أدركنا أبائنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله فنحن نقولها قال له صلة ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدق فأعرض عنه حذيفة ثم ردها عليه ثلاثا كل ذلك يعرض عنه حذيفة ثم أقبل عليه حذيفة فقال يا صلة تنجيهم من النار ثلاثا قال المزلف رحمه الله هذا إنما يكون بعد موت عيسى عليه السلام لا عند خروج باجوج وما بجوج على ما تقدم من رواية مقاتل

وذكر أبو حامد من رفعه فان عيسى عليه السلام إنما ينزل مجددا لما درس من هذه الشريعة فانه بحججه على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

باب

العشرايات التي تكون قبل الساعة وبيان قوله تعالى اقربت الساعة وانشق القمر روى عن حذيفة أنه قال كنا جلوسا بالمدينة في ظل حايظ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرفة فاشرف علينا وقال ما يجلسكم فقلنا نتحدث فقال فيماذا فقلنا عن الساعة فقال إنكم لا ترون الساعة حتى تروا قبلها عشرايات أولها طلوع الشمس من مغربها ثم الدخان ثم الدجال ثم الدابة ثم ثلاث خسوف خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وخروج عيسى وخروج باجوج وماجوج

ويكون آخر ذلك نار تخرج من اليمن من حفرة عدن لاتدع أحدا خلفها إلا تسوقه إلى المحشر ذكره القتيبي في كتاب عيون الأخبار له وخرجه مسلم بمعناه عن حذيفة قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال لا تقوم الساعة حتى تكون عشايات طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان والداية وياجوج وماجوج وخروج عيسى بن مريم وثلاث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس إلى المحشر نبيت معهم إذا باتوا وتقبل معهم إذا قالوا خرج ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن وفي رواية الدخان والدجال والداية وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاث خسوفات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطردهم إلى محشرهم .

وفي البخاري عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أشراط الساعة نار تخرج تحشر الناس من المشرق إلى المغرب مسلم عن عبد الله بن عمر قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الايات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحيا وأيهما ما كانت قبل صاحبها فاخرى على أثرها قريبا منها وفي حديث حذيفة مرفوعا ثم قال عليه الصلاة والسلام كان أنظر إلى حبشي أحمر الساقين أزرق العينين أفطس الأنف كبير البطن وقد صف قدميه على الكعبة هو وأصحاب له وهم ينقضونها حجرا حجرا ويتداولونها بينهم حتى يطرحوها في البحر فعند ذلك تكون علامات منكرات طلوع الشمس من مغربها ثم الدجال ثم ياجوج وماجوج ثم الدابة وذكر الحديث .

فصل

جاءت هذه الآيات في هذه الأحاديث بمجموعة غير مرتبة ما عدا حديث حذيفة المذكور أولا فان الترتيب فيه يتم واپس الامر كذلك على ما نيينه وقد جاء ترتيبها من حديث حذيفة أيضا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرفة ونحن أسفل منه فاطلع إلينا فقال ما تذكرون قلنا الساعة قال إن الساعة لا تكون حتى تروا

عشر آيات خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدخان والدجال ودابة الأرض ويأجوج وماجوج وطلوع الشمس من مغربها وتخرج من قعر عدن ترحل الناس وقال بعض الرواة في العاشرة ونزول عيسى بن مريم وقال بعضهم وريح يلقى الناس في البحر أخرجه مسلم فأول الأمر على ما في هذه الرواية الخسوفات الثلاث وقد وقع بعضها في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره ابن وهب وقد تقدم وقد ذكر أبو الفرج بن الجوزي أنه وقع بعراق العجم زلازل وخسوفات هائلة هلك بسببها خلق كثير قال المؤلف رحمه الله وقد وقع ذلك عندنا بشرق الأندلس فيما سمعنا من بعض مشايخنا بقرية يقال لها قطرطنة من قطر دانية سقط عليها جبل هناك فأذهبها وأخبرني أيضا بعض أصحابنا أن قرية من أعمال برقة يقال لها ترسة أصابها زلزلة شديدة هدت حيطانها وسقفها على أهلها فأتوا تحتها ولم ينج منهم إلا قليل ووقع في هذا الحديث دابة الأرض قبل يأجوج وماجوج وليس كذلك فإن أول الآيات ظهور الدجال ثم نزول عيسى عليه السلام ثم خروج يأجوج وماجوج فاذا قتلهم الله بالنعف في أعناقهم على ما يأتي وقبض الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام وخلت الأرض منه وتطاوت الأيام على الناس وذهب معظم دين الإسلام أخذ الناس في الرجوع إلى عاداتهم وأحدثوا الأحداث من الكفر والفسوق كما أحدثوه بعد كل قائم نصبه الله تعالى بينه وبينهم حجة عليهم ثم قبضه فيخرج الله تعالى لهم دابة من الأرض فتميز المؤمن من الكافر ليرتدع بذلك الكفار عن كفرهم والفسوق عن فسقهم ويستبصروا وينزعوا عما هم فيه من الفسوق والعصيان ثم تغيب الدابة عنهم ويهلون فإذا أصروا على طغيانهم طلعت الشمس من مغربها ولم يقبل بعد ذلك كافر ولا فاسق توبة وازيل الخطاب والتكلف عنهم ثم كان قيام الساعة على أثر ذلك قريبا لأن الله تعالى يتولى وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون، فإذا قطع عنهم التعب لم يقم بعد ذلك في الأرض زمانا طويلا هكذا ذكره بعض العلماء .

وأما الدخان فروى من حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من اشراط الساعة دخانا تملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث في الأرض أربعين يوما

فأما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام. وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج الدخان من أنفه ومنخره وعينه وأذنيه ودبره وقيل هذا الدخان من آثار جهنم يوم القيامة .

روى هذا عن علي وابن عمرو وأبي هريرة وابن عباس وابن أبي مليكة والحسن وهو معنى قوله تعالى : فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين .

وقال ابن مسعود في هذه الآية أنه ما أعصاب قريشا من القحط والجهد حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء كهياة الدخان من الجهد حتى أكلوا العظام وقد مضت البطشة والدخان واللزام والحديث عنه بهذا في كتابي مسلم والبخاري وغيرهما .

قال أبو الخطاب ابن دحية والذي يقتضيه النظر الصحيح حمل ذلك على قضيتين إحداهما وقعت وكانت الأخرى ستقع وستكون فأما التي كانت فانتى كانوا يرون فيها كهياة دخان وهي الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من الاشارات والعلامات ولا يمتنع إذا ظهرت هذه العلامة أن يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب إذا مؤمنون، فيكشف عنهم ثم يعودون لقرب الساعة وقول ابن مسعود لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو من تفسيره وقد جاء النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلافه .

قال المؤلف رحمه الله قد روى عن ابن مسعود أنهما دخانان قال بجاهد كان ابن مسعود يقول هما دخانان قد مضى أحدهما والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن منه إلا كالزكمة وأما الكافر فتثقب مسامعه فتبعث عند ذلك الريح الجنوب من اليمن فتعجن روح كل مؤمن ومؤمنة ويبقى شرار الناس واخلاف في البطشة واللزام فقال أبي هو القتل بالسيف يوم بدر وإليه نحنا ابن مسعود وهو قول أكثر الناس وعلى هذا تكون البطشة واللزام شيئا واحدا قال ابن مسعود البطشة الكبرى وقعة بدر وقيل هي يوم القيامة وأصل البطش الأخذ بشدة وقع الألم واللزام في اللغة الفصل في القضية وفسره ابن مسعود بأن ذلك كان يوم بدر

وهو يوم البطشة الكبرى في قوله أيضا وقيل أن اللزام هو المذكور في قوله تعالى
« فسوف يكون لإماما وهو العذاب الدائم وأما الدجال فيأتي ذكره في أبواب
وأما الدابة فهي التي قال الله تعالى « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من
الأرض تكلمهم ، وسيأتي بيانها وأما قوله « وآخر ذلك نار تخرج من اليمن وفي
الرواية الأخرى من قعر عدن وفي الرواية الأخرى من أرض الحجاز قال القاضي
عياض فلهما ناران تجتمعان لحشر الناس أو يكون ابتداء خروجهما من اليمن فظهورها
من الحجاز .

قال المؤلف رحمه الله أما النار التي تخرج من أرض الحجاز فقد خرجت على
ما تقدم القول فيها وبقيت النار التي تسوق الناس إلى المحشر وهي التي تخرج من
اليمن وقد مضى القول في المحشر ويأتي القول في طلوع الشمس من مغربها فأما قول
الله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر ، فقد روى أن أهل مكة سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم آية فأرأى القمر منشقا نصفين والجبل بينهما فقال أشهد وأثبت
هذا في الصحيحين وغيرهما من العلماء من قال أنه ينشق كقوله تعالى « أتى أمر الله ،
أى يأتي قال الحلبي أبو عبد الله في كتاب منهاج الدين له فان كان هذا فقد أتى
ورأيت بينخاري الهلال وهو ابن ليلتين منشقا نصفين عرض كل واحد منهما كعرض
القمر ليلة أربع أو خمس وما زلت أنظر إليهما حتى اتصلا كما كانا ولكنهما في
شكل واحد شكل أترجة ولم أمل طرفي عنهما إلى أن غابت وكان معي ليلتئذ كتيبة
من شريف وفقية وغيرهم من طبقات الناس وكلهم رأى ما رأيت وأخبرني من
وثقت به أنه رأى الهلال وهو ابن ثلاث منشقا بنصفين قال الحلبي فقد ظهر أن
قول الله وانشق القمر إنما خرج على الانشقاق الذي هو من أشرط الساعة دون
الانشقاق الذي جعله الله آية لرسوله صلى الله عليه وسلم .

باب

ما جاء أن الآيات بعد المآتين

ابن ماجه عن أبي قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات بعد

للمائتين وعن يزيد الرقاشي عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمتي على خمس طبقات فأربعون سنة أهل بر وتقوى ثم الذين يلونهم إلى عشرين ومائة سنة أهل تراحم وتواصل ثم الذين يلونهم إلى ستين ومائة أهل تدابر وتقاطع ثم المخرج المخرج النجا النجا وفي رواية عن أبي معن عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتي على خمس طبقات كل طبقة أربعون عاما فأما طبقتي وطبقة أصحابي فأهل علم وإيمان وأما الطبقة الثانية ما بين الأربعين إلى الثمانين فأهل بر وتقوى ثم ذكر نحوه .

باب

ما جاء فيمن يخسف به أو يمسح

أبو داود عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا أنس إن الناس بمصرون امصارا وأن مصرا منها يقال لها البصرة أو البصرة فإن أنت مررت بها أو دخلتها فإياك وسباخها وكلاهما وسوقها وباب أمرائها عليك بضواحيها فإنه يكون بها خسف وقذف ورجف وقوم يبيتون فيصبحون قردة وخنازير وخرج ابن ماجه عن نافع أن رجلا أتى ابن عمر فقال ان فلانا يقرأ عليك السلام فقال له بلغني أنه قد أحدث فإن أحدث فلا تقرأه مني السلام فإن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يكون في أمتي أو في هذه الأمة خسف ومسح وقذف ونحوه .

عن سهل بن سعد وقد تقدمت الأخبار والأحاديث في خسف الجيش الذي يقصد مكة لقتال المهدي خرجها مسلم وغيره .

وكذلك تقدم حديث البخاري وغيره في باب إذا فعلت هذه الأمة خمس عشرة خصلة وذكر الثعلبي في تفسيره من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول تبني مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل^(١) والصرات يجتمع فيها جابرة الأرض تجبي إليها الخزائن يخسف بها وفي رواية يخسف بأهلها فلهي

(١) وفي نسخة طربل والصرات وبها مشها الفرات بدل الصراة

(٤٢ - ٢)

أسرع ذهاباً في الأرض من الوند الجيد في الأرض الرخوة يقال أنها بغداد
وقد تقدم والله أعلم .

باب

(ذكر الدجال وصفته ونعته ومن أين يخرج وما علامة خروجه وما معه إذا
خرج وما ينجي منه وأنه يرى الآكه والأبرص ويمحي الموتى)

قال ابن دحية : قال العلماء الدجال في اللغة ينطلق على عشرة وجوه الأول أن
الدجال الكذاب قاله الخليل وغيره وأنها دجلة بسكون الجيم ودجلة بفتحها كذبة
لأنه يدجل الحق بالباطل وجمعه دجالون ودجاجلة في التكسير وقد تقدم .

الوجه الثاني أن الدجال مأخوذ من الدجل وهو طلاء البعير بالقطران سمي
بذلك لأنه يغطي الحق ويستتره بسحره وكذبه كما يغطي الرجل جرب بعيره بالدجالة
وهي القطران يهنا به البعير واسمه إذا فعل به ذلك المدجل قاله الأصمعي .

الوجه الثالث إنما سمي بذلك لضربه نواحي الأرض وقطعه لها يقال دجل
لرجل إذا فعل ذلك .

الوجه الرابع أنه من التغطية لأنه يغطي الأرض بجموعه والدجل التغطية قال
ابن دريد كل شيء غطته فقد دجلته ومنه سميت دجلة لانتشارها على الأرض
وتغطية ما فاضت عليه .

الوجه الخامس سمي دجالاً لقطعه الأرض إذ يبطأ جميع البلاد إلامكة والمدينة
والدجالة الدفقة العظيمة .

وأنتد ابن فارس في المجمل (دجالة من أعظم الرقاق) :

الوجه السادس سمي دجالاً لأنه يفر الناس بشره كما يقال لطنخي فلان بشره :

الوجه السابع الدجال المنخرق .

الوجه الثامن الدجال المموء فله ثعلب ويقال سيف مدجل إذا كان قد بطل بالذهب .

الوجه التاسع الدجال ماء الذهب الذي يطلى به الشيء فيحسن باطله وداخله خرف أو عود سمى الدجال بذلك لأنه يحسن الباطل .
الوجه العاشر الدجال فرند السيف والفرند جوهر السيف وماؤه ويقال بالفاء والباء إذ أصله عين صافية على ما تنطق به العجم فعربته العرب ولذلك قال سيديويه وهو عندهم خارج عن أمثلة العرب . والفرند أيضا الحرير . وأنشد ثعلب :

بحلية الياقوت والفرندا مع الملاب وعبير أصردا

أى خالصا قال ابن الإعزابي يقال للزعفران الشعر والملاب والعبير والمردفوش والحشاد ذكر هذه الأقوال العشرة الحافظ أبو الخطاب ابن دحية رحمه الله في كتاب مرج البحرين في فوائد المشرقين والمغربيين .

مسلم عن أبي الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال وفي رواية من آخر سورة الكهف .

أبو بكر بن أبي شيبة عن العاتمان بن عاصم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أما مسيح الضلالة فرجل أجلى الجبهة ممسوح العين اليسرى عريض المنحرف فيه دفا قوله فيه دفا أى انحناء .

مسلم عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال أعور العين اليسرى جفال^(١) الشعر معه جنة ونار فواره جنة وجنته نار وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لآنا أعلم بما مع الدجال منه . معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض والآخر رأى العين نار تاجج فإما أدركن أحد فليأت النهر الذى يراه نارا وليغمض وليطأطأ رأسه فيشرب فانه ماء بارد وأن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة^(٢) غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب

(١) أى كثيره .

(٢) جلدة نابذة بالعين .

قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية كذا عند جماعة رَوَاهُ مسلم فاما أدركن قال ابن دحية وهو وهم فإن لفظه هو لفظ الماضي ولم أسمع دخول نون التوكيد على لفظ الماضي إلا هاهنا لأن هذه النون لا تدخل على الفعل الماضي وصوابه ما قيده العلماء في صحيح مسلم منهم التميمي أبو عبد الله فاما أدركه أحد وعنه عبد الله بن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بين ظهرائي الناس المسيح الدجال فقال إن الله ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنب طافية . قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أراني الليلة في المنام عند الكعبة فإذا رجل آدم كأحسن ما ترى من آدم الرجال تضرب لفته بين منكبيه رجل الشعر يقطر رأسه ماء واضعاً يده على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت فقلت من هذا فقالوا هو المسيح بن مريم ورأيت وراءه رجلاً جعداً قططاً أعور عين اليمنى كآشبه من رأيت من الناس بابن قطن واضعاً يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت فقلت من هذا قالوا هو المسيح الدجال .

أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال أعور جعد هجان أقر كأن رأسه غصنة شجرة أشبه الناس بعبد العزى ابن قطن الخزاعي فاما أهلك أهلك فإنه أعور وأن الله ليس بأعور .

أبو داود الطيالسي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اما مسيح الضلالة فإنه أعور العين اجلا الجبهة عريض المنحرف فيه اندفاء مثل قطن ابن عبد العزى فقال له الرجل أضر بي يا رسول الله (صلى الله عليك وسلم) شبه فقال لا أنت مسلم وهو كافر .

وخرج عن أبي بن كعب قال ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم أو قال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الدجال فقال إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء وتعود بالله من عذاب القبر .

الترمذي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله

(١) الجمودة ضد السبوة والسبوة انبساط الشعر واسترساله . والقطط

الشديد الجمودة اه . أحمد مرسي

صلى الله عليه وسلم أن الدجال يخرج من أرض بالمشرق يقال لها خراسان يتبعه أفواج كأن وجوههم المجان المطرقة أسناده صحيح وذكر عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي هانئ العبدى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من أمتى سبعون ألفا عليهم السيجان والسيجان جمع الساج وهو طيلسان أخضر . وقال الأزهري هو المطليل المقور بنسج كذلك الطبرى عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر عنده الدجال فقال أن قبل خروجه ثلاثة أعوام تمسك السماء فى العام الأول ثلث قطرها والأرض ثلث نباتها والعام الثانى تمسك السماء ثلثى قطرها والأرض ثلثى نباتها والعام الثالث تمسك السماء قطرها والأرض حتى لا يبقى ذات حرس ولا ذات ظلف إلا مات وذكر الحديث . أخرجه أبو داود الطيالسى قال حدثنا هشام عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أسماء وعبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أسماء وسياق .

وأخرجه ابن ماجه من حديث أبي إمامة وفى بعض الروايات بعد قوله وفى السنة الثالثة يمسك الله المطر وجميع النبات فما ينزل من السماء قطرة ولا تنبت الأرض خضرة ولا نباتا حتى تكون الأرض كالححاس والسماء كالزجاج فيبقى الناس يموتون جوعا وجهدا وتكثر الفتن والهرج ويقتل الناس بعضهم بعضا ويخرج الناس بأنفسهم ويستولى البلاء على أهل الأرض فعند ذلك يخرج الملعون الدجال من ناحية أصبهان من قرية يقال لها اليهودية وهو راكب حمارا أتر يشبه البغل ما بين أذني حماره أربعون ذراعا ومن نعت الدجال أنه عظيم الحلقة طويل القامة جسم أجعد قطط أعور العين اليمنى كأنها لم تخلق وعينه الأخرى مزوجة بالدم وبين عينيه مكتوب كافر يقرؤه كل مؤمن بالله فإذا خرج يصبح ثلاث صيحات يسمع أهل المشرق والمغرب ويروى أنه إذا كان فى آخر الزمان تخرج من البحر امرأة ذات حسن وجمال بارع فتدعو الناس إلى نفسها وتخرق البلاد فكل من أتاها كفر بالله فعند ذلك يخرج الله عليكم الدجال ومن علامة خروجه فتح القسطنطينية لأن الخبر ورد أن بين خروجه وفتح القسطنطينية سبعة أشهر وقد تقدم هذا .

وذكر أبو داود الطيالسي قال حدثنا الحشرج بن نباتة قال حدثنا سعيد بن جهمان عن سفينة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنه لم يكن نبي إلا وقد أندر أمته الدجال إلا وأنه أعور العين بالشمال^(١) وباليمين ظفرة غليظة بين عينيه كافر يعنى مكتوب كافر يخرج معه واديان أحدهما جنة والآخر نار فزاره جنة وجنته نار فيقول الدجال للناس ألسن بربكم أحيي وأميت ومعه ملاكان يشبهان نبيين من الأنبياء إني لا أعرف إسمهما واسم آباؤهما لو شئت أن أسميهما سميتهما أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فيقول ألسن بربكم أحيي وأميت فيقول أحدهما كذبت فلا يسمعه من الناس أحد إلا صاحبه ويقول الآخر صدقت وذلك فتنة ثم يسير حتى يأتي المدينة فيقول هذه قرية ذاك الرجل فلا يؤذن له أن يدخلها ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله عند عقبة أفيق .

وخرجه أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي في الجزء العاشر من مختصر المعجم له بمعناه فقال حدثنا محمد بن عبد الوهاب قال حدثنا حشرج عن سعيد بن جهمان عن سفينة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد حذر أمته الدجال أنه أعور عينه اليسرى بعينه اليمنى ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن بالله معه واديان أحدهما جنة والآخر نار ومعه ملاكان يشبهان نبيين من الأنبياء ولو شئت سميتهما بأسمائهما وإسم آباؤهما أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فيقول الدجال ألسن بربكم أحيي وأميت فيقول أحد الملسكين كذبت فلا يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه فيقول له صدقت فيسمعه الناس فيظنون أنه صدق الدجال فذلك فتنة ثم يسير الدجال حتى يأتي المدينة فلا يؤذن له فيقول هذه قرية ذلك الرجل ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله عند عقبة أفيق .

قال ابن بركان في كتاب الإرشاد له والذي يغلب على ظني أن النبيين المشبه بهما أحدهما المسيح ابن مريم والآخر محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك ما أنذرت بذلك ووصيا وخرج أبو داود في سننه عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (١) قوله أعور الشمال أي قوم يرونه أنه أعور اليسرى وآخرون يرونه أعور اليمنى ليدل ذلك على بطلان دعواه الكاذبة لنقصه وهو ساحر كذاب أه . أحمد مرسي

صلى الله عليه وسلم قال أنى كنت قد حدثتكم عن المسيح الدجال حين خشيت أن لا تعقلوا أن المسيح الدجال قصير أجمع جعد أعور مطموس العين ليست بناتة ولا جحراء (١) فإن النبس عليكم فاعلموا أن ربكم عز وجل ليس بأعور .

فصل

وصف النبي صلى الله عليه وسلم الدجال وصفا لم يبق معه لذى لب إشكال وتلك الأوصاف كلها ذميمة تبين لكل ذى حاسة سليمة لكن من قضى الله عليه بالشقاوة تبع الدجال فيما يدعيه من الكذب والغباوة وحرمة اتباع الحق ونور التلاوة فقوله عليه الصلاة والسلام أنه أعور وأن الله ليس بأعور تبينة للعقول القاصرة أو الغافلة على أن من كان ناقصاً في ذاته عاجزاً عن إزالة نقصه لم يصلح أن يكون إلهاً لعجزه وضعفه ومن كان عاجزاً عن إزالة نقصه كان أعجز عن نفع غيره وعن مضرتة وجاء في حديث حذيفة أعور العين اليسرى وفي حديث ابن عمر أعور العين اليمنى وقد أشكل الجمع بين الحديثين على كثير من العلماء قال وحتى أن أبا عمر بن عبد البر ذكر ذلك في كتاب التمهيد له .

وفي حديث سمرة بن جندب أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول أن الدجال خازج وهو أعور العين الشمال عليها ظفرة غليظة وأنه يرى الأكمة والأبرص ويحيى الموتى ويقول للناس أنا ربكم فمن قال أنت ربى فقد فتن ومن قال ربى الله عز وجل حتى يموت على ذلك فقد عصم من فتنه ولا فتنه عليه ولا عذاب فيلبث في الأرض ما شاء الله ثم يحيى عيسى عليه السلام من قبل المغرب مصدقاً لمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملته فيقتل الدجال ثم إنما هو قيام الساعة قال أبو عمر بن عبد البر فى هذا الحديث أعور العين الشمال وفى حديث مالك أمور العين اليمنى قاله أعلم وحديث مالك أصح من جهة الإسناد لم يزد على هذا .

قال أبو الخطاب ابن دحية ليس كما قال بل الطرق كلها صحيحة فى العينين وقال شيخنا أحمد بن عمر فى كتاب المفهم له وهذا اختلاف يصعب الجمع فيه بينهما وقد تكلف القاضى عياض الجمع بينهما فقال الجمع بين الروايتين عندى صحيح وهو أن كل واحدة منهما عوراء من وجهه ما إذ العور حقيقة فى كل شىء العيب والكلمة

(١) أى غائرة .

العوراء هي المعيبة فالواحدة عورا بالحقيقة وهي التي وصفت في الحديث بأنها ليست
بجحرا ولا نانية ومسوحة ومطموسة وطافية على رواية الهمز والآخرى عورا لعيها
اللازم لها لكونها جاحظة أو كأنها كوكب دري أو كأنها عنبة طافية بغير همز
وكل واحدة منهما يصح فيها الوصف بالعور بحقيقة العرف والاستعمال أو بمعنى
العور الأصلي قال شيخنا وحاصل كلامه أن كل واحد من عيني الدجال عورا أحدهما
بما أصابها حتى ذهب ادراكها والثانية عورا بأصل خلقها معيبة لكن بعد هذا
التأويل إن كل واحدة من عينيها قد جاء وصفها في الرواية بمثل ما وصفت به الأخرى
من العور فتأملته. قال المؤلف رحمه الله ما قاله القاضي عياض وتأوله صحيح وأن العور
في العينين مختلف كما بيناه في الروايات فإن قوله كأنها لم تخلق هو معنى الرواية
الأخرى مطموس العين مسوحها ليست بنانية ولا جحرا ووصف الأخرى بالمزج
بالدم وذلك عيب عظيم لا سيما مع وصفها بالظفرة الغليظة التي هي عليها وهي جلدة
غليظة تغشى العين إن لم تقطع عمت العين وعلى هذا فقد يكون العور في العينين
سواء لأن الظفرة مع غلظها تمنع من الإدراك فلا تبصر شيئا فيكون الدجال على
هذا أعمى أو قريبا منه إلا أنه جاء ذكر الظفرة في العين اليمنى في حديث سفينة وفي الشمال
في حديث سمرة بن جندب وقد يمتثل أن يكون كل عين عليها ظفرة غليظة فإن في حديث
حذيفة وإن الدجال مسوح العين عليها ظفرة غليظة وإذا كانت المسوحة المطموسة
عليها ظفرة فالتى ليست كذلك أولى فتتفق الأحاديث والله أعلم.

وقيل في الظفرة أنها لحمه تنبض عند الماء كالعلقة وقيده بعض الرواة بضم
الظاء وسكون الفاء وليس بشيء. قاله ابن دحية رحمه الله .

فصل

الإيمان بالدجال وخروجه حق وهذا مذهب أهل السنة وعامة أهل الفقه
والحديث خلافا لمن أنكر أمره من الخوارج وبعض المعتزلة ووافقنا على آياته (١)
بعض الجهمية وغيرهم لكن زعموا أن ما عنده مختارق وحيل قالوا لأنها لو كانت
أمورا صحيحة لكان ذلك الباسا للكاذب بالصادق وحينئذ لا يكون فرق بين النبي

(١) وفي نسخة آياته

والمتنبي وهذا هذيان لا يلتفت إليه ولا يعرج عليه فإن هذا إنما كان يلزم لو أن الدجال يدعى النبوة وليس كذلك فإنه إنما ادعى الألوهية ولهذا قال عليه الصلاة والسلام إن الله ليس بأعور تنبئها للعقول على فقره وحدثه ونقصه وإن كان عظيماً في خلقه ثم قال مكتوب بين عينيه كافر يقرءوه كل مؤمن ومؤمنة كاتب أو غير كاتب وهذا الأمر منسأهد للحس يشهد بكذبه وكفره وقد تأول بعض الناس مكتوب بين عينيه كافر فقال معنى ذلك ما ثبت من سمات حدثه وشواهد عجزه وظهور نقصه قال ولو كان على ظاهره وحقيقته لاستوى في إدراك ذلك المؤمن والكافر وهذا عدول وتخريف عن حقيقة الحديث من غير موجب لذلك وما ذكره من لزوم المساواة بين المؤمن والكافر في قراءة ذلك لا يلزم لأن الله تعالى يمنع الكافر من إدراكه ليغتر باعتقاده التجسيم حتى يوردهم بذلك نار الحجيم فالدجال فتنة ومحنة من نحو فتنة أهل المحشر بالصورة الهايلة التي تأتيهم فيقول لهم أنا ربكم فيقول المؤمنون نعوذ بالله منك حسب ما تقدم لاسباب ذلك الزمان قد انخرقت فيه عوايد فليكن هذا منها وقد نص على هذا بقوله يقرءوه كل مؤمن كاتب وغير كاتب وقراءة غير الكاتب خارقة للعادة وأما الكافر فمصرف عن ذلك بغفلته وجهله وكما انصرف عن إدراك نقص عوره وشواهد عجزه كذلك يصرف عن قراءة سطور كفره ورمزه وأما الفرق بين النبي والمتنبي فالمعجزة لا تظهر على يد المتنبي لأنه لزم منه انقلاب دليل الصدق دليل الكذب وهو محال وقولهم إنما يأتي به الدجال حيل ومخاريق فقول معزول عن الحقائق لأن ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من تلك حقائق والعقل لا يحيل شيئاً منها فوجب ابقاؤها على حقايقها وسيأتي تفصيلها بعون الله تعالى .

باب

ما يمنع الدجال أن يدخله من البلاد إذا خرج

البخاري ومسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من بلد الا سيطوه الدجال إلا مكة والمدينة وذكر الحديث .

وفي حديث فاطمة بنت قيس فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان على كلتاهما الحديث وسيأتي

وذكر أبو جعفر الطبري من حديث عبد الله بن عمرو إلا الكعبة وبيت المقدس زاد أبو جعفر الطحاوي ومسجد الطور رواه من حديث جنادة بن أبي أمية عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات فلا يبقى له موضع إلا ويأخذه غير مكة والمدينة وبيت المقدس وجبل الطور فان الملائكة تطرده عن هذه المواضع .

باب

منه وما جاء أنه إذا خرج يزعم أنه الله ويحصر المؤمنين في بيت المقدس

أبو بكر بن أبي شيبة عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الدجال قال وانه متى يخرج فانه يزعم أنه الله فمن أمن به واتبعه وصدقته فليس ينفعه صالح من عمل سلف ومن كفر به وكذبه فليس يعاقب بشيء من عمل سلف وأنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس وأنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس قال فهزمه الله وجنوده حتى ان جدر الحائط وأصل الشجرة ينادى يا مؤمن هذا كافر يستتر بي فقال اقتله قال ولن يكون قولك حتى تبدوا أموراً يتفاج شأنها في أنفسكم تتساءلون بينكم هل كان نبيكم ذكر لبيكم منها ذكراً وحتى نزول جبال عن مراتبها ثم على أثر ذلك القبض .

باب

منه وفي عظم خلق الدجال وعظم فتنته وسبب خروجه وصفة حماره وسعة خطوره وفي حصره المسلمين في جبال الدخان وكما يكث في الأرض وفي نزول عيسى عليه السلام وقت السحر لقتل الدجال ومن اتبعه .

مسلم عن عمران بن حصين قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال في رواية امرؤ يدل خلق .

وفي حديث تميم الداوي قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا أعظم انسان رأينا قط خلقا وأشدّه وثاقا الحديث وسيأتي .

وعن ابن عمر أنه لقي ابن صياد في بعض طرق المدينة فقال قولا أغضبه فانتفخ حتى ملى السكة فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها فقالت يرحمك الله ما أردت من ابن صياد اما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما يخرج من غضبة يغضبها وسيأتي من أخبار ابن صياد ما يدل عليه أنه هو الدجال ان شاء الله تعالى وذكر قاسم ابن أصبغ .

وخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده قال حدثنا محمد بن سابق حدثنا ابراهيم بن طيمه ان عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال في خفقة من الدين وإدبار من العلم أي قلة من أهله . وله أربعون ليلة يسبحها في الارض اليوم منها كالسنة واليوم منها كالشهر واليوم منها كالجمعة ثم سائر أيامه كأيامكم هذه وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعا فيقول للناس أنا ربكم وهو أعور وأن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب يرد كل ماء ومنهل إلا المدينة ومكة حرمها الله تعالى عليه وقامت الملائكة بأبوابها ومعها جبال من خبز والناس في جهد إلا من اتبعه ومعها تهران أنا أعلم بهما منه نهر يقول له الجنة ونهر يقول له النار فن أدخل الذي يسميه الجنة فهي النار ومن أدخل الذي يسميه النار فهي الجنة قال وتبعك معه شياطين تكلم الناس ومعها فتنة عظيمة يأمر السماء فتسطر فيما يرى الناس ويقتل نفسا ثم يجمع فيما يرى الناس فيقول للناس أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب فيفر الناس إلى جبل الدخان وهو بالشام فيأتهم فيحاصروهم فيشتد حصارهم ويجهدهم

جهداً شديداً ثم ينزل عيسى عليه السلام فيأتي في السحر فيقول يا أيها الناس ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث فيقولون هذا رجل جنى فينطلقون فإذا هم بعيسى ابن مريم عليهما السلام فيقام للصلاة فيقال له تقدم يا روح الله فيقول ليتفضل إمامكم فليصل بكم فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه فحين يراه الكذاب ينهات كما ينهات الملح في الماء فيقتله حتى أن الشجر والحجر ينادى يا روح الله هذا يهودى فلا تترك من كان يتبعه أحداً إلا قتله .

قوله ينهات كما ينهات الملح في الماء أي يذهب وينحل وبتلاشى وفي بعض الروايات وذكر أن حماره حين يخطو من خطوة إلى خطوة ميل ولا يبقى له سهل ولا وعر إلا يطأه ولا يبقى موضع إلا يأخذه غير مكة والمدينة حسبما تقدم ويأتي الكلام في حكم أيامه وذكر عبد الرازق قال أخبرنا معمر عن ابن خيثم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كالיום واليوم كالساعة والساعة كاضطرار السعفة في النار والصحيح أن يمكث أربعين يوماً كما في حديث جابر وكذلك في صحيح مسلم على ما يأتي في الكتاب بعد هذا .

باب

منه آخر في خروج الدجال وما يجيء به من الفتن والشبهات وسرعة سيره في الأرض وكما يلبث فيها وفي نزول عيسى عليه السلام ونعته وكما يكون في الأرض يومئذ من الصلحاء وفي قتله الدجال واليهود وخروج يأجوج ومأجوج وموتهم وفي حج عيسى وتزويجه ومكثه في الأرض وأين يدفن إذا مات صلى الله عليه وسلم . وقد تقدم من حديث حذيفة رضي الله عنه أن له جنة وناراً الجنة نار وناره جنة . أبو داود عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع بالدجال فليأمن به فوالله أن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه ما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات .

مسلم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فيتوجه قبل رجال من المؤمنين فنلقاه المسالخ مسالخ الدجال فيقولون له أين تعمد فيقول أعمد إلى هذا الرجل الذي خرج فيقولون له أو ما تؤمن بربنا فيقول ما برنا

حقاً فيقولون اقتلوه فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أخداً
دونه قال فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال يا أيها الناس هذا الدجال
الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيأمر به الدجال فيشج فيقول خذوه
وشجوه فيؤممع ظهره وبطنه ضرباً قال فيقول أما تؤمن بي فيقول أنت المسيح
الكذاب فيؤمر به فينشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجله قال ثم يمشي بين
القطعتين ثم يقول قم فيستوي قائماً فيقول له أتؤمن بي فيقول ما ازددت فيك
إلا بصيرة ثم يقول يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدى بأحد من الناس قال فيأخذه
الدجال ليدبجه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سديلاً قال فيأخذ
بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنه إنما قذف به في النار وإنما ألقى به في الجنة.
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين
قال أبو إسحاق السبيعي يقال أن هذا الرجل هو الحضروفي رواية قال يأتي
وهو محرم عليه أن يدخل المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج
إليه رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أرايتم إن قتلت هذا أتشكوز
في الأمر فيقولون لا قال فيقتله ثم يحجبه فيقول حين يحجبه والله ما كنت فيك قط أشد
بصيرة مني الآن قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلطه (١) الله عليه خرجه البخاري .
وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من بلد إلا سيطأه
الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من أنقابها إلا عليها الملائكة صافين يحرسونها
فينزل بالسبخة فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج إليه كل كافر و منافق وفي
رواية كل منافق و منافقة خرجه البخاري وعن النواس بن سيمان الكلابي قال
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة تخفض فيه ورفع حتى ظنناه

(١) هذا يدل على أن الدجال لا يقدر على ما يريد. وإنما يفعل الله ما يشاء
عند حركته في نفسه اختباراً وامتحاناً للخلق ليهاك من هالك عن بينة ويحى من
حي عن بينة ويضل الله من يشاء. نسأل الله السلامة والعافية واليقين في الأولى
والآخرة . أحمد مرسي

في طائفة النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم أن يخرج (١) وأنا فيكم فانا حجيجه
 دونكم وأن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم أنه
 شاب قطط عينه طافية كأنى أشبه بعبد العزى بن قطن فن أدركه منكم فليقرأ عليه
 فوائح سورة الكهف انه خارج حلة بين الشام والعراق فعاش يمينا وشمالا يا عباد
 الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم
 كسنة ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم فقلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي
 كسنة انكفينا فيه صلاة يوم قال لا أفدروا الله قدره قلنا يا رسول الله وما لإسراعه
 في الأرض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به
 ويستجيبون له قال فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث وتروح عليهم سارحتهم
 أطول ما كانت ذرا وأسبغه ضروعا وامده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم
 فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم
 ويمر بالحرية فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيما سيب النحل ثم يدعو
 رجلا ممتلئا شبايا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلنين رمية الغرض ثم يدعو فيقبل
 يتהל وجهه يضحك فينا هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فنزل عند المنارة
 البيضاء شرق دمشق بين مهر وذتين (٢) واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ
 رأسه قطر (٣) وإذا رفعه تحدر منه جمان كالؤلؤ فلا يحل لكافر يجدر بريح نفسه إلا
 مات ونفسه ينتهى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بياب لدفيقته ثم يأتى عيسى
 عليه السلام قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في
 الجنة فيبينا هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام انى قد أخرجت عبادا
 لى لا يدان (٤) لا حد بقتالهم فحرز عبادى إلى الطور وبيعت الله بأجوج وماجوج

(١) الله أعلم بمراد رسوله صلى الله عليه وسلم فكأنه يريد من المؤمن أن
 يغالب الفتن مستعينا بالله تعالى ويعرفنا أن خروج ذلك الملعون محقق بين يدي
 الساعة كما أراد صلى الله عليه وآله بقوله انا حجيج انا حجيج انا حجيج انا حجيج انا حجيج
 وهدى . ربنا لا نزع قلوبنا بعد أهديتنا وهدى لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب .

(٢) أى ثوبين ملونين بالورس والزعفران .

(٣) أى أن عيسى عليه السلام إذا خفض رأسه قطر من شعره قطرات
 نورانية كالإلى فاذا رفع رأسه تحدرت تلك القطرات .

(٤) أى لا قوة ولا قدرة عند احد يغالبهم والله غالب على أمره . أحمد مرعى

وهم من كل حذب ينسلون فيمر اوابلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر
 آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحضر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون
 رأس الثور لآحدهم خيرا من مائة دينار لآحدهم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه
 فيرسل الله النصف^(١) فيرقابهم فيصيحون فرسى^(٢) كوت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله
 عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون موضع شرب إلا ملاء زهمهم وتنتهم فيرغب
 عيسى وأصحابه فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله
 ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وير فينسل الأرض حتى يتركها كالزقعة
 ثم يقال للأرض انبتي ثمرك ووردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرومانه
 ويستظلون بقحفها ويبارك الله في الرسل حتى ان اللقمة من الابل لتكفي الفئام من
 الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من
 الناس فبيناهم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذ بهم تحت اباطهم فيقبض روح
 كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهاجون^(٣) فيها تهاجر الحمر فعليهم تقوم
 الساعة زاد في أخرى بعد قوله مرة ماء ثم يسرون حتى ينتهوا إلى جبل الحمر وهو
 جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الأرض فلنقتل من في السماء فيرمون
 بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دما أخرجه الترمذى في جامعه
 وذكر رمى بأجوج مأجوج بنشابهم متصلة بالحديث يقال ثم يسرون حتى ينتهوا
 إلى جبل^(٤) بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الأرض فهاهم فلنقتل من في السماء
 فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم محمرا دما ويحاصر عيسى بن مريم

(١) النصف بالتحريك دود يكون في أنف الابل والغنم .

(٢) جمع فريس والفريس القنيل .

(٣) أى يختلطون ويتخاصمون وقيل يجامعون النساء علانية بحضرة الناس
 كالحمر ولا يكترثون لذلك . ومن لا حياء فيه لا خير فيه .

(٤) قال الحافظ ابن كثير في رواية إنه ينزل بيت المقدس وفي رواية بالأردن وفي
 رواية بمعسكر المسلمين . قلت حديث نزوله بيت المقدس عند ابن ماجه وهو عندي
 ارجح . ولا ينافى سائر الروايات لان بيت المقدس موضع شرقى دمشق وهو
 معسكر المسلمين اذ ذاك . والأردن اسم الكورة كما في الصحاح . وبيت المقدس
 داخل فيه . وإن كان البيت ليس به منارة الآن فلا بد أن تحدث قبل نزوله عليه
 السلام كذا ذكره السوطى في تعليقه على ابن ماجه .

الحديث وقال بدل قوله فيطر حهم حيث شاء الله قال فتحملهم فتطر حهم بالنهبل (١) قال ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم سبع سنين قال ويرسل الله عليهم مطرا الحديث إلى آخره في غير الترمذى فيطر حهم في النهبل والمهبل البحر النى عند مطلع الشمس وخرجه ابن ماجه في سننه أيضا كما خرجه مسلم ولم يذكر الزيادة التي ذكرها مسلم متصلة ولا الترمذى متصلة من حديث النواس بن سمان وإنما ذكرها من جهيث أبي سعيد الخدري وسيأتي وذكر ما ذكره الترمذى فقال حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا يحيى بن حمزة قال حدثنا ابن جابر عن يحيى بن جابر الطائي قال حدثنا عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه أنه سمع النواس بن سمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يستوقد المسلمون من قسي بأجوج ومأجوج ونشابهم واطرستهم سبع سنين .

قال وحدثنا علي بن محمد قال حدثنا عبد الرحمن المحاربي عن اسماعيل بن رافع أبي رافع عن أبي عمر الشيباني زرعه عن أبي أمامة الباهلي قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه وكان من قوله ان قال انه لم يكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله تعالى آدم صلى الله عليه وسلم أعظم من فتنة الدجال وأن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال وأنا آخر الانبياء وأنتم آخر الامم وهو خارج فيكم لا محالة فان يخرج وأنا بين ظهرانيكم فانا حجيج كل مسلم وأن يخرج من بعدى فكل حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم وأنه يخرج من حلة بين الشام والعراق فيبعث يمينا وبعث شمالا يا عباد الله أيها الناس فائتتوا فاني سأصفه لكم صفة لم يصفها لياه نبي قبلي أنه يبدو فيقول أنا نبي الله ولانبي بعدى ثم يثني فيقول أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى يموتوا وأنه أعور وأن ربكم ليس بأعور وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب وأن من فتنه أن معه جنة ونارا فمن ابتلى بنساره فليستعذ بالله وليقرأ فوائح الكهف فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار على ابراهيم وان من فتنه أن يقول لأعرابي أرايت ان أحيت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك فيقول نعم فيمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان يا بني اتبعه فانه ربك وان من فتنه أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها بنشرها بالمنشار حتى يلقى نصفين ثم يقول أنظروا إلى عبدى هذا فاني أبعثه الآن ثم يزعم أن له ربا غيرى فيبته الله (١) والنهبل موضع في بيت المقدس وقيل حيث تطلع الشمس والله أعلم . أحمد مرسي

فيقول له الخبيث من ربك فيقول ربى الله وأنت عدو الله أنت الدجال والله ما كنت بعد أشد بصيرة بك منى اليوم .

قال أبو الحسن الطنابغى حدثنا المحاربى قال حدثنا عبد الله بن الوليد الرصافى عن عطية عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل أرفع أمى درجة فى الجنة قال قال أبو سعيد ما كنا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب حتى مضى لسبيله .

قال المحاربى ثم رجعنا إلى حديث أبي رافع قال وأن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت وأن من فتنته أن يامر بالحى فيكذبوه فلا يبقى لهم سائمة إلا هلكت وأن من فتنته أن يامر بالحى فيصدقوه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشهم من يومهم ذلك أسمن ما كات وأعظمه وأمدته خواصر وأدر ضروعا وأنه لا يبقى شىء من الأرض إلا وطيه وظهر عليه إلا مكة والمدينة فإنه لا يأتى من نقب من أنقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلته حتى ينزل عند الطريب الأحمر عند منقطع السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه فينبى الخبيث منها كما ينبى الكير خبيث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص فقالت أم شريك بنت أبى العسكر يا رسول الله فاين العرب (١) قال هم قليل وجاهم بيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم يصلى بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم عليه السلام فيرجع ذلك الإمام ينكص القهقرى ليتقدم عيسى فيصلى بالناس فيضع عيسى عليه السلام يده على كتفه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلى بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام افتحوا الباب فيفتح ووراءه الدجال ومعه سبعون ألف يهودى كلهم ذو سيف محلى وسلاح فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح فى الماء وانطلق هاربا ويقول عيسى عليه السلام أن لى فيك ضربة لن تسبقنى بها فيسدر كبة عند باب اللد الشرقى فيضربه فيقتله فيهزم الله اليهود ولا يبقى شىء مما خلقه الله يتوارى به يهودى إلا أنطق الله ذلك الشىء ولا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودى قتال فاقته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن أيامه أربعون سنة سنة كتنصف السنة والسنة كالشهر والشهر كالجمعة وآخر

(١) لى لصدق جهادهم فى سبيل الله سبحانه .

أيامه كالشررة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسى قبيل
 يا رسول الله كيف نصلى في تلك الأيام القصار قال تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها
 في هذه الأيام الطوال ثم صلوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون عيسى
 عليه السلام في أمي حكما عدلا وإماما مقسطا يدق الصليب ويذبح الخنزير ويضع
 الجزية ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا يعير وترفع الشجناء والتباغض ويرفع
 حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في في الحية فلا تضره وتغز الوليدة الأسد
 فلا يضرها ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها وتملا الأرض من السلم كما يملأ الإناث
 من الماء وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله وتضع الحرب أوزارها وتسلم
 فريش ملكها وتكون الأرض كفاثور^(١) القضة تنبت نباتها بعهد آدم عليه السلام
 حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبههم ويجمع النفر على الرمانة فتشبههم
 ويكون الثور بكذا وكذا من المال وتكون الفرس بالدرهيمات قيل يا رسول الله
 وما يرخص الفرس قال لا تركب لحرب أبدا فقيل له يا رسول الله وما يغلى الثور
 قال تحرت الأرض كلها وأن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد يصيب بها
 الناس جوع شديد يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها ويأمر الأرض
 أن تحبس ثلث نباتها ثم يأمر الله السماء في الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض
 فتحبس ثلثي نباتها ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر
 قطرة ويأمر الأرض فتحبس نباتها فلا تنبت خضراً ولا يبقى ذات ظلف ولا ذات
 ضرس إلا هلكت إلا ما شاء الله فقيل فما يعيش الناس في ذلك الزمان قال التهليل
 والتكبير والتسبيح والتحميد ويجزى ذلك عنهم مجزى الطعام قال ابن ماجه سمعت
 أبا الحسن الطنافسي يقول سمعت نبيد الرحمن المحاربي يقول . ينبغي أن يرفع هذا
 الحديث للدؤوب حتى يمله للصبيان في المكتب وفي حديث أسماء بنت يزيد الأنصارية
 قالوا يا رسول الله ذكرت الدجال فوالله إن أحدنا ليعجن عجينة فما يخبز حتى يخشى
 أن يفتن وأنت تقول الأظمة تذوي إليه فقال رسول الله يكفي المؤمن يومئذ
 ما يكفي الملائكة فقالوا فإن الملائكة لا تأكل ولا تشرب ولكنها تقدر فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام المؤمنين يومئذ التسبيح .

وذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت

(١) أي الطست أو الخوان .

يزيد الأنصارية قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال أن بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث مطرها والأرض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها والثالثة تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلكت وأن من أشد فتنته أنه يأتي لأعرابي فيقول له أرأيت أن أحييت لك أباك ألس تعلم أنى ربك فيقول بلى فيمثل الشيطان له نحو ابه كأحسن ما تكون ضروعا وأعظمه اسمته قال ويأتى الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرأيت أن أحييت لك أخاك وأحييت لك أباك ألس تعلم أنى ربك فيقول بلى فيمثل الشيطان نحو أخيه وأبيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم به قالت فأخذت بجنبتي الباب فقال مهيم^(۱) يا أسماء قلت يا رسول الله لقد خلعت أفدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وأنا حى فأنا حجيجه وإلا فإن ربي خليفة على كل مؤمن قالت أسماء فقلت يا رسول الله وإنا لنعجن عجينا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بال مؤمنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزى أهل السماء من التسبيح والتكديس .

وخرج مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينزلن ابن مريم حكما عدلا فيكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا تسمى^(۲) عليها وليذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الناس إلى المال فلا يقبله أحد .

وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم إذا نزل عيسى بن مريم فيكم وإمامكم منكم وفي رواية فاممكم منكم قال ابن أبي ذيب تدرى ما امامكم منكم قلت تخبرني قال فاممكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسى بيده ليهلن ابن مريم بنفج من الروحا حاجا أو معتمرا أو ليثنينها .

وجاء عز رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ليدركن المسيح ابن مريم رجالا

(۱) أى مالك والكلمة يمانية .

(۲) أى لا يعمل عليها أو لعدم من يقبل الصدقة أو لتعدد وسائل النقل الحديثة .

من أمي مثلكم أو خيراً منكم بقوله ذلك ثلاث مرات ذكره ابن بروجان في كتاب الإرشاد له .

وروى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم على ثمان مائة رجل وأربع مائة امرأة خيار من على الأرض يومئذ وكصلحاء من مضي .

وعن عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم فيزوج ويولد له ولد ويمكث خمسة وأربعين سنة ويدفن معي في قبري (١) فأقوم أنا وعيسى من قبر واحد بين أبي بكر وعمر ذكره المياثي (٢) أبو حفص (أبو جعفر) ويقال أنه يتزوج امرأة من العرب بعد ما يقتل الدجال وتلد له بنتا تموت ثم يموت هو بعد ما يعيش سنتين ذكره أبو الليث السمرقندي وخالفه كعب في هذا وأنه يولد له ولدان وسيأتي .

وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يمكث عيسى في الأرض بعد ما ينزل أربعين سنة ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه ذكره أبو داود الطيالسي في مسنده قال حدثنا هشام عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة وبهذا السند عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين مصرتين كأن رأسه يقطر ولم يصبه بلل وأنه يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويفيض المال حتى يهلك الله في زمانه الممل كلها غير الإسلام وحتى يهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الأعور الكذاب ويقع الأمانة في الأرض حتى يرعى الأسد مع الإبل والنمر مع البقر والذئب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحياة فلا يضر بعضهم بعضاً يبقى في الأرض أربعين سنة ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه وفي بعض الروايات أنه يمكث أربعاً وعشرين سنة .

(١) أي مقبرتي .

(٢) وكذا ابن الجوزي في كتاب الوفاء ، ذكره في المشكاة اه .

وفي حديث عبد الله بن عمر ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة الحديث وقد تقدم بكلامه وهذا يدل على أنه يمكث في الأرض سبع^(١) سنين والله أعلم.

وقال كعب الأحبار أن عيسى عليه السلام يمكث في الأرض أربعين سنة ويكثر الخير على يديه وتنزل البركات في الأرزاق حتى أن العنبة لياكل منها الرجل حاجته ويفضل والقطف من العنب يأكل منه الجمع الغفير والمخلق الكثير حتى أن الرمانة انثقل الجمل وحتى أن الحى ليعبر بالميت فيقول قم فانظر ما أنزله الله من البركة وأن عيسى عليه السلام يتزوج بامرأة من آل فلان ويرزق منها ولدان فيسمى أحدهما محمد والآخر موسى ويكون الناس معه على خير وفي خير زمان وذلك أربعين سنة ثم يقبض الله روح عيسى ويدنق الموت ويدفن إلى جانب النبي صلى الله عليه وسلم في الحجرة ويموت خيار الأمة ويبقى شرارها في قلة من المؤمنين فذلك قوله عليه السلام بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ وقيل أنه يدفن بالأرض المقدسة مدفن الأنبياء.

فصل

ذهب قوم إلى أن ينزل عيسى عليه السلام يرتفع التكليف لئلا يكون رسولا إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله تعالى وينهاهم وهذا أمر مردود بقوله تعالى وخاتم النبيين وقوله عليه الصلاة والسلام لا نبي بعدى وقوله وأنا العاقب يريد آخر الأنبياء وخاتمهم وإذا كان ذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى ينزل نبيا بشريعة متجددة وغير شريعة محمد نبينا صلى الله عليه وسلم بل إذا نزل فإنه يكون يومئذ من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم كما أخبر صلى الله عليه وسلم حيث قال لعمر لو كان موسى حيا ما وسعه إلا إتباعي^(٢).

وروى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى

(١) أقول ولا ينافي ما تقدم لأن مكثه سبع سنين بعد موت الدجال اهـ.

(٢) لقوله تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه.

ابن مريم عليه السلام فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض
أمراء لكرامة الله لهذه الأمة خرجه مسلم في صحيحة وغيره فعيى عليه السلام إنما
ينزل مقرراً لهذه الشريعة ومجدداً لها اذ هي آخر الشرائع ومحمد صلى الله عليه وسلم
آخر الرسل فينزل حكماً مقسطاً وإذا صار حكماً فإنه لا سلطان يومئذ للمسلمين
ولا إمام ولا قاضى ولا مفتى قد قبض الله تعالى العلم وخلا الناس منه فينزل وقد
علم بأمر الله تعالى له في السماء قبل أن ينزل ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة للحكم
به بين الناس والعمل به في نفسه فيجتمع المؤمنون عند ذلك إليه ويحكمونه على
أنفسهم إذ لا أحد يصلح لذلك غيره ولأن تعطيل الحكم غير جائز وأيضاً فإن بقاء
الدنيا إنما يكون بمقتضى التكليف إلى أن لا يقال في الأرض الله على ما يأتي
وهذا واضح .

فصل

فإن قيل فالحكمة في نزوله في ذلك الوقت دون غيره فالجواب عنه من ثلاثة
أوجه أحدها يحتمل أن يكون ذلك لأن اليهود همت بقتله وصلبه وجرى أمرهم
معه على ما بينه الله تعالى في كتابه وهم أبدأ يدعون أنهم قتلوه وينسبونه في السحر
وغيره إلى ما كان الله يراه ونزوه منه ولقد ضرب الله عليهم الذلة فلم تقوم لهم منذ
أعز الله الإسلام وأظهره راية ولا كان لهم في بقعة من بقاع الأرض سلطان
ولا قوة ولا شوكة ولا يزالون كذلك حتى تقرب الساعة فيظهر الدجال وهو
أسحر السحرة ويبايعه اليهود فيكونون يومئذ جنده مقدرين أنهم ينتقمون به من
المسلمين فإذا صار أمرهم إلى هذا أنزل الله تعالى الذي عندهم أنهم قد قتلوه وأبرزه
لهم ولغيرهم من المنافقين والمخالفين حياً ونصرة على رئيسهم وكبيرهم المدعى
الربوبية فقتله وهزم جنده من اليهود بمن معه من المؤمنين فلا يجدون يومئذ مهرباً
وإن توارى أحد منهم بشجر أو حجر أو جدار ناداه يا روح الله ما هنا يهودى
حتى يرة ف عليه فإما أن يسلم وإما أن يقتل وكذا كل كافر من كل صنف حتى لا يبقى
على وجه الأرض كافر والوجه الثاني وهو أنه يحتمل أن يكون إنزاله مدة لدنو

أجله لا لقتال الدجال لأنه لا ينبغي لمخلوق من التراب أن يموت في السماء لكن أمره يجرى على ما قال الله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى فينزله الله تعالى ليقره في الأرض مدة يراه فيها من يقرب منه ويسمع به من نأى عنه ثم يقبضه فيتولى المؤمنون أمره ويصلون عليه ويدفن حيث دفن الأنبياء الذين أمه مريم من نسلهم وهي الأرض المقدسة فينشر إذا نشر معهم فهذا سبب إنزاله غير أنه يتفق في تلك الأيام من بلوغ الدجال باب لد هذا ما وردت به الأخبار فإذا اتفق ذلك وكان الدجال قد بلغ من فتنته أن ادعى الربوبية ولم ينتصب لقتاله أحد من المؤمنين لقتلهم كان هو أحق بالتوجه إليه ويجرى قتله على يديه إذ كان من اصطفاه الله لرسالته وأنزل عليه كتابه وجعله وأمه آية فعلى هذا الوجه يكون الأمر بإنزاله لأنه ينزل لقتال الدجال قصداً والوجه الثالث أنه وجد في الإنجيل فضل أمة محمد صلى الله عليه وسلم حسب ما قال وقوله الحق ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل فدعى الله عز وجل أن يجعله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فاستجاب الله تعالى دعاءه ورفعاه إلى السماء إلى أن ينزله آخر الزمان مجدداً لما درس من دين الإسلام دين محمد عليه الصلاة والسلام فوافق خروج الدجال فيقتله ولا يبعد على هذا أن يقال أن قتاله للدجال يجوز أن يكون من حيث أنه إذا حصل بين ظهرائي الناس وهم مفتونون قد عم فرض الجهاد أعيانهم وهو أحدم لزمه من هذا الفرض ما يلزم غيره فذلك يقوم به وذلك داخل في اتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبالله التوفيق واختلف حيث يدفن قميل بالأرض المقدسة ذكره الحلبي وقيل يدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم على ما ذكرناه في الأخبار.

فصل

واختلف في لفظة المسيح على ثلاثة وعشرين قولاً ذكرها الحافظ أبو الخطاب

ابن دحية في كتابه مجمع البحرين وقال لم أر من جمعها قبلي ممن رحل وجمال
ولقي الرجال .

القول الاول وهو مسيح يسكون للسين وكسر الياء على وزن مفعول فأسكنت
الياء ونقلت حركتها إلى السين لاستثقالهم الكسرة على الياء .

القول الثاني قال ابن عباس كان لا يمسح ذا عاهة إلى برىء ولا ميتا إلا حبي
فهو هنا من ابنية اسماء الفاعلين مسيح بمعنى ماسح .

القول الثالث قال إبراهيم النخعي المسيح الصديق وقاله الأصمعي وابن الأعرابي .
القول الرابع قال أبو عبيد أظن هذه الكلمة مشحا بالسين المعجمة فحربت
وكذا تنطق به اليهود .

القول الخامس قال ابن عباس أيضاً في رواية عطاء عنه سمي مسيحا لأنه كان
أمسح الرجل ليس لرجله أخمص والأخمص ما لا يمس الأرض من باطن الرجل فإذا
لم يكن للقدم أخمص قيل فيه قدم رحا ورجل رحا وامرأة رحا .

القول السادس قيل سمي مسيحا لأنه خرج من بطن أمه كأنه مسح بالدهن .

القول السابع قيل سمي مسيحا لأنه مسح عند ولادته بالدهن .

القول الثامن قال الإمام أبو إسحاق الجواني في غريبه الكبير هو لاسم خصه
الله تعالى به أو لمسح زكريا .

القول التاسع قيل سمي بذلك لحسن وجهه إذ المسيح في اللغة الجميل الوجه يقال
على وجهه مسحة من جماله وحسن ومنه ما يروى في الحديث الغريب الضعيف
يطلع عليكم من هذا الفج خير ذى يمن كأن على وجهه مسحة ملك .

القول العاشر المسيح في اللغة قطع الفضة وكذلك المسيحة القطعة من الفضة وكذلك
كان المسيح بن مريم أبيض مشرب حمرة ربعة من الرجال عريض الصدر جمدا
والجمد ما هنا اجتماع الخلق وشدة الأسر .

القول الحادى عشر المسيح فى اللغة عرق الخيل . وأنشد اللغويون :

• إذا الجياد فضع بالمسيح ، يعنى العرق ثبت فى صحيح مسلم من حديث أبى بن كعب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيتنى ضرب فى صدرى ففصدت عرقاً وكأنى أنظر إلى الله عز وجل فرقا ذكره الخطابى فى شرحه بالصاد والضاد . وأنشد العجاج :

• إذ الجياد فضع المسيح ، . يعنى العرق

القول الثانى عشر المسيح الجماع يقال مسحها إذا جامعها قاله فى المجمع لابن فارس .

القول الثالث عشر المسيح السيف قاله أبو عمرو والمطرز .

القول الرابع عشر المسيح المكارى .

القول الخامس عشر المسيح الذى يمسح الأرض أى يقطعها قاله الثقة اللغوى أبو العباس أحمد بن يحيى بن ثعلب ولذلك سمي عيسى مسيحاً كان تارة بالشام وتارة بمصر وتارة على سواحل البحر وفى المهامة والقفار والمسيح الدجال كذلك سمي بذلك لجولانها فى الأرض .

القول السادس عشر ذكره بسنده إلى أبى الحسن القابسى وقد سأله الحافظ المقرئ أبو عمرو الدانى كيف يقرأ المسيح الدجال فقال بفتح الميم وتخفيف السين مثل المسيح بن مريم لأن عيسى عليه السلام مسح بالبركة وهذا مسحت عينه .

قال أبو الحسن ومن الناس من يقرؤه بكسر الميم وثقل السين فيعرف بذلك وهو وجه وأما أنا فلا أقرؤه إلا كما أخبرتك قال ابن دحية وحكى الأزهري أنه يقال مسيح بالتشديد على وزن فعيل قال فرقا بينه وبين عيسى عليه السلام ثم أسند عن شيخه أبى القاسم بن بشكوال عن أبى عمران موسى بن عبد الرحمن قال سمعت الحافظ أبى عمر بن عبد البريقول ومنهم من قال ذلك بالخاء يعنى المعجمة وذلك كله عند أهل العلم خطأ لا فرق بينهما وكذلك ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نطق به ونقله الصحابة للبلغون عنه .

وأُشيد في ذلك أهل اللغة قول عبد الله بن قيس الرقيات
وقالوا دع رقية واجتنبها فقلت لهم إذا خرج المسيح
يريد إذا خرج الدجال هكذا فسروه ولذلك ذكرناه .

وقال الراجز : - إذا المسيح قتل المسيحا - . يعنى عيسى بن مريم عليه السلام يقتل
الدجال بنبذك قرأته في المجلد الأول من شرح ألفاظ الغريب من الصحيح لمحمد
بن إسماعيل تأليف الفقيه القاضي الإمام المفتى أبي الأصبغ ابن سهل .

القول السابع عشر قيل سمي الدجال مسيحاً لأن المسيح الذي لا عين له
ولا حاجب قال ابن فارس والمسيح أحد شقي وجهه ، روح لا عين له ولا حاجب
ولذلك سمي الدجال مسيحاً ثم أسند عن حذيفة مستدلاً عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأن الدجال مسوح العين عليها ظفرة غليظة خرجه مسلم .

القول الثامن عشر للمسيح الكذاب وهذا يختص به الدجال لأنه يكذب فيقول
أنا الله فهذا كذب البشر ولذلك خصه الله بالشوه والعار .

القول التاسع عشر للمسيح المارد الخبيث وهو التمسح أيضاً عن ابن فارس
ويقال هو الكذاب وكذلك التمساح بالف .

القول العشرين قيل الدجال المسيح لسياحته وهو فعيل بمعنى فاعل والفرق بين
هذا وبين ما تقدم في الخامس عشر أن ذلك يختص بقطع الأرض وهذا بقطع جميع
البلاد في أربعين ليلة إلا مكة والمدينة .

القول الحادي والعشرون المسيح الدرهم الأطلس بلا نقش قاله ابن فارس وذلك
مطابق لصفة الأعور الدجال إذ أحد شقي وجهه مسوح وهو أشوه الرجال .

القول الثاني والعشرون قال الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة من تأليفه
سمى ابن مريم مسيحاً لأن الله مسح الذنوب عنه .

القول الثالث والعشرون قال الحافظ أبو نعيم في الكتاب المذكور وقيل سمي

ابن مريم مسيحاً لأن جبريل عليه السلام مسح بالبركة وهو قوله تعالى وجعلنا
مباركاً أينما كنت .

فصل

في بيان ما وقع في الحديث من الغريب قوله فيشبح أي يمد والميشار مفعال من
إشرت ووشرت إشرأ ووشرا ويقال منشار بالنون أيضاً وبالوجهين في الحديث
وهو مفعال أيضاً من يشرب وقوله تخفض ورفع بتخفيف الفاء أي أكثر من
الكلام فيه فتارة يرفع صوته ليعلم من بعد وتارة يخفض ليترجح من تعب الإعلان
وهذه حالة المكثّر في الكلام وروى بتشديد الفاء فيهما على التضعيف والتكثير
وقوله أنه خارج محله يروى بالحاء المعجمة وبالحاء المهملة قاله الهروي والخلة موضع
حزن وضجور والخلة ما بين البلدين وقال الحافظ ابن دحية ورواه ابن ماهان
والحميدى حله بفتح الحاء المهملة وضم اللام وكأنه يريد حلولة قال وقرأت في أصل
القطيعي من مسند الإمام أحمد بن حنبل وأنه يخرج حيله ولا أعلم روى ذلك أحداً
غيره وقد سقطت هذه اللفظة لأكثر رواة مسلم وبقى الكلام أنه خارج بين الشام
والعراق وجاء في حديث الترمذي أنه يخرج بخراسان وفي الرواية الأخرى من
ناحية أصبهان من قرية تسمى اليهودية وفي حديث ابن ماجه ومسلم بين الشام والعراق
ووجه الجمع أن مبدأ خروجه من خراسان من ناحية أصبهان ثم يخرج إلى الحجاز
فيما بين العراق والشام والله أعلم وعاء بالعين المهملة والثاء المثناة والتنوين على
أنه اسم فاعل وروى بفتح الثاء على أنه فعل ماض ووقع في حديث أبي أمامة على
العقل المستقبل والكل بمعنى الفساد عاث بعيث عيثاً فهو عاث عثي يعني عثوا
لعتان وفي التنزيل «ولا تعثوا في الأرض مفسدين» وقوله يا عباد الله فائتوا يعني
على الإسلام يحذروهم من فتنته لأنه يأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت وقوله
فاقدروا له قدره قال القاضي عياض هذا حكم مخصوص بذلك اليوم شرعه لنا صاحب
الشرع ولو وكلنا فيه لاجتهادنا لكانت الصلاة فيه عن الأوقات المعروفة في غيره
من الأيام .

قال المؤلف رحمه الله وكذلك الأيام القصار الحكم فيها أيضاً ما حكمه صاحب الشرع وقد حل بعض العلماء أن هذه الأيام الطوال ليست على ظاهرها وإنما هي محمولة على المعنى أى الهجوم عليكم غم عظيم لشدة البلاء وأيام البلاء طوال ثم يتنافس ذلك الغم فى اليوم الثانى ثم يتنافس فى اليوم الثالث ثم يعناد البلاء كما يقول الرجل اليوم عندى سنة ومنه قولهم شعر : وويل للمحب بلا آخره وهذا القول يردده قولهم أنكفينا فيه صلاة يوم وليلة قال لا أقدروا له قدره والمعنى قدروا الأوقات للصلوات وكذلك لا التفات لطعنه فى صحة هذه الألفاظ أعنى قوله أنكفينا فيه صلاة يوم قال لا أقدروا له قدره فقال هذا عندنا من الدسائس التى كادنا بها ذروا الخلاف علينا ولو كان صحيحاً لا شتهر على السنة الرواة كحديث الدجال ومكان أعظم وإن كان لقوة اشتهاره ولكان أعظم وأفظع من طلوع الشمس من مغربها والجواب أن هذه الألفاظ صحيحة حسب ما ذكره مسلم وحسبك به إماماً وقد ذكرها الترمذى من حديث النواس أيضاً وقال حديث حسن صحيح وخرجها أبو داود أيضاً وابن ماجه من حديث أبى أمامة وقاسم بن أصبغ من حديث جابر وهؤلاء أئمة أجلة من أئمة أهل الحديث وتطريق إدخال المخالفين الدسائس على أهل العلم والنحرز والثقة بعيد لا يلتفت إليه لانه يودى إلى القرح فى أخبار الآحاد ثم أن ذلك فى زمن خرق العادات وهذا منها وقوله محلين أى مجدين ويروى أزلين والمحل والأزل والقحط والجذب بمعنى واحد ويعاسب النحل لحوها وأحدها يعسوب ووجه التشبيه أن يعاسب النحل يتبع كل واحد منهم طائفة من النحل فتراها جماعات فى تفرقة فالكنوز تتبع الدجال كذلك وقوله بين مهرودتين أى بين شق ثوب والثقة نصف الملاءة أو فى حلين مأخوذ من المرء يفتح الماء وسكون الراء وهو الشق والقطع قال ابن دريد إنما سمي الشق هرداً للإفساد لا للإصلاح وقال يعقوب هرد القصار الثوب وهرته بالناء للثأب بائنتين من فوق إذا أحرقة وخرقه وقال أكثرهم فى ثوبين مصبوغتين بالصفرة وكأنه الذى صبغ بالهردى ووقع

في بعض الروايات بدل مهرودتين بمصرتين كذلك ذكره أبو داود الطيالسي من حديث أبي هريرة والممصرة من الثياب هي المصبوغة بالصفرة وليست بالمشبعة وقال ابن الأنباري مهرودتان بدال مهملة وذال معجمة معا أي مصرتين كما جاء في الحديث الآخر وقال غيره الهروء الذي يصنع بالعروق التي يقال لها الهرد بضم الهمزة وقال الهروي هرد ثوبه بالهرد وهو صبيغ يقال له العروق وقال القتيبي إن كان المحفوظ بالدال فهو مأخوذ من الهرد والهرد والهرد الشق ومعناه بين شقين والشقة نصف للملاءة وقال وهذا عندي خطأ من النقلة وأراد مهرودتين أي صفراوين يقال هرت العامة ألبتها صفرا وكان الثلاثي منه هروت تخالف الجماعة من أهل اللغة فيما نلوه وقد خطاه ابن مالانيساري وقال إنما يقول العرب هريت الثوب لا هروت ولو كان من ذلك لقل مهراة لا مهروة واللغة نقل ورواية لا قياس والعرب إنما يجوز ذلك في العامة خاصة لا في الشقة ولا يجوز قياس الشقة على العامة وأما رواية الذال المعجمة فهو إبدال من الهال المهملة فإن الذال والذال قد يتعاقبان فيقال رجل مدل بالدال المهملة ومدل بالذال المعجمة إذا كان قليل اللحم خفي الشخص والحمار ما استدار من اللؤلؤ والدرشبه قطرات العرق يستدير الجوهر وهو تشبيه حسن وقوله فخرز عبادي إلى الطور أي ارتحل بهم إلى جبل يحرزون فيه أنفسهم والطور الجبل بالسريانية .

قال الحافظ ابن دحية قيدناه في صحيح مسلم جوز بالجيم والواو والزاي كذا قيدناه في جامع الترمذي وقيدناه أيضا حدر بدال مهملة فأما حرز فهو الذي رواه أكثرهم وصحح بعضهم رواية حور وكلاهما صحيح لأن ما خير فقد أحرز وكذلك جوز بالجيم وأما حدر بدال مهملة فعناه أنزلهم إلى جهة الطور من حدرت الشيء فانحدر إذا أرسلته في صيب وحدر والنفف جمع نغفة وهي الدود تكون في أنوف الإبل والغنم وفرسى أي هلكى وهو جمع فريس يعنى مفروس مثل قتيل وقتلى وصرع وصرعى وأصله من فرس الذئب الشاة وأفرسها أي قتلها كأن تلك النفف فرستهم فيصبون موتى والزهم النتن والبنخت إبل غلاظ الأعناق عظام الاجسام والزلفة المصفدة الممتانة والجمع زائف قال ابن دحية قيدناه في صحيح مسلم بالفاء والقاف وهو

المرأة كذا فسرہ ابن عباس وقالة اللغويان أبو زيد الأنصاري وأبو العباس الشيباني
واللقحة الناقة الحلوب والغيام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة وفوق البطن
والفائور بالفاء الخوان يتخذ من الرخام ونحوه . قال الأغلبي العجيلي :
(إذ انجلى فائور عين الشمس) يقال هم على فائور واحد أي على مائة واحدة واحدة
ومنزلة واحدة والفائور أيضاً موضع قاله الجوهرى والله أعلم .

باب

ما جاء في أن حوارى عيسى عليه السلام إذا نزل أصحاب الكهف وفي
حجهم معه .

حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدثنا ابن أبي أويس قال حدثنا كثير بن عبد الله
ابن عوف عن أبيه عن جده قال غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم الحديث وقد
تقدم وفيه ولا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم عبد الله ورسوله حاجا
أو معتبرا أو ليجمع الله ذلك له قال كثير فحدث بهذا الحديث محمد بن كعب
القرطبي قال ألا أرشدك في حديثك هذا قلت بلى فقال كان رجل يقرأ التوراة
والانجيل فأسلم وحسن إسلامه فسمع هذا الحديث من بعض القوم فقال ألا أبشركم
في هذا الحديث فقالوا بلى فقال إني أشهد أنه مكتوب في التوراة التي أنزلها الله على
موسى عليه السلام وأنه مكتوب في الانجيل الذي أنزله الله على عيسى بن مريم
عليه السلام عبد الله ورسوله وأنه يمر بالروحاء حاجا أو معتبرا أو يجمع الله له
ذلك فيجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقم فيمرون حاجا فإبهم لم يحجوا
ولم يموتوا .

باب

ما جاء أن عيسى إذا نزل يحد في أمة محمد صلى الله عليه وسلم خلقا من حواريه .

ذكر الترمذى الحكيم أبو عبد الله في نوادر الأصول في الأصل الثالث
والعشرين والمائة .

قال حدثنا الفضل بن محمد الواسطي قال حدثنا إبراهيم بن الوليد الدمشقي قال
حدثني أبي قال حدثنا عبد الملك بن عقبة الأفریقی عن أبي يونس مولى أبي هريرة
عن عبد الرحمن بن سمرة قال بعثني خالد بن الوليد بشيراً إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم موته فلما دخلت عليه قلت يا رسول الله فقال علي وسلك يا عبد الرحمن
أخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل زيد حتى قتل رحمه الله زيدا ثم أخذ اللواء جعفر
فقاتل جعفر حتى قتل رحمه الله جعفراً ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فقاتل حتى
قتل رحمه الله عبد الله بن رواحة ثم أخذ اللواء خالد ففتح الله لخالد نخاله سيف
من سيوف الله فبكي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم حوله فقال
ما يبكيكم قالوا ومالنا لا نبكي وقد قتل خيارنا وأشرفنا وأهل الفضل منا فقال
لا تبكوا فإنما مثل أمي مثل حديقة قام عليها صاحبها فاجتنب رواكها وهياً مساكها
وخلق سعتها فأطعمت عاماً فوجاً ثم عاماً فوجاً ففعل آخرها عاماً طعماً يكون
أجودها فنواناً وأطولها شمراخاً والذي بعثني بالحق ليجدن ابن مريم في أمي خلقتنا
من حواريه .

حدثنا علي بن سعيد بن مرزوق الكندي قال حدثنا عيسى بن يونس عن صفوان
بن مهران السكسكي عن عبد الرحمن بن حسين عن جبير بن نفيير الحضري قال لما
اشتد جزع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم علي من أصيب مع زيد بن حارثة
يوم موته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدركن المسيح من هذه الأمة أقواماً
لأنهم مثلكم أو خير منكم ثلاث مرات ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها
والله أعلم .

باب

ما جاء أن الدجال لا يضر مسلماً .

البزاري عن حذيفة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الدجال فقال لفتنة من بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال ليس من فتنة صغيرة ولا كبيرة إلا تضع لفتنة الدجال فن نجا من فتنة ما قبلها فقد نجا منها والله لا يضر مسلماً مكتوب بين عيذه كافر .

فصل

قال المؤلف رضي الله عنه أن قيل كيف قال في هذا الحديث لا يضر مسلماً وقد قتل الرجل الذي خرج إليه من المدينة ونشره بالمنشار وذلك أعظم الضرر قلنا ليس المراد ذلك وإنما المعنى أن المسلم المحقق لا يفتنه الدجال فيرده عن دينه لما يرى عليه من سيئات الحداث ومن لم يكن بهذه الصفة فقد يفتنه ويتبعه لما يرى من الشبهات كما في الحديث المذكور في الباب قبل هذا ويحتمل أن يكون عموماً يخصه ذلك الحديث وغيره والله أعلم .

باب

ما ذكر من أن ابن صياد الدجال واسمه صاف ويكنى أبا يوسف وسبب خروجه وصفة أبويه وأنه على دين اليهود .

البزاري عن محمد بن المكندر قال رأيت جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابن صياد الدجال فقلت له أنحلف على ذلك قال أني سمعت عمر يحلف بالله على ذلك عند النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود في سننه وعن نافع قال كان ابن عمر يقول والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد أخرجه أبو داود أيضاً وإسناده صحيح

مسلم عن أبي سعيد قال خرجنا حجاجاً أو عماراً ومعنا ابن صياد قال فزلنا مزلماً ففرق الناس وبقيت أنا وهو فأستوحشت منه وحشة شديدة بما يقال عليه قال وجاء بمتاعه فوضعه على متاعي فقلت إن الحر شديد فلو وضعت تحت

تلك الشجرة قال ففعل فرفعت لنا غم فانطلق بمس فقال اشرب ابا سعيد قلت
ان الحر شديد واللبن حار ما بي إلا اني اكره ان اشرب عن يده أو قال آخذه
عن يده فقال ابا سعيد من خفي عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خفي
عليكم معشر الأنصار ألسنت من أعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس
قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو كافر وأنا مسلم أوليس قد قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هو عقيم لا يولد له وقد تركت ولدي بالمدينة أوليس قد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يدخل المدينة ولا مكة فقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة
وفي رواية وقد حججت قال أبو سعيد حتى كدت أني أعذره ثم قال أما والله إنني
لا أعرفه وأعرف مولده وإن هو الآن قال قلت له نبأ لك سائر اليوم وفي
رواية قال أبو سعيد وقيل له أيسرك أنك ذلك الرجل أي الدجال قال فقال
لو عرض علي ما كرهت (۱).

وعن ابن عمر قال لقيت ابن صياد مرتين قلت لبعضهم هل تحدثون أنه هو
قال والله قال قلت كذبتني والله لقد أخبرني بعضكم أنه لن يموت حتى يكون
أكثركم مالا وولداً فكذلك هو زعموا اليوم قال فتحدثنا ثم فارقت قال فلقيته لقيه
أخرى وقد نفرت عينه قال فقلت متى فعلت عينك ما أرى قال لا أدري قال قلت
لا تدري وهي في رأسك قال إن شاء الله خلقها في عصاك هذه قال فنخر كأشد
نخير حمار سمعت قال فزعم بعض أصحابي أني ضربته بمصا كانت معي حتى تكسرت
وأما أنا فوالله ما شعرت قال وجاء حتى دخل على أم المؤمنين فحدثها فقالت ما تريد
إليه ألم تعلم أنه قد قال أن أول ما يبعثه على الناس غضب يفضبه وعنه قال انطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي ابن كعب إلى النخل التي فيها ابن صياد حتى إذا
دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل طفق يتق بجذوع النخل وهو يختل أن
يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه ابن صياد فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(۱) أي لو عرض ما في الدجال من الاغواء والخديعة والتلبيس ما كرهت -
بل قبلت وهذا دليل واضح على كفره . والله أعلم . باحد مرسي

وهو مضطجع على فراش في قטיפه له فيها زمزمة فرأت أم ابن صياد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتقي بجذوع النخل فقالت لابن صياد يا صاف وهو اسم ابن صياد هذا محمد فثار ابن صياد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تركته بين وفي رواية ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى قد خبات لك خبأ فقال ابن صياد هو الدخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخساً^(١) فلن تعدو قدرك فقال عمر بن الخطاب ذرني يا رسول الله أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يكنه فلن تسلط عليه وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله. أبو داود عن جابر بن عبد الله قال فقدنا ابن صياد يوم الهجرة.

الترمذي عن أبي بكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاماً لا يولد لها ولد ثم يولد لها ولد أعور أضرى^(٢) وأقله منفعة تمام عينه ولا ينام قلبه ثم نعت لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه فقال أبوه طوال ضرب اللحم كان أنفه منقار وأمه امرأة فرضاخية طويلة اليدين قال أبو بكر فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه فإذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما فقلنا هل لكما ولد فقالا مكشاً ثلاثين عاماً لا يولد لنا ولد ثم ولد لنا غلام أعور أضرى وأقله منفعة ينام عيناه ولا ينام قلبه قال فخرجنا من عندهما فإذا هو منجدل في الشمس في قטיפه وله همهمة فكشف عن رأسه فقال ما قلنا فلنا وهل سمعت ما قلنا قال نعم تمام عيناي ولا ينام قلبى

(١) أى أسكت صاغراً فلن تجاوز قدرك . أى القدر الذى يدركه السكهان فى الاهتداء الى بعض فلا يتجاوز دعوى النبوة .

(٢) أى عظيم الضرر .

(٣) أى لانه تطع أفكاره الفاسدة عند النوم لكثرة وساوسة وتتابع ما يلقى الشيطان اليه . أما حالة سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن قلبه عليه أفضل الصلاة والسلام لا ينام لتواتر الوحي الالهى والالهام الربانى فلا تستوى الظلمات والنور . أحمد مرسي

قال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة قلت خرجه أبو داود الطيالسي قال حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه . وروى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن يهودياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله . وفي آخره قال فأخبرني عن الدجال أن ولد آدم هو أم من ولد إبليس قال هو من ولد آدم لا أنه من ولد إبليس وأنه على دينكم معشر اليهود وذكروا الحديث وقيل أنه لم يولد بعد . وسيولد في آخر الزمان والأول أصح لما ذكرنا والله توفيقنا .

فصل

قال أبو سليمان الخطابي وقد اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافاً كثيراً وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول وقد يسأل عن هذا فيقال كيف يقار رسول الله صلى الله عليه وسلم من يدعى النبوة كاذباً ويتركه المدينة يساكنه في داره ويجاوره فيها وما وجه امتحانه إياه بما خبأ له من آية الدخان وقوله بعد ذلك إخسا فلن تعدو قدرك قال أبو سليمان والذي عندي أن هذه القضية إنما جرت معه أيام مهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم واليهود وحلفائهم وذلك أنه بعد مقدمه المدينة كتب بينه وبينهم كتاباً وصالحهم فيه على أن لا يهاجروا وأن يتركوا على أمرهم وكان ابن صياد منهم أو دخيل في جملتهم وكان يباغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الغيب فامتحنوه بذلك أيروا آية أمره فلما كلفه علم نه معطل وأنه من جملة السحرة والكهنة يأتيه ريبب من الجن أو يتعاهده شيطان فلبقى على لسانه بعض ما يتكلم به فلما سمع منه قول الدخ زجره وقال إخسا ولن تعدو قدرك يريد أن ذلك شيء ألقاه إليه الشيطان وأجراه على لسانه وليس ذلك من قبل الوحي إذ لم يكن له قدر الأنبياء الذي يوحى إليهم علم الغيب ولا درجة الأولياء الذين يلهمون العلم وبصيرون بنور قلوبهم الحق وإنما كانت لهم آراءات بصيب في بعضها ويخطئ في بعض وذلك معنى قوله يأتي صادق وكاذب فقال له عند ذلك خلط عليك والحكمة في أمره أنه كان فتنة امتحن الله بها عباده

للؤمنين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة وقد امتحن الله قوم موسى في زمانه بالعجل فافتن به قوم وهلكوا ونجا من هداه الله وعصمه منهم وقد اختلفت الروايات في أمر ابن صياد في ما كان من شأنه بعد كبره فروى أنه تاب عن ذلك القول ثم أنه مات بالمدينة وأنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتى رآه الناس وقيل لهم اشهدوا قال الشيخ الصحيح خلاف هذا لحلف جابر وعمر أن ابن صياد الدجال وروى أن أبا ذر كان يقول هو الدجال وروى ذلك عن ابن عمر وقال ابن جابر فقدناه يوم الحرة وهذا وما كان مثله يخالف رواية من روى أنه مات بالمدينة والله أعلم وسيأتى لهذا الباب مزيد بيان في أن الدجال ابن صياد عند كلامنا على خبر الجساسة إن شاء الله تعالى .

باب

(ما جاء في نقب بأجوج وماجوج السد وخروجهم وصفتهم وفي لباسهم وطعامهم وبيان قوله تعالى فإذا جاء وعد ربى جعله دكا)

ابن ماجه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أجوج وماجوج يحفران كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا في يده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله فيرجعون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشقون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون سهامهم إلى السماء فيرجع إليها الدم . الذى أحفظ فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله نغفا في أفتانهم فيقتلون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إن دواب الأرض تسمن وتشكر شكرا من لحومهم قال الجوهري شكرت الناقة تشكر شكرا فهي شكره واشتكر الضرع . متلا قال كعب الاحبار أن أجوج ينقرون بمنقرم السد حتى إذا كادوا أن يخرجوا قالوا نرجع اليه غدا فنفرغ منه قال فيرجعون اليه وقد عاد كما كان فإذا بلغ الأمر ألقى على بعض أن يقولوا نرجع إن شاء الله غدا فنفرغ منه قال فيرجعون اليه وهو كما تركوه فيخرقونه ويخرجون فيأتى أولهم البحيرة فيشربونه

ما فيها من ماء ويأتي أوسطهم عليها فيلحسون ما كان فيها من طين ويأتي آخرهم فيقولون قد كان هاهنا ماء ثم يرمون بنبالهم نحو السماء فيقولون قد قهرنا من في الأرض وظهرنا على من في السماء قال فيغضب الله عليهم دواب يقال له النغف فيأخذ أبقاعهم فيقتلهم النغف حتى تنبت الأرض من ريحهم ثم يبعث الله عليهم طيرا فتقل أبدانهم إلى البحر فيرسل الله السماء أربعين فتبت الأرض حتى أن الرماة لتسبح السكن قبل لكعب وما السكن قال أهل البيت قال ثم يسمعون الصيحة وخرج ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يفتح بأجوج وماجوج فيخرجون كما قال الله تعالى وهم من كل حدب ينسلون، فيعمون الأرض وينحاز منهم المسلمون حتى يصير بقية المسلمين في مداينهم وحصونهم ويضمون اليهم مواشيهم حتى أنهم ليرون بالنهر فيشربونه حتى ما يذروا فيه شيئا فيمر آخرهم على أثرهم فيقول قائلهم لقد كان بهذا المكان مرة ماء ويظهرون على الأرض فيقول قائلهم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم لتنازلن أهل السماء حتى أن أحدهم ليهز حربته إلى السماء فترجع مخضبة بالدم فيقولون قد قتلنا أهل السماء فينبأهم كذلك إذ بعث الله عليهم دواب كنعف الجراد فتأخذ بأعنانهم فيموتون موت الجراد يركب بعضهم بعضا فيصبح المسلمون لا يسمعون لهم حسا فيقولون من رجل يشتري نفسه وينظر ما فعلوا فينزل اليهم رجل قد وطن نفسه على أن يقتلوه فيجدم حوتى فيناديهم ألا أبشروا فقد ملك عدوكم فيخرج الناس ويخلون سبيل مواشيهم فما يكون لهم رعى إلا لحومهم فتشكر عليها كأحسن ما شكرت من نبات أصابته قط وخرج ابن ماجه أيضاً وأبو بكر بن أبي شيبة واللفظ لابن ماجه عن عبد الله ابن مسعود قال لما كان ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم لقي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا الساعة فبدأوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده علم منها ثم سألوا موسى فلم يكن عنده علم منها فردوا الحديث إلى عيسى قال قد عهد إلى فيما دون وجبتها فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله فذكروا خروج الدجال قال فأنزل إليه فأقتله فيرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم بأجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فلا يمرن بماء إلا شربوه ولا شيء إلا أفسدوه فيجأرون

إلى الله فأدعوا الله أن يميتهم ففتن الأرض من ريحهم فيجأرون إلى الله فأدعوا
الله فيرسل السماء بالماء فتحملهم فتلقيهم في البحر ثم تنسف الجبال وتمد الأرض
مد الأديم فهود إلى إذا كان ذلك كانت الساعة من الناس كالحامل التي لا يدرى
أهلها متى تعجلهم بولادتها قال ابن أبي شيبة ليلاً أو نهاراً قال العوام ووجه تصديق
ذلك في كتاب الله تعالى و حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون
فلا يمرون بماء إلا شربوه ولا شيء إلا أفسدوه زاد ابن أبي شيبة واقرب الوعد
الحق وروى عن عمرو بن العاص قال ان يأجوج ومأجوج ذرة جهنم ليس فيهم
صديق وهم على ثلاثة أصناف على طول الشبر وعلى طول الشبرين وثلاث منهم طوله
وعرضه سواء وهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام وروى عن عطية بن حسان
أنه قال يأجوج ومأجوج أمتان في كل أمة أربع مائة ألف ليس منها أمة تشبه
بعضها بعضاً وروى عن الأوزاعي أنه قال الأرض سبعة أجزاء فستة أجزاء منها
يأجوج ومأجوج وجزء فيه سائر الخلق وروى عن قتادة أنه قال الأرض أربعة
وعشرون ألف فرسخ يعني الجزء الذي فيه سائر الخلق غير يأجوج ومأجوج فإثنا
عشر للهند والسند وثمانية آلاف للصين وثلاثة آلاف للروم وألف فرسخ للعرب
وذكر علي بن معبد عن أشعث عن شعبة عن زرطاه بن المنذر قال إذا خرج يأجوج
ومأجوج أوحى الله تبارك وتعالى إلى عيسى عليه السلام أني قد أخرجت خلقاً
من خلقي لا يطيقهم أحد غيري فر بن معك إلى جبل الطور ومعه من النراري
إثنا عشر ألفاً قال يأجوج ومأجوج ذرى في جهنم وهم على ثلاثة أثلاث تلك على
طول الأرض وثلاث مربع طوله وعرضه واحد وهم أشد وثلاث يفرش إحدى
أذنيه ويلتحف بالآخرى وهم من ولد يافث بن نوح ويروى عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال يأجوج أمة لها أربع مائة أمير وكذلك مأجوج لا يموت أحدهم حتى
ينظر إلى ألف فارس من ولده صنف منهم كالأرز حوصف منهم طوله مائة
وعشرون ذراعاً وصنف منهم يفرش أذنه ويلتحف بالآخرى لا يمرون بفيل
ولا خنزير إلا أكلوه ويأكلون من مات منهم مقدمتهم بالشام وساقنتهم بخراسان
يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية فيمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس

ويروى أنهم يأكلون جميع حشرات الأرض من الحياة والعقارب وكل ذى روح مما خلق الله في الأرض وليس لله خلق ينمى نساؤهم في العام الواحد ولا يزداد كزيادتهم ولا يكثر ككثرتهم يتداعون تدهى الحمام ويعمون عواء الكلاب ويتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا (صح أصله في كتاب القصد والامم في أنساب العرب والعجم) قال ومنهم من له قرن وذنب وأنياب بارزة يأكلون اللحوم نية وقال كعب الأحبار خلق الله يأجوج ومأجوج على ثلاثة أصناف صنف أجسامهم كالارز وصنف أربعة أزرع طولا وأربعة أزرع عرضا وصنف يفتريشون آذانهم ويلتحفون بالآخرى فبأكلون مشايخ نساؤهم ذكره أبو نعيم الحافظ. وذكره عبد الملك بن حبيب أنه قال في قول الله عز وجل في قصة ذى القرنين . . فأتبع ضيابه يعنى منازل الأرض ومعالها وطرفها حتى إذا بلغ بين السدين يعنى الجبلين الذين خلفهم يأجوج ومأجوج وجد من دونها قوما لا يكادون يفقهون قولا أى كلاما قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض قال عبد الملك ومما أمتان من ولد يافث بن نوح مد الله لهما فى العمر وأكثر لهما فى النسل حتى ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد له ألف ولد فولد آدم كلهم عشرة أجزاء يأجوج ومأجوج منهم تسعة أجزاء وسائر ولده كلهم جزء واحد قال عبد الملك كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرض القرم الذين هم قريب منهم فلا يدعون لهم شيئا إذا كان أخضر إلا أكلوه ولا يابسوا إلا حملوه فقال أهل تلك الأرض لذى القرنين هل لك أن نجعل لك خرجا يمنون جملا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكى فيه ربي خير من جعلكم ولكن أعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردا قالوا له وما تريد قال اتوني زير الحديد أى قطع الحديد فوضع بعضها على بعض كهية البناء فيما بين السدين ومما جبلان حتى إذا ساوى بين الصدفين يعنى جانبي الجبلين قال انفخوا أى أوقدوا حتى إذا جعله نارا قال اتوني أفرغ عليه قطرا فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا أى من تحته وقال عبد الملك فى قوله أفرغ عليه قطرا يعنى تحاسا ليلتصق فأفرغه عليه فدخل بعضه فى بعض قال فإذا جاء وعد ربي جعله دكا وفى تفسير الحوفى أبى الحسن أن ذا القرنين لما عاين ذلك منهم انصرف إلى ما بين الصدفين فقياس ما بينهما وهو فى منقطع التزك .

بما بلى مشرق الشمس فوجد بعد ما بينها مائة فرسخ فلما أنشأ في عمله حفر له أساساً حتى بلغ الماء جعل عرضه خمسين فرسخاً وجعل حشوة الصخور وطينه النحاس يذاب ثم يصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض ثم علاه وشرفه بزر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقاً من نحاس فصار كأنه برد محيرة من صفرة النحاس وحرته وسواد الحديد فلما فرغ منه وأحكمه انطلق عائداً الى جماعة الأانس والجن انتهى كلام الحوى . وعن علي رضي الله عنه قال وصنف منهم في طول شبر لهم مغاليب وأنباب كالسباع وتداع الحمام وتسافد البهائم وعواء الذئب وشعور تقيم الحر والبرد وآذان عظام أحدهما وبرة يشنون فيها والآخرى جلده يصيفون فيها . وقال كعب الأحبار احتلم آدم عليه السلام فأختلط ماؤه بالتراب فأسف فخلقوا من ذلك قال علماءنا وهذا فيه نظر لأن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه لا يحتلمون وقال الضحاك هم من الترك وقال مقاتل هم من ولد يافث بن نوح وهذا أشبه كما تقدم والله أعلم وقرأ عاصم بأجوج ومأجوج بالهمزة فيها وكذلك في الأنبياء على أنهما مشتقان من أجة الحر وهي شدته وتوقده ومنه أجيح النار ومن قولهم ملح أجاج فيكونان عربيين من أج ومع ولم يصرقا لهما جملا اسمين فيها مؤنثتان معرفتان والباقون بغير همز جعلوها لقبيلتين أعجميتين ولم يصرنا للعجمة والتعريف .

باب

ذكر الدابة وصفها ومتى تخرج ومن أين تخرج وكلها من خرجة وصفة خروجها معها إذا خرجت وحديث الجساسة وما فيها من ذكر الدجال قال الله تعالى وما معها (وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم) وذكر أبو بكر البزار قال حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا عبد المجيد بن عبد العزيز عن موسى ابن هبيدة عن صفوان بن سليم عن ابن لعبد الله بن مسعود عن أبيه رضي الله عنه قال أكثروا من زيارة هذا البيت من قبل أن يرفع وينسى الناس مكانه وأكثروا تلاوة القرآن من قبل أن يرفع قالوا يا أبا عبد الرحمن هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال .

قال يصبحون فيقولون قد كنا نتكلم بكلام ونقول قولاً فيرجعون إلى
 شعر الجاهلية وأحاديث الجاهلية وذلك حين يقع القول عليهم قال العلماء معنى وقع
 القول عليهم أى وجب الوعيد عليهم لتناديهم في العصيان والفسوق والظنbian
 وأعراضهم عن آيات الله وتركهم تدبرها والنزول على حكمها وانتهاجهم في المعاصي
 إلى ما لا ينجع معه فيهم موعظة ولا يصرفهم عن غيهم تذكرة يقول هر من قائل
 (فاذا صاروا كذلك) أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أى دابة تعقل وتنطق
 وذلك والله أعلم ليقع لهم العلم بأنه آية من قبل الله تعالى ضرورة فإن الدواب
 في العادة لا كلام لها ولا عقل . ابن ماجه عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال ذهب
 بي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضع بالبادية قريب من مكة فاذا أرض
 يابسة حولها رمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نخرج الدابة من هذا الموضوع فإذا فتر
 في شهر قال ابن بريدة فخرجت بعد ذلك بسنتين فأرانا عصا له فاذا هو بمصاى هذا
 وكذا الفتر ما بين السبابة والابهام إذا فتحتها قاله الجوهري وخرج ابن ماجه
 أيضاً عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تخرج
 الدابة ومعها خاتم سليمان بن داود وعصا موسى بن عمران فتجولوا وجه المؤمن
 بالعصى وتحطم أنف الكافر بالخاتم حتى إن أهل الخوان ليجتمعون فنقول هذا
 يا مؤمن وتقول هذا يا كافر . وأخرجه الترمذى وقال حديث حسن وذكر
 أبو داود الطيالسى في مسنده عن حذيفة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الدابة فقال لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج في أقصى البادية ولا يدخل
 ذكرها القرية (مكة) ثم تسكن زماناً طويلاً ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك
 فيفثوا ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية يعنى (مكة) قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة خيرها وأكرمها
 على الله المسجد الحرام لن تدعهم الأوهى ترغوبين الركن والمقام تنفض عن رأسها
 التراب فارفض الناس منها شئ ومعا وثبت عصاها من المؤمنين وعرفوا أنهم لن
 يعجزوا الله فبدأت بهم جللت وجوههم حتى جعلتها كالسكوكب الدرى وولت في
 الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى أن الرجل ليعوذ منها بالصلاة
 فتأني من خلفه فنقول له يا فلان الآن تصلى فتقبل عليه .

فتمسه في وجهه ثم تنطلق وتشتريك الناس في الأموال ويصطحبون في الأمصار
يعرف المؤمن من الكافر حتى أن المؤمن يقول يا كافر إقض حتى وحتى أن الكافر
يقول يا مؤمن إقض حتى وقد قيل أنها تسم وجوه الفريقين بالنفخ فتتقش في
وجه المؤمن مؤمن وفي وجه الكافر كافر قال المؤلف رحمه الله ولا يبعد أن تظهر
السمة وتبين بالنفخ فتجمع عليه الأمرين وعلى هذا لا تعارض واقع أعلم . وذكر
البغوي أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدثنا علي بن الجعد عن فضيل
ابن مرزوق الرقائي الأعز وسئل عنه يحيى بن معين فقال ثقة عن عطية العوفي
عن ابن عمر قال تخرج الدابة من صدع في الكعبة كجري الفرس ثلاثة أيام لا يخرج
ثلثها وذكر المياثي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دابة الأرض
تخرج من جواد فيبلغ صدرها الركن ولم يخرج زنبها بعد وهي دابة ذات وبروقوائم
وروى من حديث هشام بن يوسف القاضي أبي عبد الرحمن الصنعاني عن رباح
ابن عبيد الله بن عمر عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنس الشعب جواد قالوا وفيم ذلك يا رسول
الله . قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمها من بين الخائفين لم
يتابع رباح على هذا أخرجه الحديث أبو أحمد بن عدي الجرجاني رحمه الله .
وعن عمرو بن العاص قال تخرج الدابة من مكة من شجرة وذلك في أيام الحج
فيبلغ رأسها السحاب وما خرجت رجلاها بعد من التراب ذكره القتيبي في عيون
الأخبار له .

واضح وأقوال المفسرين بخلاف ما قال وأنه خلق عظيم يخرج من صدع من الصفا لا يفوتها أحد فتسم المؤمن فينير وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن وتسم الكافر فيسود وجهه وتكتب بين عينيه كافر وقال عبد الله بن عمر تخرج الدابة من جبل الصفا بمكة بنصدع فتخرج منه وقال عبد الله بن عمرو نحوه وقال لو شئت ان أضع قدمي على موضع خروجها لفعلت وروى عن قتادة أنها تخرج في شامة وروى أنها تخرج من مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح وقيل من أرض الطائف وروى عن ابن عمر أنها على خاتمة الآدميين وهي في السحاب وقوائمها في الأرض

وروى عن ابن الزبير أنها جمعت من خلق كل حيوان فرأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها إذن فيل وقرنها قرن إبل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هرود ذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصل ومفصل اثنا عشر ذراعاً ذكره الثعالبى والماوردى وغيرهما. وحكى النقاش عن ابن عباس أنها الثعبان المشرف على جدار الكعبة التي اقتاعها العقاب حين أرادت قريش بناء الكعبة ويروى أنها دابة مزغبة شعرا ذات قوائم طولها ستون ذراعاً ويقال إنها الجساسة في حديث فاطمة بنت قيس الحديث الطويل خرجه مسلم وذكره الترمذى وأبو داود مختصراً والسباق لمسلم وفيه ثم قال رسول الله ﷺ أتدرون لم جمعتم قالوا الله ورسوله أعلم قال إني والله ما جمعتم لرغبة ولا لرهبة ولكني جمعتم لأن تميما الدارى كان رجلاً نصرانياً فبايع واسلم وحدثنى حديثاً وافق الذى كنت أحدثكم عن المسيح الدجال حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لحم وجزام فلعب بهم الموج شهراً فى البحر ثم أرفقوا إلى جزيرة فى البحر حيث مغرب الشمس قال فجلسوا فى أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقبهم دابة أهل كثير الشعر - لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر وقال الترمذى أن ناساً من أهل فلسطين ركبوا سفينة فى البحر فجالت بهم حتى قدفتهم فى جزيرة من جزائر البحر فاذا هم بدابة لباسه فاشرة شعرها فقالوا من أنت قالت أنا الجساسة وذكر الحديث راجع سباق مسلم فقالوا

ويذكر ما أنت قالت أنا الجساسة قالوا وما الجساسة قالت أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالاشواق قال لما سمعت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا هو أعظم إنسان رأيناه خلقاً وأشد وثاقاً بمجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبته إلى كعبه بالحديد وقال الترمذي فاذا رجل موثق بسلسلة وقال أبو داود فاذا الرجل يحرق شعره مسلسل في الأغلال ينزوا فيها بين السماء والأرض قلنا ويذكر ما أنت قال قد قدرتم على خبري فاخبروني ما أنتم قالوا نحن ناس من العرب ركبنا سفينة بحرية فصادفنا البحر قد اغتم فلعب الموج شهراً ثم أرفأنا إلى جزيرة هذه فجلنا في أقرها فدخلنا الجزيرة فاقمنا دابة أهدب كثيرة^(۱) الشعر لا ندرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويذكر ما أنت فقالت أنا الجساسة^(۲) فقلنا وما الجساسة قالت أعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالاشواق فاقبلنا إليك سراعا وفزعنا منها وما نأمن أن تكون شيطانة فقال أخبروني عن نخل ييسان وقال الترمذي الذي بين الأردن وفلسطين قلنا عن أي شأنها تستخبر قال أسألكم عن نخلها هل ثمر قلنا له نعم قال أما أنها يوشك أن لا ثمر قال أخبروني عن بحيرة طبرية قلنا عن أي شأنها تستخبر قال هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين قلنا نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها قال أخبروني عن نبي الأميين^(۳) ما فعل قالوا قد خرج من مكة ونزل يثرب قال أقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع بهم فاخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال لهم قد كان ذلك؟ قلنا نعم قال أما إن ذلك هو خير لهم أن يطيعوه وإني مخبركم عنى أنا المسيح الدجال

(۱) قوله كثيرة الشعر معنى أهدب.

(۲) قيل سميت بذلك لأنها تتجسس الاخبار للدجال.

(۳) أراد بالأميين العرب لأنهم لا يكتبون ولا يقرأون غالباً وإنما اضافته

بهم اليهم طعنا عايبه بأنه مبعوث اليهم خاصة كما يزعم بعض اليهود أو بأنه غير مبعوث لذوى الفطنة والكياسة الخ. احمد مرسى

وانى اوشك أن يؤذن لى بالخروج فاخرج فاسير فى الارض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان على كاتهما كلما ردت أن أدخل واحدة منهما إستقبلنى ملك بيده السيف صائنا يصدنى عنها وأن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعز بمنصرته فى المنبر هذه طيبة يعنى المدينة الاهل كنت حدثتكم ذلك فقال الناس نعم قال فانه أعجبنى حديث تميم الدارى فانه وافق الذى كنت حدثتكم عنه وعن المدينة ومكة إلا أنه فى بحر الشام (۱) وبحر اليمن لا بل من قبل المشرق وما هو من قبل المشرق وأوماً بيده إلى المشرق قال حفظت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد خرج ابن ماجه حديث فاطمة بنت قيس قالت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وصعد المنبر وكان لا يصعد عليه مثل ذلك اليوم إلا يوم الجمعة فاشتد ذلك على الناس فن بين قائم وجالس فثار اليهم بيده أن أفعدوا فوالله ما قمت مقامى إلا لأمر ينفضكم لرغبة ولا رهبة ولكن تميم الدارى أتانى فاخبرنى خبراً منعى القيلولة من الفرح وقررة العين فأحببت أن أنشر عايكم فرح نبيكم صلى الله عليه وسلم إلا أن ابن عم لتيمم الدارى أخيرنى أن الريح الجأتهم الى جزيرة لا يعرفونها فقدموا فى قوارب السفينة فخرجوا بها فإذا هم بشيء أهدب أسود كثير الشعر قالوا لما ما أنت قالت أنا الجسامة قالوا اخبرينا قالت ما أنا بمنجرتكم شيئاً ولا سائلتكم وليكن هذا الدير قد رهقتموه فأتوه فان فيه رجلا بالإشواق الى أن تخبروه ويخبركم فأتوه فدخلوا عايه فإذا هم بشيخ موثق شديد الوثاق مظهر الحزن شديد التشكى فقال لهم من أين فقالوا من الشام قال

(۱) أراد ببحر الشام ما يلى الجانب الشامى وبيحر اليمن ما يلى الجانب اليمنى والبحر واحد ، وانما ردد بينهما إما لأن الوحي لما يكن نازلاً للتصريح بمحله بل قاله عن ظن ثم عرض له ظن آخر . واما لتقل الدجال من محل الى محل واما لانه رأى المصلحة فى التردد . والله بغيبه اعلم . . احمد مرسى

مانعات العرب قالوا نحن قوم من العرب غما تسأل قال ما فعل الرجل الذي خرج فيكم
قالوا خيرا اتى قوما فأظهره الله عليهم فأمرهم اليوم جميع إلا همم واحد ودينهم واحد
ونبيهم واحد قال ما فعات عين زغر قالوا خير ايسقون منها لزروعهم ويستقون
منها لشعثهم قال ما فعل نخل بين عمان ويسان قالوا يطعم ثمره كل عام قال مانعات
بحيرة الطبرية قالوا تدفق بجنباتها من كثرة الماء قال فزفر ثلاث زفرات ثم
قال لو انفات من وثاقى هذا لم أدع أرضا الارطيتها برجلى هانين الا طيبة ليس لى
عابها سبيل.

قال النبى صلى الله عليه وسلم الى هذا انتهى ورحى هذه طيبة والذي نفسى
بيده ما فيها طريق ضيق ولا واسع ولا سهول ولا جبل إلا وعابيه ملك شاهر
سيفه الى يوم القيامة.

قال المؤلف رحمه الله هذا حديث صحيح وقد خرجه مسلم والترمذى
وأبو داود وغيرهم رضى الله عنهم وقد قيل أن الـأبـة هو الفصيل الذى كان لئابة
صالح عليه السلام فلما قتلت الناقة هرب الفصيل بنفسه فانفتح له حجر فدخل
فيه ثم انطبق عابيه فهو فيه الى وقت حروجه حتى يخرج باذن الله تعالى .
قال المؤلف رحمه الله وبدل على هذا القول حديث حذيفة المذكور فى هذا الباب
وفيه وهى تزغوا والزغال انما هو للابل والله أعلم .

ولقد أحسن من قال

وإذ كر خروج فصيل ناقة صالح بسم الورى بالكفر والإيمان
وقد استدل من قال من العلماء أن الدجال ليس ابن صياد بحديث الجساسة وما كان فى
معناه والصحيح أن ابن صياد هو الدجال بدلالة ما تقدم وما يبعد أن يكون بالجزيرة ذلك
الوقت ويكون بين أظهر الصحابة فى وقت آخر إلى أن فقدوه يوم الحرة وفى
كتاب ابنى أبو داود فى خبر الجساسة من حديث أبى سلمة بن عبد الرحمن قال شهد

جابر أنه هو ابن صياد قلت فانه قد مات قال وإن مات قلت فانه قد أسلم قال وإن أسلم قلت فانه قد دخل المدينة قال وإن دخل المدينة .

وذكر سيف بن عمر في كتاب الفتوح والردة ولما نزل أبو سبرة في الناس على السوس وأحاط المسلمون بها وعليهم الشهربان أخو الهرمزان ناوشوم القنال كل ذلك يصيب أهل السوس من المسلمين فأشرف عليهم بوما الرهبان والقسيسون فقالوا يا معشر العرب أن بما عهد علياؤنا وأوائلنا أنه لا يفتح السوس إلا الدجال أو قوم فيهم الدجال فإن كان الدجال فيكم فستفتحونها وإن لم يكن فيكم فلا تمنوا أنفسكم بالحصار قال وصاف ابن صياد يومئذ مع النعمان في جند فأتى باب السوس غضبان فدفق برجله وقال انفتح فطار فتقطعت السلاسل وتكسرت الأغلاق وتفتحت الأبواب ودخل المسلمون وقصته مع أبي سعيد وقوله والله أنى لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن وقال الترمذى وأين هو الساعة من الأرض وأعرف والده كالنص في أنه هو واحتججه بأنه مسلم وولد له ودخل المدينة وهو يريد مكة تلبس منه وأنه سيكفر إذا خرج وحينئذ لا يولد له ولا يدخل مكة والمدينة والله أعلم وقوله أرفقوا أى الجأوا إلى جزيرة لجأوا مرفأ السفينة حيث ترسى يقال أربأت السفينة إذا قربتها من الشط وذلك الموضع مرفأ وأرفأت إليه لجأت إليه وأقرب السفينة هي القوارب الصغار يتصرف بها ركاب السفينة والواحد قارب على غير قياس .

قال الخطابي والمأذرى والمهلب الشعر الغليظ. وقال أهلب على معنى الحيوان أو الشخص ولو راعى اللفظ لقال هلبا كاحر وأحر كاهلب أيضا عند بعض أهل اللغة الذى لا شعر عليه وهو من الاضدادوا استفهامهم منها ظنا منهم أنها من لا تعقل فلما كلمتهم فرقوا أى فرعوا وإغتمام البحر هيجانه وتلاطم أمواجه وبيسان وزغو موضعان بالشام بين الأردن وفلسطين كما في حديث الترمذى قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية كانت بيسان مدينة وفيها سوق كبيرة وعين تسمى

عين فلوس يسقى منها بحيرة طبرية هي بحيرة عظيمة طولها عشرة أميال وعرضها ستة أميال وموجها في سور قلعتها وهي عميقة تجرى فيها السفن ويصاد منها السمك وماؤها حلوفرات وبين بحيرة طبرية وبيت المقدس نحو من مائة ميل وهو من الأردن ولزمتها هي تصغير بحيرة لاجر لان البحر مذكر وتصغيره بحير وعين زغر بضم الزاي وفتح العين وامتناع صرفه للعلمية والعدل لانه معدول عن زاغر كعمر ومعدول عن عامر وزعم السكبي أن زغر اسم امرأة نسبت هذه العين اليها فان كان ما قاله حقا فلان هذه المرأة استنبطتها وأتخذت أرضها دارا لها فنسبت اليها ذكره ابن دحية في كتاب البشارات والاندارات له من تأليفه وقوله عليه الصلاة والسلام إلامه في بحر الشام أو بحر اليمن شك أو ظن منه عليه الصلاة والسلام أو قصد الإبهام على السامع ثم نفي ذلك وأضرب عنه بالتحقيق فقال لا بلى من قبل المشرق ثم أكد ذلك بما الزائدة وبالتكرار اللفظي فا زائدة لانافية فاعلم ذلك .

باب

طلوع الشمس من مغربها وغلق باب التوبة وكم يمكث الناس بعد ذلك .

مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن أمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خير طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض :

وخرج الترمذي والدارقطني عن صفوان بن عسال المرادي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أن بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين سنة لا يفلق حتى تطلع الشمس من نحوه قال الترمذي حديث حسن صحيح .

وقال سفيان قبل الشام خلقه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض مفتوحا

يعين للتوبة لا يخلق حتى تطلع الشمس منه قال الترمذي حديث حسن صحيح .

وذكر أبو إسحاق الثعلبي وغيره من المفسرين في حديث فيه طول عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما معناه أن الشمس تحبس على الناس حتى تكثر المعاصي في الأرض ويذهب المعروف فلا يؤمر به أحد ويفشو المنكر فلا ينهى عنه أحد مقدار ليلة تحت العرش كلما سجدت وإستأذنت ربها عز وجل من أين تطلع لم يجر إليها جواب حتى يوافقها القمر فيسجد معها ويستأذن من أين يطلع فلا يجر إليه جواب حتى يجلسا مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف ما طول تلك الليلة إلا المتهمدون في الأرض وهم يومئذ عصاة قليلة في كل بلدة من بلاد المسلمين فإذا تم لها مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى إليها جبريل عليه السلام فيقول إن الرب سبحانه وتعالى يأمر كما أن ترجعا إلى مغاربكما فقطعا منه وأنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيظلمان من مغاربهما أسودين لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما في كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر، وقوله إذا الشمس كورت، فيرتفعان كذلك مثل البعيرين والفرسين فإذا ما بلغ الشمس والقمر سررة السماء وهي نصفها جاءهما جبريل فاخذ بقرونها وردهما إلى المغرب فلا يخرجهما من مقاربيها ولكن يخرجهما من باب التوبة ثم يرد المصراعين ثم يلتصق ما بينهما فيصير كأنه لم يكن بينهما صدع فإذا غلق باب التوبة لم يقبل لعبد بعد ذلك توبة ولم تنفعه حسنة بعملها من كان قبل ذلك محسنا فإنه يجرى عليه ما كان عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تبارك وتعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا، ثم إن الشمس والقمر يكسبان بعد ذلك الضوء والنور ثم يظلمان على الناس ويفربان كما كان قبل ذلك يظلمان ويعرفان وذكر الميانشي وقال عبد الله بن عمرو . عن النبي صلى الله عليه وسلم ويبقى الناس بعد طلوع للشمس من مغربها عشرين ومائة سنة .

فصل

قال العلماء وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوعها من مغربها لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس وتفتقر كل قوة من قوى الجسد فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت .

قال عليه السلام إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أي تبلغ روحه رأس حلقه وذلك وقت المعايضة الذي يرى فيه مقعده من الجنة ومقعده من النار فالمشاهد لطلوع الشمس من مغربها مثله وعلى هذا ينبغي أن تكون توبة كل من شاهد ذلك أو كان كالمشاهد له مردودة ما عاش لأن عليه بالله تعالى وبنبيه صلى الله عليه وسلم وبوعده قد صار ضرورة فإن امتدت أيام الدنيا إلى أن ينسى الناس من هذا الأمر العظيم ما كان ولا يتحدثون عنه إلا قليلاً فيصير الخبر عنه خاصاً وينقطع التواتر عنه فمن أسلم في ذلك الوقت أو تاب قبل منه والله أعلم .

وقد قيل إن الحكمة في طلوع الشمس من مغربها أن إبراهيم عليه السلام قال لنروذ فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بهامن المغرب فهبت الذي كفر، وأن الملحدة والمنجمين عن آخرهم ينكرون ذلك ويقولون هو غير كائن فيطلعها الله تعالى يوماً من المغرب ليرى المنكرين لذلك قدرته من أن الشمس في قدرته إن شاء أطلعها من المشرق وإن شاء أطلعها من المغرب وعلى هذا يحتمل أن يكون رد التوبة والإيمان على من آمن وتاب من المنكرين لذلك المكذبين لخبر النبي صلى الله عليه وسلم فأما المصدق لذلك فإنه تقبل توبته وينفعه إيمانه قبل ذلك والله أعلم . وروى عن ابن عباس أنه قال لا تقبل من كافر عمل ولا توبة إذا أسلم حين يراها إلا من كان صغيراً يومئذ فإنه لو أسلم بعد ذلك قبل ذلك منه ومن كان مؤمناً مذنباً فتاب من الذنب قبل منه وروى عن عمران بن حصين أنه قال إنما تقبل وقت الطلوع حتى تكون صيحة فيهلك فيها كثير من الناس فمن أسلم أو تاب في ذلك الوقت ثم هلك لم تقبل توبته ومن تاب بعد ذلك قبلت توبته ذكره الميث السمرقندي في تفسيره

فصل

وإختلفت الروايات في أول الآيات فروى أن طلوع الشمس أولها على ما وقع في حديث مسلم في هذا الباب وقيل خروج الدجال وهذا القول أولى القولين وأصح لقوله عليه الصلاة والسلام إن الدجال خارج فيكم لا محالة الحديث بطوله فلو كانت الشمس طلعت قبل ذلك من مغربها لم ينفع اليهود إيمانهم أيام عيسى عليه السلام ولولم ينفعهم لما صار الدين واحداً بإسلام من أسلم منهم وقد تقدم القول مبيناً في هذا وأن أول الآيات الخسوفات فإذا نزل عيسى عليه السلام وقتل الدجال خرج حاجباً إلى مكة فاذا قضى حجه انصرف إلى زيارة (سيدنا) محمد صلى الله عليه وسلم فاذا وصل إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل الله عند ذلك ريحاً عثرية عبقرية فتقبض روح عيسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين فيموت عيسى عليه السلام ويدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم في روضته ثم تبقى الناس حيارى سكارى فيرجع أكثر أهل الإسلام إلى الكفر والضلالة وتستولى أهل الكفر على من بقى من أهل الإسلام فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها وعند ذلك يرفع القرآن من صدور الناس ومن المصاحف ثم تأتي الحبشة إلى بيت الله فينقضونه حجراً حجراً ويرمون بالحجارة في البحر ثم تخرج حينئذ دابة الأرض تكلمهم ثم يأتي دخان يملأ ما بين السماء والأرض فأما المؤمن فيصيبه مثل الزكام وأما الكافر والفاجر فيدخل في أنوفهم فيثقب مسامعهم ويضيق أنفاسهم ثم يبعث الله ريحاً من الجنوب من قبل اليمن مسها مس الحرير وريح المسك فتقبض روح المؤمن والمؤمنة وتبقى شرار الناس ويكون الرجال لا يشبهون من النساء والنساء لا يشبهن من الرجال ثم يبعث الله الرياح فتلقئهم في البحر هكذا ذكر بعض العلماء الترتيب في الأشراف وفيه بعض اختلاف وقد تقدمت الإشارة إليه فيما تقدم والله أعلم .

وقيل : إذا أراد الله انقراض الدنيا ونمام ليا إليها وقربت النفخة خرجت نار من قعر عدن لتسوق الناس إلى المحشر نديت معهم وتقبل معهم حتى يجتمع الخلق بالمحشر الأنس والجن والدواب والوحوش والسباع والطيور والهوام وخشاش

الأرض وكل من له روح فيها الناس قيام في أسوائهم يتبايعون وهم مشتغلون بالبيع والشراء إذا هم بمدة عظيمة من الساء يصمت منها نصف الخلق فلا يقومون من صمعتهم مدة ثلاثة أيام والنصف الآخر من الخلق تذهل عتـ ولهم فيبقون مدهوشين قياما على أرجلهم وهو قوله تعالى وما ينظرهؤلاء إلا صيحة واحدة فالها من فوق، فيناهم كذلك إذا هدة أخرى أعظم من الأولى غليظة نظيمة كالرعد القاصف فلا يبقى على وجه الأرض أحد إلا مات كما قال ربنا جل وعلا ونفخ في الصور فضعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فتبقى الدنيا بلا آدمى ولا جنى ولا شيطان ويموت جميع من في الأرض من الهوام والوحوش والدواب وكل شيء له روح وهو الوقت المعلوم الذي كان بين الله تعالى وبين إبليس الملعون :

باب

(ما جاء في خراب الأرض والبلاد قبل الشام ومدة بقاء المدينة خرابا قبل يوم القيامة وفي علامة ذهاب الدنيا ومثالها وفي أول ما يخرب منها)

روى من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ويبدأ الخراب في أطراف الأرض حتى تخرب مصر ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب البصرة وخراب البصرة من العراق وخراب مصر من حفاف النيل وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من الجوع وخراب اليمن من الجراد وخراب الأبله من الحضار وخراب فارس من العصاليك وخراب الترك من الديلم وخراب الديلم من الأرمين وخراب الأرمين من الخزر وخراب الخزر من الترك وخراب الترك من الصواعق وخراب السبد من الهند وخراب الهند من الصين وخراب الصين من الرمل وخراب الحبشة من الرجفة وخراب الزوراء من السفياقي وخراب الروحاء من الحسيف وخراب العراق من القحط ذكره أبو الفرج الجوزي رحمه الله في كتاب روضة المشتاق والطريق إلى الملك الخلاق وسمعت أن خراب الاندلس (١) من الريح العقيم والله أعلم .

(١) راجع تفسير النسفي عند قوله تعالى ، وإن من قرية إلا نحن مهلكوها الآية وما كتبه الضحاك فيه تفصيل لما أجل هنا والله أعلم . أحمد مرصى

وذكر أبو نعيم الحافظ عن أبي عمران الجوني وأبي هارون العبدى أنهما سمعا نوحا البكالى يقول إن الدنيا مثلت على طير فاذا انقطع جناحاه وقع وان جناحى الأرض مصر والبصرة فاذا خربتا ذهبت الدنيا وذكر أبو يزيد عمر بن شبة حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا أبان بن يزيد عن يحيى بن أبي كثير قال ذكر لي عن عوف بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أما والله يا أهل المدينة لتزكنا قبل يوم القيامة أربعين وقال كعب ستخرب الأرض قبل الشام بأربعين سنة وليها جرن الرعد والبرق إلى الشام حتى لا تكون رعدة ولا برقة إلا ما بين العريش والفرات . ويروى عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى إني إذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فأخربه ثم أخرب الدنيا على أثره وقد تقدم أن الذي يخربه نهد السويقتين على ما تقدم والله أعلم .

باب

لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله . مسلم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله وفي رواية أخرى لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله :

فصل

قال علياؤنا رحمة الله عليهم : قيد الله برفع الماء ونصبها فن رفعها فعناه ذهاب التوحيد ومن نصبها فعناه انقطاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أى لا تقوم الساعة على أحد يقول أتق الله . قال المؤلف رحمه الله ويدل على صحة هذا التأويل قوله عليه الصلاة والسلام في حديث حذيفة لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة الحديث وفيه من الحرير يندفدون تسافدا الهايم وليس لهم رجل يقول مه مه وقد قيل أن هذا الاسم أجراه الله على السنة الأمم من لدن آدم عليه السلام ولم تشكره أمة بل هو دليل على سنتهم من عهد أبيهم إلى إنقضاء الدنيا وقد قال قوم نوح ولوشاء الله لا نزل ملائكة الآية وقال قوم هود أجئتنا لنعبد الله وحده . وقالوا إن هو إلا

رجل افترى على الله كذبا إلى غير ذلك . وقاله واثن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقوان الله ، فاذا أراد الله زوال الدنيا قبض أرواح المؤمنين وانزع هذا الاسم
من السنة الجاحدين وفجأهم عند ذلك الحق اليقين وهو قوله عابه الصلاة والسلام لا تقوم
الساعة وعلى الارض من يقول الله . وفي الخبر أن الله تعالى يقول لإسرافيل عليه
السلام إذا سمعت قائلا يقول لا إله إلا الله فأخر النفخة أربعين سنة أكراما
لتقابلها والله أعلم .

باب

على من تقوم الساعة

مسلم عن عبد الرحمن بن شماسه المهدي قال كنت عند مسلبة بن مخلد وعنده عبد الله
ابن عمرو بن العاص فقال عبد الله لا تقوم الساعة الا على شرار الخلق وهم شر من أهل
الجاهلية لا يدعون الله بشيء الا رده عليهم فيبيناهم كذلك أقبل عقبة بن عامر فقال
له ابن شماسه يا عقبة اسمع ما يقول عبد الله فقال عقبة هو أعلم وأما أنا فسمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال عصاة من أمم يقاتلون على أمر الله قاهرين
لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك فقال عبد الله أجل
ثم يبعث الله ريحا كريحا المسك مسهاكس الحرير لا تترك نفساً في قلبها . ثم قال
حبة من إيمان الا قبضته ثم تبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة . وفي حديث
عبد الله بن مسعود لا تقوم الساعة الا على شرار الناس من لا يعرف معروفه ولا
ينكر منكرا يتهاجون كما تتهاج الحر .

قال الأصمعي : قوله يتهاجون يقول يتسافدون يقال بات فلان يهرجها والهرج
في غير هذا الاختلاط والقتل . وخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب الليالي والايام حتى تعبد اللات
والعزى فقالت يا رسول الله أن كنت لا تظن حين أنزل الله هو الذي أرسل رسوله بالهدى

ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، إن ذلك تام قال إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحا طيبة فتوفي كل من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم . والله اعلم

فصل

ذكر أبو الحسن بن بطال رحمه الله هذا الحديث في شرح البخاري له مبينا لحديث البخاري عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة حتى تضطرب اليات نساء دوس على ذي الخفاصة الحديث وقد تقدم وقال هذه الأحاديث وما جاء نسها معناها الخصوص وليس المراد بها أن الدين كله ينقطع في جميع أقطار الأرض حتى لا يبقى منه شيء لأنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة إلا أنه يضعف ويعدو غريبا كما بدأ .

روى حماد بن سلة عن قتادة عن مطرف عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق حتى يقاتل أخرم المسيح الدجال وكان مطرف يقولهم أهل الشام . قال المؤلف رحمه الله ما ذكره من أن الدين لا ينقطع وأن الإسلام يبقى إلى قيام الساعة يرد حديث عائشة وعبدالله ابن عمرو وما ذكره من حديث عمران بن حصين وقد تقدم أن عيسى عليه السلام يقتل الدجال ويخرج بأجوج وموتون ويبقى عيسى عليه السلام ودين الإسلام لا يعبد في الأرض غير الله كما تقدم وأنه يحج ويحج معه أصحاب الكهف فيما ذكره المفسرون وقد تقدم أنهم حوار يوء إذا نزل فاذا توفي عيسى عليه السلام بعث الله تعالى هند ذلك ريحا باردة من قبل الشام فتأخذ تحت أباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحر فليهم تقوم الساعة كذا في حديث النواس بن سمعان الطويل وقد تقدم وفي حديث عبد الله بن عمرو ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو دخل أحدكم في كبدة جبل لدخلت عليه حتى تقبضه

قال سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث وقد تقدم بحال
وفيه ذكر النفخ والصعق والبعث فهذا غاية في البيان في كيفية انقراض هذا الخلق
وهذه الأزمان فلا تقوم الساعة وفي الأرض من يعرف الله ولا من يقول الله
الله وذكر أبو نعيم عن أبي الزاهرية عن كعب الأحبار قال يمكث الناس بعد خروج
ياجوج وماجوج في الرخاء والخصب والدعة عشرين سنين حتى أن الرجلين ليحملان
الرمانة الواحدة بينهما ويحملان العنقود الواحد من العنب فيمكثون على ذلك عشر
سنين ثم يبعث الله ريحا طيبة فلا تدع مؤمنا إلا قبضت روحه ثم تبقى الناس بعد
ذلك يتهاجون تهاجرا في المروج حتى يأنيهم أمر الله والساعة وهم على ذلك

كل كتاب التذكرة
والحمد لله رب العالمين وصلواته
على سيدنا محمد نبيه وآله
رسلم تسليما كثيرا
دائما أبدا

	صفحة	
باب في تراور الاموات في قبورهم والإسراع بالجنائز	٧٢	✓
• بسط الثوب على القبر عند الدفن	٧٣	
• ما جاء في قراءة القرآن عند القبر حالة الدفن وبعده	٧٤	✓
• يدفن العبد في الارض التي خلق منها	٨٣	
• ما جاء ان كل عبد يذر عليه من تراب حفرة	٨٥	
• ما يتبع الميت إلى قبره وبعد موته	٨٦	
• ما جاء في هول المطلق	٨٧	
• • في أن القبر أول منازل الآخرة وفي البكاء عنده	٨٨	
• باب ما جاء في اختيار البقعة للدفن	٩٢	
• يختار للميت قوم صالحون يكون معهم	٩٥	✓
• ما جاء في كلام القبر للعبد إذا وضع فيه (انظر التعليق)	٩٧	
• • في ضغط القبر على صاحبه وإن كان صالحا	١٠٠	
• ان الميت يعذب ببكاء أهله عليه وهم من شر الناس له وحديث يدل	١٠٢	
على التوسل بالاموات (انظر التعليق)		
• ما ينجي من ضغطة القبر وفتنته	١٠٣	
• ما يقال عند وضع الميت في قبره	١٠٤	
• الوقوف عند القبر قليلا بعد الدفن والدعاء بالتثبيت له	١٠٥	
• ما جاء في تلقين الانسان بعد موته شهادة الاخلاص في لحده	١٠٩	✓
• في نسيان أهل الميت ميتهم وفي الأمل وما جاء في رحمة الله تعالى	١١١	
بعده إذا أدخل في قبره .		
• باب متى يرتفع ملك الموت عن العبد	١١٢	
• ما جاء في سؤال المسكين للعبد وفي التعوذ من عذاب القبر وعذاب النار	١١٣	
• حديث البراء المشهور وأبعائه (انظر التعليق)	١١٩	
• ما جاء في صفة الملكين عليها السلام وصفة سؤالهما	١٢٩	
• اختلاف الآثار في سعة القبر على المؤمن حسب أعمالهم (انظر التعليق)	١٣٧	
• ما جاء في عذاب القبر وأنه حق	١٣٣	
• عذاب الكافر في قبره وما يكون منه عذاب القبر	١٣٥	

	صفحة
باب منه	١٣٩
• ما جاء في بشرى المؤمن في قبره	١٤١
• ما جاء في التعوذ من عذاب القبر وفتنته	١٤٢
• أن البهائم تسمع عذاب القبر	١٤٣
• إن الميت يسمع ما يقال ✓	١٤٤ ✓
• في قوله تعالى • يثبت الله الذين آمنوا ، الآية	١٤٥
• ما ينجى المؤمن من أهوال القبر وعذابه	١٤٧
• في الشهيد ومن مات مريضا (انظر التعليق)	١٥٢ ✓
• ما جاء أن الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي	١٥٣
• أن أرواح الشهداء في الجنة ✓	١٥٤ ✓
• كم الشهداء ولم سمي شهيدا ومعنى الشهادة ؟ ✓	١٥٩ ✓
• ان الانسان يبلى إلا عجب الذنب	١٦٢
• لا تأكل الأرض اجساد الانبياء عليهم الصلاة والسلام وأنهم أحياء	١٦٣
باب في انقراض هذا الخلق وذكر النفخ والصعق وما بين النفختين	١٦٥
• في قول الله تعالى • ونفخ في الصور ، الآية	١٦٦
• يفي العباد ويبقى الملك لله وحده	١٧١
• بيان ما أشكل من الحديث (انظر التعليق)	١٧٣
• البرزخ والنفخ الثاني والبعث	١٧٧
• في صفة البعث وما آية ذلك	١٨٥
• يبعث كل عبد على ما مات عليه	١٨٦
• في بعث النبي صلى الله عليه وسلم من قبره	١٨٧
• ما جاء في بعث الأيام وما جاء إذا قام العبد المؤمن من قبره	١٨٩
• أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض ؟	١٩٠
• الحشر ومعناه الجمع	١٩٨
• فضل انكار العبد ما لم يأنس	٢٠١
• بيان الحشر وأرضه	٢٠٢

باب الجمع بين آيات وردت في الكتاب ظاهرها التعارض	٢٠٥
في حشر الناس إلى الله عز وجل حفاة عراة وأول من يكسى منهم	٢٠٧
بيان قوله تعالى ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ،	٢٠٩
قول النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن ينظر إلى يوم القيامة	٢١١
ما يلقي الناس في الموقف (انظر التعليق)	٢٢٣
إن الشمس لا يضر حرها مؤمنا ولا مؤمنة	٢٣٩
ما ينجي من أهوال يوم القيامة	٢٤٠
في الشفاعة العامة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأهل المحشر (انظر التعليق)	٢٤٣
ما جاء في أن هذه الشفاعة هي المقام المحمود	٢٤٦
في اختلاف العلماء	٢٤٩
من أسعد الناس بشفاعته ؟	٢٥١
ما جاء في تطاير الصحف عند العرض واعطاء الكتب الخ	٢٥٢
(فصل) في معنى ، وكل إنسان الزمناه طأره ، (الآية)	٢٥٥
باب ، يوم تبيض وجوه ، الآية	٢٥٨
في قوله تعالى ، ووضع الكتاب ، الآية	٢٥٩
ما يسأل عنه العبد وكيفيته السؤال	٢٦٠
فصل لاتزول قدم عبد حتى يسأل	٢٦٣
باب ما جاء في ان الله يكلم العبد ليس بينه وبينه ترجمان.	٢٦٥
القصاص يوم القيامة	٢٦٧
قوله في الحديث فيناديها بصوت	٢٧
فصل الاختلاف في حشر البهائم وقصاصها	٢٧٣
باب ارضاء الله تعالى لخصوم يوم القيامة	٢٧٧
أول من يحاسب وباب أول ما يحاسب عليه العبد	٢٧٩
شهادة أركان الكافر والمنافق طليهما	٢٨٤
ما جاء في شهادة الارض والالهام	٢٨٧

	صفحة
باب في سؤال الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين	۲۸۹
د في الشهداء عند الحساب	۲۹۳
د شهادة سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم على امته	۲۹۴
د في عقوبة مانعي الزكاة	۲۹۵
د منه وذكر الولاية	۳۰۱
د ما جاء في حوض النبي صلى الله عليه وسلم	۳۰۲
د منه وباب فقراء المهاجرين اول الناس الخ	۳۰۵
د ذكر من يطرد عن الحوض	۳۰۶
د ما جاء أن لكل نبي حوضا وما جاء في الكوثر (انظر التعلیق)	۳۰۸
د ابواب الميزان وانه حق	۳۰۹
باب منه في بيان كيفية الميزان ووزن الاعمال ومن قضى لأخيه حاجة	۳۱۰
د ذكر اصحاب الاعراف	۳۱۸
د تتبع كل أمة ما كانت تعبد الخ	۳۲۲

(١) فهرس الجزء الثاني من التذكرة

	صفحة
باب الجواز على الصراط وصفته	٣٢٩
د فيمن لا يوقف على الصراط طريقة عين	٣٣٦
د ثلاث مواطن لا يخطئها النبي صلى الله عليه وسلم	٣٣٨
د تاقى الملائكة للانبيا وأئمةهم وذكر الصراط الثاني	٣٣٨
د من دخل النار من الموحدين	٣٤٠
د فيمن يشفع لهم قبل دخول النار	٣٤١
د في الشافعين لمن دخل النار	٣٤٣
د في الشفعاء	٣٤٥
د يعرف المشفوع فيهم بأثر المعجود	٣٥٤
د ما يرجى من رحمة الله تعالى وعفوه	٣٥٦
باب منه وفي أول ما يقول الله تعالى	٣٥٨
د حفت الجنة بالمكاره	٣٥٩
د احتجاج الجنة والنار وصفة أهلها (أنظر للتعليق)	٣٦٠
د في صفة أهل الجنة وأهل النار	٣٦١
د منه	٣٦٦
د ما جاء في أكثر أهل الجنة وأهل النار	٣٦٩
د د د أن العرفاء في النار	٣٧٠
د لا يدخل الجنة صاحب مكس ولا قاطع رحم	٣٧١
د ما جاء في أول ثلاثة يدخلون الجنة وأول من يدخل النار	٣٧١
د في أول من تسع بهم النار	٣٧٢
د فيمن يدخل الجنة بغير حساب	٣٧٢
د في أن أمة سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم شطر أهل الجنة وأكثر	٣٧٧
د في ذكر ابواب جهنم وما جاء فيها	٣٧٨
د فزع الملائكة من خلق النار	٣٨٩

	صفحہ
باب ما جاء في البكاء عند ذكر النار	۳۸۰
د د فيمن سأل الله الجنة وأستجار به من النار	۳۸۰
د د في جهنم وانها أدراك	۳۸۲
د د أن جهنم تسمر وتفتح أبوابها إلا يوم الجمعة وأبوها السبعة	۳۸۳
د د في بعد أبوابها بعضها عن بعض	۳۸۵
د د في عظمها وكثرة ملائكتها (أنظر التعليق)	۳۸۷
د د في كلامها	۳۸۹
د د ان التسعة عشر خزنة جهنم	۳۹۰
د د في سمعتها الخ وأنها في الأرض	۳۹۱
د د في ان الشمس والقمر يقذفان في النار	۳۹۲
د د في صفة جهنم وشدة عذابها	۳۹۴
د د في شكوى النار وكلامها	۳۹۶
د د في مقامع أهلها وسلاسلهم	۳۹۸
د د في كيفية دخول أهل النار النار	۳۹۹
د د ان في جهنم جبالاً وخنادق	۴۰۰
د د منه في بيان قوله تعالى د فلا اقتحم العقبة ،	۴۰۴
د د ما جاء في قوله تعالى د وقودها الناس والحجارة ،	۴۰۷
د د في جسد الكافر وأعضائه	۴۰۸
فصل في تخفيف العذاب لأبي طالب ببركة النبي صلى الله عليه وسلم	۴۰۹
باب في شدة عذاب أهل المعاصي	۴۱۰
د د في عذاب من عذب الناس في الدنيا وشدة عذاب من أمر بمعروف ولم يأنه	۴۱۲
د د ما جاء في طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم	۴۱۶
د د ما جاء في ان أهل النار يجوعون ويعطشون	۴۱۷
د د في بكاء أهل النار ومن أدناهم عذاباً فيها	۴۲
د د ان لكل مسلم فداء من النار من الكفار	۴۲۲
د د في قوله تعالى د وتقول هل من مزيد ،	۴۲۴

	صفحہ
باب ذکر آخر من يخرج من النار وآخر من يدخل الجنة	۴۲۵
د فی خروج الموحدين من النار	۴۲۷
د ما جاء فی الاستهزاء بأهل النار	۴۳۳
د ما جاء فی ميراث أهل الجنة منازل أهل النار وخلود أهل الدارين	۴۳۵
د أبواب الجنة	۴۳۸
د صفة أهل الجنة وهل تفضل جنة جنة ؟؟	۴۳۹
د صفة الجنة وما أعد الله لأهلها فيها	۴۴۴
د ما جاء فی أنهارها وجبالها	۴۴۵
د رفع القرآن والعلم	۴۴۷
د ان الخمر من شربه فی الدنيا لم يشربه فی الآخرة	۴۴۸
د فی أشجارها وثمارها	۴۴۹
د فی كسوة الجنة وكسوة أهلها	۴۵۱
د فی ان شجر الجنة تنشق عن ثياب الجنة	۴۵۳
د ليس فی الجنة شجرة الاوساقها من ذهب ونخل الجنة وثمرها	۴۵۴
د ما جاء فی أبواب الجنة وكم هي ولمن هي	۴۵۵
د فی درج الجنة وما يحصلها للؤمن	۴۶۰
د فی غرف الجنة ولمن هي	۴۶۱
د فی قصور الجنة ودورها	۴۶۵
د فی قوله تعالى د وفرش مرفوعة، وما جاء فی خيامها	۴۶۷
د لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز	۴۶۹
د فی أن أول الناس يسبق إلى الجنة الفقراء	۴۶۹
د صفة أهل الجنة وسنهم وطولهم الخ (انظر التعلیق)	۴۷۳
د فی الحور العين وكلاهن وجواب الأدميات وحسنهن	۴۷۶
د ما جاء أن الاعمال الصالحة مهور الحور العين	۴۷۸
د فی الحور ومن أى شيء خلقن	۴۸۱
د إذا ابتكر الرجل امرأة فی الدنيا كانت زوجته فی الآخرة	۴۸۱

	صفحة
باب ما جاء أن في الجنة أكلا ولا قدر فيها ولا نقص ولا نوم	٤٨٢
د المؤمن إذا اشتبه الولد . وان بكل ما فيها لا يبلى ولا يفنى	٤٨٤
د ما جاء أن المرأة من أهل الجنة ترى زوجها من أهل الدنيا في الدنيا	٤٨٥
د د في طيرها وخيلها	٤٨٥
د د ان الحناء سيد ريحان الجنة	٤٨٧
د د ان الشاة والمعزى من دوابها	٤٨٨
د د في ان غراسها سبحانه الله والحمد لله	٤٨٩
د د في ان الذكر نفقة بناء الجنة وما لآدمي أهلها منزلة	٤٩٠
د رضوان الله تعالى لأهل الجنة أفضل منها	٤٩٢
د رؤية أهل الجنة لله عز وجل	٤٩٥
د الرؤية	٤٩٥
د في سلام الله تعالى عليهم	٤٩٦
د في بيان قوله تعالى « ولدينا مزيد »	٤٩٧
د نبذ من أقوال العلماء في تفسير كلمات وآيات	٤٩٨
د ما جاء في اطفال المسلمين والمشركين	٥١١
د في ثواب من قدم ولدا	٥١٧
د د نزل أهل الجنة وتحفهم	٥٢٠
د د أن مفتاح الجنة لا اله الا الله والصلاة	٥٢١
د كتاب الفتن والكف عن قال لا اله الا الله	٥٢٣
د ما جاء في قتل المؤمن والإعانة عليه	٥٢٤
فصل في قوله ويل للعرب من شر قد اقترب	٥٢٨
باب ما جاء في رحى الإسلام ومق تدور	٥٣٣
د د أن عثمان رضى الله عنه لما قتل سل سيف الفتنة	٥٣٤
فصل فان قيل الخ	٥٤١
باب لا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه	٥٤٧
د ما جاء في الفرار من الفتن والأمر بلزوم البيوت عندها	٥٤٨

	صفحة
باب الاعتزال عنها وفي ذهاب الصالحين	٥٥٠
د الأمر بتعلم كتاب الله	٥٥٣
د جعل الله بأس هذه الامة بينها	٥٥٧
د ما يكون من الفتن واخبار النبي صلى الله عليه وسلم بها	٥٥٩
د ذكر الفتنة التي تموج موج البحر	٥٦١
د ما جاء في بيان مقتل الحسين عليه السلام ولا رحم قاتليه (اقرأ التعليق)	٥٦٣
د ما جاء أن اللسان في الفتنة اشد من وقع السيف	٥٧٢
د الأمر بالصبر عند الفتن	٥٧٣
د جعل الله في أول هذه الامة عافيتها (انظر التعليق)	٥٧٧
د جواز الدعاء بالموت عند الفتن	٥٧٨
د أسباب الفتن والبلاء	٥٧٩
فصل حذر الله سبحانه عباده فتنة المال والنساء	٥٨٢
د ما جاء أن الطاعة سبب الرحمة والعافية	٥٨٣
د أمارات الملاحم	٥٨٤
د تداعى الامم على أهل الإسلام	٥٨٥
د بيان قوله تعالى حتى تضع الحرب أوزارها ،	٥٨٩
د ما جاء في قتال الترك	٥٩٠
د في سياقة الترك للمسلمين وسياقة المسلمين لهم	٥٩٢
د ذكر البصرة وبغداد والاسكندرية	٥٩٥
د ما جاء في فضل الشام	٥٩٩
د د في المدينة ومكة	٦٠٠
د د في الخليفة السكائن في آخر الزمان	٦٠
د خروج المهدي والسفياني	٦٠٩
باب في المهدي وذكر من يوطئه له ملكه	٦١٤
د د د وصفته واسمه ومكته	٦١٧
د د د من أين يخرج وفي علامة خروجه	٦١٧

	صفحة
باب في بيان قوله تعالى « فاذا جاء وعد اولاهما ، الآية	٦١٩
« في فتح القسطنطينية	٦٢١
« اشراط الساعة	٦٢٤
« قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين	٦٢٥
« أمور تكون بين يدي الساعة	٦٢٦
« كيف يقبض العلم	٦٣١
« ما جاء أن الارض تخرج كنوزها	٦٤٠
« في ولاة آخر الزمان	٦٤١
« إذا فعلت هذه الامة الخ	٦٤٤
« في رفع الامانة والايمان من القلوب	٦٤٩
« ان الخشوع والفرائض اول علم يرفع	٦٤٠
« الآيات التي تكون قبل الساعة	٦٥٢
« فيمن يخفف به أو يمسخ	٦٥٧
« ذكر الدجال	٦٥٨
« « « وما يصحبه من الفتن	٦٦٨
« ما جاء في ان حوارى عيسى عليه السلام إذا نزل - أصحاب الكهف -	٦٨٦
« ما جاء في نقب يأجوج وما أجوج	٦٩٢

(تم الفهرس)

تعليقات

في صفحة ٤ سطر ١٠ — حديث لا تمنوا النخ : بيانه والله ورسوله أعلم .
 علل النهي بأمرين . الأول هول المطلاع لانه إن كان تمنيه اضجر فيزداد طوله ضجرا
 وسخطا . والثاني أن عمر الإنسان رأس مال تجارته لطلب الربح والسعادة . وما
 أعظم خسارة من ضياع رأس المال .

و ص ٨ م ١٠ — ما يناسب حديث أكثر و اذ كر هادم اللذات . فاكم
 ما يفعل تمجيل التوبة وقناعة النفس ونشاط العبادة وقلة الفرح وتقديم المال لان
 نفس المرء مع ماله إن قدمه في الخير أحب أن يالحق به . وإن أخره أحب أن
 أحب يتأخر معه (وهيات) والنتيجة أن يحب إليه كل باق ويبغض إليه كل فان .

و ص ١٥ — نقول على تسليم وضع الحديث . فلا يلزم من عدم الاستغفار
 الكفر ، فلا يرد ما ذكره . على أن من يقول بالكفر يدخل في عموم قوله
 سبحانه وتعالى (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد
 لهم عذابا مهينا) وأي إيذاء أعظم من إيذائه صلى الله عليه وسلم في أجريه ؟ أما ذنا
 الله من سوء الأدب وكفانا كل سوء .

أخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى
 (ولسوف يعطيك ربك فترضى) قال من رضا (سيدنا) محمد صلى الله عليه وسلم
 أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار . . . ولهذا عم الحافظ ابن حجر في قوله الظن
 بآل بيته كلهم أن يطعموا عند الامتحان . . .

(ومن ذهب للنجاة الكاملة لموتها قبل البعثة . ولا تعذيب قبلها أبدا لنص
 القرآن الكريم) ومن نص على النجاة شيخ الإسلام الحافظان حجر وابن شاهين
 في النسخ والمنسوخ والحافظ الخطيب البغدادي في السابق واللاحق والحافظ
 الدارقطني وابن عساكر في غرائب مالك والسهيل في الروض الاتق وابن سيد

الناس في سيرته والباقي في شرح الموطأ وناصر الدين بن المنير في المقتنى في شرف المصطفى والمحج الطبري في ذخائر العقبي والابن في شرح مسلم وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان ، وأخرج ابن سعد في شرف النبوة والملا في سيرته عن عمران ابن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي أن لا يدخل النار أحدا من أهل بيتي فأعطاني ذلك . وقد نقل الزركشي عن ابن دحية أن من شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم التخفيف عن أبي لهب في كل يوم اثنين لسروره بمولده وإعتقائه ثوبية حين بشرته الخ .

وفي ص ۲۴ س ۲۲ - أرجف القوم في النبي وبه إرجافا أكثروا من الأخبار السيئة حتى يضطرب الناس منها وعليه قوله تعالى (والمرجفون في المدينة) .

وفي ص ۶۲ س ۱۹ - قال صاحب الإفصاح اعلم أن خروج الروح عند دعاء الملك له من جنس دعاء الحاوي للحية من جحرها . فأما المؤمن فيتهويع نفسه أي يستدعى إخراجها . إذا التهوع إنما هو استدعاء القيء للبروز . وأما الكافر فيتبلع روحه . والتبلع رد الجسم الذي في اللحم الخ تربع معناه تعود وترجع قال الشاعر :
طمعت بنيلي أن تربع وإنما تقطع أعناق الرجال المطامع

وفي ص ۹۸ س ۱ - قوله صلى الله عليه وآله وسلم بأصابه . يضى أنه شبك أصابعه تشبها بما حدث .

و ص ۱۰۰ - (ضمة القبر) الفرق بين ضم القبر للؤمن والكافر هو دوامه للكافر وحصره للؤمن أول نزوله فقط ثم يفسح له . لأن المرء لا بد أن يخطيء (كل بني آدم خطاء) لجملة الضمة جزاء لها ثم تدرك الرحمة .

و ص ۱۰۳ - عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الميت يعذب في قبره بما نبح عليه . وفي رواية ما نبح عليه رواه البخاري ومسلم وابن ماجه والنسائي . وقال بالنيابة عليه . وعن المغيرة بن شعبة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نبح عليه فإنه يعذب بما نبح عليه يوم القيامة . البخاري ومسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما رفعة قال : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من إبليس رنة اجتمعت إليه جنوده فقال أيسوا

ان تردوا أمة محمد على الشرك بعد يومكم هذا . ولكن افتنوم في دينهم وافتسوا
خيم النوح . رواه أحمد بإسناد حسن . وعن أنس بن مالك رفعه : صوتان ملعونان
في الدنيا والاخرة . مزمار عند نعمة ورنة عند مصيبة . رواه البزار ورواه ثقات .

وفي ص ۱۰۳ — (الإغماء) وعبد الله بن رواحه : وفي رواية فقال يا رسول
الله اغمى على فصاحت النساء واعزاه واجبلاه فقال ملك معه مرزبة لجعلها بين
رجلي . فقال أنت كما تقول ؟ قلت لا ، ولو قلت نعم ضربني بها .

و ص ۱۱۴ س ۱۰ — الشعوف بشين معجمة وعين مهملة قال أهل اللغة هو
الفرع حتى يذهب بالقلب .

و ص ۱۱۹ س ۱۰ — قوله (واني به غيره على السكال) هذا هو الصراب
لاتفاق أكثر الأحاديث عليه . نعم يؤخذ منها خصوصا من رواية أنس بن داود عن
أنس رضي الله عنه فما يسأل عن شيء غيرها فلا يسأل عن شيء من التكاليفات غير
الاعتقاد خاصة . وصرح به في رواية البيهقي من طريق عكرمة عن ابن عباس في
قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا الآية) قال الشهادة يسألون عنها في قبورهم بعد
موتهم . قيل لعكرمة ما هو يسألون عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وأمر
التوحيد .

وفي ص ۱۳۱ س ۲۰ ويحتمل تعدد الملائكة المعدة لذلك كما في الحفظة ونحوم
حرح بذلك الحلبي

و ص ۱۵۱ س ۱۶ — هذا الحديث يشعر بنى عذاب القبر وفي الحديث قبله
نفي الفتنة وصرح بهما معا فيما أخرجه حميد بن زنجويه في ترغيبه من طريق
ابن جريج عن عطاء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من مسلم أو مسلمة
يموت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة إلا وفي عذاب القبر وفتنة القبر ولقي الله ولا حساب
عليه . وجاء يوم القيامة ومعه شهود فيشهدون له : ومن تمتة ذلك أن من مات
يوم الجمعة له أجر شهيد . فكان على قاعدة الشهداء في عدم السؤال . . قال ذلك
السيوطي رحمه الله .

و ص ۱۵۲ س ۸ — وما نقله عن الحكيم الترمذي في توجيه حديث الشهيد

يقتضى اختصاص ذلك بشهيد المعركة لكن قضية أحاديث الرباط التعميم في كل شهيد .. وقد جزم شيخ الإسلام ابن حجر في كتاب بذل الماعون بأن الميت بالطعن لا يسأل . لأنه نظير المقتول في المعركة وبالصابر في الطاعون محتمبا يعلم أنه لا بصيبيه إلا ما كتب له إذا مات فيه بغير طعن لا يفتن أيضا لأنه نظير المرابط وهو متجه جدا .

وروى أنس مرفوعا ما مات محضوب ولا دخل القبر الا ومنكر ونسكير لا يسألانه . يقول منكر يانسكير أنت سائله قال كيف أسأله ونور الإسلام عليه . وقيل في إسناده داود بن صفيح منكر الحديث . أقول قوله نور الإسلام يفسره ما ثبت في الحديث الصحيح أن اليهود والنصارى لا يصيبون فخالفوهم . وقال غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود والنصارى .

ويحمل على من كانت نيته بذلك الخضب المحافظة على السنة جعلنا الله من العاملين بهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن أبي إمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على مشيخة من الأنصار بيض لحام فقال يا معشر الأنصار حمر أو صفر أو حمر أو صفر أو حمر أو صفر أو خالفوا أهل الكتاب .

(وإذا كان النهي عن ترك بياض الشيب وهو ليس من فعلنا فكيف تقدم على فعل من أفعالهم) .

طريقة تاريخية : دخل القاضي عياض رحمه الله تعالى مرة قرطبة لجاأ أعيانها يسلمون عليه وفيهم الحافظ البطروجي وكان يخضب . فلم يوفه القاضي حقه من الاحترام ، فقال له أنعرفني ؟ فقال القاضي ولا أنكرك . فقال أنا أحد البطروجي فقام إليه وسلم عليه وقال كالمعتد إنما تنكرت على بالخضب الأحمر . لجعل الحافظ يذكر من خضب من الأنبياء قبل نبينا صلى الله تعالى عليهم أجمعين وتسمية من خضب في الصحابة بمواليدهم ووفياتهم . ثم من خضب من التابعين ومن بعدهم . وعين من استحب ذلك منهم ومن كرهه . وبين أدلة الفريقين فانصت له القوم واعترفوا بمجيب حفظه والمجلس غاض بأعلام الأندلس . والحق أن هذا الحفظ

غريب جدا بالنسبة إلى ذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وخضابهم من جهة الإطلاع عليه والإعتناء بحفظه وضبطه . . (جزام الله عن الامة المحمدية خير الجزاء) .

و ص ۱۷۶ ص ۶ — ضعيف تفرد بأحدهما جعفر بن الزبير وبالاخر يزيد الرقاشي وهما متروكان .

و ص ۱۸۰ ص ۲۲ — الطرائيث جمع طرثوث نبات دقيق مستطيل يضرب إلى الحمرة وهو دباغ للعدة يجعل في الادوية . منه مر ومنه حلو . وقال الأزهري الطرثوث الذي في البادية لا ورق له ينبت في الرمل لا حموضة فيه وفيه حلالة مستدير الرأس .

و ص ۲۱۹ ص ۴ — كأنه بنج . البنج الذليل . والبنج ولد الضأن وجمعه بنجان .

و ۲۳۱ ص ۱۹ — يوم لا بيع فيه . أي فيبتاع المقصر ما يتلا في به قصيره أو يفتدى به نفسه . والمراد والله أعلم بمراده نبي عقد الماوضة بالمره . وتخصيص البيع بالذكر للإيجاز البليغ في نبي العقد إذ انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشراء على أبلغ وجه . وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الإيجاب من قبل البايع . .

و ۲۳۱ ص ۲۳ — لا ريب فيه . إن قيل كيف نبي الريب وكم ضال أرتاب نقول أي أنه ليس عملا للريب . أو لا ريب فيه عند الله ورسوله والمؤمنين . أو ذلك نبي بمعنى النهي . أي لانرتا بوافيه لأنه من عند الله الحق كقوله تعالى دان الساعة آتية لا ريب فيها . .

ص ۲۴۴ ص ۶ — الكذبات هي معاريف فقط وفي الحديث : أن في المعاريف مندوحة عن الكذب .

ص ۲۴۴ ص ۱۴ — قوله فيأتوني فالحكمة فيه والله أعلم ورسوله . أن الله أهمهم سؤال آدم ومن بعده صلوات الله عليهم ابتداء إظهارا لمزكته ونهيكته فانهم

لو سأله ابتداء لاحتمل أن غيره يقدر على هذا الأمر العظيم . فلما سألوا وحصل الامتناع ثم سأله هو فاجاب فوراً وشفع وشفع وحصل غرضهم فهو النهاية في ارتفاع المنزلة وكال القرب . فهو بلاشك أفضل الخلق على الاطلاق صلى الله عليه وآله وسلم وأجزه عنا أفضل ما جوزى نبي عن امته .

ص ۲۴۴ س ۱۵ غفر الله لك فعمناه عصمته من ذلك مطلقاً . وقيل المراد ذنوب أمته صلى الله عليه وسلم .

ص ۲۵۲ — يدنى أى يقرب قرب كرامة لا قرب مسافة تعالى الله علواً كبيراً . . . وقيل هو العرض للحساب اليسير في الآية

ص ۳۰۸ س ۹ — الصحيح أن صالحاً عليه السلام له حوض كبقية الانبياء عليهم السلام .

ص ۳۶۰ س ۱۱ — يوجد مربعان للجنة والنار ويلاحظ بالمربع الثاني لفظ الجلالة بدل كلمة (الشهوات) أو الشهوات بالمهملة وإن كان هكذا بالاصابن الذين نقلنا عنهما وهذا ما أراه .

ص ۳۸۶ س ۲۱ — قول المؤلف رحمه الله تعالى ومثله لا يقال من جهة الرأي الخ أقول بل هي أخبار لا صحة لامثالها أبداً وقد ولع بعض الوعاظ أن يغربوا في الاسرائيليات تخويفاً للناس ليحملوم على الطاعة والاستقامة وانه أعلم بغيبه .

ص ۴۴۰ س ۲۵ — بعد كلمة وكذا كل ما جاء مثني بعد . . . والذي أراه أحق في تخصيص معنى قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) أن خشية الله تعالى إذا خالطت شغاف القلوب المؤمنة اكسبتها رضاها التام عن ربها الحكيم فتطمئن الجوارح وتسكن . فتكون في جنة رضاها في هذه الدار (الدنيا) وجنة عقباها في تلك الدار . وهاتان هما الجنةان فيما أراه . وفقنا الله تعالت قدرته الرضى حتى نستحق جنتيه في الأولى والاخرة .

ص ۴۷۴ س ۱۷ — ذكر المياثنى في حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : أهل الجنة مرد الاموسى بن عمران عليه السلام فان له

لحیة إلى سرته هكذا .. نقول أن اختصاص موسى عليه السلام باللحیة في الجنة لم يرد به حديث صحيح أصلا وإنما هو من الامراتيليات فقط ومع هذا إذا أردنا توجيه هذا الخبر على ما بيناه فالحكمة فيه مع ذلك أن سيدنا موسى عليه السلام لما ذهب إلى فرعون واخبره أنه رسول الله إليه بأمره بتوحيده وعبادته: أمسك فرعون بلحیته استصغارا له (كمادة المصيرين الآن) وقال له امتنانا عليه : ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين . . فكانت لحیته أول شيء اهين في الله لجوزى ببقائها في الجنة . وهذا كما اختص أيضا بأنه لا يصعق إذا صعق الناس عند النفخة لأنه جوزى بصعقته حين تجلى الله للجبل (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا) ولم يحصل لنبي قط أن اهين في لحیته غيره . ولو كان بقاؤها اعلو المنزلة أو الوفاة لكان أولى بها آدم أو نوح أو إبراهيم عليهم السلام . والحمد لله على ما اللهم وعلم اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمتنا ما يتفعلنا وزدنا علما . . ترويحاً :

حلفت لحیة موسى باسمه و بهارون إذا ما قلبا

(موسى اسم آلة الحلاقة وإذا قلب هارون صار نوره وهى مادة تزيل الشعر بغير حديدة موسى) .

وفي ص ۵۶۳ - ذكرت في التعليق على قوله صلى الله عليه وآله وسلم : أياك لا تدري ما أحدثوا بعدك الخ في حديث الحوض ولم ابين معناه المطلوب لأن هذه الجملة بظاها تشع بعدم علمه صلى الله عليه وسلم بأحوال امته بعده . مع أن الثابت بالتواتر الصحيح خلاف ذلك . والجواب والله سبحانه أعلم أن في الكلام استفهاما محذوفا . تقديره أياك لا تدري ما أحدثوا بعدك ؟ وبيان المعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم حين يرى طائفة من أصحابه تذاذ عن الحوض . تأخذ الشفقة عليهم فيدعوهم إليه ويتوجه إلى الله تعالى شافعاهم فيقول (يارب أصبحابى) راجيا لهم المغفرة - فينسى - وهو في غمرة الرجاء ما كان يعلمه عنهم فيذكره الله بقوله أياك لا تدري ما أحدثوا بعدك أى أنسيت ما أحدثوا بما عرض عليك من أعمالهم فيتذكر ويحيب بقوله (سحقا لمن بدل بعدى) مكررا لهذه الجملة تأكيدا لكونه تذكر ما أنسى من أعمالهم . وهذا كما ينسى الرسل عليهم السلام حين يسألهم الله

سبحانه : ماذا اجبتهم قالوا لا علم لنا أنك أنت علام الغيوب . مع أنهم كانوا يعلمون ماذا اجيبوا لكثرتهم نسوا للرهبنة ورسولنا صلى الله عليه وسلم نسى للارغبة . فبين المقامين تفاوت كبير كما لا يخفى ويظهر وجه آخر من التأويل وهو أن يكون النفي ليس مسلطاً على علمه أحوالهم . بل على العلم بعقابهم وفي الكلام مضاف محذوف تقديره : إنك لا تدري جزاء ما احدثوا بمدك ؟ أى أن جزاء ما احدثوا شديد لاتعلمه . فيكرر النبي صلى الله عليه وسلم قوله (سحقا سحقا لمن بدل بعمدى) مستعظماً لجزائهم المدخر لهم . ولاشك أن مقدار الجزاء على كل عمل مما اختص الله تعالى بعلمه . وقد صحح في الحديث : أن الله يعطى لأهل الجنة ما لا عين رأت ولا إذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . (جعلنا الله منهم بفضله) ومثل ذلك يقال في أهل النار والعياذ بالله تعالى . وعلى كلا الاحتمالين فالسر في جواب الله لرسوله بالجملة المذكورة . الاشارة إلى أنه لا بد من عذابهم على ما احدثوا . فكانه يقول على المعنى الاول اذكرك بعمالهم لتأكد نكتم عقابهم . وعلى المعنى الثانى كأنه يقول لا تدري عظم جزاء ما احدثوا وتحتمه . والله أعلم .

وفي ص ٥٧٧ ص ١٢ - من رواية عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (رواية مسلم) وقول عبد الرحمن بن عبد الله رب الكعبة له ناشدتك الله أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فاهوى إلى أذنيه وقلبه بيده وقال سمعته أذناى ووعاه قلبي . فقلت له هذا ابن عمك معاوية يأمرنا أن ناكل أموالنا بينما بالباطل ونقتل أنفسنا . والله عزوجل يقول يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالآية . فسكت ساعة ثم قال أطعه في طاعة الله واعمسه في معصية الله . . قالعجب من ينحرف عن الحق الواضح ويدافع بالباطل لهوى النفس المريضة سترالمواقف مخزية مثل ابن جحر الهيثمى الناصبى (فى كتابه تطهير الجنان) وقد اعجبني رد السيد أبو بكر بن شهاب الحسنى رضى الله عنه فى قوله :

لا تنكر واجمع تطهير الجنان ولا مدحا به كذبا فيمن بنى ولجر
فإنما طينة الشيخين واحدة ذاك ابن صخر وهذا المادح ابن حجر

ويقول الحسن البصرى رأس السادة الصوفية رضى الله عنه : مضارمة الناسق
قربان إلى الله عز وجل .

وروى عن الإمام الشافعى رضى الله عنه أنه أسر إلى الربيع أن أربعة من
الصحابة لا تقبل لهم شهادة أبدا معاوية وعمرو والمغيرة وزياد اه من كتاب روضة
الناظر في أخبار الأوائل والأواخر للعلامة الكبير أبى الوليد ابن محمد بن الشيخ
بهاشم الجزء الثامن من تاريخ ابن الاثير ص ۳ من الطبعة الاميرية اه (أقرا بعد
هذا البحث فى الفرق بين الشهادة والرواية) وسئل الإمام أحمد رحمه الله : أيؤجر
الرجل على بغض من خالف حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟؟ فقال إى
والله . . . قالت السيدة عائشة رضى الله عنها دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عليها وفاطمة وحسنا وحسينا فالتقى عليهم ثوبا فقال اللهم هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا فدنوت منه فقلت يا رسول الله . وأنا من أهل بيتك . فقال
تنهى هانك على خير . . . رواه عبد الرزاق وابن أبى شيبه واحمد ومسلم وابن جرير
وابن أبى حاتم واللفظ له والحاكم والبيهقى فى الدلائل والشعب وغيرهم باختلاف
يسه .

سئل الامام على كرم الله وجهه ايمكن أن يجتمع الزبير وطلحة وعائشة على
باطل ؟ فاجاب عالم الامة بعد نبيا بقوله : أنك للبوس عليك . أن الحق والباطل
ليعرفان باقدار الرجال . أعرف الحق تعرف أهله . وأعرف الباطل تعرف أهله
وما أعرف جوابا مسكنا حقا أروح من هذا الجواب الذى لا يصم من الخطأ أحدا
مهما تكن منزلته غير المعصوم صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى . .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طادى الله من طادى عليا . وقال فى رواية
أخرى اللهم وال من والاء وعاد من عاداه . . إلى آخر ماجاء من الأحاديث
الصراح خصصا مسند الإمام أحمد والنساقى .

لقد راينى من عامران عامرا بين الرضى برنو إلى من جفانيا

اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين . سلما لأوليائك . وعدوا
لأعدائك . نحب بحبك من أحبك ونعادي بعداوتك من خالف أمرك . اللهم هذا
الدعاء ومنك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان .

